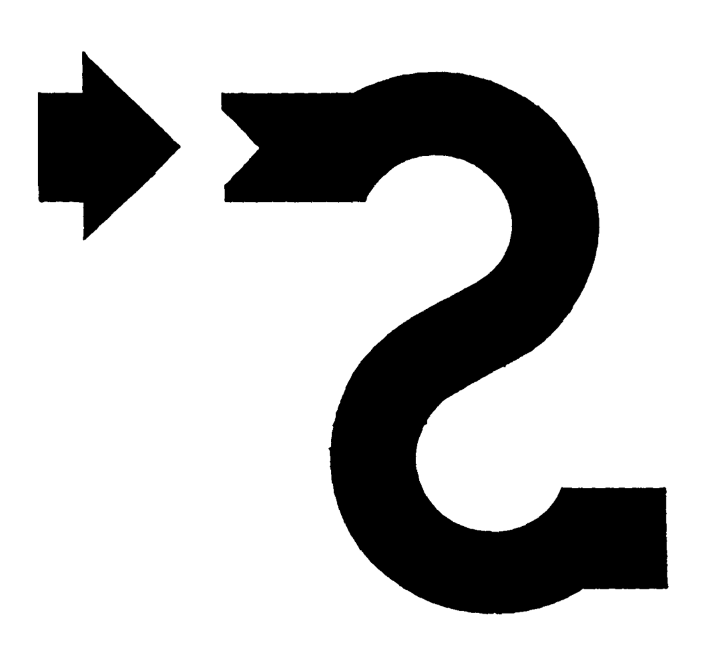
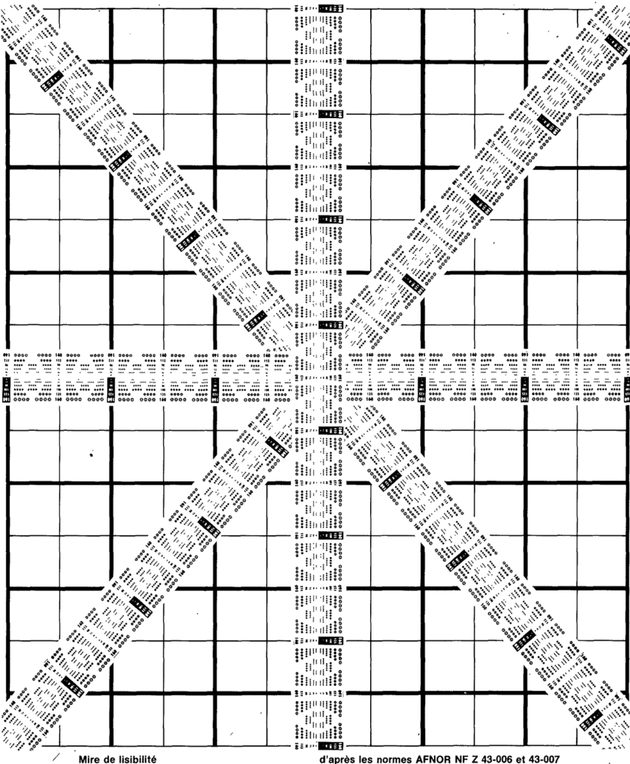


Suite d'une autre bobine

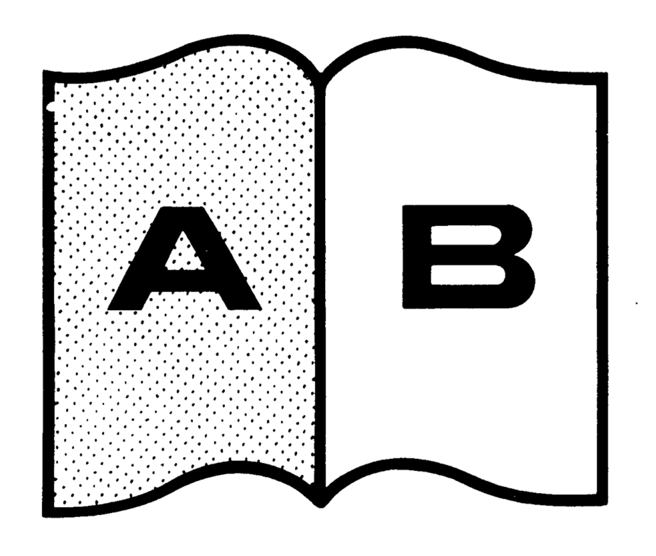
NF Z 43-120-7

1902
à
1904

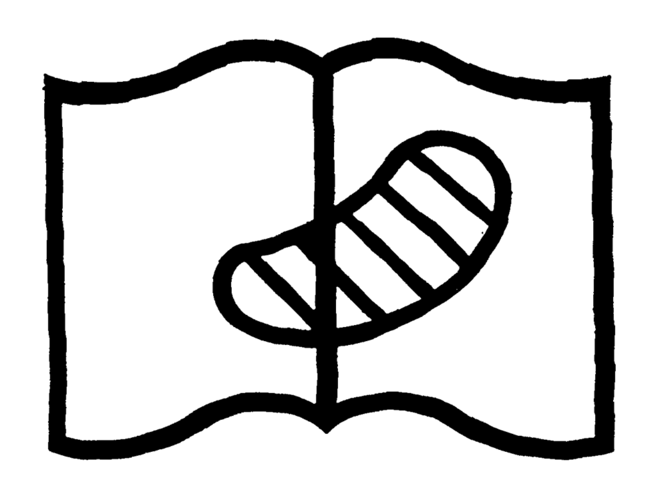
الضّياء

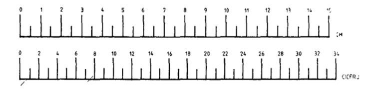


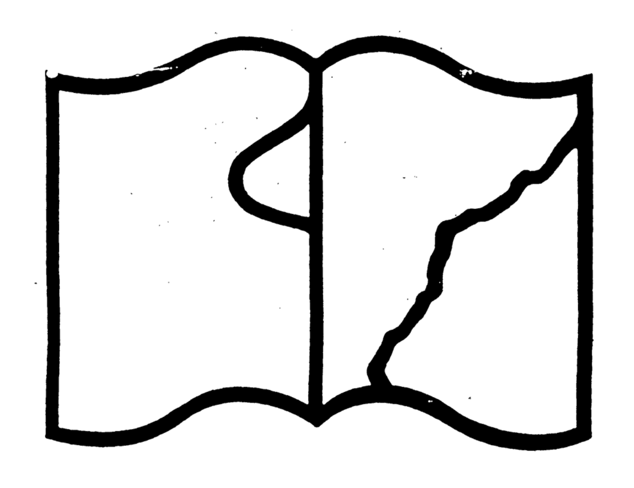
Mire de lisibilité d'après les normes AFNOR NF Z 43-006 et 43-007



A
B







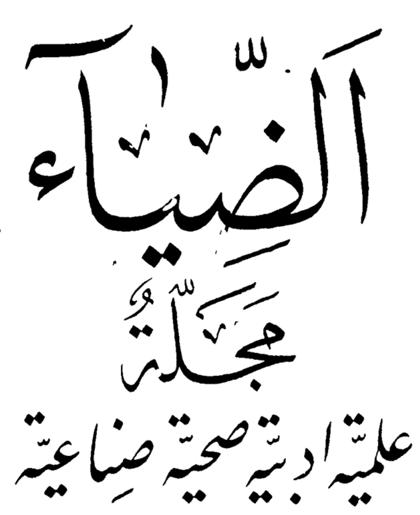
Texte détérioré — reliure défectueuse

NF Z 43-120-11

SUR TOUT OU PARTIE DE LA COLLECTION

1902
à
1903



لصاحبها

الشيخ ابرهيم اليازجي

السنة الخامسة

مصر سنة ١٩٠٢ — ١٩٠٣

مطبعة المعارف باول شارع الفجالة بمصر




فهرست المواد

روايات الضيآء

فهرست اسماء المكاتبين

اصلاح غلط

صفحة	سطر	غلط	صوابهُ
١٢٠	٢٢	وثمدًا	او ثمدًا
٢٤٣	٧	الميليمتر	الميلغرام
١٤٤	٦	عن رطوبة الهواء	من رطوبة الهواء
١٤٧	١٣	الباجيك	البلجيك
٢١٢	١٦	الف ضعف	مئة ضعف
٢٣٢	١٢	نخانتها	ثخانتها
٢٨٢	٣	بجبلال	بجيال
٢٩٩	٩	اليها	الينا
٣٤٠	١٠	غرامًا (مرّتين)	كيلغرامًا
٣٤١	١٧	الفحض	الفحص
٣٤٤	١٧	من قول شمر مضبوطًا في الموضع	من قول شمر في الموضع
٤٢٨	١٧	بهذي	تهذي
٤٣٥	٧	على دام	على من دام
٤٤٠	١٤	نبع	نغ
٤٦٠	١١	من غيرها ان	من غير ان
٤٦٦	٢	واما ذا	واما اذا
٥٣٦	٤	مما كتب	ممن كتب
٥٥٧	١٥	يسقط	و يسقط

الجزء الاول السنة الخامسة ١ اكتوبر ١٩٠٢



مجلة علمية أدبية صحية صناعية

الى حضرات المشتركين الكرام

ما زلنا منذ شرعنا في كتابة الضياء نجد من نفسنا حاجةً الى اخذ فترةٍ في كل سنة نغتنم فيها الراحة من إعمال الفكر وكدّ الروية ولا سيما في فصل الصيف على ما عُرِف بهِ في هذه النواحي من شدة الحرّ وثقلهِ . الا اننا لم نبرح ندافع النفس عن هذا المطلب ونحمّلها فوق طاقتها حرصاً على مواصلة اصدار المجلة الى ان عرض لنا في اثناء الشهرين العابرين شغلٌ لا يسعهُ الفراغ القليل الذي يبقى لنا بعد كتابتها فاضطررنا الى الوقوف عند الجزء العشرين وجعلهِ ختاماً للسنة الماضية كما اعلنا بذلك في بعض الجرائد اليومية في هذا القطر وغيرهِ . وقد رأينا ان نستمرّ على ذلك في السنين الآتية ان شاء الله فنجعل السنة عشرة اشهر نُصدِر فيها عشرين جزءًا فقط وفي مقابلة ذلك قد انزلنا قيمة الاشتراك من ٦٠ غرشاً في القطر المصري الى ٥٠ ومن ١٦ فرنكاً في الخارج الى ١٣ فرنكاً و٥٠ سنتيماً وفي مأمولنا ان قرّاءنا لا يجدون في ذلك بأساً اذ ليس هناك اخبارٌ سياسية او تجارية يفوت اوانها ولعلّ هذه العطلة القليلة لا تخلو من فائدةٍ للمجلة بما نغتنمهُ في أثنائها من جمام القريحة مع تفرغنا للسعي فيما يعود على مباحثها بالاتساع والله وليّ التوفيق

المجاز

هو البحث الذي كنا وعدنا بهِ في الكلام على التعريب نوردهُ في هذا الموضع وفاءً بالوعد واجابةً لما لم يزل يتواتر الينا من رسائل الادبآء في تقاضيهِ وهو تمة كلامنا فيما تقدم لنا في مجلة البيان تحت عنوان اللغة والعصر نعود فيهِ على ذلك البدء ولو تأخر موعدهُ والامور مرهونةٌ باوقاتها

وقد قدّمنا هناك أن طرق الوضع يمكن ان تنحصر في ثلاث وهي الارتجال والاشتقاق والمجاز وقد مضى القول في الاولين واما المجاز فالمراد بهِ هنا المجاز اللغويّ وهو المجاز في المفرد ويدخل تحتهُ الاستعارة والمجاز المُرسَل وفي كلا هذين كلامٌ طويل نقتصر منهُ على ما يتعلق بغرضنا في هذا المقام

فاما الاستعارة فهي ان يُستعمَل في الشيء لفظ شبيههِ . واللفظ المستعار قد يكون اسماً لذاتٍ كما يسمَّى البياض الذي يغشى سواد العين بالكوكب أُطلق عليهِ لفظ الكوكب لما بينهما من الشَبَه في الهيئة . وقد يكون شيئاً من لوازم الذات اما جزءًا منها كتسمية الطُنُف الذي يُشرَع خارجاً عن البنآء بالجَناح تشبيهاً لهُ بجناح الطائر اذا بسطهُ في الهوآء . واما معنًى من المعاني المختصة بها نحو نطقت الحال بكذا اي دلّت عليهِ فانهُ على تشبيه الدلالة بالنطق في الابانة والوضوح

ثم الجزء المستعار قد يكون هو المقصود بالتشبيه كالجناح في المثال فان المراد منهُ تشبيه الطنف نفسهِ بجناح الطائر من غير نظر الى الطائر ولا الى ما اتصل بهِ الطِنف من البنآء فهو من الاستعارة التحقيقية كما سيجيءُ لتحقق ما

استعير لهُ بحيث يجوز تصوُّر كلٍّ من المشبَّه والمشبه بهِ مجرَّداً عما اتصل بهِ وليس من الاستعارة المكنيّة في شيءٍ اذ لا معنى لتشبيه البنآء بالطائر كما لا يخفى . وقد يُذهَب به الى تشبيه ما أُثبت ذلك الجزء لهُ بالذات التي هو مُنتزَعٌ منها كقولهم فلانٌ على جناح السفر اذا كان متأهباً لهُ فان المقصود من اثبات الجناح للسفر تشبيه السفر بالطائر في سرعة المزايلة لا تشبيه شيءٍ من السفر بالجناح كما هو ظاهر فهو من الاستعارة التخييليّة وفي السفر استعارةٌ بالكناية

والضابط في كون الجزء مستعاراً بنفسهِ او قرينةً على الاستعارة فيما يليهِ انهُ ان كان وجه الشَبَه حسّيّاً كما في جناح الدار فالجزء هو المستعار وما يليهِ قرينةٌ على المجاز وان كان عقليّاً كما في جناح السفر فالاستعارة فيما أُثبت لهُ ولا مجاز في الجزء نفسهِ على الصحيح

واما ما كان المستعار فيهِ احد المعاني المختصّة بالمشبه به مثل النطق من قولنا نطقت الحال بكذا اي دلّت عليه فانهُ يجمع الطرفين لانهُ لا يخلو من وجود مشبَّهٍ بازآئهِ من لوازم المستعار لهُ كالدلالة فيما ذُكر فهو من الاستعارة التحقيقية . وهو مع ذلك يُثبَت لغير ما هو لهُ كالحال في المثال فهو قرينةٌ على الاستعارة فيما أُثبت لهُ وهو ما يتناولهُ من مذهب المحققين

فتحصَّل من ذلك ان الاستعارة في الجملة على ضربين احدهما ما يُذكر فيهِ لفظ المشبَّه به ويُترَك لفظ المشبه كما في استعارة الكوكب للبياض في العين ويقال لها الاستعارة المصرَّحة للتصريح فيها بلفظ المستعار منهُ. والثاني ما يُذكَر فيهِ لفظ المشبَّه ويُترك لفظ المشبه بهِ لكن يُكنَى عنهُ باثبات

شيءٍ من لوازمهِ للمشبَّه كما في استعارة الطائر للسفر في المثال المتقدم فان الطائر لا ذكر لهُ في اللفظ ولكن كُنيَ عنهُ باثبات الجناح الذي هو من لوازمهِ للسفر وتسمى الاستعارة بالكناية او المكنيّة . ثم المشبه اما ان يكون من الامور المتحققة اي التي يمكن تصورها والنصّ عليها كما في المثال الاول فتسمى الاستعارة تحقيقية واما ان يكون لا حقيقة لهُ كما في المثال الثاني اذ لا شيء في السفر يمكن تشبيههُ بالجناح كما تقدم وانما ذُكر ليستفاد منهُ تشبيه السفر بالطائر على سبيل التخييل ويسمى اثبات هذا اللازم استعارةً تخييلية . والمراد من كلتا الاستعارتين واحد وهو دعوى ان المشبه من جنس المشبه بهِ الاّ ان المكنية ولا شك ابلغ من المصرحة لان قولك مثلاً رأيت رجلاً يفترس الابطال اقوى في معنى الشبه من قولك رأيت اسداً يرمي النبال وان كان الحاصل من كلتيهما واحداً لان الافتراس يقتضي الاسديّة فهي مفهومةٌ ضمناً وقد زيد عليها الافتراس الذي هو من لوازمها فكانت كالدعوى ببيّنة . ومن هنا يُعلَم انهُ كلما كان اللازم في المكنيّة اخصّ بالمشبه بهِ كانت الاستعارة ابلغ ولذلك كانت استعارة الجزء ابلغ من استعارة اللازم المعنويّ . ولهذا المعنى فكثيراً ما يصرَّح بذكر الجزء مع ذكر اللازم فيقال في نطقت الحال نطق لسان الحال لان اللسان اظهر في التشخيص اذ هو آلة النطق وجزءٌ من اجزاء المشبَّه بهِ ومثلهُ قولك ركب فلانٌ الباطل وركب متن الباطل وشحذ رأيَهُ وشحذ غِرار رأيهِ وقس على ذلك ما اشبههُ . وربما صُرّح بالذات المشبَّه بها رأساً فيقال نطق خطيب الحال مثلاً وركب فلانٌ مطيّة الباطل وشحذ سيف رأيهِ وحينئذٍ فلا استعارة في الذات على

الاصح وانما هو ضربٌ من التشبيه المؤكد وهو الذي حذفت اداتهُ واضيف فيهِ المشبه به الى المشبه على حدّ لُجَين المآء وما جرى مجراهُ . وهذا كثيرٌ مستفيضٌ في الاستعمال كقولك اجلتُ الرأي واجلتُ قِداح الرأي وانبتَّ شملهم وانبتَّ حبل شملهم وطويت الحديث وطويت بساط الحديث وأضرم الشرَّ بينهم واضرم نار الشرّ واستصبحتُ بعلم فلان واستصبحت بنبراس علمهِ الى ما اشبه ذلك

واعلم ان الاستعارة من ادقّ ابواب البيان مأخذاً واكثرها تفصيلاً بل لا يبعد كثيراً من قال هي البيان كلهُ . وللقوم في ضروبها ومناحيها وتحقيق انواعها ولاسيما الاستعارة التخييلية منها ما تُسدِر من دونهِ البصائر وتكبو في مجالهِ جياد الخواطر ولذلك وقفنا فيها عند التقسيم الذي مرّ بك ولعلهُ اقرب تناولاً واوضح سبيلاً فضلاً عما فيه من استيعاب ما لم يتعرضوا لهُ والله ملهم السداد (ستأتي البقية)

الهوآء الاصفر

انتشر هذا الوبآء المشؤوم في القطر على حين لم يمرّ طيفهُ ببال ولم تمثل لهُ في صفحة الوهم خيال وعلى حين تيقظ الحكومة لاقامة امنع السدود في وجههِ وانفاق الاموال الكثيرة في سبيل توقيهِ واذ البلاد تقوم وتقعد لما سطع فيها من الحريق الذي دمرّ ما يقرب من سبعين بلداً في شهر واحد وترك عشرات الالوف من اهلها على انقى من الراحة واذ الطاعون قد ضرب اطنابهُ في الثغر الاسكندري منذ اربع سنين وهو كالمريض لا يفتك فتكتهُ

فيموت بهِ من يموت ويسلم من يسلم ولا ينشطُ للرحيل عن البلاد فتعود النفوس الى صفوها وطمأنينتها فكانهُ قد كُتب على هذه الديار ان تتوالى عليها الارزآء في هذهِ السنين الاخيرة فلا تكاد تنجو من نكبة او تتوقع الخروج من غمرة حتى تفاجئها اخرى بما ينسيها الاولى

لا جرم ان الطاعون لم يكن بالقياس الى ما ظهر من هول الهوآء الاصفر الاَّ لعبة هازل او دعابة مزّاح فان الذين ماتوا بهِ في هذه السنين الاربع لم يزد بهم عدد الموتى عما كان عليهِ في السنين السالفة ولا كانوا اكثر من الذين يموتون بسائر الامراض بل لو أُحصي الذين ماتوا بالنزلة الوافدة مثلاً او باحدى الحمَّيات لكانوا اكثر عدداً . ولذلك اختلف الاطبآء في حقيقتهِ فمنهم من ذهب الى انهُ هو الطاعون الهنديّ بعينهِ لكن جراثيمهُ وصلت الينا ضعيفة ومنهم من زعم انهُ مرضٌ وطنيّ يشبه الطاعون في بعض اعراضهِ وليس من الامراض الوبآئية ومنهم من ذهب الى غير ما ذكر وكلهُ مبنيٌّ على قلة فتك هذا الدآء وضعف انتشارهِ . فلما وفد الهوآء الاصفر كان اول ما فاجأ الناس منهُ خبر تسعين اصابة في يومٍ واحد في بلدة موشة من مديرية اسيوط وهي بلدةٌ صغيرة لا يزيد اهلها على ثمانية آلاف نفس ثم لم يلبث ان تتابعت حوادثهُ واسرع انتشارهُ حتى عمّ القطر باسرهِ وقد بلغ عدد المصابين بهِ من ١٥ يوليو وهو اول يوم ظهر فيهِ الى يوم كتابة هذه السطور ما يزيد على ثلاثين الف نفس مات نحو تسعة اعشارهم وبلغ عدد البلدان التي انتشر فيها ما يقرب من الف وتسع مئة بلد

اما سبب وصول هذا الدآء الى القطر فقد اختلفت فيهِ اقوال الرواة

فقيل ان بعض الحجاج استصحب معهُ زجاجةً من مآء زمزم احتال على تخليصها من محجر الطور فلما انتهى بها الى موشة فرّقها على آبار البلدة ولذلك فشا الدآء فيها مرّةً واحدة . وقيل ان واحداً منهم ظهرت فيهِ اعراض الدآء بعد وصولهِ الى المحجر واجتهد سائر الحجاج في اخفآء امرهِ خوفاً من اطالة مدة الحجر عليهم فلما خرجوا من المحجر ووصلوا الى موشة لم يلبث الدآء ان ظهر في بعضهم ثم انتقلت عدواهُ الى غيرهم ولبث الامر مكتوماً الى ان تكاثر عدد الاصابات وبلغ ما ذُكر. وقيل بل الدآء نبت من تلك الناحية وانهُ ليس من الكولرة الآسوية المنتشرة في الحجاز وانما هو مرضٌ وطنيٌّ نشأ في القطر على حدّ ما يحدث منهُ في الهند وبمثل سببهِ هناك . وذلك انه لقلّة مياه النيل في هذه السنة نضب اكثر الترع التي يستقي منها الاهالي ولم يبقَ الا مستنقعاتٌ قد أَسِن مآؤها وكانت تُقضى فيها جميع حوائج الطهارة من الاغتسال وغيره فضلاً عما يُلقى فيها من الاقذار والجثث حتى صارت مجمعاً للنتن والخبائث وتولدت فيها الديدان والحشرات والناس مع ذلك يشربون منها من غير تصفية ولا ترشيح ويتناولون منها حاجة طبخهم وعجينهم فلا يُستبعَد والحالة هذه ان تكون منبعثاً لكل دآءٍ دويّ ووبآءٍ قتّال

ومهما يكن من الامر فقد كان من السهل حصر الدآء في موضع ظهورهِ ولكن الذي حال دون ذلك وكان سبباً في انتشار هذا البلآء ان عُمَد البلاد الذين من وظيفتهم ايذان مصلحة الصحة بكل حادثٍ وبآئي او مرضٍ معدٍ يحدث في نواحيهم كتموا الاصابات الأُوَل فلم يُعلَم بها الا بعد ان بلغت من الكثرة مبلغاً اعياهم كتمانهُ وفي أضعاف ذلك كان بعض المصابين والذين

خالطوهم يتنقلون في البلاد وهم يحملون جراثيم العدوى فلم يُنتَبه لتدارك الامر حتى كان قد اتسع الخرق ولم يبقَ الى تداركهِ سبيل

وهنا لا بُدّ لنا ان نثني الثناء الجميل على مصلحة الصحة لما تبذل من الجهد والاهتمام في تعقب الداء والوقوف في طريق انتشاره وهي وان لم تفلح في حصره وقطع دابره للسبب المتقدم وامثالهِ فلا يُنكَر انها قد خففت وطأته الى آخر ما يستطاع في مثل الحالة الحاضرة . ولا يخفى ان طرق الوقاية من هذا المرض تنحصر في امرين احدهما منع انتقال عدواهُ بسببٍ عامّ من الاسباب الطبيعية واهمّ ما هنالك صيانة ماء النيل الذي هو المشرب العامّ لاهل القطر بمنع الاغتسال فيهِ وغسل ثياب المرضى والموتى وغير ذلك من مجالب الوبالة ثم ردم المستنقعات والآبار الموبوءة وتعهد الازقّة والمنازل القذرة بازالة الاوساخ والعفونات وكل ذلك قد قامت بهِ هذه المصلحة اتمّ قيام فوقت ارواح كثيرٍ من الالوف ومن تذكَّر ما كان من امر هذا الوباء سنة ١٨٨٣ حين كان يموت بالقاهرة وحدها ما ينيف على الفي نفس في اليوم علم مقدار النفع الذي حصل على يدها في هذه السنة . والامر الثاني منع العدوى من طريق المخالطة الشخصية وهو الامر الذي اعيا رجال الصحة ولم تنجع فيهِ نصائح الاطباء والعارفين واليهِ ترجع جميع الاصابات التي حدثت في القطر الا ما ندر منها مما حصلت الاصابة فيهِ عن خطإٍ او غرَر . واكثر ما ترى ذلك في طبقة العوامّ من الامة لجهلهم بطبيعة المرض وقصور مداركهم عن فهم التقارير الطبية وكيفية انتقال العدوى بواسطة الجراثيم المرضية ولذلك ترى جمهورهم لا يصدّقون بالعدوى

ولا يرون موجباً للتوقي والحذر. وزد على ذلك ما تأصل في مخيلاتهم من الخرافات والاباطيل كالسحر والعين والحسد واعتقادهم ان الامراض انما تنشأ عن مثل هذه الاسباب فيعالجونها بالاحجبة والرُقى والتنجيم والزار وما اشبه ذلك . وبقي هنالك امرٌ هو من اشدّ هذه الامور علاجاً واعظمها ضرراً الا وهو انهم يردّون كل واقعٍ الى القدر سوآء كان من الامور المفاجئة التي هي من الغيب المحض او من الامور المتوقعة التي قد علمت جهتها وامكن تحاميها ولذلك يصاب احدهم بالدآء فيجتمع حولهُ الاهل والجيران ولا سيما النسآء ويخدمونهُ في مرضهِ من غير تحرُّز ولا تجنب واذا توفي تزاحموا على توديعهِ والتزوُّد من معانقتهِ وتقبيلهِ وهم لا يعلمون ما تحمل ثيابهم وجلودهم من تلك المعانقة ولا ما يدخل افواههم من تلك القُبَل

ولا يخفى ان امثال هذه الامور لا حيلة فيها للحكومة ولا سبيل الى توقي اضرارها ما لم يكن كل انسانٍ فيها قيّماً على نفسهِ والا تعيَّن على مصلحة الصحة ان تجعل لكل فردٍ من ملايين الإهالي رقيباً يرافقهُ في قيامهِ ومنامهِ وطعامهِ وشرابهِ وسائر احوالهِ واعمالهِ . وانما تُتلافى هذه المفاسد بنشر الحقائق العلمية وتنوير اذهان العامة والضرب على ايدي المشعوذين والرقاة واصحاب الزار واشباههم ومنع كتب الخرافات والاضاليل ومواظبة الخطبآء على ارشاد البصائر الضالة ومتابعة الجرائد نشر الفصول المشبعة في التنديد بهذه الاوهام والتنبيه على بطلانها وبيان ما يترتب عليها من الاضرار والموبقات فان هذا من اهمّ ما يتعين على الجرائد في مثل هذه البلاد

على ان وطأة الدآء قد خفّت في هذه الايام الاخيرة والحمد لله فتناقص

عدد الاصابات الى نحو النصف مما كان عليهِ والامل انهُ لا ينقضي هذا الشهر حتى يتقلص ظلهُ عن هذه النواحي بلطفهِ عز وجلّ ورحمتهِ انهُ تعالى وليّ العباد وفي يدهِ مقاليد الامور

مدارس الرهبانيات في فرنسا

قُضيَ الامر وأُقفلت مدارس الرهبان والراهبات في جميع البلاد الفرنسوية الا ما جرى منها على قوانين الحكومة واذعن لاوامرها . وهو امرٌ مهما كان فيهِ من فوت المنافع التي كانت البلاد تنالها على ايدي أولئك القوم ومن الجور على الابرياء منهم بالضرب على ايديهم لغير جريرة بل من المَغرَم على الحكومة نفسها باضطرارها الى تحمُّل كل ما كان على عواتقهم من اعباء التعليم فضلاً عن اسخاط حزبٍ كبير من رعاياها والتعرض لمقاومتهم فهو ولا شك دليلٌ على ان الشرّ الذي كانت تتوقعهُ من بعض أولئك الرهبان ــ ولا نسمي ذلك البعض لانهُ اشهر من ان يُذكَر ــ اعظم من الخير الذي فاتها منهم ومن الشر الذي تتوقعهُ بسببهم فهي ولا جرم قد اختارت اهون الضررين واجتزأت بأيسر الخطرين

ونحن هنا لا نتعرض لسرد تاريخ هذه المسئلة والبحث عن اسبابها ونتائجها ولا نضع نفسنا موضع الفاحص لاعمال تلك الحكومة للقضاء لها او عليها ولكن جل ما نقولهُ ان صاحب البيت ادرى بما فيهِ وان الامر الذي ما زالت تلك البلاد تتمخض به منذ قيام الجمهورية الحالية بل منذ زمان الثورة المشهورة حتى انتهى الى ما ذُكر لا يمكن ان يتَّهم فاعلهُ

بالطيش او يكون الباعث عليه مجرَّد التحامل من اناسٍ قد نبذوا الدين ومقتوا خدّامهُ فهذه اسپانيا وهي من قُحّ الكاثوليك وخلّصهم ما زالت تهبّ عواصف اضطهادها على تلك الفئة وتذيقها الوان النكال حيناً بعد حين مما لا يزال يتجدد الى هذ اليوم

لا جَرَم ان ما اقدمت عليهِ الحكومة الفرنسوية من هذا الامر الجلَل حقيقٌ بان يكون موضع عبرةٍ لذوي الالباب وتبصرةٍ بحال أولئك الاقوام وما يُبطِنون وراء تلك الظواهر من الدخائل والغوائل . على ان من تتبع تاريخ اناسٍ منهم ولا سيما جماعة الجزويت ووقف على معاملة اكثر الممالك لهم حتى البابوات علم انهم ليسوا في هذه المرة بمظلومين وانما ارتفعت اصوات التظلم على اثر طردهم لذهاب غيرهم بجريرتهم مما اضطُرّت الحكومة الى فعلهِ قطعاً للسان الحجة من قِبلهم وقبَل اشياعهم . أَجَل انّا لا نخشى ان يفعلوا في بلادنا كما فعلوا في فرنسا من العمل على قلب الحكومة وتبديل حالة البلاد ولكن مفاسد هذه العصابة لا تنحصر في حيزٍ معلوم فان لهم مآرب شتى يحاولون بلوغها من كل طبقة من الناس ويعملون على بلوغها بأي الطرق عملاً بأن « الغاية تشفُع في الوسيلة » على ما هي قاعدة طريقتهم . ولما كان لهم هذا التأثير الشديد في عقول العامة الذين يدخلون عليهم بحجة الدين ولا سيما الناشئة الذين ارصدوا انفسهم لتربيتهم وتعليمهم لم يكن لنا بدٌّ ان ننظر في مقاصدهم ونتخطى الى ما ينشأ عن تعليمهم والقالب الذي يطبعون عليهِ عقول اولئك الاحداث وضمائرهم فان هناك ما لا يجوز لنا الاغضاء عنهُ لما يجرّ علينا وعلى بلادنا من سيّئ العواقب

واول ما نذكر من ذلك تربية القلوب على التعصب والقآء الشقاق والفتن بين الطوائف وهو دأبهم المشهور وديدنهم المعروف في كل ما يقولون ويكتبون وهذه منابرهم وكتبهم وجرائدهم شاهدةٌ بذلك بل هذا روح تلامذتهم تجد اكثرهم على ابعد غايةٍ من التعصب سوآء كانوا من الكاثوليك او غيرهم من فِرَق النصرانية او من اهل الاديان الاخرى لما يُشرِبون بعضهم من بغض بقية المذاهب وما يتبغضون به الى البعض الآخر بما يسمعونهم من التقبيح لعقائدهم لاغراضهم المعلومة فيخرج الجميع من مدارسهم وحشو صدورهم العداوة والتنكر واحتقار كل واحدٍ منهم غير دينهِ من سائر الاديان وهي المفسدة التي اهون ما فيها ان ينشا اهل الوطن الواحد على التقاطع والتدابُر وطيّ الضمائر على الضغائن والاحقاد فضلاً عما هناك من تعطيل المصالح المشتركة والفتّ في عضد الجامعة والمصير بالامة الى الانحلال والبوار

ويلحق بذلك ان الحكومة الفرنسوية مع شدة تضييقها على هذه الشرذمة وطردها من بلادها يقيناً بانها الشرّ بعينهِ قد انتزعت هذا السيف من بين اضلاعها واغمدتهُ في فؤاد الشرق فهي ابداً توسعهُ صقالاً وتسقيهِ السمّ الذُعاف بما جعلت لأولئك القوم من الامدادات المالية وما نشرت على رؤوسهم من أعلام حمايتها وقد بثتهم بيننا رسلاً يدعون الى موالاتها فاتخذوا لذلك انجع الذرائع الفعّالة التي هي اللسان الفرنسوي يجهدون في مدارسهم بتعليمهِ وتدريس كل علمٍ بهِ حتى لقد كان احدهم في هذه العاصمة يشرح قواعد النحو العربي بالفرنسوية مع ان الاستاذ عربيّ الاصل

والتلامذة كلهم عرب من مصريين وسوريين . ثم هم فضلاً عن اللغة يحرصون على تدريس تاريخ فرنسا وملوكها وقوادها وعلمآئها وكتابها وشعرآئها وكل من نبغ منها في علم او اشتهر باختراع او اكتشاف حتى يخيَّل للتلميذ ان العلم والذكاء والشجاعة والاقدام كل ذلك قد انحصر في الامة الفرنسوية لانهُ لا يسمع منهم ذكراً لغير رجالها ان لم يسمع في سواهم عبارات الازرآء والتهجين . وعلى ذلك يخرج الناشئ من مدارسهم وهو لا يعلم شيئاً من تاريخ بلاده ومن تقدم من اسلافهِ سوى انهُ يعتقد انهم كانوا قوماً وحشيي الطباع لا علم عندهم الا الخرافات ولا صناعة في ايديهم الا السلب والقتل فقل في مئاتٍ بل الوف من شبان الوطن المتعلمين يكون هذا رأيهم في وطنهم واهل وطنهم

وهناك مفاسد اخرى يدسونها في اخلاق التلامذة منها تعليمهم السعايات والنمائم بما يستخدمونهم فيهِ من امور الجاسوسية التي هي احدى قواعد طريقتهم على ما ذكرهُ المسيو شريونّيل (راجع ضيآء السنة الرابعة ص ٥٤٧ و ٥٤٨) وكما نُصَّ عليهِ في تعاليمهم الخفيّة (ف ٢ : ٥ و ٦ و ٧ وف ٦ : ٤) . وللتوصل الى ذلك لا بدّ للتلميذ ان يستعمل الريآء والمداهنة وضروب الخديعة والختل للوقوف على سرائر اخوانهِ ونقلها الى استاذهِ او رئيسهِ فلا يلبث ان تتلبس بهِ هذه الخلال الذميمة لتعوُّدهِ مقارفتها وتلقنهِ اياها ممن يعتقد انهُ لا يأمرهُ الا بكل فضيلة

ومنها اغرآؤهم التلامذة بالدخول في طريقتهم واختطافهم من بين ذويهم على غير رضاهم ولا علمهم كما وقع ذلك مراراً في هذه الديار والديار

السورية وآخرما في الذاكرة منهُ ما حدث لبعض سكان هذه العاصمة منذ سنتين مما اضطرّوا فيهِ الى الفشل وامرهُ معلومٌ عند كثيرين ولكيفية هذا الاغرآء شرحٌ مفصَّل في تعاليمهم المذكورة (ف ١٣) سننشر تعريبهُ فيما سننشرهُ من هذه التعاليم في بعض الاجزآء الآتية ان شآء الله

اما طريقة التدريس عندهم فلا ندخل في تفاصيلها لان الكلام فيها يقتضي شرحاً طويلاً لا يتسع لهُ هذا المقام لكن نقول على الجملة ان مَن خبر حال التعليم في مدارسهم وجد انهُ مبنيٌّ على التمويه والتدليس كشأنهم في سائر اعمالهم . فتراهم يقيمون المجالس الحافلة يدعون اليها اهالي التلامذة وارباب الوجاهة مبالغةً في الظهور واستدعآءً للشهرة ويؤلفون للتلاميذ جمعياتٍ يسمونها بالاكادميّات وما ادراك ما يجري من المباحث في تلك الاكادميات . . ويسمون حلقات الدروس باسمآءٍ فخيمة كحلقة الفلسفة وحلقة البلاغة وحلقة الانسانية ـ وانظر ما معنى هذه التسمية الاخيرة ـ وقس على ذلك من امثال هذه الخزعبلات مما يوهم العامةّ ان العلم كلهُ في مدارسهم ويوهم التلميذ انهُ يترقى في طبقات العلم حتى اذا خرج من المدرسة كان العلم المشار اليهِ بالبنان . . .

على ان بعض ما ذُكر غير مختصٍّ بفئةٍ من أولئك القوم ولا بمملكةٍ من الممالك الاجنبية فان اكثر الدول مشتركة في ذلك الخير . . . حتى ان المدرسة الكلية الاميركانية التي هي اصحّ المدارس تعليماً في القطر السوري بعد ما كانت تدرّس العلوم الطبية وغيرها بالعربية وقد طبعت فيها التآليف الضخمة ككتاب الباثولوجيا للمرحوم الدكتور ڤان دَيك وكتاب التشريح

للدكتور ورتبات وغير ذلك من الكتب المحكمة في العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها لم تلبث ان تناولتها ايدي المآرب فألغت التعليم باللغة العربية وعدلت الى المؤلفات الانكليزية وقس على ذلك سائر المدارس الاجنبية في القطرين .

ومهما يكن من امر هذه المدارس واغراض ذويها فليس من قصدنا هنا التنديد بها والانحآء على اربابها بالتسوئة والتفنيد وانما اوردنا هذه اللمعة تذكرةً وتنبيهاً لعقلاَئنا ان يتداركوا الدآء قبل استحكامهِ فهؤلآء فتياننا قد تنازعتهم الاغراض الدينية وتوزعتهم المآرب السياسية فاصبحت قلوبهم شتَّى واهوآؤهم متفرقة وعاد ما بينهم من الصلة الوطنية انقطاعاً وما يجمعهم من الرابطة الجنسية انفصاماً وعلى الجملة فقد اصبحوا في وطنهم خليطاً من الغربآء لا تربطهم جامعة ولا تضمهم وحدة فضلاً عما تأصل بينهم من الفتن الدينية التي اضرم الجهل نارها والتي لم يبرح أولئك الرسل المصلحون يثيرون غبارها ويشبُّون أُوارها ويتحيَّنون الفُرَص لايقاظ ما بين القوم من الحزازات الكامنة والطوائل القديمة حتى يروا البلاد شعلةً من نار وحتى يكون مثلهم مَثَل نيرون الظالم . . .

على اننا والحمد لله قد بلغنا الى عهدٍ نستطيع فيهِ بعد شكر أولئك الاقوام على ما مهدوا لنا من سبل العلم ان نستقلّ بشؤوننا ونستأثر بتنشئة ابنآئنا على الآداب الشرقية واشرابهم الوطنية الصحيحة وجمعهم على وحدة الهوى واتفاق الكلمة وتعزيز اللغة التي هي اوثق جامعةٍ للامة على اختلاف مذاهبها ومشاربها . فان عندنا خلا مدارس الحكومة في القطرين عدة

مدارس وطنية لا تنحطّ عن درجة اعلى المدارس الاجنبية كمدرسة الاقباط الكبرى في القاهرة وهي من المدارس التجهيزية وكالمدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة في بيروت والمدرسة الشرقية في مدينة زحلة من جبل لبنان ولعلنا عن قليل سنبشر القرآء بافتتاح المدرسة التي تنوي انشآءها الطائفة الارثوذكسية في بيروت باقتراح وهمة سيادة اسقفها العالم الفاضل المطران جراسيموس بسرّة الشهير. ومعلوم ان المدرسة انما هي عبارةٌ عمن يأوي اليها من الطلاب فكلما كثر عديدهم ازدادت اتساعاً وغنًى وكانت اقدر على التبسط فيما تلقنهُ من انواع العلوم الى ان تبلغ اعلى درجةٍ من الكمال فعلى ابنآء الوطن ان كانوا قد شعروا باضرار المدارس الاجنبية وكانوا يودّون ان يخرج ابنآؤهم رجالاً وطنيين خالين عن المفاسد التي اشرنا اليها ان يعضدوا المدارس الوطنية ويكونوا يداً واحدة في تعزيزها والاقبال عليها ولا يغترّوا بما يرون في سواها من الظواهر المموَّهة والله المسؤول ان يهدي بصائرنا الى السبيل الارشد وهو حسبنا

الماء المقطَّر والصحة

من الناس من يظن ان الماء المقطَّر اصلح للصحة من ماء الينبوع لكونهِ هو الماء الطبيعيّ الصِرف الخالي عن الموادّ الاجنبية ولكن التجارب العلمية في هذه الايام اثبتت ان الامر بالخلاف وقد وقفنا على فصلٍ في هذا المعنى للدكتور اسطفان لُدُوك شرح فيهِ ما اجراهُ بنفسهِ من الاختبار فاحببنا تلخيصهُ فائدةً للقرآء

وقد بنى اختباره هذا على ما هو معروف في السوائل من الميل الى امتصاص بعضها من بعض عند اختلاف قوامها كثافةً ورقةً بحيث ان الاكثف يمتص من الأرق حتى يصيرا بقوامٍ واحد . والسائلان قد يلتقيان مباشرةً كما اذا صُبَّ شيءٌ من محلول الشبّ الازرق (كبريتات النحاس) في اناء ماء وقد يكون بينهما حائلٌ ذو مسامّ كما اذا جُعِل احدهما في نحو مثانةٍ او اناءٍ من خزفٍ غير مدهون وحينئذٍ يكون الامتصاص ابطأ ولكنهُ يستمرّ الى ان يبلغا حدّ التعادل

وبناءً على ذلك فقد عمد الى ثلاثة اغصان رخصة من احد انواع النبات فجعل احدها في الهواء وغمس الثاني في الماء المقطَّر والثالث في محلول مُشبَع من نترات البوتاس . وبعد اثنتي عشرة ساعة وجد ان الغصن الذي كان في الهواء قد ذبل والذي كان في الماء المقطر قد انتفخ وبقي مقوَّماً على اصلهِ والذي في محلول نترات البوتاس قد ذبل الا انهُ كان اشدّ ذبولاً من الذي كان في الهواء فتدلّت اوراقهُ وانحنى وامتصّ المحلول ما كان في خلاياهُ من الماء

ثم امتحن ذلك في البنْية الحيوانية فأخذ قطرات من الدم ونزع فبرينها ثم افرغها في انبوبين من الزجاج قد جعل في احدهما محلولاً من نترات البوتاس على نسبة ٢ ٪ وفي الآخر ماءً مقطراً . وبعد ان اتى عليها بضع ساعات وجد ان كُرَيّات الدم قد رسبت في اسفل الانبوب الذي فيهِ المحلول فتألف منها كتلةٌ حمراء قاتمة وقد انفصلت انفصالاً تامًّا عن السائل وبقي فوقها لا لون لهُ . واما الانبوب الثاني الذي فيهِ الماء المقطر فلم يرسب فيهِ

شيء ولكن الماء تلون بحمرةٍ متساوية وتبيّن لهُ بالمِجهر (المكرسكوب) ان الكريات قد انحلّت في الماء ولم يبقَ منها شيء

قال وقد قرر المسيو همبرجر انهُ اجرى هذا الامتحان بمحلول من البوتاس زاد كمية البوتاس فيهِ تدريجاً فظهر لهُ ان كريات الدم لا تزال تنحلّ فيهِ الى ان يبلغ مقدار البوتاس ٠،٩٦٪ وفيما فوق ذلك يتوقّف الانحلال الى ان يبلغ مقدار البوتاس ١،٠٤ ٪ فتبدأ الكريات بالرسوب ثم انهُ كلما زيد اشباع المحلول كان حجم الراسب من كريات الدم اقلّ بحيث ان هذه الكريات والسائل الذي يخالطها يتعاوران الامتصاص فكلما رقّت مادة السائل اشتدّ امتصاص الكريات منهُ والعكس بالعكس. وهذا هو السبب في تصلُّب الغصن وانحلال كريات الدم في الماء المقطر لان خلاياهما امتصت من دقائق الماء بمقدار النسبة التي بين دقائق الطرفين في الحجم وبخلاف ذلك الماء المحلول فيهِ نترات البوتاس فان دقائق نترات البوتاس اكبر حجماً من دقائق الماء فاذا زيد اشباع المحلول خرج الماء من خلايا الغصن وكريات الدم وامتصهُ المحلول فيصغر حجم كلٍّ من الخلايا والكريات المذكورة الى ان يقع التعادل بينها وبين الماء المحيط بها ولذلك يكون مقدار الراسب من الدم في المحلول اقل كلما كان المحلول اشدّ اشباعاً وبعكس ذلك اذا قلّ اشباعهُ حتى انهُ اذا رقّ الماء كثيراً افرطت الكريات من امتصاصهِ وانتفخت الى ان تنشقَّ وتنحلّ مادّتها فتموت

اذا تقرر ذلك عُلم منهُ ان الماء المقطر يكون سمّاً قاتلاً للكريات الحمراء من الدم وما ذُكر من فعلهِ لا يقتصر على هذه الكريات فقط

ولكن له نفس هذا الفعل في جميع الخلايا الحية ومقاومتها له تكون بقدر ما فيها من القوة على التمدد وما في اغشيتها من المتانة . وعلى ذلك فاشدّ المآء ضرراً ما كان ارقّ واصفى وكانت المواد المنحلّة فيهِ اقلّ حتى ان من مآء الينابيع ما يكون فعلهُ فعل المآء المقطَّر فان في جَستّين ينبوعاً يسمى جُفت بُرُونن اي الينبوع السامّ ظهر بالتحليل ان مآءهُ في آخر غاية من النقاوة حتى انهُ اصفى من المآء المقطَّر اذ لا شيء فيهِ من الغازات على الاطلاق ولكنهُ اذا شُرب انتفخت به خلايا النسيج المخاطي الهضمي وفسدت بنيتها فيكون تأثيرهُ اشبه بتأثير احدى المواد الكاوية وهذا عينهُ هو السبب في ضرر مآء الثلج ومآء الجبال الشديد النقاوة . انتهى

اسئلة واجوبتها

دمياط — بينما كنت اقرأ في سورة الأنعام وصلت الى قولهِ « وأقسموا جهد أيمانهم لئن جآءتهم آية ليؤمننَّ بها قل انما الآيات عند الله وما يُشعِركم انها اذا جآءت لا يؤمنون » . فاشتبه عليَّ تفسير هذه الآية لان المعنى يقتضي ان يكون قولهُ « لا يؤمنون » . بالاثبات فهل نعدّ « لا » زائدةً هناك واذا كان ذلك فهل يصح ان يقال انّ في الكتاب زيادة باسيلي سرور

الجواب قال البيضاوي في تفسير هذه الآية « ما يُشعِركم اي ما يُدريكم استفهام انكار المسبَّب مبالغة في نفي السبب وقيل « لا » مزيدة وقيل « أنَّ » بمعنى لعلَّ اذ قُرئَ « لعلها » . وقرأ ابن كثير وابو عمرو

وابو بكر عن عاصم ويعقوب « إِنَّها » بالكسر كانهُ قال وما يُشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم » انتهى المقصود منهُ باختصار . واما الزيادة في الكتاب فالظاهر انها لا تمتنع لانهُ جارٍ على اسلوب كلام العرب وهي مألوفةٌ عندهم في كثيرٍ من الصور بشرط عدم الالتباس ومن ذلك قول الشاعر

وتلحينني في اللهو أن لا احبَّهُ ، وللَّهو داعٍ دائبٌ غير غافلِ

قالوا ولا بد ان يكون للزيادة فائدة ولا سيما في الآيات القرآنية اما لفظية كتزيين الكلام اومعنوية كتأكيده أو ما اشبه ذلك من الاغراض

بيروت — جآء في موشح قسطاكي بك الحمصي المطبوع في الجزء الاخير من ضيآء السنة الماضية قولهُ (ص٦٢٦) « عند ما قبَّلتني اولَ مَرْ » . وقد اعترض بعضهم على حذف التآء من قولهِ « اول مَرْ » فهل يجوز مثل ذلك في الشعر ام لهذا الاستعمال وجهٌ آخر ح * ي

الجواب — ليس حذف التآء في هذه اللفظة من باب التجوز ولكن المَرّ يأتي بمعنى المرّة يقال جئتهُ مرًّا او مرَّين اي مرَّةً او مرَّتين كما هو واردٌ في كتب اللغة

آثار ادبيّة

تاريخ التمدن الاسلامي — لا يخفى ان المكاتب العربية كانت لا تزال في حاجةٍ الى سفرٍ يستوفي تاريخ التمدن الاسلامي ببيان مقدماته واسبابهِ وكيفية تدرُّجهِ وامتدادهِ ووصف ما تعاقب عليهِ من الدول وما كان لها

من الوقائع والفتوح وذكر ما بلغت اليهِ الامة من البسطة في العلم والصناعة والتجارة وغيرها مما يمثلها في مجموعها وهو ما لا يخلو عنهُ تاريخ مملكةٍ من الممالك المتمدنة . وقد عني بسدّ هذه الثلمة حضرة رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغرّاء اخذاً عن متفرق الاسفار والتواريخ في العربيــة وغيرها واصدر الجزء الاول من كتابهِ وهو يتضمن ذكر نشأة الدولة الاسلامية ووصف احوال الخلافة والخلفاء وخطط الولايات والقضاء والجند الى ما يدخل تحت هذه المعاني مما لا يحاط بهِ الا بعد طول التنقيب والبحث ومطالعة الاسفار الكثيرة . فنثني على اجتهاد حضرة رصيفنا المشار اليهِ ونحث ارباب المطالعة على اقتناء هذا الاثر الجليل فانهُ من افضل ما تزان بهِ المكاتب

والجزء المذكور جيد الطبع والورق مزين بكثير من الرسوم وهو يقع فيما يزيد على مئتي صفحة وثمنهُ عشرة غروش مصرية

روايات مسامرات الشعب — هي روايات ادبيــة صغيرة يصدرها تباعاً حضرة الاديب خليل افندي صادق صاحب مكتبة ومطبعة الشعب وقد صدر منها الى الآن تسع روايات ما بين موضوعةٍ ومعربة وجميعها مما تحسن مطالعتهُ وهي تباع في المكتبة المشار اليها وثمن الرواية منها غرش واحد

رزآن علميان

نعت جرائد اوربا ومجلاتها العلمية المسيو فاي العالم الفلكي الشهير توفي في ٤ يوليو الفائت وهو في الثامنة والثمانين من العمر . وهو اكبر رجال الندوة

العلمية سناً وآخر من وُلد من علماء الهيئة لعهد المالكية وكان من العلماء العاملين في مرصد باريز وفيهِ اكتشف اكتشافاتهِ وأتمّ سائر الاعمال التي طارت بها شهرتهُ بين علماء الحاذقين

ومن مآثره المذكورة انهُ أتمّ طريقة صنع الآلات الفلكية واكتشف المذنَّب المعروف باسمهِ وهو اول من استخدم التصوير الشمسي في رصد الكواكب وما خلا رصودهُ وحساباته الفلكية اشتغل بمسئلة تكوُّن الاجرام السماوية وهو صاحب المذهب المشهور الذي عارض به مذهب لاپلاس وقد شرحنا ملخص المذهبين في بعض اجزاء السنة الماضية تحت عنوان تكوُّن العالم الشمسي

وعلى الجملة فقد كانت حياتهُ ذات عملٍ متصل ومنافع جليلة فلا جرم ان فقدهُ كان رزءًا كبيراً على العلم والعلماء ولذلك كان لمنعاهُ وقع اسفٍ شديد في جميع الاندية العلمية في اوربا واميركا

وجاء في الانباء البرقية الاخيرة نعي الكاتب الروائيّ المشهور المسيو اميل زُولا توفي في ٢٨ ستمبر ولهُ من العمر اثنتان وستون سنة لم يقف فيها قلمهُ ولم يجفّ قرطاسهُ وهو آخر مشاهير كتاب فرنسا من اهل القرن الماضي. وقد كان نسيج وحده في قوة العارضة وطلاوة الانشاء وتآليفهُ اشهر من ان تُذكَر وقد ترك بها لنفسهِ صدًى لا ينقطع وذكراً لا يُمحى

فكاهات

نميمة الهواء (١)

في اليوم الاول من يوليو سنة ١٧٩٨ نزل الامبراطور العظيم نابوليون بونابرت بستة وثلاثين الف مقاتل بالقرب من الاسكندرية كما هو معلوم من تاريخه وقد قصد الاستيلاء على هذا القطر وجعله محطة بين مملكته والهند التي كان في نيته افتتاحها . وبعد وصوله باربعة ايام دخل الاسكندرية ثم زحف قاصدًا القاهرة وكان المتسلط على القاهرة اذ ذاك واحدًا من امرآء المماليك يقال لهُ مراد بك وكان قد نادى باستقلاله فأرسلت الدولة العثمانية جيشًا استخلص القاهرة من يده سنة ١٧٩٠ وسعت الدولة في التمآء القبض على مراد المذكور فهرب برجاله الى صعيد مصر . ولما جآء نابوليون تقيهُ مراد بك بالقرب من امبابة بستين الفًا من اتباعهِ وحدثت بينهما معركة هائلة تعرف باسم موقعة الاهرام انجلت عن فوز الجيش الفرنسوي وهزيمة مراد وقتل نحو خمسة عشر الفًا من رجالهِ

وكانت الدولة الانكليزية لا تغفل طرفة عين عن حركات ذلك الامبراطور العظيم فلما تحققت غايتهُ من مجيئهِ الى مصر ارسلت في اثرهِ امير البحر الشهير نلسون وفوضت اليهِ الرأي في احباط مسعى نابوليون فجآء الاسكندرية ورأى المراكب الفرنسوية فيها فاصلاها نارًا حامية وتركها اخشابًا تحترق على وجه المياه في ابوقير وكان ذلك بعد فوز نابوليون على مراد المذكور ببضعة ايام

وما بلغ نابوليون قمة الهرم الاعلى من اهرام الجيزة حتى بلغهُ خبر اضمحلال اسطولهِ البحري فأوفد عساكرهُ الى ابوقير فلم تجد فيهِ سوى جيش من العساكر العثمانية فقاتلتهُ وبددت شملهُ وكان ذلك سنة ١٧٩٩

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

واستدعت الاحوال رجوع نابوليون الى فرنسا لتدبير شؤون داخليتهِ فعاد اليها تاركاً في مصر الجنرال كليبر بجيشٍ كافٍ وتواصٍ شديدة لاكمال ما شرع فيهِ نابوليون . فسار كليبر والجيوش الانكليزية في اثره تساعد الاتراك على مقاومتهِ حتى سدت في وجههِ جميع الطرق وانضعفت قوتهُ ورأى ان لا فائدة ترجى من بقآئهِ في القطر فخاطب السير سدني سميث قائد الجيوش الانكليزية ان يسمح لهُ بالخروج مع عسكرهِ والعودة الى فرنسا فوعدهُ بذلك ولكنهُ لم يلبث ان غيّر وعدهُ وطلب تسليم كليبر وجنودهِ بمنزلة اسرى حرب . فلم يطق الدم الفرنسوي هذا التلوّن والاستخفاف فزحف كليبر الى المطرية سنة ١٨٠٠ وفيها اذ ذاك من الجنود العثمانية سبعون الفاً وهم ستة اضعاف عدد عسكرهِ فجرت بينهُ وبينهم موقعةٌ هائلة كان النصر فيها لكليبر وقُتل من عساكر الاتراك خلقٌ لا يحصى . غير انهُ لم يتمتع كثيرًا بهذا الانتصار العظيم لانهُ قُتل بعد هذه الموقعة ببضعة اشهر وسلمت قيادة الجيوش الفرنسوية في مصر الى الجنرال مانو

ولم تكن تنتظر انكلترا مثل هذه المقاومة من فرنسا فصممت على كسر شوكتها بيدٍ قوية قبل استفحال الامر فارسلت السير رالف ابركرومبي بسبعة عشر الفاً فبلغ الاسكندرية سنة ١٨٠١ ومذ ذاك اخذ الظلّ الفرنسوي يتقلص شيئاً فشيئاً حتى اخلى القطر المصري بتمامهِ ولما امنت انكلترا عودتهُ سلمت مصر الى الاتراك سنة ١٨٠٣ . وما كادت الجيوش الانكليزية تبلغ بلادها حتى انقسمت الاتراك في مصر الى حزبين وهما الالبان والغزّ وكان الفوز للالبان وفي رأسهم محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية فانتخب حاكماً لمصر سنة ١٨٠٥

ولما رجع الجيش الفرنسوي من مصر تخلف عنهُ بعض المرضى واصحاب العاهات ممن لم يكن في الامكان نقلهم وكان بين هؤلاء ضابطٌ يدعى مارشال كان قد اصيب بجراحٍ كثيرة في معركة المطرية اقعدتهُ عن مرافقة الجيش بعد ذلك فانعم القائد عليهِ بمبلغ من المال اشترى بهِ منزلاً صغيرًا بالمطرية واقام بهِ يقضي بقية ايامهِ وكان بالقرب من منزلهِ شجرة قديمة تُعرف الى اليوم بشجرة العذرآء فتيمن

بمجاورتها . وحدث يوماً انهُ رأى عبدين يسيران الى جانبي دابةٍ وقد ركبت عليها سيدةٌ مقنَّعة حتى بلغت الحديقة فانزلها العبدان ولبثا ينتظرانها . اما الفتاة فسارت الى الشجرة المذكورة وجثت لديهـا حيناً وهي غارقةٌ في التضرع حتى اذا انتهت اخذت غصناً صغيراً من الشجرة فقبلتهُ ثم وضعتهُ في صدرها وهمت بالرجوع . فاستغرب مارشال الامر وتوجه لمقابلة الفتاة فحيَّاها فردت تحيتهُ باللغة الفرنسوية فابتهج لما رآها تتكلم بلسانهِ فقالت لا تعجب من مخاطبتي لك بهذهِ اللغة فاني فرنسوية الاصل ولكني ألبس هذا الزيّ اتباعاً لعوائد البلاد . فطفح قلب مارشال سروراً واخذ يدها وجعل الاثنـان يتمشيان في الحديقة واطلعت الفتاة مارشال على تاريخ حياتها فعلم منهُ انها ابنة رجل فرنسوي جآء الى مصر بزوجتهِ وابنتهِ واسمها كلوتيلد قبل مجيء نابوليون باعوام وكانت اذ ذاك طفلةً وكان والدها يميل الى الزراعة فتزيّا بزي اهل البلاد واقام يبتاع الاطيان ويغرسها حتى جمع ثروةً صالحة ولكنهُ توفي منذ مدةٍ ولحقت بهِ زوجتهُ فتركا اموالهما لابنتهما كلوتيلد . ثم ان كلوتيلد وجدت في بقآئها في مصر لذةً وهي لا تعلم شيئاً عن وطنها الا ما سمعتهُ من والديها ورأت نفسها في سعة من العيش فاقامت في القاهرة وكانت كل مدة تزور شجرة العذرآء في المطرية فتتلو تحت اغصانها صلواتٍ عن نفس والديها

وشعر مارشال وكلوتيلد بمـا يشعر بهِ كل غريب اذا رأى احد ابنآء وطنهِ في بلادٍ بعيدة فبقيا يتحادثان ويتذاكران وافترقا اخيراً كانهما صنوان قد عاشا معاً وتواعدا ان يتزاورا ثم ما عتم مارشال ان اقترن بكلوتيلد وسلمت اليهِ اطيانها واموالها فعاشا سعيدين ورزقهما الله توأمين ذكراً وانثى سمياهما ادوار وأنجل . ولما كبرا عكفا على تعليمهما ما يعلمانهِ فاتقنا اللغة الفرنسوية واخذا عن امهما اللغة التركية التي كانت قد تعلمتها جيداً

وساعد الحظ مارشال فاستدعاهُ محمد علي باشا وفوَّض اليهِ قيادة فرقة من جنودهِ وطلب اليهِ ان يدرّبها في المثاقفات العسكرية ففعل ونال حظوةً في عيني الامير . اما ادوار وأنجل فكانا مثال المحبة والوداد وآية الجمال والكمال وكانا لا يفارق

احدهما الآخر في الدرس والتنزه واللعب والقيام والنوم وكان لوالدتهما كاوتيلد سلسلة من الذهب الخالص قد ورثتها عن والدتها ففصلتها قطعتين وضعت في عنق كلٍّ منهما قطعة وقد نقشت لكلٍّ اسمهُ وتاريخ ولادتهِ

ولما بلغ الولدان الثامنة من سنيهما ارسل مارشال ابنهُ ادوار الى فرنسا واوصى بهِ بعض معارفهِ القدماء وهو يودّ ان يقدمهُ الى المدرسة الحربية ليتلقى فيها العلوم العالية والافانين الحربية . فسافر ادوار مخلفًا لوالديهِ وشقيقتهِ الوحشة الشديدة وكان اشدهم وحشة شقيقتهُ فانها انقطعت عن التنزه والالعاب ولم تعد تفارق البيت الا نادرًا

وبعد سنتين من ذلك التاريخ اي في سنة ١٨٢١ نشبت الحرب بين الدولة العثمانية واليونان وطلبت الدولة نجدةً من محمد علي باشا فارسل لها ثمانية آلاف جندي وكان من جملة قوادهم مارشال . واول معركة خاض مارشال غبارها ابلى فيها البلاء الحسن ورفع شأن الجنود المصرية ولكنهُ ما خرج من المعمعة حتى اصابتهُ رصاصةٌ في صدرهِ فخرَّ قتيلاً . ولما بلغ الخبر محمد علي باشا اجتهد في اخفائهِ عن كاوتيلد ولكنها عرفتهُ اخيرًا فاعقبها الحزن مرضًا توفيت بهِ ولم يبقَ من تلك الاسرة في مصر سوى انجل وحدها وعمرها احدى عشرة سنة . فاضاف محمد علي باشا املاك اسرة مارشال الى دائرة احدى اميرات بلاطهِ واسمها زينب بشرط ان تتخذ أنجل ايضًا فتجعلها كابنتها او كشقيقتها . ثم طلب معرفة عنوان اخيها ادوار فلم يهتدِ اليهِ وحدث لهُ من المشاغل ما انساهُ الامر بعد حين

وكانت الاميرة زينب تقطن قصرًا على الضفة الشرقية من النيل جنوبي القاهرة . وكان القصر فخيم البناء تحيط بهِ حديقة واسعة الارجاء دائمة الخضرة والازهار ويحيط بالحديقة سورٌ عالٍ لا يُدخل منهُ الا من بابٍ واحد عظيم البناء وعلى جانبيهِ نقوشٌ تمثل البناء العربي القديم . وكانت الاميرة تركية الاصل وقد ورثت عن زوجها اموالاً طائلة واراضي فسيحة والقصر المذكور ففضلت الاقامة فيهِ أيمًا لانها رأت حياة الحرية المطلقة افضل من الاسر تحت نير الزواج . ولم تكن تحرم نفسها شيئًا من اسباب السرور والانبساط وكان لها قوارب بديعة الصنعة

تقف تحت قصرها فتنزل فيها في الليالي المقمرة وتمخر بها بين شواطئ النيل فتلذذ نفسها بمنظر مياههِ وغناء خادماتها وجواريها . ولما بلغتها ارادة محمد علي باشا ولم تكن تخالف لهُ امرًا استامت أنجل وأطيانها ونظرت الى الفتاة فالفتها كالخيزران قامةً وكالبدر طلعةً فأعجبتها جدًّا ثم كلمتها بالتركية فأجابتها هذه بعذوبة صوت كان لهُ في قلب الاميرة اشد تأثير فأحبت الفتاة حبًّا لا مزيد عليهِ وامرت ان لا تفارق شخصها البتة . ورأت ان اسمها الافرنجي لا يوافق دائرتها التركية فأبدلتهُ بنجلاء . وقضت نجلاء ايامها الاولى في قصر الاميرة محنية الرأس دامعة الطرف كاسفة البال لا تفارق صدرها الزفرات ولا عينها العبرات وهي تندب والديها الفقيدين واخاها الذي لم تعد تسمع عنهُ شيئًا . ولكنها ما عتمت ان اخذت في نسيان كل ذلك شيئًا فشيئًا وقد ألهاها عن احزانها ما رأتهُ في قصر الاميرة من اسباب الابهة واللهو والطرب وزاد على كل ذلك عطف الاميرة زينب عليها ومحبتها الشديدة لها . وكانت الاميرة لا تبخل عليها بأفخر الملبوس واثمن الحلى فأصبحت نجلاء من اجمل صور ذلك القصر

وكان للاميرة نسيب يقال لهُ الامير فائز رأى يومًا نجلاء فسحر بجمالها وكانت تنشد للاميرة بعض الالحان التركية فخلبت لبهُ وسلبت عقلهُ وهام بحبها ففقد صبرهُ . واطلع الاميرة زينب على سره فقالت لهُ اني لا الومك على حب مثل هذا الملَك ولكنني من الجهة الواحدة لا احب ان تتزوج واخسر مؤانستها ومن الجهة الثانية اراها لا تميل الى الزواج وقد اتفق لنا ان تكلمنا عنهُ مرةً فأظهرت نفورها التام من ذلك وهي تفضل مثلي حياة الحرية المطلقة . فقال الامير اما بُعدها عنكِ فأعدكِ انها ولو تزوجتني نبقى كلانا في دائرة قصركِ . واما عدم ميلها الى الاقتران فاذا سمحت لي برضاكِ اتعهد بتليين قلبها واستلام زمامها . فسمحت لهُ الاميرة وقالت لهُ دونك وما تريد غير اني اخطرك من الآن انني لا اسمح لنجلاء ان تقترن بك ما لم اتحقق انها اصبحت تهواك كما تهواها . فخرج الامير فائز مسرورًا وهو يعلل نفسهُ بالفوز معتمدًا على دهائهِ وجمالهِ وغناهُ ان لا يجد صعوبة في الاستيلاء على قلب نجلاء وايقاعها في محبتهِ . اما نجلاء فكانت لا تميل الا الى بنات جنسها غير ان احاديث الاميرة عن

فائز وتهالكه في سبيل مرضاتها جعلها تميل شيئاً الى محادثته والنظر اليه ولكنها لم يخطر لها قط ان يكون بعلاً لها يوماً ما وكانت ترتعد فرائصها اذا ذكر لها احدٌ امر الاقتران

ومضت سنوات عديدة على تلك الحالة وادركت نجلآء الحادية والعشرين من عمرها فاستوى قدّها وبرز نهداها واصبحت فتنةً للناظرين . وحدث في بعض الليالي الحارّة ان خرجت الاميرة كعادتها للتنزه فركبت ونجلآء قارباً كانت النوتية تجرهُ من قارب آخر فوق مياه النيل الهادئة والى جانبهما قاربٌ آخر يقلّ الجواري الحسان من خدم الاميرة وبينهنَّ العازفات والمغنيات فقضين ليلة من اجمل الليالي . ثم صرفت الاميرة جواريها ولبثت معْ نجلآء تمخران ذهاباً واياباً في النهر حتى قارب الليل ان ينتصف وكانتا قد صارتا بالقرب من شاطئ الجزيرة فاستوقف سمعهما صوتٌ شجيٌّ ينشد اغنيةً فرنسويةً شديدة التأثير وكان سكون الفضآء وهدوء الليل يعيران صوت المنشد عذوبةً ساحرة . فطلبت نجلآء من الاميرة ان يقف القارب وجلست مصغيةً الى تلك الكلمات الخارجة من كبدٍ حرَّى وكأنها سمعت في ذلك الانشاد شيئاً يذكرها ما مرَّ من حياتها في زمن حداثتها فلم تملك نفسها من البكآء

وكانت الاميرة ايضاً قد تأثرت من ذلك الصوت الحنون فلم تنتبه الى ما حل بنجلآء وبقيتا كذلك الى ان انقطع الانشاد وعادتا الى القصر . وما صدقت نجلآء ان صدر لها الامر بالانصراف الى غرفتها حتى ذهبت واطلقت لنفسها العنان فبكت بكآء مرًّا . ولما تيقنت ان اهل القصر قد ناموا قامت فخرجت الى الحديقة ونزلت السلم المؤدي الى النهر فايقظت نوتيًّا كانت تثق بامانته وقبل ان تبادئهُ بخطاب ناولتهُ قبضة من الدنانير ثم قالت لهُ اتحفظ السر يا سعيد قال لبيكِ يا مولاتي . قالت اذهب وابحث لي عن صاحب الصوت الذي سمعناهُ الليلة ودبر بحكمتك ان تمكنني من مقابلتهِ غداً هنا وفي مثل هذه الساعة . فقال سمعاً وطاعةً يا مولاتي فغداً ان شآء الله يكون هنا حسب مرامكِ . وكانت نجلآء ترتجف من البرد وهي خائفة ان يشعر احدٌ بوجودها تلك الساعة في ذلك الموضع فما صدقت ان سمعت وعد سعيد لها حتى عادت الى غرفتها ولم يزر الكرى جفنها طول تلك الليلة

ولم تصدق نجلآء ان مضى النهار واقبل الليل الثاني حتى خرجت في الميعاد وجآءت الى السلم المعهود فجلست وكانت الافكار تتقاذفها وهي تلوم نفسها لارسالها بطلب غريب عنها في مثل تلك الساعة من الليل وكانت كلما أنبت نفسها على هذا الصنيع تشعر في ضميرها بصوتٍ حيّ يهوّن عليها فعلها . وانها لكذلك اذا بقارب ينساب على المياه الصافية حتى بلغ السلم فنزل منهُ سعيد وتبعهُ فتًى في عنفوان الشباب في ثياب افرنجية وعلى رأسهِ طربوش وصعدا السلم فوجداها في انتظارهما فقال سعيد لنجلآء ها هو يا مولاتي الفتى الذي امرتني باحضارهِ وسأذهب الى وسط الحديقة حتى اذا طرأ مفاجئ انبهكِ الامر . ولما خلت نجلآء بالفتى الغريب جعلا ينظران بعضهما الى بعض وهي لا تدري كيف تبدأ بالحديث ورأت على وجه الفتى دلائل الامانة والرجولية والعفاف وفيهِ شيء من الحزن فقالت بالفرنساوية عفوًا ايها الغريب اذ دعوتك في مثل هذا الوقت والى مثل هذا المقام ولكنني في بيت تعسر عليّ فيهِ مقابلتك على غير هذه الصورة . وقد سمعتك بالامس تتغنى بلحن هاج احزاني وعلمت انك ولا بدّ قادمٌ من فرنسا فاحببت ان اقابلك فاسألك عن وطن آبآئي وعن عزيزٍ لي هناك ربما تعرف عنهُ شيئًا . وكان الفتى يعجب من لهجة نجلآء ولغتها الفرنسوية الصحيحة وشعر بانقباضٍ في صدرهِ ورأتهُ نجلآء قد رفع منديلهُ الى عينيهِ فمسح منهما دمعتين محرقتين . ثم قال لها عجبًا ايها السيدة فزيكِ تركي وانتِ في بيت اتراكٍ وتقولين ان فرنسا وطن آبآئكِ . فتنهدت نجلآء وقالت نعم انني من والدين فرنسويين ولكن حكمت الاقدار ان اغير محل اقامتي وزيي واسمي فبعد ان كنت في حضن والدتي اصبحت في منزل اميرة تركية وبعد ان كنت بلباس ابنآء وطني صرت في هذه الملابس الشرقية وبعد ان كان اسمي انجل تغير الى نجلآء . وكانها رأت امام عينيها صورة ماضيها فاطرقت الى الارض وهي تئن بتوجع . اما الفتى فما سمع كلامها حتى شعر كأنْ سهمًا قد اخترق فؤادهُ فرفع يدهُ الى عنقهِ واخرج من تحت ثوبهِ سلسلةً ذهبية فقدمها الى نجلآء وقال لها هل رأيتِ في زمانك شيئًا يشبه هذه . . . ولم تدعهُ يتمم حديثهُ فوثبت كاللبوءة الفاقدة

اشبالها ثم اخذت السلسلة وقرأت عليها اسم ادوار والتاريخ فرفعت باليد الواحدة سلسلتها ايضاً من عنقها ورمت باليد الثانية على عنق اخيها واغمي عليها . . . .

ولما اخذ الضعف البشري حدَّهُ من الاخوين اخذا يتحادثان فقصت عليهِ نجلآء جميع ما مرّ عليها وما تذكرهُ ولما انتهت اخذ ادوار في حديثهِ فقال . اما انا فلما ارسلني والدي الى فرنسا أُدخلت المدرسة الحربية فبقيت فيها عشر سنوات اتقنت فيها جميع علومي ونلت من فضلهِ تعالى ودعآء والديّ قصب السبق على اقراني ثم أُخرجت من المدرسة لاقضي ثلاث سنوات في الخدمة كما تقتضيهِ اوامر الحكومة وقد كتبت في هذه المدة مرارًا الى والدي فلم احصل على جواب . ولما اصبحت حرًّا خيرتني الحكومة في البقآء او السفر ففضلت المجيء الى هنا لاراكم وزوَّدني بعض كبار رجال الحكومة تواصي الى حاكم القطر محمد علي باشا فجئت والشوق يعيرني اجنحة حتى بلغت مصر اول امس فرأيتها قد تغيرت كثيرًا عما كانت عليهِ حين فارقتها . ولما لم اهتدِ الى مقرّ والديّ قصدت محمد علي باشا فرفعت اليهِ كتبَ التوصية التي معي ولما عرف اسمي وغايتي اظهر لي كثيرًا من الانعطاف والحنوّ وقال لي ان والديك في النعيم وشقيقتك في حال تسرّك . ولكن قبل ان اجمعك بهم لا بد من ارسالك في مهمةٍ اؤمل لك منها خيرًا عظيماً وعودًا سليماً فاعطي صدرك هذا باوسمة الفخر واجمعك اذ ذاك بمن تحب . ثم اخبرني ان نجلهُ ابرهيم باشا قد سافر لمحاربة الديار السورية وانهُ يود ان يرسلني اليهِ لاساعدهُ في قيادة العساكر والحرب فلم تسعني مخالفتهُ وقد امرني ان استعد للسفر وسيجهز لي الكتابات اللازمة لابنهِ وميعاد سفري غدًا

وكانت أنجل تصغي اليهِ بكل حواسها وهي لا ترفع نظرها منهُ فقالت لهُ لا بد من تقديمك الى الاميرة زينب في هذه الليلة وان تقضي الساعات الباقية لك في مصر معاً . فقال لا فاني لا بد ان استعد للسفر وقد كفاني الآن اني رأيتكِ وعلمت مقركِ فاذا عدت سالماً من سوريا كما ارجو باذن الله فحينئذٍ نجتمع اجتماعاً لا فراق بعدهُ . ثم اخذ الاثنان في حديثٍ طويل وكان ادوار يراجع كلمات محمد علي باشا

اذ قال لهُ ان والديك في النعيم وكيف لم يفطن اذ ذاك لمعناها فكانا يندبان فقدهما ويعزيان بعضهما بعضاً . وبينا هما غارقان في الحديث لم يشعرا الا وقد اخذت ظلمة الليل في الاضمحلال فلم يريا بدًّا من التفرُّق فودعا بعضهما بعضاً وسارت نجلاء بأخيها على ضفة النهر الى ما ورآء سور الحديقة فاستأنفا الوداع ورجعت هي الى غرفتها وسار هو في طريقهِ في تلك البساتين

وما سار ادوار كثيرًا وهو غائص في تأملاتهِ حتى شعر بوطء اقدام تسير ورآءهُ فوقف ونادى بالتركية من القادم . فأجابهُ صوت أجش قف مكانك يا هذا ولا تبدِ حراكاً . ثم اقترب الشبح من ادوار فاذا هو رجل ملتفٌ بعباءَةٍ ولكنهُ لم يتبين هيئتهُ فقال لهُ ماذا تريد مني ايها الرجل . قال اريد قتلك واخفآء خبرك . فقال ادوار ولمَ ذلك . قال لانني رأيتك خارجاً من حديقة هذا القصر وقد اقسمت انهُ لا يدخلهُ غريب ويخرج منهُ حيًّا فاستعدّ للموت . فقال ادوار اعلم يا هذا انني من اخصآء محمد علي باشا فاذا بلغهُ الامر لا تأمن على حياتك . فقال ومن اين لمحمد علي ان يعرف بذلك فسأقتلك واخفيك تحت التراب فيعجز الثقلان عن معرفة قاتلك أو محل وجودك . فقال اداور خف غضب الله يا هذا واعلم انهُ ولو لم يشاهد اثمك احد فان الهوآء الذي تتنشقهُ الآن ينمّ عليك يوماً ما فتنال جزاءَك . فقهقه الشبح ضاحكاً وقال اذا نمَّ عليَّ الهوآء يوماً فسأجد ما اكذب بهِ شهادتهُ . ثم رفع من تحت قبآئهِ خنجرًا واغمدهُ ثلاثاً بسرعة البرق في صدر ادوار فسقط الى الارض ميتاً والدم يتدفق من جراحهِ . واسرع القاتل فحفر حفرةً القى فيها جثة ادوار وغطاها بالتراب واخفى اثر الدم وسار الى بيتهِ

اما نجلاء فكان سرورها بلقيا اخيها قد انساها جميع همومها فكانت دائمة السرور والابتهاج ولما طالت المدة ولم تسمع عنهُ شيئاً اضطرب فكرها ولم يكن يسليها الا اكرام الاميرة لها ومغازلة فائز وقد همت بأن تميل اليهِ . ومضت عليها ثلاث سنوات لم تسمع فيها شيئاً عن ادوار وكانت تعلل النفس بالاجتماع بهِ يوماً وتسرّ لما تسمعهُ من اخبار فتوح ابرهيم باشا وانتصاراتهِ وهي تعتقد ان اخاها في صحبة ذلك البطل .

وتغلب الامير فائز عليها اخيرًا فوعدتهُ بالاقتران بهِ وما صدق ان اخذ وعدها حتى اعلم الاميرة زينب فجعلا يستعدان للقيام بأفراح العرس . ولما كانت الليلة المعينة عُقد لفائز على نجلاء في حفلةٍ باهرة جمعت كبار الامرآء والنبلاء والحّ اصحاب فائز على اطالة ليلة السرور فانصرفت نجلاء الى غرفتها وبقي فائز مع اصحابهِ الى بزوغ الفجر . فلما خرجوا ذهب الى غرفة حبيبتهِ فوجدها قد استيقظت من نومها وهي تشكو من الحرّ فعمد الى نافذة ففتحها فهبّ منها نسيمٌ لطيف في وجه فائز فتبسم . ورأت نجلاء تبسمهُ فسألتهُ عن السبب فقال لها قد ذكرني الهوآء امرًا . قالت وما هو . قال حادثة حصلت منذ ثلاث سنوات . ولما ألحت عليهِ ان يخبرها ولم يكن يودّ ان يعصي لها امرًا قال لها انني منذ كلفت بكِ كنت اسهر عليكِ ليلاً ونهارًا وحدث منذ ثلاث سنوات انني رأيت عند انبلاج الفجر فتى خارجًا من حديقة القصر فسوّلت لي غيرتي ان اقتلهُ وقبل ان افعل تهددني بالعقاب ولم يكن بالقرب منا احد يمكن ان يعرف ذلك فقال ان الهوآء الذي اتنشقهُ يشكوني يومًا ما . فلما فتحت النافذة الآن وهب الهوآء في وجهي ذكرني تلك الحادثة فتبسمت ضاحكاً من فأل ذلك المسكين

فلما سمعت نجلاء هذه الكلمات وثبت كفاقدة العقل فأمسكت بعنق فائز وصاحت آه يا قاتل اخي ولم تتركهُ حتى جاءَت الخدم فأمرتهم بايثاقهِ . ثم ارتدت ثيابها وتوجهت للحال الى دار محمد علي باشا فطلبت المثول بين يديهِ وأخبرتهُ بما كان فشقّ عليهِ الامر جدًّا وامر فاستُحضر فائز وقُرّر فأقرّ وبُحث عن الجثة فوجدت رمةً والسلسلة الذهبية لا تزال معلقة في العنق فأخذتها نجلاء وهي الاثر الوحيد الباقي لها من آلها وحكم على فائز بالشنق . ولما ايقنت نجلاء بنفاذ القضاء فيهِ طلبت الى محمد علي باشا فأرجع لها من المال ما يؤازي تركة والديها وسافرت الى فرنسا بعد ان كرهت الاقامة في ارضٍ لم تلقَ فيها منذ ولادتها سوى الشقاء والحزن وفقد الاهل والسعادة

رأي جديد في المرّيخ

ما زال علمآء الهيئة يبحثون في تحقيق ما يُرى على سطح المرّيخ من المناظر الغريبة ولا سيما امر هذه الخطوط او الجداول المتقاطعة التي تظهر على عامّة وجههِ مما لا يكون الا صنع خليقةٍ عاقلة ومما يفوق قدرة كل خليقةٍ بشرية . وقد وقفنا على رأيٍ جديد في تعليل هذه المرئيات للمسيو أُذويج كانّ احد مشاهير علمآء الالمان فاحببنا تلخيصهُ لغرابتهِ ونحن لا نقطع بشيءٍ من صحّتهِ او عدمها وان كان الكثير منهُ غير بعيدٍ عن مظنة الاحتمال

وقد بنى رأيهُ هذا على افتراض ان المرّيخ احدث عهداً من الارض وان سطحهُ بجملتهِ مغمورٌ بالمآء . قال فالاقليم في هذا السيار اقليمٌ بحريّ وجوّهُ ليس بالشديد البرد في الشتآء ولا الشديد الحرّ في الصيف كما ان جهاتهِ الاستوآئية ليست بذاتٍ حرٍّ لافح وجهاتهِ القطبية ليست كذلك ذات بردٍ قارس ولذلك فان الثلج الذي يتراكم عند قطبيهِ زمن الشتآء يذوب بجملتهِ في فصل الصيف . اما جوّهُ فمن المحتمل ان يكون مؤلفاً من مثل عناصر جوّ الارض ممزوجةً على النسبة نفسها الا انهُ ارقّ منهُ فهو يشبه جوّ الجبال العالية عندنا وبخار المآء فيهِ اكثر . ولما كان الهوآء هناك بهذه الخفة كان ولا بد كهوآء جبالنا قليل الامتصاص لاشعة الشمس فيترتب على ذلك ان سطح السيار يصل اليهِ من الحرارة اكثر مما يقدَّر بالقياس الى بعدهِ عن الشمس

ثم انهُ لشدّة وقع اشعة الشمس على السيار يمتنع نشوء غيوم نهاراً

ولكن في مدة الليل يبرد الجوّ فيتألف هناك ضباب وسحاب تظهر اطرافهُ مُطِلّةً من حيال كُمّة السيار اي الخط الفاصل بين النهار والليل منهُ وهي التي يتوهمها الراصد من هنا رؤوس جبال وهذا السحاب يمطر على السيار مطراً غزيراً يتحول في جهة القطب الشتويّ ثلجاً

ولما لم يكن شيءٌ من البرّ بارزاً على وجه السيار وبالتالي لم يكن ما يوجب تغير الحرارة الوضعية فجوّ السيّار يلبث ساكناً ولا يحدث ثمّ شيءٌ من الزوابع بل الريح هناك غير معروفة ولذلك يكون البحر ابداً ساكناً وينشأ على وجههِ ضربٌ من الطُحلُب (وهو طحلبٌ ذو خلايا مفردة هلامية البناء) ينتشر حتى يغطي وجههُ بجملتهِ فيظهرلون هذا الطحلب من الارض احمر ضارباً الى الصفرة وهو ما نتوهمهُ من هنا برّاً

ثم ان الحرارة المتوزعة على النواحي المختلفة من سطح السيار تتعدّل ولا بدّ بما يحدث هناك من المجاري البحرية واذ ليس لهذه المجاري ما يعترض في سبيلها ويحرفها عن اتجاهها لا تزال سائرةً في طريقٍ مستقيم فتزيل ما على وجه الماء من الطحالب التي تكون على خطّ مرورها فيظهر مكانها كانهُ جدولٌ مستقيم ممتدٌّ على وجه السيّار . ثم ان هذه المجاري متى بلغت آخر شوطها تنتشر وتستعرض فيحدث هناك حركةٌ في الماء تبدّد ما على وجههِ من النبات ومثل ذلك يحدثُ عند اول انطلاقها قبل ان تستدقّ فيُرَى هناك في الحالين ما يشبه منظر البحار وربما تجمعت في وسط هذه الحركة طحالب لا تخترقها الحركة المذكورة فتشبه الجُزُر وحيثما تقاطع مجريان ينشأ في موضع تقاطعهما حركة ينفرج بها الطحلب على شكلٍ مستدير

فيُرَى هناك ما يشبه البُحَيرة

اما ازدواج الجداول فانهُ عند ذوبان الثلوج في النواحي القطبية تنشأ بجانب تلك المجاري مجارٍ أُخر تزيل الطحالب من امامها فتظهر تلك الجداول مزدوجةً وما يُرَى بين كل جدولين من الخطوط الصافية اللون انما هو الطحالب الباقية بين المجريين . ومثل ذلك يقال في ازدواج البحار والبحيرات

ولما كانت الحوادث الجوية تتجدَّد سنةً بعد سنة بتجدد اسبابها لزم عن ذلك ان الجداول نفسها تعود كل سنةٍ الى مواضعها التي كانت فيها من قبل . الا ان هناك تغيرات في الاقليم الواحد بين سنة وسنة على حدّ ما يحدث في الارض وربما توالت على ذلك عدةٌ من السنين فتنحرف المجاري البحرية عن اتجاهها وقد لا تظهر البتة وتظهر مجارٍ غيرها وهذا هو السبب في تبدُّل اتجاه الجداول الذي طالما كان لغزاً لا يفسَّر

والحاصل ان جميع التشكلات التي تُرَى على وجه هذا السيّار مما حيَّر علمآء الرصد ولم يهتدوا الى معرفة عللهِ انما هي صادرةٌ عن هذا النبات بحيث انهُ تارةً ينكشف برمتهِ فيُرَى المآء قاتم اللون وما حولهُ من النبات محمرًّا الى الصفرة فيُتوهم أن هناك بحراً وبرًّا وتارةً لا ينكشف فيُتوهم ان البحر قد تحوَّل الى برّ وتارةً تتفرق اجزآؤهُ وتبقى طافيةً على وجه المآء فيُرَى ان لون الموضع قد تغيَّر الى غير ذلك من المناظر التي تعود بجملتها الى مثل ما ذُكر

تلك هي الحال التي عليها المرّيخ اليوم وهي اشبه بحال الارض حين كانت في العصر الفحميّ بحيث ان الراصد لهُ بالمرقب يشاهد منظر الارض بشكلها الذي كانت عليهِ منذ آلافٍ من السنين كما ان طبقات العصر

الفحميّ في الارض تمثل لنا من احوال المريخ ما لعلّ اكمل الآلات في المستقبل لا تقوى على كشفهِ . فلنا من ذلك ان المريخ وإن لم يكن فيهِ برٌّ ظاهر فقد لا يخلو من جزائر متفرقة او مجتمعة كما لم تخلُ الارض من مثل ذلك في عصرها المذكور . غير ان تلك الجزائر لصغرها بالقياس الى حجم السيار او لالتباسها بما يحيط بها من الطحالب لا تميز لنا لكن يمكن ان يُستَدلّ على بعضها بظهور نقطٍ من سطح السيار يتأخر ذوبان الثلج فيها او يظهر فيها قبل ظهورهِ في غيرها وربما رُؤي شيءٌ من تلك النقط في النواحي الاستوآئية مما يدلّ على وجود قمم جبالٍ عالية . وقد يُستَدلّ عليها من اتجاه بعض الجداول حيث لا تطّرد على استقامة خطها ولكن تدور منحنيةً مما يشير الى وجود عائقٍ اعترض مجراها فدارت من حولهِ

هذا جُلّ ما جآء في كلام هذا العالم وهنا اطال في بيان العصر الفحميّ في الارض اي العصر الذي تكوّن فيهِ الفحم المعدنيّ ووصف ما كانت عليهِ حالة الارض اذ ذاك ثم ما تلا ذلك من ظهور العضويات الحيوانية الى غير ذلك مما لا يتسع هذا المقام لنقلهِ ومما لعلهُ يفضي الى ملل المطالع . ولا يُنكَر ان بعض ما جآء في هذا الفصل لا يسلم من الاعتراض ولا سيما ما ذهب اليهِ في مسئلة ازدواج الجداول والبحار ولكن يمكن ان يتركب من هذا المذهب ومن سائر المذاهب التي سبقتهُ ما يكون ادنى الى الحقيقة او ما يكون اقرب موافقةً للمعقول واشدَّ انطباقاً على الاصول العلمية الى ان ينجلي الامر مؤيداً بالدليل الحسّي مما تتكفل بهِ العصور الآتية والله اعلم

ترويض السباع

المراد بالسباع كل ما يفترس من الحيوان كالاسد والذئب والنمر وغيرها واحدها سبُع وزان رَجُل . ولا يخفى ان رياضة هذه الحيوانات من اصعب الامور معالجةً واشدّها خطراً بحيث انهُ ان غفل الرائض عن نفسهِ طرفة عين لم يأمن ان يكون فيها هلاكهُ

وقد وصفت احدى المجلات الانكليزية الاطوار التي يتنقل فيها احد السباع الى ان يبلغ الطَور الذي ينقاد فيهِ لارادة الانسان قالت وهذا النوع من التأديب هو بلا ريب من اشقّ الامور على التلميذ وعلى المؤدّب ولا بدّ للمؤدّب في معاناتهِ من صبرٍ طويل وهو اول ما ينبغي ان يوطّن نفسهُ عليهِ ثم لا بد لهُ مع ذلك من دُربةٍ وحذق وخفةٍ طبيعية وشجاعةٍ متناهية

ومما اتفق عليهِ الرُوّاض ان رياضة السبْع المولود في البرّ اسهل واقرب منالاً من رياضة المولود في اسر الانسان وذلك ان الحيوان البرّي يؤتى بهِ من الصحارى والغابات فلا يصل الى مكان الرياضة الا بعد سفرٍ طويل يقضي في اثنآئهِ عنآءً شديداً بدوار البحر وقلة الغذآء ومقاساة السجن الشاقّ مع ما ينالهُ من الدهش بنقلهِ عن حاله التي ألفها في البرّ الى مثل هذه الحال من الأسر والضيق فيخرج من البحر ضعيفاً كمِداً منكسراً . ثم انهُ لا يمضي عليهِ بعد ذلك الا ساعاتٌ قلائل حتى يرى نفسهُ في داخل قفصٍ فسيح ينتعش فيهِ بعد ذلك الكرب ويستريح من عنآئهِ ويجد امامهُ غذآءً شهيًّا فيحدث عندهُ من تلقآء طبعهِ ميلٌ الى الانسان لانهُ يرى نفسهُ قد

انتقل عنده الى هذه الحال الطبية ولذلك يكون متأهباً لقبول الرياضة من غير مقاومة . وبخلافهِ المولود في الأسر فانهُ لاعتيادهِ من اول وجوده قرب الانسان ومخالطتهُ لا يخافهُ ولا يشعر بحاجتهِ الى احسانه ومع احتماله وجود الرائض في داخل قفصهِ فانهُ عند اول مرة يضايقهُ او يهمّ بمعاقبتهِ على امرٍ من الامور يثب الى عنقهِ ولذلك تكون رياضتهُ شاقةً وقلما تأتي بثمرةٍ ترضي

اما طريقة ترويض الحيوانات فمن الصعب ان يُرسَم لها قانونٌ مطَّرد لان من استطاع رياضة اسدٍ او نمرٍ مثلاً قد لا يستطيع رياضة اسدٍ او نمرٍ آخر وذلك ان ما اشتهر في طبائع هذه الحيوانات من ان الاسد مثلاً شرس وان النمر غدَّار لا يجوز تعميمهُ في جميع النوع ولكن لكل فردٍ شيئاً في طبعهِ يمتاز بهِ عن سائر افراد نوعهِ فينبغي ان يُعامَل بحسب ما هو عليهِ مما يتوصل الرائض الى معرفتهِ بالتجربة . على انهُ من المحقق ان اناث هذه الحيوانات اسهل رياضةً من ذكورها واقلّ خطراً

وليقف المطالع على نموذج من نوع هذه الرياضة نذكر كيفية ترويض اسدٍ في عمر سنتين بعد أن جيء به من نواحي افريقيا واحتمل مشقات السفر الى انكلترا

فانهُ بعد ان يستقرّ في قفصهِ يختلف اليهِ الرائض بطعامهِ فيصير من مألوفهِ انه متى رأى الانسان يدنو منهُ اتخذ ذلك دليلاً على حضور الطعام فيستأنس بقدوم الرائض عليهِ . ومتى حضر اليهِ بطعامهِ يكلمهُ من وراء القفص بنغمةٍ لطيفة لان اول شيء يعرفهُ الاسد من الرائض صوتهُ ولذلك ترى رُوّاض الاسود يتكلمون كلما دنوا منها . وبعد أن يأتي اليهِ قطعة اللحم

التي يجيئهُ بها يدور مرتين او ثلاثاً حول القفص ليبقى الاسد مستأنساً اليهِ ثم ينصرف . وفي الغد يعود اليهِ فيفعل مثل ذلك وكذا في اليوم الثالث حتى يعلم ان الاسد قد عرف صوتهُ وعلامتهُ انهُ عند ما يسمع كلامهُ يأخذ في الخرخرة (وهي صوتٌ يشبه صوت الهرّة في نعاسها) فيستدلّ بذلك على ارتياحهِ ويعلم انهُ قد خطا اول خطوةٍ في استمالة الاسد الى مودّتهِ وهي السرّ كلهُ في رياضة الحيوان . فاذا رأى الرائض ذلك اغتنم تلك النهزة فمدّ اليهِ هراوة مكنسة من بين قضبان القفص وهي اول مرةٍ يرى فيها الاسد مثل ذلك فينكفئ الى خلفهِ مغضباً ثم يجذب تلك الهراوة بين براثنهِ فلا يمانعهُ الرائض وبعد ان تصير بين يديهِ يأخذ في تقليبها وهو يزمجر ثم يحطمها بين اسنانهِ الهائلة حتى تسقط فتاتاً . ولا يكاد يعود الى سكينتهِ حتى تظهر لهُ هراوةٌ اخرى فيفعل بها كالاولى ثم تتبعها الثالثة ولا تزال تظهر لهُ هراوةٌ بعد اخرى حتى يكلّ من معالجة الهراوى وينظر الى الهراوة الاخيرة غير مبالٍ . واذ ذاك يمدّ الرائض تلك الهراوة من بين قضبان القفص ويمسّ بها ظهر الاسد ثم يمرّها عليهِ امراراً لطيفاً فيرتاح الاسد الى هذه الحركة ويزول تنكرهُ شيئاً فشيئاً الى ان يستسلم لرائضهِ وهو يخرخر علامةً على الارتياح

وبعد ان يتكرر عليهِ ذلك مراراً حتى يألف الهراوة يزول شيءٌ كثير من استيحاشهِ وتلين شراستهُ فيجيئهُ صباح يوم ويفتح باب القفص ويدخل عليهِ وهو يحمل كرسياً عريضاً فيجلس عليهِ فاذا رأى الاسد هذا المنظر وهي اول مرةٍ يرى فيها الكرسيّ في قفصهِ يتباعد الى اطراف القفص

ويزمجر فيلبث الرائض جالساً على كرسيهِ بسكينةٍ وفي يدهِ جريدةٌ يقرأها وهو يراقب الاسد من طَرْفٍ خفيّ ويبقى على ذلك مدة ساعةٍ او ساعتين وبعد ذلك يقوم فيأخذ الكرسيّ ويخرج ويلبث الاسد وحدهُ وهو يتفكر فيما مرّ به "

فاذا كان اليوم الثاني عاد الرجل والكرسيّ فيدنو الاسد منهُ وهو متحرز واذ ذاك يمدّ الرجل اليهِ العصا فيتنكر ويتراجع مسافةً الى الوراء



ثم يتجمع وقد اخذ منهُ الحنق ويندفع على الرجل بوثبةٍ هائلة وقد فغر فاهُ وفي تلك الساعة يرى الرائض من منظر الاسد ما يدلهُ على ما في نفسهِ وهو الوقت الذي تجب فيهِ الشجاعة ودقة العمل وحياتهُ تكون متوقفةً على خفتهِ . فقبل ان يصل اليه الاسد ينهض من مكانه ويأخذ الكرسي بين يديهِ فيجعلهُ بين الاسد وبينهُ فاذا رأى الاسد قوائم الكرسيّ الاربع في

وجهه يرتدُّ فشلاً ويهوي بصدوه الى الارض وهو يزأر ثم يتناول الكرسيّ بانيابهِ ويقضمهُ حنقاً وتشفياً وفي تلك الحال يمدّ اليهِ العصا من وراء الكرسيّ ويضربهُ على خطمهِ ضربةً عنيفة فيزداد غضباً وهياجاً ويثب مرةً اخرى فيعيد الضربة على خطمهِ وفي آخر الامر يبلغ منهُ الكلال فيدع الكرسي ويعود الى زاويتهِ وقد ذلّ واستكان وفي تلك الساعة يخرج الرائض من القفص ولكن يترك الكرسي

وبعد انصرافهِ يعود الاسد الى هياجهِ فيثب في طول القفص وعرضهِ وهو يزأر زئيراً منكراً ثم يعود الى الكرسيّ فيصيّرهُ حطاماً وتكون عاقبة ذلك كلهِ انهُ يوقن من نفسهِ بالعجز ويطمئنّ الى الاستسلام . وفي اليوم الثاني يعود اليهِ الرجل ومعهُ الهراوة وكرسيٌ آخر فيلبث عند دخولهِ ساكناً ويقف بعيداً عنهُ وقد ظهرت عليهِ هيئة الانكسار فيأخذ الرائض كرسيَّهُ ويدنيهِ منهُ شيئاً فشيئاً الى ان يصير موقفهُ بحيث تنالهُ يدهُ فيمدّ اليهِ العصا ويمرّها على ظهرهِ فيأنس الاسد بهذه الحركة ويخرخر ارتياحاً واذ ذاك يمدّ يدهُ مكان العصا ويمرّ اصابعهُ على ظهر الاسد وهي الخطوة الثانية في تألُّفهِ واجتلاب مودّتهِ وبعد ذلك يمعن الرجل في التقرب منهُ فيفرك ظهرهُ بيدهِ ويربّتهُ على كتفيهِ (التربيت ضرب اليد على الكتف قليلاً قليلاً واصلهُ في الصبيّ اذا اريد تنويمهُ) فلا يمرّ خمسة عشر يوماً حتى يتمكن الأُنس بين الرجل والاسد

الا ان هذا الانس لا يزال عرضةً للانتقاض فان الاسد مهما كان مبالَغاً في رياضتهِ لا يزال فيهِ شيءٌ من الوحشية التي فُطر عليها فربما تنبهت

فيهِ تلك الوحشية على حين غِرّة فان لم تكن سبباً في هلاك رائضهِ فلا اقلّ من ان يكون منها تحت خطرٍ مستمرّ . انتهى

قِيَم الرجال

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل جرجس افندي همّام

هي القِيَم بها تعتزّ النفوس وتتفاضل الاقدار وهي الاحساب المؤثلة تحوك للمرء مطارف حسن الثناء مطرزةً بخالص الاعتبار والكرامات الادبية يصونها ذووها عن معرّة الامتهان ويتجافون بها عن مطارح الغضاضة والهوان

والقيمة في الاصل هي ثمن الشيء بالتقويم وانما سُمّي قيمةً لانهُ يقوم مقام الشيء . وهذا لا ينطبق على مرادنا اذ لا يصح على ظاهرهِ في الانسان الا في القبائل المنحطة ايام كانت النخاسة مباحةً لمن شاءها فتباع اشخاصها كما تباع البهائم والسلع . وانما نريد بالقيمة هنا ما يحسنهُ المرء من الاعمال التي تؤول الى مصلحة المجتمع الانساني وتحسين شؤونهِ الكمالية كما عرَّفها الشاعر بقولهِ

قيمة الانسان ما يحسنهُ اكثر الانسان منهُ ام أَقَلْ

وهي غير المرتبة كما لا يخفى فان المخلوقات المحسوسة على مراتب او طبقات والانسان اسماها مرتبةً لاختصاصهِ بهذه النفس الناطقة دونها . والناس ايضاً على مراتب متفاوتة يتفاضلون على نسبة منزلة هذه النفس العاقلة من سلَّم العلم والفضيلة . ولكل امةٍ منهم في المرتبة الواحدة قيمةٌ

تقدَّر بمبلغ ما تحسنهُ من الاعمال المذكورة . وكذلك الافرادُ في الامة الواحدة فان اهل كل مرتبة منهم يتفاضلون بحسب تلك الاعمال

والناس وان كانوا مشتركين في الاصول المقوّمة للنوع فلا تستوي مراتبهم في المدارك فهم يتفاضلون في قوة النطق والتمييز ويفترقون في الذكآء وقبول التهذيب ويسمو بعضهم على بعض في الفضائل ومحاسن الاخلاق فأدنى مراتب الانسان متصل باعلى انواع الحيوان كالهنود في العالم الجديد والزنوج ومن يجاورهم من الامم في اواسط افريقيا الذين لا يرتفعون عن طبقة القِرَدة الاّ قليلاً . وتتزايد في بعض الامم قوة التمييز والادراك حتى يبلغوا من لطافة الحس وصفآء الذهن مبلغاً يقرّبهم من طبقة الملائكة فيمعنون في طلب العلوم ويبحثون عن مكنونات اسرار الطبيعة ويغالبون قواها حتى يذللوها بقوة الاستنباط والابداع ويسوقوها بين ايديهم صاغرةً ويصنعوا بها عجائب باهرات قد يعدها الجاهل ضرباً من السحر. وهؤلآء هم الامم الحاضرة في اوربا ومن يتصل بهم من سكان مهاجرهم الذين ارتقوا بالسعي الصادق والاجتهاد المتواصل الى اسمى مراتب الانسان

ولا يخفى ان الانسان انما يقوم جوهرهُ بهذه النفس الناطقة وهي حالّة بالبدن فهو هيكلها المقدس ومنزلها البديع فلا بدَّ لها من توجيه العناية الى حفظهِ سالماً . وهذا البدن خُلق منتقضاً منحلاً فلا بد لهُ من استمداد الغذآء مكان ما يتحلل منهُ ودفعاً لما يلحقهُ من أَذى الجوع فيتعين على النفس القيام عليهِ بتدبير حاجاتهِ التي تكفل اعتدال مزاجهِ . ولذلك كان اشرف الناس مرتبةً واجلهم شأناً من انصرف في عملهِ الى اشرف ما في الانسان

اي الى النفس العاقلة فجعل همهُ ترويضها في الفضائل وتسديدها في سبل الصلاح وتنويرها في امور معادها وغبطتها الخالدة . وهؤلآء هم خدام الدين القائمون بامر الارشاد وحث الناس على التقوى والخير والمسالمة والوئام حتى يكونوا سعدآء في الدنيا سعداء في الآخرة . ويلحق بهم في طبقتهم الحكمآء وجهابذة العلمآء المشتغلون بفنون الحكمة وضروب العلم الدائبون في البحث والاستدلال والتدوين والتلقين بحيث يكونون مصابيح للبصائر يخرجونها من ظلمات الجهالة الى نور العرفان ويكونون سبباً في توسيع نطاق الحضارة والعمران . ويجيئ بعد أولئك طبقة الاطبآء لان صناعتهم تتعلق بالبدن وهو هيكل النفس المقدس الذي تحرص على سلامتهِ وصيانتهِ من عوادي الاسقام الناقضة لكيانهِ فاذا طرأت عليهِ آفةٌ فزعت بشكواها الى الاطبآء العارفين باسباب الادوآء واعراضها وبالذرائع الواقية والعلاجات الشافية فكان الطب لذلك اجلَّ الصنائع نفعاً واحقها بالاعتبار وشرف المنزلة

ثم لما كان الانسان الواحد لا يستقل بتحصيل حاجاتهِ المعاشية لما يقتضيهِ اعدادها من الصنائع المتباينة والاعمال العديدة التي لا تقوم الاّ بالكثيرين كان بحكم الضرورة منقاداً الى الاجتماع والتعاون فاحتشد الناس في القرى والمدائن يضافر بعضهم بعضاً وبسطوا ايديهم الى اقتنآء الرزق وتأثل العقار وتسابقوا الى اجتلاب المنافع واجتذاب المرافق فاحتاجوا في اجتماعهم هذا الى حاكم يفصل بينهم في خصوماتهم ويَزَع قويّهم عن ضعيفهم . ولذلك وقعت الحاجة الى الخطط السلطانية واستعمال العمّال وانشآء دواوين القضآء لفصل النزاع وحمل الناس على النِصفة والوقوف عند حدود العدل

والمرء يستأثر بما يحرزهُ من المكاسب والاموال ويفرغ الطوق في الذود عنهُ لانهُ الذخيرة للبدن التي يستمد منها اسباب المعيشة . فهو يدافع من نازعهُ فيهِ واذا استضعف نفسهُ في كف عادية الغريم رافعَهُ الى الحاكم يبتغي الانصاف واذا خشي ضياع حقهِ استنصر بالفقهآء والعارفين بالقوانين والاحكام الشرعية يقيم واحداً منهم مقامهُ ويفوض اليهِ امرهُ في المدافعة والمرافعة . ولذلك جاءَت منزلة رجال القضآء وسائر مَن يُرجعُ اليهم في هذه الحال رفيعةَ عند جمهور الامة بسبب الحاجة اليهم في بسط العدل والمحافظة على الحقوق

وكأني بأهل الغرب قد تنبهوا منذ عهدٍ بعيد إلى نبالة النفس وخطر ما يتلبس بها في هذا الوجود فالتمسوا لها اسباب السعادة من وجوهها . ولذلك ترى بلادهم حافلة بمعاهد العلم الصحيح يُرضِعون فتيانهم وفتياتهم من لبانهِ ويغذون نفوسهم بما يوافق استعدادهم ويحملونهم على التوسع في المعقولات والتخرج في الرياضيات والطبيعيات وعلى الارتياض بالفضائل ومحاسن الآداب . وقد شرطوا لمدارسهم الجامعة ان تشتمل كلٌّ منها على اربعة اقسام احدها للاّهوت والثاني للفنون العالية والثالث للعلوم الطبية والرابع لشريعة البلاد . وكل منها عبارة عن مضمار تراض فيهِ نفس الطالب في المرتبة التي يرومها فينظر ما يختارهُ منها ويتلقى فيهِ الدروس متسقة احسن انتساق واذا شآء التوسع فأمامهُ المكاتب الجامعة لاشتات التصانيف مما يتعلق بخطتهِ . وهذه الاقسام الاربعة اي اللاهوت والفنون العالية والطب والشريعة تعرف عندهم بالمهن القانونية

واما سائر مراتب اهل المجتمع كالصُنّاع والزُرّاع والتجّار من اصحاب

جزئيات الاعمال فان اعمالهم اضافية تكميلية فلا قيمة لاربابها في انفسهم وان كان المجتمع لا يقوم بدونهم . وانما يكون لاحدهم قيمة اذا اقترن عمله بشيء من الاربع المذكورة كما اذا كان صاحب الثروة منهم مثلاً ينفق من ثروته على المستشفيات أو المدارس أو اغاثة الفقرآء والعاجزين أو يرفد ارباب التصانيف العلمية ويمدّ اصحاب الاختراعات والاكتشافات لابراز نتائج افكارهم وثمرات اجتهادهم مما يكون فيه اسعاد الحالة الاجتماعية أو توسيع نطاق المدارك البشرية . وانظر اين الغنيّ الذي يبذل امواله في مثل هذه المنافع الشريفة ممن ينفقها في الملذات والشهوات والتأنق في الزينة والفخر الباطل أو يحوّل قوة غناه الى احتكار اصناف البضائع والمحاصيل واقتطاعها عن اصاغر المتكسبين لينتفع بضرر غيره . هذا اذا لم يتخذ المال عوناً على ارتكاب المنكرات والكبائر كما نراه بين كثيرين من اهل زماننا فلا ريب ان من كان كذلك يعدّ من ادنى طبقات المجتمع واقلهم قيمةً بل قيمته تكون قيمةً سلبية ووجوده يعدّ نقصاً في الانسانية لان «قيمة الانسان ما يحسنه»

وما للمرء خيرٌ في حياةٍ اذا ما عُدّ من سقط المتاعِ

الترام المعلّق

لا يخفى ان اكثر مدن اوربا الحافلة بالسكان ولا سيما المدن التجارية والصناعية منها لا تزال طرقها غاصةً بأقدام المارّة وآلات النقل والركوب من كل نوع حتى ضاقت بالسالكين ولم يبقَ لهم الا ان يمدّوا السكك تحت الارض أو في الجوّ . وقد حاولوا كلا الامرين فعلاً الا ان الاول فيه من

الصعوبة ما لا يخفى مع ما يقتضيهِ من النفقات الطائلة ومع ذلك فقد دفعتهم الحاجة اليهِ في داخل بعض المدن الكبرى فاحتفروا أنفاقاً يصلون بها بين بعض اطراف المدينة والبعض الآخر واجروا فيها السكك الحديدية واشهر ما يُذكر من ذلك النفق الذي في مدينة لندرا مارًّا تحت نهر التاميز. وطولهُ ٤٠٠ متر وقد بلغت نفقتهُ ٦٣٤ الف ليرة استرلينية أو ما يقرب من ستة عشر مليون فرنك

واما السكك الجوّية فأول ما صُنع منها الخط الذي أُنشئ بين كِنجِستُون ودلكي بارلندا سنة ١٨٤٣ اتُّخذ لهُ انبوبٌ من الحديد على طول المسافة التي بين هذين الموضعين وجُعلت في اعلاهُ عرباتٌ تُجرّ بجذب الهوآء من طرفهِ المقدّم بواسطة آلات تعمل بالبخار . ثم اقتدى بذلك الفرنسيس فانشأوا خطًّا على الطريقة نفسها بين باريز وسان جرمان سنة ١٨٤٧ وطول هذا الخطّ لا يزيد على كيلومترين ولم يُذكر انهُ أُنشئ غير هذين الخطين الا انهما لم يلبثا ان أُهملا لان استعمالهما كان شاقًّا ونفقاتهُ كثيرة . فلما اختُرع الترام الكهربآئي عادوا الى معالجة هذا النوع من السكك بالطريقة الكهربآئية وأوّل خطٍّ منها مُدّ منذ عهدٍ قريب بين أَبرْفلْد وبَرْمين بالمانيا وطولهُ نحو ١٣ كيلومتراً

وهذا الخطّ تجري العرباتُ فيهِ على قضيبٍ واحد تحملهُ جوائز قصيرة يصل بينها مشبَّكات من الحديد وتختلف فيهِ طائفتان من العربات ذهاباً واياباً . والحركة فيهِ تجري بقوة ٣٦ فرساً ويصلهُ المجرى الكهربآئي بواسطة بكرٍ تجري على سلك مكهرب كما هي العادة ومعظم سرعتها نحو ٤٠

كيلومتراً في الساعة وهي اعظم من سرعة اتمّ آلات النقل المستعملة في اوربا لان معدَّل سرعتها يقدَّر بنحو ٣٠ كيلومتراً . وتسع العربة من هذا الترام نحواً من ٥٠ راكباً وكل قطارٍ مؤلف من عربتين ويمكن عند الحاجة ان يزاد الى اربع وهذه الزيادة لا تؤثر شيئاً في السرعة لان كل عربةٍ لها محركٌ مخصوص

وهذا الخط هو اول خطٍّ صُنع من هذا النوع وقد استحسنتهُ مجلات اوربا وجرائدها الا انها لا تزال في انتظار اتمام امتحانهِ حتى اذا لم يكن في استعمالهِ خطرٌ اشارت بتعميمهِ في جميع ممالك اوربا

متفرقات

قهوة التين ـ من غريب ما توصلوا اليهِ في هذه الايام اتخاذ القهوة من التين واول ما ظهر ذلك في جزائر الغرب ثم انتشر في بلاد النمسا وجميع اواسط اوربا . وهي تُستعمل غالباً في غرض قهوة الهندباء المستعملة عندهم اي لمزج اللبن بها وربما مزجوها بقهوة البنّ فشربوها معها فكان لها طعمٌ لذيذ تشوبهُ مرارةٌ فيها شيءٌ من طعم التين

وكيفية صنعها ان يؤخذ زبيب التين الاسود ويحمَّص في طاجن كما يحمص البنّ ويقلَّب في اثناء التحميص حتى يكون عمل النار فيهِ على قوةٍ واحدة منعاً للتشيُّط فاذا اسمرّ وقارب السواد أُنزل عن النار وهو حينئذٍ لا يكون قد جفّ من باطنهِ تمام الجفاف ولكنهُ اذا نُشر في الهواء حتى

ببرد تصلَّب وصار قصِماً اي قابلاً للانكسار . وبعد ذلك يُطحن بآلةٍ مخصوصة ثم يُجعَل في وعاء مسدود سدًّا محكماً لانهُ سريع التشرُّب للرطوبة وعند ارادة استعماله يُغلى كما يُغلى الشاي

سنو المطر وسنو المحل ـ رفع بعضهم الى الندوة العلمية في ڤينّا تقريراً عن المطر الساقط في پادوا منذ سنة ١٧٢٥ وفي ميلان منذ سنة ١٧٦٤ وفي كلُوجَنْفُرت منذ سنة ١٨١٣ فوُجد ان السنين الماطرة والسنين الماحلة تتوالى وبين الواحدة ومثلها ٣٥ سنة . وهذا جدول السنين المذكورة

السنون الماطرة	١٧٣٨	١٧٧٣	١٨٠٨	١٨٤٣	١٨٧٨	(١٩١٣)
السنون الماحلة	١٧٥٣	١٧٨٨	١٨٢٣	١٨٥٩	١٨٩٣	(١٩٢٨)

سيلٌ هائل ـ حدث في التنكين في ١٢ يوليو الفائت سيلٌ لم يسبق لهُ مثيلٌ في تلك البلاد بل لعلهُ لم يسبق حدوث مثلهِ في الارض . وذلك انهُ عصفت في تلك الناحية زوبعةٌ إعصارية هبّت من جهة مانيلا تحمل خرطوماً [1] عظيماً من المآء انصبت على بلد هانُوْي عاصمة التنكين فبلغ المآء بمقياس المطر في مدة عشرين ساعة ٥٥٠ ميليمتراً حتى كان الناس ينتقلون في الزوارق وطغت البحيرة فدخل مآؤها البلد فكانوا يصطادون السمك في

(١) المراد بالخرطوم هنا ما يحملهُ الاعصار من المآء ويدور بهِ فينتصب عموداً بين الارض والسمآء وهو المسمى عند العامة بالتنين . والظاهر ان العرب لم تعرف هذا النوع من الاعصار ولذلك لم نجد لهُ اسماً عندهم فأطلقنا عليهِ لفظ الخرطوم اخذاً من خرطوم الفيل لما بينهما من المشابهة

الشوارع . وسقط بهذا السيل كثيرٌ من المباني المحدثة وخسفت المجاري القريبة العهد بالبناء وارتفع الماء في محطة السكة الحديدية الى متر ونصف

ارخص جريدة ـ ظهر في ڤينا جريدة اسمها نيو تسيتنغ اي الجريدة الجديدة ذات ثماني صفحات ثلاثٌ منها مخصصة للاعلانات والخمس الأُخر للاخبار . وهي تظهر مرتين في اليوم قبل الظهر وبعدهُ وتباع النسخة منها بسنتيم واحد اي نحو خمسَي المليم وهو ارخص ثمنٍ بيعت به جريدة . وارخص جريدةٍ بعدها جريدة الريفورم في بروكسّل وتباع النسخة منها بسنتيمين

فوائد

القهوة والماء المقطَّر ـ حقق بعض المجرّبين ان القهوة اذا أُغليت بالماء المقطَّر (وهو الذي قد قُطّر بالتبخير على النار) كانت الذّ وانفع واطيب رائحةً . وتعليلهُ فيما ذكر ان ماء الينبوع يخالطهُ كثيرٌ من الاملاح المعدنية تُفسِد من خواصّ القهوة بأن تتركب مع ما فيها من التنّين فيكون عن تركبها معهُ جسمٌ صلب لا طعم لهُ ولا يقبل الانحلال وبخلاف ذلك الماء المقطر فان خواص القهوة تبقى معهُ على طبيعتها . فعلى المولعين بالقهوة ان يمتحنوا الامر فانهُ سهل ولا نفقة فيهِ

تنظيف الادوات الفضية ـ تُجعل الادوات التي يراد تنظيفها في محلول من الطرطير بعد تسخينهِ على النار وتترك فيهِ مدة بضع دقائق ثم تُرفع

منهُ وتُفرَك بقطعة من الجلد الناعم

واذا كانت الادوات من النحاس الملبَّس بالفضة فأفضل ما يستعمل لها ان يُحلَّ ٥٠ غراماً من الصابون الابيض النقي في لتر من المآء الفاتر وتغطَّس الادوات في هذا المحلول وتُفرَك باليد وبخرقةٍ ناعمة ثم تغسل بالمآء الصافي . واذا وُجد فيها مواضع قد تاكسدت تنظف بأن تفرك بقطعةٍ من النسيج تُبلّ بالمحلول عينهِ ويؤخذ عليها شيءٌ من ابيض اسپانيا مسحوقاً سحقاً ناعماً

منع زجاج المصابيح من الانكسار ـ جآء في ذلك في احدى المجلات العلمية ما يأتي

ضع الزجاجات في انآءٍ مملوءٍ مآءً بارداً وارفعهُ على النار واضف اليهِ قِطعاً من كُسار الملح واترك المآء حتى يغلي ثم خفف النار بالتدريج الى ان يبرد فان الزجاجات بعد ذلك لا تعود قابلةً للانكسار الا نادراً . ويمكن ان يُفعل هذا ايضاً بآنية الخزف المدهون والصيني وكلما كان العمل ابطأ ولا سيما في امر تبريد المآء كانت هذه الآنية امنع

وهناك طريقةٌ اخرى لزجاج المصابيح وهي ان يُجرَح بطن الزجاجة بقطعةٍ من الالماس فلا تعود تنكسر البتة لان هذا الجرح يسهّل تمدُّد الزجاج عند سخونتهِ بحرارة المصباح

مبرَّةٌ نادرة

لهجت الجرائد الاخبارية في القطر بما نثبتهُ في هذا الموضع اعجاباً

بفاعلهِ وتخليداً لذكرهِ وحثاً لارباب الثروة واليسار على اقتفاء اثرهِ فيهِ وهو ان السيّدة بتول كريمة المرحوم ميخائيل اثناسيوس من مشاهير اعيان اهل المنيا وارملة المرحوم بطرس مليكة من اكابر وجوه بني مزار تبرعت بخمس مئة فدّان من اجود اراضي مديرية المنيا وقفتها لوجوه الخير فخصصت منها ٥٠ فدّاناً لجمعية المساعي الخيرية في العاصمة و١٥٠ فداناً للمدرسة الاكليريكية و١٥٠ فداناً للمدرسة القبطية الكبرى و١٥٠ فداناً للبطركخانة القبطية . ويقدَّر ثمن الفدان الواحد بألفي فرنك فتكون قيمة ما وقفتهُ لهذه الوجوه الشريفة مليون فرنك وهي مبرَّة لم يُسمَع بمثلها في هذه الديار بل في الشرق بأجمعهِ . فهكذا فليكن الكرم وبمثل هذا فلينافس ارباب الغنى والثروة الطائلة

خواطر

اذا تعارض الهوى والامكان فجانب الامكان اسلم

اذا كان السخط لا يدفع الواقع فالرضى ارفق بالنفس واستر للعجز

من كان عدوّهُ نفسهُ فلا يتّهم الحوادث

من جعل الشرّ نُصب عينيهِ لم يأمن ان ينقلب شرُّهُ عليهِ

ما اسودّ في عين الغبيّ مثلُ يومٍ ابيضّت فيهِ امانيهُ

حياة السفيه في سكوتهِ وقتلهُ في سكوت غيرهِ عنهُ

من شرّ ما قُضي بهِ على المرء ان يجتمع فيهِ العجز وحبّ الانتقام

اسئلة واجوبتها

غزّة ـ ارجو اجابتي على السؤالين الآتيين

(١) من المحقق ان إتعاب العين بكثرة المطالعة يورث الحسَر فلمَ وكيف يتاتى ذلك وهل يمكن ان يعود البصر الى قوّتهِ الاصلية إذا أُريحت العين او بأي واسطة اخرى

(٢) هل ينتج من استعمال الزجاجات ضرر كما يقول جمهور العامة وبعض الخاصة ايضاً اليابس الحلبي

الجواب ـ اما سبب حدوث الحَسَر فان الناظر الى الاشباح القريبة لا بدّ ان ينحرف وضع عينيهِ بحيث يتألف من مِحوَرَي البصر زاوية قاعدتها الخط الواصل بين الشبكيتين . والمراد بمحور البصر الخط المتجه من الشبح الى مركز البؤبؤ ومركز البلورية . وهذا الانحراف يتمّ بتقلص العضلة الانسيّة المحرّكة للعين بحيث ان العضلة الوحشية تضغط عليها من الجانب الآخر فيستطيل قطر المقلة الذي يمرّ فيهِ المحور وباستمرار هذا الضغط على العين تثبت على الشكل المذكور . ومعلومٌ ان الإبصار يتمّ بانكسار اشعّة المنظورات في داخل العين حتى تتقاطع عند الشبكية فاذا استحال شكل العين الى ما ذُكر تصير اذا وقعت عليها الاشعة من شبح بعيد تتقاطع في نقطةٍ هي اقرب من موقع الشبكية فيظهر لها منظرهُ غير جليّ ولذلك يستعان باستعمال الزجاجات المقعرة لانها تُخرِج الاشعة منفرجة ثم تجمعها العين فتتقاطع عند الشبكية

واما رجوع العين الى ما كانت عليهِ فيتوقف على مقدار الحَسَر وسن الشخص بحيث انهُ اذا كانت هذه الآفة فيهِ قريبة العهد او كان حديث السنّ فلا يبعد ان تزول بواسطة الراحة او يبقى منها بقيةٌ قليلة

واما ضرر الزجاجات فاذا كانت موافقة للعين فلا ضرر فيها بل هي تريح العين وتقيها من زيادة الحسَر ولذلك يُستحبّ التزامها في حالي البعد والقرب وفي كل ما ذكر شرح طويل لا يسعهُ المقام وفيما اوردناهُ كفاية

آثار ادبيّة

خزائن الكتب في دمشق وضواحيها — لا حاجة الى وصف ما كانت عليهِ البلاد العربية من انتشار العلم والعلماء وكثرة المصنفين والكتاب ووفرة الخزائن الثمينة المشتملة على كل نفيسٍ من الاسفار مما تعاورتهُ الخطوب والآفات وتناولتهُ ايدي الجوائح والمطامع ولم يبقَ منهُ الا بقيةٌ يسيرة متفرقة في بعض المكاتب . الا ان هذه البقية قلما انتُفع بها للجهل بمكانها او للجهل بما تتضمنهُ لفقد الفهارس التي تشرح للطالب ما في تلك الكتب فكانت مع قلتها وصعوبة الوصول اليها عقيمةً من النفع لا تُتناول الفائدة منها الا بشقّ النفس وجهد العناء والتفتيش

ومن اهمّ الخزائن الباقية لعهدنا الخزانة الظاهرية المشهورة في دمشق وهي تشتمل على مجموع البقايا التي وُجدت في بعض الخزائن المتفرقة في تلك الحاضرة مما غفلت عنهُ عيون الحوادث وتداركتهُ ايدي ذوي الغيرة

وهي تتضمن ما يزيد على ٣٥٠٠ مجلد . غير انهُ لما لم يكن لهذه الخزانة فهرسٌ متصل يستوفي بيان جميع ما فيها انتدب لسدّ هذه الثلمة حضرة صديقنا الكاتب الفاضل حبيب افندي الزيات، وهو ممن عرف قرّآء الضيآء منزلتهُ من العلم والادب فعكف على مطالعة كتبها واستقرآء صحفها وقيد عنوان كل واحد منها مع بيان اسم مؤلفهِ والاشارة الى موضوعهِ مما يجعل زائر هذه المكتبة على بيّنة مما فيها ويمهد لهُ السبيل الى الظفر بضالّتهِ منها

وقد صدّر هذا الفهرس بمقدّمة لطيفة نقل فيها خلاصة ما عثر عليهِ من اخبار المكاتب في دمشق قديمها وحديثها ثم اردفهُ باخبار رحلتين لهُ رحلهما الى صيدنايا ومعلولا و يبرود للتنقيب عما هناك من الكتب والمكاتب القديمة فذكر من كل ذلك ما تحسن فائدتهُ ويدلّ على وفرة اجتهادهِ في خدمة العلم وهي ولا جرم الخدمة الصادقة التي لا يُقصَد منها الا مجرد النفع ولا يُنتظَر من ورآئها مكافأةٌ ولا عوض لما هو معلوم من ان مثل هذه التآليف لا يكاد يطلبها الا الآحاد من اهل العلم والراغبين في المطالعة والبحث وانما هي كما قال في مقدمة الكتاب مما يتولى نشرهُ الجمعيات العلمية او نظارات المعارف دون الافراد فلهُ في ذلك الفضل الذي لا ينكر

فنثني على حضرتهِ بما يستحقهُ هذا العمل الكبير النفع ونحث المتأدبين وطلّاب العلم على مقتنى هذا الكتاب اغتناماً لما فيهِ من الفوائد العلمية والتاريخية . والكتاب يقع فيما يقرب من ٢٥٠ صفحة وهو يباع في مكتبة المعارف وفي سائر مكاتب القاهرة وثمنهُ خمسة فرنكات،

فكاهات

اللص [1]

في مدينة مانتبول من انكلترا محلٌّ يعد من اكبر واشهر المحلات لمبيع الجواهر الثمينة والحجارة الكريمة تقصدهُ الاغنياء واصحاب الملايين من كل فج . وقد تأسس هذا المحل منذ نحو قرن باشتراك ثلاثة من الاغنياء الانكليز يدعى احدهم جونسن والثاني بارلو والثالث دراك . وهو يشغل بناية عظيمة ذات عدة طبقات خصصت احداها للاعمال الاداريه والبواقي لخزن المجوهرات او عرضها للمتفرجين والزائرين . وفي الطبقة السفلى سلمٌ يفضي الى طبقة تحت الارض فيها غرفة يسمونها الغرفة الحديدية وهي عبارة عن صندوق كبير جدًّا من الفولاذ (الصلب) ليس لها الا باب واحد متين للغاية كانوا يودعون فيها كل مساء بمشارفة مدير المحل وتحت عهدتهِ جميع الجواهر النفيسة والحجارة النادرة المثال خوفًا من السرقة او من طارئٍ مفاجئ وفي الصباح تُعاد هذه الجواهر الى مواضعها ليراها الزائرون

ولما اتسعت اشغال المحل وكثر المترددون عليهِ عين اصحابهُ مديرًا لاعمالهِ رجلاً نشيطًا حاذقًا يدعى المستر دايل قام باعباء وظيفتهِ حق القيام فتضاعفت شهرة المحل كما تضاعف دخلهُ

وكان دراك احد الشركاء اكبرهم سنًّا . فلما استوفى حظهُ من دنياهُ بعد ما قرّت عينهُ بما ادركهُ من الغنى والشهرة انضم الى آبائهِ فدُفن بالاكرام اللائق بمقامهِ . وكان لهُ ابنٌ يسمى جورج لهُ من العمر عشرون سنة ونيف فرأى الشريكان ان يدخلاهُ في الشركة مكان ابيهِ فاستدعياهُ وعيناهُ محل والدهِ . وكان جورج ابدع شبان البلدة خلقًا وخلقًا وذكاءً ومهارة فلما استلم اشغال والدهِ وتدرب

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

في العمل حدثتهُ نفسهُ باجرآء إصلاحاتٍ عديدة مثل توسيع معرض الجواهر وعرض الاشيآء الثمينة امام زجاج النوافذ وتكثير الاعلانات وما شابه ذلك فلم يوافق جونسن و بارلو على آرآئهِ وخصوصاً جونسن فانهُ اصرّ على ترك القديم على قدمهِ وقال لجورج انهُ يصعب على من كان في سننا ان تغير افكارهُ آرآء فتى نظيرك فما لك الا ان ترضى بالحالة الحاضرة الى ان نموت نحن وتصبح انت أكبر الشركآء فتفعل ما تشآء . فاستآء جورج من عدم انقيادهما لتدبيرهِ وكان يتمنى ان يصبح طليق اليد ليفعل ما يشآء وهو موقن بانهُ لو تُرك يعمل برأيهِ لزاد دخل المحل اضعافاً

وشاخ المستر دايل مدير المحل ايضاً وكان لهُ ولد من عمر جورج فاقنع جورج شريكيهِ بوجوب اقالة دايل فاقالوهُ وعينوا لهُ معاشاً شهرياً يتقاضاهُ مدة حياتهِ وعينوا ابنهُ المذكور عوضاً عن ابيهِ فكان جورج يرتاح الى معاشرتهِ لانهُ من سنهِ ولان درجة عقلهما متساوية . وحدث يوماً ان كان الاثنان يتذاكران في شان المحل فقال جورج انني اودّ اجرآء اصلاحاتٍ جمة في المحل ولكن شريكيَّ يعترضان في اتمامها لان عقلهما قد اضعفهُ الهرم فلا يدركان فائدة هذه الاصلاحات التي يقتضيها زماننا الحاضر ثم هما لا يثقان بمقدرتي على الادارة ويزعمان انني لا ازال فتًى لا اضطلع بمثل هذه الاعمال . ولذلك فاني لا بد ان اعمل شيئاً يريهما مقدرتي فيتنحيان عن العمل ويتركانني فيهِ واذ ذاك فسأفعل بمساعدتك ايها العزيز افعالاً ترفع لنا اسماً لم يصل اليهِ محل تجاري من قبل . ولا اكتمك انني على اهبة الزواج وخطيبتي اجمل واكمل فتاة في المملكة فلا احب ان اصبح بعلاً لها الا وانا وليُّ امري ومطاق السيادة في اشغالي . فقال دايل ومن هي يا ترى هذه الفتاة التي تخدمها السعادة في الحصول عليك . قال هي ابنة شريكي بارلو واسمها هنريت فهل رأيتها في زمانك يا دايل . قال نعم رأيتها مرةً واحدة فلم اصدق انها بشر بل انها ملك هبط من السمآء ولقد طالما سمعت حديث الناس عن هذه الفتاة واعجابهم بجمالها حتى محا ذكرها ذكر كل جميلةٍ في هذه الناحية واصبح جميع بنات الاعيان من حسادها . فقهقه جورج ضاحكاً وقد اسكرتهُ خمرة الامل والسرور

وحسر جورج عن ساعد الهمة والعزم فكان يقابل زائري المحلّ بنفسهِ وكانت فصاحتهُ تساعدهُ على اقناع المشترين فلا يترك واحدًا يخرج الا و يبيعهُ اضعاف ما في نيتهِ ان يشتري ولم تمضِ عليهِ السنة الاولى حتى أُعجب جونسن و بارلو بمهارتهِ وحذقهِ . وكان جونسن قد شاخ جدًّا فلزم بيتهُ في ضواحي البلدة واصاب بارلو مرض النقرس فلزم بيتهُ ايضًا وترك الاثنان جورج وحدهُ لتولي الاعمال وادارتها بشرط ان يقدم لجونسن تقريرًا يوميًّا عن اعمالهِ . ولما خلا لجورج الجوّ واصبح كما يبتغي مطلق القياد عمد الى اجرآء الاصلاحات التي كان ينويها فاصبح المحل نجعةً للزائرين تقصدهُ السياح من جميع جهات المعمور . وكان جورج لا يألو جهدًا في السفر من بلدةٍ الى اخرى سعيًا في مصالح المحل لتوسيع نطاق اشغالهِ وتكثير معامليهِ وزيادة ارباحهِ

وفي ذات يوم بينما كان المدير دايل في مكتبهِ اذا باحد الخدم قد جاءهُ برقعةٍ وقال هذه من المستر جورج وهو ينتظر الجواب في الحال . فقال دايل واين هو الآن . قال في الطبقة العليا مع بعض اصحاب الملايين وقد باعهُ من البضاعة شيئًا كثيرًا . وكان دايل في هذه الفترة قد فتح الرقعة وما اطلع على ما فيها حتى جحظت عيناهُ وقفَّ شعر رأسهِ فمسح عينيهِ بيدهِ كانهُ في شكٍ مما قرأ ثم اعاد القرآءة مرةً اخرى واذا فيها ما يأتي

« عزيزي دايل . اين العقد ذو الزهرة الزمرد فانني لم اجدهُ »

وكان العقد المذكور مصوغًا من اثمن واكبر حجارة الالماس وهو حبلان يتوسطهما قطعة من الزمرد النقي مقطوعة على هيئة زهرة ذات ثلاث ورقات وتقدر قيمتهُ بنحو مئة الف ليرة استرلينية

اما دايل فوثب من غرفتهِ مسرعًا الى ان صار بحضرة المستر جورج فرآهُ منهمكًا بالبحث والتنقيب وحالما وقع نظرهُ على دايل قال لهُ اين العقد يا دايل . قال كان في الصندوق الكبير فقال جورج انا لا اسألك اين كان بل اين هو الآن . فلم يحر دايل جوابًا وجعل يبحث مع جورج و بقية المستخدمين بحثًا دقيقًا حتى كان

العرق يسيل من شعورهم فلم يبقوا زاوية في المحل الا بحثوا فيها . وكان دايل والخدم يحققون ان العقد وُضع مساء امس في الصندوق مع بقية الجواهر الثمينة وأُودع في الغرفة الحديدية الا انهم لما اخرجوا الصناديق في الصباح لم يتفقدوا محتوياتها . واذ قد ثبت ان العقد قد أُدخل الغرفة الحديدية في المساء فلا بد ان يكون قد سرق منها ليلاً ولكن اية قوة ارضية تمكنت من فتح باب تلك الغرفة وهو على ما هو عليهِ من القوة والمتانة . ثم ان جورج ودايل نزلا الى الغرفة الحديدية ففحصاها فحصاً مدققاً فلم يجدا في بابها ولا جوانبها اقل اثر يدل على استعمال ادوات لفتحها . ولما ضاقت بهما الحال جعل جورج يتأسف على ما حصل وهو يقول ان امرًا كهذا سيضر بسمعة المحل ويقلل ثقة الناس بهِ ودايل يقول ان هذا ضربة قاضية على مستقبلي فسيتهمونني بالتقصير اذا لم يتهموني باني انا الفاعل . ثم صمم الاثنان على ابلاغ الامر الى دار الشحنة والذهاب توًّا الى المستر جونسن واطلاعهِ على ما حدث

وكان امام باب المحل عربة فركبها جورج ودايل واسرعا الى دار الشحنة فاعلماهم بالامر وحرضاهم الاسراع في البحث ثم توجها الى بيت المستر جونسن واخبرهُ جورج بالواقع . فتبسم المستر جونسن وقال اني كنت اتوقع مثل هذا الحادث نتيجةً لما دعوتهُ اصلاحاً في المحل فلا ريب اننا نحن المخطئون في تسليم عهدة محل بهذه الاهمية الى فتيان نظيرك ونظير مديرك هذا . فجعل جورج يقضم شفتيه غيظاً وعاد المستر جونسن الى حديثهِ فقال اذًا تتأكدان ان العقد سُرق من الغرفة الحديدية . فقالا نعم . وكانت عيناهُ تقدحان شررًا وهما كمصباحان كهربائيان تتنقلان من وجه جورج الى وجه دايل . فقال انهُ يستحيل فتح الغرفة المذكورة الا من بابها بالمفتاح المخصوص الذي لم يوجد منهُ في العالم الا اثنان فقط . فصاح جورج نعم واحدهما في هذه السلسلة المعلقة في عنقي وهو لا يفارقني دقيقة واحدة . فقال دايل والثاني في عنقي انا حيث لا يفارقني طرفة عين . فقال جونسن اذًا لا بد ان يدًا غريبة احتالت على احدكما في ساعة سكرٍ او اهمال فاخذ رسم المفتاح وعمل نظيرهُ ثم انسلَّ ليلاً ففتح الباب بدون صعوبة واخذ ما اراد ولا يبعد

ان يكون قد فُقد غير العقد المذكور ايضاً بهمة المستر جورج وحسن تدبيرهِ. والآن فهيا بنا فاني سأذهب معكما لمعاينة الامر بنفسي ونهض الثلاثة وجاءوا معاً الى المحل وجورج على احرّ من الجمر فان كلمات جونسن كانت تؤلمهُ كلدغ العقارب

ولما بلغوا المحل ساعد الجميع جونسن على النزول الى الغرفة الحديدية ففحصها فحصاً مدققاً ثم تبسم باستهزاء وقال لم يكن من داعٍ لاخبار الشحنة بالامر ولكن سأترك الامر لك يا جورج فدبر ما تراهُ . ثم عاد جونسن الى بيتهِ وبقي جورج ودايل يفكران فيما ينبغي فعلهُ فاستدعيا احد رجال الشحنة السرية وفوضا اليهِ تعقب السارق وكشف مخبآت هذه السرقة الغريبة

ومضى على هذه الحادثة شهران نسي في اثنائهما جورج امر العقد اما دايل فكان لا يهنأ لهُ عيش وهو لا يفتر عن البحث والسؤال من الشحنة لعلهم عثروا على امر جديد فكان انتظارهُ عبثاً . وبعد ذلك بايام استدعاهُ المستر جونسن اليهِ فذهب مسرعاً ولما جلس بحضرتهِ قال لهُ جونسن يا دايل لم اكن اظنك في بدء الامر على ما رأيتهُ فيك مؤخراً من اللياقة للعمل الذي سُلم الى عهدتك مما جعل لي بك ثقة اكيدة . والآن قل لي هل اطلعتم على شيء جديد في امر السرقة . فقال دايل كلا يا مولاي وانني اتأسف جداً لذلك واود كشف الامر ولو فقدت نصف حياتي. فتبسم جونسن وقال انك ستكشف السارق قريباً اذا تبعت مشورتي. فقال دايل وقد حملق اليهِ ببصرهِ ما عليك الا ان تأمر يا مولاي . فقال جونسن خذ الآن هذا الكتاب الى شريكي بارلو وهات منهُ الجواب ومتى رجعت اعلمك ماذا ينبغي ان تفعل ولكن اياك ان تسلم كتابي هذا الى غير يد بارلو بنفسهِ . فقام دايل للحال وركب عربة اقلتهُ الى بيت بارلو ولما دخل قابلتهُ هنريت فحالما وقع نظرهُ عليها سحر بجمالها ووقف امامها مبهوتاً فتقدمت واعطتهُ يدها فاخذها وقبلها باحترام ثم طلب منها مقابلة ابيها . فقالت وماذا تريد منهُ قال معي كتاب يجب ان اسلمهُ اليهِ. قالت ان الداء الذي بوالدي يمنعهُ من مقابلة احد سواي فهات الكتاب وانا ارجع اليك بالجواب . فمد دايل يدهُ الى جيبهِ ثم خطر لهُ للحال ما اوصاهُ بهِ

جونسن فتوقف وقال لا يا سيدتي لا يمكنني ذلك فانا مكلف ان اوصلهُ اليهِ بيدي. قالت أوَلا تأمنني يا مستر دايل . قال عفوكِ يا مولاتي فاني لو كانت حياتي في يدي لم اتوقف ان آمنكِ عليها ولكني قد أُوصيت بما ذكرت لكِ واست حرّ التصرف في هذا الامر . فتبسمت هنريت وقالت يسرني ان اراك تحافظ على ما اؤتمنت عليهِ فسأذهب لاستأذن والدي في دخولك عليهِ . وما غابت الا قليلاً حتى عادت واشارت الى دايل بالدخول فدخل وكان لا يعرف المستر بارلو قبلاً بالوجه فالفاهُ هرمًا قد كالهُ الشيب وظهرت آثار المرض على وجههِ فجعلت هيئتهُ مخيفة . فحياهُ دايل فلم يجب فناولهُ الكتاب ففضهُ ولما قرأهُ اظهر علامات الضجر ثم مزّق الكتاب قطعًا صغيرة والقاهُ في النار التي بجانبهِ ثم اخرج من درج في مكتبهِ مفتاحًا ضخمًا فدفعهُ الى دايل وقال لا شك ان جونسن قد بلغ درجة الخرف او انهُ عاد طفلاً في عقله فاعطهِ هذا المفتاح وليفعل ما يشآء . فحيَّا دايل وخرج ولما بلغ منزل جونسن سلم اليهِ المفتاح واخبرهُ بما قالهُ بارلو فقهقه جونسن ضاحكاً وقال عسى ان اكون واهمًا ولكنني اخشى ان اكون قد اصبت كبد الحقيقة . ثم قال لدايل انهُ يوجد امام الغرفة الحديدية غرفة اخرى خشبية فيها النبيذ المعتق و بعض اصناف المشروبات وهذا مفتاحها فخذهُ واذا اقبل المسآء فاذهب بدون ان يعلم بك احد وافتح الغرفة المذكورة وعالج بعض الواحها حتى ترفعهُ من مكانهِ واسهر عندهُ طول الليل وداوم على ذلك ليلةً بعد اخرى واذا رأيت او سمعت شيئًا فتعالَ اخبرني . وخذ هذه الغدارة لعلها تلزمك ولكن استعملها للتهويل فقط واياك ان تطلقها على احد لئلا تندم واكرر وصيتي ان تكتم هذا السر عن كل مخلوق وانا مؤكد انك ستنال جزآء تعبك فانك اذا القيت القبض على السارق فسيكون لك من المحل جزآء لا تتصورهُ الآن . فتعجب دايل اشد العجب مما رأى وسمع ولكنهُ لم تسعهُ المخالفة فعاد الى المحل ولما كان المسآء سألهُ جورج كعادتهِ ان يخرجا معًا فاحتجّ دايل ببعض الموانع ولما بقي وحدهُ نزل الى الغرفة الخشبية ففعل كما امرهُ جونسن وجلس ينتظر وهو غارق في بحار الوحدة والتأملات . ولما مضى القسم الاعظم من الليل جعل يشك في تدبير

جونسن ويقول قد اصاب بارلو في قوله ان الرجل قد ادركهُ الخرف . وانهُ لكذلك واذا بصوت وطء اقدام خفيفة قد مرَّت بالقرب منهُ فاجفل وصعد الدم الى رأسهِ ثم حبس نفَسهُ وجعل ينتظر فكانت الخطوات تقترب من الغرفة الحديدية حتى وقفت امام بابها وكانت اول طلائع الفجر تنبعث من نافذةٍ في اعالي المكان فيقع نورها على باب الغرفة الحديدية فنظر دايل واذا بهِ يرى فتاة مرتدية بلباس اسود من اعالي رأسها الى قدميها وقد سدلت على وجهها نقاباً اسود . ولو انقضَّت صاعقة عليهِ في تلك الدقيقة لكان احتمالها اسهل مما اصابهُ عند ما تحقق ان الفتاة المذكورة هي نفس هنريت ابنة المستر بارلو . ولم يسعهُ التلبث فخرج من مخبئهِ وكانها سمعت حركتهُ فاجفلت ووثبت الى الجهة المظلمة فتوارت فيها عن نظرهِ . اما دايل فجعل يسير من محل الى آخر حتى زار كل زوايا تلك الدار فلم يعثر على احد فرجع الى مخبئهِ وهو يظن نفسهُ في حلمٍ وان الصورة التي رآها هي تأثير ما شغل فكرهُ من مرأى هنريت في النهار ولكنهُ عاد فتحقق انهُ لم ينم طول ذلك الليل فلا بد ان يكون ما رآهُ حقيقيًّا . ولما تبلج الصباح قام فتوجه الى منزل جونسن فلما دخل عليهِ قال لهُ لا بد انك رأيت شيئاً يا دايل وقد جئت تعلمني بهِ . فقال دايل والاضطراب بادٍ على وجههِ لا يا مولاي لم ارَ شيئاً . وانما . . نعم . رأيت . . ولكن الذي رأيتهُ لا يمكن ان يكون هو السارق بل هو شخص نظيري يسعى في الاطلاع على السارق. فقال جونسن متبسماً ومن هو . قال لا اقدر ان اسميهُ يا مولاي لاني لا اعتقد بجرمهِ . فقال جونسن ولكنك ستعتقد قريباً حين ينجلي الامر . فصاح دايل وهل تزعم يا مولاي ان تشكو هذا الشخص الى الحكومة أولا يهمك ما يجر هذا الامر على شريكيك . فقال جونسن بغضب انا لم اشارك سارقاً في حياتي ولم امنع العدل قط من اخذ مجراهُ ولو على ولدي . فتنهد دايل ثم قال اذاً أتسمح لي يا مولاي ان اذهب الى المستر بارلو فاخبرهُ بالامر ليكون على بصيرة . قال لا بأس لكن على كل حال اياك من اهمال السهر كل ليلة كما قلت لك . فقال دايل وهل من الضروري ان اسهر بعد الآن قال نعم اسهر كل ليلة كما فعلت بالامس واياك ان يعلم احد

فخرج دايل وهو كغريق تتقاذفهُ تيارات الافكار وانتحل لهُ سبباً لزيارة المستر بارلو فلم يتمكن من مقابلتهِ ولكنهُ رأى هنريت فدعتهُ لتناول الشاي وجلسا يتحادثان فقالت هنريت يظهر يا مستر دايل ان المستر جونسن يثق بك كثيرًا قال نعم وانا افتخر بذلك . قالت انا لا اشك انك تستحق هذه الثقة ولكن قل لي بربك لو كلفك قضآء خدمةٍ تؤلمك او لو سألك القآء القبض على مذنب عزيز لديك هل تقوم بذلك بدون ان تحركك الشفقة الى مساعدة ذلك المسكين وتسهيل السبل لنجاتهِ . فسكت دايل وهو يناجي افكارهُ وظن ان هنريت ستتوسل اليهِ ان يستر ما رأى او يدخل كشريكٍ في الاثم ولكنهُ عاد فتغلب على صوت الحب وقال ايتها السيدة انني في مثل هذه الاحوال عليَّ ان اتبع واجباتي قبل كل شيء . قالت لهُ انك لتضطرب شديدًا فلا بدَّ انك تظن ايضاً ما يظنهُ المستر جونسن . قال نعم ويا ليتني لم اظن ذلك قط . قالت فاذًا من المحال ان تغمض عينيك عن فعلة شخص تسوءك اهانتهُ . فقال والدمع يطفر من عينيهِ نعم من المحال ان يصدني شيء عن قضآء واجباتي

وظن دايل بعد هـذا ان هنريت ستثب اليهِ فتمزقهُ باظفارها ولكنهُ رأى في وجهها علامات الاعجاب بصدق طويتهِ واستحسان منهجهِ ثم قالت اعذرني فقد اخرتك في الجلوس ههنا ولا شك ان اشغالك تستغرق كل دقيقة من وقتك . قال نعم فاسمحي لي بالانصراف وخرج راجعاً الى محل الشغل وبرأسهِ حمى محرقة وهو يودّ لو لم يدخل في تلك الخدمة قط ويصل الى مثل هذه الاحوال

وعاد دايل الى سهرهِ كالعادة فمرت عليهِ ثلاث ليالٍ لم يحصل فيها شيء على الاطلاق وداخلهُ فكرٌ في ترك السهر لانهُ لم يعد يؤمل منهُ فائدة ولكنهُ لم تسعهُ مخالفة اوامر جونسن فذهب في الليلة الرابعة كعادتهِ وما انتصف الليـل حتى سئم الوحدة وكادت تأخذهُ سنة النوم واذا بهِ يسمع حركة خفيفة فهب مذعورًا ونظر الى جهة الغرفة الحديدية فرأى بابها مفتوحاً فطار رشدهُ ثم قفز بسرعة البرق الى الباب واقفلهُ من الخارج ثم اصغى فسمع كأن جسماً التقى على الباب من الداخل ثم تبع ذلك

أنة محرقة جرحت قلب دايل فمد يدهُ الى السلسلة واخذ المفتاح ليفتح الباب ولكنهُ قبل أن يهتدي الى ثقب الباب رن في اذنيهِ طلقتا رصاص وعقب ذلك سكوت عميق . وكان رجل الشحنة في الجهة الثانية من المدخل فاسرع بمصباح الى تلك النقطة فوجد دايل واقفًا امام الباب واستعان دايل بنور المصباح ففتح الباب فاذا بهِ قد وقع نظرهُ على ما اجمد الدم في عروقهِ فانهُ رأى امامهُ جثة جورج دراك الشريك الفتى هامدة لا روح فيها وقد اخترقت صدرهُ رصاصتان يتدفق الدم من جراحها . فاستند دايل الى الحائط وهو يضطرب من هول ما رأى واذ ذاك شعر بيدٍ لطيفة قد اخذت بذراعهِ وصوتٍ رقيق يقول لهُ لا تخف يا دايل فما عليك من حرج . فنظر واذا بهِ امام هنريت بارلو فازداد دهشهُ وقال وهل انتِ هنا ايتها السيدة . قالت انا هنا في كل ليلة منذ وصل كتاب المستر جونسن الى والدي ولم يكن والدي يعتقد بما حصل اما انا فقد اقتنعت بهِ مثل المستر جونسن لانني وان كنت مخطوبةً لجورج فقد كنت اجدهُ يخفي تحت لباقتهِ ونزاهتهِ بعض قطراتٍ من دمٍ شرير يجول في عروقهِ وهذا ما كان يجعلني انفر منهُ واود ان لا يتم اقتراننا . قال دايل اما انا فلم يخطر في بالي قط والذي ظننتهُ هو ان السارق . . . قالت كنت تظن ان السارق انا وكان والدي يظن ان السارق انت اما جونسن وانا فقد اصبنا كبد الحقيقة

وظهر بعد ذلك ان جورج كان مسرفًا يبذّر مالهُ في كل وجه ولما كان القسم المخصص لهُ من المال لا يكفيهِ للهدايا التي كان يقدمها بغير حساب الى خطيبتهِ والى بنات الهوى في البلاد التي كان يسافر اليها على الدوام ولم يكن من الممكن زيادة المبلغ المعين لهُ جعل يختلس من تلك الجواهر ويبيعها في بلدان اخرى ويتصرف في اثمانها

ورأى جونسن وبارلو ما اتصف بهِ دايل من كمال الامانة والصدق والاستقامة فاحباهُ ثم سعى جونسن فزوجهُ بهنريت واقاماهُ مديرًا مطلق التصرف في المحل وجعلا لهُ من ارباحهِ مبلغًا يضمن لهُ ولأسرتهِ من بعدهِ عيشة السعادة والرخاء

المجاز

(تابع لما في الجزء الاول)

اما الغرض من الاستعارة فحاصل ما يؤخذ من كلامهم انهُ ينحصر في ثلاثة اوجه احدها المبالغة في وصف المشبَّه بالمعنى الذي اشترك فيهِ طرفا التشبيه كما في استعارة الاسد للرجل فانها تتضمن الحاقهُ بجنس الاسود حتى صار كانهُ واحدٌ منها وهي غاية ما يمكن بلوغهُ في الوصف بالشجاعة . والثاني الزيادة في ايضاح المعنى بنقلهِ من الصورة العقلية الى صورةٍ حسّية كما في استعارة النطق للدلالة واثبات الجناح للسفر فان فيهما من ابراز الدلالة العقلية في صورة اللفظ المسموع وتمثيل السفر بصورة ذي الجناح ما يزيد المعنى قوةً وظهوراً . والثالث الاكثار من الالفاظ المترادفة تبسطاً في اللغة واسترسالاً في طرق التعبير وذلك كما تسمى الخوذة التي تُلبَس على الرأس بالبيضة وكما تسمى بالتريكة وهي بيضة النعام بعد ان يخرج منها الفرخ بجامع ما بين الطرفين من الشَبَه في الهيئة . وليس شيء من ذلك يصلح لغرضنا في هذا المقام لان الوجهين الاولين يُقصَد بهما المبالغة في تصوير المعنى لا التعبير عنهُ باللفظ الموضوع لهُ و بعبارةٍ اخرى تأدية المعنى بلفظٍ اقوى دلالةً من لفظهِ الوضعيّ فحاصل كليهما المفاورة بين الفاظٍ موضوعة بعضها اقوى من بعض . والوجه الثالث مقصورٌ على تعدّد الوضع في المعنى الواحد ففائدتهُ تكثير الالفاظ على غير زيادةٍ في مدلولاتها . ولا يخفى ان كل ذلك انما هو من غرض البيانيّ دون اللُغَويّ ومما يتوخاهُ الشاعر ومن في معناهُ لا الكاتب

الذي يتطلب لكل معنًى لفظهُ المخصوص به . وبقي هناك وجهٌ رابع لم نجد من تعرَّض لهُ وهو التذرُّع الى الوضع فيما لم يوضع لهُ لفظٌ كما مرّ من تسمية البياض في العين بالكوكب فان هذا البياض لم يوضع لهُ اسمٌ في اللغة فاستعير لهُ لفظ الكوكب لما بين الطرفين من الشبه . وهذا هو المقصود من بحثنا في هذا الموضع لان غرضنا الوصول الى استنباط الفاظٍ للمعاني التي طرأت بعد الوضع الاول وهو احد طريقي العرب في توسيع لغتها بحيث ان ما لم يتهيّأ لها تناولهُ من طريق الاشتقاق على ما تقدم ذكرهُ في البحث السابق اخذتهُ بالنقل من طريق المجاز وهو اشتقاقٌ معنويٌّ كما لا يخفى

اذا تقرر هذا عُلم منهُ ان الذي يصلح لما نحن فيهِ الاستعارة التحقيقية دون التخييلية والذي يصلح من الاولى ما كان وجه الشبه فيها يفيد تصوير المعنى بصورةٍ تمثلهُ للذهن على حقيقتهِ او ما يقرب منها لا ابرازهُ في صورةٍ تعظّمهُ في الخيال وبعبارةٍ اخرى ما كانت زيادة قوّتهِ في المشبه بهِ على المشبه من حيث الوضوح لا من حيث المقدار . وذلك كما في استعارة الكوكب للبياض في العين فان المقصود منها مجرّد المناسبة في الشكل اذ كلٌّ منهما نقطةٌ بيضاء يحيط بها سواد الا ان هذه الهيئة في النجم اوضح واشهر . والمراد بالتخييلية فيما ذُكر ما كانت فائدتها مجرَّد التخييل مثل جناح السفر فان الجناح لم يشبَّه بهِ شيء وانما قُصد بهِ تخييل أن السفر مشبهٌ بالطائر فهو لا فائدة لهُ في نفسهِ ولكن فائدتهُ في غيرهِ كما لا يخفى . واما ان كان التخييل بشيءٍ قد استُعير استعارةً تحقيقية مثل نطقت الحال فيكون بحسب فائدة التحقيقية فان افادت مجرَّد المبالغة مثل استعارة النطق للدلالة

لم تكن من غرضنا ايضاً والاعتبُرت الفائدة في اللازم وحدهُ وكان التخييل امراً خارجياً . واما الاستعارة بالكناية فلا كلام في انها لا تصلح لشيءٍ مما نحن فيهِ لان المدار هنا على استنباط لفظٍ للمشبَّه وهو مذكورٌ فيها صريحاً لما علمت من ان الذي يُذكَر فيها هو المشبَّه لا المشبَّه بهِ فهي ليست من الاستعارة في شيءٍ وانما يُطلَق عليها لفظ الاستعارة توسعاً

ولما كان المقصود من هذا البحث وضع الفاظٍ لمعانٍ لم يوضع لها لفظٌ في اللغة بحيث تكون تلك الالفاظ عُرضةً للاستعمال كلما احتيج الى التعبير عن مدلولاتها لزم ولا بدّ ان تُلحَق باصل اللغة وتُستعمَل استعمال الالفاظ الموضوعة . ومتى صار اللفظ بهذه المنزلة واشتهر استعمالهُ بالمعنى المجازيّ عُدَّ حقيقةً عُرفيّة وتنزّل من المعنى الحقيقيّ منزلة اللفظ المُشترَك واذ ذاك يكون احتياجهُ الى القرينة لمجرَّد التمييز بين معنًى ومعنًى كما تحتاج بقية المعاني معهُ لا لمنع ارادة المعنى الحقيقي كما يكون في سائر انواع المجاز . واكثر ما تجد هذا النوع من الالفاظ مما كان وجه الشبه فيهِ حسّياً لظهور العلاقة فيهِ وبداهة وجه الشبه بحيث يتبادر معناهُ المجازيّ الى الذهن ويزاحم فيهِ المعنى الحقيقي . وهو اما ان يكون الهيئة المشخّصة لذات الشيء كما في استعارة الكوكب فيما ذُكر وكما يسمى غضروف الاذن بالمحارة اي الصدفة لمشابهتهِ لها في الشكل ويقال لهُ الصدفة ايضاً وكتسميتهم الهُنَيّة الناشزة في مقدَّم الاذن بالوتد واللحمتين المتدليتين في جانبي الحلق باللوزتين والبياض الذي في اصول الاظفار بالهلال وداخل الفم بالغار وهو الكهف واستعمالهم الماء للسيف والمرآة ونحوهما يعني بما فيهما من البريق والصفاء وكما تسمى

العقدة في طرف السوط بالثمرة والخط المستطيل من الرمل بالحبل الى غير ذلك

واما ان يكون الصورة المشخّصة للجزء من الذات كما يسمَّى طرف المرفق بالزُجّ وهو الحديدة في طرف الرمح ومقدَّم السفينة بالجؤجؤ وهو الصدر وخصّهُ بعضهم بصدر الطائر وهو اتمّ شبهاً . وكقولهم ذُؤابة الرحل للجلدة المعلَّقة على آخرتهِ وكذا ذؤابة النعل وهي ما اصاب الارض من المرسل على القدم وكلتاهما من الذؤابة بمعنى الناصية وكما يقال فم القربة لمنفتَحها وكذا فم البئر والوادي وغيرهما وكقولهم شفة الكأس وعنق الابريق ويد الرحى والفأس وساق الشجرة وإبط الوادي ولُعاب الخطميّ وغير ذلك وهو بابٌ واسع . وقد علمت ان المقصود من ذلك كلهِ التشبيه بالاشياء المذكورة لذاتها غير منظورٍ الى الذات التي هي اجزآءٌ لها على ما بيّناهُ في جناح الدار وان جاز ذلك في بعضها اتفاقاً . وذلك ان قولهم فم البئر مثلاً ليس المراد منهُ تشبيه البئر بالحيوان اذ لا وجه لهذا التشبيه وكذا قولهم يد الفأس وذؤابة النعل لا يراد منهُ تشبيه الفأس بالانسان والنعل بالرأس وهلم جرًّا بخلاف قولك لسان الحال ومتن الباطل وجناح السفر على ما قدّمنا بيانهُ

واما اللوازم المعنوية والمراد بها المصادر وما يُشتقّ منها فقد يكون وجه الشبه فيها حسيًّا كقولهم نبض البرق اذا لمع خفيفاً أُخذ من نبضان العِرق اذا تحرَّك وضرب والجامع بينهما الهيئة المحسوسة من كليهما وان اختلفت الحاسّة . وكقولهم سبَح الفرس اذا مدّ يديه في الجري تشبيهاً لهُ بفعل السابح في المآء . ورنَّقت السفينة اذا دارت في موضعٍ واحد لا تمضي من

ترنيق الطائر وهو ان يخفق بجناحيهِ ويرفرف ولا يطير . وخطر الرجل في مشيتهِ اذا رفع يديه ووضعهما من خطر ان البعير بذنبهِ اذا ضرب بهِ يميناً وشمالاً . ويقال ايضاً خطر بسيفهِ او رمحهِ اذا رفعهُ مرةً ووضعهُ اخرى وهو مجاز المجاز . وقد يكون عقلياً نحو سرد الحديث اذا اجاد سياقتهُ مأخوذٌ من سرد الدرع وهو نسجها واستنبط المعنى اي اظهرهُ من استنبط مآء البئر اذا استخرجهُ واغضى عن الذنب اي تغافل عنهُ وهو من اغضآء الجفن ووعيتُ الحديث اي عقلتهُ وحفظتهُ من وعى الشيء في الظرف اذا جمعهُ فيهِ وهو كثيرٌ في اللغة بل اكثر اللغة يرجع اليهِ

وكثيراً ما تجد في هذه الالفاظ ما يلتبس عليك فيهِ تمييز المعنى الحقيقي من المجازي كالجوالح لما تطاير من رؤوس القصب والبردي شبه القطن ولقِطَع الثلج المتهافتة من الجوّ وكالكمام والكمامة لغلاف النَوْر ولما يُشدّ على فم البعير وغيرهِ لئلاّ يعضّ والدرع لما يُلبَس من الزرد ولثوب المرأة والعجاج للغبار وللدخان ومثلهُ العُثان والعُكاب . وكقولهم جاش البحر اذا اضطرب وجاشت القِدر اذا غلت وحَذَق الخلُّ فاهُ اي حمزهُ والرباطُ يدَ الشاة اثر فيها وحشكت الناقة لبنها جمعتهُ والسحابة كثر مآؤها وبزل الدنَّ ثقبهُ ونابُ البعير طلع . والامثلة من كل ذلك في اللغة لا تُحصَى وفي القدر الذي ذكرناهُ كفايةٌ للمستبصر

(ستأتي البقية)

الحَسَرُ

بعث الينا حضرة الفاضل الدكتور ابرهيم الشدودي الطبيب البَصَري الشهير بالمقالة الآتية فآثرنا نشرها لما فيها من الفائدة قال اعزّهُ الله

اطّلعت في الجزء الاخير من مجلتكم الغرّآء على ما اجبتم به احد السائلين عن سبب حدوث الحَسَر فاستحسنْت ما جآء في جوابكم لانهُ موافقٌ تمام الموافقة لأحدث آرآء العلمآء في هذا الخصوص . غير ان ما قررتموهُ لا يخلو من ايجاز لانكم اقتصرتم فيهِ على القدر الذي يقتضيهِ سؤال السائل ولما كنت بناءً على طلب بعض المصابين بهذه الآفة قد كتبت مقالةً في هذا المعنى على قصد ان انشرها في احدى الجرائد افادةً للجمهور وكان ما كتبتهُ فيها يتضمن تفصيلاً اطول مما ذكرتم رأيت ان ارسلها الى حضرتكم حتى اذا رأيتم فيها فائدةً يحسن نشرها تفضلتم باثباتها على صفحات مجلتكم ولو كان فيها اعادةٌ لبعض ما ذكرتموهُ ففي الاعادة افادة وهذا نص المقالة المذكورة

الحَسَر او قصر النظر هو علة في البصر لا تمكن المصاب بها رؤية المنظورات البعيدة بوضوح لان الاشعة المنبعثة عن تلك المنظورات والتي بها ترتسم صورها لا تتقاطع عند الشبكية كما يحصل في العين الصحيحة وانما تتقاطع قبل وصولها اليها ولا تصل الى الشبكية الا منفرجةً بعد التقاطع فترسم عليها صوراً غير واضحة . والسبب في ذلك استطالة قطر العين عن القياس الطبيعي لانّ متوسط هذا القطر في العين الصحيحة يتردد في الغالب بين ٢١ و٢٢ مليمتراً اما في العين الحسرآء فيزداد طولهُ حتى يبلغ احياناً ٣٣

ميليمتراً . واقوى اسباب هذه العلة على ما ذكرهُ العلامة فوكس استاذ امراض العين في كلية فينّا اربعة امور فصّلها في الكلام الآتي قال

من النادر ان يولد الصبيّ مصاباً بالحسر او بعبارةٍ اخرى بعينين مستطيلتين ولكن الغالب ان يحدث الحسر في سن الحداثة عند ما يكون الجسم في ابّان نموّه . وقد اثبت الاستقراء انهُ اكثر ما يعرض للذين يُتعبون ابصارهم بالمطالعة او التحديق في الاشياء الدقيقة عن قرب مثل التلامذة المكبّين على الدرس والصناع المشتغلين بالصنائع الدقيقة كالخياطين والجوهريين وغيرهم . ولا يخفى ان هذا التحديق في المنظورات القريبة لا يتم الا مع تقارب المقلتين من جهة وتكيُّف البلورية من جهةٍ اخرى وهذان العاملان اي تقارب المقلتين وتكيف البلورية هما السبب في تمدد العين عند قسمها الخلفي . غير انهُ وان كان اجهاد العين في ادراك المرئيات الدقيقة عن قرب هو السبب في الحَسَر فليس كل الذين يجهدون اعينهم في التحديق عن قرب يصابون بهذه العلة ولكن يصاب بعضهم دون بعض فلا بدَّ اذاً من اسباب اخرى تضاف الى السبب المذكور . فمن الاسباب التي نعرفها اولاً الاستعداد الطبيعي لقصر النظر لسبب تركيبٍ تشريحي خصوصي في المقلة كضعف الصُلبة وبعض شذوذٍ في عضلات المقلة والعصب البصري وغير ذلك . واذا عرفنا ان هذه الصفات التشريحية الخصوصية تكتسب بالوراثة اتضح لنا جليًّا السبب في كون الحسر وراثيًّا في الغالب

ثانياً كثرة المطالعة والاكباب على الاعمال الدقيقة على نورٍ ضعيف وضعف البصر الناشئ عن سحاباتٍ في القرنية اوكدورةٍ في البلورية او

خلل في الكروية الى غير ذلك مما يقتضي تقريب الشيء المنظور من العين

ثالثاً ضعف العضلتين الانسيتين وعدم اقتدارهما على تقريب احدى العينين من الاخرى عند النظر الى المرئيات القريبة فيضطرّ الشخص الى تقريب تلك المرئيات من عينهِ لان ضعف هاتين العضلتين يسبب تباعد العينين فلا يعود يمكن تقريب احداهما من الاخرى الا بالجهد وهذا الجهد في تقليص عضلات العين هو السبب الاكبر في زيادة استطالة المقلة وبالتالي في ازدياد الحسر لانهُ يستلزم ضغط العضلة الوحشية على المقلة فاذا طالت مدة هذا الضغط تمددت العين وثبتت على هذا الشكل

رابعاً تقلص العضلة الهدبية المكيفة لشكل البلورية وهذا التقاص الناشئ عن التحديق في المرئيات الدقيقة عن قرب قد يجعل العين في حالةٍ شبيهة بالحسر ولكنهُ اذا طال سبَّب الحسر الحقيقي . ويحدث ذلك بسبب الاشتغال بالاعمال الدقيقة يومياً ساعاتٍ طويلة متوالية تكون في خلالها العضلة الهدبية متقلصة . وهذه العضلة تكون قويةً جدًّا في الاحداث فمتى طال تقلصها لا تلبث ان تتشنج فلا يعودون يقدرون على بسطها فاذا نظروا الى الاشياآء البعيدة ظلت متوترة فتظهر لهم تلك الاشياآء كما تظهر لقصار النظر واذا كان الحسر بادئاً فيهم يزداد قصر نظرهم بسبب تقاص العضلة الهدبية . والذي يثبت وجود مثل هذا التشنج ما يظهر من الفرق بين فحص النظر بالعدسيات وفحصهِ بالأُفتلموسكوب ففي الحالة الاولى يظهر قصر النظر شديداً لان العين تكون متقاصة عند ما تنظر الى الاشياآء ولو كانت بعيدة وفي الحالة الثانية يكف التقلص غالباً وتكون العين في حالتها الطبيعية .

ولاثبات التقلص يلزم قبل فحص العين ان يوضع فيها نقطة من محلول الاتروبين حتى تشلّ العضلة الهدبية ويبطل فعلها واذ ذاك تعود العين الى حالتها الطبيعية . انتهى

وهذه الاسباب كلها معقولة ما خلا السبب الرابع وهو تقلص العضلة المكيفة لشكل البلورية فان هذا التقلص لا يمكن ان يكون سبباً في استطالة العين التي هي السبب الوحيد في قصر النظر ولكن غاية ما يترتب عليهِ انهُ يبقي البلورية محدبةً زمناً بعد الكف عن التحديق في المرئيات الدقيقة عن قرب مما يسبب حسَراً وقتياً لا يلبث ان يزول . ثم انهُ لا يظهر من كلامهِ كيف يستحيل الحسر الكاذب الى حسر حقيقي ولا كيف يكون تقلص العضلة الهدبية سبباً في زيادة الحسر . والذي عليهِ جمهور العلماء الرمديين ان ضغط العضلات التي تحيط بالعين ولا سيما الوحشيتين منها هو السبب في استطالة العين ولا سيما من الجهة الخلفية وسبب هذا الضغط هو تقلص العضلتين المستقيمتين الانسيتين عند تقارب المقلتين للنظر في المرئيات الدقيقة عن قرب وهذا هو السبب ايضاً في ازدياد الحسر . وبرهان ذلك ان الاحسر لا يحتاج الى تقليص العضلة الهدبية عند النظر الى هذه المرئيات لان شكل عينيهِ المستطيل يغنيهِ عن ذلك فان صور المرئيات القريبة ترتسم على شبكيتهِ بكل وضوح فلا يُعقل والحالة هذه ان يكون تقلص العضلة الهدبية هو السبب في زيادة الحسر . واعتقاد بعض اطبآء العيون ان تقلص العضلة الهدبية يزيد الحسر حملهم على ان ينهوا قصار النظر عن استعمال الزجاجات المقعرة عند الاشتغال بالاعمال الدقيقة عن قرب حتى ان بعضهم

مثل جاڤال تطرف في هذا الزعم حتى صار ينصح للمصابين بالحسر ان يستعملوا العدسيات المحدبة عند الاشتغال بالمطالعة او اي عملٍ دقيق. وهو رأيٌ سقيم يدل على فساده الاستقرآء والمشاهدات فان العلامة دُنْدِرْس وهو اشهر من اشتغل بدآء الحسر اثبت بعد المشاهدات العديدة ان قصار النظر الذين يستعملون الزجاجات المقعرة للنظر عن بعد وعن قرب لم يزد عندهم قصر النظر بل بعكس ذلك خفّ او بقي على حالهِ وبخلافهم الذين لا يستعملون الزجاجات المذكورة فقد وجد ان الحسر ازداد فيهم . وجاء بعدهُ الرمديّ الشهير جيرُو تُولُون ثم العلاّمة فُورْسْتِر فأيّدا رأيهُ واشارا بوجوب استعمال الزجاجات في حالي البعد والقرب لانهُ باستعمالها تصير عينا الاحسر كالاعين الصحيحة اذا نظرتا عن قرب تكيفت بلورياتهما واذا نظرتا عن بعدٍ لا تتكيف وبهذه الطريقة يُعمِل الاحسر عضلتهُ الهدبية الضامرة ويقوّيها

وقد نشر استاذنا العلامة شُڤالرُوّ في شهر ستمبر الماضي مقالةً مشبعة في طريقة علاج الحسر اثبت فيها ما اوردناهُ وذكر مشاهدات كثيرة تدل على ان تقلص العضلة الهدبية لا يسبب الحسر ولا يزيدهُ وان انقباض عضلات العين هو السبب في استطالتها وان افضل الطرق في معالجة هذه الآفة ولا سيما عند الاحداث هي استعمال الزجاجات المقعرة التي تردّ العين الى مثل الحالة الطبيعية والاستمرار على استعمالها في البعد والقرب على حدٍّ سوآء

فالمتحصل من جميع ذلك اولاً ان الحسر يكون في الغالب مكتسباً واكثر الناس تعرضاً لهُ هم الاحداث المكبُّون على المطالعة والصناع المشتغلون

بالاعمال الدقيقة ولا سيما من كان منهم في استعداد وراثي

ثانياً ان علة الحسر هي استطالة العين وهذه تحصل من ضغط العضلات عليها عند تقارب المقلتين للنظر في الاشيآء الدقيقة عن قرب والمثابرة على ذلك زمناً طويلاً

ثالثاً ان تقاصات العضلة الهدبية المكيفة للبلورية ليس لها دخل في اسباب قصر النظر ولا زيادته على الاطلاق

رابعاً ان افضل الطرق لعلاج قصر النظر استعمال الزجاجات المقعرة الموافقة لحالة الشخص في النظر عن بعد وعن قرب على حدٍّ سوآء والله اعلم

نبوءة اميركانية

قرأنا في احدى المجلات العلمية الفرنسوية الفصل الآتي فآثرنا تعريبهُ فكاهةً للقرآء قالت

لا ريب ان كثيرًا من الناس يتسآءلون عما عسى ان تصير اليهِ حال الانسان في هذا القرن وقد اجاب عن ذلك احد علمآء الاميركان بما نروي بعضهُ في هذا الموضع لغرابتهِ قال

سيبلغ سكان اميركا من الآن الى نهاية هذا القرن خمس مئة مليون من النفوس وتمتدّ مساحة العمران فيها على هذه النسبة وستزداد قامة الاميركاني قيراطاً أو قيراطين لان بنيتهُ ستكون اصحّ بسبب ازدياد التحسين في علم الطب والقوانين الصحية وطرق التغذية والرياضة البدنية . ويكون معدَّل حياتهِ خمسين سنةً لا خمساً واربعين كما هو الحال اليوم لانهُ سيقضي حياتهُ في الضواحي ويتجنب العيش في المدن المزدحمة بالسكان ويكون الانتقال من الضاحية الى البلد ومن المنزل الى الحانوت في دقائق قليلة وبأجرٍ رخيص

ولتعديل حرارة المساكن يوزَّع الهوآء البلرد والهوآء الحار من معامل مخصوصة ويصل الى المنازل في انابيب فيكون هناك حنفيات للهوآء البارد وغيرها للهوآء الحار على مثال حنفيات المآء والغاز المستعملة اليوم . اما المداخن فلا يبقى لها اثر لعدم وجود الدخان اذ ذاك

وستكون الوان الاطعمة معدّةً للطلب في اماكن مخصوصة تجهّز كما يجهز الخبز في المخابز غير ان الوان الطعام ترسل بصحافها في انابيب مفرَّغة من الهوآء وبعد تناول الطعام تُرَدّ الآنية لتُغسل . وسيقام لهذا العمل مطابخ عظيمة الاتساع تطبخ بالكهربآئية وتكون فيها آلات تعمل كل ما يُعمل اليوم باليد فالكهربآئية هي التي تطحن البن وتجدح البيض وتقطّع اللحم وتخردلهُ وتعصر العصارات وتغسل الصحاف وتنشفها الى غير ذلك وكل آنية الطبخ والطعام تنظَّف بموادّ كيماوية تستأصل كل ما يمكن ان يعلق بها من الجراثيم المرضية

وهذا الفحم الذي نراهُ يقلّ حيناً بعد حين يبطل استخدامهُ في الاعمال وتُستخرَج جميع القوى الكهربآئية الكامنة في المياه المتحركة العذبة والملحة فتستخدَم في الاعمال ويكون الحصول عليها ميسورًا لكل احد

ثم انهُ في المدن الكبرى لا تكون السكك مشغولةً بآلات النقل التي تعترض سير المارّة وتصمّ اسماعهم بعقعقتها ولكن هذه الآلات تجري تحت الارض أو في الجوّ اذ تُتخذ لها أنفاق واسعة تحت الشوارع يُطلق فيها النور والهوآء وتُنصب فوق الطرق اساطين عالية تركَّب عليها ارصفة تجري عليها آلات النقل والركوب من كل نوع وتكون عَجَلها مطوَّقة بالمطَّاط

والبضائع التجارية تُرسل الى منازل الشرّآء في انابيب مفرَّغة من الهوآء توزع رِزَم البياعات من كل حجم الى كل مسافة

ثم تكون سفن كهربآئية تقطع ما بين اميركا وانكلترا في مدة يومين وهي تجري فوق ظهور الامواج على عجَل اشبه بعجل الزلاّجات وهذه العجل تكون في منتهى الخفة وفي جوانبها السفلى جوبات يندفع منها الهوآء تحت السفينة فينشأ عن ذلك

مجرًى هوآئي بين السفينة والمــآء وبوجود هذه الطبقة من الهوآء مع دقة حروف العجل يقلّ الاحتكاك بين العجل والامواج الى آخر حدٍّ يمكن فلا يبقى ثمة ما يعاوق جريها وبلوغها اقصى ما في قوَّة الآلات من السرعة

ورجل القرن العشرين يشاهد الحوادث التي تقع على مسافة الوفٍ من الاميال كأنهُ حاضرها فبينا يكون جالساً على كرسيّهِ يتمثل لهُ على ملآءةٍ واسعة ما يمكن ان يقع من حربٍ في الشرق أو تتويج ملكٍ في اوربا (. . .) وذلك بواسطة جهازٍ كهربآئي يرسم لهُ هذه المناظر ويكون معهُ جهازٌ تلفوني عظيم ينقل كل صوت من الاصوات المقارنة للحركة

وتجمع اطراف العالم تلفونات وتلغرافاتٍ هوآئية فيتكلمون بالتلفون من الصين وتؤخذ الصور الفوتغرافية بالتلغراف فاذا حدثت حربٌ في جهــة من الارض فلا تمضي ساعة حتى تنشر الجرائد صور اهمّ وقائعها والفوتغرافية تكون بالالوان

وستكون التربية العمومية مجانية للذكور والاناث فيبنى لهذا الغرض ابنية فسيحة وتلقى الدروس على اوجز وجه بحيث لا يضاع في تعلمها الا اقل ما يمكن من الزمن . واولاد الفقرآء لا يحملون طعاماً ولا يلتمسون لهم امكنةً يأوون اليها ولا ملابس ولا كتباً ويجولون حيثما شآءوا في القُطُر الحديدية أو غيرها بدون اجر ويعين اطبــآء يزورون المدارس المجانية ويفحصون صحة الطلبة ويوزعون الادوية وكل ذلك بالمجَّان

وكذلك الزراعة سيكون لها حظ كبير من الكمال فتطلق مجارٍ كهربآئية في الارض يعظم بها حجم البقول والفواكه وتهلك النبات المضرّ وحين ذاك تنقل السفن ذات الاجهزة المبرّدة جميع الفواكه اللذيذة من النواحي الحارّة التي يكون صيفها في اوان شتآئنا كأفريقيا واميركا الجنوبية وغيرها فتبلغ نواحينا في ايام قلائل ويأكل احفاد الاميركان في عيد الميلاد التوت الارضي (الفريز) الضخم كأمثال التفاح ويكون التفاح والسفرجل والكمثرى والدراقن والخوخ بلا نوى ويجنى التين في جميع اقسام الولايات المتحدة

وتكثر في الارض انواعٌ من النبات تتناول غذآءها من الهوآء ويصان النبات

من الجراثيم المضرّة كما يصان الانسان من بعض الاوبئة ويكون زهر الورد كبيرًا بحجم الكرنب ويكون منهُ اسود وازرق واخضر وكل نوعٍ من الزهر يكون قابلاً لما يراد من اللون والرائحة

والادوية التي تعالج بها الأمراض على انواعها لا يكون طريقها المعدة الا اذا كان المقصود بها مداواة المعدة نفسها وتبلَّغ الى سائر الاعضآء بالحقن فاذا اريد معالجة الرئتين مثلاً أُدخل الدوآء اليهما رأساً من طريق الجلد واللحم ويُدخل الدوآء بواسطة مجارٍ كهربائية توصلهُ بدون ألم ويَكون جسم الانسان شفافاً تحت المجهر فيبصر الطبيب ما في داخلهِ ويصوّر الاعضآء المأوفة بالفوتغرافية . انتهى

فما أحسن هذه الحال لكن الاسف كل الاسف انها لا تكون على عهدنا . . . .

جزيرة المرتينيك

ما برحت الانفجارات البركانية تتوالى على هذه الجزيرة بعد الانفجار الاول الذي حدث في ٨ مايو حتى عمّ الخراب في الجزيرة واصبح اكثر تلك الناحية قاعاً صفصفاً . وكان اشدّ تلك الانفجارات بعد التاريخ المذكور ماحدث في ٢٠ و٢٦ مايو وفي ٦ يونيو ثم في ٩ و٢٥ يوليو و٣٠ اوغسطس وآخر ما انبأ بهِ البرق منها ما حدث في ١٥ و١٦ اكتوبر وهو الذي دُمّرت بهِ جزيرة سّان ڤنصان احدى جزُر الانتيل الصغرى بجوار المرتينيك

وقد اخذ الباحثون يقارنون بين مواقيت هذه الانفجارات ومكان القمر والشمس من الارض فوجدوا انهُ في يوم الانفجار الاول كانت الاجرام الثلاثة على خطٍ واحدٍ لانهُ كان يوم محاق القمر . ثم كان يوم ٦ يونيو مثلهُ ويوم ٩ يوليو بعد التوليد بثلاثة ايام فاستدلّوا من ذلك على ان للقمر والشمس

يداً في هذه الحوادث . وذلك ان المدّ في البحار يحدث بسبب جاذبية هذين الجرمين للارض وفعل القمر فيهِ اشدّ لقربهِ من الارض وهو كلما ازداد قرباً ازداد فعلهُ شدةً . وقد قاسوا الجاذبية المذكورة فوجدوا النسبة بين اضعفها واقواها كالنسبة بين ٢٥ و١١٥ وقد كانت على ما قدَّرهُ المسيو ديرك احد علمآء البلجيك في يوم ٨ مايو وهو يوم الانفجار العظيم الذي دمّر مدينة سان پيار بقوة ١٠٧ ثم كانت في ٣٠ أوغسطس وهو قبل المحاق باربعة ايام بقوة ١٠٤

وبنآءً عليهِ قدَّر ما ستكون عليهِ القوة المذكورة في اوقات مختلفة من الاشهر التالية الى آخر السنة فوجد انها ستكون في ٢٠ ستمبر ١٠٢ وفي ١٦ اكتوبر ١٠٦ وفي ١٧ نوفمبر ١٠٧ وفي ١٦ دسمبر ١٠٦ . قال واشدّ هذه المواعيد خطراً على تلك الناحية الميعاد الاخير لانهُ في ذلك اليوم يمرّ القمر فوق جزيرة المرتينيك واذ ذاك يكون من فلكهِ في اقرب نقطة من الارض ويكون موقعهُ منها في الاستقبال . وعليهِ فجزيرة المرتينيك فيما قدَّرهُ ستغوص بجملتها في البحر في ١٦ دسمبر فيكون آخر العهد بها . انتهى

رحلة الاب لويس شيخو

من رياق الى حماة

وردتنا من احد ادبآء حمص المقالة الآتية فأثبتناها بحروفها

نشرت مجلة المشرق في العدد التاسع عشر من هذه السنة وصف رحلةٍ حديثة لحضرة الاب لويس شيخو اليسوعي من رياق الى حماة ابدع كاتبها التحرير كل الابداع واودعها دُرَر الفوائد الفرائد احسن ايداع فجآءت كسائر مؤلفاتهِ

ومطبوعاتهِ شاهدةً لهُ بدقة الفكر وطول الباع .

وقد تصفحت الرحلة المذكورة وتتبعت كلامهُ فيها حتى انتهى الى وصف مدينة حمص و « ذكر ما رآهُ فيها رأي العيان » فظهر لي ان الرجل فضلاً عن كونهِ من « فطاحل » العلماء المحققين ينبغي ان يُعدّ من اكابر المؤرخين المدققين وثقات الرواة الصادقين . فانهُ بدأ كلامهُ بتعداد الطوائف المؤلف منها سكان حمص فأغفل منها ذكر طائفة الانجيليين مع انهُ ذكر السريان الكاثوليك وهم اقلّ من الانجيليين عددًا ولا نظن ذلك الا سهوًا منهُ لانهُ لا يُعقل من مثلهِ ان يتوهم انهُ اذا اسقط ذكرهم من مقالتهِ فقد سقطوا من الوجود بتةً ولم يبقَ لهم ذكرٌ في العالمين

ثم انتقل الى الثناء على جماعتهِ الآباء اليسوعيين وعدَّد ما لهم من الآثار الحميدة في هذه النواحي وما لراهبات قلبي يسوع ومريم من « المشروعات المبرورة » وانتقل بعد ذلك الى ذكر الطوائف غير الكاثوليكية فانحى عليهم بالطعن والتنديد ووصفهم بالخراف الضالّة وزعم انهم يتسكعون في ظلمة الضلال . . . ولا يخفى ما في هذا الكلام — ولاسيما وهو منشورٌ في مجلةٍ يقرأها عشراتٌ بل مئاتٌ من الناس — من سيئ التأثير في القلوب والقاء الشقاق والتنافر بين الطوائف الوطنية . فهذه احدى مآثر جماعتهِ بيننا وما لهم من الآثار الحميدة في كل بلادٍ نزلوها على ما عُلم من شأنهم وما يرمون اليهِ من الاغراض

واما « المشروعات المبرورة » التي يعزوها الى راهبات قلبي يسوع ومريم فلا نعلم منها الا السعي بين الطوائف لدسّ الفتن والعداء على نحو ما يفعل اساتذتهنَّ الآباء المحترمون وخطف البنات من احضان والديهنَّ على غير رضاهم ولا علمهم وحسبنا من ذلك ان نذكر اقرب هذه الحوادث عهدًا وهو اختطافهنَّ ابنتين ارثوذكسيتين في حمص منذ شهرين من الزمان مما ذاع امرهُ واصبح حديث الخاص والعام . وهنَّ انما يفعلنَ ذلك اقتداءً بحضرات الآباء و بتدبيرهم ومساعداتهم وحسبك بها « مشروعاتٍ مبرورة » من الفريقين « يلهج بالثناء عليها كل من لم تغشِّ على ابصارهِ الاغراض » . . . . .

اما اغلاطهُ الوصفية والتاريخية في هذه المقالة فكثيرة نذكر منها قولهُ عند ذكر كنائس الارثوذكس في حمص « الكنيسة الثانيــة تدعى كنيسة التلّ » (كذا) ولا وجود لهذه التسمية عندنا انما هي من اختراعات حضرة الاب . . . فان الاسم الحقيقي لها كنيسة القديس جاورجيوس ولكن حضرة الاب المحقق رآها مبنيةً على تلّ فنسبها اليهِ

ثم قال « اما الكنيسة الثالثة فهي كنيسة القديس يوحنا المعمدان الكاتدرآئية» وهنا احبس عنان القلم تأدبًا بازآء اشهر مؤرخ وجغرافي طالما نشر في مجلتهِ الفريدة الفصول الجغرافية البديعة والابحاث التاريخية الخطيرة ولكني اسألهُ ان يفتح (غير مأمور) مجلة السنة الاولى من مشرقهِ ويقرأ ما كتب في صفحة ٧٧٥ منها وهو قولهُ «وقد درست آثار هذه الكنيسة الجليلة » يعني كنيسة القديس يوحنا المعمدان بحمص ثم ينظر كيف يذكر هناك انها « قد درست » ويقول هنا انها هي الكنيسة « الكاتدرآئية » . على انهُ لو سأل اصغر الاولاد بحمص عن اسم الكنيسة الكاتدرآئية لاجابهُ انهــا كنيسة الاربعين شهيدًا بل لو نظر نظرةً الى التاريخ المنقوش على باب هذه الكنيسة لعرف اسمها واستغنى بعد ذلك عن مراجعة ما ورد في المؤرخ بروكوبيوس (كذا) والسنكسارات الشرقية والغربية في تعليل انتمآء هذه الكنيسة الى القديس يوحنا المعمدان . . . .

ثم ذكر ان المنبر الخشبي والايقنسطاس في هذه الكنيسة هما من عمــل اهل حمص قبل ١٥٠ سنة وهذا القول غير صحيح (المعذرة من حضرة الاب . . .) فانهما من صنع اهل حمص في اواسط القرن التاسع عشر اي منذ نحو ٥٥ سنة لا منذ ١٥٠ سنة ولا يزال احد صانعيهما حيًّا يُرزَق وهو الخواجا نعمة الله القضماني فيكون الفرق بين الحقيقة وقول حضرة الاب نحو قرنٍ من الزمان فقط . . . .

ومثل هذا زعمهُ ان السنكسار الخطي المحفوظ في هذه الكنيسة كُتب في القرن السادس عشر وهو خطأ وهاك ما جآءَ في آخرهِ بالحرف . « وكان النجاز من نساخة هذا السنكسار .. نهار السبت المبــارك ثاني عشر شهر ايلول .. سنة الف وستمائة

واثنين وتسعين لتجسد سيدنا يسوع المسيح . . وهو يكون وقفًا موءبدًا . . على كنيسة القديسين الاربعين شهيدًا داخل مدينة حمص » . وقد استفيد من هذه الكتابة امران احدهما زيادة برهان على كون هذه الكنيسة مبنية على اسم الشهدآء الاربعين كما ذكرناهُ لا على اسم القديس يوحنا المعمدان كما زعم حضرة الاب . والثاني ان هذا الكتاب قد خطّ في اواخر القرن السابع عشر (سنة ١٦٩٢) لا في القرن السادس عشر كما كتب حضرة الاب المدقق مما لا يكون الفرق بينهُ وبين الحقيقة اقل من مئة سنةٍ ايضًا . فيا لهُ من عالمٍ محقق وموءرخٍ ثقة واننا لنغبط قرآء مجلتهِ على ما يتناولون منها من الفوائد الراهنة والعلم الصحيح

واغرب ما جاء من آياتهِ في وصف هذه الكنيسة قولهُ اخيرًا « وقد لحظنا بين صوَر هذه الكنيسة صورة بديعة مرسومة على الخشب بألوان تمثل الانفس المطهرية في لهيب النار وفوقها المسيح لذكرهِ السجود يدعوها الى الراحة الابدية » . وهو لعمر الحقّ من مضحكات الكلام ومن الخلط الذي لا يبلغهُ النائم والمحموم ومتى كان الروم الارثوذكس يقولون بالمطهر أو يسلمون بوجودهِ حتى يصوّروهُ في كنائسهم . وقد اعدنا النظر ودققنا في الصور الموجودة في هذه الكنيسة لعلنا ندرك بعد طول التأمل ما ادركهُ حضرة الاب بتلك « اللحظة » فلم نرَ اقرب الى وصفهِ من ايقونة الاربعين شهيدًا المبنية الكنيسة على اسمهم فانها مرسومة على الخشب بألوان جميلة تمثل القديسين غرقى في مياه البحيرة ويسوع المسيح لذكرهِ السجود فوقهم يكللهم بأكاليل الظفر ويدعوهم الى الراحة الابدية . فلم يفرق حضرة الاب العلاّمة بين صورة الاربعين شهيدًا وصورة الانفس المطهرية وبين المآء ولهيب النار . . . .

اما اغلاطهُ اللغوية والنحوية في هذه المقالة مثل قولهِ فهويت العين «روءياهم» وقولهِ ضيعة « صغرى » وقولهِ « اقلعنا » من رياق في « قطارات » (ولعلّ هناك اختراعًا جديدًا لتسميةِ قُطُرات السكك الحديدية بالقلوع) وقولهِ في وسط هذه البقعة « البطحآء » الى غير ذلك فما نغض الطرف عنهُ اذ ليس من غرضنا الخوض فيهِ على اننا لو تفرغنا لمثل هذا في كلام حضرة الاب لزمنا ان نوءلف فيهِ المجلدات

فنمسك الآن عند هذا القدر ولعل منا كرَّةً اخرى الى هذا المجال ان شآء الله

وصايا صحية

نشر بعض نُطُس الاطبآء الوصايا الآتية

اول شرائط الصحة النظافة •

افضل ما حُفظت بهِ الصحة المحافظة على حرارة الجسم والقصد في المعيشة والعمل المعتدل مع الراحة بعده ُ

اذا نمت فلا تقبض جسمك ولكن ليكن منبسطاً بقدر ما يستطاع ولا تكن مخدّتك مفرطة العلوّ

اذا جلست او نمت فلا تكن رجلاك معرَّضتين للبرد ولكن ينبغي ان تحافظ على دفئهما فان كثيراً من الامراض سببهُ برد الرجلين

لا تأكل الخبز السخن فانه ُ يثقل على المعدة

ليكن طعامك مؤلفاً من اللحم والنبات لكن يُستحَبّ ان يكون النبات هو الغالب

ليكن طعامك مرتباً على اوقات مطَّردة ولا ينبغي ان تؤخر العشآء فان الزيادة في تأخيرهِ مضرّة ٌ كثيراً

المآء البائت في المساكن لا يصلح للشرب فلا يكن شربك من مآءٍ قد استُقي من الامس

احترز من الغازات المؤذية التي تنبعث من الاماكن الرطبة

اياك والوقوف في مجرى الهوآء

اثبت بعض اكابر الاطبآء ان اكثرٌ من ثلاثين الف نفس في السنة ينتحرون بشدّة ضغط المشدّ على الوسط وتحزيق عصائب الجوارب وشريط الاحذية

لا يتمتع بالصحة الجيدة الا من يقوم باكراً فوفّر مصباحك وباكر في النوم ولا تشرق الشمس الا وانت في عملك

لا تغفل عن ان تأخذ كاس شرابك حين تنهض من سريرك ولكن ليكن هذا الشراب كأساً من المآء البارد وكل شرابٍ سواهُ فهو سمّ

استقبل الحوادث بالسكينة والصبر فان الغضب والاكتئاب يلدان ثلاثة ارباع الوفيات

متفرقات

كنيسة من شجرة واحدة — بُنيت كنيسة في سنتا كلارا من كاليفُرنيا أُخذت جميع لوازمها الخشبية من شجرةٍ واحدة وقياس الكنيسة يبلغ ٢١ متراً طولاً فيما يزيد على ٩ امتارٍ عرضاً وقد بقي بعد تمام بنآئها شيءٌ من الخشب لم يُستعمَل

مكتشفات اثرية — جآء في احدى المجلات الانكليزية ان باحثي الالمان اكتشفوا من عهدٍ تريب في بقايا مدينة بابل في المكان المسمى نيشان الأَواد[1] ٤٠٠ لوح من الآجُرّ كثيرٌ منها يشتمل على مباحث في

(١) كذا وجدنا هذا الاسم فاثبتناهُ بصورتهِ ونحن نرجو المعذرة من بعض

آداب اللغة يُظَنّ انها مؤلفات مدرسية في اللغة البابلية ومنها ما هي معجمات في اللغة نفسها وهي ولا ريب بمنزلةٍ من الاهمية عند علماء اللغات . و وجدوا منها نشيداً كان يُنشَد في الاحتفالات الدينية تسبيحاً للاله مرودخ معبود البابليين وقد اكتشفوا ايضاً هيكل هذا الاله وهيكل آدار اله الطبّ

ملحة جزويتية

زعم الاب شيخو ان الاب سكّي اليسوعي كان يرصد الشمس بالمجهر (المكرسكوب)[1] فما ندري اي هذين الابوين اعجب اذاك الذي كان يستنزل الشمس فيضعها تحت مجهره ام هذا الذي روى هذا الخبر الغريب . .

اسئلة واجوبتها

القاهرة — بينما كنت اطالع في كتاب القواعد الجلية في علم العربية تأليف حضرة الاب جبرائيل ادّة مدير الدروس العربية في مدرسة الآباء الجزويت بالقاهرة وجدت لهُ في آخر الكتاب شبه معجمٍ مختصر ذكر فيهِ تفسير الالفاظ الغريبة الواردة في الامثلة الصرفية والنحوية وهي اول مرةٍ عرفت فيها ان حضرة الاب من علماء اللغة . و بعد ما تصفحت شيئاً من هذا المعجم عثرت على اشياء اشكلت عليّ صحتها فرأيت ان استعين على جلائها بضيائكم الزاهر راجياً ان تمنّوا عليّ بذلك ولكم الفضل

فلاسفة هذا العصر فانهُ لم يسعنا السفر الى بابلْ لنتحقق صحّة لفظهِ من بدو تلك الناحية ورهبانها . . . . .

(١) مشرق السنة الخامسة صفحة ٣٧٩

فمن ذلك قولهُ في صفحة ١٦٤ « الزميل السير باين » اورد هذه اللفظة في باب الزاي وكنت قد رأيتها مراراً في كلام من يوثق بهِ مكتوبةً بالذال فهل هما لغتان أم احد الوجهين غلط

وفي الصفحة نفسها « الصدغ ما بين لحظ العين الى اصل الاذن » ماذا اراد بلحظ العين هنا

وفي صفحة ١٦٧ « المِئَر جمع الميرة اي الطعام » فجآء الجمع مهموزاً والمفرد غير مهموز فكيف ذلك . ارجو الجواب على هذه المسائل ولديَّ مسائل اخرى سآتيكم بها اذا سمحتم بالجواب على هذه وانا لكم من الشاكرين

عبده داود

الجواب — اما الزميل بالزاي فلا يجيء بالمعنى الذي ذكرهُ وانما هو معنى الذميل بالذال كما ذكرتم واما الزميل فمعناهُ الرديف وأحد الرجلين يعملان على بعيرين كلٌّ منهما زميل الآخر

واما قولهُ الصدغ ما بين لحظ العين الى آخرهِ فلا معنى للَّحظ هنا وصوابهُ لحاظ العين وهو طرفها مما يلي الاذن

واما جعلهُ المئر بالهمز جمعاً للميرة بالياء فهو غلطٌ في اللفظ والمعنى جميعاً اما في اللفظ فلأن اليآء لا وجه لقلبها همزةً في مثل هذا اذ لا يقال في جمع قيمة مثلاً قِئَم واما في المعنى فلان الميرة معناها الطعام والمئر جمع مِئرة بالهمزة ومعناها الحقد والعداوة والنميمة وشتان بين الطعام وهذه المعاني وان كانت منزلتها من بعض الناس منزلة الطعام ......

آثار ادبيّة

حياتنا التناسلية — انتهت الينا نسخةٌ من كتابٍ بهذا العنوان تأليف حضرة الفاضل الدكتور سعيد ابي جمرة نزيل اميركا . ولا حاجة الى تعريف ما يتضمنهُ هذا التأليف فان عنوانهُ يدل على موضوعهِ وهو من المواضيع الخطيرة التي قلّ من كتب فيها في هذه البلاد واخرجها من الاسفار الطبيّة الى سفرٍ تتداولهُ ايدي العامّة . وقد استقرى المؤلّف فيهِ كل ما يهمّ ذكرهُ وتفيد معرفتهُ من متعلقات الموضوع المشار اليهِ وشرحهُ شرحاً بيّناً على نحو ما يلقّنهُ دارسو التشريح وعلم منافع الاعضآء مع ذكر كل معنًى بلفظهِ الصريح دون توريةٍ ولا كناية . وهذا ولا جرم مما لا بُدّ منهُ لتوفية حق الفائدة المقصودة من الكتاب بحيث يكون الكاتب مطلق قياد القلم فيما يقرّرهُ من المعاني ويكون المطالع على بيّنةٍ مما يقرأ دون لبسٍ ولا جمجمة حتى يتسنى لهُ ان يكون طبيب نفسهِ فيما يعزّ عليهِ ان يواجه الطبيب فيهِ ونذيرها من امورٍ قد يكون غافلاً عنها لجهلهِ عواقبها

فنثني على حضرة المؤلف بما هو اهلهُ ونرجو لكتابهِ هذا مزيد الرواج وهو يباع في مكتبة الهلال وسائر مكاتب القاهرة وثمن النسخة منهُ اثنا عشر غرشاً مصرياً

فكاهات

الزوج الخيالي (١)

لكتّاب الانكليز في الرحلات والاسفار اقاصيص غريبة ونوادر عجيبة يتوق المرء الى مطالعتها والتفكه بتلاوتها ونحن الآن موردون شيئًا من هذا القبيل نقلاً عن كتاب وضعهُ المؤلف الشهير وشنجتون ارفنج الاميركاني وضمنهُ ما شاهدهُ اثناء رحلتهِ في البلاد الانكليزية

حدّث الراوي قال شخصت مرةً الى بلاد الفلمنك وبينما انا اتجول في انحائها متنقلاً من بلدةٍ الى اخرى مررت بقرية صغيرة ذات مناظر جميلة فألقيت فيها عصا الترحال وكان قد اقبل المساء فقصدت فندقها لاستريح من وعثاء السفر واتناول شيئًا اسد بهِ رمقي . فلما دخلت ردهة الطعام لم اجد فيها احدًا لان جميع المسافرين كانوا قد فرغوا من العشاء وذهب كلٌّ الى مضجعهِ فجلست ولا انيس لي في احدى زوايا الردهة وكان ينيرها مصباح ضئيل . ولما فرغت من الطعام شعرت بأن الليل سيطول عليَّ في تلك الوحدة فناديت صاحب الفندق وطلبت منهُ ان يأتيني بشيءٍ من الكتب والجرائد اتعلل بهِ فأحضر لي توراةً باللغة الهولندية وتقويمًا وعددًا من الجرائد الفرنسوية القديمة العهد . وبينما كنت اتصفح احداها وانا بين يقظٍ ونائم فلا اجد فيها الا اخبارًا ساقطة وانتقادات تافهة كانت تطرق اذني من حين الى حين اصوات ضحك يظهر انها كانت صادرة من جهة المطبخ . وكل من ساح في البلاد يعلم كم يلذ للمسافرين الذين من الطبقة الوسطى أو السفلى الاجتماع في مطبخ الفندق لا سيما في فصل الشتاء حيث يستحب الدفء عند المساء . فألقيت في

---

(١) ملخصة عن الانكليزية بقلم زكي افندي حاتم من موظفي نظارة الاشغال العمومية بمصر

الحال الجريدة من يدي واتجهت في طريق المطبخ لانظر ذلك الجمع الذي علا ضجيج سروره وضحكه . فرأيت فيهِ بعضاً من المسافرين الذين قدموا قبلي بساعات وغيرهم من المقيمين في الفندق وكانوا جالسين الى موقد عظيم فوقهُ عدةٌ من آنية المطبخ وكلها نظيفة لامعة وفي وسطها ابريق شاي كبير جدًّا من النحاس الاصفر وفي اعلى الغرفة قنديل ينبعث منهُ نور ساطع يضيءُ على الجماعة فتظهر للعيان هيئة الافراد وبعضها من الغرابة بمكان . وكانَ في ذلك الجمع فتاةٌ هولندية حسناء يزين آذانها قرطان من الذهب وفي عنقها عقد يتدلى منهُ قلب من الذهب ايضاً وهي التي ترأس الحفلة . وكان اكثر الحضور يدخنون في غلايين وكثيرون منهم يتناولون شراباً طيباً . وقد لاحظت ان السبب في سرورهم هذا ما يقصهُ عليهم من نوادره الغرامية شابٌّ فرنسوي اسمر اللون نحيف الجسم كبير الشاربين وفي نهاية كل حكاية يستغرق الجميع في الضحك . فلم أرَ بدًّا من الانضمام اليهم لاني لم اجد طريقة اخرى لقضاء تلك الليلة المملة فجلست بالقرب من الموقد لسماع احاديث المسافرين التي كان بعضها يفوق حد التصور واغلبها مما تضيق لهُ النفس لسخافتهِ . ولقد نسيت اغلب تلك الاقاصيص ما عدا واحدةً منها رسخت في ذهني وسأوردها هنا . غير اني اخشى ان يكون ما وجدتهُ فيها من الطلاوة ناشئاً عن طريقة سردها وما اتصف بهِ راويها من حسن الالقاء وهو رجل ممتلئ الجسم طاعن في السن من اهالي سويسرا يظهر عليهِ انهُ ساح طويلاً فرأى كثيرًا . وكان مرتدياً سترة خضراء ومتنطقاً بزنار عريض يتلوهُ لباسٌ تزينهُ ازرارٌ عديدة . وهو اسمر الوجه عريضهُ غليظ الذقن اقنى الانف برّاق العينين خفيف الشعر على رأسهِ قبعة عتيقة من القطيفة الخضراء تميل لاصقةً على الجانب . وكان قدوم المسافرين يقطع عليهِ الكلام تارةً وما يبديهِ السامعون من الملاحظات يقطعهُ عليهِ تارةً اخرى وقد يقف فجأةً عن الحديث لحشو غليونهِ وهي فرصةٌ تمكنهُ من النظر الى خادمة المطبخ بعينٍ ملؤها الخبث ويعقب ذلك مزاحٌ حشوهُ المكر . ولقد كنت اودّ ان يرى القارئ الكريم محدّثي هذا وهو غارق في كرسيهِ الكبير ومتكئ على احدى ذراعيهِ وبيدهِ غليون مضفور

الشكل محلى بعروق الفضة واشرطة الحرير وهو يقص الحكاية التالية وهي هذه

كان في قديم الزمان قصرٌ فخيم قائم على قمة جبلٍ من جبال اودنولد وهي ناحية مقفرة من بلاد جرمانيا العليا وكان يسكن ذلك القصر رجلٌ من الاشراف يدعى البارون ڤون لندشورت . وقد طمس الدهر آثارهُ وغشيتهُ الاشجار والادغال البرية فعفّت معالمهُ ولم يبقَ منهُ سوى البرج المطلّ الذي لم يزل الى الآن رافعاً رأسهُ الى العلآء وهو يشرف على سهل قريب وكأنهُ ينازل الدهر ويصارع الايام كما كان ينازلها صاحبهُ . وكان ذلك البارون آخر خلفٍ لأُسرةٍ كريمة الحسب عريقة النسب ورث عنها مع المال والعقار كل ما اتصف بهِ اجدادهُ من الكبرياء والعظمة . على ان الحروب التي كان اسلافهُ يثيرونها اضاعت معظم املاك اسرتهِ الا ان البارون كان لا يألو جهداً في القيام بمظاهر الرفعة والجاه التي كان عليها اجدادهُ . وكان السلم حين ذاك ناشراً اعلامهُ ولذلك هجر شرفآء الالمان قصورهم القديمة التي لم تعد تليق بمقامهم السامي لانها كانت اشبه بأعشاش النسور فوق اعالي الجبال وشادوا لانفسهم صروحاً فخيمة في الاودية والسهول . بيد ان البارون كان لا يزال متحصناً في قلعتهِ الصغيرة المنيعة ولم يكن لهُ همٌّ سوى الاطلاع على اخبار الحروب والمنازعات التي كان اجدادهُ يديرون رحاها بين الاسر الشريفة ولذلك كان مبتعداً عن بعض جيرانهِ الاقربين بسبب مخاصمات كانت قد حدثت بين اجدادهِ واجدادهم

ولم يُرزَق البارون سوى ابنةٍ وحيدة الا انها كانت درة يتيمة وقد قام بتهذيبها وتثقيفها عمتان لها كانتا لا تزالان غير متزوجتين وقد قضتا شطراً من شبيبتهما في بلاط احد امرآء الالمان فكانتا عارفتين بجميع الآداب اللازمة لتربية سيدة شريفة وقد اقتبست ابنة البارون من تعاليمهما ما جعلها في درجةٍ من الكمال لا يجاريها فيها احد . ومع ان البارون لم يرزق من الاولاد سوى هذه الابنة فانهُ كان واسع الرحاب يضم ناديهِ كثيرين من الاصحاب والاقربآء المعوزين فكأن العناية بخلت عليهِ بكثرة النسل واعاضتهُ ما يشتهيهِ من الاهل والصحب . وكان اغلب اولئك في ضيق من العيش فكانوا يغتنمون الفرص كلما سنحت ويفدون جموعاً ووحداناً الى القصر

فيحيون دارس اطلالهِ ويعيدون اليـهِ سابق عزهِ وجلالهِ من فضل البارون ووافر كرمهِ . فاذا حلت الاعياد جآءوهُ بقلوب فرحة وثغور بواسم فيتم الاحتفـال على ايديهم ولا يدّخر شيئًا لارضآئهم فيأكلون مريئـاً ويشربون هنيئًا وهم يرون انهُ لا شيء في الدنيا ابهج واحلى من تلك الاجتماعات الاهلية التي يودّعونها سنةً ويستقبلونها اخرى . وكان البارون قصير القامة الا انهُ كان كبير الهمة كريم النفس ممتلئًا غبطةً لعلمهِ انهُ اعظم رجل في ذلك العالم الصغير الذي يحيط بهِ . وكان شديد الولع بسرد الاقاصيص عن اولئك الفرسان الصناديد الذين عاشوا في الازمان السالفة وكانت صورهم معلقة على الجدران وهي تنظر بوجوه عابسة . وكان لا يجد اكثر اصغآء لحديثهِ من الذين كانوا يأكلون على نفقتهِ وكان شديد الميل الى سماع الحوادث الغريبة المدهشة يعتقد بجميع الروايات الخارجة عن حدود التصور والتي لا يخلو منها جبل أو وادٍ ببلاد جرمانيـا . وكان اعتقاد ضيوفهِ في تلك الحكايات يفوق اعتقادهُ فانهم كانوا يصيخون لتلك الخرافات وكلهم آذان واعية ولا يقصرون عن ابدآء استغرابهم ولو أُعيدت الحكاية مئة مرة . فهكذا كان يقضي البارون ڤون لندشورت ايامهُ وكان اذا تكلم على المائدة عُدَّ كلامهُ وحيًا منزلاً واذا ذهب لتفقد اراضيهِ كان ملكاً معظمًا ولكنهُ فوق ذلك كلهِ كان يعتقد في نفسهِ انهُ احكم رجل على وجه البسيطة واعتقادهُ هذا كان يجعلهُ اسعد الناس

قال الراوي وحدث في ابان ذلك الوقت اجتماع عظيم في القصر حضرهُ جميع الاهل والاقارب للاهتمام بمسألة من اهمّ المسائل الا وهي اعداد المعدّات اللازمة لاستقبال خطيب ابنة البارون . وكانت قد سبقت المفاوضات بين ابي الفتاة وامير طاعن في السن من اشراف باقاريا في شأن قران ولديهما وقد تمت رسوم الخطبـة على ما يليق بذينك البيتين الكريمين غير ان الخطبة عُقدت بدون ان يرى العروسان بعضهما بعضاً . وقد حُدّد يوم الزفاف واستُقدم الكنت ڤون ألتنبرج الشاب من الجيش لذلك الغرض ووردت منهُ رسائل عديدة تنبئ بوصولهِ الى بلدة ورتزبرج ويذكر فيها اليوم والساعة اللذين ينتظر قدومهُ فيهما . فكان القصر في حركة

واستعدادٍ عظيمٍ لاستقبال الكنتِ استقبالاً باهرًا بالغًا حد النهاية من الابهة والجلال اللائق بمقامهِ السامي . اما العروس فقد زينت زينة فاخرة فوق ما هي عليهِ من الجمال الباهر وقد تولت عمتاها اعداد ما يلزمها من الحلى والحلل وتخير انواع الجواهر وضروب المصوغات حتى جاءَت زينتها فائقة الوصف لم ترَ العين اجمل منها

ولم يكن البارون بأقل اهتمامًا من بقية اهل البيت وعلى الحقيقة انهُ لم يكن لديهِ شيءٌ يفعلهُ غير انهُ كان بالطبع سريع التأثر محبًّا للحركة فلا طاقة لهُ على السكوت اذا كان جميع الناس في شغل . فكان يتفقد جميع انحآء القصر وعلى وجههِ سمات الضجر والقلق فيدعو اليهِ الخدم في اثنآء العمل ليحثهم على الاسراع وكان صوتهُ يدوي في جميع الغرفِ والردهات كالنحلة الزرقآء في يوم قيظ لا يقرّ لها قرار ولا يسكن لها طنين

وبينما هم في انتظار الخطيب ذُبحت الذبائح وطاف الصياديون في الغابات لصيد ما عز وطاب فضاق المطبخ على رحبهِ بأنواع المأكولات الشهية . اما عن الخمور المعتقة والمشروبات الفاخرة على اختلاف انواعها فحدث ولا حرج فقد أُعدكل شيء لاستقبال الضيف الكريم بما جبل عليهِ اشراف جرمانيا من كرم الطباع . ولكن الضيف ابطأ في الحضور فمرت الساعات تباعًا ومالت اشعة الشمس التي كانت ناشرة ردآءها الذهبي فوق الغابات والغياض حتى توارت اخيرًا ورآء قمم الجبال . فحار البارون في امرهِ وصعد الى اعلى برج في قصرهِ وحدّق بنظرهِ في الفضآء لعلهُ يرى الكنت قادمًا عن بُعد هو واتباعهُ . وكان نور الشفق على وشك الزوال وقد بدأت طيور الليل سيرها المعتاد ثم خيم الغسق وكادت الطريق تختفي عن الابصار ولم يعد يرى فيها شبحًا يتحرّك سوى البعض من الفلاحين راجعين الى منازلهم للراحة بعد عنآء الاعمال

وبينما كان الاضطراب والقلق مستوليين على اهل القصر اذ جرت واقعة ذات بال في جهةٍ اخرى من تلك الجبال . وذلك ان الكنت فون ألتنبرج وهو الخطيب الشاب كان قادمًا نحو خطيبتهِ آمنًا مطمئنًّا يسير على مهل كرجلٍ وجد

من الانسباء مَن اخذوا على عاتقهم مهمة انتقاء الزوجة وعقد الخطبة فكان واثقاً ان خطيبتهُ بانتظارهِ كما يثق المرء من طعام يجدهُ عند رجوعهِ الى منزله بعد سفرٍ طويل . فصادف في طريقهِ الى بلدة ورتزبرج شابًّا من رفقائهِ في الحرب اسمهُ هرمن ڤون ستاركنفوست وكان راجعاً من ساحة الوغى بعد ان خاض غمارها وقصر ابيهِ لا يبعد كثيرًا عن قصر البارون غير ان المخاصمات القديمة التي كانت بين اسرتهِ واسرة البارون قطعت اوصال كلّ رابطةٍ بين الاسرتين فعاشت كل واحدة منهما بمعزل عن الاخرى

فلما اتصلت المعرفة بين هذين الشابين اخذ كلٌّ منهما يقصّ على صاحبهِ ما حدث لهُ من الاهوال والمخاطر وما صادفهُ من الشدة والرخاء فقص الكنت على رفيقهِ جميع تفاصيل زواجهِ الغريب وخطبتهِ لفتاةٍ غضة الشباب لم يكن قد رآها بعد بل سمع بأوصافها التي يصاغ فيها من المديح قصائد . ولما كانت وجهة هذين الفارسين واحدة اتفقا على ان يسيرا معاً بقية سفرهما فغادرا مدينة ورتزبرج مبكرين حتى لا يضطرّا الى الاسراع في الطريق واصدر الكنت اوامرهُ الى اتباعهِ ان يأتوا بعدهُ ثم يلحقوهُ. فكانا يقطعان طريقهما في سرد اعمالهما الحربية وما شاهداهُ من المواقع وحدث لهما من النوادر . وما زالا يتجاذبان اطراف الحديث وينتقلان فيهِ من قديم الى حديث حتى توغلا في جبال اودنولد وعبرا طريقاً منفردة وسط اشجار غابة كثيفة . ومن المعلوم ان غابات جرمانيا كانت ملأى باللصوص وقطاع الطرق كما كانت قصورها مسكونة بالخيالات والجن . وكان اللصوص في ذلك الحين منتشرين في طول البلاد وعرضها يعيثون فيها فسادًا فلا غروَ اذا فاجأ هذين الفارسين في وسط تلك الغابة الملتفة جماعة من اولئك القوم اللئام . فدافعا عن انفسهما دفاع الابطال حتى خارت قواهما واذ ذاك وصلت حاشية الكنت فلاذ اللصوص بالفرار ولكن بعد ان جرحوا الكنت جرحاً مميتاً . فحملوهُ على الاكتاف والاعناق قافلين الى مدينة ورتزبرج واستدعوا لهُ في الحال راهباً من احد الاديار القريبة من المشهود لهم بالبراعة في تطبيب الروح والجسد معاً . ولكن ذلك الراهب لم يحتج معهُ الا الى

احد شطري براعته فان ساعات الكنت كانت معدودة . ولما شعر بدنو اجله دعا اليه صديقهُ وتوسل اليه ان يذهب في الحال الى قصر لندشورت ويقص عليهم واقعة الحال ويبلغهم سلامهُ واعتذارهُ . فأخذ صديقهُ يطيب خاطرهُ بعذب الكلام ويحيي في فؤاده ميت الآمال ووعدهُ وعدًا صادقًا ان يعمل بما اوصاهُ بهِ واعطاهُ يدهُ ميثاقًا على ذلك فضمها الكنت وهو في حالة النزع دليلاً على شكرهِ لهُ . ثم ما عتم ان انتابتهُ نوبة الهذيان فجعل يهذي بذكر حبيبته وبوعوده وعهوده وهمّ بطلب جوادهِ ليمتطيهُ ويذهب في الحال الى قصر لندشورت ولكن خانتهُ قواهُ وهو يحاول في الحلم تسنم السرج وفاضت روحهُ الى خالقها

فتنهد الرفيق الصديق عن احرّ من الجمر وبكى بكآء الشجعان على حظ ذلك الكنت التعس الذي قصفت المنية غصن شبابهِ الرطيب وحرمتهُ سعادة الحياة . ثم اخذ يفكر في تلك المهمة المشؤومة التي اخذ على عهدتهِ القيام بها فضاق صدرهُ وضاع رشدهُ لانهُ مضطرٌ ان يذهب بنفسهِ ضيفًا ثقيلاً بين قوم معادين ويلقي على مسامعهم ذلك النبأ السيء فيبدل افراحهم اتراحًا ونعيمهم بؤسًا

ولنرجع الى حديث تلك الاسرة القديمة اسرة العروس التي كانت تنتظر على مثل الشوك قدوم ضيوفها الكرام للجلوس على تلك الموائد الفاخرة التي كانت أُعدت لذلك الاحتفال ونشاهد البارون الفاضل الذي تركناهُ يرصد من اعلى البرج قدوم ضيوفهِ . فلما سدل الليل جلبابهُ ولم يطرق الباب طارق هرول نازلاً من مرصدهِ وسمات الكآبة واليأس بادية على محياهُ . ولم يعد في الامكان تأخير الوليمة اذ مضى على الميعاد المضروب بدل الساعة ساعات فكانت اللحوم قد بلغت اقصى درجات النضج والطهاة قد عيل صبرهم وخلاصة القول ان جميع من في القصر كانوا اشبه بجرس اضناهُ الجوع واستولى عليهِ الضجر والقنوط . فاضطر البارون اخيرًا بالرغم عنهُ ان يأمر بمدّ الموائد ولو لم يحضر الضيوف فجلس الجميع للطعام . وبينما هم على وشك الشروع في الاكل اذ سُمع صوت بوق من خارج الباب الكبير مؤذنًا بقدوم غريب وتبع ذلك نفخة بوق ثانية ملأت الاسماع ودوى صداها في جميع انحاء

القصر . فاسرع الحارس بالجواب من اعلى الاسوار وللحال هرع البارون لاستقبال خطيب ابنته . فوصل الغريب الى الدار وكان فارساً جميلاً طويل القامة ممتطياً جواداً اسود غير انهُ كان ممتقع اللون مع حدة في النظر ذات معنى خفي ودلائل السآمة والكآبة ظاهرة عليهِ كمن يفكر في امر ذي بال . فاستآء البارون اذ رآهُ في ذلك الزيّ البسيط وليس معهُ حاشية ولا خدم وتبادر الى وهمهِ ان الفارس يسخر بهِ وبالاسرة المجيدة التي جآء يخطب ودها وقرابتها اذ لم يراعِ المقام ولم يحفل بالعرس . غير انهُ عاد فلام نفسهُ على ذلك الظن وحمل هذا الصنيع من الفارس على نزق الشباب وعظيم شوقهِ الى رؤية من يهواها فتقدم عن اتباعهِ واقبل منفرداً

وبينما كان البارون يفكر في ذلك خاطبهُ الفارس قائلاً انهُ ليسوءني ان احضر في وقت غير ملائم كهذا . فقاطعهُ البارون بعبارات التشكر ورحب بهِ احسن ترحيب اذ كان على الحقيقة ذا ادبٍ وظرف مع فصاحة لسان يفتخر بها على الدوام. فحاول الغريب مراراً ان يستوقف سيل حديثهِ المنهمر ليبلّغهُ رسالتهُ ولكن على غير جدوى فاضطرّ اخيراً ان يطرق برأسهِ ولا يعارض التيار في سيرهِ . ولما وقف البارون عن الكلام هنيهةً ليستريح وكانا قد وصلا الى داخل القصر اراد الغريب ان ينطق بما يكنهُ ضميرهُ ولكنهُ ما لبث ان عاد الى السكوت عند ما رأى ربات المنزل قادمات اليهِ وبصحبتهنَّ العروس وهي تضطرب وقد صبغ الحيآء وجنتيها فحدّق بنظرهِ اليها وهي تميس كغصن البان فبهت لجمالها الفتان واحس في الحال بان تلك الغادة الحسنآء قد ملكت لبهُ وسبت فؤادهُ . ثم التفتت احدى عمتيها نحوها وأسرَّت كلمات في اذنها فاجهدت نفسها للكلام ورفعت طرفاً ذابلاً ملؤهُ الحيآء ووجهتهُ بخجل نحو ذلك الغريب لتتفحصهُ ثم اطرقت الى الارض ولم تستطع ان تفوه ببنت شفة ولكن ثغرها العذب افترّ عن ابتسامةٍ كانت من الشهود العدول بانها سرت لرؤية ذلك الشاب ومال فؤادها اليهِ . وكان قد مضى الهزيع الاول من الليل فلم يكن ثمّ مجال للحديث فتقدم البارون وطلب ارجآء ذلك الى الغد ودعا الجمع الى الوليمة التي لم تكن مُدَّت اليها يدٌ بعد .وقد أُعدت في ردهة القصر

الكبرى وكانت صور ابطال ذلك البيت الكريم معلقة على الجدران وبجانبها شعارات غزوهم في الحرب والصيد . اما الفارس فانهُ لم يحفل كثيرًا بمضيفيهِ ولم يشاركهم في فرحهم وقلما ذاق شيئًا من الطعام بل كانت كل افكارهِ متجهة نحو محبوبتهِ البديعة وكان يظهر لها من الانعطاف الممزوج بالوقار واللين المقرون بعزة النفس ما أسر فؤادها وملك قيادها . فكانت وجنتاها يعلوهما الاحمرار تارةً وطورًا وهي تصغي اليهِ بكل انتباه وتجاوب احيانًا على اسئلتهِ مع الخجل الزائد . واستمر القوم في جذل وضجيج ما عليهما من مزيد لان ضيوفنا الكرام كانوا من ذوي النهم الشديد الذي يصيب فارغي الجيوب وساكني الجبال ولم يدّخر البارون شيئًا من القصص الفكاهية والنوادر الغريبة الا رواهُ واطال في شرحهِ . وكانوا اذا حدثهم بشيء عجيب اعترتهم الدهشة والاستغراب واذا جآءهم بملحةٍ مضحكة استغرقوا في الضحك. وظل الجميع في فرح ومرح الا الغريب فان ثغرهُ لم يفترّ عن ابتسامةٍ واحدة بل كان يزداد عبوسًا وانقباضًا وقد ظهرت عليهِ دلائل الضجر والملل التي كانت تزداد وضوحًا بمرور الساعات وكلما كان البارون يسترسل في المزح كان هو يتمادى في الكآبة والقلق غارقًا في بحار الافكار وبعد ان كان يحادث العروس بانشراح صدر اصبح كلامهُ معها جافيًا فقطبت للحال حاجبيها وسرت في ذلك الجسم اللطيف رعشة لم تخفَ عن اعين الحاضرين فسكن جأش سرورهم اذ لم يفقهوا معنى او يجدوا سببًا لذلك الانقلاب الغريب . وروى البارون حكايات مختلفة منها حكاية الفارس الشيطان الذي اختطف ليونورا الجميلة وهي قصة فظيعة ولكنها حقيقية قد نظمت من ذلك الوقت شعرًا فيقرأها الناس اجمع لطلاوة شعرها ويصدقون كل ما جآء فيها

وكان الغريب يصغي لتلك الحكاية شاخصًا بنظرهِ الى البارون ولما انتهت القصة نهض من مكانهِ وتنفس الصعدآء ثم ودع الحضور وهمّ بالخروج . فذهلوا لذلك المنظر وكأن صاعقة انقضَّت على البارون فصاح قائلاً ما هذا وما الذي ارى أيريد ان يغادر القصر وقد تناصف الليل وكل شيء مهيّأ لاستقبالهِ على الرحب والسعة . فهزّ الغريب رأسهُ بحزن وسكون ثم حيّا الجمع يمينًا وشمالاً وخرج فسار البارون

ورآءَهُ حتى اوصلهُ الى ساحة القصر الخارجية حيث كان جوادهُ بانتظارهِ ولما قربا من الباب الخارجي وقف الغريب وخاطب البارون بصوتٍ عميقٍ جعلتهُ وحدة ذلك المكان اشبه بصوتٍ خارجٍ من القبور وقال لهُ نحن الآن وحدنا لا ثالث معنا فاريد ان اوضح لك سبب ذهابي فاعلم انني وعدت وعداً صادقاً وانا لست ممن يخلفون وعدهم و . . . . فاجابهُ البارون للفور ولكن الا تقدر ان ترسل مَن يقوم مقامك . فقال الغريب ان الامر لا يحتمل الانابة بل يجب ان اذهب بنفسي الى كنيسة ورتزبرج الكبرى . فقال ولكن الا تنتظر الى الغد فتذهب الى الكنيسة بعروسك . فقال الغريب لا لا ان وعدي ليس مع عروس تصحبني بل النعش ينتظرني وحدي فانا رجل ميت وقد قُتلت بخناجر اللصوص وجثتي الآن موجودة في ورتزبرج وموعد دفني في نصف الليل تماماً . ثم وثب فوق ظهر جوادهِ وما عتم ان غاب عن الابصار . فرجع البارون الى ردهة الاجتماع وقد طار فؤادهُ شعاعاً ثم قص ما رأى بعينيهِ وسمع باذنيهِ واذ ذاك أُغمي على سيدتين وفزع الباقون فزعاً شديداً عند ما علموا انهم نادموا خيال رجل من عالم الاموات وكثرت بينهم التأولات والظنون وجعلوا يخوضون فيما يكون وما لا يكون

ولما كان الغد وردت على البارون الرسائل من ورتزبرج تثبت قتل الكونت الشاب والاحتفال بدفنهِ في كنيسة المدينة فعم حينئذٍ الحزن جميع سكان القصر وكبر عليهم الخطب . اما البارون فانهُ اعتزل في غرفتهِ الخصوصية ولم يقابل احداً او يقبل عزآءً واما العروس التي قضى عليها نكد الطالع ان تترمل في ابان شبابها فكانت في حالة يرثى لها من الغم والكدر وقد ملأَت القصر بنواحها ونحيبها ولم يبقَ احد الا ورثى لحالها ورقَّ لمصابها

وفي مسآء اليوم التالي لترملها احتجبت في مقصورتها ولم تسمح لاحد بالبقآء معها سوى احدى عمتيها التي الحت ان تنام معها . وكانت تلك العمة من اشهر قصاصي حكايات الجن في جرمانيا فاخذت تقص عليها قصةً من اطول قصصها الا انها لم تكد تصل الى نصفها حتى غلب عليها النعاس فنامت . وكانت غرفتها بمعزل عن

بقية الغرف وهي تشرف على حديقة صغيرة فاتكأت الفتاة الحزينة على مسند لها واطلقت لافكارها العنان وهي تنظر الى ضوء القمر المشرق على الاشجار وقد دقت ساعة القصر معلنة ان قد تناصف الليل . وحينئذٍ سُمع صوت نغم موسيقي آتٍ من الحديقة فنهضت في الحال ومشت نحو النافذة بخفة ورشاقة ولما اطلت منها رأت شبحًا طويلاً واقفًا بين ظلال الاشجار فلما رفع رأسهُ اضاء نور القمر محياهُ فاذا هو خيال خطيبها . وفي الوقت نفسهِ قرع اذنها صرخةٌ هائلة وهي صرخة عمتها فانها كانت قد استيقظت على صوت الموسيقى وتمشت نحو النافذة فلما رأت الشبح صرخت وسقطت بين يديها . ولما نظرت ثانيةً الى الحديقة كان قد غاب الشبح

ولما افاقت العمة من ذهولها اقسمت ان لا تنام مرة اخرى في تلك الغرفة واما الفتاة فصممت كل التصميم ان لا تنام في غير تلك الغرفة من القصر فكانت بعد ذلك تنام فيها وحدها لكنها اخذت على عمتها عهدًا ان لا تذكر قصة الخيال لاحد لئلا تحرم ايضًا تلك اللذة المحزنة التي بقيت لها في الحياة الدنيا ألا وهي اقامتها في الغرفة التي يطوف حولها خيال حبيبها في الليل ساهرًا عليها كملكها الحارس

ومع ولوع تلك العمة باخبار الغرائب فانها خالفت سنة النساء وكتمت امر تلك الحادثة اسبوعًا كاملاً كما يذكر ذلك جيرانها الى الآن حتى حدث ما جعلها بغتةً في حلٍّ من وعدها واباح لها افشاء ما كان يكنهُ ضميرها . وذلك أن داهم سكان القصر وهم يتناولون طعام الصباح خبر اختفاء الشابة الحسناء فانها لم توجد كالعادة في غرفتها ولم تنم في فراشها بل كانت النافذة مفتوحة والطائر خارج القفص

وهنا يعجز القلم عن وصف ما اصاب القوم من الدهش عند ما بلغهم ذلك الخبر المشؤوم وفيما هم على هذه الحالة وهم مبهوتون من الحزن والغم اذ ضمت العمة يديها كمن يستغيث وقد كان المصاب ألجم لسانها ثم صرخت قائلةً الجنّ . الجنّ . ان الجن قد اختطفتها . ثم قصت بعبارة وجيزة حادثة الحديقة المخيفة واستنتجت من ذلك ان الخيال لا بد ان يكون قد اختطف عروسهُ . وعضدها في زعمها هذا اثنان من الخدم حققا انهما سمعا وقع حوافر جواد نازل من الجبل في منتصف الليل

ولا شك عندهما ان ذلك كان الخيال بعينهِ وانهُ اختطف سيدتهم ليذهب بها الى القبر . فمال اغلب الحاضرين الى تصديق تلك الاقاويل لتعدد الحوادث التي من هذا القبيل في بلاد الالمان فيصدقها الناس كما يصدقون الحوادث التاريخية ذات الشهود العدول

اما عن حزن البارون وغمهِ فلا تسل فانهُ قد ايقن ان ابنتهُ الوحيدة فلذة كبدهِ وحشاشة قلبهِ لا بد ان يكون قد اصابها احد خطبين فاما انها اصبحت من سكان القبور او انهُ صاهر احد الجن من سكان الغابات وربما اصبح جدًّا لزمرةٍ من صغار العفاريت . ففزع لهذا الفكر فزعاً شديداً كما هي عادتهُ وامر رجالهُ ان يمتطوا خيولهم في الحال ويفتشوا في جميع الطرق والمفارق وبطون الاودية لعلهم يقفون على اثر سيدتهم . ولم يطق هو نفسهُ الانتظار فاحتذى حذاءهُ الطويل وتقلد سيفهُ البتار وتحفز لركوب جوادهِ المطهم للبحث عن ضالتهِ المنشودة ودرتهِ المفقودة واذا بشبح قادم عن بعد استوقف بصرهُ واضطرهُ للانتظار قليلاً . ولم تكن الا طرفة عين حتى ظهرت سيدة راكبة فرساً جميلاً وبجانبها فارس على صهوة جوادهِ وهما يقصدان القصر . اما السيدة فانها اخذت تعدو عدوًا حثيثًا نحو الباب الكبير حيث كان البارون واقفاً حتى اذا وصلتهُ ترجلت في الحال ثم انطرحت على قدميهِ وقبلت ركبتيهِ فاذا هي ابنتهُ المفقودة ورفيقها « الزوج الخيالي ». فاعترت البارون الدهشة وتلعثم لسانهُ وكان ينظر تارةً الى ابنتهِ وطورًا الى الخيال وظن نفسهُ في اضغاث احلام . وقد ظهر الخيال في عينيهِ هذه المرة احسن هنداماً والطف منظرًا من قبل فان لباسهُ كان فاخرًا ولم يكن في وجههِ اثر لذلك الاصفرار او لتلك الكآبة التي كانت تلوح في السابق عليهِ بل كان جمال طلعتهِ يمثل شباباً غضاً وعيناهُ السوداوان الواسعتان تنبعث منهما اشعة الفرح والسرور

ولم يبقَ حين ذاك محل للكتمان فان الفارسَ الذي لم يكن في الحقيقة جنياً كما ظهر من سياق الحديث عرَّف البارون بانهُ السر هرمن فون ستار كنفوست ثم قص ما اتفق لهُ مع ذلك الكنت الشاب الذي اغتالتهُ ايدي اللصوص الاثيمة وكيف

اسرع الى القصر ليخبر بواقعة الحال ويعلن النبأ المشؤوم الا ان فصاحة البارون وطلاقة لسانهِ منعتاهُ عن سرد حكايته . وكيف اسرت العروس فؤادهُ وملكت حواسهُ حتى لم يعد ينتبه الى مجاملة اهل القصر . ثم كيف حار في امرهِ لما اراد الانصراف ولم يدرِ كيف يسوغ لهُ ان يترك ذلك المحفل الحافل واي الاعذار يبدي كي لا يخل بآداب السلوك حتى انتشلهُ البارون نفسهُ من تلك الورطة بما قصهُ عليهِ من حوادث الجن والعفاريت فهي التي اوحت اليهِ سبيل الانسحاب على تلك الصورة الغريبة . ثم انهُ خوفاً من التعرض لغضب اسرة البارون وانتقامها كان يزور القصر خلسةً ويتردد على الحديقة التي تشرف عليها نافذة الغادة الحسناء تحت جنح الظلام حتى استمالها وفاز برضاها وفرّ بها على اجنحة الفوز هارباً ثم عقد عليها واصبحت حليلتهُ

ولو اتفق للبارون ذلك في احوال غير هذه لما قبل شفاعةً لانهُ كان صعب المراس غيوراً على سلطتهِ الابوية شديد التمسك بامر الضغائن القديمة ولكنهُ فوق ذلك كلهِ كان يحب ابنتهُ حبًّا شديدًا وقد انتحب لفقدها فسرّ لرؤيتها حيةً وحمد الله على ان زوجها لم يكن من طائفة الجنّ ولو كان من اسرةٍ معادية لأسرتهِ

ولما انجلت تلك الوساوس ولم يبقَ ما يوجب الابتئاس صفح البارون عن الزوجين الشابين اساءتهِ واعيدت مجالي الانس في القصر وطفق اقارب البارون يجلّون ويكرمون ذلك العضو الجديد في العشيرة ويكثرون من التودد اليهِ والاعجاب بهِ لانهُ كان معدن ظرف وادب كريم الطباع واسع الثروة . ولم يشقّ ذلك الحادث الاّ على احدى عمتي العروس لضياع قصتها الغريبة ولا سيما وان ذلك الخيال كان الخيال الوحيد الذي رأتهُ في حياتها وقد تبين لها انهُ لم يكن خيالاً حقيقيًّا . اما العروس فسرَّت سروراً عظيماً اذ وجدتهُ كان انساناً لا خيالاً وقد شفع عندها آخر ذلك الحادث في اولهِ وانستها حلاوة العاقبة ما لقيتهُ من المرارة السابقة

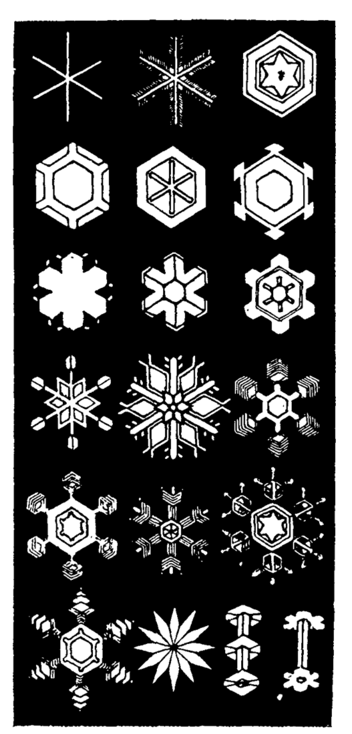
السُحُب وطبقات الهوآء

من المعلوم ان السُحُب تنشأ عن تكاثف الأبخرة المآئية المنتشرة في الجوّ وهو امرٌ تكلم عليهِ العلمآء قديماً وذكروا كيفية تكوّن السُحُب وانحلالها وانهمالها بالمطر والثلج وغيرهما ولكن كلامهم فيهِ لا يعدو كلامهم في سائر الامور الطبيعية مما أخذوا فيهِ بالنظر والحدس دون المشاهدة والاختبار فأصابوا مرّةً واخطأوا اخرى . على انهم يُعذَرون في ذلك لقلة ما كان بين ايديهم من الذرائع المبلّغة الى تحقيق هذه المباحث والموقوف منها على يقين ثابت ولذلك رأينا أن نلخص هذا الفصل في بيان ما توصّل اليهِ المتأخرون في هذا المعنى وما قرروهُ اعتماداً على الاختبار الحسّي بالصعود في المناطيد واستصحاب الآلات الدالة على درجات الحرارة والرطوبة وغيرهما مما يقتضيهِ هذا البحث

وقبل الخوض في ذلك نقول ان السُحُب في الجملة على نوعين أحدهما السحب المآئية وهي التي تسقط مطراً والثاني السحب الثلجية وهي التي يجمد فيها المآء فيسقط ثلجاً . أما البرَد فلا يدخل في هذا التقسيم لأنهُ يحدث باسباب عارضة ليس هنا محلّ ذكرها ولايخرج السحاب الذي يسقط منهُ عن هذين القسمين

فاما السُحُب المآئية فتتألف من ذرَّاتٍ من المآء اوكُريَّاتٍ مجهرية يتحول اليها البخار المنتشر في الجوّ اذا برد ما يتخللهُ من الهوآء على حدّ ما يتحول بخار النَفَس مثلاً في آونة البرد فيُرَى شبيهاً بالدخان . وهذه السحب

لا تختلف عن الضباب الا من حيث ان الضباب ينعقد على سطح الأرض والسحاب ينعقد في الجوّ وانما الفرق بينهما بالقياس الى موقف الناظر فان من نظر الى الضباب عن رأس تلّ او بناآء عالٍ رآهُ أشبه بمنظر السحاب المنبسط الا انهُ يرى الضباب من سطحهِ الأعلى ويرى السحاب من سطحهِ الأدنى . وكذا من نظر الى السحاب من قمة جبلٍ عالٍ او من ذهبية منطادرأى منظرهُ شبيهاً بالضباب واذا اخترق السحاب وهو صاعد في جبل او منطاد يرى منظرهُ من حولهِ كمنظر الضباب بلا فرق



واما السُحُب الثلجية فيتحول بخار المآء فيها الى بلّوراتٍ صغيرة من الجليد تتجمع على اشكال مختلفة فيتألف منها تارةً مسدَّسات قياسية كالتي تراها في الشكل هي جوالح الثلج التي تسقط من الجوّ وتكون تارةً على شكل ابرٍ دقيقة في الغاية تتركب منها السحب المعروفة بالطخاف على ما سيجيء ذكرهُ وهي التي اذا وقع عليها نور القمر او الشمس كانت

سبباً في ظهور الهالة او الطفاوة على ما سبق لنا شرحهُ في بعض اجزاء السنة الماضية

وقد اختلفوا في الكُريّات المائية التي يتركب منها النوع الأوّل من السحاب فقيل هي جوفاء مملوءة هواءً على حدّ نفّاخات الصابون وهذا هو السبب في بقاء تلك السحب معلقةً في الجوّ وهو مذهب هالي وجماعة من المتقدمين . وقيل هي مُصمتَة أي باطنها كلهُ ماء وهو الذي عليهِ جمهور العلماء المعاصرين ودليلهُ انهُ اذا أُخذت كُرَيَّة من كريات الضباب على جسمٍ خفيف ونُظر اليها بالمجهر وُجد انها تكسّر النور كما تكسرهُ العدسيات البلورية وهذا لا يكون الاّ اذا كانت مصمتة. قالوا وانما يبقى السحاب معلقاً في الهواء لان حركة الريح تمنع سقوطهُ كما يتحقق ذلك من وقف على قمة جبل عالٍ وهو محاطٌ بالسحاب فانهُ يرى انهُ عند سوق الريح لهُ تتحرك دقائقهُ حركةً افقية تابعةً لاتجاه مجرى الريح على حدّ ما يكون من الغبار الدقيق اذا حملتهُ الريح من مكانٍ الى آخر . وأما اذا كان السحاب ساكناً فانهُ على ما ظهر لهم بالمراقبة يكون دائم التغير والاستحالة فتخفى اجزاءٌ من بعض جوانبهِ وتظهر غيرها من جوانب اخرى فلا يثبت على حجم واحد ولا شكلٍ واحد واحياناً يضمحلّ من اصلهِ . وذلك انهُ مع سكونهِ في جملتهِ لا يخلو من حركةٍ مستمرّة في اجزائهِ فان الكريات التي يتألف منها تتساقط تساقطاً متواصلاً لكن في نهاية البطء لخفتها ومقاومة الهواء لها و بعد ان تسقط تمرّ في طبقات من الجوّ ارفع حرارةً واقلّ رطوبةً من الطبقة التي كانت فيها فتتبخر ثم يعود بخارها فيصعد لانهُ يكون حينئذٍ اخف من الهواء الى ان

يبلغ اعلى السحابة فيتكاثف وينضمّ الى سائر كريّات السحابة وعلى ذلك فالسحاب يخلّ ابداً شيءٌ من اسافلهِ ويتركب غيرهُ في اعاليهِ فيظهر كانهُ باقٍ بحالهِ. وهناك سببٌ آخر يبطئ بهِ سقوط الكريات المآئية ولو في مدة النهار وهو المجاري الحارّة المتصاعدة عن سطح الارض واظهر ما يكون فعل هذه المجاري على جوانب الجبال العالية وهي السبب في بقآء السحب الثلجية معلقةً في العنان

اما كيفية نشوء السحاب فان من راقب من اعلى جبل في مسآء يوم من ايام الصيف يرى عند ما يبرد الجوّ غيوماً يبدأ ظهورها على السهول وفي المواضع الرطبة ثم تتكاثف شيئاً فشيئاً حتى تستر ما تحتها من الارض فاذا هبّت في تلك الحال ريحٌ ارتفعت هذه الغيوم في الجوّ ووقفت في الغالب فوق الغياض وعلى الهضاب المرتفعة والذُرَى المنفردة وقد تسوقها الريح فتنتشر في الجوّ. وهي تتكاثر في مدة الليل حتى تغطي السمآء احياناً ومتى اشرقت الشمس في الغد وسخن الهوآء تنحلّ وتتبدد ويعود الجوّ الى صفآئهِ

وقد تنشأ الغيوم مباشرةً في الجوّ وذلك اذا تصاعدت ابخرةٌ حارّة من الارض فمرّت في طبقاتٍ من الهوآء ابرد منها او اذا تلاقت ريحان رطبتان تختلفان حرارةً وبرداً وهذا سبب الغيوم التي نراها احياناً قد ظهرت بغتةً في سمآءٍ صافية. وكثيراً ما ترى الغيوم طبقاتٍ بعضها فوق بعض وفي هذه الحال تختلف جهة مسيرها فتجري السفلى الى ناحيةٍ والتي فوقها الى ناحيةٍ اخرى واذ ذاك تكون كل واحدةٍ من الطبقتين مستقلةً عن صاحبتها. غير ان الغالب فيها ان الطبقة العليا تتولد من السفلى وذلك ان السفلى تتلق

الاشعة الحارّة الواقعة عليها من الشمس او المتصاعدة اليها من الارض فينحلّ منها اجزآءٌ تتصاعد الى ما فوقها ثم تنعقد بما هناك من البرد فينشأ عنها طبقةٌ اخرى من السحاب وقد يكون من هذه الطبقة مثل ما كان من الاولى فتنشأ فوقها طبقةٌ ثالثة وهلمَّ جرًّا

اما التمييز بين انواع السُحُب فلا يمكن ضبطهُ على وجهٍ مطَّرد لكثرة ما يعرض لها من اختلاف الاشكال وتداخلها غير انهُ يمكن ردّها في الجملة الى اربعة انواع . الاول الطِخاف بالكسر جمع طَخْفَة وهي غيومٌ بيضاء رقيقة لا ظلّ بينها ذات شكلٍ ليفيّ يشبه نسيج الريش او الشعر المرجَّل تكون في الطبقات العليا من العنان وهي تتألف من البلورات الجليدية التي مرّ ذكرها

والثاني القلَع بفتحتين واحدتها قلَعة وهي قِطَع من الغيم كثيفة اذا انفردت كان شكل اعلاها اشبه بقبّةٍ غير مندمجة الاطراف وقاعدتها افقيّة مستوية واذا انضمّ بعضها الى بعض تولد عنها اشكالٌ مختلفة فتظهر على هيئة الاناسيّ والدوابّ وغير ذلك واكثر ما تُرَى في اوقات الصحو ولا تكاد تظهر الا نهاراً ويبدأ ظهورها على الغالب بين الساعة التاسعة والعاشرة من الصباح وكلما تقدم النهار تزداد حجماً وارتفاعاً

والثالث الطخارير وهي قطعٌ من الغيم مستطيلة لا مطر فيها تظهر فوق الافق بعد مغيب الشمس وتضمحلّ بعد شروق الشمس وهي اول ما ينشأ من السحاب ولا تكون الا قريبة من الارض وقد تُرَى قطعٌ منها سابحةً فوق أسناد الجبال او منبسطةً فوق المستنقعات والانهار الكبيرة وكثيراً ما

يتراكم بعضها على بعض وتستدير فتصير قلَعاً . وهذا النوع قريب الشَبَه من الضباب بل منهم من لا يعدّهُ الا ضباباً لانهُ كثيراً ما رُؤي الضباب بعد ساعاتٍ من نشوئهِ قد ارتفع شيئاً فشيئاً حتى يصير طخارير سابحةً في الجوّ

والرابع الدَجْن وهو الغيم الماطر او غيم الدِيمة ينتشر حتى يغطي معظم وجه السمآء ويكون ادكن او اسود اللون ولا شكل لهُ يمكن تعيينهُ وكثيراً ما تمزق اطرافهُ وينقطع منها قطعٌ صغيرة تجري تحتهُ بسرعة عظيمة وهي المعروفة بالرَباب او تتدلى حتى تقرب من الارض وتسمى بالهيدب ومن الاولى قول الشاعر .

كأَنَّ الربابَ دُوَينَ السحابِ　　نعامٌ تعلَّقَ بالأَرجُلِ

ومن الثانية قول الآخر يصف سحاباً

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيقَ الارض هيدبُهُ　　يكاد يدفعهُ من قام بالراحِ

والدجن يتألف من الانواع الثلاثة المذكورة اذا مزقتها الريح وبددتها في الجوّ او ساقت بعضها الى بعض حتى تختلط ولذلك يختلف مطرها فيكون تارةً مآءً وتارةً ثلجاً واكثر ما تتألف من تداخل بعض القَلَع في بعض

وهناك انواعٌ اخر من السحاب تتركب من هذه الاربعة انهوا بها انواع السحاب الى عشرة . منها السماحيق وهي قِطَع سحابٍ رقيق بيضآء اللون وقد يكون فيها خطوطٌ كخطوط الطخاف . ثم النمارق وهي سحائب بيضٌ لا ظلّ لها بينها فتوق تُرَى على الغالب منتشرةً في أعلى السمآء كأنها الغنم الربوض . ثم الحَبِير وهو سحابٌ ابيض أو ادكن يتخللهُ ظلال . ثم الطِرْيَم وهو سحابٌ كثيف اذرأ اللون أو مزرقّهُ اذا مرّت فوقهُ الشمس

أو القمر اضآء جانبٌ منهُ ولكن بدون ان يظهر هناك هالةٌ أو اكليل ولا خطوط فيهِ . ثم الرُكام وهو غيومٌ ضخمة مظلمة تغشي السمآء ولاسيما في الشتآء ويكون منظرها شبيهاً بالموج وربما رقّت من بعض المواضع حتى تُرى من خلالها زرقة السمآء . ثم الحبيّ ويسمى العارض وهو السحاب المعترض في السمآء اعتراض الجبل وهو من السحاب الماطر كالدجن الا ان مطرهُ لا يطول بخلاف الدجن

اما ارتفاع هذه السحب فقد وُجد متوسطهُ للطخاف بين ٨٥٠٠ متر و ١٠٠٠٠ متر. وللقَلَع بين ١٤٠٠ و ١٥٠٠ متر من اسفلها و بين ٢٠٠٠ و ٢٢٠٠ متر من اعلاها . وللدجن ما بين ٧٠٠ و ١٠٠٠ متر. وللطخارير ما بين ٦٠٠ و ٨٠٠ متر وباقيها بين ذلك على ترتيبها المذكور . على ان هذه المسافات تختلف احياناً اختلافاً كثيراً فقد رُؤي من الطخاف في الولايات المتحدة ما لم يزد ارتفاعها على ٥٤٠٠ متر وما بلغت الى ١٤٤٠٠ متر ومن القَلَع ما بلغ ارتفاع اسفلها ٦٠٠ متر فقط وارتفاع اعلاها الى ٣٦٠٠ متر وهلم جرًّا في البواقي الا ان ما ذكر هو الغالب

ونختم هذا الفصل بذكر سفرةٍ جوّية للمسيو فلاماريون الفلكيّ الشهير اختبر فيها احوال هذه السحب وما يتعلق بها وقاس درجات الحرارة والرطوبة وغيرهما على كل مسافةٍ من مسافات الجوّ ووصف كل ذلك وصفاً مدققاً بما لا يخلو نقلهُ من فائدة للمشتغلين بهذه المباحث

فما قرّرهُ ان رطوبة الهوآء تأخذ في الازدياد من لَدُن سطح الارض الى ان تبلغ معظمها على مسافةٍ يتغير ارتفاعها تبعاً للساعة من اليوم وللفصل

من السنة ولحالة الجوّ ولكنها لا تكون قريبةً من سطح الارض الا نادراً واكثرما يكون ذلك في وقت الفجر و بعد ان تستمرّ على معظمها مسافةً ما تأخذ في التناقص ولا تزال تقلّ كلما امعن الصاعد في الارتفاع

فاذا جاوز الراكب الطبقات السفلى من الجوّ فبلغ ما فوق ٢٠٠٠ متر يشعر هنالك بازدياد حرارة الشمس زيادةً محسوسة بالقياس الى حرارة الهوآء في تلك الطبقة . وهذا الفرق في الحرارة يزداد كلما قلّت الابخرة المنتشرة في الهوآء وهو مما يثبت ان رطوبة الهوآء هي التي تحفظ على الارض الحرارة الواصلة اليها من الشمس

ثم ان لنقص الحرارة في الهوآء تأثيراً عظيماً في انعقاد الغيوم وفي سائر الاحوال الجوّية وهذا النقص يتغير تبعاً للساعات والفصول ولصفاء الافق وجهة مهبّ الرياح وحالة البخار وغيرذلك . قال وقد تبين لنا انهُ اذا كانت السماء غائمةً تتناقص الحرارة على ارتفاع ٥٠٠ متر عن سطح البحر ٣ درجات وعلى ارتفاع ١٠٠٠ متر ٦ درجات وعلى ارتفاع ١٥٠٠ متر ٩ درجات وعلى ارتفاع ٢٠٠٠ متر وهي غاية ما تنتهي اليهِ طبقة السحب السفلى ١١،٥ درجة فيكون معدَّل نقص الحرارة في هذه المسافة كلها درجةً في كل ١٧٤ متراً

واما في وقت الصحو فان الحرارة تتناقص على ارتفاع ٥٠٠ متر ٤ درجات وعلى ارتفاع ١٠٠٠ متر ٧ درجات و بعد ٥٠٠ متر اخرى ١٠،٥ درجات ثم ١٣ درجة ثم ١٥ درجة ثم ١٧ درجة ثم ١٩ درجة وهذا على ارتفاع ٣٥٠٠ متر فيكون معدَّل نقص الحرارة درجةً في كل ١٥٤ متراً فالنقص في هذه الحال اسرع

ثم انهُ في مدة النهار تكونُ حرارة السحاب اعلى من حرارة الهوآء الذي تحتهُ والذي فوقهُ ويكون نقص الحرارة اسرع في الطبقات القريبة من الارض وتزداد سرعتهُ في المسآء عن الصباح وكذا في الايام الحارّة عن الايام الباردة

وقد يتفق وجود نواحٍ في الجوّ تكون احرّ او ابرد مما يجاورها وهي مناطق تخترق من جهةٍ الى اخرى اشبه بانهرٍ هوآئية واكثر ما يكون ذلك في الايام الباردة

وقد شاهدنا السطوح العليا من القلَع وهي تُرَى منفوخة كانها مؤلفةٌ من جبالٍ بيضآء منظرها كمنظر القطن الحديث العهد بالندف حتى يتوهم الناظر انهُ يرى امامهُ جسماً جامداً

واذا جاوز الانسان هذه الطبقة من الجوّ واقبل على الطبقة التي تسبح فيها الطخاف وهي السحب الثلجية رآها شديدة الارتفاع عنهُ حتى كأنهُ ينظر اليها من سطح الارض واذ ذاك يجد نفسهُ بين سمآءين مختلفتين احداهما فوق رأسهِ والاخرى تحت قدميهِ . فاذا بلغ الى ارتفاع ٤٠٠٠ متر يزول ما كان يراهُ في سمآء الطخاف من التقعير وتظهر سمآء القلع التي تحتهُ مقعَّرةً واذا كان الجوّ صافياً يرى الارض نفسها كذلك اي يرى سطحها مقعراً وهو اشدّ غرابةً ويرى الافق الظاهر يرتفع معهُ كلما ارتفع وهو دائماً على مؤازاة النظر فكأنهُ مع هذا الارتفاع كلهِ لم يفارق سطح الارض . انتهى ببعض اختصار

لحم الخيل

نقل عن احدى المجلات العلمية الفرنسوية الفصل الآتي قالت

اشتهر بين عامّة الناس ان لحم ذوات الحافر اي الخيل والبغال والحمير غير صالحٍ للغذآء ولا يزال هذا الاعتقاد الى اليوم في المدن الصغرى وضواحي البلدان واما في العواصم والمدن الكبيرة فقد اعتاد كثيرٌ من الناس اكل لحم الخيل واكثر من يأكلهُ الصنّاع والفعلة ممن يطلبون الطعام الكثير الغذآء مع الرخص

وقد فحص هذا اللحم عددٌ كبير من الاطبآء وعلمآء الصحة ومنهم پَرْمَنْتيّاي العالم الصحيّ الشهير فاثبتوا انهُ من افضل لحوم الحيوان تغذيةً واكثرها موافقةً للابدان ويُروَى ان لارّاي احد الجرّاحين في جيش ناپوليون الاول قات ستة آلاف جريح ممن كانوا في جزيرة لُوپُوّ احدى جزُر النمسا من حَسآء (شوربة) لحم الخيل وكان يشير بهذا اللحم ويطنب في لذّتهِ وقوّة تغذيتهِ. وذكر بُودّنْس ان كل من كان من الجند في حرب القريم يغتذي بلحم الخيل لم يُصَب بالكولرة ولا التيفوس

على ان لحم الخيل قد شاع اليوم في غالب ممالك اوربا وهو يزداد شيوعاً سنةً بعد سنة فان اهل الدنمرك يؤثرون الشوآء منهُ على شوآء لحم البقر واهل البلجيك يأكلون لحم جميع ذوات الحافر وفي سويسرا وألمانيا واسوج مجازر يباع فيها لحم الخيل على الدوام ويأكلهُ جميع طبقات الاهالي من غير استثنآء

اما في فرنسا فلا يزال لحم الخيل اقلّ شيوعاً منهُ في غيرها على انهُ قد

أُنشئت لهُ مجازر خاصّة منها عدةٌ في پاريز للخيل والحمير

اما ما يزعمهُ بعض الناس من ان الخيل التي تساق الى المجزر لا تكون الا من المهزولة او المسنّة فلا ننكر انهُ لا يخلو من الصحة احياناً لان الناس تضنّ بالخيل الفتيّة والقوية الابدان فلا يُذبَح منها الا ما لا يصلح للعمل والركوب . الا ان هذا لا ينبغي ان يؤخذ على اطلاقهِ لانهُ كثيراً ما يعرض للخيل آفةٌ من نحو كسرٍ او فكٍ او غير ذلك بحيث لا يعود يمكن الانتفاع بها فتذبح . على ان لحم الهزيل منها يُعرَف بالفحص كما يُعرَف لحم الهزيل من غيرها ولحم المسنّ منها لا يكون اقلّ غذآءً من لحم المسنّ من البقر مثلاً بل أَحرِ ان يكون الامر بالعكس لان البقرة التي يكون قد اتى عليها خمس عشرة سنة وهي دائبة العمل و ولدت عدة عجول واستُخرج منها الوف أَلتار من اللبن لا يبقى في لحمها بقيةٌ صالحة للغذآء ولا ريب ان لحم حصانٍ سليم البنية ولو اسنّ يكون افضل بكثير

فالذي يؤخذ من كل ما سبق ان لحم الخيل اذا كان من ذبيحة فتيّة سليمة البنية فهو طعامٌ شهيٌّ مكتنز وفيهِ خواصّ مقوّية ذات غذآءٍ كثير والمرق المتخذ منهُ لذيذ الطعم طيّب القَداة (رائحة الطبيخ) كثير الملآءمة للمِعَد الضعيفة . و بعد فما الوجه لأن يكون لحم الخيل دون غيرهِ من اللحوم المأكولة فان نسيج عَضَل الخيل لا يفرَق عن نسيج عضل الحيوانات الاخر في البنآء والتركيب الكيماوي والخيل تأكل النبات كالبقر والغنم وفضلاً عن ذلك فانها اشدّ تأنقاً في طعامها لا تأكل التبنَ او النبات المتعفن مما تأكلهُ البقر من بعدها فلحمها ولا شك افضل اللحوم للغذآء وايسرها

منالاً لذوي الفاقة بل لا بد ان يعمّ بعد حين فيصبح غذآءً لذوي الفاقة وارباب اليسار

استخراج البلورية

وردتنا المقالة الآتية تحت هذا العنوان لحضرة الفاضل الدكتور ابرهيم افندي الشدودي فأثبتناها بحروفها

قرأت في الجزء السادس من مجلة الطب الحديث مقالةً لحضرة رصيفنا الفاضل الدكتور نصر افندي فريد طبيب العيون في المنصورة عنوانها « استخراج البلورية بدون كشط قزحي » فعثرت في اثنآء مطالعتي لها على مواضع قد ركب فيها غير الصواب وعدل عن خطة المحققين من اهل هذه الصناعة ولما كان مثل حضرتهِ ممن تحق الثقة بقولهم والمقالة المذكورة منشورة في مجلة طبية من شأنها ان لا تنشر الا الحقائق الثابتة لم اجد بدًّا من التنبيه الى ما وقع في كلامهِ من الوهم والاشارة الى تصحيحهِ بناءً على ما قررهُ كبرآء اطبآء الوقت ممن سأذكر اسمآءهم مع الاشارة الى نصوصهم

وقبل ان اشرع في نقد المقالة لا بد لي ان انبّه حضرتهُ الى لفظ العنوان الذي صدّرها بهِ فان قولهُ « بدون كشط قزحي » اراد بهِ معنى قولهم sans iridectomie ولفظة iridectomie ليس معناها الكشط ولا هو المراد في العملية التي شرحها لان معنى الكشط في اللغة القشر والسلخ كما يكشط السمحاق عن العظم والجلد عن اللحم ومعنى اللفظة الافرنجية قطع أو بتر جزءٍ من القزحية ولا يخفى الفرق بين المعنيين فكان حقهُ ان يعنون المقالة بأن يقول « استخراج البلورية بدون قطع القزحية » . على اني لا اوجه اللوم عليهِ في هذه اللفظة فانهُ ليس هو المعرّب لها ولكنهُ استعملها على علاتها كما استعملها غيرهُ من قبلهِ وكما لا يزال يستعملها الاطبآء المتكلمون بالعربية وانما اللوم على المعرّب الاول لان تعريبهُ جآءَ سقيماً لا يفهم منهُ المعنى المراد من

العبارة الافرنجية الاصلية

ولطريقة استخراج البلورية على هذه الكيفية اسمٌ افرنجي مختصر وهو extraction simple اي استخراج بسيط وهو اللفظ الذي سأستعملهُ فيما سيأتي كما انني سأستعمل لنقيضها أي للعملية التي تقطع فيها القزحية لفظ استخراج مركب وهو الترجمة الحرفية لقولهم extraction combinée

اما موضوع المقالة المذكورة فالذي يفهم منهُ ان حضرة الرصيف يفضل في استخراج البلورية الطريقة البسيطة على المركبة بنآء على مزايا نسبها الى الطريقة الاولى وعيوب نسبها الى الثانية ويشير على الاطبآء ان يذهبوا في ذلك مذهبهُ . فحاصل ما فيها انهُ ينبذ الاستخراج المركب جانباً ولا يعتدّ بهِ مهما كانت حالة المريض ومهما كانت حالة عينهِ التي يريد استخراج بلورتها وهذا خطأ لا يسعني السكوت عنهُ . اجل اني لا انكر عليهِ ان الاستخراج البسيط اذا امكن وصح تكون العين بعدهُ في حالة احسن مما تكون بعد الاستخراج المركب من حيث بقآء الحدقة مستديرة ومطلقة الحركة وبقآء مركزها في منتصف القزحية ولكن من لنا بأن يكون هذا الاستخراج ممكناً في كل الاحوال وان يسلم دائماً من العواقب الوخيمة اذا امكن . ولبيان ذلك ننظر اولاً في الاحوال التي يصعب معها الاستخراج البسيط أو يتعذر وثانياً في العواقب الوخيمة التي تترتب عليهِ احياناً ولو امكن عملهُ

فأما الاحوال التي يصعب معها استخراج البلورية البسيط فهي عديدة منها (١ً) وجود التصاقات بين القزحية والبلورية بحيث لا يمكن استخراج هذه الا بعد قطع جزء من القزحية حيث يوجد الالتصاق . (٢ً) ان تكون العين مع الكتركتا مصابةً بالاغليكوما (زيادة ضغط العين الداخلي) وفي هذه الحالة لا بد من قطع جزء من القزحية حتى تخرج البلورية بسهولة ويستغنى اذ ذاك عن الضغط الشديد الذي لا بد منهُ في الاستخراج البسيط حتى تمر البلورية في فوَّهة الحدقة مما لا تتحملهُ العين لما بها من زيادة الضغط الداخلي ويكون احياناً سبباً في اندفاق الجسم الزجاجي وفقد البصر . (٣ً) اذا كانت الكتركتا نتيجة حسرٍ شديد لانهُ في مثل هذه

الحال يكون الجسم الزجاجي مائعاً في الغالب فاذا لم يقطع جزءٌ من القزحية لتسهيل خروج البلورية بلا ضغط لا يؤمن في اثناء العمل فقد جزء كبير من الجسم الزجاجي وهو مما لا يمكن تعويضهُ. (٤) اذا كانت البلورية التي يراد استخراجها زائغة كثيرة الحركة ففي هذه الحال اذا لم يقطع جزءٌ من القزحية ليسهل خروج البلورية فقد تسقط في الجسم الزجاجي وتغوص فيهِ فيستحيل اذ ذاك انتشالها وتكون سبباً في التهاب الجسم الهدبي و بالتالي سبباً في فقدُ البصر . (٥) اذا كانت الكتركتا رخوة فانهُ في هذه الحال يتعذر استخراج كل اجزآء البلورية المتجمعة خلف القزحية اذا لم يقطع جانبٌ من هذه . فما قول حضرة الرصيف في هذه العقبات وهل يقدم على الاستخراج البسيط اذا اعترضتهُ واحدةٌ منها

ولكي يكون على يقينٍ مما ذكرناهُ نردّهُ الى ما جآء في صفحة ٢٥٩ من المجلد الثاني من كتاب تروك وڤالود (Truc et valude) في طب العين وصفحة ١٤٩ من مؤلف ترّيان (Terrien) في جراحة العين وتوابعها وصفحة ٨٠٧ من كتاب الاستاذ فوكس (Fuchs) استاذ امراض العين في كلية ڤينا وصفحتي ٩٨٤ و ٩٨٥ من الجزء الثاني من كتاب البارون دي ڤيكر (Wecker) الذي يتخذهُ شاهداً على صحة ما ذهب اليهِ . ثم ليطلع بعد ذلك على الجدولين المرسومين احدهما في صفحة ١٠٨٣ والثاني في صفحة ١٠٨٤ من الجزء المذكور فيتضح لهُ اولاً ان هذا الرمدي يقرّ بأفضلية العملية المركبة لانها اسلم عاقبةً من البسيطة وثانياً ان عدد العمليات المركبة التي كان يعملها يعادل ضعفي عدد العمليات البسيطة وان هذه كانت اقل نجاحاً من الاولى　　(ستأتي البقية)

اندروكليس والاسد

جآء في الجزء الثاني من ضيآء هذه السنة (ص ٣٧ وما يليها) كلام في كيفية ترويض السباع ورد في جملتهِ ان كل السرّ في هذه الرياضة

اكتساب مودّة الحيوان فاذكرني في ذلك حادثةً قرأتها في بعض الكتب نقلاً عن ابيون المؤرخ وقد ذكر انهُ شاهدها مشاهدة عيان وذلك نحو سنة ١٣٠ للميلاد فاحببت ان انقلها فكاهةً لقرآء الضيآء قال

بينما كنت ذات يوم في مدينة رومية خطر لي ان اذهب الى الميدان لمشاهدة قتل بعض المجرمين بواسطة الوحوش المفترسة . فلما حان الوقت المعين جيء بالمجرمين الى ذلك المكان وكان بينهم عبدٌ يدعى اندروكليس ثم أُطلق عليهم اسدٌ عظيم جدًّا فجرى الاسد في ذلك الميدان الى ان وصل الى اندروكليس . ولكنهُ حالما ابصرهُ توقف كالمتعجب ثم اقترب منهُ بدعةٍ وهدوء وقد شخص اليهِ بنظرهِ ثم اخذ يحتكّ بجسمهِ ويلحس يديهِ ورجليهِ. وكان اندروكليس قد ارتاع ارتياعاً شديداً ولكنهُ عند ما رأى هذه المعاملة من الاسد رجع اليهِ رشدهُ وظهرت عليهِ علامات الفرح والارتياح

فلما رأى الناس هذا المنظر المدهش اخذوا في التصفيق وامر القيصر ان يؤتى اليهِ بذلك العبد فلما حضر سألهُ القيصر عن سبب معاملة الاسد لهُ بذلك فابتدأ اندروكليس اذ ذاك يقص حادثتهُ فقال

كنت منذ بضع سنوات عبداً عند عامل القيصر على ولاية افريقيا فقاسيت هناك من الجهد وسوء المعاملة ما حملني على الفرار من عندهِ ولعلمي بان رجالهُ لا بد ان يتعقبوني ويردّوني اليهِ همت على وجهي في عرض الصحرآء. وبينما كنت سائراً ذات يوم تحت اشعة الشمس المحرقة رأيت كهفاً منفرداً فدخلت اليهِ لاستريح قليلاً واذا باسد قد دخل اليهِ وكان يمشي بجهدٍ وألم لان احد براثنهِ كان مخضباً بالدم . فعند ما رأيتهُ خفت خوفاً شديداً وايقنت

بالهلاك ولكنهُ ظل يقترب مني بهدوء ولما وصل اليَّ تمدد امامي كانهُ يطلب مساعدتي فاخذت بُرثُنهُ المتألم بيدٍ مرتجفة ونظرت فاذا فيهِ شوكة عظيمة فاقتلعتها واستخرجت المِدَّة التي حولها واجتهدت بعد ذلك بتجفيف الجرح وتنظيفهِ فاستراح الاسد اذ ذاك ونام

ومنذ ذلك اليوم بقيت مع الاسد في نفس الكهف وكان الاسد كلما رجع من صيدهِ يأتيني بقطع من اللحم ولكن بما انني لم اكن معتاداً مثل ذلك كنت اقتات من بعض الاعشاب التي اجدها في ذلك البرّ

فمكثت هناك ثلاث سنوات كنت عائشاً فيها مع الاسد ولكني اخيراً مللت من تلك العيشة فخرجت ذات يوم من الكهف بينما كان الاسد غائباً في صيدهِ وبعد ان مشيت مدة ثلاثة ايام لقيتني فرقة من الجند فقبضوا عليَّ وجاءوا بي الى رومية فحكم عليَّ سيدي القيصر بالموت بين مخالب الحيوانات الضارية ولكن رفيقي في الصحرآء لم ينسَ احساني اليهِ

فكتبوا قصتهُ هذه على لوح وطافوا بهِ بين الواقفين فما منهم الا من طلب ان يُعفى عنهُ فعفا القيصر عنهُ ووهب لهُ الاسد

قال ابيون وقد رأيتهُ بعد ذلك جائلاً في شوارع المدينة يقود اسدهُ بلجام خفيف وكان الجمع يرمي الاسد بالزهور ويصيح هذا هو الاسد الذي اضاف الرجل وهذا هو الرجل الذي داوى الاسد　　　　فريد البرباري

الاشجار العاديّة في الارض

المراد بالعاديّة القديمة نسبةً الى عاد بن عُوص ابي القبائل الاولى من

العرب البائدة . وهي اشجار معدودة سلمت من الحوادث الطبيعية ومن عادية الانسان منها في انكلترا في غابة وّست رِيدِنْج سنديانة محيط ساقها عند الارض ٢٦ متراً وهي جوفاء يمكن ان يتسع جوفها لمئة شخص . وتقرب منها في فرنسا سنديانة عظيمة في نُرمنديا اشتهرت بكنيسة معلقة قد بنيت بين شُعَب اغصانها . ومنها شاهبلّوطة (شجرة كستنا) في جبل اتنا الشهير تعرَف بشاهبلوطة المئة فارساً لانها تُظِلّ تحتها مئة خيال ومحيط ساقها ٣٧ متراً ولعلها اعظم شجرة في الارض واقدمها عمراً . وتليها شاهبلوطة كمپوناريُو في جزيرة مادّار طولها ٥٠ متراً ومحيط ساقها على علو مترٍ من الارض ١٣ متراً وفي باطن الساق حُجرةٌ مربعة كلٌّ من جهاتها ٣ امتار وعلوّها متران . ومنها في هولندا شجرةٌ من الغَبَيراء محيط ساقها ٧ امتار . وفي نيوستاد من وُرتَمْبرج شجرةٌ اخرى من هذا النوع يبلغ محيطها ١٥ متراً وقد اكلت الايام جوفها فسُدّ مكانهُ بالحجارة والطين ودُعمت فروعها الافقية وهي سبعة من حولها بمئة وأحد عشر عموداً منها ٩٤ عموداً من حجرٍ منحوت فاذا رؤيت عن بعد ظُنَّ ان هناك بقايا هيكلٍ خَرِب . وفي كاليفُرنيا شجراتٌ هائلة من السنديان منها واحدةٌ تمتدّ اغصانها على مسافةٍ محيطها ١٧٠ قدماً . وفي استراليا شجراتٌ من اليوكالبتس منها شجرتان بالقرب من ملْبُرْن احداهما يزيد ارتفاعها على ١٠٠ متر ومحيطها على ١٧ متراً والثانية يبلغ ارتفاعها ٩٨ متراً ومحيطها ١٩ متراً



آلة الكتابة العربية

لم يزل اصحاب القرائح عندنا يجهدون في استنباط طريقةٍ للحرف العربي يصلح بها لأن يُستعمَل في الآلة المذكورة لان اشكال الحروف فيها مقدَّرة لاتجاوز ٨٠ صورةً في الاكثر ثم هي لابدّ ان تكون على اقيسةٍ لاتتعدّاها . وكلا الامرين من المستصعبات في حروفنا العربية لان صورها تختلف بحسب مواقعها من الكلمة وبحسب موقع بعضها من بعض كالباء مثلاً فان التي تتصل منها بالالف لاتصلح لان توضع امام الجيم او الميم وقس على ذلك كثيراً من الحروف . وهي مع ذلك متفاوتة الاقيسة الى حدٍّ يتعذر معهُ استعمالها في الآلة ما لم يطوَّل بعضها كالباء واللام الواقعتين في اول الكلمة ووسطها ويقصَّر البعض الآخر كالباء والصاد الواقعتين في آخر الكلمة الى غير ذلك مما لا يخفى

وقد وقفنا على عدة صورٍ من هذه الحروف عُني باستنباطها غير واحدٍ من المشتغلين بهذا الامر فوجدنا اكثرها لا يخلو من مواضع ينبو عنها النظر لان كثيراً منها جاء بعيداً عن الهيئة المألوفة لما ذكرناهُ . وهو امرٌ لا يمكن اصلاحهُ الا بتغيير طريقة العمل في الآلة نفسها بحيث ان الحرف مهما كان قياسهُ يمكن ان ينزل في منزلهِ من غير ان يُحتاج الى تطويلهِ او تقصيره . وقد جاءنا اخيراً من حضرة الذكيّ المجتهد اسكندر افندي عبد النور من متوظفي كمرك الاسكندرية انهُ قد وُفّق الى تخطي هذه العقبة بان زاول اختراع شيءٍ زادهُ في تركيب الآلة حتى صارت بحيث يمكن ان يُطبَع بها كل حرفٍ على قياسهِ المألوف وذلك مع تمام السهولة في استعمالها . وقد

ارسل الينا نموذجاً مما طبعهُ بالآلة المذكورة فوجدناهُ وافياً بالمرام حريًّا بان يتاح هذه الامنية بقضائها فنحن نهنئهُ بما اوتيهُ من هذا النجاح الباهر ونؤمل في دوائر حكومتنا ان تعضدهُ بما يهيئ لهُ الاقدام على تمثيل هذا الاختراع المفيد وابرازهِ الى حيز الاستعمال

فوائد

حفظ ادوات المطّاط — اذا تُركت ادوات المطاط مدةً صارت قاسيةً قَصِمة فاذا أُريد استئناف استعمالها تصدعت للحال . ولتلافي ذلك تُدهَن القطعة التي يراد تركها زماناً بالفازلين او توضع في علبة ويُملأ ماحولها بنُشارة البارافين فتُحفظ بذلك حفظاً تاماً ولو مدة سنين

الصياح على قدر الوجع

قد خرج الاب شيخو هذه المرة الى الشتم والمقاذعة بعد ان لاذ مدةً بالمكابرة والمماحكة فاضحكنا ذلك منهُ لأنا علمنا انهُ قد نفدت حُجَجهُ وسفسطاتهُ وعجز عن تبرئة نفسهِ وجماعتهِ مما رميناهم بهِ من الطويل العريض فانقلب الى التشفي والوقيعة وهو مما لم نستغربهُ منهُ لان من قصرت حجتهُ طال لسانهُ . بيد أنا كنا نودّ لحضرة الاب ان يربأ بنفسهِ عن نزول هذه الحمأة لان الثوب الاسود كالابيض يظهر عليهِ ادنى دنس ولكن الظاهر انهُ عزّ عليهِ ان يخرج من هذا المجال ما لم يكاشفنا ويكاشف قرّاءهُ بكل ما

أُوتيهُ من الفضائل والمواهب فاحبّ ان يعرّفنا منزلتهُ الادبية كما عرّفنا منزلتهُ العلمية

ومهما يكن من أمرهِ فانَّا لن نشفي لهُ صدراً بالجواب لأنهُ ايام كان يخاطبنا بألفاظ اهل العلم لم نتنازل للرّد عليهِ فكيف الآن وهو يتلمظ بالفاظ الشتم والسباب . غير اننا ننصح للعقلاَء من جماعتهِ ورؤسآئهِ ان يردعوهُ عن هذا السبيل لأنهم في حالٍ هم احوج فيها الى التستر والمغالطة ومدافعة الناس عن الوقوف على اخلاقهم وآدابهم لا أن يعينوا على أنفسهم وينبهوا اليهم العيون النائمة ويخلقوا لهم خصوماً ممن كانوا بالأمس من أشد نصرآئهم وممن خدموهم الخدمة التي لا ينقطع برّها ولا ينقضي فخرها . وقد علموا أنَّا لم نبادئهُ بشرّ ولا تعرضنا لهُ ولا لهم بما يعزّ عليهم سماعهُ وتؤذيهم سمعتهُ الاّ بعد ان لبث يتحكك بنا اشهراً ونحن معرضون عنهُ انفةً واستنكافاً من منازلة مثلهِ وبعد ان علمنا ان كثيرين من اصدقآئهم ومريديهم بل من جماعتهم نفسها نصحوا لهُ ولهم بالاقلاع عن هذه الخطة واتقآء ما ورآءها من الفضيحة فلم ينجع فيهم نصحٌ ولا انذار

فبقي الآن ان ننبههم الى أن الأَمر بيننا وبينهم قد دخل في طورٍ آخر ولم يبقَ محصوراً في غلطةٍ لغوية او علمية فان كفوا ووقفوا عند الحدّ الذي انتهوا اليهِ فقد وصلهم ما يكفيهم والا فليعلموا ان الضيآء سيكون وقفاً عليهم وسيرون ان ما نشرناهُ في حقهم الى الآن لم يكن الا وَشلاً من بحر وَثمداً من قطر ولدينا من تاريخ فضائلهم المعلومة ونصوص اقوالهم « المكتومة » وما صدر عليهم من الاحكام وفي مقدمتها منشور الطيب الذكر البابا اكليمنضوس

الرابع عشر ما يضمن لهم ان تمثلهم في الشرق بالصورة التي عُرفوا بها في الغرب . وهذه المرة الاولى والاخيرة التي نوجه فيها كلامنا اليهم وقد أعذر من انذر والسلام

اسئلة واجوبتها

دوما — وجدت من الكتّاب من يكتب « المئة » هكذا بصورة اليآء ومنهم من يكتبها « مِائة » بزيادة الف قبلها وربما كتبها بعضهم « مِأة » بالف مكان اليآء فايّ هذه الاوجه اصحّ   انطونيوس يافث

الجواب — حق المئة ان تكتب همزتها بصورة اليآء على حد كتابة الفئة والتهنئة وما جرى هذا المجرى لان حكمها حكم الهمزة المتطرفة على ما هو المذهب الاقوى . وانما يكتبها بعضهم مائة بزيادة الف قبل اليآء قالوا للفرق بينها وبين « منهُ » في نحو قولك اخذت « مئةً » لان الحروف كانت تُكتَب بغير نقط ثم اقرّوها على هذه الصورة مع النقط وحينئذٍ فمن قلّد القدماء كتبها بزيادة الالف ومن راعى القاعدة في مثلها كتبها بدونها . واما كتابتها بالالف مكان اليآء فعلى مذهب جماعةٍ من النحويين منهم الفرآء كانوا يكتبون الهمزة المفتوحة الفاً حيثما وقعت وهو من المذاهب المتروكة

القاهرة   ارجو اجابتي على السؤالين الآتيين .

(١) ما الفرق بين مَن الموصولة والموصوفة غير ما يقال ان الاولى معرفة والثانية نكرة . وهل نسبة الصلة الى موصولتها غير نسبة الصفة الى

موصوفتها . وبالجملة هل الفرق بين قولنا «من يعلّمني فاكرمهُ » على تقديرَيْ كون مَن موصولة وموصوفة فرقٌ عربي معنويّ او فرقٌ نحوي صناعي اصطلاحي

(٢) لمَ جاز قول القائل « عندي درهمٌ » ولم يجز « درهمٌ عندي » على تقدير انهُ جملة اسنادية غيرما يقال ان المبتدا تخصص بتقديم الخبر فجاز الابتدآء ولا مصحح في صورة تأخيره فلم يجز فاني لا افهم حق الفهم معنى هذا القول عبد الله القزاني بالازهر

الجواب - اما المسئلة الاولى فالظاهر انهُ لا فرق بين من الموصولة والموصوفة الا ما ذكرتموهُ من امر التعريف والتنكير . وذلك ان كلتيهما في الاصل شيءٌ واحد قُصِد بهِ الدلالة على مبهَم وانما الفرق بينهما من حيث الجملة التي تقع بعدهُ فان قُصِد بها تعريفهُ كانت صلةً لهُ وكان اسماً موصولاً او قُصِد تخصيصهُ كانت صفةً وكان هو نكرةً موصوفة وهذا هو الفرق في نسبة كلٍّ من الصلة والصفة اليهِ . والفرق المذكور قد يكون صناعياً كما في المثال الذي ذكرتموهُ على تقدير سلخ من عن الشرطية فانها تحتمل التعريف والتنكير والمعنى واحد وقد يكون معنوياً كما في نحو والله يختصّ برحمتهِ من يشآء فانهُ على معنى الذي يشآء ونحو من الناس من يقول آمنّا اي من الناس قائلٌ يقول آمنّا ونحو ذلك اذ لا معنى للتعريف هنا كما هو ظاهر

واما المسئلة الثانية فجاز « عندي درهمٌ » ولم يجز « درهمٌ عندي » لان الظرف في الصورة الثانية يوهم ان المقصود بهِ نعت النكرة قبلهُ فيبقى الخبر منتظَراً وهذا غير محتمل في الصورة الاولى لان الوصف لا يتقدم على

الموصوف فيتعين كونهُ خبراً . واما قولهم ان المصحح في هذه الصورة للابتدآء بالنكرة ان المبتدأ تخصص بتقديم الخبر فهو كما ذكرتم من الاقوال التي يشكل فهمها وقد ناقش فيهِ الشيخ الرضيّ في شرح الكافية بما حاصلهُ ان التخصيص هنا حاصلٌ بعين الحكم وهو انما يقع بعد توجيه الحكم لا قبلهُ فنكون قد حكمنا على غير مخصَّص. ثم قال قال ابن الدهان وما احسن ما قال اذا حصلت الفائدة فاخبر عن اي نكرةٍ شئت لان الغرض من الكلام افادة المخاطب فاذا حصلت جاز الحكم سوآءٌ تخصص المحكوم عليهِ بشيءٍ او لا

آثار ادبيّة

المحيط - هو عنوان مجلةٍ علمية تاريخية اجتماعية زراعية لصاحبها ومنشئها حضرة الكاتب المتفنن عوض افندي واصف احد منشئي جريدة مصر الغرآء . وقد انتهى الينا جزءٌ منها اصدرهُ بمنزلة مثالٍ لما سيليهِ من الاجزاء ضمَّنهُ عدة مقالاتٍ ومباحث لطيفة في اغراضٍ مختلفة مما يروق المطالع ويبشر بان المجلة سيكون لها اجمل وقعٍ بين مجلات القطر

وهي ستصدر مرةً في الشهر في ٥٦ صفحة مزينةً بالرسوم وقد جعل قيمة اشتراكها ٤٠ غرشاً في القطر المصري و١٤ فرنكاً في الخارج . فنرحّب بهذه الصحيفة الجديدة ونرجو لها استقبالاً سعيداً وبقآءً مديداً

فكاهات

الشرَك السرّي [1]

في مدينة لندن شركة كبيرة جدًّا راسعة الثروة غنية في المال والرجال تُعرَف بشركة الاستعلامات العمومية قد ارصدت نفسها للاستعلام عن الاشخاص ومحلات الاعمال في كل بلد فاذا اراد احد ان يتعامل مع شخص آخر أو محل تجاري سأل عنهُ اصحاب هذه الشركة فوقفِ منهم على ما ينبغي علمهُ بحيث يكون على بينةٍ ممن يريد التعامل معهُ . ثم اتسعت هذه الشركة فضاهت اعمال الشحنة السرّية وكانت تقوم بكشف المخبآت واقتصاص آثار اللصوص والقتلة لمن يعهد اليها في هذه المهمات مقابل اجورٍ يُتفق عليها حتى كانت تقصدها احيانًا شحنة لندن في معضلات الامور فتقوم باعبائها على غاية ما يرام . وكان يديرها رجل في الاربعين من عمره تلوح على وجههِ علامات الذكاء والحذق وينبعث من عينيهِ شرر الفطنة والتبصر في الامور يدعى المستر هربرت . ولما اتسعت اعمال الشركة اقامت لها وكالات في اكثر عواصم المعمور وكان المستر هربرت يزور تلك الوكالات في اغلب الاحيان للاطلاع على اعمالها وتدريبها على السير المطلوب

وان المستر هربرت المذكور سافر مرةً الى الاقطار الاميركية لبعض المهمات المتعلقة باعمال الشركة فاقام بها مدةً الى ان اتمّ عملهُ ثم انقلب راجعًا الى انكلترا . وبينما هو عائدٌ رأى بين المسافرين في الباخرة التي كان عليها رجلاً من متعاطي التجارة يقال لهُ وليم أرول وهو ممن عرفهُ سابقًا فسرّ هربرت بوجود هذا الصديق معهُ في تلك السفرة الطويلة ودنا منهُ فسلم بعضهما على بعض ثم اخذا يتمشيان على ظهر الباخرة ويقطعان الوقت بالحديث . وكان وليم يعرف هربرت حق المعرفة

(١) ملخصة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ويعرف الاعمال التي يتعاطاها فلم يجسر على مباحثتهِ في الخصوصيات ولكنهُ قال لهُ لا شكّ انك تستغرب وجودي هنا ايها العزيز هربرت فلا بد من اطلاعك على اخباري فان ضميري يوحي اليَّ بوجوب مكاشفتك بما انا فيهِ وطلب مساعدتك في امرٍ ذي بال يتعلق بي و بزوجتي . فقال هربرت عجباً ومتى تزوجت يا وليم . قال تزوجت من مدةٍ قريبة وزوجتي معي وانا عائدٌ بها الى وطني . واما تفصيل زواجي فاني لما رأيت نفسي وحيدًا بعد موت ابويَّ ولي دخلٌ يكفي للقيام بنفقات بيت حدثتني نفسي ان ابحث عن معينةٍ تشاطرني حظي في هذه الحياة ولما اخذت اجازتي المعتادة في هذه السنة احببت ان اسافر الى البرازيل حيث يقيم بعض عملآء محلنا وكنت قد سمعت كثيرًا عن جودة هوآء بلادهم وجمال مناظرها فسافرت وحبب اليَّ بعض من لقيت من الاصحاب ان اقيم هناك ففعلت . وفي هذه الاثنآء تعرفت بابنتين تقيمان في قصرٍ باذخٍ ولهما من الخدم والحشم ما يوجد في بيوت الامرآء تدعى كبراهما أليزا والصغرى جوليا . فحالما وقعت عيني على هذه الاخيرة شعرت بجاذب في صدري نحوها وكأ نهُ اصابها مثل ما اصابني فلم يمضِ وقتٌ طويل حتى تمكنت المعرفة بيننا واصبحت ودادًا ثم علاقةً فصرحت لها بافكاري فأجابتني الى طلبي وتزوجنا

وقد علمت ان اسرة الفتاتين من الاسر العريقة في النسب وقد توفي والداهما عن تركةٍ كبيرة تبلغ ما ينيف عن مليوني ليرة استرلينية . وان لهما اخاً اكبر منهما يدعى شارل سافر يوماً على حين بغتة ولم تعودا تسمعان عنهُ شيئاً ولا تعرفان اين هو . ومما زاد اختفآءهُ هذا اهميةً ان اباهما كان في وصيتهِ الاخيرة قد اوصى بجميع امواله واملاكهِ لابنهِ بشرط ان يؤدي الى كلٍ من شقيقتيهِ الفي ليرة في السنة لتعيشا بها واذا تزوجت احداهما فتعطى اربع مئة الف ليرة نظير نصيبها من تركة والدها واذا توفي شارل ترجع الاموال برمتها الى الفتاتين تقتسمانها بالسوية . وعلمت ان شارل المذكور لم يكن مسرفاً ولا مهملاً بل كان حسن القيام على اشغال ابيهِ فكانت احوالهُ في تقدم مستمرّ وكان ورعاً تقيًّا متعبدًا يكثر من زيارة المعابد ولا يصاحب الا اهل الزهد والدين . وفي ذات يوم رجع الى بيتهِ واخبر شقيقتيهِ انهُ

مسافر لبعض الشؤون الضرورية فودعها وسافر للحال وقد مضت عليهِ الى الآن ثلاث سنوات فلم يرجع ولم يبلغهما خبر عنهُ وهما في حيرةٍ عظيمة وقلقٍ شديد . ولما اقترنت بجوليا وعزمت على الرجوع الى انكلترا احبت شقيقتها أليزا ان ترافقنا الى هناك طلبًا لتبديل الهوآء وبقصد البحث مع شقيقتها عن اخيهما شارل وقد وعدتهما بالمساعدة مرتكنًا عليك ايها الصديق هربرت لانني عزمت ان ابحث بنفسي اولاً فان تيسر لي الظفر بالمطلوب والا التجأت الى شركتك في امر هذا البحث لمعرفة مقر شارل اذا كان حيًّا أو اثبات وفاتهِ ان كانت قد ادركتهُ منيتهُ

وكان هربرت يسمع حديث وليم وهو غارق في التأملات العميقة فلما فرغ وليم من حديثهِ اطرق هربرت حينًا ثم تبسم وقال يظهر لي ايها العزيز ان في الامر صعوبةً وانهُ ليس بسيطًا كما تعتقد ولابد من بذل الهمة في ذلك حال وصولنا الى انكلترا اما الآن فاكتم الامر ولا تكلم احدًا في هذا المعنى . والآن قل لي امسرورٌ انت من زواجك وهل تستحق امرأتك فتى نظيرك . فقهقه وليم ضاحكاً وقال اما زوجتي فهي ملكٌ في جسم انسان وغايتها من العالم اجمع سروري ورضاي واما شقيقتها أليزا فهي مثال اللطف والذكآء وهي تحبني ايضاً محبةً عظيمة . وقد كنت اودّ ان اقدمك اليهما في هذه الساعة لتتعرف بهما غير ان معهما الآن سيدةً رافقتهما من البرازيل عائدةً الى انكلترا فسنتخذ لذلك فرصةً اخرى . فقال هربرت ومن تكون هذه الرفيقة يا ترى . قال هي فتاةٌ تدعى اماليا اصل ابيها من الهند وامها اسبانيولية وقد توفي والداها فورثت عنهما بعض المال وهي مقيمة بلندن ولها هناك محلٌّ لتزيين السيدات فتقصدها نسآء كبار الانكليز لضفر شعورهنَّ وتحسين الوانهنَّ . ومما اشتهر من امرها ان لها معرفةً خاصةً باستعمال الكهربآئية لازالة غضون الوجه واعادة الكهول الى رونق الشباب وقد تعلمت من والدها مزج بعض العقاقير والادوية ولها خبرة بمداواة الاسنان من حشو وتنظيف ومداواة الى غير ذلك فترى محلها مأهولاً دائمًا بالزوار والمال يتدفق عليها تدفق السيل . فقال هربرت وهو غائصٌ في تأملاتهِ وكيف امكن هذه السيدة ان تترك محل عملها وتسافر الى البرازيل. فقال وليم تقول انها قد تعبت من مزاولة

العمل فسافرت طلبًا للراحة . فقال هربرت اودُّ جدًّا ان اتعرف بها ايضاً واكون لك شاكرًا اذا قدمتني اليها مع زوجتك وشقيقتها . فقال وليم حبًّا وكرامةً فاذا اصبحنا غدًا قدمتك اليهنَّ وعرفتك بهنَّ

ولما كان اليوم الثاني دخل هربرت الى غرفة الاستقبال وجلس ينتظر قدوم صديقهِ والسيدات الثلاث وبعد قليل دخل وليم وهنَّ يتبعنهُ فما اجتزنَ باب الغرفة حتى كانت عينا هربرت قد احدقت بهنَّ كمصابيح كهربائية وعلم من كلٍّ منهنَّ ما لا يعلمهُ سواها بعد معاشرةٍ طويلة . ثم نهض فاستقبلهنَّ وعرَّفهُ وليم بكلٍّ منهنَّ ثم جلس الجميع يتجاذبون اطراف الحديث فما عتم هربرت ان امتزج بهنَّ وقد انس الجميع بحديثهِ وسرّوا باجتماعهم بهِ

ولما تفرقوا الى غرفهم بقيت المزينة السيدة اماليا تتكلم مع هربرت فقالت لهُ ان معرفتك لم تخفَ عليَّ فقد كنت اعرفك بالسماع ولو لم تعرفني انت . قال انهُ لم يسبق لي ان اتشرف بمعرفتكِ قبل ان ذكركِ لي صديقي وليم واخبرني بصناعتكِ ولم توجب الاحوال ان يحدث بيننا تعارف قبل الآن. قالت وأسأل الله ان لا يحدث ما يوجب زيارتك لي زيارة شغل غير انني اود من كل قلبي انك تشرف محلات شغلي للاستئناس بك ولكنني انصح لك من الآن ان لا تتعب نفسك بالوقوف على اسراري فلست بواجدٍ اليها سبيلاً . ثم تبسمت فبانت اسنانها البيضآء المنظومة كعقد من اللؤلؤ وخطرت امام هربرت تاركةً اياهُ في بحارٍ من التأملات

وكانت اماليا لا تنقطع دقيقةً عن مرافقة زوجة وليم وشقيقتها في كل تلك السفرة وتمكنت الصداقة بينها وبين أليزا وكان قد اصاب هذه المُ في اسنانها فكانت اماليا تداويها . ولما بلغت الباخرة لندن نزل الجميع فودع بعضهم بعضاً وتفرقوا وكلٌّ يعد الآخر بزيارتهِ قريباً

وحفظ وليم وعدهُ فلم يبح بسرهِ لاحد وفي اليوم الثاني من وصولهِ قصد هربرت فالفاهُ في مكتبهِ بين الاوراق والمراسلات فجلسا حيناً يتحادثان واخذ منهُ هربرت جميع ما يهمهُ من الاستعلامات ووعد وليم خيرًا ثم ارسل للحال صور

اعلاناتٍ الى الجرائد وكتب الى وكلاآئهِ في جميع الجهات يلح عليهم ببذل الجهد في البحث عن شارل واعلامهِ حالما يتصل بهم خبرهُ . فمضى اسبوعان لم يدركا في اثنا آئهما شيئاً ولم يبلغهما خبر عن الفتى المفقود . وكان وليم في تلك المدة منهمكاً بزوجتهِ وافراحهِ اما شقيقتها اليزا فكانت لا تجد سلوةً ولا لذة الا بمعاشرة المزينة اماليا فكانت تزورها كل يوم تقريباً . وزار هربرت يوماً وليم في بيتهِ فوجد زوجتهُ تشكو من المٍ في اسنانها وهي على اهبة الذهاب الى محل اماليا لمداواتهِ فعرض عليها ان يرافقها لانهُ كان قد وعد اماليا بزيارتها فذهبا معاً . ولما بلغا منزل اماليا استقبلتهما بغاية اللطف والبشر ثم اقتادت هربرت فأرتهُ محلاتها وهو يعجب من اتقان داخلها واتساعها والعدد العظيم من الادوات واصناف العقاقير والادوية التي تستعملها اماليا للزينة وللتطبيب . ثم عادت بهِ الى غرفة الاستقبال فتركتهُ يشرب كأساً من الشاي ودخلت بجوليا الى محل التطبيب ولم تغب كثيراً حتى عادت وقد حشت لها الضرس المتألم وزال الالم تماماً

وبعد بضعة ايام بينما كان هربرت نائماً في منزلهِ صباحاً وقد اوشك ان ينهض من النوم اذا بابهُ يقرع فاسرع في النهوض وفتح واذا وليم اصفر الوجه مرتعب الهيئة فسألهُ عن السبب فقال كنا نتناول طعام الصباح واذا بشقيقة زوجتي قد صاحت صوتاً مزعجاً وسقطت الى الارض مائتة وقد رعبنا الامر جدًّا ولا سيما وانها كانت الى آخر دقيقة من حياتها بتمام الصحة وكانت تقص علينا احاديث وقصصاً مختلفة . وقبل ان يتم وليم حديثهُ كان هربرت قد ارتدى بملابسهِ وخرج ووليم يتبعهُ فركبا عربةً وسارت تنهب الارض بهما الى بيت وليم . فدخل هربرت وفحص المائتة فحصاً دقيقاً ثم ارسل فاستدعى احد الاطباء الذين يعتمد عليهم في مثل هذه الحال ففحصوا الجثة وملابسها وطعامها وشرابها وكل ما لهُ تعلق بها فلم يقفوا على شيء يذكر غير ان الطبيب كان يؤكد انها انما ماتت بفعل سمٍّ مجهول سرّي التأثير وكان هربرت يعي هذه المسائل في صدرهِ ويكيّفها على ما خامر افكارهُ منذ البداءة . فاستدعى وليم الى غرفة منفردة وقال لهُ لقد حان لي ان اطلعك على ما يخالج ضميري

وقد اخفيتهُ الى الآن لانهُ لم يخطر ببالي ان غرماءك يستعملون هذه السرعة الزائدة فلا بد من سبب يدفعهم اليها ولذلك يجب ان تكون من الآن على تمام الحذر. واعلم ان يدًا خفية تسعى في اهلاك زوجتك وشقيقتها لتصبح التركة لأخيهما شارل وينفرد بها بدون منازع ولكنني لم اعلم بعد أهو الساعي في هذا الامر ام غيرهُ ممن لهُ نفعٌ في ذلك ويغلب على ظني هذا الاخير. ومهما كان من ذلك فلا بد لنا من ادمان البحث للوقوف على جلية الامر والتحفظ بكل ما يمكننا احتياطًا للخطر قبل ان يتمّ علينا تدبيرهم فانهم قد غلبونا فاختطفوا احدى الفتاتين ولكن علينا ان نحافظ على الاخرى. فينبغي ان تحترز غاية ما يمكنك على حياة زوجتك واياك ان تدعها تأكل شيئًا ان لم تختبرهُ بنفسك اولاً ولا تتركها وحدها البتة والافضل ان تذهب بها الى ضواحي لندن وتترك فحص هذا الامر عليَّ ولا تدعها تكثر من زيارات اماليا فانني اشعر من ضميري بهاتفٍ ينبهني الى ان هذه الفتاة شريرة وسيئة القصد. ولما قال هذا خرج وهو يفكر في امورٍ شتى ولم يفق على نفسهِ الا وهو امام منزل المزينة اماليا فترجل ودخل فاستقبلتهُ هذه بكل ثبات جأش. فقال هل بلغكِ خبر وفاة أليزا شقيقة زوجة وليم. فقالت وهي غير مبديةٍ شيئًا من الاستغراب كلا ولكن هذا مما كنت اتوقعهُ. قال وكيف ذلك. قالت نعم هو مما كنت اعلم قرب حدوثهِ عن يقين وأزيدك ايضًا ان جوليا ستلحق باختها قبل نهاية هذا الشهر فوا اسفاه. قال ولكن بربكِ افصحي كيف علمتِ ذلك. قال ان لي معرفةً بالطب وقد ادركت ذلك فهو من اسرار صناعتي وليس في امكاني اطلاعك عليها

فانصرف هربرت وهو مشرَّد البال ولا سيما اذ قالت لهُ اماليا انها تتوقع وفاة جوليا قبل نهاية الشهر. وفي اليوم الثاني احتُفل بدفن الميتة ثم سار وليم بزوجتهِ الى بيتٍ استأجرهُ في ضواحي لندن حيث اقام ينتظر الاخبار من هربرت حسب وعدهِ

وكان هربرت قد اهتم كثيرًا بامر صديقهِ وليم والبحث عن شارل فلم يألُ جهدًا ولم يذخر وسعًا عن السعي المتواصل وكلما قربت نهاية الشهر وهو على غير فائدة جديدة يزيد انقباض نفسهِ وتتضاعف همتهُ. وكان قد رأى صورة شارل

المفقود عند شقيقتيهِ فحدث يومًا انهُ بينما كان مارًّا بجوار احد الابنية العظيمة رأى عند بابهِ رجلاً تنطبق هيئتهُ على شارل تمامًا فاستغرب هذه المشابهة جدًّا ووقف حينًا يتأملهُ ثم دنا منهُ وقال لهُ ان لم يخطئ ظني فأنت المستر شارل . فاضطرب الرجل ووقف مبهوتًا . فتقوّت ظنون هربرت وقال لهُ ان كنت حقيقةً انت المستر شارل القادم من البرازيل فلي معك كلام . فجعل الرجل يتلفت يمينًا وشمالاً تلفت الخائف ثم قال نعم انا هو ولكن لنبعد عن هذا المكان اولاً ثم احدّثك بخبري . فللحال استوقف هربرت عربةً كانت هناك فركباها واخذهُ الى محل ادارتهِ ثم دخل بهِ الى غرفةٍ خصوصية واخذ يستخبرهُ عن امرهِ . وكان شارل يعجب من معرفة هربرت بهِ فحدثهُ هربرت بما يعلمهُ من خبرهِ ثم اخذ شارل يقصّ حديثهُ فقال

قد علمت ما ترك لنا والدي من الاموال وعرفت مضمون وصيتهِ لي واشقيقتيّ . اما انا فكنت زاهدًا في امور الدنيا منقطعًا الى فروض دياناتي وكان في بلدتنا ديرٌ لاحدى الرهبانيات فكنت ازورهُ يوميًّا مع صديقٍ لي حميم كان يظهر تمام الورع والتقوى ويكثر من الصلوات والتقشفات فكان ذلك يزيد تعلقي بهِ . وفي احد الايام ذكر لي انهُ عزم على زيارة المدينة المقدسة واخذ يزين لي ان ارافقهُ في هذه السفرة فقبلت . فسرّ بذلك سرورًا عظيمًا واوصاني ان لا اخبر احدًا بسفري لئلا يوجد من يحولني عن عزمي فانقدت لمشورتهِ وسافرت سرًّا ولم يعلم احد سوى شقيقتيّ الا اني لم اذكر لهما الوجهة التي اقصدها . ولما سافرنا وكانت الشقة بعيدة عرض عليّ صديقي ان نشاغل انفسنا ببعض الالعاب فأجبتهُ ولم ادرِ ما خبأهُ لي الغيب وان صديقي المذكور المتلبس بثوب الورع والعبادة هو اعظم مقامرٍ في العالم . ورأيت في اللعب ما يراهُ كل مبتدئ من اللذة ولا سيما واني كنت اربح في غالب الاحيان فأُولعت بهِ ولم تمرّ علينا مدة حتى لم يعد يهنأ لي عيش ولا اجد لذةً الا بالمقامرة . وحدث في احدى الليالي ان طال بنا السهر وخانني الحظ فخسرت في تلك الليلة وتتابعت عليّ الخسارة وانا لا ازيد الا رغبةً في اللعب حتى بلغ مجموع ما خسرتهُ مئتي الف ليرة . ومع عظم غناي وسعة ما ورثتهُ لم يكن في امكاني ان ادفع هذا

المبلغ فورًا لانهُ لم يكن مأذونًا لي ان اتناول من مالي الا مقدارًا معينًا في السنة . فأخذ صديقي يحتال بكل ما أوتي من الدهآء حتى اخذ مني صكاً الزمت نفسي فيهِ اني اذا حييت بعد اختيَّ واصبحت التركة كلها لي وحدي انقدهُ نصف مليون من الليرات ولرغبتي في المحافظة على اسمي وقّعت لهُ على الصكّ واشهدت على نفسي

وبعد ذلك عدنا الى ما كنا عليهِ من التنقل واللعب وقد نسيت سبب سفري ولم يبقَ يجول في ذهني سوى المقامرة على امل ان استرجع ما خسرتهُ وما زلنا على هذه الحال الى ان القانا الترحال الى انكلترا منذ نحو شهر ونصف فأنزلني صديقي في المنزل الكبير الذي رأيتني عند بابهِ وقد تبين لي انهُ محلّ شركة مقامرة هو رئيسها . وهنا تغيرت الحال فلم يعد يُسمح لي بالخروج مطلقاً ومُنعت من قرآءة الجرائد ومن مكالمة ايٍّ كان من الناس فاظلمت الدنيا في عينيَّ واصابتني حمى شديدة وبذل رجال الشركة غاية جهدهم في تطبيبي ومعالجتي . وبقيت على هذه الحال الى امس فزارني صديقي المذكور في غرفتي وبينما هو يحادثني لمحت في جيبهِ جريدة قد برز طرفها منهُ فاحتلت بان سرقتها منهُ من غير ان يشعر . ولما خرج اقفلت باب حجرتي واخذت اطالع الجريدة بشوق عظيم حتى استوقف نظري اعلان يختص بي وبالبحث عني فقلقت افكاري ولاسيا لما ذُكر فيهِ من ان شقيقتيَّ في انكلترا وانهما تبحثان عني .

وبينما انا اقلب الجريدة سقط منها ورقة فتناولتها وقرأتها واذا فيها الكلام الآتي

«مولاي

بلغني ما قررهُ الطبيب من ان شارل لا يعيش اكثر من شهر واظن ان هذا الوقت كافٍ لاكون قد اكملت عملي . شقيقتاهُ تبحثان عنهُ بكل ما في وسعها ولكني قد نجحت باهلاك الواحدة وستتبعها الثانية في بضعة ايام واذ ذاك يصبح شارل قبل موتهِ بقليل الصاحب الوحيد لتلك الاموال الطائلة ويسرّني ان اكون قد اتممت الخدمة التي امرتني بها خادمك المعلوم »

فلما وقفت على هذه الكتابة جمد الدم في عروقي وعزمت على الفرار والسعي في الاجتماع بشقيقتيَّ للتدبر في ما يجب عملهُ ولم يتسنَّ لي ذلك الاصباح اليوم اذ امكنني

الخروج على حين غفلة من القوم وساقك القدر لانقاذي من مخالبهم فها انا بين يديك فارشدني

وكان هربرت يسمع ويتعجب وهو يتدبر الامر في نفسه وكأنهُ اشرق عليهِ فكرٌ غريب في تلك اللحظة فقال لشارل اتبعني ونهض للحال فركب عربةً اقلتهُ وشارل وسارت بهما حتى بلغا بيت وليم وللحال ترجل هربرت وقبل ان يضيع دقيقةً واحدة من الوقت استدعى جوليا وسألها عن السن التي عالجتها اماليا فارتهُ اياها فلم يكن الا كلمح البصر حتى اخرج آلة وعالج بها السن المذكورة فخلعها ثم تنفس كمن سُرّي عنهُ وقال اظن اني قد نجحت باذن الله

وبعد ذلك جلس الجميع يتحادثون واقبلت جوليا على شقيقها شارل فاخذا يتشاكيان مرارة الفراق ويتذاكران ما فعلت بهما الصروف وكان هربرت في اثناء ذلك يفحص السن حتى استخرج حشوها فرأى فيهِ كتلةً صغيرة تبين لهُ بعد البحث انها نوع من السم قد سُدَّ عليهِ بقطعةٍ من المطاط ليبقى امرهُ مكتوماً مدةً ما الى ان يذوب المطاط ويمتزج السم بالطعام فيقتل لساعتهِ كما حصل بالفقيدة أليزا

وكان شارل حقيقةً قد فقد صحتهُ ولم يعد من المأمول شفآؤهُ فأوصى بجميع ثروتهِ لشقيقتهِ الباقية جوليا ولم يأتِ عليهِ تمام الشهر حتى ادركتهُ منيتهُ وبذلك بطل الصك الذي كتبهُ لذلك الصديق المحتال فبكوهُ جميعاً آسفين ودفنوهُ الى جانب شقيقتهِ

وعرف هربرت ان اماليا هي صاحبة الصك الذي وجدهُ شارل مع الجريدة ولكنهُ لم يتمكن من القآء القبض عليها وتسليمها الى القضآء لعدم وجود البينات المثبتة لارتكابها الجرم لانها احتجت انهُ كان في خدمتها بعض الهنود وتركوها فجأةً فربما كانوا هم المأجورين لاجرآء ما حدث وانكرت تمام الانكار معرفتها بالامر . فرأى هربرت ان السكوت في تلك الحال اولى غير انهُ لم يفتر عن مراقبة اماليا وهو ينتظر انها لا تنجو يوماً من يدهِ

النبر

في اللفظ العربي

النبر في اللغة رفع الصوت يقال نبر الرجل نبرةً اذا تكلم بكلمةٍ فيها علوّ. والمراد بهِ هنا رفع الصوت بهجاءٍ من اهجئة الكلمة اما تزييناً للفظ او تقويةً لمعنًى من المعاني التي سيق الكلام لاجلها كالاستفهام والنفي والنهي وما اشبه ذلك والاول هو مقصودنا في هذا الموضع . ومن الغريب ان علماء الادب لم يتعرضوا للكلام على احكام النبر مع انهم تكلموا على حرف الانكار وحرف التذكر وهما من قبيلهِ ولعل السبب في ذلك انهم وجدوهُ طبيعياً في الناطقين بهذا اللسان على كونهِ لا يغير شيئاً من حقيقة اللفظ فلم يفردوا لهُ موضعاً في تصانيفهم . وقد وقفنا فيهِ على مقالةٍ طويلة للمسيو مايرلمبير احد علماء المشرقيات خطب بها في المؤتمر الذي عُقد سنة ١٨٩٧ ونُشرت في مجلة الجمعية الآسوية في باريز ذكر فيها بعد الاشارة الى ما تقدم من اغفال العرب لهذه المسئلة آراء نفرٍ من جماعتهِ منهم دُساسي وكسپري وغيرهما فرأينا في تلك المقالة من الغرابة ما حدانا على تلخيصها لقرآء الضياء ليقفوا على مبلغ علم أولئك « المستشرقين » باحوال الشرق ونوع بحثهم في استنباط الحقائق

وقد ذكر من رأي دساسي ما محصّلهُ ان النبر عند العرب لا يكون في الهجاء الاخير من الكلمة ولكن اذا كان الهجاء الذي قبلهُ مؤلفاً من حرفين ثانيهما حرف مدّ او صحيحٌ ساكن جُعل النبر عليهِ والا تخطّاهُ الى الذي قبلهُ. وعلى هذا فالنبرة في قولنا ضارب تكون على الضاد وفي يضرب على الياء

وفي منطلق على الميم . ولا يخفى ان هذا مع صحتهِ في غاية القصور لانهُ لا يتناول الا امثلةً قليلة من ابنية الكلم كما سيتضح لك مما سنذكرهُ

وخالفهُ كسپري في بعض هذا القول فذكر انهُ اذا كانت الكلمة ذات هجآءٍ متعدد فان كانت مؤلفةً من هجاءين وكان الاول من كلمةٍ اخرى نحو بِكُمْ كانت النبرة على الهجآء الثاني. والا فان كان الهجآء الذي قبل الاخير ممدوداً بالطبع او بالوضع (كذا اي اذا كان مؤلفاً من حرفين ثانيهما حرف مدّ او صحيح ساكن) جُعل النبر عليهِ . وان كان الهجآء المذكور قصيراً اي غير متلوٍّ بساكن وكان ما قبلهُ ممدوداً نحو فَعلْتُما كان النبر على ما قبلهُ. وان كان الذي قبلهُ ايضاً قصيراً وكان ما قبلهُ ممدوداً نحو مَسْئلتُهَا انتقل النبر ايضاً الى الممدود . انتهى تحصيلاً

وهناك اقوالٌ اخر اطال فيها من التفصيل والمقابلة بين مذهبٍ وآخر بما لا يتسع هذا المقام لنقلهِ . قال وروى ميخاليس عن البروفسور نُرد بْرِج وكان قد درس في القسطنطينية على رجلٍ مكي الاصل انهُ كان يوقع النبرة في نحو قتلوا وقتلتَا وقتلنا مما خُتم بحرف مدّ على الهجآء الاخير قال ويخيَّل لهُ انهُ في بعض الكلمات نحو خُطَّتا كان يسمع النبرة مرّتين

قال صاحب المقالة وكل هذا يحقق لنا ان العرب اليوم ليسوا على بيّنةٍ من النبرة الصحيحة اذا قرأوا العربيّ الفصيح ولكنهم يجتزئون من ذلك بان يرفعوا صوتهم بالاهجئة الممدودة بالطبع او بالوضع. بل نحن انفسنا عند سماعنا تلاوة القرآن لم نكن نشعر بنبرٍ في الكلمات ولكن غاية ما هناك انهم يطيلون الصوت في احد اهجئة الكلمة والغالب ان يكون ذلك في

الهجآء الذي قبل الاخير . وبما ان كتب العربية الفصحى خاليةٌ عن بيان هذه المسئلة فلا يبقى الا ان نتفقد آثارها في العربية العاميّة غير انهُ فضلاً عما في اخذ احكام الفصيح عن العاميّ من التعرض للوهم فان العربية اليوم لا تُلفظ على وتيرةٍ واحدة في جميع البلاد الاسلامية وشاهدهُ ما نجدهُ من الفرق بين عربية مصر مثلاً وعربية الجزائر . وذلك ان عربيةّ مصر على ما حكاهُ قُوِلّر يكون النبر فيها بالهجآء الاخير اذا كان ممدوداً وكذلك اذا كان الهجآء الذي قبل الاخير على نصف طول (كذا) أو كان قصيراً والذي قبلهُ غير قصير. واذا كان الذي قبل الاخير والذي قبلهُ كلاهما قصيرين كان النبر بالاول . واما عربية الجزائر فيطال الصوت فيها بكل هجآءٍ ممدود نحو قاتل وفيل الا اذا كان حرف المدّ آخراً نحو دنيا وكتابي فلا يطال الصوت بهِ . والهجآء البسيط الذي لا يليهِ حرف مدّ نحو فَرَس وقَتَل يكون ابداً قصيراً . والكلمات التي تشتمل على هجآءين مركبين نحو إضْرِبْ وبَلّغْ تقع النبرة منهما على الاول والتي تشتمل على ثلاثة اهجئة مركبة نحو إسْتَحفِظْ تقع منها على الثاني . واذا كان كلٌّ من الهجآءين ممدوداً نحو قالوا كانت النبرة على الاول

وافاض بعد ذلك في تفصيل لغتي مصر والجزائر فاطال بما لا طائل تحتهُ ثم قال ونحسب ان العربيّ لا يجد فرقاً بين ان نقول لهُ إضْرِبْ او إضْرِبْ اي مع النبر بالهمزة او بالرآء وكذا اذا قلنا لهُ مُسْتَقْبَل بين ان ننبر بالميم او بالتآء او بالبآء . قال وعلى كل حال فالعربيّ العاميّ لا يمكن ان يستفاد منهُ تحقيق لفظ الحركات في العربيّ الفصيح وحينئذٍ فلا يبقى لنا الا احد امرين اما ان نضرب عن مسئلة النبر في كتب قواعد العربية واما

ان نرجع بهِ الى قياس سائر اللغات الساميّة . ثم اخذ في بيان احكام النبر في الحبشية والعبرية فذكر انهُ يكون فيهما بالهجاء الذي قبل الاخير سواءٌ كان اللفظ مفرداً ام مركباً وفعلاً ام اسماً . قال لكن يبقى الاشكال في بعض الاحوال الخاصة التي لا وجود لها في تينك اللغتين كما في نحو يقتلُ (اي بضم اللام) والذي عندنا ان النبرة فيهِ ينبغي ان تكون على الهجاء الاخير (كذا) . واما الكلم المنونة فهل يُنبَر فيها بالحركة الاخيرة او التي قبلها الراجح عندنا الثاني

وهنا ذكر كلاماً مضحكاً فزعم ان التنوين اصلهُ ميم وان هذه الميم مقتطعة من لفظ « ما » فقولنا رَجُلٌ اصلهُ « رَجُلُ مَا » . قال وبحسب القاعدة المذكورة قبل (اي في نحو يقتلُ) يقع النبر على ضمة اللام فينبغي ان يبقى كذلك بعد حذف الالف وتحويل الميم الى نون . ثم استدلّ على صحة ما ذكرهُ بان الالف التي تُبدل من تنوين النصب ليست كذلك من اصل الوضع ولكنها تشير الى انهُ في زمنٍ من الازمان كان لفظ « اَنْ » الذي يُختَم بهِ المنوَّن المنصوب يُلفظ عند العامّة « اَ » وهذا الابدال لم يكن محتملاً لولا ان حركة النصب معها نبر (؟) . قال وكذا الحكم فيما رُكّب من هجاءين نحو أَمَا وكَمَا فان النبر انما يكون بأول الهجاءين لان كَمَا تصير بعد الحذف كَمْ وأَمَا تصير أَمْ . انتهى وهذا من اغرب ما جاء في هذه المقالة

وقد اطلنا على المطالع الى ما لعلهُ بلغ به حد السأم وانما اوردنا هذا كلهُ على ما فيهِ من التعسف والابهام والخروج احياناً الى اللغو والخلط ليُعلَم

منهُ مبلغ ما عند أولئك القوم من التحقيق ولا سيما اذا تكلموا في احوال الشرق . ومن الغريب مع هذا انهم لا يعتدّون بشرقيٍّ ولا يرون ان لهُ مزيةً عليهم ولا رأيا حتى فيما يتعلق بخاصة نفسهِ ووطنهِ فتراهم يفتئتون بالاحكام تخرصاً ومجازفة وهم يرون انهم قد قتلوا الامور علماً . ولذلك لا نعجب ان نرى مثل هذا الكلام قد تُلي في مؤتمرٍ حافلٍ باكابر علمآئهم ونال من الاستحسان والاعجاب ما استحقّ به ان يُنشَر في اشهر مجلةٍ قد أُرصدت لتدوين تاريخ الشرق وفلسفتهِ ولغاتهِ كما ذُكر في عنوانها ووُكل النظر فيها الى عدةٍ من مشاهيرهم مثل مينار وجانُوّ ومَسْپِرُو وسائر رجال هذه الطبقة

اما حقيقة اللفظ العربيّ فيما يتعلق بالنبر المذكور فانهُ ولو لم يتعرض علمآء الأدب لتدوين أحكامهِ في كتبهم فلا شك أنهُ لم يكن يختلف في القديم عمَّا هو عليهِ اليوم في اللفظ العاميّ بدليل اتفاق لغات العامَّة فيهِ الاَّ في احوالٍ خاصة مما سنذكرهُ . وذلك انك اذا استقريت لفظ الشام ومصر والمغرب وبلاد العرب لم تسمع النبر في الهجآء الاخير من الكلمة الاَّ اذا كان بعد المتحرك منهُ ساكنان اما صحيحان كما في نحو قِمَطْر وزُنْجُفْر ومَرَدّ ومُستَمِدّ او اولهما حرف علةٍ ساكن كاكرام ومضروب ومستفيد ويذهبون ويرضَوْن وتخشَيْن وما اشبه ذلك . واما ما سوى ذلك فان كانت الكلمة مؤلفة من هجآءين فقط مثل ضَرَب ورَمَى ويَضرِب وجعفَر وقاتِل فالنبر يقع على الاول . وان كانت مؤلفةً من ثلاثة اهجئة فاكثر فان كان الهجآء الذي قبل الاخير مركباً اي مؤلفاً من متحرك فساكن مثل يستَغفِرْ ويقاتل واستقرَّت واستعانوا كان النبر عليهِ . وان كان بسيطاً بان يكون حرفاً متحركاً فقط وكان

الهجآء الذي قبلهُ مركبًا كما في مُنْطَلِق وجَحْمَرِش ومَسْئَلة واستَغْفَروا ومرْجِمِي كان في لغة مصر كالذي سبقهُ وجُعِل النبر في لغة غيرها على الذي قبلهُ . وان كان الذي قبلهُ بسيطًا ايضاً مثل ضَرَبَتْ وضَرَبُوا وسَمَكة وَجمَزَى ومثل اضطَرَبُوا وجَحْمَرِشٌ بالتنوين وضَرَبَهُمْ ومسئلَتي ومسئلَتُها كان النبر عليهِ في لغة الجميع

فتحصَّل من كل ما ذُكر ان النبر ينحصر من الكلم في الاهجئة الثلاثة الاخيرة فيكون على الاخير اذا اجتمع فيه ساكنان وعلى الثاني اذا كانت الكلمة ذات هجاءين فقط او كان الهجآء الذي قبل الاخير مركّباً وعلى الاول اذا كان الهجآءان الاولان بسيطين. ولا خلاف الا فيما كان على ثلاثة اهجئة فاكثر وكان الذي قبل الاخير منها بسيطاً والذي قبلهُ مركباً ففي لغة مصر يكون النبر على الثاني وفي غيرها يكون على الاول . وعليهِ ففي نحو مقام ومضروب ونستعين ويستغفرون وهم المهَاَّبِيُّون والمستعصميُّون يكون النبر على الهجآء الاخير. وفي نحو ضَرَب ودحرج ويقاتل ويستغفر يكون على الهجآء الذي قبل الاخير. وفي نحو ضربوا واجتمعوا ومسئلتي ومسئلتُهم ومسئلتُهما يكون على الثالث مما قبل الاخير. وفي نحو منطلق ومنزلة وسمَّهَى ومقامُها وقِمَطْرُكم ويستمدُّهم ويخشَوْنَني يكون في اللغة المصرية على الذي قبل الاخير وفي غيرها على الذي قبلهُ ولا خلاف في غير ذلك . ولا يبعد ان هذا الخلاف نفسهُ كان عند العرب ايضاً فكان بعضهم على احدى اللغتين وغيرهم على اللغة الاخرى فيكون كلا الوجهين صحيحاً والله اعلم

استخراج البلورية

لحضرة الفاضل الدكتور ابرهيم افندي الشدودي

(تتمة ما في الجزء السابق)

وأزيده هنا اني لما كنت في باريس اقمت مدة سنةٍ كاملة في مستوصف استاذي الدكتور أباديّ الرمدي وفي كل تلك المدة لم أرَ هذا الاستاذ عمل عملية واحدة بسيطة بل كان دائماً وفي جميع الاحوال يستخرج البلورية بالطريقة المركبة. ثم انني اقمت مدة سنة ايضاً معاونًا في اكبر مستشفى رمدي في باريس وكنت اعمل مع استاذي الدكتور شڤالرو فكان متوسط عدد العمليات البسيطة التي اجراها الاستاذ في تلك المدة كلها لا يتجاوز عُشر عدد العمليات المركبة . وأذكر انني توجهت مرةً الى مستوصف البارون دي ڤيكر فرأيته رأي العيان يستخرج البلورية بالطريقة المركبة وكان ذلك في سنة ١٩٠١ . فما قول حضرة الرصيف في هؤلاء الاساتذة كلهم . على اني لا اشير عليهِ ان يترك الطريقة البسيطة اصلاً كما يشير هو بترك المركبة ولكن مرادي اقناعهُ بان الطريقة المركبة هي اسلم عاقبةً من البسيطة ولا سيما اذا كانت العين في حالٍ من الاحوال الخمس التي تقدم سردها وان قال ان لديهِ وسائط تمكنهُ من عمل الطريقة البسيطة مع وجود واحدة او اكثر من تلك الحالات فاحب منهُ ان يرشدني اليها لاكون لهُ من الشاكرين

واما العواقب الوخيمة التي تترتب على الاستخراج البسيط فمن اهمها (١) الكترَكتا الثانوية وسبب حدوث هذه الكترَكتا هو تعذر خروج جميع اجزاء البلورية بالطريقة البسيطة ولا سيما اذا كانت الكترَكتا رخوة لان قسماً كبيرًا من اجزائها يتجمع خلف القزحية ويصعب استخراجهُ وقت العملية مهما بالغ الجرّاح في تمديد الحدقة بالاتروبين قبل العمل . ولا يخفى على حضرة الرصيف ان هذه الكترَكتا الثانوية قد تغشي الحدقة وتطمس البصر فيعود المريض الى مثل ما كان عليهِ قبل استخراج البلورية واذ ذاك تستدعي الحال الى عملية اخرى لاستخراج

الكتركتا الثانوية . ولست انكر ان هذه الكتركتا قد تحدث بعد الاستخراج المركب ولكن حدوثها اقل بكثير مما يكون بعد الاستخراج البسيط والحكمة تقضي علينا باختيار ابعد الخطرين . (٢ً) فتق القزحية وانحشارها بين حافتي جرح القرنية وهذه عاقبة اوخم من الاولى لان الفتق القزحي يكون احياناً كثيرة سبباً في تطرُّق الالتهاب والفساد الى باطن العين و بالتالي مؤدياً الى فقد البصر . وكل من عركتهُ التجارب في عملية الكتركتا يعلم حق العلم ان فتق القزحية بعد الاستخراج البسيط لا يقتصر على ان يكون « نقطةً سوداء » في حد ذاتهِ كما جآء في مقالة الرصيف ولكنهُ يسوّد وجه الطبيب ويطمس بصر المريض فيسوّد الدنيا في عينيهِ

ثم انهُ يقول في هذه المقالة ما نصهُ « انهُ من عهدٍ غير بعيد توصلوا الى تدارك عيوب الطريقة البسيطة » ولا شك انهُ يعني بتلك العيوب الفتق القزحي والكتركتا الثانوية غير انهُ لم يشرح الطريقة التي توصلوا بها الى ذلك ولكنهُ اكتفى بقولهِ « ان البارون دي ڤيكر قال في جزء نوڤمبر سنة ١٩٠١ من مجلة Annales d'oculistique ان استعمال بعض الادوية القابضة للحدقة الى ان يلتحم الجرح تماماً ينتج تجنب كل فتقٍ قزحي » (كذا) وهذا كل ما اتى بهِ من الادلة ليثبت انهم توصلوا الى تدارك عيوب الطريقة البسيطة . ونحن وان كنا لا ننكر شهرة الرمدي دي ڤيكر وما لهُ من الباع الطويل في طب العيون فانهُ لا يسعنا ان نعتبر كل ما يقولهُ قضيةً مسلمة ولو كانت منقوضةً بالاختبار ولذلك لا يمكننا ان نسلم معهُ بأن استعمال قوابض الحدقة يمنع « كل » فتق قزحي لاننا وجدنا ان الفتق المذكور كثيرًا ما يحدث مع استعمال الايزيرين والبيلوكربين ولو قال مثلاً انهُ يقلل حدوث الفتق لم يبعد عن الاحتمال . على ان بعض الرمديين لا يكتفون باستعمال قوابض الحدقة بعد الاستخراج البسيط ولكنهم منعًا لحدوث الفتق القزحي يخيطون جرح القرنية كما رأيت الرمدي كالت (Kalt) يفعل ذلك مرارًا عديدة في مستشفى الكنزڤين في باريس ولكن هذه الطريقة ايضاً لا تغني في جميع الاحوال . وانا وان كنت لم اقف على ما قالهُ البارون دي ڤيكر في الجزء المذكور من مجلتهِ المشار اليها فاني ارجح انهُ لم يجزم بان

استعمال قوابض الحدقة بعد الاستخراج البسيط يمنع دائماً حدوث الفتق القزحي ولعلّ حضرة الرصيف قد وهم في فهم عبارتهِ او في تعريبها . اجل لا يُنكر ان اتخاذ الاحتياطات وقتِ العمل من حيث تعقيم الآلات الجراحية واستعمال مضادّات الفساد تمنع بعض العواقب التي كانت تحدث على اثر عملية الكترَكتا البسيطة ولكنها لا تمنع في كل حال حدوث الكترَكتا الثانوية والفتق القزحي

والحاصل ان الاستخراج المركب اسلم عاقبةً من الاستخراج البسيط كما يعترف بذلك كل رمديٍّ عانى الطريقتين . اما ما يُنسب الى الطريقة المركبة من صعوبة العمل وما تؤدي اليهِ من ضعف البصر فلا يعتدّ بهِ لان قطع القزحية لا يستغرق اكثر من دقيقة من الزمن والالم الذي يترتب عليهِ لا يتعدى بضع ثوانٍ والنزف القليل الذي يحدثهُ لا يعوق طويلاً عن اتمام العمل لانهُ يسْهل اخراجهُ بالضغط على القرنية من اسفل الى اعلى بواسطة الجفن السفلي واذا بقي شيءٌ منهُ في الحجرة الامامية لا يلبث ان يزول في اليوم الثاني أو الثالث . ثم انهُ اذا قطعت القزحية من اعلاها كما يُفعل عادةً لا تعود استطالة الحدقة سبباً في ضعف البصر لان الجفن الاعلى يستر ما استطال منها فلا تعود اشعة النور تدخل باطن العين بكثرة وتبهرها

بقي ان انبه حضرة الرصيف الى سقطتين وردتا في مقالتهِ احداهما تاريخيــة والاخرى علمية . فأما السقطة التاريخية فقولهُ في صدر مقالتهِ في الكلام عن الطريقة البسيطة « تعدّ هذه الطريقة من احدث الطرق » والحال ان اول من استخرج البلورية بغير قطعٍ قزحي هو الرمدي الفرنساوي الشهير داڤيل (Daviel) سنة ١٧٤٩ اي منذ مئة وثلاث وخمسين سنة . . . فقولهُ انها « من احدث الطرق » ليس مما يقولهُ محقق . واما السقطة العلمية فقولهُ عن الاستاذ باناس ما نصهُ بالحرف « وحضرتهُ ينسب كثرة تكون الكترَكتا الثانوية الى انفراز موادّ من الجسم الهدبي ودخولها في الشبكية عند كشط القزحية مما يكون سبباً في تكدير الابصار » . وهو من الاقوال التي لا يمكن التسليم بانهــا تصدر عن مثــل الاستاذ باناس واين الكترَكتا الثانوية من الشبكية وما دخل هذه في تلك واني لأودّ ان اقف على الكتاب الذي يقول

فيهِ الاستاذ باناس ان المواد المنفرزة من الجسم الهدبي تدخل في الشبكية لأعرف كيف يتم ذلك الدخول العجيب فان غاية ما اعرفهُ ان الجسم الهدبي اذا التهب بعد الاستخراج المركب بسبب قطع القزحية قد تمتزج مفرزاتهُ ببقايا الكترَكتا وتلتصق بالمحفظة وتزيد في كثافة الكترَكتا الثانوية أو تتخلل الجسم الزجاجي وتكدر صفاءهُ. اما كونها تدخل في الشبكية فهذا مما لم اسمع بهِ ولا اعرف كيف يمكن حدوثهُ

هذا ما بدا لي في انتقاد مقالة حضرة الرصيف وانا ارجو ان لا يحمل كلامي على قصد التحامل أو الازدرآء ولكن جلّ غرضي التنقيب عن الحقيقة فان اصبت الغرض والاّ فلا احبّ اليَّ من ان ينبهني الى ما لعلي حدت فيهِ عن سنن الصواب فان الانسان ضعيفٌ كثير العثرات والعصمة لله وحدهُ

وزن المسك في الهوآء

من القضايا المشهورة انهُ اذا وُضعت حبة من المسك في غرفةٍ يتضوَّع ريحها مدة سنين من غير ان تفقد شيئاً من وزنها وهو مما حير علمآء الطبيعة لما هو مقررٌ من ان الرائحة التي تنتشر من كل ذي عَرْفٍ ليست الا دقائق من مادّتهِ يحملها الهوآء الى حاسة الشمّ فتتأثر بها ثم تتبدد في الفضآء فلا بد والحالة هذه ان يُحدِث ذلك نقصاً في الجسم الذي تتضوع منهُ تلك الرائحة مهما كان نوعهُ وهذا النقص المتواصل لا بد ان يبلغ مع توالي الزمن مقداراً محسوساً . ومع ذلك فقد امتُحن هذا الامر باضبط الموازين وادقّها فلم يتبين ادنى فرق في زِنَة حبة المسك حتى بعد تعريضها للهوآء مدة عشرين سنة

وقد عُني بهذه المسئلة في هذه الايام واحدٌ من علمآء الطليان يقال لهُ المسيو سَلفيُوني فاخذ اولاً يزاول اختراع الموازين حتى وُفق الى صنع ميزان

انتهى بهِ الى آخر ما يقع في التصوُّر من الدقّة ولطف التأثر . وذلك بان عمد الى سلكٍ دقيق من الزجاج جعل احد طرفيهِ مقيداً وترك الطرف الآخر سائباً فاذا اراد وزن جسم دقيق علّقهُ بالطرف السائب من السلك وحينئذٍ فمهما كان ذلك الجسم خفيفاً فلا بد ان ينحني السلك ولو بما لا يكاد يُشعَر بهِ فينظر اليهِ بالمجهر (المكرسكوب) فيتبين مقدار ذلك الانحناء وبالتالي يعلم مقدار ما اثر ثقل الجسم . وقد امتحن ميزانهُ باجسام يختلف وزن بعضها عن بعض جزءًا من الف من المليمتر وتدرَّج فيها من جزءٍ واحد الى ٢٠٠ جزء فوجد انحناء السلك في جميعها يختلف على النسبة نفسها. ثم امتحنهُ بالمؤثرات الخارجية من قِبَل الجوّ بان وزن الجسم الواحد في حالاتٍ مختلفة من الرطوبة والحرارة فوجد ان الفرق يُشعَر بهِ ولو كان واحداً من عشرة آلاف من ثقل الموزون

ولما ثبتت لهُ صحة اختراعهِ عمد الى تحقيق مسئلة المسك فامتحن وزنهُ اولاً في الهواء الجافّ بقطعةٍ ثقلها ميلغرام واحد فتبين لهُ ان وزنها ينقص مقداراً محدوداً يزداد على نسبة الوقت. ثم امتحنهُ في الهواء المطلق فاضطربت نتيجة الامتحان لما في المسك من القوة على امتصاص الرطوبة من الهواء وهو الامر الذي طالما شوّش على اصحاب التجارب القديمة غير انهُ توصل اخيراً الى ضبط هذه القوة فيهِ ومعرفة المقدار الذي يمتصهُ من الرطوبة . وذلك انهُ أخذ قطعةً من المسك وزنها عُشر الغرام وتركها تتبخر في الهواء الجاف مدة ٢٠٠ ساعة فظهر لهُ فيها نقصٌ خفيف قدَّرهُ بميزانهِ ثم نقل هذه القطعة توًّا الى هواءٍ رطب وتركها فيهِ مدة ساعة ثم أعاد وزنها فوجدها قد

استرجعت كل ما فقدتهُ من الثقل في الهوآء الجاف في المدة المذكورة . وقد اتبع هذا الامتحان بعدة امتحانات أُخر اثبتت لهُ صحتهُ وبهذا عُرف السبب في عدم تبيُّن النقص في الإمتحانات السالفة لانهم كانوا يجرونها في الهوآء المحيط وهو لا يخلو من الرطوبة

وعلى ذلك فالمسك لا يخرج عن حدّ غيرهِ من ذوات الروائح غير انهُ يستعيض عما يُفقَد من ثقلهِ بما يتشربهُ عن رطوبة الهوآء فلا يظهر نقصٌ في زنتهِ وهذان الامران المتضادّان فيهِ وهما التبخر والامتصاص هما اللذان اوهما المتقدمين من علمآء الطبيعة ان المسك لا يتغير وزنهُ ولا يفقد من مادتهِ

الوان الخيل

بحث علمآء الطبائع في اصل الوان الخيل وسبب اختلافها لما يترتب على ذلك من معرفة طبائعها والتمييز بين جيدها ورديئها . وقد اجمعوا على ان اصل الخيل من اواسط آسيا من نواحي بلاد التتار وما يجاورها من ذلك البرّ والخيل الوحشية هناك لونها بين الشُقرة والغُبرة ومنها ما يكون في قوائمها سواد قالوا فهذه اصل الالوان المتفشية في الخيل ومنها تفرعت بقية الالوان بما حصل بينها من الانفراد تارةً والامتزاج تارةً اخرى وذلك ما خلا البياض فان لهُ فيما ذكروا سبباً آخر على ما سيجيء

والالوان الاصلية في الخيل ثلاثة وهي الاحمر والاصفر والاسود ولكلٍّ منها مراتب أشهرها في الاحمر الوَرْد وهو ما كان خالص الحمرة والاشقر وهو ما صفت حمرتهُ والكُمَيت وهو ما كانت حمرتهُ الى السواد . والاصفر

قد يكون بلون الذهب وهو الاصفر بجدّه وقد تميل صفرتهُ الى الحمرة ويقال لهُ الاصهب وقد يصفو لونهُ ويميل الى البياض ويقال لهُ السوسنيّ . والاسود قد يكون صافي السواد ويقال لهُ الادهم والدَجوجيّ وقد يشتدّ سوادهُ ويسمى الغيهبيّ وقد يكون أغبر مُشرَباً سوادا ويقال لهُ الاربد . وهناك الوانٌ أُخر مركبة تختلف اسمآؤها باختلاف غلبة بعضها على بعض وفي ذلك تفصيلٌ طويلٌ ليس هنا محلهُ

واما الابيض فقالوا انهُ ليس من الألوان الاصلية في الخيل ولكنهُ طرأ عليها بعد ان دجنت بدليل ان الطيور البرية اذا حُبست في الاقفاص تأخذ الوانها في الصفو . قالوا واول ما ظهر فيها بعد دجونها بُقَعٌ بيضآء ثم أخذت هذه البقع تمتدّ بالتدريج وتزداد بتوالي النتاج بين ذوات اللون الواحد وهذا على حدّ ما يرى في الخيل ذات الالوان الصافية فان هذا الصفآء في الوانها كثيراً ما ينشأ عن مجرَّد تعاقب النسل او يزداد بسببهِ

وجآء في كلام أحد المتقدمين من علمآء الحيوان ان الوان الخيل تتقاسم العناصر الاربعة وهي التراب والهوآء والمآء والنار قال ويختلف لون الفرس وطباعهُ تبعاً لغلبة احد هذه العناصر فيهِ على سائرها فالفرس الادهم يغلب فيهِ العنصر الترابي فيكون ثقيلاً وانياً ضعيف القلب والاصفر يغلب فيه العنصر الهوآئي فيكون حادًّا سريع الحركة لكنهُ قليل الثبات والاحمر يغلب فيه العنصر الناري فيكون ابيًّا جريئاً والابيض يغلب فيهِ العنصر المآئي فيكون خوَّاراً ضعيف القلب

ثم ان البياض قد يخصّ بعض اعضآء الخيل دون بعض ويسمى

بالوَضَح وهو يظهر اولا في الرأس ثم في القوائم واول ما يُرى منهُ في الرأس شعراتٌ قليلة في وسط الجبهة يكون لونها اصفى من عامة لون الفرس ثم يشتدّ صفاؤها فتبيضّ ويتسع البياض حتى يصير غُرّة ثم يمتدّ سفلاً حتى يبلغ الجحفلة وهي شفة الفرس وربما عمّ الجبهة او الوجه كلهُ . واما بياض القوائم فقد يبلغ ثلث الوظيف او ما فوق ذلك الى ثلثيهِ ويسمى التحجيل وقد يرتفع حتى يبلغ ركبة اليد وعرقوب الرجل ويسمى التجبيب وربما تجاوز الى العَضُدين والفخذين وغيرها ويسمى البَاق . وكلهُ اما ان يكون طبيعياً حادثاً عن مثل ما ذكروا واما ان يدلّ على حالةٍ مرضيّة هي الحُسبة التي تقدم لنا الكلام عليها في احد اجزاء السنة الماضية وهي آفةٌ يبيضّ بها الشعر والجلد بسبب نقص المادّة الملوّنة او فقدها من الجسم بتاتاً . فان كان طبيعياً فعلامتهُ ان يكون الشعر حريريًّا لامعاً فضيّ اللون والبشرة تحتهُ سوداء وان كان من قبيل الحُسبة كان لون الجلد ورديًّا كلون جلد الانسان ولون الحدقة احمر . وحينئذ فان آلات الحسّ تضعف فيكون البصر مغطرشاً والسمع ثقيلاً وكذلك الدماغ يكون بليداً واذا كان الفرس محجلاً ضَعُفَ رسغهُ وكان سهل الزيغان ويكون حافرهُ ابيض اللون هشاً سريع التفتت واكثر ما تكون الحُسبة في الخيل المبقعة بسواد وبياض ولذلك قلما تصلح للخدمة والركوب

غرائب التجليد

طُبع الانسان على حب المباهاة في كل شيء حتى انهُ ربما خرج بهِ

الامعان في طلب الفخر الى المنافسة بكل غريب ولو لم يكن في ذاته نفيساً . ومن اغرب ما يروَى في ذلك فصلٌ وقفنا عليهِ في احدى المجلات العلمية ذكرت فيهِ نوادر بعض المولعين بالكتب وما بلغ بهم التغالي في تجليدها والاغراق في طلب الجلود النادرة بحيث لم يبقَ نوعٌ من الحيوان الا أُخذ جلدهُ لجُعل كسوةً لبعض الكتب حتى الببر والفهد والتمساح والثعلب والذئب والافعى والخلد والفقمة والدب الابيض وغير ذلك مما يطول تعدادهُ

وربما جلّد بعض الكتب بجلد الانسان نفسهِ وقد ورد في التأريخ ذكر عدة من هذه الكتب منها في انكلترا مؤلفٌ في التشريح للدكتور انطوان أسكو المتوفى سنة ١٧٧٣ جلّدهُ بجلد انسان للمناسبة بين ظاهرهِ وباطنهِ . ومنها مجلدان آخران قد جلّدا بجلد امرأةٍ مشعوذة من يُوركشير يقال لها ماري رَتمان وكانت قد عوقبت بالقتل قوَدًا وذلك في اوائل القرن التاسع عشر

ومنها كتابٌ وُجد في مكتبة المسيو فّيد وزير مالية الباجيك وهو مؤلفٌ في الفلسفة والبلاغة وقد أُلصقت على الورقة البيضاء من اولهِ بطاقةٌ ذكر فيها اسم المجلد وقيمة التجليد بهذه الصورة « ٢٠ فرنكاً دُرُوم ١٧٩٧ »

وذُكر في احدى المجلات الفرنسوية سنة ١٨٨٢ ان في مكتبة درسْد تقويماً مكسيكياً مكتوباً على جلد انسان

ومنها في اميركا كتابان عند احد اكابر التجار في شِنشِناتي من تأليف ستّرْن احدهما مجلد بجلد امرأةٍ زنجية والآخر مجلد بجلد فتاةٍ صينية

ومنها في فرنسا نسخةٌ من الكتاب المقدس كانت في المكتبة

الامبراطورية مجلدة بجلد امرأة وهي من القرن الثالث عشر . وذكر بعضهم انهُ كان في هذه المكتبة كتابان آخران مجلدان كذلك احدهما نسخة اخرى من الكتاب المقدس، والثاني سجلٌ لبعض احكام البابوات

وعُرض للبيع من بضع سنين كتابٌ عنوانهُ اسرار باريز مجلد بجلد انسان وهو مطبوع سنة ١٨٥٤ وثمنهُ ٢٠٠ فرنك . وقد كُتب عليهِ انهُ مجلد بجلد امرأة

ومن غريب ما رُوي في وقتنا هذا ان المسيو فلاماريون الفلكي الشهير كان مرةً مجالساً لاحدى النسآء الشريفات فكان في جملة محادثتهِ لها ان ذكر لها اعجابهُ بنقآء بشرتها . وتوفيت المرأة بعد مدة قليلة فأوصت لهُ بجلد كتفيها فأعطى الجلد لبعض حذاق الدباغين فدبغهُ ثم جلد بهِ أحد مؤلفاتهِ المعنون بالأرض والسمآء (Terre et Ciel) وكتب على أحد لوحي الكتاب باحرفٍ ذهبية « تذكار ميتة »

لكن اغرب مجلدٍ من هذا النوع ما تمثَّلهُ أحد المحامين في ڤالَنسيان المسمى أدمُون لُروا وهو ان يجلد كتاب أحد المؤلفين بجلد المؤلف نفسهِ . وذلك انهُ حضر تحنيط الأب دَليل الشاعر المتوفى سنة ١٨١٣ وهو مترجم أحد دواوين ڤِرجيل الى الفرنسوية فطلب من متولي التحنيط قطعتين من جلدهِ وجلد بهما نسخةً من الكتاب المذكور . وهـذا المجلد باقٍ فيما ذكروا الى اليوم في مكتبة ڤالنسيان

اما التفنن بغير ذلك فهو كثير منهُ ان بعضهم جلد كتاباً يبحث في الصيد بجلد أيّل وكانهُ اقتدى بالذي جلد كتاب التشريح بجلد انسان للمناسبة بين

لحواهُ ومنظرهِ . وقريبٌ منهُ ما فعلهُ الآخر وهو انهُ جلَّد تاريخ نابوليون فجعل جلد كل واحدةٍ من دفَّتي الكتاب ثلاث طرائق من أزرق وأبيض وأحمر على مثال الراية الفرنساوية . الا انهم ربما بالغوا في هذه الاعتبارات حتى يبلغوا احياناً حد السخافة وذلك كما يروى عن بعضهم انهُ جلَّد تاريخ الثورة الفرنسوية تأليف تيرس فجعل جلد الكتاب ازرق وطرَّفهُ بالذهب على مثال اردية الامرآء ورصَّع في احدى دفّتيهِ اطار الزجاجتين اللتين كان المؤلف يضعهما على عينيهِ وركب في أربع زواياها اربعة ازرار من دثارهِ . ومن المضحكات في هذا البـاب ما ذكر عن أحد الانكليز انهُ اراد تجليد تاريخ جاك الثاني تأليف فُوكْس فجلدهُ بجلد ثعلب لان فوكس بالانكليزية معناهُ ثعلب ولعل هذا اغرب ما رُوي من هذا القبيل

اسئلة واجوبتها

رومية — بينما كنت اطالع في كتاب مجاني الأدب الذي جمعهُ حضرة الأب لويس شيخو (الجزء ٥ ص ٢١١) عثرت على الأبيـات الآتية من قول بعضهم يصف فرساً

لهُ زهرُ طاووسٍ وخطر حمامةٍ وتدويم بازٍ وانقضاض عُقابِ

فلم افهم مرادهُ بزهر الطاووس ثم روى لهُ بعد ذلك

وجدلُ عنانٍ وانثنـآء وبالةٍ ووقدُ ضرامٍ وانضياع شهابِ

وهَيْجُ أخي شَولٍ وتدفيق خَيِّلٍ وايماض برقٍ والتماع سرابِ

واعصاف ريحٍ واهتزاز براعةٍ ودرّة نوءٍ وانجياب سحابِ

فاشكل عليَّ فهم كثير من الفاظ هذه الأبيات منها قولهُ في البيت الأول « وانثناء وبالةٍ » فاني لم افهم معنى الوبالة هنا . وقولهُ بعد ذلك وانضياع شهابٍ » ولم اجد لفظ الانضياع في كتب اللغة بما يناسب هذا المقام . وفي البيت الثاني قولهُ « وتدفيق خَيَلٍ » وقد بحثت عن معنى الخيل فلم أجد لهُ ذكرًا في كتب اللغة . وفي الثالث « واهتزاز بزاعةٍ » ولم أجد للبزاعة معنًى يصح ان يراد في هذا الموضع . فأرجو منكم بيان الصواب في ذلك كلهِ ولكم الفضل

الشماس بوليكربس قطان

الجواب — اما قولهُ « لهُ زهر طاووسٍ » فصوابهُ « زهو » بالواو مكان الرآء وهو التيه والاختيال وفي المثل هو أزهى من طاووس . واما قولهُ « وانثناء وبالةٍ » فلعل الصواب فيهِ « انثناء ذُبالةٍ » بالذال مكان الواو وهي الفتيلة لما شبههُ بالعنان المجدول في متانة الأعضاء واندماجها عاد فشبههُ بالفتيلة في سهولة الانثناء يريد انهُ صلب الأعضاء لكنهُ لين المفاصل . وقولهُ « وانضياع شهابٍ » صوابهُ « انصياع » بالصاد المهملة وهو سرعة الانفتال والرجوع . وقولهُ « وتدفيق خيلٍ » صوابهُ « تدفيف أخيَلٍ » والأخيَل طائرٌ قيل هو الشقرّاق وتدفيفهُ صيغة مبالغةٍ من الدفيف وهو ان يمرّ الطائر فُوَيق الأرض وقولهُ « واهتزاز بزاعةٍ » صوابهُ « يراعةٍ » باليآء المثناة والرآء المهملة وهي القصبة

دوما — مَن اول من استخدم حروف ابجد للدلالة على الاعداد ولماذا رُتّبت في هذه الكلمات وما هي معانيها وفي اي عهدٍ ابتدأوا ينظمون

التاريخ بحساب الجُمَّل داود بشير

الجواب — اما اول من استخدم الحروف للدلالة على الاعداد فغير معروف على ان العرب اخذت هذا الاصطلاح عن السريان فانهم كانوا كالعبرانيين واليونان يعبرون عن الاعداد بالحروف . واما ترتيبها في هذه الكلمات فاتبعوا فيهِ ايضاً السريان لان الحروف عندهم مرتبة ترتيب حروف ابجد غير ان العرب زادوا عليها كلمتي ثخذ وضظغ لان هذه الاحرف الستة لا توجد في لغة السريان كما لا توجد في لغة العبرانيين وبها تمت سلسلة الاعداد الى الالف . واما معانيها فزعم بعضهم انها اسمآء بعض ملوك مدين وقيل هي اسمآء شياطين وقيل هي اسمآء ايام الاسبوع وقيل غير ذلك . ولعل الاشبه انها جمعت كذلك بقصد حصرها في الفاظٍ يسهل استظهارها ولو لم تكن ذات معانٍ كما حصروا بعض انواع الحروف مثل احرف القلقلة واحرف الذلاقة وكما جُمعت احرف خَفَشَلِق عند العروضيين ودمع خزَقه عند الفقهآء وغير ذلك . واما بدء استعمال الحساب الابجدي في التاريخ فلم نعثر على كلام فيهِ ولعل اقدم تاريخٍ من هذا النوع قول بعضهم يؤرخ ظهور الدخان اي التبغ في بلاد العرب

سألوني عن الدخان وقالوا هل لهُ في كتابنا ايمآء

قلتُ ما فرَّط الكتاب بشيءٍ ثم ارختُ يومَ تأتي السمآء

يشير الى قولهِ يومَ تأتي السمآء بدخان فاكتفى بالالفاظ المذكورة في النظم وجُمَّلها ٩٩٩ وهو عدد تلك السنة من الهجرة والله أعلم

دمنهور — اطلعت اليوم على مقالة ٍضافية في مجلتكم الغرآء معنونة بالسحب وطبقات الهوآء وعند المنتهى قال العلامة فلاماريون انهُ على بعد ٤٠٠٠ متر عن الارض رآها مقعرةً حال وجودهِ بين سماء الطخاف والقلَع مع انهُ من الثابت علمياً ان الارض كروية وسوآءٌ رآها بالعين المجردة او بالمنظار فلا يتأتى ان تُرَى كما ذكر ولكنهُ اما ان يراها مسطحة بالنسبة الى كبر حجمها العظيم او يراها كروية وهذا في الغالب من المستحيلات لانهُ لا يستطيع الوصول الى نقطةٍ من الفضاء يراها منها كما نرى القمر مثلاً . فنرجو الافادة عن السبب الذي يعلل بهِ العلامة المشار اليهِ رؤية الأَرض على هذا الشكل ولكم منا مزيد الشكر　　راغب دميان

مهندس تغييرات في مديرية البحيرة

الجواب — الظاهر ان السبب في هذه الرؤية ما ذكرهُ بعد ذلك من انهُ كان يرى الافق الظاهر يرتفع معهُ كلما ارتفع حتى كان دائماً على مؤازاة نظرهِ وبديهيٌّ ان من رأى نفسهُ مرتفعاً عن سطح الارض مسافة اربعة آلاف متر ثم رأى اطراف ذلك السطح مرتفعةً الى مؤازاته لا بد ان يظهر لهُ على شكل مقعر وهي نتيجةٌ ضرورية كما يتضح لكم بادنى تأمل

بيروت -- انا من تلامذة الآباء اليسوعيين وقد لبثت عندهم مدة ثماني سنوات ما بين مدرستي غزير وبيروت وفي كل هذه المدة لم اركم في احدى هاتين المدرستين ولا سمعت انكم درَّستم في واحدةٍ منهما ثم رأيت الأب شيخو في الجزء الأخير من المشرق يذكر اسمكم في جملة الذين درَّسوا

في المدرستين المذكورتين او في احداهما فكيف وفي اي سنةٍ كان ذلك

احد مشتركي الضيآء

الجواب - كان ذلك في السنة التي فيها عاهد الجزويت ربهم على ان لا يتكلموا الاّ بالصدق .....

آثار ادبيّة

تراجم مشاهير الشرق - اهدى الينا حضرة الفاضل جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال الاغر الجزء الاول من هذا الكتاب وهو مجموع التراجم التي كان ينشرها فيما سبق من اجزآء الهلال . وهذا الجزء يشتمل على تراجم امرآء الاسرة الخديوية ومن نبغ في الشرق من الامرآء والقواد ورجال الادارة والسياسة في القرن التاسع عشر محلًّى برسوم اكثر اصحاب التراجم مع رسومٍ اخر مما يتعلق باغراض الكتاب فنحضّ محبي المطالعة على مقتناهُ وهو يباع في مكتبة الهلال وثمنهُ ١٥ غرشاً مصرياً

النخبة - هو عنوان ديوان شعري من نظم حضرة الاديب رشيد افندي المصوبع اودعهُ نخبةً من محاسن شعرهِ بين غزلٍ ومديح ورثاء وغير ذلك . وقد تصفحناهُ فوجدنا فيهِ كثيراً من الرقائق والمبتكرات فنثني على قريحة الناظم ونرجو لديوانهِ تمام الرواج

فكاهات

فتاة الدير[1]

روى احد مشاهير الكتاب الفرنسويين من اهل القرن الثامن عشر الحادثة الآتية قال

استدعتني بعض الظروف للاعتزال عن باريس مدينة الحركة والضوضآء الى بلدة يسود فيها السكون فقصدت مدينة نانت باشارة من بعض معارفي وقد اطنب لي في مدح تلك البلدة من حيث حياتها الهادئة وجودة هوآئها وجمال مناظرها الطبيعية . فلما بلغتها وجدتها كما قيل لي واحببت البقآء فيها فاكتريت لي منزلاً مفروشاً اقمت فيهِ وجعلت اخفف عن عاتقي من اثقال التعب الذي اصابني في باريس ايام الشغل والجد

وخرجت يوماً للتنزه فقادتني خطواتي الى ضواحي المدينة فرأيت عن بعدٍ بناية عظيمة جميلة تحيط بها اشجار باسقة ونباتات زاهرة والى جانب البناية جدول تجري مياههُ كالبلور . وصادفت رجلاً في طريقي فسأَلتهُ عن هذا البنآء واصحابهِ فقال لي انهُ دير لراهبات على اسم القديس اوغسطينوس فحدثتني نفسي ان اصل الى الدير وادخل كنيستهُ مصلياً لانهُ من المعتاد ان تكون كنائس الاديار مفتوحة دائماً لدخول من يشآء . فسددت خطواتي نحوهُ وكان ما اراهُ حولي من جمال الطبيعة وبهآء المناظر يقصر المسافة امامي فلم اشعر الا وانا في وسط حديقة الدير المذكور وامام باب المعبد المفتوح . فتقدمت بتمام الاحترام والخشوع وكانت الكنيسة خالية من الناس فاقتربت الى الداخل واخترت مقعداً جثوت بجانبهِ واستغرقت في صلاةٍ حارة وكان سكون المكان وهيئتهُ الرهبية يؤثران في النفس فلم اذكر اني صليت في

(١) ملخصة عن الفرنسوية بقلم نسيب افندي المشعلاني

حياتي قط باشد ورعاً وتعبداً مما فعلت في تلك الساعة

وما كدت اتم فروض الصلاة واهم بالنهوض حتى قرع اذنيَّ صوت غنآء رخيم ضعيف لا يكاد يسمع خلتهُ تسبيحات جوق من الملائكة يطوفون حول ذلك المعبد المقدس فلبثت جاثياً في مكاني وكأن ركبتيَّ قد سُمِّرتا بالارض . وكانت الدقائق تقرّب ذلك الصوت شيئاً فشيئاً حتى صار بقرب المعبد واذ ذاك فتح باب حذآء هيكل الكنيسة وظهر لي منهُ منظر طُبع للحال على مخيلتي فلا يمحى منها ما حييت . رأيت واذا بعدد غفير من راهبات الدير يسرنَ بكمال الاحترام والنظام وكلٌّ منهنَّ في يدها الواحدة مبخرة من الفضة وفي اليد الاخرى شمعة متقدة وكنَّ جميعهنَّ مطرقاتٍ بابصارهنَّ الى الارض وهنَّ يترنمنَ بذلك اللحن الشجي وكانت ملابسهنَّ بيضاء مما خيل لي انني محاط بجندٍ من الملائكة . فدخلنَ الكنيسة بالترتيب وتبعهنَّ ستٌّ أُخر يحملنَ بين ايديهنَّ نعشاً مغطى بالورد والرياحين فوضعنهُ على مائدةٍ امام الهيكل . واذ ذاك انتهى الصوت الشجي برنةٍ تفعل في النفوس واستولى السكون وجاء آخر الكل كاهنٌ ذو لحية عريضة قد اشتعلت شيباً فوقف مطرقاً بعينيهِ الى الارض . فتبين لي اذ ذاك ان احدى عذارى الدير قد توفيت وهنّ يحتفلنَ بجنازتها فأثّر فيَّ المشهد كثيراً وحانت مني نظرةٌ الى الفقيدة فوجدتها فتاةً في مقتبل العمر ونضارة الشباب لم يقوَ الموت على تشويه جمالها ولا على سلب ذلك التبسم اللطيف المرتسم على شفتيها الصغيرتين وقد بان وجهها المحاط بغدائر شعرها الاسود كالبدر اذا احاطت بهِ غيوم سودآء . ثم تقدم الكاهن فوقف امام الجثة واخذت دموعهُ تتساقط بغزارةٍ وتسكب على لحيتهِ البيضاء ثم ابتدأ في الصلاة على الميتة بلسان يلعثمهُ الحزن وصوتٍ متهدج تقطّعهُ الزفرات المحرقة والدموع المنهمرة . ولما انتهى تقدم الى الجثة فوضع صليباً من الفضة فوق صدرها وقبلهُ ثلاثاً ثم اخذ يد الميتة وادناها من شفتيهِ فما كاد يرسم عليها قبلة الوداع حتى ارتجفت شفتاهُ واهتز جسمهُ وسقط الى كرسيٍ بالقرب من النعش وكأنهُ اغمي عليهِ . ثم تقدمت الراهبات بمنتهى الوقار والسكون وتعاقبنَ على وداعها حتى اذا انتهينَ عدنَ فرفعنَ الجثة وسرنَ كما

دخلنَ بالترنيم الشجي الى حديقة الدير ثم نهض الكاهن فتبعهنَّ سائرًا بقرب النعش ويدهُ في يد الفقيدة . واذ ذاك شعرت بانحلال القوة التي كانت قيدتني بالارض فنهضت وسرت ورآء هذا المشهد وصدري يكاد ينشق من شدة الحزن والاكتئاب . وبلغ المشهد طرف الحديقة حيث أُعدَّت حفرة لاستقبال الجثة فغرسنَ فيها تلك الزهرة الطاهرة وسقينها من دموعهنَّ ثم عادت الراهبات الى الدير ولم يبقَ بجانب الرمس سوى الكاهن فانهُ جلس على حجر بقرب الضريح واستخرط في البكآء . واذ ذاك اقتربتُ منه فاجفل لرؤيتي فكلمتهُ بلطفٍ وجعلت اؤسيهِ واسليهِ ولما خففت شيئًا من لوعتهِ سألتهُ عن الفقيدة وسبب حزنهِ الشديد فأخذ يقص عليَّ تاريخ تلك المسكينة فقال

ان وصي الملك الحالي الدوق فيليب دورليان جآء بريطانيا منذ سبعة عشر عامًا فاعجبتهُ فتاة من اهالي هذه البلدة واحبها فاقترن بها غير انها لما لم تكن من طبقة الاشراف لم يمكنهُ الاعتراف بها جهرًا وفي نهاية السنة ولدت لهُ ابنةً كانت مثال والدتها واصابت الام حمى النفاس فماتت على اثر الولادة . فتحولت محبة الدوق الى ابنتهِ الصغيرة فدعاها باسم والدتها ايلين وسلَّمها الى راهبات هذا الدير ليعتنين بتربيتها وهنَّ يجهلنَ والدها . وكتب الله للطفلة الحياة فعاشت وكانت مثال الجمال والورع والفضيلة وبلغت من سنيها السادسة عشرة وهي كزهرة في اول نضارتها

وحدثت في هذه المدة انقلابات سياسية وتقسمت الاحزاب فوُجد بين الفرنسويين حزبٌ يكره وصيّ الملك المذكور وجرى بعد مراجعات بين هذا الحزب والبلاط الاسبانيولي ان تألفت جمعية سرية غرضها الفتك بالدوق دورليان . وكان زعمآؤها خمسةً في نفس هذه المدينة بينهم فتًى يدعى غستون من اسرة شريفة غنية لكنهُ كان وحيدًا لا اهل لهُ في البلاد . وقدَّر القضآء ان غستون رأى يومًا ايلين خارج الدير فاحبها واعجبها ايضًا فاحبتهُ وبعد حين تمكن غستون من اغرآء بواب الدير فكان يسمح لهُ بالدخول الى الحديقة سرًّا ومكالمة الفتاة من النافذة فكانت تقوى بينهما صلة الحب والوداد . ولما نضجت تدابير المكيدة السياسية وتقرر قتل الدوق

اقترعوا على من تفوَّض اليهِ تلك الضربة القاضية فوقعت القرعة على غستون . ولما كان قد اقسم يمين الطاعة وخشي ان يوسم بالجبن ونكث العهود لم يمكنهُ الا الاذعان فاخذ يهتمّ بالسفر الى باريس لاتمام فعلتهِ غير انهُ كانت تخطر في بالهِ حبيبتهُ ايلين فيقف مفكرًا ثم يقول لا لا فواجبات الشرف قبل واجبات الحب

ولما صمم غستون على مفارقة نانت والسفر الى باريس لقضاء مهمتهِ قصد الدير ليودع حبيبتهُ ايلين وهو يفكر فيما عساهُ ان ينتحلهُ من العذر لغيابهِ عنها ثم خطر لهُ انهُ لا بد من القاء القبض عليهِ بعد اتمام فعلتهِ وسيكون جزآؤهُ الموت لا محالة فماذا يحل بها عند ذلك . ثم جعل يحارب افكارهُ في ان يطلعها على سرّهِ اولا ولم ينتبه الا وهو قد بلغ الدير . وحالما وقع نظرهُ على ايلين رآها باسمة الثغر يتدفق السرور من وجهها ثم بدأتهُ بالحديث فقالت لك البشرى يا حبيبي غستونْ . قال بمَ . قالت لا تجهل انني ربيبة هذا الدير لا اعرف لي اهلاً ولا والدين غير انهُ ورد امس الى رئيسة الدير رسالةٌ من باريس من مقامٍ سامٍ يقول كاتبها ان والدي يطلب رجوعي الى باريس وانهُ لوجود بعض اسباب تمنعهُ ان يبوح باسمهِ قد عين سيدةً تستقبلني في باريس فتأخذني الى بيتها ريثما يزورني والدي ويعرّفني بنفسهِ وسأسافر غدًا برفقة احدى الراهبات . وانني وان كان يسوءني غيابي عنك هذه المدة القصيرة فانهُ يسرني ان اعلم من هما والديَ واذ ذاك اكتب اليك فتأتي وتطلبني زوجةً لك وبذلك تتم سعادة كلينا اذ لا تكون قد اقترنت بلقيطة بل بابنةٍ معروفة النسب ويترآءى لي ان اسرتي من الاسر الشريفة فلا تكون قد تزوجت بادنى منك رتبةً . وكان غستون يتلقى هذه الكلمات بمنتهى السرور فقال لقد خدمني السعد فانا ايضاً قد دعتني بعض الاشغال المهمة للسفر الى باريس وكنت آتياً لوداعكِ وقلبي لا يقوى على تركِكِ هذه المدة . اما الآن وقد وافقنا الحظ فسنسافر معاً فترعاكِ عيني وتحرسكِ يدي فلا نفترق بعد الآن

وفي الصباح التالي ركبت ايلين عربةً مع احدى الراهبات وامتطى غستون جوادهُ فرافق العربة وعيناهُ لا تفارقان ايلين . وكان قد زوَّدهُ اصحابهُ برسالة الى

زعيمهم في باريس وهو امير اسبانيولي يدعى اوليفار لكي يستقبل غستون و يسهل لهُ الوصول الى الدوق دورليان ليتمكن من قتلهِ . وما زالوا سائرين حتى بلغوا باريس وهناك وجدت ايلين سيدةً تنتظرها فاستقبلتها لتسير بها الى منزلها ورجعت الراهبة . اما غستون فاعطى ايلين اسم المنزل الذي سيبيت فيهِ واوصاها ان تكتب اليهِ وتعرّفهُ بالمحل الذي ستقيم فيهِ لكي يتمكن من زيارتها ثم ودعها وسار منطلقاً الى المنزل الذي عينهُ لهُ اصحابهُ للنزول فيهِ

اما الدوق دورليان فكان لهُ كاتب سرّ يُدعى ديبوا وهو داهية دهماء وسياسي محنك كانت ترتعد رجال فرنسا من ذكر اسمهِ وكان أتبع للدوق من ظلهِ وهو يراقب ماحولهُ بمنتهى الدقة و يسهر عليهِ سهر الام على رضيعها . وكان قد اشتمّ رائحة المكيدة المقصودة فبث العيون والارصاد في كل ناحية وكانوا يبعثون اليهِ كل يوم بما يعنّ لهم من الملاحظات فلم تفتهُ فائتة وعرف بمجيء غستون وغرضهِ بجميع تفاصيلهِ . ولما قرب موعد وصول غستون الى باريس أطلع ديبوا الدوق على جلية الامر فأُعجب الدوق بمهارتهِ وحذقهِ ثم قال والآن فما عندك من الرأي . فقال ديبوا ان هذا الفتى لا يعرفك ولا يعرف الامير اوليفار فسأجعلك انت الامير المذكور واقودهُ اليك فتستخبرهُ عن كل شيء ولاعتقادهِ انك الامير رئيس العصابة فلا يخفي عنك شيئاً . فقهقه الدوق ضاحكاً وقال حسنٌ يا ديبوا فافعل

وما بلغ غستون المنزل حتى دخل عليهِ ديبوا متنكراً ثم طلب الانفراد بهِ و بعد استعمال مكرهِ ودهائهِ المشهور قال لهُ انهُ مرسل من قبل الامير اوليفار لاستقبالهِ واخذهِ اليهِ . فقال غستون ومن اين علم الامير بوصولي . قال كُتب الينا من نانت عن قدومك وعرّفونا انك ستأتي هذا المنزل فكان مولاي الامير يرسلني الى هنا كل يوم للاستخبار عن وصولك . فسرّ غستون لتسهيل الامر واعتقد ان التقادير تمهد لهُ السبيل لاتمام عملهِ الفظيع . ولما استراح قليلاً اخذ شيئاً من القوت ثم سار وديبوا يقودهُ حتى اوصلهُ الى بيتٍ كان ينتظرهما فيهِ الدوق دورليان . فلما دخلا سلم غستون على الدوق وهو يعتقدهُ الامير الزعيم فاخذ هذا يفاوضهُ في الحديث وقد رأى في غستون

جمالاً وذكآءً وشجاعةً وشهامة فاحبهُ محبةً عظيمة وصمم ان يقنعهُ اولاً بترك جمعية الثائرين ثم ان يستميلهُ اليهِ ويعرّفهُ بنفسهِ ويجعلهُ من خواصهِ . غير انهُ لم يتمكن من ذلك في تلك الجلسة وحدها فطيب خاطر غستون وقال لهُ يجب ان تزورني يوميًّا وتعلمني بجميع ما يحدث ومتى حان الوقت المعين فسأكون الواسطة لوصولك الى الدوق وانت تقوم بالباقي . فصبغ الدم وجنتي غستون وقال يا مولاي الامير اذا كان لك نفوذ في هذه المملكة فهل يمكن ان اخلص بعد الفراغ من هذا الامر . فتبسم الدوق وقال ولماذا تسأل وهل قبلت ان تقتل الدوق وانت لا تزال راغبًا في الحياة . قال كلا ما الحياة عندي بشيء لولا فتاةٌ احببتها واحبتني ووعدتها ان اقترن بها وهي يتيمة وحيدة على ما اظن ليس لها في العالم من يعتني بها سواي فاذا متّ فماذا يحلّ بها . فقال الدوق اذا كان الامر كذلك فلا اسهل من ان تستقيل من هذا الامر وتقترن بحبيبتك فتعيش معها حياة السعادة والهنآء . فتوقف غستون حينًا ثم قال اواه ما اتعسني انهُ كان يمكن ذلك لو لم ارهن كلامي واقسم بشرفي ان اقوم بما فرض عليَّ ولم يسبق لشرفآء فرنسا ان يحنثوا بأيمانهم ولذلك فلا بد لي من هذا الامر . لكن لي لديك يا مولاي طلبة واحدة ارجو ان تعدني بشرفك ان تجيبني اليها وهي انني سأسعى باحضار هذه الفتاة اليك فكن لها ابًا واذا ساعدني الحظ ونجوت ارجع فآخذها واذهب بها الى حيث نكون في أمان واذا القي عليَّ القبض وحكم عليَّ بالاعدام فغاية ما ارجوهُ من نفوذك ان تتمكن من عقد قراني عليها ولو قبل اعدامي بساعة لانني لا احب ان اتركها بعدي عرضةً لكلام الناس فيقولوا انها كانت عشيقتهُ . ثم لي غرضٌ آخر من هذا الزواج وهو ان تصبح ارملتي وتحمل اسم اسرتي فهو شريف وقد احضرت وصيتي فكتبت كل ما املكهُ لها وهو كافٍ لها ما حييت . فتأثر الدوق شديدًا وسقطت من عينهِ دمعة مسحها للحال ثم اقسم لغستون على ذلك وصرفهُ على ان يلتقيا في الغد . ولما رجع غستون الى المنزل وجد فيهِ بطاقةً من ايلين تعلمهُ بمحل اقامتها وتطلب اليهِ ان يزورها في اليوم الثاني فبات على امل اللقآء تتجاذبهُ افكار مختلفة بين الموت والحياة

اما الدوق فكان قد أُعجب بغستون اعجابًا عظيماً واحبهُ ونسي انهُ عازم على قتلهِ ثم أطلع دېبوا على افكارهِ وقال اودُّ جدًّا ان احول هذا الفتى عن عزمهِ وأستخصهُ لنفسي

وفي المساء ذهب الدوق لمشاهدة ابنتهِ فأُدخل عليها وكانت المصابيح قداطفئت بناءً على طلبهِ لانهُ لم يكن يريد ان تعرفهُ ابنتهُ اذ ذاك . فاستغربت ايلين هذا الملتقى في الظلام ودار حديث بين الاب وابنتهِ فأعلمها بتاريخ حياتها ولكنهُ لم يعرّفها من هو واكتفى باعلامها انها ابنة رجل من أعظم اعيان الفرنسيس . فقالت ولماذا لا تسمح لي برؤيتك ولا تأذن لي ان اسكن في بيتك . قال لذلك اسباب تمنع هذا الامر في الوقت الحاضر غير اني ارجو زوالها حالاً فآخذكِ اليَّ واكفّر عما مضى من تركك بين جدران الدير . وبعد حديث طويل قالت ايلين يجب ان اعترف لك يا والدي العزيز انني احب شابًّا من الاعيان حبًّا طاهرًا نقيًّا تستحقهُ صفاتهُ الشريفة ولا اظنك تمانع في ذلك فقد اعطيتهُ عهدًا بالزواج قبل ان اعرف ان قيادي ليس بيدي واست احبّ ان احنث بيميني . فقال الدوق سنرى هذا الحبيب واذا كان اهلاً لكِ فلا امانع فيهِ . ثم ودّع الدوق ابنتهُ وخرج

وفي اليوم الثاني ذهب غستون لزيارة ايلين فاخبرتهُ بمقابلة والدها وما حصل فاستغرب غستون عمل الوالد ومقابلتهُ لابنتهِ في الظلام وتركها بعيدةً عنهُ وخامرهُ الريب في امرهِ . فقال لها لا اصدق يا ايلين ان هذا الرجل والدكِ اذ ليس شيء يمنع الوالد من الاعتراف باولادهِ وعدا ذلك فلماذا استدعاكِ من الدير ليسجنكِ في هذا البيت فانا اظن ان في الامر مكيدةً واخشى عليكِ من البقاء وحدكِ . فتنهدت ايلين وقالت آه ما اشقى حظي فانهُ ليس لي في الدنيا سواك وأراك لا تهتمّ بي والا لكنت اخذتني فاسكن معك ونقضي حياتنا معًا . قال اني لم افرغ من عملي بعد ولا يمكنني ذلك قبل اتمامهِ ولكن هلمي معي آخذكِ الى بيت احد اصدقائي وهو الامير اوليڤار وتكونين عندهُ في امان الى ان ارجع اليكِ . قالت حبذا الامر فهيا بنا . فاستوقف غستون عربة وركب وايلين وتوجه الى بيت الامير اوليڤار . فلما بلغاهُ ترجل غستون

وقال لايلين تنتظرهُ ريثما يعود ثم دخل فقابل الدوق وقال لهُ قد احضرت حبيبتي معي فهل تسمح لي بادخالها . فسمح لهُ الدوق فخرج غستون ثم عاد وقد استندت ايلين على ذراعهِ وهي كالشمس في رابعة النهار . فلما رآها الدوق جحظت عيناهُ وكأن صاعقةً انقضت عليه لانهُ عرف ابنتهُ ولكنهُ تجلد فاستقبلها وسمعت ايلين كلام الامير فتذكرت صوت الرجل الذي زارها بالامس ولكنها لم تفاتحهُ بذلك

وخلا الدوق بغستون فجعل يبذل جهدهُ في ارجاعهِ عن عزمهِ وكان اذا مال غستون للاذعان تثور في صدرهِ عوامل الشرف ويتذكر قسمهُ للجمعية فيرتدّ وقد صمَّم النية على اتمام الفرض . ولما رأى الدوق ان لا فائدةِ من الحديث اعطى غستون رقعةً وقال لهُ خذ هذه فانها تسهل لك الدخول الى القصر الملكي هذه الليلة فان فيهِ سهرة مخاصرة باللباس المتنكر فاذا دخلت فانك ترى الدوق ويمكنك معرفتهُ من حلة سودآء من القطيفة يرتدي بها وعلى ذراعهِ اليسرى نحلةٌ ذهبية هي علامة تميزهُ عن باقي الناس . والدوق يذهب عادةً في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل الى حديقة القصر ويدخل خيمةً تختص بهِ فلا يدخل عليهِ احد الاّ لامرٍ خطير اذا كانت معهُ رقعةٌ مثل هذه فيمكنك ان تدخل اليهِ في مثل هذا الوقت ويكون وحدهُ وهو مطمئنٌ خالي الذهن فتطعنهُ الطعنة القاضية

فأخذ غستون الرقعة شاكرًا وخرج . وفي المسآء حفلت ابواب القصر الملكي بجماهير المدعوين فاندسّ غستون بينهم وهو متنكر بثوب اعطاهُ لهُ الدوق وجعل يراقب الاشخاص لكي يتبين فريستهُ . وما زالت المخاصرة دائرة والموسيقى تعزف والافراح قائمة الى ان انتصف الليل . وكان غستون قد عرف الخيمة التي يذهب اليها الدوق فجعل يراقب الوقت وهو يرتجف لهول تلك الساعة ويفتكر بحبيبته ايلين وماذا يحل بها ان امسكهُ الحرس وقتلوهُ في الحال فغرق في تأملاته حتى انتبه لصوت قرع الساعة الواحدة فهب مذعورًا وقصد الخيمة . ولما بلغها رأى داخلها رجلاً عليهِ لباس من القطيفة السودآء تتألق على ذراعهِ النحلة الذهبية وقد جلس على كرسي وادار ظهره الى جهة الباب . فتقدم غستون بتمهلٍ حتى قارب الوصول الى الشخص المذكور

واستل خنجرهُ من تحت ثيابهِ . وفي تلك الدقيقة نهض الشخص الجالس وادار وجههُ الى غستون ولم يكن مقنّعًا فرأى غستون امامهُ الامير اوليڤار فعرف اذ ذاك ان الامير اوليڤار هو نفس الدوق وانهُ قد سقط في حيلةٍ من اول وصوله الى باريس . فارتجفت ركبتاهُ وسقط الخنجر من يدهِ ووقع على الارض منطرحًا تحت اقدام الدوق

فتبسم الدوق وقال انهض يا غستون ولا تتعجب مما جرى واعلم ان قتل الملوك ليس امرًا سهل المنال فان كاتب سرّي ديبوا قد عرف مقصدكم قبل مجيئك الى هنا وقد قابلك بصفة رسول من زعيمكم وقادك اليَّ . ولا انكر انني مذ رأيتك ملت اليك واجتهدت في تحويلك عن عزمك لاجعلك من خاصتي ومما زاد رغبتي في هذا الامر محبتك لايلين ومحبتها لك فلا اكتمك الآن حقيقة الحال وهي انني عفوت عنك اكرامًا لها ويهمني جدًّا سرورها وسعادتها فلا اعفو عنك فقط بل اود ان ازفها اليك وقد حان لي ان اعلمك ان ايلين هي ابنتي . . .

ولو وقع الخنجر في قلب غستون لما سبب لهُ التشنج الذي اخذهُ في تلك الساعة فانطرح على قدمي الدوق يقبلهما ويغسلهما بدموعهِ . فانهضهُ الدوق وقال اما الآن وقد هُدمت آمال جمعيتكم فهل انت باقٍ مصرًّا على قتلي . فأخذ غستون الخنجر الساقط على الارض وادناهُ من صدره وقال ان يدي يا مولاي تخترق هذا القلب قبل ان يصلك أذًى . . . ولكن آه ما الذي سيقولهُ فيَّ اصحابي . ان الموت اهون عندي من ان يظنوا اني خنتهم . فقال الدوق لا تفتكر في هؤلاء الخونة فاننا لما عرفنا اسماءهم منك ارسلنا فقبضنا عليهم وحوكموا وقد صدر الامر باعدامهم . فوثب غستون كمن مسهُ جنون وقال لا لا يا مولاي اذا رحمتَ فاجعل رحمتك شاملة ولا تدنس شرفي بقتلهم وتتركني ما حييت عرضةً لتبكيت ضميري فاننا عصبةٌ واحدة تعاهدنا عهدًا واحدًا فليس من العدل ان يموت البعض ويبقى البعض فاما ان تقتلني معهم او ان تعطيني امرك بالعفو عنهم . وكان الدوق يعجب بشهامة غستون وقد أخذ مكانًا من قلبهِ ورأى غستون منهُ ذلك فقال قد وهبتني يا مولاي حياتي ووهبتني يد حبيبتي فثلّث هباتك وامنحني حياة هؤلاء الاربعة كهدية عرس لابنتك . وكان

الدوق طيب القلب جدًّا لين العواطف فاثرت فيهِ كلمات غستون وللحال استدعى كاتبهُ فكتب لهُ امرًا بالعفو فوقَّع عليهِ وناولهُ لغستون . فلم يدرِ هذا كيف يشكر الدوق ثم تناول الامر وخرج فتوجه توًّا الى حبيبتهِ ايلين ولما رأتهُ مسرعًا خشيت من حدوث امر مخيف فطمأنها وقال قد صفا لنا الزمان ايتها الحبيبة وانا مسرع جدًّا للرجوع الى نانت وبيدي امر لخلاص اربعة اصدقاء من الموت وسأعود اليكِ فنقترن وامامنا حياة سعادة وسرور اكثر جدًّا مما تتصورين وسيأتي الامير اوليفار نفسهُ ويعاملك بالاكرام . ثم ودعها بكل سرعة وامتطى جوادًا وجعل ينهب الارض قاصدًا نانت

وكان ديبوا كاتب سرّ الدوق يعلم لين مولاهُ ورقة عواطفهِ وتحقق انهُ سيسمع لطلب غستون ويعفو عن رجال المكيدة فسبق غستون بأخذ امر الاعدام وسلمهُ لبعض رجالهِ وامرهُ ان يسير بمنتهى السرعة الى نانت وان يجري الاعدام حال وصول الامر . ولم يسر غستون بأمر العفو الا بعد نحو ثلاث ساعات من مسير الرسول الاول فما بلغ المحطة الاولى في طريقهِ حتى قيل لهُ ان فارسًا سبقهُ وهو يعدو اشدّ العدو فعرف غستون ان هذا رسول الموت وعزم ان يدركهُ أو يسبقهُ ان امكن فكان يجهد ركوبتهُ واذا رزح جوادٌ تحتهُ كان يتركهُ ويستعيض بغيرهِ . وبلغ الرسول الاول نانت قبل غستون بنصف ساعة فاستعد الحاكم لانفاذ الاعدام وخرجت الجنود الى ساحة المدينة تقود الاصحاب الاربعة الى نطع مرتفع وقف عليهِ الجلاد بسيفهِ العريض ينتظر وصولهم . وما بلغ غستون اول البلدة حتى رأى الضوضاء عن بعدٍ فاستحث جوادهُ ولكن كان قد نهكهُ التعب فوقع بهِ فانهضهُ ثانيةً واذا بالجواد قد خرّ صريعًا والدم يتدفق من انفهِ وخاصرتيهِ . ولما رأى غستون ذلك وثب عنهُ وجعل يعدو على قدميهِ حتى اشرف على الساحة وكان اول واحد من اصحابهِ قد رقي النطع ورفع الجلاد سيفهُ . فرفع غستون يدهُ التي فيها امر العفو وصاح بأعلى صوتهِ ولكن قوتهُ الخائرة وتعبهُ العظيم لم يمكنا صوتهُ ان يبلغ الى اطراف الحشد واذا بيد الجلاد قد نزلت فأطاحت رأس الاول عن بدنهِ . فتناول الجلاد الرأس واراهُ

للجمهور ثم وضعهُ الى جانب واستُدعي الثاني . ولما رأى غستون ذلك شعر ان الارض تهتز تحت قدميهِ فوقف حيناً يفكر فيما يجب عليهِ ان يفعل وعلم انهُ اذا اوصل امر العفو لم يرضَ الباقون من اصحابهِ بالحياة بعد قتل اولهم ورأى انهُ كان هو السبب فيما وصل اليهم من المكروه لانهُ لولا تهاملهُ ورواج الحيلة عليهِ في باريس لما عرفت اسماؤهم . وكان غستون يناجي نفسهُ بهذه الافكار وهو سائر بتمهل فرقي الثاني النطع وقُطع رأسهُ ثم الثالث ففُعل بهِ كذلك وكان غستون قد بلغ المحل فرقي السلم توًّا ولم ينتبه اليهِ احد فجثا فوق النطع ونزلت يد الجلاد فأطاحت رأسهُ و بعد ذلك تقدم الرابع وقُتل ايضاً ولم يُنتبه الى ما كان الا بعد قتلهِ لانهم وجدوا جثث المقتولين خمساً فعادوا يتفقدون الجثث فعرفوا غستون ورأوا في يدهِ الامر الصادر بالعفو

. . . .

اما الدوق فرجع بعد تلك الليلة الى بيتهِ وفي الصباح استدعى ايلين فكشف لها الحقيقة ولا تسل عن سرورها اذ ذاك واقاموا ينتظرون رجوع غستون فلم يأتِهم سوى خبرهِ على ما مرّ . اما ايلين فلم تطب لها الحياة ولم تقنعها توسلات ابيها فعادت الى هذا الدير ونبذت جميع مفاخر باريس وعزها . وكنت انا منذ طفوليتها معتنياً بها وكانت تدعوني يا ابي فلما عادت ورأيت انكسار قلبها اخبرتني بهذه الحادثة المحزنة فكنت اسليها واعزيها وهي لا تزداد الا اكتئاباً وضنى . وقد كان امس نهاية السنة من وفاة غستون وكانت تشعر بحمى محرقة فجلست بقربها و بينا انا انظر اليها واتأمل ما صارت اليهِ من الضعف اذا بها قد تبسمت وصاحت نعم يا حبيبي غستون ها انا آتية ثم اسلمت الروح

ولما انهى الكاهن حديثهُ عاد فشرق بدموعهِ وعدت وقلبي طافحٌ بالاحزان

المجاز

(تابع لما في الجزء الثالث)

واما المجاز المرسل فهو ما عبّر فيهِ عن الشيء بلفظ مُلابسهِ وسمّي بالمُرسَل اي المُطلَق لخلوّه عن قيد التشبيه الذي هو شرط الاستعارة ولذلك عرّفوهُ بانهُ اللفظ المستعمل في غير ما وُضع لهُ لعلاقةٍ غير المشابهة . وقد انهوا انواع العلاقة المعتبرة في المجاز المرسل الى خمسة وعشرين نوعاً نذكر هنا اشهرها واكثرها دوراناً في الكلام . فمنها تسمية الشيء باسم جزئهِ كقولهم سافر ولا ظهر لهُ أي لا دابَّة لهُ يركب ظهرها وعندهُ كذا رأساً من الغنم وهو الواحد منها وهو يملك كذا رَقَبَةً أي عبداً وكتسميتهم السيوف بالظُبى وهي جمع ظُبَة ومعناها حدّ السيف واطلاقهم العوالي على الرماح وهي جمع عالية والمراد بها صدر الرمح وقيل هي نحو ثلثهِ مما يلي السنان . ومثل ذلك تسميتهم البيت من الشعر بالقافية وتسميتهم الخطبة بالكلمة والكلمة بالحرف الى غير ذلك . ومنها تسمية الجزء باسم الكل كقولك ضربهُ فشجّهُ اي شجّ رأسهُ لأن الشجّ خاصٌّ بالرأس وقطع الأمير اللصّ أي قطع يدهُ وقولك وكف البيت وانما تريد السقف لأَن الوكف لا يكون الاّ منهُ ورجلٌ اكحل العينين أي الاجفان وهو ان تكون سوداء خلقةً وأشهل العينين أي الحدقتين وهو ان يكون سوادهما مَشُوباً بحمرة . وكذا قولك رجلٌ اكحل واشهل ومثلهُ رجلٌ أَفقم واصلع واقطع واعرج يُطلق الوصف في ذلك كلهِ على الشخص والمراد بهِ العضو الذي يختص ذلك الوصف بهِ وهو كثيرٌ في الاستعمال . ومنها تسمية الشيء باسم

محلّهِ كقولك حكم المجلسَ بكذا أي رجال المجلس وقولك شربت الكأس أي شربت السائل الذي فيها وقرأت الصحيفة أي قرأت ما فيها من الكتابة ومثل ذلك قولك زخرَ الوادي وفاض الاناآء ورشحت المزادة وهذه بئرٌ عذبة وسوقٌ رائجة وقولهم حنَّت اليهِ ضلوعهُ وملأَت الهموم صدرهُ وما جرى هذا المجرى * وقد اضطرب كلام البيانيين في هذا النوع فانهم تارةً يعدّونهُ من المجاز المرسل ويمثلون عليهِ بقولهِ فليدعُ ناديهُ وتارةً يعدّونهُ من المجاز العقلي ويمثلون عليهِ بقولهم نهرٌ جارٍ ولا يظهر بينهما فرق . ولعل الاوجه فيما كان كذلك أنهُ ان كان المحلّ خاصاً بالحالّ فيهِ او مما يغلب ان يكون محلاًّ لهُ كما في سال النهر كان اطلاقهُ عليهِ مجازاً مرسلاً وان كان وجودهُ فيهِ عارضاً كما في قولنا سالت البيدآء اذا كثر فيها مآء المطر فهو مجازٌ عقلي . ووجههُ ان بين النهر والمآء تلازماً في الذهن لأَنهُ لا يقال الاّ لما يجري المآء فيهِ فيكون المآء داخلاً في مفهوم النهر فاذا صُرف المعنى اليهِ كان مجازاً مرسلاً لأنهُ يكون من قبيل المجاز في المفرد وكان الاسناد اليهِ اسناداً حقيقيا . وبخلاف ذلك البيدآء فانهُ لا دخل للمآء في مفهومها لانها لم تُعهَد قطّ محلاًّ لهُ فاذا اسنِد اليها ما يُسنَد الى المآء كان المجاز في الاسناد دونها وبقي لفظها على حقيقتهِ . وعلى ذلك يتمشى ظرف الزمان ايضاً فيكون نحو صبيحةٌ باردة وظهيرةٌ غرّآء أي شديدة الحرّ من قبيل المجاز المرسل ونحو يومٌ صائم وليلةٌ ساهرة من قبيل المجاز العقلي والله اعلم . ومن ذلك تسمية الشيء باسم الحالّ فيهِ وهو عكس ما تقدم كقولك نزلت بالقوم أي بدارهم ونزلت الخمر أي ثقبت اناآءها وأُجدِب القوم أي اجدبت ارضهم ومثلهُ مُطِر القوم وقولك

سقى الله فلاناً وما أشبه ذلك وهو قليل . ومنهُ تسمية الشيء باسم آلتهِ نحو هو صادق اللسان أي الكلام وصادق العين أي النظر وفرسٌ سريع القوائم أي الجري ولفلانٍ في هذا الامر يدٌ ولهُ اليهِ قدم وكتبت بالقلم الريحاني ولفلانٍ قلمٌ بليغ الى غير ذلك . ومنهُ اطلاق العامّ على الخاصّ كتسميتهم القيد بالادهم والزنجيّ بالاسود والرمح بالاسمر فانها صفاتٌ عامّة جُعلت اسماءً لهذه الاشيآء . ومن هذا تخصيصهم اللوح لما يُكتَب عليهِ واليراع وهو القصب للاقلام والأَسل وهو ضربٌ من النبات للرماح والحبل للرسن والشآء للغنم وهي في الاصل تشمل المعز والظبآء والبقر والنعام وغير ذلك . واما عكس هذا اي اطلاق الخاص على العام كاستعمالهم الرائد لكل طالب حاجة ونقلهم الحُوّة من الوان الخيل الى كل ما كان اسود وقولهم رُضاب المُزن ورُضاب النحل الى غير ذلك فالصحيح ان هذا كلهُ على التشبيه فهو من قبيل الاستعارة . ومثلهُ استعمال الخاص في الخاص كاطلاقهم الجفن على غمد السيف والحاجب على حرف الشمس والحِجْل وهو الخلخال على البياض في قوائم الدابّة وكقولهم شفة الكأس وعنق الابريق وفم المزادة وغير ذلك مما تقدم ذكرهُ في محلهِ

وقد رأَيت ان اكثر هذه الوجوه يرجع في الغالب الى التفنن في اساليب التعبير والتوسع في استعمال اللغة وبعبارةٍ أُخرى يُقصَد منهُ التعبير عن المعنى الواحد بطرقٍ مختلفة على ما يذكرهُ البيانيون في تعريف هذا الفن وعلى ما سبقت الاشارة الى مثلهِ في بحث الاستعارة . ولذلك لا يكاد شيءٌ منهُ ينطبق على غرضنا في هذا الموضع ما خلا النوع الأَخير منهُ وهو

اطلاق العامّ على الخاصّ فانهُ كثيراً ما يُستغنى بهِ عن الوضع المخصوص فيما لم يوضع لهُ لفظ . وذلك كما يقال نخل الشيء اي صفّاهُ واختارهُ ثم قيل نخل الدقيق اذا ساقطهُ من خَصاص المنخل ليعزل نخالتهُ عن لبابهِ . وكقولهم المّ الامرُ اذا قرب ثم قالوا غلامٌ ملمّ اذا قارب البلوغ وشجرة ملمّة اذا قاربت ان تثمر . وقولهم دفن الشيءَ اذا سترهُ وواراهُ ثم خُصَّ بدفن الميت . وقولهم حجَّ فلاناً اذا قصدهُ ثم خُصَّ بقصد المعاهد المقدسة . ومن ذلك الوَغى اصل معناهُ الصوت والجَلَبة ثم خُصَّ بالاصوات في الحرب ومثلهُ الوَعَى بالعين المهملة . والقصَب وهو كل نبتٍ ذي أنابيب ثم خُصَّ بهذا النبات المعروف . والحِضن وهو جانب كل شيءٍ وناحيتهُ ثم خُصَّ بالانسان وهو ما دون الابط الى الكشح . ومثلهُ العطف بالكسر وهو الجانب من كل شيء ثم خُصَّ باحد جانبي الانسان من لَدُن رأسهِ الى وركهِ . ومثقال الشيء وهو مقدار ما يوازنهُ يقال ما عند فلان مثقال ذرَّةٍ ذهباً ثم خُصَّ المثقال بمقدارٍ معلوم وهو درهمٌ وثلاثة اسباع الدرهم . وقس على كل ذلك ما اشبههُ وهو في اللغة اكثر من ان يُحصَى (ستأتي البقية)

الكَفَرة

هم جيلٌ من سكان جنوبيّ افريقيا يُعرَفون بهذا الاسم قيل سماهم بهِ المسلمون من العرب عند ما دخلوا بلادهم بقصد دعوتهم الى الاسلام . وهم قبائل منتشرة على شاطىء البحر الهندي من بلاد موزمبيق شرقاً الى بلاد الرأس غرباً على مسافةٍ تقرب من ٦٠٠ ميل طولاً في ٢٥٠ عرضاً . وبلادهم

كثيرة الخصب فيها عدة انهار وتتوسطها من الشرق الى الغرب سلسلة جبال شديدة الوعورة وفيها كثيرٌ من الأدغال والصحاري الرملية . والسنة هناك فصلان وهما الصيف والشتآء والمطر يبتدئ من شهر يونيو و ينتهي في ستمبر ودرجة الحرارة في الظل تكون في أيام الشتآء عند منتصف النهار بين ٨° و١٧° من السنتغراد وفي الصيف ترتفع الى ٢٦° . واشدّ الحرّ في دسمبر و ينايرِ



وفبراير وقد يبلغ فيها درجة لا تطاق ولا سيما في السواحل . وتحدث في هذه الأشهر عواصف شديدة متواصلة يعقبها احياناً مطرٌ غزير ويكثر فيها الضباب في اكثر انحآء تلك البلاد فينشأ بعد نصف الليل ولا ينكشف الاّ نحو الظهر

والكَفَرة يختلفون في الخلق عن مجاوريهم من الزنج والهوتنتوت فان قحوفهم مستديرة كقحوف القوقاسيين وانوفهم غير فُطْس بل هي في الغالب قنوآء اي محدودبة الوسط ولكن شفاههم مدلاّة كشفاه الزنوج ووجناتهم

شاخصة كوجنات الهوتنتوت وشعرهم جعد ولكنهُ انعم من شعر الزنج . واجسامهم على العموم كبيرة حسنة التركيب وألوانهم الى السواد ولكنهم يصبغون وجوههم وسائر ابدانهم بالمغرة وهي التراب الاحمر المعروف وربما اضافوا اليها ولا سيما النسآء منهم عصير شيء من الرياحين ويطلون فوقها بالشحم او النِقْي وهو مُخّ العظم لتاصق باجسامهم فيكتسب الجلد بذلك ليناً

اما لباسهم فيتخذونهُ من جلود الحيوانات التي يصطادونها او يربّونها ويتحلون بأسورة من العاج او النحاس يجعلونها في ساعد اليد اليسرى وبخرصان من مثلها يقرّطون بها آذانهم وغالب معاشهم من الماشية واما الزراعة فقليلة عندهم وهي من اعمال النسآء

ومتى بلغ الغلام منهم او الجارية السنة الثانية عشرة أُرسِل الى شيخ القبيلة ليتولى تأديبهُ وتخريجهُ فيقيم الغلمان على حراسة المواشي ويعهد الى رجاله في تعليمهم استعمال الحراب والهراوَى وتمرينهم على العَدْو ويجعل البنات تحت ايدي نسآئهِ ليتعلمنَ الخياطة والطبخ وسائر الأَعمال البيتية والزراعية

وغالب طعامهم اللبن ولا يأكلونهُ الاّ رائباً يجعلونهُ في الوطاب حتى يختمر ويأكلون اللحم مشويّاً او مسلوقاً ويطحنون الذرة ويلتّون دقيقها باللبن الحليب او يغلونها حتى تنتفش ويأكلونها وحدها . وكلهم مغرمون بشرب الدخان ويتخذون مسكراً من نقاعة الحبوب

اما دينهم فقيل انهم عَبَدة اوثان وقيل بل يؤمنون بكائن حكيم غير منظور ولكنهم لا يعبدونهُ ولا يمثلونهُ بهيئةٍ هيولية . ولبعض قبائلهم كهّان يتولون لهم بعض الشعائر الدينية من مثل خِتان الأطفال وتعويذ المواشي

والانبآء بالغيب . وهم لا يعرفون الكتابة ولا يحسنون من الحساب الآ الجمع ويعدّون على اصابعهم وليس عندهم لفظٌ لما فوق العشرة

ولبيوتهم وحظائرهم هيئة يمتازون بها عن سكان شمالي افريقيا فانها على العموم مستديرة الشكل ويحيط بها فسحة مسيَّجة باخشابٍ محبكة . وفي بعض قبائلهم اناسٌ يزاولون بعض المصنوعات كالمُدَى والابر والاقراط والأسورة من حديد او نحاس مما يستغرب السياح وجود مثلهِ عند اولئك القبائل. ولهم حذقٌ بنقش صور ورسوم مختلفة على قُرُب خناجرهم وجرابهم وسائر مواعينهم الخشبية . ونسآؤهم يصنعنَ الآنية الخزفية ويفتلن الحبال من لحآء بعض الشجر ويتخذنَ منهُ خيوطاً في غاية المتانة

وهم كسائر سكان افريقيا يستكثرون من النسآء ومهر المرأة عندهم اثنا عشر رأساً من البقر . وأول شغل للمرأة بعد زواجها ان تبني بيتاً وتجهزهُ بمرافقهِ فتقطع بنفسها الخشب الذي يدخل في البنآء وربما أعانتها في ذلك امها او غيرها من نسآء ذويها .واذا رأى الرجل ان ماشيتهُ قد كثرت اهتمّ باتخاذ امرأةٍ اخرى فيُعرَف مقدار ثروة الرجل من عدد نسآئهِ

واما كيفية اعراسهم فذكر احد الرواة انهُ قبل ان تُهدى المرأة الى بعلها تتزين بجميع حلاها وتقاد الى منزلهِ في حفلةٍ عظيمة وهي تبكي بصوتٍ عالٍ لمفارقة ذويها وتضرب صدرها ضرباً شديداً . فاذا بلغت منزلهُ وفيهِ سماسرة الزواج اعلنوا وصولها فيجيء الفاحصون ليفحصوها واذ ذاك تجثو امامهم ثم تتجرد من ثيابها وتقف عاريةً فيأخذون في وصف ما يرون فيها من حسنٍ أو قبيح ويشرحون كل ذلك شرحاً منفصلاً بصوتٍ جهوري . وبعد

ان يتوالخصها من جميع جهاتها تدفع اليهم حباتٍ من اللؤلؤ جزاء عملهم ثم تسلم نفسها الى النسوة فيأخذنَ في جسّها ويفحصنها فحصاً مدققاً ثم يشرحنَ ما يبدو لهنَّ فاذا فرغنَ اهدت لهنَّ ايضاً هديةً اخرى ثم تخرج واذ ذاك تجري المساومة في المهر

وما يجري على المرأة يجري على الرجل ايضاً فيستحمّ ويدّهن ويتزين بالريش والحلى اللامعة من نحاسٍ او غيره ويذهب ليعرض نفسهُ امام منزل العروس . فيقعد ثم يقف ثم يجثو على ركبتيهِ ثم ينهض ويدور حول نفسهِ ويمشي ويعدو حتى يتحققوا انهُ لا عيب فيهِ . وبعد ان يقع القرار على المهر يُقطَع بالزواج فيُحتفَل بالعرس ليلاً على ضوء المشاعل بين اصوات الجمهور المجتمع وعند ذلك يصل الكاهن وقد تزين بزينة فاخرة فيأخذ براسي العروسين ويصلّ احدهما بالآخر ثم يبضع في الذراع اليسرى من كلٍّ منهما ويُدخِل من دم الواحد في جسم الآخر واذ ذاك يرفع الاصدقاء والصديقات نيران الفرح ثم ينصرفون . اهـ

اما لغة الكفرة فمباينة تمام المباينة للغة الزنوج ولغة الهوتنتوت وهو ما يؤيد انهم جيلٌ قائمٌ بنفسهِ لكن من الغريب انهُ وُجد شبهٌ بين لسانهم ولسان اهل الكنغو ولذلك يغلب على الظن انهم من اصلٍ واحد . وربما وُجِد في كلامهم الفاظٌ عربية وهو مما سوّل لبعض الباحثين ان يدَّعي انهم من اصلٍ ساميّ ولكن المحققين على ان دخول هذه الالفاظ في لغتهم كانت بسبب دخول العرب الى تلك البلاد كما تقدمت الاشارة اليهِ ولا يزال المسلمون منهم يتكلمون بالعربية الى هذا اليوم

وقد وصف لغتهم بعض كتاب الاوربيين ممن اقام مدةً بين ظهرانيهم فقال انها لطيفة المخارج كثيرة انواع الحركات ولكل كلمةٍ نبرةٌ في الهجاء الذي قبل الاخير وهو مما يحسّن سماع كلامهم خلافاً للغات بعض المتوحشين مما يؤدَّى بنغمة واحدة . وكلماتهم لا تتجاوز اربعة اهجئة ولا تكون اقل من اثنين ولا يتوالى عندهم ساكنان صحيحان وكثيراً ما يقع عندهم الابدال في بعض الحروف بين لغة قبيلة واخرى وربما فُقد شيءٌ من المقاطع عند بعضهم اصلاً فمنهم من لا توجد في لسانهم الراء ومنهم من ينقص من حروفهم الدال والجيم والثاء والزاي . ومن غريب ما رواهُ ان الزمن في الافعال يُدَلّ عليهِ بالضمير لا بصيغة الفعل فاذا اراد المتكلم مثلاً ان يدلّ على الماضي جعل ضميرهُ « دي » اي أنا واذا اراد الدلالة على الحال قال « ديا » واذا اراد الاستقبال قال « دُو » . قال ويكثر عندهم المجاز وبهِ اتسعت لغتهم كثيراً وكلامهم على الغالب شعريٌّ الاّ انهم لا يعرفون وزن الشعر ولكنهم ربما ألّفوا جملاً يرتبونها على عدد الاهجئة لموافقة النغم واكثر ما ينظم الرجل في حوادث نفسهِ ولاسيما في وقائع الحرب والصيد ثم يُتناقل كلامهُ ويُحفَظ وعندهم من ذلك شيءٌ كثير يروونهُ ويحتذون طريقتهُ في الفصاحة . انتهى

الالماس في النيازك

المراد بالنيازك الحجارة السماوية التي تسقط احياناً في بعض انحاء الارض بنورٍ ساطع وهزمةٍ شديدة وهي غير الشُهُب التي ورد ذكرها في غير موضعٍ من هذه المجلة وسنفرد لها فصلاً مخصوصاً نورد فيهِ آخر ما قيل

فيها ان شآء الله . وهي تتركب من عدة موادّ منها صخرية ومنها معدنية اخصها الحديد والنكل وقد تبين من فحص بعض القطع الحديدية منها انها تتضمن حبَيبات من الالماس. واول من تنبه لذلك فيها المسيو جيرُ وفايف والمسيو لَتشينُوف الروسيان فانهما حللا قطعةً منها فرسب منها غبارٌ فحمي في صلابة الألماس ثم فعل مثل ذلك المسيو فَينشْنك الجرماني فوجد في راسبها حبيباتٍ دقيقة تخدش الياقوت والزمرُّد والسنباذج حتى الأَلماس نفسهُ وقد تبين لهُ ان معظم مادتها من الكربون مما رجّح عندهُ وجود الأَلماس في النيازك

غير انهُ لم يُقطَع بذلك حتى حققهُ المسيو فريدّيل احد اعضآء الندوة العلمية الفرنسوية فانهُ عمد الى قطعةٍ من الحديد النيزكي ونشرها فوجد في باطنها بعضاً من تلك الحُبيبات مرصعَّةً في مادّتها فوضع القطعة في الحامض الكلوردِريك فانتشر منها لأَول مباشرة الحامض لها غاز الهدروجين المكبرت ثم انبعثت عنها رائحةٌ ثومية تدل على وجود فصفيد الحديد وظهر عليها شبه غبارٍ اسود في غاية الدقة . واذ ذاك وضعها في المآء الملكي وهو مزيج من الحامض الكلوردريك والحامض النتريك فانحلّ ذلك الغبار في السائل وبعد ما رسب صفّى السائل عنهُ وأخذ ذرّةً من الراسب بطرفِ سكين وفركها على صفحة الياقوت فخدشتها خدوشاً عميقة . وبعد فحصها بالمجهر وجد بينها عدة بلوراتٍ صغيرة واضحة الاشكال شفافة لا لون لها بعضها مكعبة وبعضها ذات ثمانية سطوح . ثم وضع هذه في الحامض الكلوردريك فانحلَّت جملةً ورسب منها ذرّاتٌ صغيرة متراكمة أشبه بالذرّات التي يتألف

منها الأُسرُب (البلمباجين) [١]

قال وعليهِ فلم يبقَ أدنى ريب في وجود الألماس في الحديد النيزكي وهذه اول مرّةٍ رُؤي فيها الالماس في حالتهِ الاولى أي قبل حدوث الضغط الشديد عليهِ فانهُ في جميع الصخور التي وُجد فيها الى الآن يقدَّر انهُ لم يصِر بهذه المنعة وعدم قبول الانحلال الّا في اثناء تكوُّن الصخور المحيطة بهِ ولكنهُ ههنا بالعكس فانهُ يوجد موزَّعاً ذرّاتٍ تتخلل اجزاء الحديد النيزكي. وهو مع ذلك غير موزع على التساوي فاني اخذت قطعةً من ذلك الحديد وزنها من غرامين الى ثلاثة ظهر لي انها من فصفيد الحديد وحلّلتها على حدة نخرج منها ٣٥' من غبار الالماس أي ما يزيد على عشرين ضعفاً مما يوجد في سائر الحجر الذي اخذتها منهُ . وجملة الأمر انهُ بعد هذا الامتحان لم يبقَ شكٌّ في وجود الالماس في النيازك مما تمارى فيهِ بعض الباحثين من قبل ولا يبعد ان متابعة البحث في كيفية وجود الالماس في الحديد تؤدي الى الوقوف على سرّ تكوُّنهِ ولو قبل حدوث التبلور عليهِ . انتهى

التصوير الشمسي على الفاكهة

من بديع التفنن الذي توصلوا اليهِ في الصناعة ان يصوّروا على بعض انواع الفاكهة رسوماً مختلفة من كتابةٍ اونقش حتى صوَر الناس وذلك بطريقةٍ طبيعية هي استخدام اشعة الشمس على حدّ استخدامها في التصوير على الورق وذلك ان كل احدٍ يعلم ان الوان النبات انما تستفادُ من الشمس فانها

(١) راجع السنة الاولى من الضياء ص ٧١٥ وما يليها

هي التي تلوّن الورق والثمار بالوانها وَاذا كان النبات محجوباً عن ضوء الشمس كان أبيض اللون او قريباً من البياض ولذلك ترى من التفاح مثلاً ما يكون احد جانبيهِ احمر والآخر أبيض ولا سبب لهُ الاّ ما ذُكر بأن يكون الجانب الملوّن معرّضاً للشمس والآخر بالعكس واذا كانت التفاحة مغمورةً بالورق بقيت برمتها بيضاء الاّ اذا وصل اليها شيءٌ من النور من خصاص الورق فتتلون بقدرهِ

وقد اعتاد بعض اصحاب الزراعة في البلاد الاوربية ان يغلفوا الثمر باكياس من الورق منعاً للطير او الهوام ان تصل اليهِ ولكنهُ اذا كان مما يُستحبّ ان يكون ملوناً كالتفاح والدُرَاقِن جرّدوهُ من الاكياس قبل قطفهِ بأيام حتى تباشرهُ اشعة الشمس فاذا بلغ اللون المطلوب قطفوهُ . وقد بدا لبعضهم ان يستخدم هذه الخاصيّة في اظهار رسومٍ ذات معنى ترتسم على بعض الفواكه بنفس اللون الطبيعي الذي تكتسبهُ من الشمس . واول من تنبه الى ذلك كُوفَرْشيّل في مؤلفٍ لهُ في الزراعة طُبع سنة ١٨٣٩ ولكن قلّ من احتفل بهذا الامر الى ان كان المعرض الزراعي في بطرسبرج سنة ١٨٩٤ فأعدّ بعض حذّاق ارباب الزراعة شيئاً من الفواكه اظهر عليهِ بعض الرسوم بالطريقة المشار اليها . ثم انهُ في سنة ١٨٩٦ زار بعض امراء الروس فرنسا فكان في جملة ما قُدّم على مائدة رئيس الجمهورية ثمرٌ من التفاح والدراقن قد رُسِم عليهِ الشعار الروسي باللون الاحمر الطبيعي فشاعت هذه الصناعة واخذوا يتفننون فيها حتى صار يمكن ان يُظهَر على الفواكه ادقّ الرسوم التي تظهر على الورق بالتصوير الشمسي . ولما كان معرض باريز الأخير سنة ١٩٠١

كان في جملة ما عُرض فيهِ تفاحاتٌ عليها صورة امبراطور روسيا والامبراطورة ورئيس الجمهورية وكلها واضحة الرسم كأنها الصور على الورق

اما الطريقة في ذلك فهي اولاً ان تُحجَب الفواكه عن اشعة الشمس بتغليفها في الاكياس كما ذُكر او بان تغطَّى بين اوراق الشجرة نفسها بحيث لا يصل اليها النور ولا يظهر عليها أدنى احمرار لانها اذا وقعت عليها أشعة الشمس ولوتها ولو بحمرة خفيفة فلا شيء يزيل تلك الحمرة عنها فيكون مثَلها مثَل الورق الحساس اذا طُبع عليهِ

ثم انهُ عند ارادة العمل وينبغي ان يكون ذلك قبل قطف الثمرة باثني عشر يوماً يؤخذ المثال الذي يراد نقل رسمهِ ويوضع عليها حال اخراجها من الكيس . ولكي لا يسطو النور على سائر جوانب الثمرة يحسن ان لا تخرَج رأساً من الكيس ولكن يُشَقّ من أحد جوانبهِ ويوضع المثال على الجانب الذي قد كُشف منها وسائرها مستور داخل الكيس . والمثال المذكور ان كان الرسم المراد طبعهُ على الثمرة شعاراً او احرفاً او شيئاً من النقش البسيط قُوِّر هذا الرسم في قطعةٍ من الورق على الشكل المطلوب ثم ان أُريد ان يظهر الرسم حمرةً على بياض أخذت الورقة المقوَّرة نفسها ووُضعت على الجانب المراد نقل الرسم عليهِ فيكون محلّ التقوير وحدهُ مكشوفاً للشمس فيحمرّ وسائر ما حولهُ مغطًّى فيبقى على بياضهِ . وان أُريد ان يظهر الرسم بياضاً على حمرة وُضعت القُوَارة نفسها على الثمرة فتغطي ما تحت الرسم وحدهُ فيبقى على بياضهِ ويكون ما حولهُ مكشوفاً للشمس فيحمرّ . ويختار ان يكون لون الورق المستعمل لهذه الغاية ادكن او احمر او اسود او نارنجيًّا لأَن

هذه الأَلوان لا ينفذها النور الا بما لا أثر لهُ . وسوآءٌ وُضع على الثمرة الورق المقوّر او القُوارة فانهُ ينبغي ان يكون ثابتاً عليها لا يتزحزح من مكانهِ والاّ فسد الرسم فيثبَّت الورق المقوَّر بعصابتين من المطاط تُشدَّان على طرفيهِ وتثبَّت القُوارة بالصاقها على القشرة بمادّةٍ لزجة وافضل ما يختار لذلك آح البيض (الزلال) . وبعد قطف الثمرة لا يبقى الا ان يزال الورق عنها فلا يعود النور يؤثر فيها

واما اذا كان الرسم المراد نقلهُ صورة انسان او نحوهِ فينبغي ان يؤخذ بالآلة الفوتغرافية على غشآءٍ في غاية الرقة واللين ويجوز ان يؤخذ على الكاوديون وبعد ان يُكشَف ويثبَّت يُسلَخ غشآء الكاوديون عن الزجاجة ويحكَّم على الثمرة ولمنع تزحزحهِ يثبَّت باحدى الطريقتين المذكورتين قبل . وهذا العمل ادقّ من الاول ولذلك يقتضي فضل عنايةٍ وانتباه ولا سيما في تلبيس الغشآء للثمرة فانهُ كلما كان الصاقهُ اتم احكاماً جآء الرسم ادقّ واضبط

جواب تهنئة

وردتنا تحت هذا العنوان الرسالة الآتية فأثبتناها بحروفها

كتبنا في العدد الثالث من الضيآء مقالة عنوانها « رحلة الاب لويس شيخو » وقد اثبتنا فيها بعض الملاحظات على هذه الرحلة المباركة . وكنا نتوقع من كرم صاحب الرحلة — الذي اعلن مرارًا حبهُ لتمحيص الحقيقة — ان يقابل ملاحظاتنا بالشكر لاننا تحرينا فيها الصدق وايدناها بالبراهين الساطعة والادلة التاريخية القاطعة ولكن جآءنا الجزء الحادي والعشرون من مجلة المشرق وفيهِ عكس ما كنا نرجّي فقد كتب حضرة الاب فيهِ شذرة تحت عنوان « تهنئة » ضمنها من التنديد والمثالب

بدلاً من البرهان والحجة ما لا يحسن سردهُ الا جزوبتي . . . . . وتحامل على صاحب الضيآء الفاضل وعلينا بما لا يليق صدورهُ من رجل قد اتخذ شعارهُ اسم يسوع الاقدس الذي شُتم فلم يشتم . وقد ادعى اننا حشونا انتقادنا شتماً فاحشاً وكذباً محضاً واتى على دعواهُ هذه بثلاثة براهين « قاطعة » الاول — نسبتنا الى الراهبات اختطاف البنات . الثاني — قولنا انهُ ندد بالطوائف غير الكاثوليكية . الثالث — تخطئتنا لبعض اقوالهِ « الصادقة » . ولئلاَّ يظن احد مشايعيهِ الاغرار ان في دعواهُ شيئاً من الصحة نأتي هنا على دحضها وتزييفها فنقول

اشرنا في مقالتنا السابقة الى بعض اعمال الراهبات الفاضلات واختطافهنَّ البنات فاعتبر حضرة الاب كلامنا شتماً فاحشاً وكذباً محضاً مع اننا لم نقل غير الصدق ولم نروِ غير الواقع ولئلا يقول ان دعوانا بلا دليل نذكر لهُ ما يحضرنا الآن من تلك الاعمال الخيرية التي تؤيد قولنا وتشهد بما لاولئك الراهبات الفاضلات ولاساتذتهنَّ الآبآء المحترمين من « المشروعات المبرورة » في هذه البلاد

١ — ففي خريف سنة ١٨٩٨ اختطف الراهبات بحمص احدى تلميذاتهنَّ وهي « نرجس ابنة الخواجا خليل جراب » وارسلها حضرات الآبآء بدون علم اهلها مع احد الكهنة الى بعض القرى اخفآءً لآثارها . ولكن والدها اهتدى الى مكمنها في قرية المشتى وارجعها بعد ان قاسى صعوبات شديدة وخاطر بحياتهِ والابنة المذكورة لا تزال حيةً ترزق وقد تزوجت

٢ — وفي سنة ١٨٩٩ اختطفنَ احدى تلميذاتهنَّ ايضاً وهي « منيرة ابنة الخواجا ضومط الصباغ » فخبأنها في ديرهنَّ ليلاً وارسلنها باكرًا الى القرى المجاورة. فنشدها اهلها تلك الليلة عند الاقربآء وفي الدير نفسهِ فلم يجدوها لان الرئيسة الكلية التقوى انكرت وجودها في الدير وحلفت انها لم ترها تلك الليلة . ولكن خادمة الدير تحركت فيها عواطف الرقة وعوامل الضمير فأعلمتهم صباحاً انها قد أرسلت مع جماعة من قبل الرئيس الجزيل البرّ. وفي الحال لحق بها خالها الخواجا ميخائيل كرامة الرومي الكاثوليكي واخوها الخواجا ايلياس الصباغ الذي تربى في مدرستهم وكان وقتئذٍ

عندهم معلماً وقندلفتاً فأدركاها على مسافة ٣ ساعات من حمص وارجعاها بعد عناءٍ جزيل وجهد طويل . ولم يمضِ على هذه الحادثة عدة ايام حتى طرد الآباء اخاها المذكور من ديرهم . . . . .

٣ — وفي هذه السنة منذ ثلاثة اشهر اختطفنَ ابنتين من تلميذاتهنَّ ايضاً اسم الاولى « زاهدة ابنة الخواجا نصري الطرابلسي » واسم الثانية « نور الهدى ابنة الخواجا حبيب عبود » وقد ارسلهما حضرة رئيس اليسوعية الفاضل الى دير غزير بصحبة خادم ديرهم بحمص وهما الآن فيهِ . وهذه هي الحادثة التي اشرنا اليها تلميحاً في مقالتنا السابقة . اما اهل الابنتين فقد قاسوا في التفتيش عنهما مشقات عظيمة فسافروا الى زحلة فدمشق فبيروت فغزير وهم يبحثون عنهما و يستطلعون آثارهما حتى وجدوهما اخيرًا في دير غزير العامر وهناك نالوا من مجاملة الرهبان والراهبات ما اعادهم بصفقة الخاسر ذارفين عبرات الثكل من المحاجر

فماذا يقول حضرة الأب في هذه الحوادث الثلاث التي نكتفي بها الآن . ولعلهُ يدعي ان لا علم لهُ بها ولكننا قد رويناها لهُ مع بيان الزمان والمكان والاسماء كي لا يبقى عندهُ شبهةٌ في صحتها ولا سبيلٌ الى انكارها ولا يتهمنا باننا « حشونا كلامنا بالشتم الفاحش » وان كان مجرد رواية مثل هذه الاعمال يُعدّ في مذهبهِ شتماً فلماذا تفعلها تلميذاتهُ الراهبات ثم لماذا يعاونهنَّ على اتمامها اخوانهُ الآباء المحترمون

وقال حضرة الأب في « رحلتهِ » عند ذكر الروم الكاثوليك ما يأتي « واليوم املهم وطيدفي ان راعيهم الجديد ... يعيد لهذه الطائفة عزهاورونقها و يضم الى حظيرتها الخراف الضالة » (كذا) . ثم قال عند ذكر السريان الكاثوليك وكاهنيهم « حقق الله امانيهما (الكاهنين) بانارة المتسكعين في ظلمة الضلال » (كذا) . فمن يقصد حضرتهُ بالخراف الضالة والمتسكعين في ظلمة الضلال سوى الطوائف غير الكاثوليكية كما هو ظاهر من سياق كلامهِ . وهل من تنديد بتلك الطوائف اعظم من هذا التنديد اوليس من العجيب بعد ذلك ان ينسب الينا الكذب المحض و يدّعي « انهُ ليس في كلامهِ ما يشتمّ منهُ رائحة التنديد على احد مطلقاً » . ام ذلك شأن

الجزويت اذا ضايقهم الخصم فزعوا الى التكذيب والانكار ولو كانت حجّتهُ اوضح من غرة النهار

ثم اننا ذكرنا في مقالتنا السابقة اصلاح بعض اغلاط ارتكبها في رحلتهِ السعيدة وأيّدنا ذلك بالبراهين السديدة والحجج الدامغة فما كان منهُ حفظهُ الله الا ان ادعى ان تخطئتنا لاقوالهِ « كذب محض » ... لكونهِ على ثقة من انهُ لم يقل غير الصدق (برهان قاطع لا يحتمل الرد ...) ويا ليت شعري اين كان ذلك الصدق افي كلامهِ عن كنيسة الار بعين شهيدًا التي زعم انها هي كنيسة القديس يوحنا المعمدان مع ان هذي قد درست منذ قرون عديدة كما جاء في غير هذا الموضع من مشرقهِ الاغرّ . ام في كلامهِ عن كنيسة القديس جاورجيوس التي اخترع لها اسماً جديدًا يدل على قوّة تصوّرهِ ... ام في تاريخ السنكسار الخطي الذي نسبهُ الى القرن السادس عشر وهو من مخطوطات أواخر القرن السابع عشر فغلط بقرن ونيف من الزمان ... ام فيما ذكرهُ عن المنبر والايقنسطاس اللذين زاد في عمرهما مئة سنة (فقط) ام في وصفهِ لايقونة الار بعين شهيدًا التي زعم انها تمثل الانفس المطهرية ولم يفرق فيها بين المآء ولهيب النار ...

واما ما تكرم بهِ علينا من عبارات الطعن والشتم ودعواهُ المختلقة اننا كتبنا ما كتبناهُ للتشفي من الآبآء اليسوعيين الذين طردونا من مدرستهم في حمص (كذا) الى غير ذلك فما نجلّ قلمنا عن الرد عليهِ ونتخذهُ عنوانًا على آدابهِ الباهرة ... لكننا نخبرهُ فقط اننا ولله الحمد لم نتشرف قط بدخول مدرستهم العامرة بحمص وان ما التجأ اليهِ من هذه الحجة محض تخرصٍ واختلاق ابرزهُ من خبايا افكارهِ النيرة ليوهم السذّج من مشايعيهِ اننا كتبنا ما كتبناهُ لغاية كالتي ذكرها مع ان غايتنا التي نتوخاها في كتاباتنا اسمى من ذلك كلهِ وهي مجرّد خدمة الحق متمثلين بقول الشاعر

اذا انا لم امدح على الخير اهلهُ ولم اذمم الوغد اللئيم المذمما
ففيمَ عرفت الخيرَ والشرَّ باسمهِ وشقَّ ليَ الله المسامع والفما

أحد القرآء بحمص

الخَزّان

هو السدّ العظيم الذي اتمَّت الحكومة بناءهُ في هذه الايام بعد عمل ستة واربعين شهراً كان العاملون فيها لا يقلّون عن عشرة آلافٍ من النفوس فلا جرَم انهُ من اعظم الاعمال التي قامت بها حكومةٌ من حكومات الارض ومن أجلّ الآثار التي سيخلّدها هذا العصر للقرون الآتية وتكون مهوًى لركائب الزوّار يؤمّونها من الاقطار النائية وكيف لا وهو العمل الذي مثّل لنا في هذا العصر عهد الفراعنة العظام وأشهدنا ما اتوهُ من العظائم ايام شادوا الهياكل والاهرام لكن شتان ما بين اثرٍ اذا رآهُ الرائي تمثلت لهُ من ورائهِ صورة الرقّ والاستعباد ثم لم يرَ لهُ من منفعة تشفع فيما قام عليهِ من الجور والاستبداد وبين عملٍ اقلّ ما فيهِ احياء بلدٍ مواتٍ يُدِرّ عليهِ من الخير والبركات أخلافاً ويُحيي بحياتهِ مئاتٍ من سكان هذا القطر وآلافاً على كونهِ لم يُظلم فيهِ احدٌ مثقالَ ذرَّةٍ ولم تضع قطرةٌ من العرق جُزافاً

وقد كان الاحتفال بوضع الحجر الاخير منهُ في العاشر من هذا الشهر بمشهد مئاتٍ من علية الوطنيين من كل بلد والاجانب من كل مملكة وفي مقدمتهم سموّ امير البلاد واللرد كرومر وعدةٌ من امرآء الأُسرة الخديوية والوزرآء وأرباب الخطط العليا ونواب الدول وقد دُعي الى شهود هذا الاحتفال سموّ الدوك اوف كنّوت شقيق جلالة الملك ادورد وسموّ قرينتهِ وهي التي وضعت بيدها حجر الختام

وقد كان الشروع في بناء هذا السدّ في ١٢ فبراير سنة ١٨٩٩ وكان

وضع الحجر الأول منهُ بيد سموّ الدوك المشار اليهِ وقد نُقش اسمهُ على الحجر المذكور كما نُقش اسم الدوكة على الحجر الاخير مع اسم سموّ الامير المعظم ليبقى ذكرهم هناك موردًا للاجلال والاحترام ومصاحبًا للدهر ما كرّت السنون والأَيام

واما صفة هذا البناء فهو جدارٌ ضخمٌ قائمٌ في جنوبيّ مدينة اصوان بين جبلين يكتنفانهِ من الشرق والغرب وهو مبنيٌّ من الحجر المحبَّب المقطوع من تلك الارض وطولهُ من احد الجبلين الى الآخر الف متر وارتفاعهُ فوق منسوب مياه النيل ٢٠ مترًا ومن اساسهِ الى اعلاهُ ٤٠٫٠ مترًا وعرضهُ مما يلي الارض ٢٥ مترًا وعرض اعلاهُ ٧ امتار وارتفاعهُ فوق سطح البحر الملح ١٠٩ امتار . وقد جُعل فيهِ ١٨٠ مثعبًا او عينًا لخروج الماء لكلٍّ منها باب من الحديد سهل الفتح والاغلاق وهذه العيون منها ٦٥ عينًا تُفتَح على منسوب ٨٧ مترًا ونصف متر عن سطح البحر و٦٥ على منسوب ٩٢ مترًا و٢٥ على منسوب ٩٦ مترًا و٢٥ على منسوب ١٠٠ متر . ومقدار ما يمرّ من هذه العيون ١٢٤ الف قدم مكعبة في الثانية وجملة ما يُحبَس فيهِ من الماء ٧٠ الف مليون قدم مكعبة تروي فيما قدَّروا ٥٣٢ ٠٠٠ فدان من الارض فاذا فرضنا ان الارض الزراعية في القطر تبلغ ٥ ٣٢٠ ٠٠٠ فدان وهي اقلّ من الواقع بنحو ٩٠٠٠ فدان كانت الزيادة في الاراضي الزراعية مثل عشرها . وهذا فضلاً عن تعديل السقي في هذه الاراضي كلها بحيث يمتنع فيها ما كان يحدث قبلاً من الغرق والظمأ اذ يوزَّع الماء بقدرٍ ولا يذهب ما يفيض منهُ عن حاجة البلاد جزافًا في البحر الملح . وبما ان هذا المقدار يُدَّخر للزراعة الصيفية

فالخزان يُقفَل من اول دسمبر الى آخر مارس ويفتح بعد ذلك الى آخر يوليو وهو الأَوان الذي فيهِ يعود الفيضان فتفتح العيون كلها ثم تُقفَل تدريجاً . وقد بلغت نفقاتهُ مليونين و٢٧٥ الف جُنَيْه

ويتبع هذا السدّ سلسلة قناطر بنيت عند اسيوط الى شمالي الترعة الابراهيمية وهي تمتدّ من احدى ضفتّي النيل الى الضفَّة الاخرى وطولها ٨٣٣ متراً وارتفاعها ١٢ متراً وفيها ١١١ عيناً وهي من متممات فائدة السدّ وقد بلغت نفقتها ٨٧٥ الف جُنَيْه

هذا اهمّ ما يُذكَر في وصف هذا الخزان وتاريخ بنآئهِ اقتصرنا فيهِ على ما هو من غرض هذه المجلة . ونختم هذا المقال بابياتٍ وقفنا عليها في جريدة البصير الغرّاء من نظم حضرة الاديب الشاعر الكاتب امين افندي الحداد شقيق الطيب الذكر المرحوم نجيب افندي الحداد وابن شقيقة صاحب هذه المجلة　قال حفظهُ الله

اخزّانَ مصرٍ انت ام هرَما مصرِ　　اجلُّ واسمى في المكانة والقدرِ
اعدتَ لنا مجد القرون التي مضت　　وجددت من عهد الفراعنة الغرّ
وهيهاتَ ما اهرام مصر وان سمت　　بأَرفعَ رأساً من حضيضك لو تدري
وليس سنان بن المشلل خالداً　　بأَنبهَ من عباس مصرك في الذكرِ
وما قطرات السحب كالدرّ تنهمي　　بأَلطف وقعاً من عقيقك اذ يجري
وما انت خزّان المياه وطميها　　وابليزها بل خازن الدرّ والتبرِ
تدفقتَ بالخيرات من كل جانبٍ　　وجمَّعتَ اقطار المنافع في قُطرِ
فقل للغوادي والروائح تنجلي　　وفي غير مصرٍ فلتسحَّ على قفرِ

اذا ما جرت امواهها دون حاجةٍ وفاضت جرت منك المياه على قدرِ
ضربت على آثار مصرَ ولم يكن ليطمسها لولا جلالك من اثرِ
ألا فلتَسُدْ مصرٌ على كل بُقعةٍ به وليطاولْ قُطرُها مسقط القطرِ
بناءٌ من الدهر استعار بقآءهُ وأقسم ألاّ يُستردَّ من الدهرِ
حكى فيضهُ في القُطر فيض قريحتي فامواههُ تجري وامواهها تسري
ولم اختصصْ مدحيهِ بالشعر عابثاً ولكن رأيت المدح يبقى مع الشعرِ

اسئلة واجوبتها

القاهرة — لما زار رئيس الجمهورية الفرنسوية بلاد الروس قُدّم لهُ خبز وملح فما كان الغرض من ذلك . ثم ان هذا نفسهُ موجود عندنا ايضاً يقال « فلان خائن العيش والملح » فما اصل هذا الاصطلاح وهل لهُ سبب تاريخي وهل اقتبسهُ اهل الغرب عن الشرق ام بالعكس عزيز صاصي

الجواب — لا يخفى ان اكثر العوائد التي انتهت الينا عن الاقدمين قد غمضت اصولها لبعد العهد بها وفقد الكتب الدالة عليها ولذلك قد يتعذر الوقوف في بعضها على حقيقة راهنة . على ان الملح مما اصطلحوا ان يتخذوهُ رمزاً الى صحة العهد وهي عادةٌ قديمة شائعة عند اكثر امم الارض وقد تكرر ذكرها في التوراة في عدة مواضع كقولهِ في سفر العدد (١٨ : ١٩) خطاباً لهرون « كلّ تقادم الاقداس التي يقدّمها بنو اسرائيل للرب لك جعلتها ولبنيك رسماً ابديًّا ذلك عهد ملحٍ مدى الدهرْ » . ومثلهُ في ثاني سفرَي الايام (١٣ : ٥) « ان الرب اعطى مُلك اسرائيل لداود الى الابد ولبنيهِ

بعهد ملح » . وجآء في سفر عزرا (٤ : ١٤) « وحيث انا اكلنا ملح القصر لم يكن لائقاً بنا ان ننظر الى مسآءة الملك . . . » . ولعل هذا المعنى الاخير هو الاصل في هذا الاصطلاح ولا يخفى ان الملح هنا كناية عن الخبز لانهُ لا يؤكل عادةً بدون ملح ومن اكل خبز انسانٍ حرُمَت عليهِ خيانتهُ والى هذا الاشارة في قولهِ في المزمور الاربعين « الذي اتكلت عليهِ واكل خبزي هو رفع عليَّ عقبهُ »

وقد جآء مثل ذلك عند العرب يقولون فلانٌ ملحهُ على ركبتهِ وعلى ركبتيهِ اي لا وفآء لهُ . قال مسكين الدارمي

لا تلمها انها من نسوةٍ　　　ملحها موضوعةٌ فوق الرُكَبْ

الملح يذكر ويؤنث . فال ابن الأعرابي والعرب تحلف بالملح والمآء تعظيماً لهما ويقال بين الرجلين مِلحٌ ومِلحة اي حرمة وذمام ويقال مالحتُ فلاناً اي آكلتهُ وهي المالحة . اهـ

ويمكن ان يكون الاصل في هذه العادة ان الملح يُستعمَل لمنع الفساد كما هو مشهور ولذلك يسمى في هذه الديار بالمصلح والخبز دليل المصافاة لان المؤاكلة لا تكون عادةَ الا بين المتصافيَين فيجعل المتحالفان هذين الصنفين بينهما ويشتركان في اكلهما ليكون الحلف بصورة شكل محسوس وهو اوقع في النفس واثبت في الذكر والله اعلم

تنبيـه ✡ جآء في الجزء السابق صفحة ١٤٣ « من الميليمتر » وصوابهُ « من الميلغرام » وفي صفحة ١٤٤ « عن رطوبة الهوآء » وصوابهُ « من رطوبة » . وفي صفحة ١٤٧ « الباجيك » وصوابهُ « البلجيك »

فكاهات

في القطار [1]

قال الراوي

دعتني احوال صحية الى ان اترك لندن واسافر الى ادمبرج وكنت على وشك البرء من كسرٍ برجلي اقعدني مدة في البيت فأخذت عربةً اقلتني الى المحطة فبلغتها قبل قيام القطار بربع ساعة . فابتعت تذكرتي ودخلت احدى العربات ولم يكن فيها سواي فاخترت محلاً مريحاً وجلست فيهِ . وكان الجوّ بارداً جدًّا والثلج يتساقط جوالح كبيرة كالقطن فوضعت دثارًا صفيقًا على كتفيَّ وشالاً من الصوف الغليظ حول جسمي ثم اخرجت كتاباً اخذت اقرأ فيهِ وكنت قد استصحبتهُ ليخفف عني بعض الملل في ذلك السفر الطويل . وبعد بضع دقائق كنت ارى المسافرين يردون الى المحطة افرادًا وازواجاً فتمنيت ان يرافقني في عربتي بعض من تطيب لي محادثتهم فاحصل على بعض التسلية . فما مضى الا هنيهةٌ حتى فتح باب عربتي ودخلت منهُ فتاة لا اظنها بلغت العشرين ولكنها رقيقة الخصر معتدلة القوام يظهر من خلال نقابها نورٌ يتدفق من وجهها اللطيف ونارٌ تنبعث من عينين احدّ من السهام فجلست بازآئي . وكان فيها جاذب جعلني لا ارفع نظري منها وحدثتني نفسي اننا سنتعارف وسنتحادث ونتصادق وستحبني واحبها و . . . ولكن ما اجهل الشباب واما اسرعهم في بنآء القصور في الهوآء

وقطع مجرى افكاري انفتاح الباب ثانيةً اذ دخل منهُ رجل اسكتلنديّ طويل القامة ذو لحية طويلة شقرآء لم يكن معهُ شيء من الامتعة فتخطى الى طرف الغرفة وجلس ثم استخرج من جيبهِ جريدة واستغرق في قرآءتها . ودخلت بعدهُ سيدة

[1] معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

متقدمة في العمر كبيرة الجسم ما صدقت ان وضعت امتعتها والتفت بشالها الصوفي حتى جلست لتستريح . وجاءَ بعدها ايضاً رجل عرفتهُ انهُ من تجار لندن فجلس الى جانبي

اما انا فجعلت انتقد هؤلاء القوم بنظرٍ خفيّ لارى من منهم تطيب لي محادثتهُ فكنت كلما نظرت الى احدهم يتحول نظري رغماً عني الى الفتاة الاولى وهي جالسة على المقعد الذي امامي وشعرت بشيءٍ في صدري يوحي اليَّ ان هذه الملك من دون الباقين ستكون رفيقتي وتسليتي في السفر . وبينما كنا جميعنا في سكوتٍ تام اذا بالتاجر قد نظر من نافذة العربة وقال هوذا احد رجال الشحنة السريين فلا بد من حصول حادثةٍ في هذا السفر . ونظرت فاذا الجميع قد تحولت ابصارهم الى النافذة وقالت السيدة الكبيرة اين هو وكيف عرفت انهُ من رجال الشحنة . قال هو ذا — واشار الى رجلٍ طويل القامة — وقد عرفتهُ من حذاءَهِ فلا يلبس هذه الاحذية الا رجال الشرطة . ثم ان الرجل انزل قبعتهُ الى ما فوق عينيهِ كانهُ يود ان يخفيهما وهما مع ذلك تندفعان بنظر حادّ كانهما مصباحان كهربائيان يستعملهما للبحث عن الغوامض وقد رأيتهُ مرَّ عدة دفعات امام القطار كانهُ يراقب احدًا . وكنا جميعنا نراقب الرجل فوجدناهُ كما وصفهُ التاجر واذ ذاك صفر القطار علامة المسير وللحال فُتح باب غرفتنا ودخل منهُ الرجل المذكور وبيدهِ صندوق من الجلد فرفع قبعتهُ اكراماً للجلوس ثم وضع صندوقهُ وجلس . وما كاد يستقرّ بهِ المقام حتى رأيت دلائل الدهش والخوف والانقباض قد ارتسمت على وجه كلٍ من رفاقي ولا سيما الفتاة فانها انقبضت شديدًا ورفعت شالها الى كتفيها ثم طأطأت رأسها بحيث لا يظهر وجهها . اما الباقون فمنهم من حوّل وجههُ الى النافذة ومنهم من ستر وجههُ بجريدتهِ او كتابهِ كانهم قد استثقلوا هذا الضيف بينهم او كأن كلاًّ منهم قد تصور ان الشرطي انما هو قادم لالقاءِ القبض عليهِ . وراجعت انا افكاري فلم اتذكر انني فعلت شيئاً يستوجب تداخل رجال الحكومة فيهِ فلم ابتئس من قدوم هذا المسافر ورأيت انني الوحيد بين هؤلاءِ في نقاوة الضمير فجلست اراقب حركاتهم وقد رأيت فيها ما يلذّ

لي ولكنني خشيت على الفتاة ووددت ان اعلم ما الم بها واسعى في مساعدتها اذا كان ذلك في امكاني

وكان القطار قد سار بنا منذ دخول الرجل بين هزيم الرعود وعصف الرياح وسقوط الثلج وما زلنا كذلك حتى ابعدنا عن لندن وهجم الظلام فلم نعد نرى شيئاً سوى ارضٍ بيضآء مكسوة بالثلج . ولحظت ان الفتاة اخرجت دفترًا من جيبها عرفتهُ انهُ دليل المحطات فنظرَت اليهِ ثم نظرت في ساعتها وتنفست كمن سُرّي عنها. واذ ذاك شعرت ان القطار قد خفف مسيرهُ الى ان وقف وسمعنا احد رجالهِ ينادي باسم المحطة التي وقف فيها

واطلّ الرجل الغريب من النافذة فتبعتهُ بنظري قليلاً ولما عدت الى نفسي رأيت محل الفتاة فارغاً ولم اجدها لاهي ولا امتعتها فعجبت جدًّا من هذا الاختفآء السريع وعلى الخصوص لانني كنت قد رأيت تذكرتها وعرفت انها مسافرة ايضاً الى ادمبرج وتحققت رغماً عن صوت ضميري ان للفتاة شأناً في مجيء رجل الشحنة السري والاّ لما اظهرت ذلك الاضطراب حال دخولهِ وهذا الاختفآء عند اول فرصة ولكني اجتهدت ان انزع هذا الفكر من رأسي لان عواطفي دفعتني الى محبة الفتاة والدفاع عنها . ثم زاد تعجبي حين رأيت الاسكتلندي قد خرج ايضاً خُلسةً وتبعتهُ السيدة الكبيرة وقد حملت امتعتها وآخر الكل خرج التاجر ولم يبقَ في الغرفة سوايَ مع الرجل الغريب

وبينما انا اعجب مما ارى اذا بالغريب قد ادخل رأسهُ من النافذة ثم حمل صندوقهُ وبدون أن يلتفت الى احد خرج ايضاً من الغرفة وبقيت وحدي . فلم املك نفسي من الضحك على تشخيص هذه الرواية امامي وانا اودّ ان اصل الى آخرها وأرى ما ينتهي اليهِ الامر

وبعد نحو عشر دقائق عاد الرجل الغريب بصندوقهِ فوضعهُ في محلهِ وجلس حيث كان اولاً وعاد القطار الى مسيرهِ . وكأن الرَجل انتبه الى خلوّ الغرفة فاظهر علامة التعجب ثم نظر اليَّ وقال ارى اصحابنا قد خرجوا جميعاً من هنا وقد فهمت

انهم كلهم مسافرون الى ادمبرج فما سبب تركهم هذه الغرفة يا ترى . فقلت لعلهم رأوا اصحاباً لهم في محلاتٍ اخرى فذهبوا لمرافقتهم . قال لا اظن ذلك بل لعلهم ازعجهم حضوري ففضلوا الابتعاد عني . فقلت بتبسم خفيف وانا من رأيك فانهم مذ عرفوا انك من رجال الشحنة تغيرت هيئاتهم وشعرت انهم كانوا يفضلون بعادك على مرافقتهم . فقال ضاحكاً وكيف عرفوا اني من رجال الشحنة . ثم كانهُ فطن من نفسهِ فقال حقاً ان هذه الاحذية تدل علينا مهما اجتهدنا في التخفي ولا ادري لماذا لا تنتبه الحكومة الى هذا الامر وتسمح لنا بلبس ما نراهُ موافقاً . ثم اتبع ذلك بقهقهةٍ غريبة لم ادرك معناها . فقلت لهُ اذاً ظن اصحابي في محلهِ وانت تسعى في القبض على احد المسافرين . فقال نعم ان بعض مهرة اللصوص المشهورين بسرقة الجواهر والحلى قد سرق صندوقاً فيهِ مبلغ من المصوغات الثمينة والحجارة الكريمة وهو في القطار وبالقرب منا . فقلت بتعجب اين هو وقد رابني ان يكون الرجل ظن بي سوءًا . فقال هو في العربة الثانية التي بازآئنا . فقلت لهُ بما انك قد عرفتهُ فلماذا لم تلقِ عليهِ القبض قبل ان يركن الى الفرار . قال هيهات ان يفر فانا اتبع لهُ من ظلهِ الى ان نبلغ المحطة الاخرى فقد ارسلت اليها رسالة برقية وينتظرنا فيها نفر من الشرطة للقبض عليه

وسار القطار بنا مدةً والظلمة تزداد سوادًا والثلج يزداد تساقطاً . فاخذ رفيقي صندوقهُ وكان اخبرني ان اسمهُ فيليب فرأيت احرف اسمهِ على الصندوق . ثم وضع يدهُ في جيبهِ وقال آه فقد نسيت مفتاح هذا الصندوق في البيت فكيف العمل لفتحهِ . فقلت وماذا تريد ان تأخذ منهُ . قال قد بلغ مني الجوع وفي هذا الصندوق شيء من الكعك . فرفعت يدي الى جهة صندوقي وقلت لهُ لا بأس فان معي شيئاً من الزاد وانا جائع ايضاً فاسمح لي ان اشاركك في طعامي . فقال لا لا والحَّ عليَّ ان لا افعل ولم يمكني من فتح صندوقي بل اخذ من جيبهِ آلةً حديدية وضعها بين طبقتي صندوقهِ بمهارةٍ فسمعت انكسار الاقفال . ثم ادخل يدهُ فيهِ واستخرج عددًا من اللفائف فاودعها جيوبهُ وعاد فشدَّ الصندوق برباطهِ الجلدي وارجعهُ الى مكانهِ واخذ واحدة

من تلك اللفائف ففتحها واذا فيها مقدار من الكعك اعطاني شيئًا منهُ فجعلنا نأكل ونتحادث والقطار ينهب الارض نهبًا

و بعد حين قال لي رفيقي فيليب انهُ يخشى من اشتداد سقوط الثلج ان يغمر الخط الحديدي ويمنع مسير القطار وكأن نبوّتهُ جآءت في وقتها فلم نشعر الا وقد خف بنا المسير شيئًا فشيئًا الى ان وقف القطار في وسط ظلمة حالكة كادت تستر الانوار الكهربائية القوية فلا ينبعث منها الا نور ضعيف جدًّا . وسمعنا السائق يقول ان القطار قد رزح تحت اثقال الثلج المتراكم عليهِ وقد سُدّ طريقهُ فلا يستطيع التقدم وللحال رأيت ان جميع المسافرين قد اطلوا من نوافذهم ليروا ما الخبر . اما رفيقي فقال لي انهُ يخشى ان يغتنم اللص الفرصة ويهرب في تلك الظلمة فترك صندوقهُ واوصاني بهِ فوعدتهُ ان احتفظ بهِ وخرج . اما انا فعجبت من امرهِ لانهُ لما خرج اول مرة وكان صندوقهُ مقفلاً اخذهُ معهُ ولم يأمني عليهِ فكيف فعل ذلك الآن بعد ان كسر اقفال الصندوق . واتبعتهُ نظري حتى خرج من الباب وسار بضع خطواتٍ ثم اخفاهُ الظلام عني

و بينما المسافرون في حيرة شديدة رأينا نورًا يقترب الينا من جهةٍ اخرى حتى قارب القطار واذا برجلٍ يحمل مصباحاً كبيرًا فنادى باعلى صوتهِ قائلاً ايها السادة ان لي نزلاً على بعد نحو مئتي خطوةٍ من هنا وفيهِ ما يلزم من الطعام والاسرَّة لمن يشآء فاذا اراد احد ان يشرّفني الى ان ينقطع الثلج و يعود القطار الى مسيرهِ فاهلاً ومرحبًا . وجآءت دعوة هذا الرجل كهبة سماوية لجميعنا فصرخ الكل نعم نذهب نعم نذهب ولم يكن كلمح البصر حتى رأيت الركاب يخرجون من غرفهم وقد تأبطوا امتعتهم وتبعوا صاحب الدعوة . اما انا فخطر لي ان اذهب ايضاً ولكن رأيت ان انتظر رجوع فيليب لانهُ لا يصح ان اترك امتعتهُ بعد ان اوصاني بها ولكن بعد ما انتظرت كثيرًا ولم يرجع خشيت ان يسبقني القوم فلا اعود اتمكن من معرفة الطريق فنهضت وحملت باليد الواحدة صندوقي و باليد الاخرى صندوق فيليب وسرت ورآء الجمع وكان الالم الباقي في رجلي والحمل الذي يديّ يمنعاني من السرعة فما بلغت

النزل الا وكان الجميع قد سبقوني فدخلت . واجلت نظري في الردهة لأجد لي محلاً فلم اجد ورأيت في بعض الزوايا جمعيةً مؤلفة من رفاقي الاولين الذين كانوا معي عند ابتداء السفر فسرت لاجلس بجانبهم ولكنهم ما رأوني حتى بدت على وجوههم علامات الاشمئزاز ولحظت ذلك فوضعت الصندوقين على الارض وجلست عليهما وكانت عيناي تتنقلان بين ذلك الجمع . وطرقت اذني بعض كلمات من رفاقي فهمت منها انهم يحسبوني ايضاً من الشحنة السريين والا لما بقيت وحدي مع الشحني في العربة والذي زاد اعتقادهم هذا ما رأوهُ حين دخولي اذ كنت حاملاً صندوق فيليب معي فعلمت اذ ذاك سبب نظرهم اليَّ بكرهٍ حين دخلت . وبعد قليل جاءني الرجل الاسكتلندي فوقف بجانبي وقال قد علمتُ انك من رجال الشحنة ايضاً فقل لي بصراحة هل تقصدونني انا . فتبسمت وقلت كلا . وكأنهُ أُفرج عنهُ فتنفس الصعداء وقال انني لم اترك زوجتي الا عن اسباب موجبة انا مستعد لايضاحها عند الطلب وقد ظننت انها سعت لدى الحكومة في طلب ارجاعي . فادركت اذ ذاك سبب اضطرابهِ اول ما علم بوجود شحنيٍ سرّي وطمأنتهُ فشكرني ورجع الى مكانهِ . فقلت في نفسي لا بد ان يكون للباقين اسرارٌ اخرى وصرت ارغب ان اعرف السر الذي للفتاة فاتنتي . وبعد قليلٍ جاءتني السيدة الكبيرة فقالت اذا كنت انا غرضكم فارجو منك ان لا تسمح باهانتي امام الحضور وانا مستعدة ان اتلو عليك قصتي فتعلم منها انهُ لم يكن لي دخلٌ قط في الامر . وقبل ان تتمم حديثها وتفضح اسرارها اشرت اليها بالسكوت وقلت لها كوني مطمئنة ايتها السيدة فلستِ انت غرضنا في هذه الليلة . فاشرق جبينها فرحاً وسُرّي عنها وعادت الى كرسيها . ثم جاء بعدها التاجر ومشى امامي ذهاباً واياباً كانهُ انتظر ان افاتحهُ انا بالحديث وكان في يدهِ كتاب مكتوب عليهِ اسم سميث عرفت انهُ اسمهُ . ثم توقف فجأةً وجاء اليَّ فقال ارجو منك ايها السيد ان تتأكد انني لم افرّ من لندن بقصد ان لا ادفع ديوني التي تُستحقّ غداً ولكني انتظر مبلغاً سيرد عليَّ بعد يومين فرأيت الافضل ان اغيب عن محل شغلي الى حين ورود المال وهذه هي الحقيقة بتمامها . فقلت لهُ انا اعلم استقامتك

يا حضرة المستر سميث فكن براحة بالٍ فاننا لا نمسُّك بسوء ما دام في نيتك الوفاء
فسرَّ الرجل جدًّا لجوابي وتعجب حين رآني اكلمهُ باسمهِ فشكرني وذهب . وكنت
انتظر ان تقدم اليَّ الفتاة بعدهُ ولكنها لم تفعل بل زادت في التخفي وراء اصحابها
وهي تودّ ان لا يرى احدٌ وجهها . وكانت نفسي تحدثني ان اذهب انا اليها واكلمها
واذا بباب الردهة قد فتح فسمعنا ضجةً ولغطاً في الخارج ثم دخل صاحب النزل
فاحدق الجميع بهِ مستفهمين عن السبب فقال ان دوقةً في ادمبرج بعثت الى وكيلها
في لندن ان يرسل اليها جواهرها وحليها المودعة في البنك لتلبسها في حفلةٍ رسمية
ولم يأمن الوكيل على هذه الجواهر فوضعها في صندوق وسافر بهِ بنفسهِ ليوصلهُ سالمًا.
وكان يخشى ان يصادفهُ حادث في الطريق فطلب من ادارة الشحنة ان ترسل معهُ
اثنين من رجالها يحرسانهِ في الطريق . وعلم بذلك احد دهاة اللصوص فسافر في
نفس القطار ولما وقف القطار في اول محطة تفقد الوكيل صندوقهُ فوجدهُ خاليًا من
تلك الجواهر فطار رشدهُ واعلم الحارسين فوعداهُ بالقاء القبض على السارق . وقد
امسكاهُ الآن حقيقةً وهو يقاوم ويمانع ولكنهما تمكنا من ايثاقهِ وسجنهِ في
الغرفة السفلى

فتعجب الجميع من هذا الحادث ونظرت الى رفاقي وخصوصاً الفتاة فرأيتهم
قد عادت النضارة الى وجوههم وتحققوا انهم في امان . وكنت انا اعجب من مهارة
فيليب في القبض على الجاني واقول في نفسي انهُ لا بد ان ينال مكافأةً وافرة . ثم
فتح باب الردهة ثانيةً ودخل منهُ رجلٌ طويل القامة اشقر اللون اجال نظرهُ الحاد
في الغرفة حتى وقع عليَّ فاقترب مني وهمس في اذني قائلاً هات هذا الصندوق
واتبعني . فقلت لهُ انهُ ليس صندوقي وانهُ للشرطي فيليب اوصاني بهِ فلا يمكنني
التصرف فيهِ قبل رجوعهِ . فتبسم الرجل وقال ليس فيليب بشرطي بل هو ادهى
لصوص انكلترا وقد اصبح في قبضتنا فهات الصندوق واتبعني . ولو وقعت عليَّ
صاعقة في تلك الدقيقة لما اثرت فيَّ اكثر من الكلام الذي سمعتهُ وقلت سيحسبوني
الآن شريكاً لهُ ويلقى عليَّ القبض ولكنني شددت عزائمي فحملت الصندوق

وسرت وراء الرجل . وما بلغت باب الردهة حتى سمعت جميع المسافرين يقول بعضهم لبعض انني انا احد الشحنة فسرني ذلك وقلت في نفسي انهُ اشرف من اعتقادهم اني شريك السارق . وذهب بي الدليل الى غرفةٍ اخرى فيها فيليب موثق الايدي والى جانبهِ الشحني الآخر فلما وقعت عينهُ عليَّ تبسم طويلاً كأنهُ في تمام السرور . وطلب الشحنيّ تقريري عما اعاه عن فيليب فاخبرتهُ بجميع ما حصل

وظهر اذ ذاك من اقرار فيليب انهُ علم بسفر الوكيل بالجواهر فابتاع صندوقاً يشابه صندوق الوكيل ولما وقف القطار في المحطة الاولى وخرج من غرفتي حاملاً صندوقهُ ذهب الى الغرفة الثانية وبمهارةٍ غريبة انتشل صندوق الوكيل ووضع صندوقهُ مكانهُ ثم ابتاع قليلاً من الكعك وعاد الى غرفتي وانهُ لما كسر اقفال الصندوق واخرج منهُ اللفائف التي قال انها مأكولات لم تكن الا العلب التي أُودعت فيها تلك الحلي الثمينة . وكان رجالا الشحنة قد استدعيا وكيل الدوقة ايضاً فاخذوا يخرجون من جيوب فيليب تلك اللفائف وهو يفحصها حتى استرجع الجميع ووجد انهُ لم يفقد لهُ شيء ثم اخذ الرجلان فيليب وسارا بهِ الى حيث يسلمانهِ الى القضاء وكان يسير بينهما ضاحكاً . ثم نظر اليَّ وقال الى الملتقى ايها الرفيق فقد اعجبتني طيبة قلبك وسلامة صدرك وعسى اني في النوبة الآتية يصادفني من اعتمد عليهِ نظيرك

اما انا فرجعت الى الردهة وكان الجميع منتظرين ليفهموا نهاية الامر فاخذوا يسألوني عن السبب وكانوا كما ذكرت يعتقدون انني من رجال الشحنة فحافظت على اعتقادهم وقلت لهم بافتخار اننا قبضنا على اللص واسترجعنا السرقة الى صاحبها وارسلنا اللص الى السجن . فبدت علائم العجب على جميع الحاضرين وجعلوا ينظرون اليَّ بوقار واحترام حتى ان الفتاة نفسها لم تعد تخاف مني بل جاءت الى جانبي وجعلت تحادثني

وبعد ان تناولت شيئاً من القوت في النزل انصرفنا الى غرفنا ونمنا وعند ظهر اليوم الثاني قيل لنا ان الطريق قد كُسح الثلج عنها وان القطار على اهبة المسير فاسرعنا اليهِ للحال واجتهدت هذه المرة ان لا افارق الفتاة فجلست معها في غرفة

واحدة ولم تهرب مني . ولما سار بنا القطار كنت احادثها والاطفها حتى استأنست بي فسألتها عن سبب سفرها في هذا الوقت البارد وعن اظهار خوفها حين سمعت بالشحني. فقالت ارى فيك لطفا لا يمنعني من افشآء سري فانا ليس لي من الاهل سوى اخ من عمري مستخدَم في لندن عند تاجر يدعى المستر جورج ارنولد . فدهشت جدًّا لان هذا الاسم اسمي وقلت لها وما هو اسم اخيك . قالت هنري برات . فزاد استغرابي وتحققت انها اخت كاتب في محلي . ثم اكملت حديثها فقالت ولم تكن اجرة شقيقي كافية للقيام بحاجاتنا نحن الاثنين فكنا نعيش بمزيد التقتير واخي يعلل نفسهُ ان رئيسهُ سيعطف عليهِ يومًا ويزيد لهُ اجرتهُ ولكن كان الرئيس لا يهتم بامرهِ فصبر على نارهِ وعشت واياهُ على الامل الى ان مرضت يومًا واضطررنا الى احضار الطبيب وعلاجات شتى . ولما لم يكن لاخي صديق يقرضهُ ما يحتاج اليهِ من النقود اخذ من مال المحل مبلغ عشر ليرات وهو يؤمل ان يفيها حين يمكنهُ ذلك بدون ان يعلم احد . ولكنهُ علم منذ يومين ان صاحب المحل يريد ان يجرد حساباتهِ في آخر هذا الشهر فطار فؤادهُ واعلمني بالامر فوقعنا في حيرةٍ عظيمة لانهُ اذا وُجد النقص عُدَّ اخي سارقًا وطرد من وظيفتهِ فماذا يحلّ بنا . ولا انكر ان اخي قد غلط فيما فعل ولكن ما باليد حيلة وقد رأينا الافضل ان اسافر الى ادمبرج حيث لنا بعض الاصدقآء ولي امل ان اقترض منهم هذا المبلغ واعود بهِ الى اخي فيسدد بهِ ذلك النقص ونأمن شر الفقر . فلما ركبت القطار وسمعت بوجود احد رجال الشحنة خفت ان يكون صاحب المحل قد علم بالامر وان القضآء قد اخذ عليَّ الطريق فاشكر الله ان ظني لم يكن في محلهِ واسألهُ تعالى ان يوفق مسعاي ويسهل رجوعي سريعًا الى اخي لانهُ على نار الانتظار . وكان في حديث الفتاة رنة خجل سلبت لبي وتذكرت ان اخاها من افضل العاملين عندي وهو نشيط جدًّا فلمت نفسي كثيرًا لانني لم افطن لهُ قبلاً وأزد اجرتهُ التي كانت بالحقيقة لا تكفي لمعيشة اثنين ولكنني عزمت على ان اتلافى ما مضى فاغتنمت فرصةً كانت الفتاة ملتهية فيها بتلاوة جريدة بيدها واخذت من جيبي ورقًا وكتبت ما يأتي

« انني مسرور من كاتبي الامين هنري برات وقد وهبتهُ مئة ليرة جزاء خدمه السابقة وجعلت راتبهُ بعد الآن ضعفيَ ما كان قبلاً وذلك على شرط واحد اتفق عليهِ مع شقيقتهِ اللطيفة .... »

ثم وقعت على الورقة باسمي جورج ارنولد ودفعتها الى الفتاة . فما قرأتها وعلمت الحقيقة حتى جحظت عيناها وارتعشت شفتاها وقالت واليأس يقطع كلامها آه ما اتعسني فقد افشيت سر اخي الى رئيسهِ . ثم نظرت اليَّ نظرة تجرح الفؤاد وقالت استحلفك بالله ان لا تسيء الينا واعدك ان اخي يرجع المبلغ الذي اخذهُ قبل آخر الشهر . فتبسمت واخذت اطيب خاطرها ثم اكدت لها ما كتبتهُ لأخيها بما نويت ان اعاملهُ بهِ اذا قبلت بشروطي . فقالت وقد صبغ التهيج وجنتيها بلون القرمز ما هي شروطك يا مولاي فانا اخدمك ما حييت . فقلت لا اريد ان تخدميني بل ان تعاونيني في ما بقي لي من الحياة . وفهمت طلبي فسترت وجهها بيديها وتمتمت قائلة من كان يظن انني احصل على هذه السعادة

وما بلغنا ادمبرج حتى اصبحت والفتاة روحاً في جسمين ولم يطب لي العيش حتى عُقد لي عليها حال وصولنا واصبحت زوجتي ثم امليت عليها رسالةً ارسلتها بالبرق الى اخيها وهذا نصها

« عزيزي هنري — لا تهتم بامر النقود فسيعطيك اياها زوجي المستر جورج ارنولد حال رجوعنا الى لندن بعد يومين »

ولما عدنا الى لندن استقبلنا هنري وهو كالمأخوذ فاخبرتهُ شقيقتهُ بما حصل واقمتهُ وكيلاً على اشغالي وتفرغت لاقتطاف ازهار المسرات مع زوجتي المحبوبة راتعين في بحبوحة السعادة والرخاء

اما فيليب فسألت يوماً عما آلت اليهِ حالهُ بعد القاء القبض عليهِ فقيل لي انهُ تمكن من الفرار من ايدي الشحنة في تلك الليلة الظلماء ولم يوقف لهُ على اثر

المجاز

(تابع لما في الجزء السابق)

وقد يؤخذ كلٌّ من الاستعارة والمجاز المرسل من طريق الاشتقاق وذلك بان يكون اصل اللفظة حقيقةً وما يُشتقّ منها مجازاً . فمن امثلتهِ في الاستعارة قولهم نَمِلت يدهُ اذا خَدِرت فشعر فيها بما يشبه دبيب النمل وهذا مما اشتُقَّ فيهِ المصدر من الجامد على ما سبقت الاشارة اليهِ في بحث الاشتقاق وسيمرّ بك امثلةٌ اخرى منهُ . ومثلهُ قولهم نَمَل بين القوم وانمل بينهم اي نمَّ وسعى وهو من دبيب النمل ايضاً شُبّه سعيهُ بحركة النمل في الخفاء على حدّ قولهم دبَّت عقاربهُ . ويقال ايضاً تملَّل القوم اذا تحركوا ودخل بعضهم في بعض فاشبهت حركتهم حركة النمل وهذا كما يقال انتغشت الدار بأهلها ودارٌ تنتغش صبياناً أُخذ من انتغاش الدود والدَبَى اي الجراد الصغير ونحو ذلك اذا تحرك في مكانهِ وتداخل بعضهُ في بعض. ومن ذلك قولهم بَلِج الرجل بكسر اللام اذا اشرق وجههُ وتهلل فرحاً أُخذ من بَلَجَ الصبحُ بالفتح اذا اسفر واضاء . وفي مذهبهِ قولهم صَبُح الرجل بالضم صَباحةً اذا كان وُضَّاءً جميل الطلعة . وجاء ايضاً صَبِحَ بالكسر اذا كان لون شعرهِ مُشرَباً حمرةً وكلاهما من الصبح ومأخذهما ظاهر . وقولهم ضَلِع السيف والعودُ وغيرهُ اذا اعوجَّ واشتقاقهُ من الضِلَع على التشبيه . ومثلهُ قولهم تقوَّس الشيء اذا انحنى وشيخٌ أقوَس على أفعل اي منحني الظهر وهو من القوس . وقولهم اغتمد الليلَ اذا دخل فيهِ وهو من غمد السيف كأَنهُ جعل الليل غمداً لنفسهِ . ومن هذا قولهم تغمَّد الله فلاناً

برحمتهِ اي غمرهُ بها وتغمدت فلاناً بحلمي اي سترت ما كان منهُ . ويقال بنانٌ طَفْلٌ بالفتح أي رخص وقد طَفُلَ بالضمّ طفولةً وطَفالةً ومأخذهُ من الطِفل بالكسر وهو المولود

ومن امثلتهِ في المجاز المرسل قولهم بَسرهُ أي أعجلهُ وبسر النخلة لقحها قبل اوانها والدَين تقاضاهُ قبل مَحِلِّهِ ومن هذا قيل البُسْر بالضمّ للتمر يُقطَف قبل الإرطاب . وقولهم اختمر العجين واللبن وغيرهُ اذا ادرك ثم اشتُقّت الخمر من ذلك لاختمارها وقيل أخذوها من المخامرة لانها تخامر العقل وعلى الوجهين فهي مما ذُكر . وقولهم عَطَف الشيء أي حناهُ ثم قيل العِطفة بالكسر لاطراف الكرم المتعلقة منهُ وهي كالاسلاك تمتدّ من اطراف قُضُبِهِ وتلتوي على ما تُعرَّش عليهِ . وفي مأخذها العَطَفَة بالتحريك وهي نبتٌ يتلوى على الشجر لا ورق لهُ ولا أفنان . ومن هذا القبيل اشتقاقهم الحيَّة من التحوّي وهو الانقباض والتجمع لانها تحوى على نفسها . وأخذهم النجم من نَجَم الشيء أي ظهر . والكساء وهو نحو العباءة من صوف من الكُسوة وهي مطلق اللباس. والكُمّة لما يُلبَس على الرأس من كمَّ الشيءَ اذا غطّاهُ . والرُطْب بضمٍ فسكون وهو العُشب الاخضر من الرطوبة وكل ذلك من استعمال العامّ في الخاصّ كما ترى

وقد يتفرع عن المجاز مجازٌ آخر اما باستعمال اللفظ نفسهِ او باشتقاق لفظٍ آخر منهُ على نحو ما تقدم وربما تعدد المجاز حتى يخفى وجه الاتصال بين اواخر سلسلة المغاني والمعنى الاصلي . ولا بأس ان نمثل على ذلك بمادّةٍ من موادّ اللغة نستقري فيها الوجوه التي يتقلب عليها المعنى الواحد بياناً لتصرُّفهم

في نقل الالفاظ واشتقاق بعضها من بعض ونختار لذلك مادّة « ك ف ف » لسعة التصرف فيها ووضوح المآخذ . فان اصل المعنى في هذه المادّة الكفّ وهي الجارحة المعروفة والكلمة مشتركة بين العربية وغيرها من اللغات الساميّه وأصل مأخذها في العبرانية والسريانية من معنى الانحنآء والانعطاف . ثم اشتقوا منها قولهم كفَّهُ عن الامر اذا منعهُ كانهُ دفعهُ بكفّهِ فنقلوا معنى الكفّ الى لازمها وهو من المجاز المرسل . وقيل من هذا كفّ هو عن الامر اذا امتنع فنُقِل الفعل من التعدّي الى اللزوم وهو من المجاز المرسل ايضاً من قبيل ما سبقهُ . ثم قيل استكفّ السائل وتكفَّف اذا طلب بكفّهِ ويقال ايضاً استكفَّ بالصدقة اذا مدّ يدهُ بها يعطيها فضُمّن الأَول معنى الاستعطآء والثاني معنى الاعطآء وكلاهما مما ذُكر . ومن هذا القبيل قولهم استكففت الشيء اذا استوضحتهُ بان تضع كفك على حاجبك كمن يستظلّ من الشمس فاستُعمل هنا في معنًى آخر من لوازم الكفّ . ومن معنى كفّ عن الامر قيل كفّ بصرهُ ويقال كُفَّ ايضاً على المجهول وهو من المجاز المرسل من قبيل استعمال العامّ في الخاصّ . وفي مثل مأخذهِ قولهم عندهُ كفافٌ من الرزق بالفتح اي ما كفّ عن الناس واغنى . ثم قيل من معنى الكف للجارحة كِفة الميزان وكِفة المقلاع بالكسر لشبهها بالكفّ في الهيئة وهي من الاستعارة . ثم استعيرت الكِفّة لعود الدُفّ لشبههِ بكِفّة الميزان في الاستدارة والاحاطة ومثلها الكِفَاف بالكسر وهو ما استدار بالشيء . والكِفّة ايضاً النُقرة المستديرة يجتمع فيها المآء وهي مما ذُكر . ومن معنى الاستدارة قيل كُِفّة الصائد

بالكسر والضمّ وهي الحبالة يجعلها كالطوق . ومثلها كُفّة اللثة بالضم وهي ما انحدر منها على اصول الاسنان وكُفّة القميص وهي ما استدار حول الذيل وكذلك كُفّة الدرع وهي أسفلها . ثم قيل من هذا المعنى استكفّوا حولهُ اذا احاطوا بهِ ينظرون اليهِ واستكفّت الحيّة اذا ترحّت اي استدارت كهيئة الرَحَى . ومن كُفّة القميص قيل كفّة الثوب وغيرهِ وهي حاشيتهُ . ومن معنى الحاشية قيل كُفّة الشيء بمعنى حرفهِ وكِفاف السيف بالكسر بمعنى غرارهِ اي حدّهِ وكل ذلك على التشبيه . ثم قيل من معنى الحاشية كفَّ القميص اذا خاط حاشيتهُ . ومن معنى الحرف كفَّ الاناء اذا ملأهُ ملأً مفرطاً كأن المعنى ملأهُ حتى بلغ كفّتهُ . واذا تتبعت سائر المعاني الواردة في هذه المادّة وجدتها ترجع الى معنى الكفّ او شيء من المجاز المأخوذ عنها بحيث تراها سلسلةً متصلةً من اول المادة الى آخرها . وكذا تجد اكثر موادّ اللغة اذا تفقدتها ما خلا الفاظاً ندّت بنفسها وانفردت عن سائر معاني المادة واكثر ما تكون هذه الالفاظ من وضعٍ آخر اما من لغة القبيلة نفسها كأن يتعدد عندها وضع اللفظ الواحد باعتباراتٍ مختلفة وهو قليل واما من لغة قبيلةٍ اخرى دخلت فيها بسبب اختلاط القبائل . واذا جاوزت هذه الالفاظ ورجعت الى الاصل الذي ذكرناهُ وهو الذي عليهِ معظم كلامهم ظهرت لك الحكمة في وضع هذه اللغة الشريفة وما هي عليهِ من قبول الاتساع بحيث انهُ اذا تولاّها قلبٌ عليمٌ باسرار اللفظ وذهنٌ بصير بكيفية اتصال المعاني لم تضق بمطالب اهلها ولم تعجز عن اللحاق بسائر لغات العصر　　　　　　(ستأتي البقية)

الغذآء والجسم

وقفنا في احدى المجلات الفرنسوية على فصلٍ مطوَّل في هذا المعنى لبعض اكابر الاطبآء شرح فيهِ سبب حاجة الجسم الى الطعام مع تفصيل انواع الأَغذية وبيان تركيبها وطبائعها وكيفية تصرف الجسم فيها مما ليست الافاضة فيهِ من غرض هذه المجلة ثم انتقل الى الكلام على الغذآء وما تنبغي مراعاتهُ فيهِ بالقياس الى الأعمار والاقاليم فاحببنا نقل هذا القسم منهُ لما فيهِ من الفوائد الصحية قال

اما ما تنبغي مراعاتهُ في الغذآء باعتبار الاسنان فانَّ افضل غذآءٍ للطفل الحديث العهد بالولادة لبن مرضعهِ وينبغي ان يغذَّى في مواقيت متقاربة ولا سيما في الاشهر الاولى من ولادتهِ لكن لا ينبغي ان يُرضَع زيادةً على ثماني مرات في الاربع والعشرين ساعة واذا طلب الرضاع بين ميقاتٍ وآخر يُعطى من المآء المحلَّى بالسكر . ويجب ان يُحذَر مما تفعلهُ المرضعات واكثر الامهات من ارضاعهِ حتى يكتظّ باللبن فان ذلك يورث تلبكاً شديداً في المعدة يؤدي الى احوالٍ سيئة . على انهُ مع استوآء الطفلين في كل شيءٍ فان الطفل المربى في الخلآء وضواحي البلدان يحتمل ان ينال من اللبن اكثر مما ينالهُ المربى في المدن من غير ان يُخشَى عليهِ اذى

اما الفطام فافضل اوقاتهِ من حين تمام الشهر التاسع بشرط ان يكون الطفل قد عُوِّد منذ الشهر الثالث اخذ شيءٍ من الامراق المغذّية الغير الدسمة ثم الدسمة . وبعد الفطام اذا لم يكن في حالتهِ الصحية ما يدعو الى اجرآئهِ على قانون معين يجب ان يعوَّد شيئاً فشيئاً تناول كل نوعٍ من

الطعام اللاهمّ ما خلا الاطعمة التي لا تنطبق على الشرائط الصحية والتي تضرّ البالغ فضلاً عن الصغير . ومتى استوفى السنة الاولى من عمرهِ يكفيهِ ان يُطعَم اربع مرّات الى خمس في اليوم وينبغي ان تكون كلها معتدلة واما في الليل فيُعطَى شيئاً من المآء المحلَّى او ماء الشعير لنقع عطشهِ ولا ينبغي ان يُطعَم ليلاً الا في احوالٍ مستثناة . ومتى اتت عليهِ سنتان فما فوق يجوز ان يتناول من كل ما يوضع على مائدة ذويه لكن افضل طعامٍ لهُ الحسآء (الشوربة) واللحم مسلوقاً او مشويًّا ولا ينبغي ان يُطعَم لحم الصيد اي لحم الحيوان البرّي الا في اوقاتٍ نادرة لانهُ شديد التنبيه بحيث لا يجوز ان يكون طعاماً يومياً ولا يلائم المعد الضعيفة . ومن الاطعمة المحمودة لهُ الخضراوات السهلة الهضم لحفظ التوازن في اعمال المعدة ويدرَّج مع السن في اعطآئهِ ما هو اقوى من ذلك من انواع الطعام لكن يُحذَر حتى بعد زمن البلوغ من اعطآئهِ الاطعمة الشاقّة الهضم او المنبهة

وينبغي ان يكون طعامهُ الى سن الثامنة عشرة او العشرين اربع مراتٍ في اليوم واذا كان سريع النموّ وجب ان يكون غذآؤهُ من اللحم ولا يجوز ان يعتاض عنهُ بالاكثار من الخبز وان امكن ان يسدّ مسدّهُ فان الاكثار من الخبز حتى يكون منهُ غالب طعام الولد قد يؤدّي الى تشوُّشٍ في المعدة او الامعآء

ومتى بلغت الاعضآء تمام نموّها وجب ان يرتَّب الطعام على قدر الحاجة فانهُ لا يمكن ان ينزَّل الصانع الذي تعمل عضلاتهُ مدة اثنتي عشرة ساعة منزلة الكاتب الذي يقضي نهارهُ جالساً ولذلك كان الخليق بالكاتب

ومن في منزلتهِ ان يكون قنوعاً في طعامهِ وان يتخير منهُ ما كان كثير الغذآء سهل الهضم لان رجل العمل الذي يقضي نهارهُ عاملاً بعضاهِ يستطيع ان يهضم اغلظ الاطعمة وبخلافهِ الرجل الذي لا يبرح مقعدهُ فانهُ ان لم يكن اضعف بنيةً من ذاك فهو انحف . ولذلك ينبغي لهُ ان يجتنب كل ما يشق هضمهُ ولا سيما المآكل الجامدة والمنبهة كما ينبغي للصانع ان يجعل كل مآكلهِ جامدة لانهُ لا خوف عليهِ منها. غير انهُ يستحب لهُ ان يستبقي اكثر الاطعمة غذآء لعشآئهِ فان هذه الاطعمة اذا أُخذت في النهار ادّت في اثنآء هضمها الى ثقلٍ في حركتهِ وخمودٍ في فكرهِ ولكنها في المسآء تكون وسيلةً لتعويض ما هلك من دقائق جسمهِ في اثنآء النهار ويتمّ تمثيلها على السكينة والراحة في مدة النوم

واما الرجل الذي يقضي نهارهُ على كرسيهِ فاذا اراد ان يعمل بعد طعامهِ

فليكن قنوعاً فيهِ ما استطاع ويجمل بهِ ان يدع بين الطعام والعمل فترةً مناسبة لصعوبة الهضم ولذلك يكون الافضل ان يدّخر الوجبة الكبرى لعشآئهِ ولا سيما اذا كان يقضي سهرتهُ فارغاً من العمل ويكفيهِ وجبتان في الجملة

وكل ما ذُكر انما يجب العمل بهِ في الاقاليم المعتدلة وكلما تقدم الانسان نحو المنقلبين كانت الحاجة الى الاطعمة الجامدة اقلّ ومن لدن المنقلبين الى المعدّل يكون امر الطعام ابسط فيكتفى فيهِ بشيءٍ من الفاكهة والمطبوخات المائعة . ولذلك اذا انتقل الانسان من البلاد الشمالية الى البلاد الحارّة فلا يجوز لهُ ان يبقى على عوائدهِ واطعمتهِ الشمالية ولكن اول ما ينبغي لهُ ان يجري فيها على مصطلح البيئة التي نزلها والاّ كان معرّضاً صحتهُ

للتلف لكن ينبغي ان يكون هذا التغيير تدريجيًّا

على ان بعض الاطعمة تشتمل من طبيعتها او من طريقة تجهيزها على اشياء مضرّة ولا سيما اذا أُدمن استعمالها كاللحم المملوح او المدخن الذي يكثر استعمالهُ في البلاد الشمالية فانهُ يورث آكليهِ آفاتٍ وبيلة كالبرص المتفشي في بلاد نروج فان سببهُ في الغالب اكثارهم من اكل السمك المملوح وهو الا ما ندر يكون فاسداً منتناً. وكذلك التوابل ذات الطعوم الحادّة او الحرّيفة فانهُ كثيراً ما ينشأ عنها في المسالك الهضمية وفي الكبد والجهاز البولي تأثيرات رديئة يمكن ان تفضي الى عواقب وبيلة . على ان ابن البلاد الباردة يحتمل منها ما لا يستطيع احتمالهُ ابن البلاد المعتدلة او الحارّة

واذا دنت ايام الشيخوخة ودخل الانسان في هذا الطور الاخير من حياته ينبغي لهُ ان لا يجهد معدتهُ ولا يغفل عن انهُ في تلك السنّ يقلّ احتياجهُ الى الطعام فان عادة الاكثار من المآكل والتأنق في الوانها من العوائد التي تعرّضهُ في تلك السنّ لاخطارٍ شديدة وتعدّهُ لامراضٍ ثقيلة لا يتعرض لها الانسان القنوع العائش على الألوان البسيطة

الاشجار النُغاشية

في اليابان

المراد بالاشجار النُغاشية اشجارٌ في منتهى الصغر لا يتجاوز ارتفاع الواحدة منها ٦٠ الى ٨٠ سنتيمتراً وهي من الانواع التي تكبر عادةً حتى تكون من اعظم الشجر ولكنهم يقصعونها اي يستوقفون نموّها بطرائق

سنذكرها فلا يزيد حجمها عن مثل ما ذُكر ويغرسونها في اصُصٍ من الفخّار كما تُزرَع الرياحين فمنزلتها من الشجر كمنزلة النُغاشيّ من الانسان وهو القصير اقصر ما يكون ولذلك اطلقنا عليها هذا اللفظ

وهذا الفن من خصائص اليابان اشتغلوا بهِ منذ عهدٍ بعيد ولا يزال يتناولهُ الخلف عن السلف وقد بلغوا فيهِ اعظم مبلغٍ من المهارة والحذق. ولأشجارهم هذه شهرةٌ عظيمة يُتغالى في مقتناها وتُبذل فيها الأثمان الفاحشة حتى ان الشجرتين المرسومتين في هذا الموضع وهما سنديانة وصنوبرة بيعت الاولى منهما بمبلغ ١٣١٠ فرنكات والثانية بمبلغ ٩٠٠ فرنك وعمرها فيما ذكروا ٢٠٠ سنة



(ش ١)

والشجر المذكور قد يكون صغرهُ بسببٍ طبيعي من حالة البيئة التي ينبت فيها وقد يكون بالعلاج والصنعة وقد يكون بالامرين جميعاً وهو الاكثر. وذلك ان ما ينبت منهُ في الجبال الصخرية مع ما هي عليهِ من جفاف الهوآء وشدة وقع الشمس في الصيف وقرس البرد في الشتآء ومع ضيق الفسحة التي تتحرك فيها جذورهُ وقلة ما يصل اليهِ من الغذآء ولا سيما في اول نشأتهِ ينبت دميماً ولا تتوفر

لهُ اسباب النموّ فلا يزال ضئيلاً وربما ساعد على ذلك عصف الرياح وتكسيرها لبعض اغصانهِ فلا يزداد على الايام الا صغراً . وهذه الاشجار كثيرة في جبالهم ولا سيما في الاماكن الوعرة يجدها الانسان حيثما ذهب

فاذا ارادوا تربية الشجرة منها اقتلعوها من بين الصخور ثم شذَّبوا اغصانها حتى تصير بالهيئة التي يريدون ان تكون عليها وذلك اما بتصغير حجمها فقط وترك كيانها على طبيعتهِ كما في الشكل الاول او بتغيير كيانها الى شكلٍ دَغليّ ينزعون منهُ كل تناسب في هيئتها كما في الشكل الثاني . ثم يقطعون منها الجذور الضخمة



(ش ٢)

واكثر الجذور الدقيقة ويضعونها في اصيص ضيق (الأَصيص الاناء من فخار تُزرَع فيهِ الرياحين) ويتحرّون ان يكون وضعها بالهيئة التي كانت عليها قبل اقتلاعها . وبعد ذلك يأخذون في معالجة شكلها فما كان من اغصانها مخالفاً للهيئة التي يريدونها قطعوهُ وما بقي ان كان مفتولاً من خلقتهِ او معوجاً والا فتلوهُ باليد مرةً بعد اخرى او عصبوهُ بعد الفتل حتى يثبت على الشكل الملائم . ثم انهم لا يسقونها الا بالتقتير ويعرّضونها لأشعَّة الشمس المحرقة ومع ما ذُكر من ضيق المكان على جذورها وقلة ما يصلها من الغذاء تبقى دميمةً مهزولة وقلما تختلف بعد ذلك عن الهيئة التي اقرّوها عليها

وقد يتخذون هذه الاشجار من الحقول اذا وجدوها بعد نبتها قد توقفت عن النموّ لسببٍ من الاسباب او اتخذت شكلاً دغايًّا وربما اتخذوها من طريق الاستنبات بان يزرعوا بزرها في أُصُصٍ صغيرة جدًّا يجعلون فيها تربةً ضعيفة فاذا نبتت تركوها في مكانها مدةً طويلة حتى اذا ضاقت تلك الأُصُص على جذورها نقلوها الى أُصُصٍ اخرى اوسع قليلاً من الاولى . وبذلك يستغنون عن قطع الجذور الضخمة لانها لانحصارها وعدم تمكنها من الامتداد والنموّ تضمر في مكانها وهم لا يسقونها والحالة هذه الا نادرًا فلا ينالها من الغذاء ما تنمو بهِ وتكون حياتها في غاية البطء والهزال . وفي الوقت نفسهِ يستوقفونها عن الارتفاع فاذا رأوا الساق قد اخذت في الطول يقطعون اعلاها فتُخرِج فرعًا اضعف منها فاذا كبر هذا الفرع عطفوهُ الى كل جهةٍ او لفوهُ حول قضيب من الخيزران على شكل لولب وكل غصنٍ ينبت بعد ذلك يُفتَل او يُلوَى ويضبطونهُ على هيئتهِ بعصبهِ بأَلياف الخيزران او باسلاك من الصفر ويتركونهُ كذلك الى ان يثبت على شكلهِ

التنظيف بمفرّغة الهواء

توصلت احدى الشركات الانكليزية في هذه الايام الى استنباط غريب وهو استخدام مفرّغة الهواء لازالة الغبار عن الاثاث من طنافس وستائر وادوات خشبية وغيرها من كل ما يحتاج الى التنظيف

وقد ذكر من عاين استعمال هذه الآلة انها تزيل اشدّ الغبار التصاقًا بما تحتهُ كالذي يكون من اثر وطأَةٍ شديدة على طنفسة وقد امتُحنت في

رفع حفنةٍ من الدقيق فاخذتها بمرّةٍ واحدة . وهي تقضي هذا العمل بدون ان تثور ذرّةٌ من الغبار الذي ترفعهُ حتى كانها تلتهم الغبار التهاماً فتدخلهُ في جوفها خلافاً لما أُلف من ازالتهِ بطريقة النفض او الكنس فانهُ بهذه الطريقة يطير من مكانٍ الى آخر فلا يتم التنظيف بها كما ينبغي فضلاً عما في ذلك من الاضرار بالصحة

اما صفة هذه الآلة فانها مؤلفة من عربةٍ صغيرة من المعدن تجري على اربع عجلات وفيها محرّك يعمل بواسطة الكهربائية المغنطيسية او غيرها فيحرّك ساعداً يدور حول مفصلهِ ويتصل بالطرف السائب منهُ ساعدٌ آخر يذهب ويجيء بحركةٍ افقية تبعاً لحركة الساعد الاول . وهذا الساعد الثاني يتصل بمضخّةٍ هوائية ذات لهاتين تفرّغان الهوآء من قابلة كبيرة اسطوانية الشكل وفي احد جوانب القابلة انبوب طويل من المطاط يكفي لان ينال جميع المواضع التي يراد تنظيفها وفي طرفهِ فمٌ واسع من النحاس تُتتبَّع بهِ مواضع الغبار . فاذا أُعملت الآلة اجتذب هذا الفم الغبار الذي يكون امامهُ الى داخل القابلة وهناك كيس من نسيج ملزَّز يتجمع الغبار فيهِ وعند الفراغ من العمل يؤخذ الغبار منهُ بواسطة لهاةٍ في اسفلهِ تُفتح وتُسدّ عند ما يراد . ويمكن استخدام هذه الآلة لاخذ الغبار عن ملابس الانسان وهي عليهِ واخذ ما يعلق بالفرس وغيره من التراب والتبن حتى العرَق اليابس المتخلل بين شعرهِ

فلا جرم ان هذه الآلة ستكون ذات نفعٍ عظيم للصحة لما هو معلوم من ان الغبار يشتمل على كثيرٍ من جراثيم الامراض المعدية ولا سيما مرض

السلّ فيُكتفى بذلك جانبٌ عظيم من اضرارهِ ولو في داخل المنازل والمجتمعات العمومية

السُفَع الشمسية

من المشهور ان السُفَع اي البُقَع السودآء التي تظهر على وجه الشمس تكثر وتقلّ تبعاً لمُدَدٍ دورية قدّروها باحدى عشرة سنةً ونصف . وقد ارتأوا ان سبب ذلك دوران المشتري حول الشمس فانهُ يقطع فلكهُ في نحو هذه المدة فاذا كان على اقرب مسافاتهِ منها كثر ظهور هذه السُفَع على وجهها فيكون ذلك نوعاً من المدّ يحدثهُ في جوّها على حدّ ما يكون من القمر في الجانب الذي يمرّ فوقهُ من الارض

وقد وقفنا في هذه الايام على خلاصة بحثٍ للمسيو دْمتْشِنسكي احد العلمآء الروسيين تكلم فيهِ على بنآء الشمس وما يُرَى عليها من السُفَع وسرعة دوران الجهات الإستوآئية منها . وحاصل مذهبهِ ان الشمس مؤلفة من نواة غازيّة في حالة اللزوجة ويليها جوٌّ محيطٌ بالشمس ثم طبقةٌ متصلة من الغيوم . وقد علل سرعة دوران السُفَع في جوارُ خط المعدَّل بوجود مجارٍ هنالك تتسلط عليها نواميس تشبه النواميس المتسلطة على رياح الارض وهي نوعٌ من الرياح المطَّردة الا انها تجري من الشرق الى الغرب اي على وفق حركة السُفَع الذاتية . واما السُفَع فهي على رأيهِ فتوقٌ تحدث في الغيوم المذكورة بسبب حركة اعاصير تتصاعد من الطبقات المتوسطة بين جوّ الشمس وهذه الغيوم

اما القول بعدّةٍ دورية لهذه السُفَع تتوسط بين معظَمٍ ومُعظَم فهو

يُنكرهُ بتاتاً فضلاً عن انهُ يعتبر النواحي التي تكون فيها السفع نواحي باردة اي أبرد من سائر الجوّ الشمسي . قال فان هذه المُدَد الدورية التي يذكرونها ليست الاّ مجرَّد متوسطٍ حسابيّ أُخذ عن بعض القيود السالفة وذلك انهُ جآء في جداول وُلف بيان الفترات التي حدثت بين وقتٍ من اوقات معُظم السفُع ومثلهِ منذ سنة ١٧٤٥ الى سنة ١٨٦٧ فكانت على ما يأتي

عدد مرات	سنو الفترة	عدد مرات	سنو الفترة
١	١٦	٣	١٠
٢	١٣،٥	٢	٨
٢	١٢	١	٧

وجآءت مرةً واحدة ١١ سنة

فهل يمكن ان يؤخذ من هذه الفترات المتفاوتة مدةٌ دورية وكيف يصحّ ان تقدَّر هذه المدة باحدى عشرة سنة وهي تختلف ما بين ١٦ سنة و٧ سنين . وانما هذا صنيع من عمد الى اكبر هذه الأرقام وأصغرها فقال $\frac{١٦ + ٧}{٢} = ١١،٥$ فهو كما ترى مجرَّد تعديلٍ حسابي لا تقديرٌ حقيقي . وعليهِ فالقول بمدةٍ دورية على ما هو مفهوم هذا اللفظ لا يمكن ان يُعتبر صحيحاً . انتهى كلامهُ والظاهر ان هذا القول الاخير لا ريب فيهِ والله اعلم

قال احمد بن سهل الرجال ثلاثة سابق ولاحق وماحق فالسابق الذي سبق اقرانهُ بفضلهِ واللاحق الذي لحق بأبيهِ في نبلهِ والماحق الذي محق شرف اصلهِ

صنّين (١)

من نظم حضرة الشاعر العصري عيسى افندي المعلوف مدرّس البيان في المدرسة الشرقية بمدينة زحلة من جبل لبنان

قد زرتُ في صيفٍ ربى صنّينا … وودِدتُ لو أني صرفتُ سنينا

جبلٌ يناجي بالسموّ إلهَهُ … ويُعيد صوتُ نسيمهِ التلحينا

يا حبّذا النبع المبرّد سفحهُ … فكأنهُ الأَلماس سال مصونا

سفحٌ تدفق ماؤهُ مترقرقاً … بين الحصى أكرِمْ بذاك معينا

فترى المياه خفيفةً في جريها … وحصى العقيق لدى المياه رزينا

وهضابهُ الشمآء تجثو هامُها … لخريرهِ وتخالِ ذاك أنينا

كم من مليكٍ قد اقام بجيشهِ … فجنى ثمار النصر منهُ مُبينا

ولكم عليلٍ في رباهُ قد شفي … داءً ألمّ بهِ وكان دفينا

وبقربهِ الآثار تنبئُ أنَّهُ … طحنَ النوائب كالدهور طحينا

حيث المعابد للفنيقيين قد … دُرست وزانت سفحهُ تزيينا

والشمس مذ جنحت لمغربها بدت … جاماً لغرف البحر جاءَ مُعينا

بعث الضبابَ البحرُ يجري صاعداً … جَرْيَ المياهِ اليه حيناً حينا

فكأنّ ذاك الحَزْن سهلٌ أفيحٌ … من بعد ما كان السهول حزونا

اكرم بهاتيك المناظر انها … حنَّت لها كلُّ القلوب حنينا

من كان يشتمُ الغلوّ فقل لهُ … حبُّ المواطنِ قبد دَعوْهُ دينا

(١) هو الجبل المشهور من جبال لبنان وهو من أعلى رؤوسهِ وارتفاعهُ نحو ١٠٠٠٠ قدم

جازيتَ نظمَ ابن الحُسين بوصفهِ　　وذكرتُ سيفَ الدولة المدفونا [1]
واذا صعدتَ عليهِ اعلى قمةٍ　　نلتَ الجنانَ وحزتَ عليّينا

الالومينيوم

هو جسمٌ بسيط معدنيّ ابيض اللون يشبه الفضة الا انهُ في ربع كثافة الفضة وثلث كثافة الحديد ولذلك يمتاز بخفتهِ عن جميع المعادن المطروقة . وهو من المعادن الحديثة الاكتشاف واول من عثر عليهِ وهلر سنة ١٨٢٧ الا انهُ لم يستطع ان يستخرجهُ الا بهيئة مسحوق رماديّ اللون يكتسب المنظر المعدني بالفرك . وفي سنة ١٨٥٤ توصل دُفيل الى سبكهِ واحالتهِ الى نُقرةٍ معدنية . وهو شديد المرونة قابل للطرق والسحب ويذوب على ٥٠٠° من الحرارة

ولبث هذا المعدن بعد اكتشافهِ مدةً طويلة يُعَدّ نوعاً من غرائب الطبيعة ولم يكد يدخل في الصناعة الا منذ نحو ٢٥ سنة فكان يُصنع منهُ بعض ادواتٍ ومواعين صغيرة يقصد منها الزينة ثم اخذوا يتوسعون في استعمالهِ حتى صار يتَّخذ منهُ اكثر المصنوعات المعدنية . وقد ازداد مقدار المستخرج منهُ زيادةً فاحشة حتى بلغ في اثنتي عشرة سنة اي من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٩٠٠ زيادة على الف ضعف . وهذا مقدار المستخرج منهُ في السنوات المذكورة

---

(١) اشارة الى مغارة كبيرة قرب صنين تسمى بمغارة سيف الدولة حتى عهدنا والمراد بابن الحسين المتنبيء الشاعر المشهور ولا تخفى التورية في البيت

في سنة ١٨٨٩	٧١	وسقاً	في سنة ١٨٩٥	١٤١٨	وسقاً
« « ١٨٩٠	١٦٥	«	« « ١٨٩٦	١٦٦٠	«
« « ١٨٩١	٢٣٣	«	« « ١٨٩٧	٣٣٩٤	«
« « ١٨٩٢	٤٨٧	«	« « ١٨٩٨	٤٥٠٠	وسق
« « ١٨٩٣	٧١٦	«	« « ١٨٩٩	٦١٠٠	«
« « ١٨٩٤	١٢٤١	«	« « ١٩٠٠	٧٥٠٠	«

ونصف ما يُستخرَج منهُ اليوم من الولايات المتحدة

واما ثمنهُ فليس في المعادن الآن ما هو ارخص منهُ الاّ الحديد والرصاص والزنك الا ان الالومينيوم لا يزال ينحطّ ثمنهُ سنةً بعد سنة تبعاً لمقدار المستخرج منهُ ويؤمَّل انهُ بعد حين يكون ارخص المعادن كلها ما خلا الفولاذ (الصلب). وهو افضل معدن لصنع الاواني المنزلية وادوات الاستحمام الا انهُ لا يصبر على الحوامض ولا على القلويات فانها تأكلهُ. على انهُ لا يُخشى عليهِ في الاستعمال المنزلي الاّ من الحوامض الشديدة التأثير او الكثيرة المقدار واما اذا كان الحامض قليلاً فليس لهُ فيهِ اثرٌ يُعتَدّ بهِ

ويُختار استعمالهُ في كل ما يُستحَبّ فيهِ التخفيف من ثقل المواد ويمكن استخدام اسلاكهِ في مكان اسلاك النحاس التي تستعمل لنقل الكهربائية وقد استُعمل منذ مدةٍ في بناء السفن كما استُعمل من عهدٍ قريب في صنع محركات المناطيد. ويُستخدَم ورقهُ ومسحوقهُ في التصوير الزيتي والتجليد وغيرهِ بحيث يُعتاض بهِ من الفضة وربما استعملت صفائحهُ الرقيقة عوض الحجر في الطبع الحجري الى غير ذلك. وعلى الجملة فانهُ ليس

فيهِ ما يمنع عموم استعمالهِ في كل حاجات الصناعة سوى انهُ الى الآن لم يوجد لهُ لحامٌ ثابت سهل الاستعمال قليل النفقة فضلاً عن ان اقلّ أثرٍ للصدأ يمنع التحامهُ . ولذلك يصعب اتخاذهُ مكان الصفيح مثلاً فاستعمالهُ مقصورٌ على ما يُستغنَى فيهِ عن اللحام او حيث يمكن ان تُجمع بعض اطرافهِ الى بعض بطريقة التعليق والمشابكة على انهم دائبو البحث في الوقوع على لحامٍ يوافقهُ واذا وُفّقوا الى ذلك لم يبطئ ان يستعاض بهِ عن الحديد والنحاس والنكل بحيث يعمّ استعمالهُ كل ضربٍ من الصناعة المعدنية

قياس الحرارة في طبقات الجوّ

جآء في احدى المجلات العلمية ذكر المناطيد التي صعدت في السنة الماضية لقياس درجة الحرارة في طبقات مختلفة من الجوّ وكان في جملة الممالك التي اشتركت في هذا الاختبار العلمي النمسا وفرنسا والمانيا وروسيا. وقد أُطلق في هذا القصد ٢١ منطادًا كان ارفعها في طبقات الجوّ اربعةً نذكرها بحسب تاريخ صعودها مع بيان مبلغ ارتفاعها ودرجة الحرارة التي صادفتها

	ارتفاع امتار	درجة الحرارة بالسنتغراد على الارض	درجة الحرارة بالسنتغراد على الارتفاع المذكور
في ٣ ابريل من اتفيل (بجوار باريز)	١٤ ٢٦٠	+ ٧،٠°	— ٦٠،٧°
» ١ مايو » برلين	١٩ ٥٦٤	+ ٦،٨°	— ٥٨،٥°
» ٥ يونيو » »	١٦ ٧٥٠	+ ١٨،٤°	— ٥٨،٢°
» » » فينا	١٠ ٤٨٠	+ ١٥،٠°	— ٦٢،٨°

فاعظمها ارتفاعاً الذي أُطلق من برلين في ١ مايو وهي اعلى طبقةٍ بلغها

منطادٌ الى الآن . وقد عُرفت بهذا الاختبار درجة حرارة الجوّ الى ما يقرب من ٢٠ الف متر ارتفاعاً وبمراجعة الارقام المذكورة يتبين ان الحرارة من عند ارتفاع ١٠ آلاف متر فما فوق تبلغ حوالي ٦٠ درجة تحت الصفر مهما كانت درجتها على الارض وفي اي فصلٍ اتفق من فصول السنة وقلما تتغير بعد ذلك. واما فيما دون هذه المسافة من الارتفاع فقد وُجدت الحرارة في شهر ابريل على ما يأتي

	درجة الحرارة	
ارتفاع امتار	على الارض	على الارتفاع المذكور
٥٤٠٣	+ ٦'٦°	— ٤'١٩°
٥٥١٠	+ ٢'٦°	— ٥'٣٠°
٥٩٣٦	+ ٩'٢٠°	— ٠'١٨°

فدرجة الحرارة على هذه المسافات تتفاوت تبعاً لتفاوتها على الارض مع اعتبار مبلغ الارتفاع . واذا تأملت في الرقم الاخير الذي تجد الحرارة فيهِ اقلّ انحطاطاً من الرقمين السابقين وقابلتهُ بدرجة الحرارة على الارض وجدت انها قد انحطّت ٩'٣٨° حالة كونها في الرقم الذي قبلهُ لم تنحطّ الا ٧'٣٦°

المؤتمر الطبي المصري

هو اول مؤتمر علمي عُقد في مصر تقاطر اليهِ اشهر اطباء الارض من ممالك اوربا والولايات المتحدة باميركا . وكان المؤتمرون فيهِ ٥٢٠ طبيباً منهم ٣٤٠ من المقيمين بالقطر المصري بينهم ١٥٢ وطنيًّا . وقد انابت كل واحدة من حكومات فرنسا وايطاليا واسبانيا وبلجكا وروسيا والولايات المتحدة والعجم مندوبين من قبلها من نظارات المعارف العمومية فيها وكلفت الدول

الاخرى مدارسها الطبية وندواتها العلمية ان توفد مندوبين ينوبون عنها وبلغ عدد هؤلاء ستين مندوباً

وقد كان افتتاح المؤتمر في ١٩ من دسمبر الساعة العاشرة من الصباح في الاوبرة الخديوية تحت رعاية سموّ الامير المعظم وقد افتتحهُ بخطبة انيقة رحّب فيها بالمدعوّين ثم خطب بعدهُ رئيس المؤتمر الدكتور ابرهيم باشا حسن وتلاهُ مندوبو الدول والندوات العلمية . وبعد ذلك عُقدت عدة جلسات في مدرسة القصر العيني كان آخرها في ٢٣ من الشهر المذكور وقُدّم فيها نحو ٢٤٠ مقالةً في مباحث مختلفة اكثرها في امراض الاقاليم الحارّة التي هي جلّ الغرض من عقد هذا المؤتمر . ولا شك انهُ سينشأ عن هذا الاجتماع فوائد جمة ويُكشف بهِ عن اسرار كثيرٍ من الامراض الخاصَّة التي لم يتهيأ الى الآن البحث فيها على وجهٍ يشترك فيهِ اطباء العالم من كل قطر ولعلنا سنعود الى نشر ما تقرر في هذا المؤتمر بعد طبع ما القي فيهِ من الخطب وما جرى على اثرها من المباحث

متفرقات

متوظفو سكك الحديد في العالم — ذكرت الرايل واي ماجازين ان متوظفي سكك الحديد في العالم كلهِ يبلغون ما يزيد على اربعة ملايين منهم ٢٣٠٠٠٠٠ في اوربا و٣٥٠٠٠٠ في آسيا و١٣٥٠٠٠٠ في اميركا (منهم مليون في الولايات المتحدة) و٦٠٠٠٠ في افريقيا و٤٠٠٠٠ في استراليا .

ومن هذا المجموع يكون في المملكة المتحدة ٣٥٠٠٠٠ موظف وفي المانيا ٤٥٠٠٠٠ وفي روسيا اوربا ٣٥٠٠٠٠ وهذا فيما خلا السكك الكهربآئية بأنواعها فانها خارجة عن هذا الاحصآء . وعليهِ فالموظفون في سكك الحديد يبلغون ١/٢٠٠ من مجموع اهل الارض وفي انكلترا منهم ١ في كل ٧٥ من السكان وفي الولايات المتحدة ١ من ٨٠ وفي استراليا ١ من ١١٠ وفي زيلندا الجديدة ١ من ١٢٠ وفي روسيا اوربا ١ من ٣٠٠ وفي الهند ١ من ١٠٠٠

اسئلة واجوبتها

القاهرة — اختلفت الاقوال في عبد الله بن المقفَّع الكاتب المشهور فمنهم من يقول انهُ مجوسي ومنهم من يقول انهُ مسلم ومنهم من يقول انهُ نصراني. وقد كنت من ايام اقرأ في الجزء الرابع من كتاب مجاني الادب الذي جمعهُ الاب شيخو فرأيتهُ يذكر اسمهُ في جملة كتاب النصرانية فما قولكم في ذلك حنا الياس العريان

الجواب — المشهور ان عبدالله بن المقفع كان مجوسياً واسلم لكنهُ كان يتهم بالزندقة وهو الذي يؤخذ من كلام ابن خلكان في ترجمة الحلاج. واما عدّهُ في كتاب مجاني الأَدب نصرانياً فليس باعجب من عدّ المهلهل نصرانياً في كتاب شعرآء النصرانية مع ان المؤلف روى لهُ في هذا الكتاب شعراً يقول في جملتهِ

كلاّ وأَنصاب لنا عاديَّةٍ معبودةٍ قد قُطّعت تقطيعا

الأنصاب الاصنام او كل ما عُبد من دون الله وفسرها جامع الكتاب بانها كانت حجارة ينصبونها في الجاهلية و يُهلّ عليها ويُذبح لغير الله تعالى . قال و بقي منها بعضها بعد تنصُّر ربيعة وكان الجهال من العرب يعبدونها . انتهى . وكانهُ ظن ان هذا القول يثبت نصرانية المهلهل ويخرجهُ من الذين كانوا يعبدون هذه الانصاب مع ان الرجل يحلف بها و يصرّح بانها « معبودة » ولا يُعقَل ان احداً يحلف بمعبود غيره اذا كان يعتقدهُ باطلاً . وزد على ذلك انهُ يقول وانصابٍ « لنا » بضمير المتكلمين فجعل نفسهُ في جملة اصحاب تلك الانصاب ووصفها « بالعاديَّة » اي القديمة اثباتاً لرسوخ عبادتها في قومهِ وان هذه العبادة انتهت اليهِ عن اسلافهِ الاولين . ولكن الظاهر ان حضرة الأب كلما عثر على من شكَّ في دينهِ او جُهل امرهُ عدهُ نصرانيًّا تكثراً بالباطل وتبجحاً بما ليس وراءهُ طائل

بيروت — زعم بعض « الفطاحل » من مكاتبي مجلة المشرق انكم انكرتم على اصحاب الجرائد استعمال لفظ « هاتين » بدل « هذين » اي انكم اوجبتم عليهم ان يقولوا مررت بهذين المرأتين عوض هاتين المرأتين . وقد بحثت في مقالتكم « لغة الجرائد » وفي سائر كتاباتكم فلم اعثر على هذه العبارة فهل ذلك صحيح وفي اي موضع ذكرتموهُ　　　احد المشتركين

الجواب — تجدون ذلك مسطوراً بمدادٍ من السماجة في صحيفةٍ من البلادة بين صُدغَي دابةٍ يقال لها ابن الجزويت . . . . . .

فكاهات

الألماسة الثمينة (١)

حدث بعض الرواة قال

كنت في مقتبل العمر من ذوي اليسار ولم يكن لي عمل اهتمّ بهِ ولا غاية اسعى في الوصول اليها الا اللهو والتمتع بمسارّ الحياة . وكان لي صديقٌ يدعى السير نويل وهو فتًى لم يتجاوز العشرين من سنيهِ وقد ورث عن والديهِ اموالاً طائلة واتقن العلوم اللازمة لابناء الاعيان فطاف في اهم جهات المعمور وعاد الى قصرهِ في انكلترا حيث اقام . وكان مثلي لا يهمهُ شيء سوى ترويح النفس واستقبال الشمس في الصباح وتوديعها في المساء . وكان لهُ عدة اصدقاء غيري اما انا فكنت اعزهم لديهِ واكثرهم بقاء في صحبتهِ وكنت اساعدهُ في ترتيب غرفهِ التي كان يعتني بتزيينها بالتحف والمفروشات وقد جلب اليها امتعة شتى من الجهات التي سافر اليها من جملتها غرفة جمع فيها من العاديات والجواهر النادرة ما يثمَّن بالوف الليرات . وكان صديقي يكره الاقامة وحدهُ في البيت فجعل حول مائدتهِ ستة كراسي غير كرسيهِ اعدّها للزائرين واباح لاصدقائهِ المجيء في اية ليلةٍ شاءوا لتناول طعام المساء معهُ . فكان هؤلاء الاصحاب يرون في الصباح فيكتبون اسماءهم انهم يحضرون في تلك الليلة ومن رأى منهم ان كرسيهُ قد شغلهُ صديقٌ آخر قيد اسمهُ لعشاء الغد . وهكذا حتى ان السير نويل لم يجلس يوماً على عشائهِ الا وحولهُ ستة من نخبة اصدقائهِ

وتكلمت يوماً مع السير نويل في امر الزواج وابديت لهُ استغرابي لعدم اهتمامهِ بهِ مع سعة ذات يدهِ ومقدرتهِ على ذلك فقال اتفق اني ذهبت يوماً الى الكنيسة ولما خرجت رأيت تلميذات احدى المدارس يخرجنَ ايضاً ورائي ووجدت بينهنَّ

(١) معرَّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ابنةً في منتهى الجمال وقد اطرقت بعينيها الى الارض فملت بكليتي اليها وجعلت اراقب حركاتها فلم اعد انتبه الى جهة مسيري وتبعتهنَّ الى المدرسة ولما دخلن شعرت بانقباضٍ في صدري ورجعت الى البيت وانا في منتهى الغم والكآبة . وبقيت كذلك الى الاحد القادم فقابلت الفتاة ايضاً كالمرة الاولى واجتهدت كثيرًا ان اجعلها تنظر اليَّ لاشير اليها باشارة حب او اتوصل الى مكالمتها فلم اتمكن من ذلك . وكان عند خروجهنَّ من الكنيسة اني وقفت امام الباب وما وصلت الفتاة الى امامي الا وكانها اصيبت بالمجرى الكهربائي المندفع مني فسقط كتابها من يدها . فانحنيت كلمح البصر والتقطتهُ وناولتها اياهُ فمدت يدًا بديعة الصنع تزري ببياض الثلج واخذت الكتاب مني . ثم نظرت اليَّ بعينين ينبعث نورهما الوضاح تحت الاهداب الطويلة السوداء وقالت لي بصوتٍ رخيم يأخذ بالقلوب « اشكرك » . فلم يطرق اذنيَّ في زماني صوت اعذب مما سمعت حينئذٍ ولم تفعل بي قوةٌ ارضية ما فعلت تلك النظرة المنكسرة فاصبحت ولهاً بالفتاة كلفاً بحبها ولا ادري هل لحظت مني ذلك او وُجد عندها بعض ما عندي وانما اعلم اني رافقتهنَّ الى باب المدرسة كالمرة السابقة فلم ترفع نظرها من الارض طول الطريق . وقضيت الاسبوع الثاني في منتهى الكمد والوحدة وانا ارقب قدوم الاحد التالي فذهبت الى الكنيسة ولكنني لم اجد الفتاة هنالك فطار فؤادي وكنت اعلل النفس بملتقاها يوماً بعد آخر ولكنني لسوء الحظ لم اعد اراها منذ ذلك الحين . فعمدت الى السفر والجولان كي اخفف عن افكاري وقد آليت على نفسي ان لا اميل الى غير التي خصصت لها باكورة محبتي فاذا ساعدني الحظ ووجدتها بذلت غاية جهدي في الحصول عليها والا بقيت كما انا وكتبت على قبري « هذا جناهُ ابي عليَّ وما جنيت على احد »

وفي ذات يوم وُجدت كعادتي على سفرة النسير نويل ومعي خمسة من الاصدقاء وهم مثر الماني وآخر فرنسوي واثنان من رصفائي في المدرسة وضابطٌ انكليزي يدعى الكولونيل جراهم كان قد اكمل زمن الخدمة واعتزل العمل . وكنت وجميع هؤلاء الاصدقاء في سرورٍ وانبساط كاننا اولاد اسرة واحدة نمرح ونفرح معاً الا الكولونيل

جراهم فانهُ كان دائماً مقطب الحاجبين عابس الوجه قليل الضحك وكان في هيئتهِ وتسرقهِ على مائدة الطعام ما جعلني اشمئزّ منهُ واود لو انهُ لم يكن حاضرًا معنا . وكان السير نويل لا يرى رأيي في الكولونيل وهو مع ذلك لا يعرف عنهُ شيئًا سوى انهُ قابلهُ في مجتمعٍ عمومي فتصادقا واخبرهُ الكولونل انهُ بعد انقضآء مدة خدمتهِ في الجندية طلب تجديدها فأبت الحكومة وكافأتهُ بمبلغٍ من المال فعاد الى بيتهِ في لندن

ولما جلسنا الى مائدة العشآء اخذت تتوارد علينا الوان المأكولات التي كان السير نويل يعتني جدًّا باتقانها وكان كلٌّ منا يقص ما يحضرهُ من الاخبار والاحاديث وكنت اختلس النظرات من حين الى آخر الى جهة الكولونيل فاراهُ كانهُ حاضر الجسد غائب العقل فاذا سمع قهقهة الضيوف ضحك معهم دون ان يعرف القصة وهو مشرد الافكار قلق البال . وجآء في عرض الحديث ذكر التحف والعاديات التي جمعها السير نويل فاخذ السير يحدثنا عنها حتى وصل الى وصف ألماسةٍ كبيرة الحجم حصل عليها من عهدٍ قريب وافاض في الشرح عنها حتى زادت رغبتنا في النظر اليها وسألناهُ ذلك فنهض عن كرسيهِ وغاب هنيهةً ثم رجع وعلى كفهِ قطعة من الالماس اشرق نورها في الغرفة فاخذت بابصارنا جميعاً . ثم جلس ودفع الالماسة الى يدي فاخذت اتأمل فيها وحقيقةً لم ارَ في زماني اكبر منها حجماً ولا اصفى مآءً واشدّ لمعانًا ثم ناولتها لمن كان بجانبي فدارت علينا كلنا وكلٌّ يعجب منها في نوبتهِ ويزيد في وصفها حتى عادت الى السير نويل . ثم اخذ السير نويل يقص علينا تاريخ هذه الجوهرة فقال انها وُجدت منذ نحو ثمانين سنة في قعر نهرٍ بالقرب من مدينة كمبرلي عثر عليها احد الكفار ولم يدرِ قيمتها فباعها لجندي انكليزي كان هناك بنصف زجاجة من الوسكي . وحفظها الانكليزي عندهُ مدةً الى ان تعسرت احوالهُ المالية فقصد تاجرًا المانيًّا يقيم هناك وعرض عليهِ ان يشتريها منهُ بخمس ليرات استرلينية . وكان مع التاجر اثنان من اصدقآئهِ فاحتالوا على الجندي ليبيعهم اياها بنصف ما طلب فرفض ولما رأوا اصرارهُ هجموا عليهِ بعصيهم فشجوا رأسهُ وقتلوهُ واستولوا على الالماسة . ثم عُرف امرهم بعد حين فالقت الحكومة القبض على اثنين منهم وحكمت

عليهما بالموت شنقًا اما الثالث ففاز بالهرب وقد اخذ الجوهرة فبلغ بها مدينة الرأس وباعها ليهوديٍّ من مدينة همبرج بخمسين ليرة . وعرضها هذا على جمعية تجار فاشتروها منهُ بمئة وخمسين ليرة وارسلوها الى الجوهريّ الشهير ڤان هلست في انتورب ليجلوها ويتحقق قيمتها . فلما وصلت الى ڤان هلست تحقق جودتها وعرف انها ذات قيمة عظيمة فاتقن قطعها وفاوض اصحابها في امرها وكانوا قد جاءوا الى لندن فطلبوا منهُ ان يرسلها اليهم الى هنا . وكان قد شاع خبر هذه الجوهرة وتناقل الناس ذكرها ولا سيما عدد من اللصوص فعزموا على سرقتها باية طريقة امكنت . اما ڤان هلست فكان من المكر والدهاء على جانبٍ عظيمٍ فصنع ثلاث قطع من الزجاج بحجم هذه الالماسة وشكلها ولونها بطريقةٍ لا يعلمها سواهُ بحيث صار يصعب جدًّا على الناظر ان يفرق بين الجوهرة الاصلية والزجاج . ثم شرع في ارسال هذه الحجارة الواحد بعد الآخر عن طرقٍ مختلفة وغرضهُ في ذلك انهُ اذا احتال اللصوص على سرقتها في الطريق فانهم يسرقون حجرًا منها ويكتفون بهِ ليقينهم انهُ هو الالماسة الحقيقية ويكونون قد سرقوا الزجاج ونجت هذه . وفاز ڤان هلست بنجاح حيلتهِ فسُرق في الطريق الاول والثاني من الاحجار الزجاجية وسلم الحجر الثالث والالماسة الحقيقية فبلغا انكلترا بامان واستلمهما اصحابهما بغاية السرور . وقد تمكنت اخيرًا من ابتياع هذه الجوهرة بعشرة آلاف ليرة واخذت معها الحجر الزجاجي ايضًا وانهُ والحق يقال لا يختلف عنها في شيءٍ ولا يمكن ان يُعرف اذا اريتكم اياهُ وحدهُ بل لا يفرقهُ امهر جوهريّ الا اذا وضع الحجران احدهما بازاء الآخر . ثم اخرج السير نويل الالماسة من جيبهِ وادارها بيننا مرةً اخرى وهو يقول انتبهوا اليها جيدًا فساعطيكم الآن الالماسة الزجاجية لتروا هل تستطيعون ان تفرقوا بينهما . ولما مرَّت علينا تلك الجوهرة صرنا بانتظار الزجاجة واذا بالسير نويل قد قهقه ضاحكًا وقال قد اغتررتم بها وظننتم ان التي معكم هي الحقيقية مع انها هي الصناعية . ولما قال هذا اخرج الالماسة الحقيقية من جيبٍ آخر وادار هذه ايضًا فكنا نتعجب جدًّا ولم نقدر حقيقةً على تمييز الواحدة من الاخرى . وبلغ الحجران الكولونيل جراهم فكان يتأمل فيهما

باستغراب عظيم وقال كيف يمكنك ان تعرفهما أيها السير بل كيف يمكن ان تعرف ايتهما التي ثمنها عشرة آلاف ليرة من التي لا يزيد ثمنها على بضع ليرات . فقال السير نويل ان من الف النظر الى الالماس لا يخفى عليهِ هذا الفرق . على انهُ في استطاعة كل واحد منا ان يعرف الالماسة الحقيقية بواسطة امتحانات سهلة للغاية فانك اذا امررت الالماسة الحقيقة على لوح من الزجاج فانها تقطعهُ شطرين ولا تفعل ذلك الزجاجة ثم اذا نظرت الى هذين الحجرين بمنظار معظم تجد في الالماسة الحقيقية عروقاً وخطوطاً دقيقة ولا ترى ذلك في الزجاجة . واذا سكبت على الزجاجة قطرةً من المآء او الخمر يختفي نورها ويكمد لونها واذا فعلت ذلك بالالماسة الحقيقية لا يؤثر شيئاً في اتقاد نورها وشعاعها . ثم انك اذا وضعت الحجرين في كأس من المآء تجد الزجاجة كمدة اللون كزجاج الكأس اما الالماسة فتراها كشعلةٍ من النار ينبعث منها النور الملوّن كمصباحٍ من الكهربآء . ولكن ما لنا ولكل ذلك فقد اضعنا الوقت في الكلام على الجواهر والالماس فلنغير بحثنا

واذ ذاك اخذنا في حديثٍ آخر وكان الحجران لا يزالان بين يدي الكولونيل يقلب فيهما طرفهُ ويفحص هيئتهما ونورهما . وطال بنا الحديث على المائدة ووزع علينا الخادم كميةً من الفاكهة والجوز وما شاكل ذلك فكنا كأننا آلينا على انفسنا ان لا نترك المائدة وعليها ما يؤكل حتى بلغت الساعة العاشرة فقال السير نويل هلمّ بنا الآن الى غرفة اللعب لنقطع حصةً من الوقت فيها . ولما نهضنا باجمعنا قال السير نويل ارجو ان تردّوا اليَّ الالماسة لاضعها في محلها . واذ ذاك نظرنا كلنا الى المائدة فوجدنا عليها حجراً واحداً التقطتهُ واعطيتهُ للسير نويل فنظر اليهِ قليلاً ثم وضعهُ في جيبهِ قائلاً هذا هو الحجر الزجاجي فأين الالماسة . ومدَّ يدهُ كمن يستعد ان يأخذها ولكننا لسوء الحظ لم نقف لها على اثر . وللحال اظلمت وجوهنا بعد الضحك والانبساط وانحنينا الى المائدة نبحث بين الصحاف وفضلات الفاكهة فلم نجد شيئاً . ثم جثونا على ركبنا وجعلنا نبحث في ارض الغرفة بجدٍّ وكدٍ عظيمين حتى سال العرق من اجسامنا ولكن على غير جدوى . فقال السير نويل من المستحيل ان تكون الالماسة

خارج هذه الغرفة فلا بد ان نجدها اذا بحثنا مرةً اخرى . فعدنا اذ ذاك الى البحث بهمةٍ اعظم من الاولى وقضينا ساعةً لم نترك فيها شيئاً في الغرفة الاّ فتشناهُ مرارًا واخيرًا وقفنا وقد قطعنا كل أمل من وجودها . و بعد سكوت بضع دقائق ونحن وقوف حول المائدة قال البارون الالماني ايها الاصدقاء لا يمكن ان تكون الالماسة قد خرجت من الغرفة وقد بحثنا في كل جهة فلم نجدها فلم يبقَ علينا الا ان نبحث في جيوبنا لانهُ من المحتمل ان تكون قد سقطت في جيب احدنا على غير علمٍ منهُ . ولما قال هذا ادخل يديهِ في جيوبهِ واخرج منها ساعتهُ وكيس نقودهِ وسكيناً وغير ذلك ولما فرَّغ جيوبهُ قلبها ظهرًا لبطن ليري انهُ لم يبقَ فيها شيء . وكان السير نويل قد تأثر شديدًا من هذا العمل واخذ يلحّ على البارون ان لا يفعل وانهُ يفضل فقد جوهرتهِ رأساً على ان يسيء الظن بأحد اصدقائهِ . اما نحن فلم يمكنا بعد عمل البارون الا ان نقتدي بهِ فأخذنا نفعل فعلهُ الواحد بعد الآخر حتى لم يبقَ بيننا الاّ الكولونيل جراهم فانهُ لم يتبع مثالنا و بقي واقفاً وقد وضع يديهِ على ظهر كرسيهِ وجمد كأنهُ صنمٌ من الحجر . فقال لهُ البارون مازحاً ما لك يا سيدي الكولونيل قد تأخرت عن اظهار ما في جيوبك ألعلك تريد ان نلقي الشبهة عليك . فقال الكولونيل وقد خنقهُ الغيظ وصُبغ وجههُ بلون الدم ماذا تقول يا حضرة البارون وماذا تعني بالقاء الشبهة عليَّ . فقاطعهُ السير نويل قائلاً لا تغتظ يا حضرة الكولونيل فان البارون يمزح . فقال البارون انهُ لا يمكن ان نظن بأحدنا انهُ سارق ولكني قلت في البداءة انهُ ربما تكون الالماسة قد سقطت في جيب احدنا سهوًا وقد بحثنا جميعنا في جيوبنا فماذا يضرّ لو بحثت انت في جيوبك مثلنا فانك تريح ضمائرنا جميعاً وتريح ضميرك انت ايضاً . فقال الكولونيل لا لا لن افعل . فلما سمعنا هذا الجواب حرنا جميعنا في الامر واستغربنا رفض الكولونيل وما ظهر على وجههِ من علامات الغضب الممتزج بالخجل . فقال البارون كنا نودّ انك تفعل اكراماً لنا ولكني لست بصاحب الجوهرة ولا صاحب المنزل لاطلب منك ذلك بالحاح . ونظرنا جميعنا الى السير نويل لنرى ما يقول فبادرنا الكولونيل وقال ان صاحب المنزل اكرم واسمى من ان يطلب مني

ذلك حتى انهُ لو فعل لما امكنني اجابة طلبهِ فانني لا افتح جيوبي امامكم وانا حيٌّ . فاستولى الصمت علينا ووقفنا كالمأخوذين واذا بالكولونيل قد ترك كرسيهُ ولبس قبعتهُ وسار نحو الباب . فهمس البارون في اذن السير نويل ان لا يدعهُ يخرج وان يلح في تفتيشهِ اما السير نويل فكان لا يدري ماذا يجب ان يفعل فقال للكولونيل أذاهبٌ انت يا حضرة الكولونيل . فنظر الكولونيل بوجهٍ كالح بلون البهار وقال نعم ذاهب لانهُ لا يمكنني البقآء دقيقةً واحدة مع اناسٍ يظنونني سارقًا . ولما قال هذا خرج واقفل الباب ورآءهُ تاركًا ايانا كأن على رؤوسهم الطير

وكان السير نويل اول من استأنف الحديث فقال لقد اسرعتم يا اصحابي في اجرآء امور لا لزوم لها وتركتم صديقنا الكولونيل يخرج مستآءً واني اعتقد تمام الاعتقاد انهُ لا يعلم شيئًا عن الجوهرة وان رفضهُ البحث في جيوبهِ لم يكن الا عن احساسٍ غريب يعتادهُ من يخدم في الجندية . فقال البارون انا اظن عكس ذلك ولا اخفي عنكم انني مرارًا كنت انظر الى الكولونيل فأرى في هيئتهِ ما يدعو الى الظن بهِ ولهذا اقترحت امر البحث في الجيوب وانا عاتبٌ على صديقنا السير نويل لانهُ سمح لهُ بالخروج ولو كنت مكانهُ لما تركتهُ يفلت ولو اضطررت الى مساعدة رجال الشحنة

وانصرفنا تلك الليلة ونحن في مزيد الكدر والاضطراب ثم كنا اذا اجتمعنا لا حديث لنا سوى الالماسة والكولونيل ولكننا لم نعد نراهُ من تلك الليلة . وسأل عنهُ يومًا السير نويل فقال البارون لاشك انهُ سافر الى اميركا حيث يتمكن من بيع الالماسة فانها تكفيهِ ما بقي من حياتهِ . فقال السير نويل أو تظنون ان الرجل في حاجةٍ الى المال . فقال البارون يغلب على ظني انهُ فقير في الغاية لا يملك من الملبوس الاّ ثوبهُ الذي اصبح في منتهى الرثاثة واظنهُ يقتات من ضيافتك كل يوم فاني اراهُ يأكل بنهمٍ شديد كأنهُ لا يذوق طعامًا الاّ من المسآء الى المسآء . فتأسف السير نويل وقال اواه لو اخبرني عن ذلك لما تأخرت عن اعطآئهِ مبلغًا من المال يكفيهِ لمعيشتهِ أو لدعوتهُ للاقامة معي كأخي

ومضت بضعة ايام فاجتمعنا مرةً اخرى على مائدة السير نويل فذكرنا ليلة فقد

الالماسة والكولونل وما كدنا نفرغ من الطعام حتى صاح الخادم صياحاً متتابعاً كمن فقد عقلهُ فنظرنا اليهِ واذا بيدهِ قشرة جوزةٍ والالماسة الحقيقية في وسطها يتألق نورها كالشمس . فنهضنا جميعنا كأن آلةً كهربآئية تحركنا وتقدم السير نويل الى الخادم فأخذ منهُ الجوهرة وفحصها فعرف انها هي الالماسة الحقيقية . وبعد البحث والتدقيق علمنا انهُ في تلك الليلة المشؤومة دخلت الالماسة في قشرة جوزةٍ بدون انتباه احد ولما جآء الخادم لرفع ادوات الطعام سقطت القشرة في جيبهِ من غير ان يشعر بها . فلما كان في الليلة التي نحن فيها شعر بشيء غير عاديّ في جيبهِ فأخرجهُ ورأى القشرة فهمّ بأن يرميها واذا بالالماسة تلمع في وسطها . وكان فرحنا بوجود هذه الضالة لا يعادلهُ فرح ولا سيما السير نويل فقضينا ليلتنا في السرور ومعاطاة الراح الى ان بزغت شمس الصباح . وكنا نتأسف الاسف الشديد على اتهامنا الكولونيل ولكننا التمسنا لانفسنا عذرًا فيما ابداهُ من الممانعة والحالة الموجبة للظن

وفي الصباح التالي اجتمعت بالسير نويل فكان يصف لي اسفهُ لما بدا منا في حق الكولونيل والحَّ عليَّ بوجوب البحث عنهُ والاعتذار اليهِ واعادتهِ الى اجتماعاتنا فرأيت صواب فكرهِ وكنت واياهُ نسعى في الوقوف على ما حلَّ بالكولونيل . وبينما نحن سائران في الطريق المؤدية الى المدينة بين البساتين الواسعة حانت مني التفاتة فرأيت عن بعدٍ ابنةً تحمل شيئًا ووراءَها فتى يتأثرها حتى اذا بلغت محلاًّ منفردًا هجم الفتى عليها فلطمها لطمةً شديدة ألقتها الى الارض واختطف حملها وجعل يعدو من جهة اخرى . وكان السير نويل يرى معي هذا المنظر فصاح بي ان نسرع لانجاد الفتاة وكان اسرع مني عدوًا فتوجه لمطاردةِ السارق وركضت انا الى جهة الفتاة . ولما وصلت اليها وجدتها قد افاقت وقد استخرطت في البكآء . فجعلت اطيب خاطرها واسألها عن امرها . وكان السير نويل قد ادرك السارق وصرعهُ فأوثقهُ الى شجرةٍ هنالك واسترجع ما سرقهُ وعاد الينا وهو حامل بين يديهِ عيبة (بقجة) مغلفة بورقٍ قد تمزق وبان منهُ ثوب اسود لكنهُ قديم العهد قد لعب فيه البلى . وكانت الفتاة لا تزال تمسح دموعها المتساقطة فقلت لها هل أنتِ ذاهبةٌ الى محلّ بعيد من هنا . فقالت انا

ذاهبة الى الخواجات برنتون . فقال السير نويل ذلك لا يمكن فانك لا تقدرين على اجتياز هذه المسافة البعيدة الآن فهل ذهابكِ ضروريّ . فقالت هذه ثياب والدي وهو مريضٌ منذ زمن ملقىً على سريرهِ ولا يوجد عندنا شيء من القوت وقد امرني ان آخذ ثيابهُ وارهنها في محل برنتون واحضر لهُ ولي شيئًا نسدّ بهِ رمقنا . فقال السير نويل اذًا انتِ مضطرة الى رهن هذه الثياب . قالت نعم يا مولاي فاني انا وابي لم نذق القوت منذ يومين . ولما قالت هذا عادت الى البكآء وظهر عليها الضعف الشديد فكادت تسقط الى الارض . فقال لي السير نويل لا بد من مساعدة هذه الفتاة يا صاحبي وانهُ ليسرُّني جدًّا ان اعين مسكينًا ان امكن فهلمَّ بنا . فاستوقفنا عربةً ركبناها واستصحبنا الفتاة معنا فسارت بنا الى حيث تسكن مع والدها . ومرّ السير نويل في طريقهِ على مخزنٍ ابتاع منهُ خبزًا وزبدةً وبعض علبٍ من اللحوم والحلويات وشيئًا من الفاكهة وزجاجتي مشروب

ولما بلغنا البيت ادخلتنا الابنة الى غرفةٍ مظلمةٍ وتركتنا فيها ريثما تعلم والدها وبعد هنيهةٍ سمعناهُ يقول لها لتدخلنا اليهِ فادخلتنا الى الغرفة الداخلية وكان ظلامها اشدّ من الغرفة الأولى ثم اوقدت مصباحًا فلما اضآء علينا رأينا سريرًا عليهِ رجلٌ في منتهى الضعف عرفناهُ للحال انهُ هو الكولونيل جراهم . فلم يتمالك صديقي ان صاح بهِ أأنت هنا يا عزيزي جراهم وفي سرير المرض ولا تعلمني لكي آتي اليك . فجحظت عينا المريض عند معرفتهِ ايانا وقال وهل تهتمّ يا سير نويل بسارقٍ سرق جوهرتك الثمينة لتسأل عن حالهِ . ولكن بما انك قد جئت الى منزلي فلعلك ترى في فخامتهِ ما يحقق لك اني انا السارق . فالقى السير نويل بنفسهِ على سرير الكولونيل واخبرهُ بتفاصيل الحادثة وكيف وجد الالماسة المفقودة واكد لهُ انهُ لم يشك فيهِ قط . فقال الكولونيل ربما لم تشك انت ولكن ضيوفك جميعهم شكوا . فقلت كان يحق لنا ذلك عند اصرارك على عدم اظهار ما في جيوبك فلماذا لم تفعل . فهمّ الكولونل بالجواب ولكنهُ قاطع نفسهُ بانةٍ أثرت فينا تأثيرًا شديدًا . وكان الابنة تراقبنا وتسمع كلامنا وكانما اشرقت عليها حقيقة الامر فقالت اواه يا ابتِ وهل ظنوك سارقًا للالماسة حين

اتيتني بالطعام . فلا لا اني لا اخجل من شرح حقيقة امرنا ولو اجتهدت انت في اخفآئهِ ثم نظرت الينا وقالت ضربتنا يد القضآء بالفقر بعد ان كان والدي في مقام رفيع فلم تطاوعهُ نفسهُ على الاستعطآء ولم يتيسر لهُ وجود عمل يكسب بهِ رزقهُ ورزقي فكان اذا دعي للعشآء عند صديقهِ السير نويل يجتهد ان يخفي في جيوبهِ ما امكنهُ من اصناف المأكولات والفاكهة فيحضرها لي في رجوعهِ لاقتات بها الى ان يحضر لي غيرها في اليوم التالي . وهذا هو السبب في امتناعهِ من اظهار ما في جيوبهِ لانهُ لو فعل لظهر ما خبأهُ فيها من قطع اللحم والخبز التي احضرها لي في تلك الليلة المشؤومة فانهُ اصابتهُ فيها حمى شديدة الزمتهُ فراشهُ الى الآن . وكان لا يزال عندنا بعض ثياب لوالدتي المرحومة فذهبت ورهنتها في محل برنتون حتى اذا انفقنا قيمتها منذ يومين ولم يبقَ لنا ما نأكل اعطاني والدي اليوم ثيابهُ وكنت في طريقي لرهنها حين ارسلكم الله لملاقاتي

وكان الكولونيل قد ادار وجههُ الى الحائط وهو في اشد التأثر فلما انهت الفتاة كلامها قال نعم انني لم اسمح بفتح جيوبي امامكم لانني مع ثقتي انني لم اكن سارقًا للجوهرة غير انني كنت سارقًا للقوت . وعند ذلك اجتهدت وانا والسير نويل في ملاطفة الكولونيل والاعتذار اليهِ ثم بسطنا الطعام والشراب وجلسنا معًا وكانت تلك المأدبة الذّ واشهى وليمة صادفتني في حياتي . وكان السير نويل يتفرس في الفتاة واذا بهِ قد قبض على ذراعي بيدٍ من حديد وصاح قائلاً يا غارفيلد قد وجدت الالماسة الثانية . وكانت ابنة الكولونيل هي نفس الفتاة التي رآها السير نويل في الكنيسة كما تقدم ولا تسل عن سرورهِ بوجودها فلم نخرج من ذلك البيت الحقير الا والكولونيل وابنتهُ معنا فأخذهما السير نويل وافرد لهما محلاً في قصرهِ ولما تعافى الكولونيل اقترن السير نويل بفاتنتهِ وعاشا حياةً سعيدة فكنا نجتمع بهم في اغلب الاحيان ونذكر الماضي ونعجب من حسن ذلك الاتفاق

النيازك

النيازك جمع نَيزَك مثال حَيدَر وهي كلمة فارسية معرَّبة معناها الرمح القصير وقد اصطلح علمآء الهيئة ان يطلقوها على الحجارة التي تسقط من الجوّ ولعلها اول ما استُعملت للشهُب لانها تشبه في انقضاضها رماحاً نارية ثم خُصَّت بالحجارة المذكورة

وهذه الحجارة معروفةٌ من عهدٍ بعيد وقد ورد ذكرها في كلام غير واحدٍ من علمآء المتقدمين مثل انكساغورس وديوجينوس وارسطو وبلوطرخس وغيرهم وربما عُبِدبها بعض الآلهة كما كان اهل غلاطية يفعلون في عبادة سيبالا الاهة الجبال واهل حمص يفعلون في عبادة الشمس ولا يبعد ان اللات في ثقيف ومَناة في هُذَيل وقضاعة كانتا منها . ومن العامة من كان يسمي ما يوجد منها على سطح الارض حجارة الصاعقة لظنهم ان الصواعق اجرامٌ تسقط من السمآء وربما طبع بعضهم من حديدها سيوفاً يزعمون انهُ اذا ضُرِب بها نزلت نزول الصواعق

ومع شيوع امر هذه الحجارة وتكرر ذكرها في كلام من يوثق بهِ من المؤرخين فان العلمآء كانوا الى اواخر القرن الثامن عشر يرون انها من خرافات العوامّ كما صرّح بذلك لافوازيّاي سنة ١٧٩٠ ثم الندوة العلمية الفرنسوية سنة ١٨٠٠ ولذلك لم يلتفتوا الى البحث في حقيقتها ومصدرها

واول من بحث فيها بحثاً علمياً الاستاذ خلادْني احدْ علمآء الطبيعيات من الالمان وقد سقط واحدٌ منها على مرأى منهُ في مدينة سيّان من تُسكانا

سنة ١٧٩٤ فنشر فيها كلاماً وصف فيهِ ذلك النيزك وتكلم على طبيعة النيازك واصلها . ثم عقب ذلك سقوط عددٍ كبير منها في نُرمنديا سنة ١٨٠٣ وكان ممن شهد سقوطها الاستاذ بيُوت احد اكابر علماء فرنسا فرفع في ذلك تقريراً الى ندوة العلوم الفرنسوية ايدهُ بشهادة كثيرين ممن عاينوها من جهاتٍ شتى وكانت منتشرةً على مساحةٍ من الارض يبلغ طولها نحواً من ١٢ كيلومتراً . وتواتر بعد ذلك سقوط الحجارة من هذا النوع حتى انهُ في سنة ١٨٧٢ سقط نيزك في ناحية بلوا تفرقت شظاياهُ على مساحةٍ يقرب قطرها من ٨٠ كيلومتراً وكان وزنهُ ٤٧ كيلغراماً وغاص في الارض الى عمق متر و ٦٠ سنتيمتراً

وقد احصى هُوَرْد احد علماء الانكليز النيازك التي ورد ذكرها في التأريخ والتي سقطت على عهدهِ الى سنة ١٨١٨ ثم زاد عليها خلادْني ماسقط بعد ذلك الى سنة ١٨٢٤ . واعظم ما ذُكر من تلك النيازك ثلاثة احدها عثروا عليهِ في باهيا بالبرازيل سنة ١٨١٦ وزنهُ ٥٣٦٠ كيلغراماً . والثاني وُجد في الصين بالقرب من منبع النهر الاصفر ووزنهُ ينيف على ١٠٠٠٠ كيلغرام وعلوهُ خمسة عشر متراً . والثالث يوجد في صحراء توكامان من اميركا الجنوبية ووزنهُ ١٥٠٠٠ كيلغرام وهناك قطعٌ اخرى اعظم واهول مما ذكر لم يثبت انها من النيازك فاضربنا عن ذكرها . اما ما دون ذلك من القطع التي وزنها ما بين ١٠٠ و ٢٠٠ الى ١٠٠٠ كيلغرام فكثيرة وهي توجد في كل مكان

والنيزك اول ما يظهر بهيئة جرمٍ مضيء باهر اللمعان يخترق الجوّ بسرعة عظيمة وهو يقذف بالشرر ويجر وراءهُ خطاً نيّراً هو ولا شك صورة رسمهِ

متتابعاً على شبكية العين كما يرسم طرف القضيب المشتعل اذا أُدير باليد دائرةً من نار. ويختلف منظرهُ عند ظهوره بين حجم كوكبٍ من القدر الاول الى حجم القمر واذا ظهر ليلاً فكثيراً ما يبهر نور القمر في اوان البدر.



وبعد ان يقطع مسافة من السمآء ينفجر وتتطاير شظاياهُ في كل جهة ثم يُسمع لهُ هزيمٌ شديد جدًّا يتبعهُ دويٌّ مستطيل وربما تتابع انفجارهُ مرّةً بعد اخرى حتى يسقط بأسره رُفاتاً وقد تبلغ قطعهُ الوفاً

ومما يُستغرب من امر النيازك انها اذا كُسِرت قطعةٌ منها عند وصولها الى الارض وُجد باطنها في درجة البرد الجليدي حالة كون ظاهرها حارًّا

ينبعث عنهُ الدخان . وعلة ذلك ان النيزك حين يشرف على جوّ الارض آتياً من الفضآء تكون درجتهُ كدرجة الفضآء نفسهِ اي يكون على ٢٧٣° تحت الصفر فاذا اخترق هوآء الارض وهو في السرعة المشار اليها دفع الهوآء من امامهِ واذ ذاك يستحيل جانبٌ من سرعتهِ الى حرارة فيرتفع فجآءةً الى ٣٤٠٠° فوق الصفر بحيث ينتقل دفعةً واحدة من الحالة الجليدية الى حالةٍ يشتعل فيها ظاهرهُ وينقلب الى درجة البياض مع بقآء باطنهِ على درجة البرد المذكورة وهذا سبب انفجارهِ عند مروره في جوّ الارض كما ينفجر الحجر اذا القيتهُ في اتونٍ ملتهب .

وليس للنيازك شكلٌ معلوم ولا يكون شيءٌ منها ذا شكلٍ قياسيّ ولكنها اشبه بالصخور التي يقتلعها السيل غير ان اطرافها ونتوءاتها تكون مدملكةً لانها اول ما يذوب من ظاهرها وتكون جملة سطحها مكسوةً بقشرةٍ سودآء زجاجية المنظر نخانتها نحو ميليمتر . ومع انها كلها متشابهة الظاهر بما يكون عليها من القشرة المذكورة وهي التي بها يتميز الحجر النيزكي فانها اذا كُسرت وُجد بينها اختلافٌ بعيد لان بعضها مركبٌ من مادةٍ معدنية والبعض من مادةٍ صخرية . وقد قسموها بهذا الاعتبار الى اربعة انواع . الاول النيازك الحديدية وهي ما كانت مركبةً من الحديد يخالطهُ معادن اخرا كثرها النكل وتوجد فيها مركبات من هذين المعدنين والكبريت او منهُ ومن الحديد والكروم او غير ذلك . والثاني الحديدية الصخرية وهي ما تركبت من الحديد يتخللهُ اجزآءٌ صخرية متقطعة يغلفها الحديد من كل ناحية فيكون كانهُ اسفنجة قد ملئت ثقوبها بالصخر . والثالث الصخرية الحديدية وهي عكس الثانية

تتألف من كتلةٍ من الصخر يتخللها حبيبات متقطعة من الحديد ومنها اكثر النيازك المعروفة . والرابع النيازك الصخرية وهي عكس الاولى فانها تتركب من صخرٍ لا حديد فيهِ وهي نادرة

بقي الكلام على اصل هذه الحجارة والمكان الذي تجيء منهُ وهو مما لم يتوصلوا الى معرفتهِ على وجهٍ يمكن الجزم فيهِ . وقد كانوا الى عهدٍ قريب يذهبون الى ان النيازك والشهب شيء واحد لما بين الفريقين من اوجه الشبه في الظاهر ولكن تكرار المراقبة دلّ على ان لكلٍّ منهما مصدراً غير ما للآخر . وذلك ان اصل الشهب على ما هو الرأي المُجمع عليهِ اليوم من الحجارة المؤلفة منها نوَيات النجوم المذنَّبة بعد ان استحال بعضها الى حلقاتٍ تدور حول الشمس بدليل ان تلك الحلقات تدور في افلاك المذنبات عينها. والمعروف منها لهذا العهد ثلاث حلقات احداها حلقة المذنّب الكبير لسنة ١٨٦٢ وتقطع الارض فلكها في ١٠ اوغسطس وتظهر لنا كانها تتساقط من صورة برشاوش . والثانية حلقة مذنب سنة ١٨٦٦ وتقطع الارض فلكها في ١٤ نوفمبر وتظهر لنا آتيةً من صورة الاسد . والثالثة حلقة مذنب بيّالا وتقطع الارض فلكها في ٢٧ نوفمبر وتظهر لنا آتيةً من صورة المرأة المسلسلة . وهذه الشهب كلها لا يصل الينا منها شيء ولو تساقط منها في الليلة الواحدة ما يبلغ خمسين الف او مئة الف شهاب ولكنها حال دخولها في جوّ الارض تحترق ويتبدد رمادها في الهوآء وبخلاف ذلك النيازك فان غالبها صخورٌ كبيرة واشكالها تدل على انها قطعٌ منفصلة من جرمٍ كبير. وفضلاً عن ذلك فان النيازك لا موعد لها ولا يختصّ ظهورها بجهةٍ معلومة من

السمآءِ فبينها وبين الشهب في ذلك كلهِ ما يدل على انهما من اصلين مختلفين

وقد تباينت فيها والحالة هذه آرآء الباحثين فمنهم من ارتأى انها تتركب في الجوّ على حدّ ما يتركب البَرَد مثلاً . وليس بشيءٍ لانهُ لا يُعلَم وجهٌ يقع بهِ مثل هذا التركيب في الجوّ مهما كان فيهِ من الغبار الارضيّ او المعدنيّ ولانهُ لو كان الامر كذلك لزم ان يكون سقوطها عموديًّا على سطح الارض كالبَرَد لا ان تمرّ افقيةً في اعالي الجوّ كما هو الحال في النيازك

وارتأى آخرون انها من مقذوفات براكين القمر وهو قول لاپلاس وجماعةٍ والظاهر ان هذا القول على فرض صحة وجود براكين في القمر لا يخلو ايضاً من بُعد لانهم حسبوا السرعة التي يمرّ بها النيزك فوق الارض فوُجد اقلّها ١٦ كيلومتراً في الثانية وربما ارتقت فوق ذلك الى ٤٠ و ٥٠ كيلومتراً حتى تقرب احياناً من ٨٠ كيلومتراً في الثانية وليس في قوة براكين القمر ولا في جاذبية الارض ما يبلغ بالمقذوفات مثل هذه السرعة

وذهب غيرهم الى انهُ يمكن ان تكون من مقذوفات براكين الارض نفسها فانهُ اذا قُذِف جسم من الارض بسرعة ٨٠٠٠ الى ١١٠٠٠ متر في الثانية ذهب في الفضآء الى مسافةٍ تبعدهُ عنها بمقدار القوة التي قُذف بها ويمكن ان لا يعود الى الارض الا بعد آلافٍ من السنين . قالوا ولا ريب ان الارض حدث فيها في الازمنة الجيولوجية الاخيرة براكين اشدّ جدًّا من البراكين الحالية فلا يبعد ان تكون هذه الاجسام التي تمرّ بالقرب منا اليوم هي من مقذوفاتها في ذلك العهد ولا سيما وقد ظهر من تحليلها انها لا تخرج في شيءٍ عن الموادّ التي في باطن الارض

وهنالك اقوالٌ أُخر اضربنا عن ذكرها لبعدها على انهُ لابد ان يقال هنا ان أكثر النيازك التي رصدوها وُجد مسيرها في طريقٍ هذلولي اي في منحنٍ لا يلتقي طرفاهُ ولا يعود آخرهُ على اوله ولم يوجد منها ما طريقهُ هليلجي الاواحدٌ هو الذي مرّ فوق الارض في ليلة ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٦٨. وعليهِ فالذي يترجح مع ما تقدم من بيان سرعتها انها تأتي من الفضآء النجمي مارّةً في خطٍ مستقيم فاذا قربت من الشمس جذبتها اليها فتمرّ من ورآئها ثم تعود في طريقها من الجهة الاخرى وحينئذٍ فاذا مرّت في فلك احد السيّارة الشمسية التهبت فتساقطت قِطعاً او استمرّت في طريقها الى ان تخلص الى الفضآء النجمي . على انهُ لا يتعين ان تكون كلها من اصلٍ واحد لما سلف من انها مختلفة المادة والسرعة فقد يكون بعضها مما ذُكر هنا وبعضها مما تقدم والله اعلم

اللغة المالطية

هي اغرب لهجةٍ وقع التفاهم بها بين افراد الانسان لا تنطبق على قياس ولا ترجع الى اصلٍ معلوم ولا يجد لها اللغويّ مكاناً من سلسلة اللغات بل هي خليطٌ من ألسنةٍ شتى تداخل بعضها في بعض وتنكرت مخارج حروفها وتبدلت صِيَغ كلماتها وتراكيبها فلا هي في لغات المشرق ولا في لغات المغرب ولا وجود لها الا في الجزيرة التي هي منسوبةٌ اليها

ومعلومٌ ان هذه الجزيرة قد تعاقبت عليها اممٌ شتى من كل جيل فتركت فيها كل امةٍ اثراً . واول من يُذكَر ممن استولى عليها الفينيقيون ثم

عقبهم اليونان فالقرطجنيون والرومان والفندال والغوثيون والعرب وكان دخول هؤلآء اليها في اواخر القرن الثالث للهجرة ثم دخلت في حوزة النُرمان ثم الالمان فالطليان والفرنسيس والاسپنيول الى ان افضت اخيراً الى نوبة الانكليز . وقد اجتهد العلمآء في فحص لغتها لعلهم يستدلون بها على سكانها الاولين فلم يتسنَّ لهم التوصل الى ذلك على وجهٍ جليّ . وممن بحث فيها كَنْتَيْن دُوتُيِن في اواسط القرن السادس عشر فذهب الى ان اصل سكانها من القرطجنيين لانهُ وجد في لسانهم كثيراً من الالفاظ الساميّة ووافقهُ في ذلك جماعةٌ من علمآء القرن الثامن عشر . ثم تولى البحث فيها جِّيْزِينيوس في اوائل القرن التاسع عشر فاثبت ان اكثر كلماتها عربية وهو المعروف اليوم الا ان غالبها مشوَّهٌ بما دخل عليهِ من التحريف والتبديل ويخالطها كلماتٌ من اليونانية والطليانية والالمانية وفيها الفاظٌ لا يُعرَف اصلها ولعلها من المالطيّ القديم او الفينيقي

على ان من الالفاظ العربية ما يستعملونهُ بغير معناهُ فضلاً عما ذكر من تبديل المقاطع والصيغ كابدال الخآء المعجمة بالحآء المهملة وابدال الحآء المهملة احياناً بالهآء والغين بالعين او بالهآء والطآء بالتآء وغير ذلك وكقولهم في نعرف « ناف » وهذا للمتكلم المفرد فاذا ارادوا الجماعة قالوا « نافو » وقولهم « يحتيج لي » اي يُحتاج لي يعنون ينبغي لي. وعندهم خلا المقاطع العربية اليآء الفارسية ويستعملون الجيم بمقطعيها وعندهم حرف مركب من التآء والشين. اما القواعد التركيبية فمختلطة من العربي الفصيح والعامي وربما جروا على قواعد اللغات الاوربية كابتدآئهم بالاسم عوض الفعل . والضمائر المتصلة عندهم هي

الضمائر العربيـة وكذلك حروف الجرّ والظروف وغيرها الاّ بعضاً منها يُجهل اصلها

اما كتابتهم فبالحرف اللاتيني مع اصطلاحات مخصوصة في تصوير بعض المقاطع التي لا توجد في اللاتينية الا ان هجآءهم يختلف كثيراً عن الهجآء العربي فربما ضموا كلمتين في هجآء واحد وربما قسموا الكلمة الى هجآءين تبعاً لما يقتضيه اللفظ دون التركيب مما يدل على ان اصل الكلمات قد ضاع عندهم بالمرة . وقد وقعت الينا من لغتهم نسخةٌ من انجيل يوحنا مكتوبةٌ بهذا الحرف ونحن موردون منها نموذجاً نكتبهُ بالحرف العربي حسب هجآئهِ الاصلي مشكولاً بما يصوّر لفظهُ [1] بقدر الاستطاعة لان من حروفهم مالا يتحقق الا بالسماع منهم ونذكر بازآء كل سطر ترجمتهُ بالعربية . والنموذج المذكور من الفصل الخامس عشر من الانجيل المشار اليهِ وهو هذا

١ يَانا هُوّا إِدّالْيا فِّيرا وْ مِيسّيِّري	١ انا هوالدالية (الكرمة) الحقيقية وابي
هُوّا إِلجِنّان ٢ كُلّ زَرْجُونا لي	هو الجنّان (البستاني) ٢ كل زرجونة التي
ما تَعمِلْش فرُوتّ هُوْ يَقتَهْا وْ كُلّ	ما تعمل ثمراً هو يقطعها وكل
واحْدَا لي تَعْمَل فرُوتّ هو إِينَدّفْها	واحدة التي تعمل ثمراً هو ينظفّها (ينقيها)
بِيْش تَعمَل اكتر فرُوتّ ٣ إِسّ	لكي تعمل ثمراً اكثر ٣ الساعة (الآن)
أُينتُم إِنْداف مِينْهبَّا فيل كلّما	انتم نظاف (انقيآء) من اجل الكلمة

(١) ترى في الشكل هذه العلامة (ُ) ولفظها بين الضم والفتح (o) وهذه (˟) ولفظها بين الفتح والكسر (e) وهما من العلامات التي اصطلحنا عليها لبيان الحركات الاجنبية وقد رسمناها في مجلد السنة الماضية والتي قبلها

لي كَلِّمتكُم ٤ إِبقَعوا فيَّا وْيانافيكُمْ	التي كلتكم ٤ ابقوا فيَّ وانا فيكم
كيف إِزَّرْجُونا ما تِسْتاش تَعمَل	كما ان الزرجونة ماتستطيع (ان) تعمل
فرُوتّ مِنَّا إِن نِفسا حلاف يَك تِبقا	ثمراً منها نفسها الا ان بقيت
فيدْ الِّيا أَكّا لنقاس إِنْتُم ما تِسْتَعو	في الدالية هكذا ايضاً انتم ماتستطيعون
خِلاف يَك تِبقْعُوفِيَّا ٥ يانا هُوا دْالِّيا	الا ان بقيتم فيَّ ٥ انا هو الدالية
وْ إِنتُم إِزْ زْراجين مِين يِبقافيَّا وْيانا	وانتم الزراجين من يبقَ فيَّ وانا
فيهْ دان يعمَل بُوسْتا فْرُوتّ . عالَيش	فيه فهذا يعمل ثمراً كثيراً . لهذا
بَرَّا مِنّي ما تِسْتَعو تَعمْلُو شَيْن .	بدوني ماتستطيعون (ان) تعملوا شيئاً .
٦ يَك شِي حادْ ما يِبقاش فِيَّا يِرْتَما	٦ ان احدٌ ما لم يبقَ فيَّ يُرمَى
بَرَّا بْهاز زَرْجُونا وْ يِتْنَشِّف	خارجاً مثل الزرجونة وينشف (يجفّ)
وْ إِنْناس تِجْمَعهُم وْيِفتْعُوهُم فِين نار	والناس تجمعهم ويطرحونهم في النار
وْ يِنحِرْقُو ٧ يَك تِبقْعو فِيَّا	ويُحرَقون ٧ ان بقيتم فيَّ
وْ إِلْ كلاميّات تِيعي يِبقْعو فِيكُمْ	والكلمات التي لي بقيت فيكم
إِنتُم تِيتَلبُو دالك لي تْريدُو	فانتم تطلبون ذاك الذي تريدون
وْ إِسِير يلكُم ٨ بْدانا مِيسِّيري	فيصير (يكون) لكم . ٨ بهذا ابي
إِيكُون إِتجلُوريفيكات بيلّي تَعمْلُو بُوسْتا	يكون ممجداً بان تعملوا ثمراً
فْرُوتّ وْ إِسِّيرُو دِيشِبْلي تِيعي	كثيراً وتصيروا تلاميذ لي

ونكتفي بهذا القدر من هذه اللغة وهي كما تراها من اللغات المضحكة ولكنك مع ذلك ترى اصحابها على اشدّ المغالاة بها والتعصب لها فلا يسمحون باهمالها ولا يرضون باستبدالها وقد قامت قيامتهم لاجلها من عهد قريب

حتى كادت تجرّ الى ما لاخير فيهِ . قلنا واغرب من هذا انك ترى قوماً عندنا لغتهم افصح اللغات وفيها من كنوز العلم والبلاغة ما يعزّ وجودهُ في سواها ومن كتب الدين مالا يسدّ مسدَّها فيهِ لغةٌ في الارض وتراها من ارخص الاشيآء عند اهلها وتراهم من ازهد الناس فيها واشدهم اهمالاً لها فمنهم من يخلط بينها و بين غيرها حتى يكاد يُلحقها بالمالطية ومنهم من هو لاهٍ عنها حالة كونهِ يرى عوامل المسخ والدثور ذاهبةً فيها كل مذهب وقد صمَّ الفضآء باصوات المحذّرين والخطبآء وحفيت الاقلام من كتابة المقالات المنذرة والفصول المنبهة ولكن لا حياة لمن تنادي ومن يُضلل الله فما لهُ من هاد

أقزام افريقيا

الأقزام جمع قزَم بفتحتين وهو الصغير الجثة من الانسان والحيوان والمراد بهم خلقٌ قصار القامات دون القِصَر المألوف وهم غير النُغاشيين الذين سبق الكلام عليهم في بعض اجزآء هذه المجلة لأن القزَم من صغُرَ خلقهُ من قبيل السُلالة فهي صفةٌ تعمّ الجيل كلهُ والنغاشيّ من كان كذلك لآفةٍ او عارض وسائر الجيل بخلافهِ

والأقزام اقوامٌ يستوطنون غابات اواسط افريقيا كتب عنهم السر هَري جُنستُن من عهدٍ قريب بعد ان جال في نواحي اوغندا واوغل في غاباتها الوحشية وخصوصاً غابات الكنغو وغربي افريقيا . وفيما ذهب اليهِ أن هذه الغابات كانت ملجأً لجماعات البشر والبهائم التي لم تستطع الثبات في معترك

تنازع البقاء ففرّت من العالم القديم الى هذه النواحي واقامت بها آمنةً مستترةً عن عيون مطارديها . وعلى رأي هذا العالم يكون اول ظهور الانسان في نواحي الهند وما اليها شمالاً وما يجاورها من الجزر ثم تفرق من هناك في سائر الارض

قال فالاقوام المذكورون بعد ان طُردوا من النواحي الهندية افترقوا الى فئتين توجهت احداهما شرقاً فتوطنت جزائر المحيط وبلاد استراليا والاخرى غرباً فجابت بلوخستان وارض الجزيرة وبلاد العرب وانتهت الى افريقيا فلجأت الى غاباتها ؛ وهذه الفئة تنقسم الى طائفتين احداهما تُعرَف بالبانَنْد ومساكنها في اطراف اوغندا والكنغو الحُرّة والاخرى الاقزام وكلتاهما جماعاتٌ متفرقة لا تنضم قبائل . والبانند سُمر الالوان الى الصُفرة ويسميهم جُنستُن اشباه القرود (*ape-like men*) لان ملامحهم تشبه ملامح القِرَدة ولأن ابدانهم فيما ذكر مكسوّة بوبرٍ اصفر كثيف هو سبب ما في الوانهم من الصفرة . اما وفراتهم اي شعور رؤسهم ولحاهم فسوداء حالكة وشفاههم اقلّ عِرَضاً من شفاه سائر الزنوج وهم يأوون الى اكواخٍ من الشجر واكثر قوتهم العسل وسِرْو النحل اي انقافهُ قبل ان تنبت اجنحتها ويتعاطون الصيد قليلاً

اما الاقزام فهم قصار القامات جدًّا تبلغ قامة الرجل المتوسط منهم متراً و٤٠ سنتيمتراً وقد لا تزيد على متر و٢٧، كما ان قامة المرأة قد لا تزيد على متر و٢١، . وهم سُمر الالوان الى الحمرة او الصفرة وشعورهم حمرآء في الغالب ومنهم من تكون جلودهم وشعورهم شديدة السواد وقاماتهم اطول قليلاً

وهم خلاسيّون بين الاقزام والزنوج

اما ملامحهم فان انوفهم اشدّ فطساً من انوف الزنوج ولكن شفاههم اقل غلظاً ورؤوسهم غائصة بين اكتافهم واعناقهم في غاية القصر وجذوعهم طويلة جدًّا بالقياس الى الارجل وبعضهم تنفرج اباهيم ارجلهم عن الاصابع الاربع الباقية على ان هذا يوجد في كثير من سائر الزنوج

والاقزام شديدو الجبن فلا يدعون احداً يدنو منهم ويفزعون على الخصوص من البيض فلايستطيعون ان يروهم عن قرب مالم يكونوا مصحوبين بواحد من الزنوج المجاورين لهم . وهم لا يلبسون على ابدانهم شيئاً ولكن اذا دخل بينهم غريب من القبائل الاخر يستترون بمآزر من ورق الشجر او لحائه ويثقبون شفاههم العليا ثقبين عن يمين وشمال يجعلون فيهما ازهاراً او انياباً او غير ذلك بقصد الزينة

وهم لا يربون المواشي ولا يحرثون الارض ولكنهم يصطادون القِردة وصغار الحيوان فيأكلون لحمها ويغتذون ايضاً بالعسل وسِرْو النحل كاخوانهم البانَنْد واحياناً يسرقون الذرة والموز وغيرهما من اراضي الزنوج وربما تغفَّلوهم فدخلوا مساكنهم وسرقوا ما يجدونهُ فيها وقد يسرقون اطفال الزنوج ويضعون اطفالهم في مكانهم

اما مساكنهم فانهم يبنون اكواخاً صغيرة يكون طول الواحد منها متراً و ٢٠ سنتيمتراً في مثل ذلك عرضاً وارتفاعاً ولكل واحدٍ منهم كوخهُ واذا كبر الصغير منهم واستغنى عن امهِ يبنون لهُ كوخاً صغيراً مثلهُ ويفرشونهُ بورق الشجر

هذا اخصّ ما ذكرهُ هذا الرحّالة في وصف أولئك الاقوام وهم في النواحي الاستوآئية اشبه بالاسكيمو في النواحي القطبية وسنفرد لهؤلآء فصلاً مخصوصاً نتكلم عليهم فيهِ ان شآء الله

المدرسة الشرقية

هي المدرسة التي انشأتها الرهبانية الباسيلية البلدية في مدينة زحلة بهمّة وأريَحيّة حضرة رئيسها الفاضل الخوري يوسف الكفوري الذي أُسّست على عهدهِ ولم تزل مشمولةً برعايتهِ ورفدهِ وهي اول مدرسة وطنية أُنشئت في جبل لبنان لتدريس العلوم العالية واللغات المختلفة ولا بِدع ان تكون هذه الرهبانية الكريمة هي السابقة الى هذه المأثرة الجليلة فقد عرف الناس من اعمال افرادها في خدمة الدين والعلم ما جعل لها في النفوس مكاناً عليًّا واثبت لها في التاريخ ذكراً سنيًّا فما احرى سائر الرهبانيات ان تقفو آثرها في البلاد وان تجعل لوجودها معنًى يخرجها عن ان تكون عالةً على العباد فان الفضل كل الفضل لمن وقف وجودهُ وموجودهُ على خدمة ابنآء جنسهِ لا لمن قصر همَّ دنياهُ وآخرتهِ على منفعة نفسهِ وان هذه هي افضل قُربةٍ يُتقرَّب بها الى الله عزَّ شانهُ بل اشرف عبادةٍ تُستنزَل بها بركتهُ ورضوانهُ

وقد وردتنا في وصف هذه المدرسة الرسالة الآتية من احد الفضلآء الذين زاروها في العهد الاخير فرأينا ان نثبتها في هذا الموضع بياناً لمكانها وتنويهاً بفضل القائمين باعبآئها والرافعين لبنيانها قال

قسم لي الحظ في هذه الايام أن زرت المدرسة الشرقية التي بنيت

حديثاً في مدينة زحلة فالفيتها بنايةً فخيمة بديعة الهندسة قائمة على العدوة الغربية من النهر المعروف بالبرذوني في الطرف الاعلى من المدينة حيث يُشرَف منها على جانبٍ من بقاع العزيز. وهي تشتمل على ثلاث طبقات في العليا منها الردهات الفسيحة لمنام الطلبة ونظّارهم وهي تتسع لما ينيف على مئة وثمانين سريراً تدخلها اشعة الشمس المطهرة والنسيم اللطيف من نوافذها الكبيرة العديدة وفي الوسطى غُرَف الدرس والتدريس ومجالس الاستقبال

وهذه المدرسة مستوفية جميع شرائط الصحة مجهزة بكل ما يضمن راحة الطلبة من وسائط الدفء والوقاية من الفواجئ الجوية داخلاً وخارجاً وسائر المعدّات الموافقة لحالة ومشرب الوطنيين

وهي مؤسسة على المصلحة الوطنية العمومية فتقبل الطلبة من جميع الملل والنحل وتعاملهم معاملةً واحدة بيد أنها لا تتصدى لاحدٍ في معتقده. وقد رأيت فيها تلامذة من ابنآء اشراف المسلمين من دمشق وحمص وحماة وبعلبك وحوران ومن امرآء حاصبيا وغيرهم وكذلك رأيت بعضاً من ابنآء الاعيان من طائفة الدروز فضلاً عمن فيها من ابنآء الطوائف النصرانية من كل جهة بحيث غصت بهم على ما رَحُبت

اما الدروس التي تلقى فيها فهي آداب اللغة العربية والفرنسوية والانكليزية والتركية والفلسفة وعلم المواليد الثلاثة والرياضيات بفروعها والجغرافية والتاريخ والخط. وذلك مع صرف العناية الى تخريج الطلبة في تطبيق مايتعلمونهُ على ما يقع فيهِ من الاعمال كالانشآء وقرض الشعر والتعريب وتمرينهم في اللغات التي يدرسونها تكلماً وكتابةً

وقد وُفق حضرة رئيسها المفضال الخوري بولس الكفوري الى اختيار اساتذة علماء مهرة منهم اثنان فرنسويا الاصل لتدريس اللغة الفرنسوية . وقد نهضت المدرسة بجميل رأيهِ ومحكم تدبيرهِ نهضةً تذكر بالثناء على همتهِ ومثابرتهِ وذُكر لي ان في عزمهِ ان يجعلها في العام المقبل ثلاث دوائر ابتدائية واعدادية وعلمية حتى اذا بلغ بها المنزلة التي يرومها وتمهدت بين يديهِ سبل العمل نظر في انشاء شُعَبٍ لها في الصناعة والزراعة والتجارة اخذاً بتمام اسباب النجاح واستكمالاً للخدمة الوطنية

وقد زار هذه المدرسة بعض العلماء الاعلام وولاة الامور وفي مقدمتهم حضرة صاحب الدولة مظفر باشا متصرف لبنان الافخم فسرّوا غاية السرور لما وضح لهم من شريف مبادئها وما رأوا من حسن ترتيبها ونزاهة موقعها واستكمالها لاسباب الراحة والتهذيب . وهي على ما اسلفنا في صدر هذه الرسالة قائمة في بقعة متوسطة في البلاد السورية طيبة الهواء والماء والسكة الحديدية تدني اليها السحيق من اطرافها وطرق العربات تمهد الوعر من عقابها . ولنا الامل الوطيد ان هذا المعهد العلمي يظل مشمولاً بعناية اولياء الامر وعلية رجال الوطن واهل النهضة من العلماء والادباء ليكون شمساً للعلم والدين والوطن تنبثق منهُ انوار الحقائق والتقوى والالفة ويخرج منهُ رجالٌ صحاح الوطنية يُعتمَد عليهم في تشييد دعائم المدنية ورفع لواء العلم والانسانية

ج * ه

من الملوم

من نظم حضرة الشاعر العصريّ نقولا افندي رزق الله

قد درسنا بكِ الحياة طويلا ... وعرفنا خفيَّها المجهولا

ورأينا الجمال زهراً على خدّ ... يكِ لكنهُ استحال ذبولا

وقفةً يا ابنة الهوى وأجيبي ... كيف صيرّتِ عِرضكِ المبذولا

وحماكِ المباحَ للناس طرًّا ... وهواكِ المضيَّع المرذولا

أذكرينا فاننا قد نسينا ... ذلك الوجه يوم كان خجولا

يوم كان الحيآء والحسن كلٌّ ... فيهِ يسبي قلوبنا والعقولا

كم تمنى تقبيل ثغركِ صبٌّ ... يومَ اذ كان يجهل التقبيلا

مَلَكاً يوم كنتِ جسماً وروحاً ... لابساً من عفافهِ اكليلا

بكِ قام القتال بين عدوّين ... فكان المفضَّلُ المخذولا

برز الأثم للعفاف فالقاهُ ... على ساحة الفجور قتيلا

كنتِ كالبدر طلعة وكمالاً ... صرتِ كالبدر نقصةً وأفولا

كنتِ كالغصن نضرةً واعتدالاً ... صرتِ كالغصن رقةً ونحولا

همُ قوم تبرّأوا منكِ في ان ... تئدَ الارض جسمكِ المهزولا

ايّ ذنبٍ جنيتهِ فجزاكِ الـ ... ـناسُ عنهُ ذاكِ الجزآء الثقيلا

ايُّ دآءٍ دهاكِ داووهُ بالاهمال ... مثل العليل داوى عليلا

هم اضلُّوكِ ثم قالوا برآءٌ ... نحن منها فهم اضلُّ سبيلا

ان يكن ذنبكِ الجهالة والفقر ... فعدّيهِ عذركِ المقبولا

كلهم مذنبٌ اليكِ وما لا ... قيتِ الا مضللاً وبخيلا

اويعدُّوا لكِ المحبة ذنباً فاسألي اللهَ عفوَهُ المأمولا
هفوةً للهوى هفوتِ ومرَّت ثم جرَّت عليكِ تلك الذيولا
لم ينل جانياً عقابٌ فظيعٌ كعقابٍ بهفوةٍ قد نيلا
أيها العادل الحكيم ترفق واتقِ الله في النسآء قليلا
إمنع الارض ان تدور ولا تمنع م فؤاداً الى الهوى أن يميلا
أيها الناس ذنبكم ذلك الذنبُ م فكونوا إذا حكمتم عُدولا
او فجودوا على الفتاة بما يحفظ م وجه الفتاة حرًّا جميلا
فضلُ مَنْ جادَ للفقير بمالٍ فضلُ من علَّم الغبيَّ الجهولا

اسئلة واجوبتها

القاهرة — وضع بعض الفلاسفة ناموساً دعوهُ ناموس الوراثة وقالوا انهُ بمقتضى هذا الناموس يتخلق البنون باخلاق آبآئهم ويتصفون بصفاتهم حميدةً كانت او ذميمة على اننا نرى خلاف ذلك في الواقع فكثيراً ما نشاهد آبآء صالحين يخلفون ابنآء اشراراً وبالعكس مع مساواة شروط التربية بين البنين فما قولكم في ذلك عزيز صاصي

الجواب — لايخفى ان الوراثة كما تكون من جانب الاب تكون من جانب الأمّ وهي تنتقل الى الابوين من جانب ابويهما ايضاً وهلمَّ جرًّا وربما كمنت في بعض الاعقاب فظهرت في الذي يليهِ كما نشاهد ذلك كثيراً في الخصائص الجسمية فالمسئلة اعضل مما يوهم ظاهرها كما يتبين لكم بادنى تأمل

آثار ادبيّة

المحيط — تقدم لنا ذكر هذه المجلة عند الكلام على المثال الذي صدر منها في شهر نوفمبر وقد انتهى الينا الجزء الاول منها ولدى مطالعته وجدناهُ حافلاً بالمقالات المفيدة في اغراضٍ شتى من علمية وادبية وادارية واجتماعية وصحية وفلسفية وتاريخية وانتقادية وغيرها وقد افرد فيها محلاًّ لذكر خلاصة ما في الجرائد والمجلات المصرية وآخر للتاريخ اليومي وغيرهُ للاسئلة والاقتراحات الى غير ذلك مما تشوق مطالعتهُ . فنثني على همة رصيفنا الفاضل واجتهادهِ ونرجو لمجلتهِ ما تستحقهُ من الاقبال والانتشار

السلام — وردنا العددان الاولان من جريدة بهذا العنوان تصدر في بوانس ايرس بقلم حضرة الاديبين وديع افندي شمعون وبولس افندي النحاس وقد تصفحناها فوجدناها تشتمل على عدة مقالات ونبذ شائقة من سياسية وتجارية واخبارية وغيرها وهي تصدر مرةً في الاسبوع وقيمة اشتراكها السنوي ٢٠ فرنكاً فنرجو لها مزيد الرواج

الثبات — هو عنوان مجلة علمية ادبية تهذيبية لصاحبها ومنشئها حضرة الاديب المجتهد ابرهيم افندي عبد الحميد تصدر مرتين في الشهر في ثماني صفحات كبيرة وقيمة اشتراكها ١٥ قرشاً صاغاً في القطر المصري و٦ فرنكات في الخارج . فنحض المطالعين على الاشتراك فيها تنشيطاً لهُ في خدمة العلم والادب ونرجو لها الانتشار والثبات

فكاهات

بعض الظن اثم [1]

في الجهة الشمالية من برلين وعلى مسافة بضعة اميال منها دسكرة صغيرة تبلغ مساحتها بضعة افدنة يمتلكها رجل من سراة الالمان يدعى البارون بلف وله فيها قصر جميل جداً تحيط بهِ على مسافةٍ منهُ بيوت صغيرة متشابهة البناء يسكن فيها العملة والمزارعون . وكان البارون بلف على جانب عظيم من الغنى وقد اكتفى من العالم بتلك البقعة فجعلها فردوساً ارضيّاً حوَّل بعضهُ الى غابات كثيفة للصيد وجعل البعض الآخر حدائق غنّاء وارض زراعةٍ تزيد قيمة ريعها عن احتياجات البارون ومملكتهِ هذه الصغيرة . غير ان هذه القرية انفردت بأمرٍ واحد لايشبهها فيهِ شيء من بلاد الله وهي انهُ لم يكن فيها احدٌ من جنس النساء لا كبيرة ولا صغيرة ولم يكن يسمح لاحداهنَّ ان تطأ بقدميها حدود تلك الارض . وكان السبب في ذلك البارون بلف نفسهُ فانهُ لما كان فتى توفي والداهُ وتركا لهُ لقباً شريفاً ومبالغ طائلة من المال واملاكاً واسعة فكان يدير اعمالهُ بنفسهِ بدقة وحزمٍ شديد فتضاعف دخلهُ واعتنى بعمارة تلك البقعة فخصصها لسكنهِ وسكن خدمهِ وعملتهِ . وأحب البارون فتاةً من الأُسر المتوسطة يقال لها اماليا يتيمة لا أب لها ولا أم وكانت تعلم في احدى المدارس فسلبت لبهُ بجمالها البديع الرائع وقدم لها قلبهُ ولكن الفتاة رأت انها ليست من مقام البارون فرفضت طلبهُ . فكان يلح عليها وهي مصرَّة على رفضها فيزيدهُ ذلك شغفاً بها وولوعاً ولما طال الحاحهُ قالت لهُ انني لست اهلاً ان اكون زوجةً لك فانك لو طلبت بنت اعظم انسان في المملكة لما مُنعت عنك . ولا انكر اني احبك حبّاً لا ينقص عن حبك لي ولكن نفس هذا الحب يدفعني الى ان لا القي بنفسي

---

(١) معرّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

على عاتقك ولا اتركك مضغةً في افواه الناس فيقولون انهُ تزوج بفتاةٍ ليست من مقامهِ . وكان كلام لماليا يفعل في صدر البارون فعل النار في الحطب ويزيد حبهُ استعارًا فقال لها انهُ لا يهمني العالم بأسرهِ فكيف اهتم بكلام بعض الحمقى وانا لست في حاجةٍ الى المال لاتزوج بغنية وانما انا في حاجةٍ الى قلبٍ طاهر ونفس شريفة ووداد اكيد وقد وجدت ضالتي فيكِ فلن احول عن عزمي . ولما رأت اماليا اصرار البارون على انفاذ مرامهِ قبلت اخيرًا فاقترنا واخذها الى قصرهِ المذكور وهو يرى انهُ قد نال اقصى امنيةٍ في الارض . ولما استراحت اماليا من عناء التدريس وقضت مدةً في تلك البقعة الجميلة تتمتع بهوآئها المنعش ومسراتها الطبيعية والقت عن عاتقيها هموم الحياة اخذ جسمها في الاعتدال فأشرق وجهها بشمس نضارة الشباب وتورد خداها وامتلأت اعضآؤها فكان يزداد جمالها يومًا عن يوم ويزيد حب البارون لها حتى لم يعد يقوى على مفارقتها دقيقة واحدة . وفي السنة الثانية من زواجهما وضعت لهُ غلامًا آيةً في الجمال وسمياهُ ليوبولد

ولما كانت السنة الرابعة لزواجهما لاحظ البارون لاول مرةٍ ان زوجتهُ تتنهد في بعض الاحيان تنهدًا يندفع من اعماق صدرها كأنها تتأسف على شيء ليس في استطاعتها الحصول عليهِ . وكان من شدة حبهِ لها قد اصبح يغار عليها حتى من خطرات النسيم فأجفل لما رأى منها ذلك التنهد العميق وجعل يبحث في ذاكرتهِ لعلهُ يراها محتاجة الى شيء لم ينلها اياهُ فوجد ان لديها ما لا تشتهي المزيد عليهِ وسألها هل في نفسها حاجة تروم ان يقضيها لها فشكرتهُ على ذلك وقالت كيف يمكن ان اكون في حاجةٍ الى شيء بعد كرمك هذا الذي اظهرتهُ لي . فكتم البارون الامر في نفسهِ وهو يود ان يعرف السبب الذي يحزن زوجتهُ فكان يلاحظ حركاتها بأشد انتباهًا من الاول فوجد ان تنهداتها كثيرة وانها اذا كانت معهُ تجتهد كثيرًا في اخفآء كمدها ومقابلتهِ بمنتهى البشاشة والسرور ولكنها كانت بعض الاحيان تتغلب عليها عواطفها الداخلية فتتنهد حسب عادتها ثم تمسح من مقلتها دمعة تترقرق في مآقيها . وفي ذات يوم دخل البارون الى غرفة زوجتهِ على غير انتظار منها وكان في

يدها رقعة تقرأها فلما شعرت بقدومهِ اخفت الرقعة في ثنايا ثوبها واستقبلتهُ كعادتها فطوَّق خصرها بذراعيهِ وهو يكاد يذوب أسى لما يراهُ في هيئتها من الانكسار والحزن ثم جلس وقال لها يا اماليا أليس عندكِ ما تقولينهُ لي . فألقت رأسها على صدرهِ وقالت ليس عندي سوى حبي الشديد لك وشكري العظيم لافضالك . قال لا اعني هذا يا منتهى املي وانما اراكِ تكتمين عني سرًّا خفيًّا فهل اعتقادي صحيح وهل انتِ ضعيفة الثقة بزوجكِ فلا تخبرينهُ بكل شيء . فتوقفت اماليا وقد صبغ الدم وجنتيها وأطرقت بعينيها حينًا الى الارض ثم رفعت نظرها الى وجه زوجها وقالت لا تسئ الظن بي يا حبيبي فانا بجملتي لك محافظةٌ على قسمي الذي اقسمتهُ امام الله ان اطيعك واكرمك واحبك واحيا لك . ولست انكر عليك انني احفظ في صدري سرًّا ولكنهُ ليس لي فلا يمكنني ان ابوح بهِ الآن فلا تقلق ايها الحبيب وتيقن ان هذا السر لا علاقة لهُ بحياتنا الزوجية وليس فيهِ شيءٌ يقف بينك و بين زوجتك الامينة . نعم انني اود جدًّا ان لا اكتم عنك شيئًا واراني تعِسة للغاية اذ اؤتمنتُ على هذا السرّ ولا يمكنني ان اطلع عليهِ اعزَّ شخصٍ لديّ في العالم بأسرهِ . فشعر البارون للحال بضبابةٍ كثيفة قد مرَّت امام عينيهِ وكأن خنجرًا وخزهُ في صدرهِ ولكنهُ حبس انفعالاتهِ فتبسم وقال لكِ ما ترغبينَ فيهِ يا حياتي بشرط ان تبقي امينة محبةً لزوجكِ الذي لا بغية لهُ في العالم سوى ان يعيش واياكِ بطهارة الحب وسعادة العيش . و بعد ذلك خرج واياها فركبا عربةً وذهبا يتنزهان وفي ضمير البارون قلق استحوذ عليهِ فلم يمكنهُ تسكينهُ مع اجتهادهِ في ذلك

وفي ذلك المسآء جلس الزوجان الى مائدة العشآء حسب عادتهما ولما فرغا من الطعام نظرت اماليا بادلال الى زوجها وقالت لهُ لم اطلب منك شيئًا خصوصيًّا حتى الآن ويعوزني مبلغٌ قليلٌ من المال فهل تريد ان تعطيني اياهُ . قال حبًّا وكرامة يا حبيبتي ولا ألذ عندي من سؤالكِ اياي شيئًا فما هو المبلغ الذي تحتاجين اليهِ . قالت لا احتاج الى مقدارٍ معين فالذي يوجد في جيبك الآن ويمكنك الاستغنآء عنهُ يكفي . فأخرج البارون من جيبهِ محفظةً واخذ منها اوراق بنكٍ بقيمة خمسين

ليرة فناولها لزوجتهِ قائلاً هل يكفيك هذا القليل يا حبيبتي . فكان جوابها بدموع الشكر وقد عانقت زوجها وتمتمت ببعض كلمات سمع نغمتها ولم يدرك حقيقتها . و بعد قليلٍ استأذنت اماليا في الذهاب الى غرفتها لتنام فأوصلها البارون اليها وعاد الى غرفتهِ وفي رأسهِ افكارٌ شتى . ولم يمكنهُ معرفة الداعي الى طلب زوجتهِ للدراهم وهي ذاهبة الى فراش النوم وخيَّل لهُ شيطان الغيرة طرقًا عديدة تتبعها بافكارهِ فأصابتهُ في رأسهِ حمى محرقة فاطفأ مصباحهُ ليخفف من حرارة الغرفة ولما لم يجدهِ ذلك نفعًا عمد الى نافذتهِ ففتحها وجلس امامها فهبَّ في وجههِ نسيمٌ بارد استروح اليهِ ولبث ثمة غائصًا في بحار من التأملات . ومضت عليهِ ساعاتٌ في تلك الحال وهو لا يشعر حتى قرع اذنيهِ صوت ساعة القصر تؤذن ببلوغ الساعة الحادية عشرة فانتبه الى نفسهِ وخشي ان تؤثر رطوبة الهوآء في صحتهِ فهمَّ بالدخول واغلق النافذة ولكنهُ لم يكد يفعل حتى رأى في طرف الحديقة نورًا ضعيفًا قد ظهر لحظةً ثم اختفى . فعاودتهُ هواجسهُ بشدةٍ اعظم وتأكد انهُ من المستحيل ان يكون النور من احد رجال قصرهِ أو عملتهِ وكلهم ينامون باكرًا فلا بد ان تكون هذه علامة بين شخص غريب وأحد سكان القصر ولبث واقفًا في مكانهِ ليرى ما يكون بعد ذلك . ومضت بضع دقائق ساد فيها سكوت عميق وظلمة مدلهمة خالها البارون دهرًا حتى داخلهُ الشك هل كان النور الذي رآهُ حقيقيًا أو مجرّد تخيلٍ منهُ . وانهُ لكذلك واذا بباب القصر قد فتح بمنتهى الهدوء والسكون وخرج منهُ شبحٌ أبيض وقف قليلاً ثم سار بسرعةٍ مسافة قصيرة واشعل عودًا من الثقاب واذا بوقع خطواتٍ ثم اقترب من منتصف الحديقة شبحٌ اسود بان على ذلك النور الضعيف انهُ رجل في عنفوان الشباب جميل الصورة حسن التركيب فما اقترب من الشبح الابيض حتى تعانقا عناقًا طويلاً ثم تبع ذلك حديث استمرّ وقتًا ما و بعد ذلك دفع الشبح الابيض الى الرجل شيئًا ملفوفًا في منديل وتعانق الاثنان وسار الرجل من حيث اتى واخفاهُ الظلام . اما الشبح الابيض فبقي واقفًا الى ان رأى النور الضعيف عند منتهى الحديقة كما ظهر في المرة الاولى فأدار ظهرهُ وعاد الى جهة القصر من حيث خرج فدخل الباب وعاد

القصر والحديقة الى سكونهما الاول

اما البارون فكان واقفاً ينظر وقد جحظت عيناهُ واعتُقل لسانهُ فكان كتمثال حجري لا يتحرّك حتى ان تنفسهُ كاد ينقطع ليمنع حركة جسمهِ . فلما دخل الشبح واغلق الباب عادت اليهِ قوتهُ الجسدية وشعر بلين عضلاتهِ فعاد الى غرفتهِ وخرج الى الرواق وكان فيهِ مصباحٌ كهربآئي فاختفى تحت ستارة احدى النوافذ وجعل يراقب الشبح القادم حتى اقترب فتبينهُ واذا بهِ نفس زوجتهِ الامينة اماليا . وكان هذه لم يكن في عملها ما يستوجب تبكيت ضميرها فسارت بقدم ثابتة وهي غير مبالية الى ان بلغت غرفتها فدخلتها واقفلت الباب ورآءها . فعاد البارون الى غرفتهِ وقضى بقية ليلتهِ يتخطر في الغرفة ذهاباً واياباً الى ان بزغت شمس الصباح . ولما اجتمع بزوجتهِ على مائدة الطعام رأى في وجهها علائم السرور فزادت غيرتهُ اتقاداً وكانت هي ملتهية بسرورها فلم تنتبه الى اصفرار وجههِ وشحوب لونهِ وسألتهُ هل هو باقٍ على وعدهِ لها بأن يرافقها في ذلك اليوم الى برلين لقضآء بعض الحاجات . فقال اراني منحرف المزاج يا عزيزتي فلا بأس من ذهابكِ وحدكِ وقد امرت الحوذي ان يكون مستعدًّا لخدمتكِ . ولم يخطر على بال تلك الزوجة ما اعدهُ لها الغيب فذهبت الى غرفتها وارتدت ملابسها ثم ودعت زوجها وركبت العربة فسارت وخيولها تنهب الارض نهباً . ولما بلغت برلين قصدت محلاًّ تباع فيهِ الجواهر وكانت قد اوصت صاحبهُ بصنع هديةٍ تقدمها الى زوجها في يوم عيد زواجهما فلما دخلت المحل ناداها الحوذي قائلاً تفضلي يا مولاتي باستلام هذا الكتاب فقد اعطاني اياهُ البارون وامرني ان اسلمكِ اياهُ متى بلغت اول محل. وما كادت اماليا تتناول الرسالة حتى انقلب الحوذي عائداً الى عربتهِ فألهب ظهر الجوادين بسوطهِ واخفى الغبار العربة فلم تعد تراها . فاستغربت هذا العمل غاية الاستغراب ووقفت حائرةً ثم انحازت الى جهة من المحل وفضت الرسالة فاذا فيها ما يأتي

« أيتها الخائنة

قد ضحيت حياتي وشرفي ومالي وما أملك على مذبح عبادتكِ ولم اطلب منك

الا ان تكوني امينةً في حقي وقد وعدتِني بذلك وكان وعدكِ كاذباً . اجل انكِ قد خنتِني يا اماليا وما كنت لاصدق ذلك لو اخبرني بهِ ملك من السماء ولكني رأيت بعيني فآمنت . فاذهبي ايتها الخائنة الى حيث تتبعكِ لعنتي فلا ترين بعد عملكِ هذا راحة ولا سروراً . اعتقد ان ليو بولدهو ولدي فسأبقيهِ معي يندب مسببة شقآئهِ واما الولد الثاني الذي ستضعينهُ قريباً فلا اريد ان اعرفهُ كما لا اريد ان اعرفكِ بعد الآن . اياكِ ان تطمعي في مقابلتي أو العود الى قصري فانكِ لا ترين الا ابواباً مقفلة في وجهكِ وانني من الآن سأطرد من قريتي كل انثى فأطهّر ارضي بأسرها من جرثومة الخيانة التي يولّدها جنسكِ البارون بلف »

وكانت اماليا تقرأ الرسالة وتعيد نظرها في كل كلمة لتتحقق هل هي في يقظةٍ وشعرت ان الارض تموج تحت قدميها ولكنها جهدت نفسها في امتلاك روعها وطلبت من صاحب المحل ان يجهز لها ما اوصتهُ بعملهِ واعطتهُ عنوان زوجها البارون ليرسلهُ اليهِ في اليوم الثاني . ثم خرجت بثبات جأش ورسوخ قدم فاستدعت مركبةً اقلتها الى فندقٍ صغير في بعض الاحيآء الحقيرة من المدينة ولما وصلت نقدت السائق اجرتهُ وا كترت غرفة دخلتها واغلقت بابها . وشعرت اذذاك لاول وهلةٍ بانفرادها و بالحالة التي هي فيها فألقت بنفسها على السرير واستخرطت في البكآء والانتحاب

اما البارون فلما عاد اليهِ الحوذي واخبرهُ بما فعل اصدر امرهُ الى جميع رجال قريتهِ انهُ لا يأذن لاحد منهم ان يدع زوجتهُ او ابنتهُ او اختهُ في القرية ثم استدعى خادمات القصر فصرفهنَّ ولم تغب شمس ذلك اليوم حتى لم تبقَ فتاةٌ ولا امرأةٌ في كل انحآء القرية . ومن العملة من لم يمكنهم ترك نسآئهم فاستعفوا من خدمة البارون ومنهم من فضل البقآء في شغل مولاهُ فنقل اهل بيتهِ الى بلدةٍ اخرى قريبة فكان يعمل كل ايام الاسبوع ويذهب في آخرهِ لقضآء يومٍ أو يومين مع اهل بيتهِ

ولبث البارون مدةً مشرد الفكر مفقود التسلية حزين النفس وهو يجتهد في ان يسرّي عن نفسهِ وكانت كراهتهُ الشديدة لجنس النسآء تزداد يوماً بعد يوم الى ان نسي اماليا تماماً ورأى في اشغال قريتهِ وتربية ابنهِ ما انساهُ الماضي بجملتهِ وكانت

قرينتهُ كما ذكرنا فردوساً أرضياً ولم يكن فيها اثرٌ لانثى

وبعد مضي نحو عشرين شهرًا من تاريخ هذه الحادثة استيقظ البارون في احد الايام باكرًا كعادتهِ فخرج الى الحديقة المحيطة بالقصر يتمشى فيها ريثما يقرب وقت الطعام . و بينما هو سائر بين خمائل الرياحين والازهار قرع اذنيهِ صوت بكآء طفل بالقرب منهُ فاستغرب الامر وسار الى جهة الصوت فرأى على بساط من الخضرة طفلاً ملفوفاً في ثياب رثة فظنهُ ابن احد الفقرآء عجز والداهُ عن تربيتهِ فطرحاهُ على مكارم البارون لما اشتهر عنهُ من فعل الخير . فادركتهُ عليهِ الشفقة وتقدم لينتشلهُ ولكنهُ حالما وقعت عينهُ عليهِ تحقق انهُ طفلة فاجفل من منظرها وابتعد عنها للحال ثم جعل يصيح بأعلى صوتهِ الى الخدم ان يدركوهُ . ولم يكن احد منهم بالقرب فلم يُستجب ندآؤهُ فهرول الى جهة القصر مناديًا وهو يلتفت الى ورآئهِ خوفاً ان تكون الطفلة قد تبعتهُ . ولما بلغ باب القصر استقبلهُ خادمٌ مسنٌّ يقال لهُ هرمن كان البارون يحبهُ جدًّا فقال لهُ البارون اذهب حالاً الى تلك البقعة فتجد فيها شيئاً فخذهُ بدون ابطآء وألقهِ في النهر او في النار او اين شئت بشرط ان يكون ذلك خارج تخومي . ولم يفهم الخادم ما هو ذلك الشيء ولكنهُ رأى من لهجة مولاهُ ما لا يسمح لهُ باطالة الحديث فبادر الى حيث امرهُ وسار البارون ورآءه على غير هدًى . ولما بلغ الخادم البقعة المشار اليها وجد الطفلة فادرك سبب ارتعاش مولاهُ فانحنى ورفعها بين ذراعيهِ وتفرس فيها فرأى فيها جمالاً وجاذبًا قويًا فضمها الى صدرهِ وكان لهذا الخادم ابنة من سن هذه الطفلة قد ماتت ووالدتها في يومٍ واحد فتذكرهما وتساقطت دموع الحزن على وجههِ . اما البارون فكان ينظر اليهِ وهو يعجب من ابطآئهِ في تنفيذ اوامرهِ فصاح بهِ قائلاً الا تزال واقفاً هنا اذهب وافعل كما امرتك . فقال الخادم انك اشتهرت يا مولاي بعمل الخير والاحسان والرأفة بالفقرآء فكيف تمحو كل اعمالك المجيدة الآن بقتل هذه النفس الطاهرة . فقال البارون لا نفس طاهرة لهذا الجنس ولا اجد خطيئةً في قتلها بل رحمةً بمن ربما يقع في اشراك شرّها اذا كبرت . فقال الخادم كلا يا مولاي فليس كل النسآء سوآءً ولكن طبائعهنّ تكون بحسب تربيتهنّ فانا

اضمن انهُ اذا اعتُني بتربية هذه الطفلة من الآن كما يجب تنشأ ملكاً طاهرًا افضل من كثيرين من جنسنا نحن الرجال . وكانت الطفلة كانها قد فهمت مدار الحديث فسكتت عن البكاء ونظرت الى البارون نظرة ذل وانكسار وهي كمجرمٍ ينظر الى القاضي مسترحمًا ان يرفق بهِ في حكمهِ . وفعلت نظرتها في قلب البارون فعل سهم حادٍ فادار ظهرهُ وقال للخادم استبقها ولكن اخرجها من املاكي وهبها لمن يريد ان يأخذها . فقال الخادم امرك مطاع يا مولاي لكن تأذن لي ان آخذها الآن الى منزلي وابقيها عندي الى ان اجد من يعتني بها في احدى القرى القريبة . قال لا لا هذه لا تبقى هنا ابدًا لكن تأخذها في هذه الساعة وتغيبها عن وجهي . قال اني هذا النهار سأسعى في البحث عمن يقبلها لكن الامر يقتضي مهلةً بحيث لا اسلمها الا الى من يحسن تربيتها على الخلال الحميدة والآداب الحسنة حتى لا يقع احد في شرك شرها اذا كبرت ... فتبسم البارون وقال لا بأس ابقها عندك ما شئت وان احببت ان تربيها انت فافعل لكن بشرط ان لا تدعني ارى وجهها ولا اسمع صوتها وان لا تستخدم انثى لتربيتها . ولما قال هذا عاد الى القصر وحمل الخادم الطفلة فوضعها في غرفتهِ وكان يعتني بها بحنوٍ لا مزيد عليهِ . ثم كرّت الايام ونسي البارون هذه الحادثة ايضاً كالحوادث التي سبقت وكان كل يوم يطوف بولدهِ ليوبولد في جميع انحاء القرية يشرفان على العملة واعمالهم فيرتبان المشروعات الجديدة ويبتكران الطرق المفيدة فكانت الاعمال جارية بمنتهى النظام والدقة

وبلغ ليوبولد السنة الرابعة عشرة فكان مثال ابيهِ في الصورة والكمال وحب الخير ومؤاساة المساكين وكان يجول بين المزارعين فيساعدهم في اعمالهم ويعين الضعفاء منهم ويفرق عليهم من المال الذي كان والدهُ يعطيهِ اياهُ لنفقتهِ الشخصية . وحدث يومًا انهُ مرّ باحد الفعلة الذين ينقلون الاحجار فرآهُ حاملاً حجرًا كبيرًا وهو يمشي متثاقلاً ودلائل السقم والهزال بادية على جسمهِ . فاقترب ليوبولد منهُ وقال أراك متعبًا يا هذا من حملك فهلاّ استرحت قليلاً . فنظر العامل الى ليوبولد وكان قد اخذتهُ الكلال والضعف فهوى ساقطًا الى الارض فتقدم ليوبولد بسرعة البرق ودفع الحجر الى

جانب كي لا يسقط على صدر العامل فيقتله ثم اخرج من جيبهِ زجاجة جرّعهُ منها قليلاً وجلس بجانبهِ يلاطفهُ ويخفف مصابهُ ثم قال لهُ ما اسمك يا صديقي . فقال الفاعل اسمي هرمن . فقال ليو بولد هل لك زمان طويل في خدمة ابي . فقال ابتدأت خدمتي هذه منذ تسع سنوات . فقال ليو بولد عجبًا فكيف لم أرك في كل هذه المدة مع اني اعرف جميع العملة الذين هنا . فقال هرمن اني كنت في المدة الماضية في في الجانب الآخر من القرية وكان عملي الاعتناء بالمواشي وتنظيف مراقدها فقلما كنت اخرج ولم يتفق ان تزور يا مولاي تلك الجهة لتراني . فقال هرمن ولكن ابي يدعو جميع العملة في القرية لتناول الطعام على مائدتهِ مرتين في السنة أفلم تأت في هذه الدعوات قط . فقال هرمن كلاّ لسوء حظي فانني كنت دائمًا أكون مريضًا في مثل تلك الاوقات فيتعذر مجيئي . فقال ليو بولد سأرى وكيل الاعمال وأعنفهُ لعدم ذكرهِ لنا ذلك في حينهِ فقد كان في امكاننا ان نرسل لك نصيبك . فقال هرمن اطلب اليك يا مولاي ان لا تفعل فان الوكيل كان رحيماً شفيقًا يعتني بي اعتناء الاخ باخيهِ . فقال ليو بولد ولماذا اذًا تركت عملك الاول المريح واخترت عليهِ نقل الاحجار الثقيلة واجهاد النفس . فقال هرمن وقد ظهر عليهِ الاضطراب شعرت بدنوّ اجلي فوددت ان يكون شغلي بقرب القصر لعلي ارى يومًا سيدي البارون او ابنهُ فطالما سمعت عن لطفهما وتولد فيَّ الشوق لان أراهما قبل مماتي . ثم تلجلج نطق هرمن وارتجفت شفتاهُ فلم يستطع الكلام بعد . واخذت ليو بولد الشفقة عليهِ فتناول من جيبهِ قبضةً من النقود فالقاها في يد الفاعل وامرهُ ان يستريح بقية يومهِ وعاد الى القصر

وفي اليوم الثاني ذهب ليو بولد حسب عادتهِ وهو يود ان يقابل هرمن فلم يجدهُ في محل شغلهِ وسأل عنهُ فقيل لهُ انهُ مصاب بحمى منعت خروجهُ من بيتهِ . فاستدل على محل اقامتهِ وذهب اليهِ ولما دخل ليو بولد الغرفة كان هرمن ملقىً على سريرهِ في غيبوبة الحمى وهو يقول اشكرك يا الهي فقد رأيت ولدي وملكت روعي فاسمح لي ان ارى زوجي ايضًا وقوِّني لاحتمل مقابلتهُ دون ان ينكشف امري . فاستغرب

ليوبولد هذا الكلام جدًا واقترب من سرير المريض فجثا بجانبهِ ووضع يدهُ اللطيفة على رأسهِ يجس حرارتهُ . وفتح هرمن عينيهِ فوقع نظرهُ على ليوبولد فامتعض في سريرهِ ثم هب من رقادهِ فطوّق عنق الفتى بذراعيهِ وجعل يذرف دموعًا سخينة وهو يقول آه ياولدي آه يا ولدي . فوقف ليوبولد حائرًا لا يفهم شيئًا من ذلك وكأن هرمن ندم على ما فرط منهُ فرجع الى سريرهِ واستخرط في البكآء . فلبث ليوبولد بجانبهِ يلاطفهُ ويطيب خاطرهُ الى ان افاق فسألهُ ايضاح ما سمعهُ منهُ فأبى وألح عليهِ الفتى فقال هرمن انني اطلعك على سرٍ خفيٍ جدًا اذا عاهدتني بشرفك ان لا تطلع احدًا عليهِ . فقال ليوبولد أقسم لك يا هرمن بحياة والدي وشرفهِ انني احفظ في صدري ما تفشيهِ لي وما كنت لأُلحَّ عليك في ذلك لولا ما سمعتهُ من كلماتك المتقطعة التي شغلت فكري . فاستوى هرمن في فراشهِ وقال ما كنت لابوح بقصتي لاحد غير انني اشعر بدنوّ اجلي ولا اريد ان يلعن ابني ذكر والدتهِ كما لعنها ابوهُ . ثم كشف عن صدرهِ وقال انظر يا ليوبولد فان الذي يكلمك ليس هو هرمن كما تعتقد بل هو امرأة واسمها اماليا وهي اماليا بلف . ولا اخجل ان اريك هذا الصدر فانهُ صدر والدتك الذي منهُ غُذيت وعليهِ ربيت . ثم رفعت ليوبولد بقوة غير مألوفة فاجلستهُ في حجرها وقبلتهُ مليًّا واخذت في تلاوة قصتها فقالت

توفي والدي وانا صغيرة وتركاني لعهدة اخٍ اكبر مني ولم يكن لدينا شيء من المال فدخل اخي في الجندية وكان ينفق علينا ما يحصلهُ بكدهِ واجتهادهِ ثم ارسلني الى مدرسة تلقيت فيها دروسي على نفقتهِ . وفي ذات يوم صدر امرٌ الى فرقتهِ ان تنتقل الى بلاد بعيدة فذاب قلب اخي اسى وتوسل الى قائدهِ ان يسمح لهُ بالبقآء لانهُ لا يمكنهُ تركي وحدي فلم يجب القائد طلبهُ واجبرهُ على الذهاب . ولما وجد أخي انهُ لا بد من اطاعتهِ الاوامر العسكرية وانهُ لا يقوى على فراقي وانا بدون ملجأ ولا مجير سافر مع الفرقة ثم هرب منها في اوائل الطريق وعاد الى برلين متخفيًا . ولما عُرف امر هربهِ اجتمع المجلس العسكري وقرر انهُ فارٌّ من الجندية فحكموا عليهِ بالاعدام وبثوا العيون والارصاد لالقآء القبض عليهِ . اما هو فكان يجيء اليَّ سرًا فيعلمني

بحاله ثم يذهب فيختفي بين الادغال في البراري . وفي اثناء ذلك توفقت الى التعليم في المدرسة التي تعلمت فيها فكنت أجمع اجرتي وادفعها لاخي كلما زارني مرةً الى ان اخبرني انهُ لم يعد يأمن على نفسه فودعني ولم أعد اراهُ . واتفق ان رآني البارون بلف وكان نصيبي ان اكون زوجتهُ فنلت عندهُ تمام السعادة وحصلت على أعظم نعمة يمكن الحصول عليها فلم يكن يهمني قط الا امر اخي وانا لا ادري ما حلَّ بهِ

وفي ذات يوم اتاني كتاب من اخي ولا ادري كيف وصل الى يدي يقول فيهِ انهُ عرف بما صرت اليهِ وقد سرَّ سرورًا عظيماً بالسعادة التي صادفتني وانهُ قد صار في امكانهِ ان يتركني ويود السفر والابتعاد عن المملكة الالمانية لانها اصبحت كلها عيونًا تترصدهُ ولكنهُ يعوزهُ مبلغ من المال وضرب لي موعدًا اقابلهُ فيهِ في تلك الليلة نفسها . ولم اتمكن من اعلام زوجي البارون بالامر مع الحاحهِ عليَّ بأن اخبرهُ بالاسباب التي توجب قلقي لاني خشيت ان يحصل لاخي مكروه . وقابلت في تلك الليلة اخي حسب الاتفاق في ظلام الليل عند باب القصر فقبَّلتهُ بشوق شديد ثم دفعت اليهِ مبلغًا من المال كنت طلبتهُ من البارون ثم ودعتهُ بحرارة وسار وكان ذلك آخر عهدي بهِ . وفي اليوم الثاني اتيت برلين لقضاء بعض الحاجات الخصوصية فما بلغت وجهتي حتى دفع اليَّ الحوذي كتابًا من البارون يطردني من بيتهِ ويحظر عليَّ العودة اليهِ ويمطر عليَّ اللعنة ويتهمني بالخيانة فانهُ ولا شك قد رآني في تلك الليلة اودّع اخي فظن بي سوءًا وكان ما كان . فآه آه لو اخبرني بظنونهِ أو لو بحت لهُ بسرّ أخي فانهُ لو كان أحد الامرين لما صادفني هذا الشقاء

ولما رأيت نفسي وحيدة في العالم وكنت حاملاً طلبت معونة الله وتوجهت الى فندقٍ اقمت فيهِ وكنت انفق من مبلغٍ كنت جمعتهُ لنفسي ولما نفد ما معي شرعت في بيع الجواهر والمصوغات التي كنت متحلية بها . و بعد اشهر قليلة وضعتُ ابنةً واجتهدت في تربيتها فما كادت تتمّ السنة الاولى حتى لم يعد عندي درهمٌ فرد واضطررت الى الخدمة لتحصيل معيشتي . ولما كان في وجود ابنتي ما يعوقني عن

ذلك لفقتها يوماً بأطمارها البالية واخذتها ليلاً الى ان بلغت قصر البارون فتركتها بين الاعشاب والرياحين ووقفت عن بعدٍ اراقبها واتضرّع الى الله ان يسهل لها من يعتني بها . ولما بزغ الصباح خرج البارون كعادته الى الحديقة واستوقفهُ بكآء الطفلة فمال اليها ولكنهُ ما تحقق انها ابنة حتى كاد يقتلهُ الغيظ وقدر الله حضور خادمهِ الخاص فاقنع مولاهُ واخذ الابنة ليربيها . اما انا فلا تسل عن انكسار قلبي مما شاهدت ولكنني حمدت الله لارسالهِ من يعتني بالطفلة وعدت بدون ان يعلم بي احد فقضيت اياماً في برلين خادمة في بعض البيوت ولكنني لم امتلك صبرًا على فقد ابنتي وكان الشقآء قد غير هيئتي فابتعت بما جمعتهُ من المال ثياب رجل وجئت الى هنا فعرضت نفسي على وكيل الاشغال وطلبت منهُ خدمة . ومع كل تخفيَّ عرفني الرجل انني امرأة وهمّ بطردي فأخبرتهُ بجلية امري ورقق الله قلبهُ فشفق عليَّ ولكنهُ اخفاني في الجهة القصوى من القرية فاكتفيت بذلك لعلمي انني وولديَّ في بقعة واحدة وانهما بخير . ومضى عليَّ الى الآن نحو تسع سنوات وانا في هذه الحالة حتى شعرت مؤخرًا بضعف قواي وانحلال عزائمي وخفت ان يباغتني الاجل فطلبت من الوكيل ان يقرّبني من القصر لاتزود نظرةً من زوجي الحبيب وابنيَّ قبل موتي . وبعد الحاحي الشديد اجاب طلبي وهو يخاف من افتضاح الامر الى ان رأيتك يا ولدي الحبيب امس وقدَّر الله ان اضم الى صدري الآن حشاشة كبدي واطلعهُ على سرّي

وكان ليوبولد يسمع والدموع تسيل من عينيهِ وهو كلما تفكر في شقآء والدتهِ يضمها اليهِ ويقبلها . فلما انتهت من الحديث قال لها مهلاً يا اماه فقد حملتِ عذاباً أوجبهُ سوء الظن وحكم القدر فلن تغيب شمس هذا النهار قبل ان تتضح الحقيقة ويأتي والدي اليكِ معتذرًا . فحاولت اماليا ان تحوّل ابنها عن عزمهِ فلم يسمع وتخلص منها فخرج وجعل يعدو الى جهة القصر . وكان قد حان وقت الغدآء فرأى والدهُ في انتظارهِ فجلسا وبينما هما على المائدة طلب ليوبولد من والدهِ ان يقص عليهِ تاريخ حياتهِ وكيفية زواجهِ فقطب الوالد حاجبيهِ فبادرهُ ليوبولد قائلاً انك وعدتني بذلك مرارًا يا ابتاهُ وقد حان ان تفي بوعدك . فأخذ البارون يقص على ابنهِ الحادثة كما

جرت ولما انتهى قال ولا يزال هذا العاشق يراسل تلك الخائنة الى الآن فقد ورد لها منذ غيابها ثلاث رسائل لا اظن غيرهُ كاتبها . فقال ليوبولد وهل فتحت الرسائل يا ابتاه وهل عرفت العاشق . قال كلا لاني اخاف ان يكون من معارفي فلا اضمن ان اميتهُ في ساعة غيظ . فقال ليوبولد ولعل من تدعوهُ عاشقاً كان اخاً او اباً لتلك المسكينة . فقال البارون وقد اتسعت حدقتاهُ انها كانت يتيمة يا ليوبولد ولم يكن لها اهل . فقال ليوبولد يسهل علينا معرفة ذلك اذا فتحت احدى هذه الرسائل . وكأن البارون قد فتحت عيناهُ فنهض ساكتاً الى خزانته واخرج منها الرسائل ثم عاد وفتح احداها فتلاها صامتاً وما كاد ينتهي من قرآءتها حتى وقف كالمجنون وصاح آه ما اشقاني فقد هدمت سعادتي بيدي . نعم ان ما ظننتهُ في زوجتي خيانة لم يكن الاّ حبّاً اخويّاً وتلك القبلة التي ظننتها قبلة عاشق لم تكن الا قبلة اخٍ لاختهِ فآه ما اتعسني ومن اين لي ان اعرف مقرّ ذلك الملاك الطاهر فأجثو تحت قدميها طالباً العفو والسماح

ورأى ليوبولد التأثر الشديد على وجه والدهِ فأطلعهُ على الامر كما وقف عليهِ ولم يكد ينهي قصتهُ حتى خرج البارون مهرولاً وسار ليوبولد معهُ الى ان بلغا البيت الذي كانت اماليا فيهِ وما وقع نظر البارون عليها حتى ألقى نفسهُ بجانب سريرها وصاح العفو يا حبيبتي العفو يا ملكي الحارس ثم خنقتهُ العبرات

وعادت الامور الى أحسن ما كانت عليهِ بين البارون وزوجتهِ وقد عادا بولديهما الى حياة السعادة والسرور والغى البارون لمرهُ الاول فأذن لخدمهِ ان يحضروا عيالهم ونساءهم الى القرية كما كانت من قبل . وكتبت اماليا الى اخيها فوجدت انهُ يقيم في الاقطار الاميركية وقد حسنت تجارتهُ وأصبح ذا ثروة واسعة فعاد اليها سرورها من كل وجهٍ ولا سيما باجتماعها بولديها وزوجها وقد نفى من قلبهِ كل غيرة فكان لا يهمهُ سوى ملاطفة ولديهِ وزوجتهِ وتجديد اعتذارهِ اليها يوميّاً ليكفّر عن حياة الشقآء التي قضتها بعد ان طردها من قصرهِ

المرجان

المراد بالمرجان هذه المادّة الحمرآء التي يتخذ منها الخَرَز وغيرهُ [1] وهو من عجائب الخلق يتولد في البحر على شكل نباتٍ ذي ساقٍ وفروعٍ ولكنهُ اذا كُشف عن جوهرهِ كان شبيهاً بجوهر الحجر . ولذلك اشكل امرهُ على متقدمي العلمآء فمنهم من عدّهُ ضرباً من المعدن وهو ما يستفاد من صنيع ارسطو فيما نقل عنهُ القزويني فانهُ ذكرهُ في جملة الحجارة وسماهُ بحجر المرجان . ومنهم من عدهُ نوعاً من النبات مثل تُورْنفُور ومَرْسِيجْلِي وغيرهما من علمآء القرن السابع عشر لانهم رأوهُ ينمو ويتفرع كالنبات . لكن الذي ثبت اخيراً انهُ صنع حيوانٍ صغيرٍ من الحيوانات القشرية وهو ما حققهُ پِيسُونِّيل في جزائر الانتيل سنة ١٧٥٦ وعليهِ جمهور العلمآء المعاصرين

وقد ذكروا من امرِ هذا الحيوان انهُ يمتصّ الموادّ الكلسية المنحلة في مياهِ البحر ثم يفرزها فتكون مسكناً لهُ . وهو يعيش مجتمعاً في مواضع من حضيض البحر ويبني مساكنهُ متلاحمة على شكلٍ مستديرٍ فيتألف منها اولاً قاعدةٌ متسعة لاصقة بالصخر ثم تستدقّ وترتفع شيئاً فشيئاً وينشأ لها

---

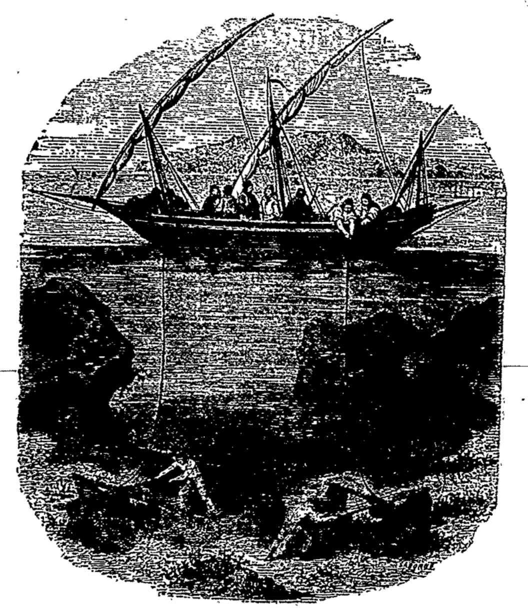
(١) المشهور عند اللغويين ان المرجان صغار اللؤلؤ وبهِ فسروا قولهُ في سورة الرحمن يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان . قال في تاج العروس وقال بعضهم المرجان البُسَّذ وهو جوهرٌ احمر وفي تهذيب الاسمآء واللغات * المرجان * فسرهُ الواحدي بعظام اللؤلؤ وابو الهيثم بصغارها وآخرون بخرزٍ احمر وهو قول ابن مسعود وهو المشهور في عرف الناس . اه . وهو ماجرى عليهِ الزمخشري والخفاجي والقزويني وابن البيطار وغيرهم من ائمة اللغة وعلمآء الطبائع

فروعٌ اشبه بفروع الشجر ويبلغ طولها من ٥٠ الى ٦٠ سنتيمتراً في غلظ ٣ او ٤ سنتيمترات . ومتى اقتُلعت شجرتهُ من البحر وُجدت مكسوَّةً بقشرةٍ غشآئية رخوة غبرآء اللون اذا جُففت كانت طباشيرية القوام سهلة التفتت . ويُرَى على ظاهر هذه القشرة اشباه براعم أو أُبَن جوفآء هي التي يكون فيها الحيوان المذكور وهو يعيش في باطن هذه البراعم على حد ما يعيش الحلَزُون في الصَدَف ولا يبدو منها الا فمهُ وهو بشكل انبوبٍ دقيق يتفرع منهُ ثماني زوائد خرطومية بيضآء هرَمية الشكل تظهر تحت المجهر مهدَّبة الاطراف وهي التي تراها على الفروع في الرسم امامك . وهذه الزوائد تزيد المرجان قرباً من منظر النبات فيظهر للرآئي اشبه بشجرةٍ صغيرة ذات فروع وازهار ولكنها عارية من الورق

والقشرة المذكورة جوفآء في الاصل لكن يتخلل بنآءها اوعيةٌ دقيقة تفضي الى سطحها الباطن تنفذ منها الفضلات الكلسية التي يفرزها الحيوان الى جوف القشرة فترسب شيئاً فشيئاً وتتصلب على توالي الايام الى ان يتألف منها محورٌ صلب يستبطن الساق والفروع هو المرجان . واما اللون الاحمر الناصع الذي تتلون بهِ فالظاهر انهُ ناشئٌ عن وجود شيءٍ من اكاسيد الحديد مخالطٍ للمادَّة المفرزة وهو يختلف تبعاً لمقدار الاكسيد المذكور فيها فيتدرج من حمرة الدم الى البياض الخالص

اما كيفية صيد المرجان فيتَّخذ صليبٌ كبير من الخشب متساوي الاعضاد ويُشَدّ في طرف كل عَضُدٍ شبكة متينة على شكل كيسٍ ويركب

ثمانية رجال من الغواصين زورقاً ويبعدون عن الشاطئ حتى يصيروا فوق مَنابت المرجان فيربطون في وسط الصليب حجراً ثقيلاً ويرسلونهُ بحبل متين فيغوص الى درك البحر وينزل احد الغواصين معهُ فيأخذ باعضاد الصليب ويدفعها الواحدة بعد الاخرى الى جهاتٍ مختلفة حتى ينشب المرجان



في الشباك فاذا مضى على ذلك نحو نصف دقيقة يجذب الرجال الباقون في الزورق الحبل بشدةٍ ويرفعون الصليب والرجل الى الزورق وما خرج لهم يحملونهُ الى مدينة ليڤورنا من ايطاليا فيباع بعضهُ بحالهِ وينحت البعض الآخر في معامل مخصوصة . وفي هذه المدينة اربعة معامل كبيرة خلا المعامل

الصغرى في كل واحدٍ منها من ٢٥٠ الى ٣٠٠ عاملة فيرتزق من هذه الحرفة ما لا يقل عن الف امرأة . والظاهر ان هذه الطريقة في صيدهِ قديمة جدًّا فقد وصفها ياقوت بما يقرب مما ذكرهنا وذلك في كلامهِ على مرسَى الخرَز بافريقيا وهو مغاصٌ قديم لهذا النوع من الجوهر ولعلهُ هو الذي يسميهِ الفرنسيس بالكالّ عند شواطئ قُسَنْطِينة من بلاد الجزائر

وللمرجان مغاوص أُخر اشهرها في مرفأ مسّينا وشواطئ سردينيا وفي خوَرليون من فرنسا ومرجان هذه الناحية مشهور بحسن لونهِ . على ان المرجان يوجد في اكثر شواطئ البحر الرومي قيل وهو في الشواطئ الجنوبية من اوربا انضر الواناً وفي الشواطئ الشمالية من افريقيا اكبر حجماً

ومعظم تجارة المرجان مع اهل الهند ومن يجاورهم لانهُ لا يوجد في شواطئهم وهم يغالون بهِ ويؤثرونهُ على افخر ما يخرج في نواحيهم من اللآلئ وبعكسهم اهل اوربا فانهم يفضلون عليهِ اصغر اللآلئ . ويكثر التحلي بهِ عند الامم السود والسمر فان الاغنياء منهم يكثرون من الالماس واللؤلؤ على الملابس والعصائب ونحوها واما الاساور والقلائد من الحلى التي تباشر الجلد فيختارون ان تكون من المرجان لانهُ ليس من ذوات الالوان المشرقة فلا تكون سبباً في زيادة ظهور السواد . وقد روى بعض السيّاح ان احد امرآء مدغشكر كانت عندهُ جاريةٌ فارهة من الزنج بذل لهُ فيها احد تجار الرقيق مئتي قرش فابى واعطاها لاحد الضباط الفرنسيس بعقدٍ من المرجان لا يسوى اكثر من نصف هذا الثمن

واعجب ما في هذا الحيوان الصغير انك اذا تفقدت جزُر البحار وجدت

جانباً كبيراً منها من صنعهِ . وهو انواعٌ كثيرة تُعَدّ بالمئات يُطلَق عليها كلها حيوان المرجان وان كان تعريفهُ لا يصدق الا على انواعٍ قليلة منها لا تتجاوز فيما ذكروا ستة انواع . وكلها عاملة تتناول على الدوام الموادّ الكلسية والطباشيرية المنحلّة في البحار وتحولها الى مواد غير منحلّة ثم تفرزها فيجتمع عنها على كثرتها وعلى توالي الايام مقادير هائلة تمتد على مساحة الوف كثيرة من الكيلومترات المربعة . وقد احصى بعضهم الجزائر المرجانية في الپاسيفيك فبلغت ٢٩٠ جزيرة تقدَّر مساحتها جميعاً بخمسين الف كيلومتر مربع وهي نحو ثمن الاراضي القائمة فوق هذا البحر او ما يقرب من ثمن مساحة القطر المصري . واما الجزائر الصغرى التي اصلها من المرجان فهي كثيرةٌ جدًّا وقد عُدَّ منها في الارخبيل المسمى بالملديف اثنا عشر الف جزيرة بعضٌ منها مأهولٌ بالسكان وسنعود الى ذكر جزائر المرجان في غير هذا الموضع ان شاء الله

الوان الحرير الطبيعية
وكيفية تلوينهِ

من بديع ما وقفنا عليهِ في احدى المجلات العلمية الفرنسوية اكتشافٌ للمسيو لُڤرآ والمسيو كُنْت وهما من المشتغلين بتربية دود الحرير ومعالجتهِ بالطرق العلمية فرأينا ان ننقل ذلك الاكتشاف الى قرآء الضياء لما فيهِ من الفائدة والغرابة قالت

لا يخفى ان الحرير عند ما يخرج من جوف الدود يكون اما اصفر

او اخضر او لا لون لهُ والمعروف الى اليوم ان هذا الاختلاف مسببٌ عن اختلاف اصناف الدود بحيث ان كل صنفٍ منهُ مخصوصٌ بلون . غير ان هذا ليس بالتعليل الذي يُظهر سبب هذا الاختلاف ولكن لا بد هناك من سبب آخر في الحرير نفسهِ بهِ يختلف لون بعضهِ عن بعض وهذا ما عُني بالكشف عنهُ العالمان المشار اليهما في صدر هذه المقالة

وقد تبين لهما بعد عدة اختبارات ان الوان الحرير تستفاد من الغذآء الذي يربى عليهِ الدود فتكون المادّة الملوّنة اولا في القناة المِعَوية ثم تمرّ منها الى الدم ومن هناك تنتقل الى المادة الحريرية . وعليهِ فمن الممكن ان يُتوصل الى تلوين الحرير بكل لونٍ يراد تلويناً طبيعيًّا

وبعد ما ثبت لهما ذلك اخذا يمتحنان المواد التي يمكن استخدامها لهذا الغرض فكان في جملة ما امتحناهُ مادّتان ملوّنتان احداهما للاحمر وهي التُّوْلُوِيلاّن والاخرى للازرق وهي المَتيلاّن . فقسما الدود الى فئتين ثم عمدا الى ورق صنفٍ من الحنّآء فطلياهُ بمحلول التولويلان ووضعاهُ امام احدى الفئتين فلم تمتنع من اكلهِ وبعد ان تناولت منهُ جانباً ظهر على جسمها احمرارٌ مُشبَع مما دلّ على وجود المادّة المذكورة دائرةً في دمها . ثم استعملا ازرق المتيلان كذلك ووضعا الورق المطليّ بهِ امام الفئة الثانية فلم تلبث بعد اكلهِ ان ظهر عليها اللون الازرق

وبعد ذلك امتحنا المسئلة من وجهٍ آخر فطليا الورق بمحلول الحامض البِكريك ووضعاهُ امام فئة اخرى من الدود وبعد اكلهِ لم يبدُ على ظاهرها شيء من الالوان . واخيراً عند ما اتمت كل فئةٍ منها صنع حريرها

كان نسيج الاولى احمر ونسيج الثانية ازرق ونسيج الثالثة لا لون لهُ

ثم اعادا هذا الامتحان على فئتين اخريين من الدود احداهما من الصنف الذي يصنع الحرير الاصفر والاخرى من الذي يصنع الحرير الابيض فعالجاهما بالمادة الملوّنة بالحمرة فخرج حرير الاولى نارنجيًّا اي ممزوجاً من الاحمر والاصفر وحرير الاخرى ورديًّا. وفيما قررا ان اللون يكون اشد اشباعاً كلما طالت مدة اعطآء المادة الملونة وعلى هذا فيمكن ان يدرَّج كل واحدٍ من الالوان درجاتٍ شتى تبعاً لطول تلك المدة وقصرها

ومن هذه الامتحانات كلها توصلا الى معرفة السبب في تلوُّن الحرير عادةً بالصفرة او الخضرة ولتحقيق ذلك اخذا شيئاً من الحرير الملوَّن بهذين اللونين وبذرائع كيماوية انتزعا منهُ المادة الملونة فوجدا ان المادة الخضرآء هي نفس المادة المسماة بالكلوروفيل التي هي سبب الخضرة في النبات والمادة الصفرآء هي نفس المادة الدائرة في ورق التوت الذي يغتذي بهِ الدود عادةً . قال كاتب المقالة لكن يبقى هنا ان يقال اذا كان الامر على ما ذكر فكيف يتناول بعض الدود من الورق اللون الاخضر وبعضهُ اللون الاصفر ويبقى بعضهُ بلا لون . والظاهر ان السبب في ذلك طبيعة كل واحدٍ من اصناف الدود المذكورة وما فيهِ من القبول لامتصاص بعض المواد دون بعض تبعاً لسُلالتهِ وللبيئة التي نُقل منها في اصلهِ . على ان هذا قد لا يستغني تحقيقهُ عن امتحاناتٍ أُخر هما آخذان فيها لكن كل ما ذُكر الى هنا لا ريب فيهِ . انتهى تحصيلاً

مَسَمِّيَّة الجدران

المراد بالمَسَمِّيَّة كون الجسم ذا مسامّ اي منافذ دقيقة ومعلومٌ ان المسميّة صفةٌ عامَّةٌ في الاجسام الا انها تكون في بعضها اظهر من بعض كما في الاسفنج والخشب وبعض الحجارة والانسجة العضوية وغيرها . وهي على كل حال ليست ذات طبيعةٍ واحدة فان مسامّ الاسفنج وما اشبههُ ليست الا فُرَجاً تبقى بين الالياف التي يتركب منها الجسم وبخلافها مسامّ الحديد ونحوهِ من المعادن فانها فُسَحٌ طبيعية تتخلل دقائقهُ وهي ضروريةٌ في بنآئهِ الا انها تختلف سعةً وضيقاً تبعاً لتركُّب الدقائق بعضها مع بعض مما ليس هنا محلّ الافاضة فيهِ

ثم لا يخفى ان الهوآء كسائر السائلات يطلب الاتّزان لتوازن الجذب المركزيّ على جميع اجزآئهِ بالسوآء فاذا خفّ جانبٌ منهُ انصرف اليهِ شيءٌ مما يجاورهُ حتى تتعادل كثافتهُ وهذا هو السبب في حركة الرياح على ما هو مشهور . وعلى ذلك فاذا وُجد بين الهوآءين فاصل فان كان لا منفذ فيهِ البتة لبث كلٌّ منهما على كثافتهِ والا حصل بينهما تداخل بقدر ما يمكن افضآء احدهما الى الآخر . وهذا كما اذا وُضع انآءان احدهما ضمن الآخر وجُعِل في احدهما لبن وفي الآخر مآء فاذا كان كلاهما من الزجاج مثلاً لم يختلط احد السائلين بالآخر وان كان الداخل من خشب او من خزفٍ غير مدهون لم يلبث اللبن ان يرشح شيءٌ منهُ الى المآء ويدخلهُ من المآء بقدر ما نقص منهُ الى ان يتعادلا ولو بعد حين وقد سبق لنا شيءٌ من مثل هذا البحث من عهدٍ قريب

اذا تقرر ذلك امكن الحكم منهُ بان جدران المنازل مهما كانت ثخينةً او مُصَمتة لا تمنع دخول الهوآء من الخارج ولا خروجهُ من الداخل لانها لا تخلو من المسمية ولاسيما اذا كانت مبنيةمن موادّ متخلخلة بل قد تحقق بعضهم انهُ فضلاً عن دخول الهوآء من خلل الجدران قد يدخل معهُ شيءٌ من الغبار وما يتخللهُ من الجراثيم الحية . واكثر ما يكون ذلك عند اختلاف درجة الحرارة بين داخل البنآء وخارجهِ فانهُ كلما ازدادت الحرارة في الداخل تمدد الهوآء وطلب الخروج فاذا لم يجد منفذاً من باب او نحوهِ خرج من مسامّ الجدران ثم يدخل غيرهُ من الخارج لتعديل كثافتهِ على ما سبق بيانهُ

وقد بحث احد علمآء الطبيعيات من الالمان عن مقدار الهوآء الذي ينفذ جدران غُرفةٍ مغلقة فوجد انهُ في الغُرَف ذات الجدران القليلة المَسمّية يدخل منهُ في الساعة ما يعدل ٨ في المئة من موسوع الغرفة وذلك مع فرق درجة واحدة بين حرارة داخل الغرفة وخارجها وعليهِ فاذا كان الفرق بين الحرارتين ١٣° يتجدد كل هوآء الغرفة في ساعة

وامتحن ذلك غيرهُ بان عمد الى غرفةٍ خالية فقدَّر في مدة ساعةٍ فساعة كمية ما فيها من الحامض الكربونيك لان تناقص كمية الحامض المذكور اظهر دلالةً على مقدار التجدد الذي يحدث في هوآء الغرفة . فتبين لهُ ان غرفةً مساحة باطنها ٦٠ متراً مكعباً وجدرانها مغشاة بالورق يكون مقدار التجدد في هوآئها ٠٢٥، في الساعة مع فرق درجة واحدة بين حرارتها وحرارة الهوآء الخارجي . واذا كانت جدرانها مطليةً بالزيت يهبط هذا المقدار الى ٠١٧، واذا كانت مبيَضةً بالكلس يرتفع الى ٠٥٣، ومع ان هذه

الارقام اقل كثيراً مما سبق لان معظمها لا يكاد يتعدى ٥ في المئة فاذا كان الفرق بين حرارة الداخل وحرارة الخارج ١٠ درجات لزم ان كل هواء الغرفة يتجدد في ساعتين والله اعلم

مواعيد قطع الخشب

ظهر من التجارب المتواترة أن لزمن قطع الخشب من الارض تأثيراً في متانته ومدته وسلامته من العوارض وذلك بين ان يقطع في استقبال زمن الشتاء او بعده اي في اوائل شهر دسمبر او في اواخر شهر مارس . ومن الاختبارات في ذلك أنهم اختاروا اربع شجرات من الصنوبر ذات عمر واحد وقد نبتت في احوال واحدة وفي ارض واحدة فقطعت احداها في آخر شهر دسمبر والثانية في آخر يناير والثالثة في آخر فبراير والرابعة في آخر مارس ثم نحتت وربعت تربيعاً واحداً وجففت في احوال واحدة . ولما تم جفافها وضعت بين جدارين يمسكانها من اطرافها على بعد متساو ثم حملت كل واحدة منها المقدار الذي تحتمله من الوسط فكانت نسبة محمول بعضها الى بعض على ترتيبها المذكور كنسبة ١٠٠ الى ٨٨ ثم ٨٠ ثم ٦٢ . فظهر ان اقواها احتمالاً التي قطعت في دسمبر ثم تضعيف تدريجاً الى التي قطعت في مارس

ثم عمدوا الى اختبار صلابة الخشب وصبره على العوارض الطبيعية فقطعوا اوتاداً متماثلة من شجرات قد قطع بعضها في دسمبر و بعضها فيما يليه الى مارس وغرزوها في ارض واحدة ذات احوال واحدة و بعد ذلك

اخذوا يتفقدون متانتها حيناً بعد آخر فوجدوا الاولى لا تزال على قوّتها بعد ان أتى عليها ١٦ سنة والبواقي قد انخرت وتناولها البلى في آجالٍ قريبة فانكسرت عند اقل تحامل بعد ثلاث او اربع سنين

ثم عدلوا الى وجهٍ آخر من الاختبار فاختاروا اربع شجراتٍ من السنديان من اقرب ما يكون شبهاً ووضعوها في احوالٍ متشابهة بعد ان قطعوا بعضها في آخر دسمبر وبعضها في اواخر الاشهر التالية الى مارس ثم قطعوا من كل واحدةٍ منها قرصاً وجعلوا الاقراص كلها ذات ثخانةٍ واحدة وقطرٍ واحد وطوّقوا كل واحد منها بإطارٍ من حديد يرتفع الى حدٍّ معيَّن ثم ملأُوا داخل الاطواق مآءً الى اعلاها . وبعد ان تركوها كذلك مدةً وجدوا ان القرص المأخوذ من الشجرة المقطوعة في دسمبر لم يرشح منهُ شيءٌ من المآء والبواقي سرب منها المآء في اوقاتٍ متفاوتة فالذي قُطعت شجرتهُ في يناير رشح بعد ثمانٍ واربعين ساعة والذي يليهِ رشح قبل تمام اليوم الثاني والاخير رشح بعد ساعتين

ومن امتحاناتهم في ذلك انهم قطعوا شجرتي سنديان متماثلتين احداهما في آخر دسمبر والاخرى في آخر يناير واتخذوا من كلٍّ منهما برميلاً يسع نحو مئتي لتر وملأُوهما في وقتٍ واحد من خمرٍ واحدة وبعد سنة وجدوا ان الاول قد نقص منهُ اربعة اعشار اللتر والآخر نقص منهُ ٧ ألتار وعشران

فوضح من ذلك كلهِ ان افضل الخشب واصلبهُ وابقاهُ ما قُطع في اوائل الشتآء ثم يضعف كلما تأخر قطعهُ الى ما بعد الشتآء وبالتالي تبين ان الخشب المقطوع من اكتوبر الى ابريل ابقى من الخشب المقطوع من ابريل

الى اكتوبر وافضل في كثيرٍ من ضروب الاستعمال

قالوا والعلة في هذا الفرق ان الخشب المقطوع في فصل الشتآء يتضمن في خلاياهُ دقائق من النشآء لا توجد في الخشب المقطوع في الصيف وهذا النشآء يصلّد الخشب اي يمنع نفوذ المآء لهُ بعض المنع ويؤخر اسراع البلى اليهِ . ولكي يُعرَف في اي فصل قُطع الخشب يُمدّ على مقطعهِ قليلٌ من محلول اليود بشرط ان يكون قطعهُ من ذلك الموضع من عهدٍ قريب فان بقي على لونهِ الطبيعي ولكن تقوَّى لونهُ باليود عُلم انهُ مما قطع في الصيف وان تلوَّن بلون بنفسجي فهو مما قُطع في الشتآء . وسببهُ ان اليود يفعل على النشآء فعلاً منعكساً فيلونهُ بالبنفسجي ولذلك يتلون بهِ خشب الشتآء وبخلافهِ الخشب الصيفي فانهُ لا يتغير لونهُ لعدم وجود النشآء فيهِ والله اعلم

دير سمعان والاب لويس شيخو

لاحد ادبآء حمص

ذكر الاب لويس شيخو اليسوعي في كتابهِ مجاني الادب (الجزء الرابع ص ٣١٦) ان الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز توفي بدير سمعان . وقد دعاني حب الاستطلاع الى البحث عما يقولهُ حضرة الاب العلامة عن موقع هذا الدير وتاريخهِ . فتناولت المجلد الثاني من حواشي مجاني الادب وقلّبت صحائفهُ علّي افوز بمأربي فاذا صاحبهُ المحقق يقول في صفحة ٦٨١ منهُ ما يأتي : « (دير سمعان) مرّ ذكرهُ في الجزء الاول من المجاني صفحة ١١٨ وصفحة ٦٢٨ من الحواشي » . ففتحت صفحة ٦٢٨ من الحواشي فلم اجد

فيها ذكراً لدير سمعان وعلمت ان حضرة الاب يُريد صفحة غيرها ولكنهُ غلط في الاشارةِ اليها فازداد الامر بهديهِ اشكالاً وابهاماً .... ثم تناولت الجزء الاول من المجاني وفتحت صفحة ١١٨ منهُ واذا فيها

« دير سمعان : دير بناحية دمشق في موضع نزهٍ محدقة بهِ البساتين والدور والقصور . وكان فيهِ حبيس مشهور منقطع عن الخلق جدًّا . وكان يخرج رأسهُ من كوَّةٍ في كل سنة يوماً معلوماً فكل مَن وقع عليهِ بصرهُ من المرضى والزمنى عوفي . فسمع بهِ ابراهيم بن ادهم فذهب اليهِ حتى يشاهد ذلك . قال رأيت عند الدير خلقاً كثيراً من الواقفين حذآء تلك الكوّة يترقبون خروج رأس الحبيس . فلما كان ذلك اليوم اخرج رأسهُ ونظر اليهم يميناً وشمالاً فكل من وقع نظرهُ عليهِ قام سليماً معافى (للقزويني) » انتهى . ولم أُنهِ قرآءة هذه القصة حتى شعرت بشطط المؤلف عن الصواب وجهلهِ موقع دير سمعان الذي توفي فيه الخليفة وأحببتُ معرفة ما يقولهُ بشأن الحبيس الذي ذُكر ومن هو ففتحت الشرح واذا فيهِ صفحة ٧٤ ما يأتي :

« (وكان فيه حبيس مشهور) اننا نظن ان هذا الحبيس هو القديس سمعان العمودي نُسب الدير اليهِ . وُلد في سيسان قرية من نواحي سورية سنة ٣٦٠ ولشدة ارتياحهِ للتقشف والاماتة رقي الى عمود كان علوهُ ثلاثين ذراعاً عليهِ قضى نيف وثمانين سنة واقفاً فجرت على يدهِ المعجزات ... وكانت وفاتهُ سنة ٤٦٠ م » . انتهى . وعندما قرأت هذا تحققت ان حضرة الاب يخبط في كلامهِ على غير هدى ويجمع بين المتناقضات شأنهُ في الابحاث التاريخية واليك البرهان على ذلك :

روى ثقات المؤرخين ان الخليفة عمر بن عبد العزيز توفي في دير سمعان اما موقع هذا الدير فقد ذكر بعضهم انهُ بارض حمص (راجع العقد الفريد لابن عبد ربهِ (الجزء ٢ : ٢٦٤) وتاريخ الاسحاقي (ص ٥١) وتحفة الناظرين المطبوع بهامش الاسحاقي (ص ٧٤) والروض الفائق (ص ١٤٤) وصنّاجة الطرب (ص ٤٤٩) . وقد روى ابو الفداء عن القاضي جمال الدين بن واصل وعنهما نقل ابن الوردي ما جاء في تاريخهِ (طبعة مصر ١ : ١٨١) وهو قولهُ « الظاهر ان دير سمعان هو المعروف الآن بدير النقيرة من عمل معرة النعمان . (لاحظ ايضاً تاريخ سورية للعلامة المطران يوسف الدبس (مجلد ٥ : ٢١٩) والروضة الغناء في تاريخ دمشق الفيحاء (ص ٣٣) . وهذا القول لا ينقض رأي القائلين انهُ كان بارض حمص بل يثبتهُ . والبرهان على ذلك آتي بهِ من كلام حضرة الاب فقد جاء في شرحهِ المجاني (ص ١١٤)

ما يأتي : « (المعرّة) هي معرّة النعمان نسبة الى النعمان بن بشير . . وهي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من اعمال حمص » . فمن هذا الكلام نستنتج ان المعرة كانت من اعمال حمص ودير سمعان الذي توفي فيهِ الخليفة من اعمال المعرة فهو اذاً من اعمال حمص . وعليهِ فهذا الدير هو غير الدير الواقع بناحية دمشق الذي ذكرهُ القزويني . واما حضرة الاب المدقق فقد خلط بينهما ولا اظن ذلك منهُ الا سهواً سببّهُ اشتراكهما في الاسم لانهُ لا يُعقَل ان عالماً كبيراً مثلهُ يتوهم ان لا فرق بين حمص ودمشق وان ما كان بناحية دمشق يجوز ان تُنسبهُ لارض حمص

واما قولهُ عن الحبيس انهُ هو القديس سمعان العمودي فغير صحيح . .

لانهُ جاءَ في كلام القزويني الذي ذكرهُ حضرة الاب في متن مجاني الادب (١ : ١١٨) ان ابراهيم بن ادهم ذهب الى هذا الحبيس وشاهدهُ . وابراهيم ابن ادهم هذا توفي سنة ٧٧٨ مسيحية كما يقول حضرة الاب (شرح المجاني ص ٦) واما القديس سمعان العمودي فقد قال انهُ توفي سنة ٤٦٠ (شرح المجاني ص ٧٤) . والفرق بين هذين الرجلين كما ترى بروابة مؤرخنا الثقة ٣١٨ سنة (فقط لاغير . . .) فكيف يزعم انهما كانا متعاصرين وان احدهما شاهد الآخر ! . . . ان في هذا لعجباً وانهُ لمن آياتهِ الباهرة ومعجزاتهِ الساحرة . . .

ومما يدحض زعمهُ السابق ما نراهُ من الاختلاف بين ما رواهُ عن القديس انهُ قضى حياتهُ واقفاً على عمود علوهُ ثلاثون ذراعاً . وانهُ (كما جاءَ في مروج الاخيار ص ٢٠) كان يعظ كل يوم مرتين . وبين ما جاءَ في كلام القزويني عن الحبيس انهُ كان يخرج رأسهُ من كوة في كل سنة يوماً معلوماً فكيف هذا التناقض الصريح . . أوَلا نستنتج منهُ ان حضرة الاب اخطأَ في ظنهِ وجار عن جادة الحقيقة في زعمهِ

اما موقع دير سمعان الذي نسك فيهِ القديس سمعان العمودي فهو في المحل المعروف بجبل سمعان شمال غربي حلب كما اوضح ذلك المركيز دي ڤوكويه في كتابهِ في ابنية سورية الوسطى (صفحة ١٤١) والاب الرحالة بولس جوون اليسوعي في مقالتهِ المعنونة قلعة سمعان المطبوعة في المشرق (٢ : ٣٩٩) . ومن معرفة ذلك نستفيد انهُ يوجد ثلاثة اديار تدعى باسم « دير سمعان » الاول بجوار حلب وفيهِ نسك القديس سمعان العمودي .

والثاني قرب المعرّة بأرض حمص وفيهِ توفي الخليفة عمر بن عبد العزيز. والثالث بناحية دمشق وهو الذي ذكرهُ القزويني. ولا نعلم كيف اشتبه الامر على حضرة الاب مع وفرة تدقيقهِ وسعة علمهِ فارتأى ان العمودي كان ناسكاً في الدير الذي بناحية دمشق وانهُ نُسب اليهِ بل كيف لم يفرق بين الاديار الثلاثة نخالها ديراً واحداً؟ لا ريب ان ذلك من اكتشافاتهِ الجغرافية والتاريخية التي تشهد لهُ بدقة الفكر وطول الباع...

ثم ان حضرتهُ يقول ان القديس سمعان العمودي وُلد سنة ٣٦٠ ولكن سلفهُ الاب فروماج اليسوعي يقول في كتاب مروج الاخيار ص ٢٨ انهُ وُلد سنة ٣٩٢ فكيف نوفق بين القولين والفرق بينهما ٣٢ سنة. وكذلك قال ان القديس وقف على العمود ثمانين سنة ولكن اخاهُ الاب جوون يقول (المشرق ٢ : ٤٠٣) انهُ وقف ثلاثين سنة فقط والفرق بين روايتيهما ٥٠ سنة ايضاً فاي الروايتين اصح يا ترى

هذا قليلٌ من كثير من الاغلاط والمناقضات والاوهام الواردة في كلام حضرة الاب مما ينبئ بما عندهُ من المعارف السامية. فنكتفي الآن بما ذكرناهُ منها ولعلنا سنقرع هذا الباب مرةً اخرى ان شاء الله

مربَّعة ابن دُرَيد

بعث الينا حضرة الفاضل حبيب افندي الزيات بدمشق بالنسخة الآتية من مربعة ابن دُرَيد العالم اللغوي المشهور فاحببنا اثباتها على صفحات الضياء لندرتها بين ايدي المطالعين وقد ذيلناها بتفسير الغريب من الفاظها تقريباً لمفهومها. قال حفظهُ الله

كان ابن دريد كما ذكر المسعودي شاعرًا كثير الشعر يذهب فيهِ كل مذهب غير انهُ لم يشتهر من شعرهِ الا مقصورتهُ التي مدح بها ابني ميكال وعليها عدة شروح ضافية لخلق من العلمآءِ كابن خالويه والخطيب التبريزي والامام الصغاني وابن هشام اللخمي وكثيرين غيرهم يضيق المقام عن تعداد اسمآئهم . وقد وقفت لهُ في مجموعٍ عندي على هذه المربعة نظمها على حروف المعجم لكل حرفٍ اربعة ابيات تبتدئ وتنتهي بهِ بحيث بلغت عدتها ١١٦ بيتاً فرّق حروفها على ابحرٍ مختلفة . وفي الخزانة الظاهرية في دمشق ضمن المجموع رقم ٥ من الادبيات المنظومة قصائد من نظم ابي الحسن علي بن محمد الاندلسي البرزي نسج فيها على منوال ابن دريد في مربعتهِ غير انهُ جعلها عشرةً عشرةً بدلاً من اربعة ولذلك تعرف بالقصائد المعشَّرة . واول من بلغ الغاية في هذا النوع من المنظوم الصفيّ الحلي في قصائدهِ الموسومة بالأرتقيات فانهُ لم يكتفِ فيها بالتزام كلٍّ من حروف الهجآء في الاوائل والاواخر كابن دريد بل نسق كل قصيدةٍ منها على عدد هذه الحروف ايضاً حتى اجتمع لهُ بذلك تسع وعشرون قصيدة كل واحدة في تسعة وعشرين بيتاً مفتتحة ومختتمة بحرفٍ واحد وقد مكث في نظمها تسعين يوماً كما حكى في مقدمة الكتاب

واما تاريخ كتابة المربعة المشار اليها فقد ذُكر في خاتمتها هكذا « تمت المربعة بحمد الله وعونهِ وعلقها بخط يدهِ احمد بن محمد بن عمر بن واجب وذلك في شهر جمادى الآخرة عام سبعة وخمسين وخمسمائة والحمد لله حق حمدهِ وصلى الله على محمدٍ عبدهِ وسلم » . وهذا متن المربعة كما رواها احمد بن محمد المذكور

حرف الالف

أبقيتَ لي سقماً يمازج عبرتي ... مَن ذا يلذُّ مع السقام بقآءَ
أشمتَّ بي الاعدآءَ حين هجرتني ... حاشاك مما يُشمِت الاعدآءَ
أبكيتني حتى ظننتُ بانني ... سيصير عمري ما حييتُ بكآءَ
أُخفي وأُعلِن باضطرارٍ إنني ... لا استطيع لما أُجِنُّ خفآءَ

حرف الباء

بقلبيَ لذعٌ من هواكِ مبرّحٌ نعم دام ذاك اللذع ما عشتُ للقلبِ
بكِ استحسنت نفسي الصبابة والصِبَى وقد كنت قبل اليوم ازري على الصبّ
بذلتُ لهُ الدمع الذي كنتُ صائناً لأدناهُ الا في الجليل من الخطبِ
بُليتُ ببعض الحب والبعض موعدي مجاورةً بعد المنية في التُربِ

حرف التاء

تمنيتُ المنيَّةَ يومَ قالوا غدا بجموع شملكُم شتيتُ[1]
تعيش صبابتي ويموت صبري ونفسي لا تعيش ولا تموتُ
تراءى لي الأسى فصدفتُ[2] عنهُ فقال اليك انك لا تفوتُ
تكلم ماءُ عيني عن فؤادي وقلبي من سجيّتهِ السكوتُ

حرف الثاء

ثوى بين أثناء الحشا منكِ لوعةٌ يجدُّ بنفسي شوقها وهوَ يعبثُ[3]
ثكلتُ الهوى ان كنت اكرهُ قربَهُ على انهُ الداءُ الذي لا يلبّثُ[4]
ثنى قلبَهُ لما ثنت عنهُ طرفها على مضض احشاؤهُ منهُ تفْرَثُ[5]
ثقي بجفونٍ ان دعا ماءها الهوى بذكركِ يوماً اقبلت لا تَمكّثُ[6]

حرف الجيم

جريءٌ على قتل النفوس وانهُ ليجزَع من لبس الحرير ويَهرَجُ[7]
جرى خاطرٌ بالوهم يوماً بجبّهِ فظلَّ لوهمي خدّهُ يتضرَّجُ

(١) مصدر بمعنى التشتيت (٢) اعرضت (٣) يلعب (٤) يمهل صاحبهُ (٥) تشق
(٦) تتوقف (٧) من قولهم هَرِج الرجل وغيرهُ اذا تتابع نَفَسهُ من حر او ثقل

جمالٌ يغضُّ الطرفَ عنهُ جلالةً وفعلٌ من البين المشتِّتِ اسمجُ
جلا وجهَهُ للَّيل في غسق الدجى فناب عن الإِصباح والليل ادعجُ [1]

(ستأتي بقيتها)

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية — نرى من الناس من يكتب إِذَنْ بالنون ومنهم من يكتبها بالالف فاي الوجهين اصحّ مستفيد

الجواب — تكتَب اواخر الكلم بحسب الوقف عليها وقد سُمِع الوقف على اذن بالنون على لفظها وبالالف حملاً لها على المنوَّن المنصوب فمن وقف عليها بالنون كتبها بالنون والا فبالالف

القاهرة — قرأت في احدى الجرائد ان نسآء طنطا عقدنَ الخناصر على تشكيل جمعية خيرية الخ . فما معنى عقد الخناصر وما اصل هذه الاستعارة هنا ثم هل التشكيل بمعنى التأليف عربيٌّ فصيح يوسف الخوام

الجواب — اما عقد الخناصر فقد تقدم لنا الكلام عليهِ في لغة الجرائد وحاصلهُ انهُ يقال هذا امرٌ تُعقَد عليهِ الخناصر وفلانٌ تُثنَى بهِ الخناصر كناية عن تقدمهِ على امثالهِ او تفرُّدهِ في نوعهِ وليس في شيءٍ من معنى العزم على الامر كما يستعملهُ كثيرٌ من كتّابنا اليوم . واما تشكيل الجمعية بمعنى تأليفها فليس في شيء من العربيّ الفصيح وانما هو من لغة الدواوين ونظنهُ في الاصل من استعمال الاتراك

(١) شديد السواد

آثار ادبيّة

جزآء الخيانة ـ هو عنوان الرواية التي تراها في هذا الجزء من انشآء حضرة الكاتبة الفاضلة السيدة لبيبة هاشم التي طالما اطرفت قرّآء الضيآء وغيره من المجلات والجرائد بنفثات اقلامها و بنات افكارها مما تمنينا لو أن كل اديبة في القطرين تقتدي فيه بآثارها فان المرأة المتمدنة انما تتزين بما توشّيه من مطارف الادب وتصوغهُ من قلائد البيان لا بما يُفرَغ عليها من حُلَل الديباج والوشي وتقلّدهُ من جواهر الياقوت والمرجان

والرواية المذكورة مبنيةٌ على حادثٍ قديم ذكرهُ بعض المؤرخين مثل المسعودي وابن الاثير وابن زيدون وغيرهم وهو لا يتجاوز بضعة اسطر ذُكر فيها مجمل الخبر الذي يُفهم من مطالعة الرواية فعمدت الى هذا الخبر المُقتضَب والحديث الاجمالي فبسطت مُوجَزهُ ونشرت مطويَّهُ وابرزت ما تركهُ قلم الرواة بما اوحت اليها قريحتها وشفَّ عنهُ لطف وجدانها وما أُودعتهُ مخيلّتها من قوة التصوُّر من غير ان تُدخِل على الحادث ما يبدّل شيئاً من حقيقتهِ او يحيلهُ عن صبغة عصرهِ سوى انها زخرفتهُ ببدائع الاستعارات ولطائف التخيلات مما جعل لهُ اقوى تأثير في القلوب

وقد اختلف المؤرخون في رواية هذه القصة واصحابها وتاريخ حدوثها فذكر المسعودي ان الساطرون صاحب الحَضْر المذكور في الرواية هو ابن استطرون من ملوك السريانيين . وروى ابن الاثير ومثلهُ ابن خلدون انهُ كان من الجرامقة وهم قومٌ كانوا بالموصل اصلهم من العجم . ثم ذكر ابن الاثير في الموضع نفسهِ انهُ من قضاعة وهم

قبيلةٌ من العرب . وكذلك اختلفوا في سابور الذي قتل الساطرون وفتح الحضر فقيل هو سابور الاول ابن اردشير بن بابك وقيل هو سابور الثاني الملقب بذي الأكتاف نقلهُ ابن خلدون عن ابن اسحق . وفي روايةٍ عن دغفل بن حنظلة الشيباني ان الساطرون كان من الغساسنة وهو عم هند بنت الريان المعروفة بالزبّآء وانهُ كان متزوجاً بدختنوس بنت نرسي عمة سابور ذي الأكتاف . ثم وصل هذه القصة بقصةٍ أخرى فذكر ان الزبّآء انما خدعت جذيمة الأبرش وقتلتهُ في الخبر المشهور لانهُ كان مع سابور ذي الأكتاف حين قتل عمها الساطرون بعد فتحهِ للحضر . واغرب من ذلك كلهِ ما رواهُ ابن خلدون عن البيهقي في الكلام على الجرامقة قال ان الجزيرة اي ارض ما بين النهرين ملكها بعد مقتل سنحاريف اخوهُ ساطرون وهو الذي بنى مدينة الحضر في برية سنجار على نهر الترتار مع ان سنحاريف أو سنحاريب كان قبل الميلاد بسبع مئة سنة والساطرون الذي ذُكر ان سابور قتلهُ ان كان المراد بهِ سابور الاول فقد كان في القرن الثالث بعد الميلاد أو سابور الثاني ففي القرن الرابع فبين هذا العهد ومقتل سنحاريب ما يقرب من الف أو الف ومئة سنة . وبقي هناك اختلافاتٌ اخر منها ان ابنة الساطرون أو الضيزن كان اسمها النضيرة وهو المشهور وفي رواية دغفل بن حنظلة ان اسمها مليكة . ومنها ان مدة حصار سابور للحضر كانت سنتين وقيل اربع سنين وقيل شهراً . ومنها ان ابنة الضيزن فتحت لسابور باب المدينة بعد ان اسكرت الحراس . وقيل انها دلتهُ على عورة المدينة فدخلها عنوةً وهي رواية ابن خلدون . وروى ابن الاثير انها ارسلت اليهِ عليك بحمامةٍ ورقآء مطوقةٍ فاكتب على رجلها بدم جاريةٍ بكرٍ زرقآء ثم ارسلها فانها تقع على سور المدينة فيخرب وكان ذلك طلسم ذلك البلد ففعل وتداعت المدينة . ولعل هناك رواياتٍ اخر لبعض المؤرخين فان تاريخ العرب في الجاهلية من اسقم التواريخ واكثرها تخليطاً واشتمالاً على الخرافات والله اعلم بالصواب

فكاهات

جزآء الخيانة (1)

كانت بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة لها يقال الحضر وكان فيها ملك من الجرامقة يقال لهُ الساطرون وتسميهِ العرب الضيزن وكان قد ملك الجزيرة وكثر جندهُ واصبح معهُ من قبائل قضاعة ما لا يحصى عددهُ وامتدّ ملكهُ حتى بلغ الشأم

واتفق مرةً ان الملك سابور ملك الفرس كان متغيباً في غزوة لهُ بنواحي خراسان فزين الطمع للضيزن ان يزحف على بلادهِ فركب في جيش كثيف ودخل بلادهُ فقتل وغنم واسر اختاً لسابور وفتح مدينة نهر شير وفتك باهلها ثم عاد ظافرًا مسرورًا بما اصاب من الغنائم

ولم يكن للضيزن من الاولاد سوى بنت بارعة الجمال تدعى النضيرة فكان يعزها اعزازًا شديدًا ويحرص عليها حرصهُ على روحهِ ويبذل كل ما في طوقهِ لراحتها ورفاهيتها . فشبت الفتاة داخل حجابها على السذاجة والدلال تشارك الطبيعة في بهجتها والطيور في تغريدها ولا تعرف من الدنيا سوى اتقان زينتها ووجوب الطاعة لابيها والامتثال لاوامرهِ

وكان فؤاد الملك يخفق شوقاً وحناناً كلما اقترب من مدينتهِ وتمثل قرب اجتماعهِ بفلذة كبدهِ وحشاشة نفسهِ التي لم يشغلهُ عن ذكراها نصر ولا مغنم ولما دنا من سور المدينة امر بان تقرع الطبول تبشيرًا بعودتهِ وللحال خرج الناس زرافات لملاقاتهِ وعلائم السرور بادية على وجوههم ولم تقع اعينهم على موكب الملك حتى انطلقت منهم اصوات الترحيب بقدومهِ والدعآء بدوام نصرتهِ

(1) رواية تاريخية عربية الاصل بقلم السيدة لبيبة هاشم

وسمعت الفتاة اصوات الطبول وهتاف الجماهير وكان القصر الذي جعلهُ الملك اسكناها مع باقي نسآئهِ خارج المدينة قريبًا من باب السور الكبير فعامت برجوع والدها فاستفزَّها الفرح لمشاهدتهِ واسرعت الى بعض شرفات القصر فرأتهُ قادمًا في طليعة جيشهِ كأَنهُ القمر في سمآئهِ فطفح قلبها سرورًا و بدرت من عينيها دمعتان كالدر النضيد . ثم انحدرت لملاقاتهِ عند باب القصر وتبعتها نسآء البلاط وسائر الخادمات وقدعلت بينهنّ اصوات الزجل وهتاف السرور ولم يكن الا القليل حتى اقبل والدها فألقت بنفسها على صدرهِ وتعانقا طويلاً

* * *

ومضى على ذلك ايام كان فيها ملك الحضر وقومهُ متمتعين بلذة النصر مترنحين بخمرة الفوز لا يحسب احد منهم ما للدهر من الغدرات وما لغدرهِ من الحسرات

ولما كان بعض الايام هب الناس من رقادهم مذعورين اذ سمعوا ضوضاء الجنودِ وصهيل الخيول وقعقعة السلاح حول سور مدينتهم فهرعوا الى الاسواق يتساءلون عن الخبر وقد عمّ الخوف في المدينة واستطار الرعب في القلوب . وذلك ان سابور بعد ان عاد من خراسان وأخبر بما كان من الضيزن هاج وماج و بلغ الحنق منهُ مبلغهُ فجمع جيشهُ وشخص اليهِ حتى اناخ على حصنهِ

وكان من عادة النضيرة ان تحضر اليها وصائفها كل صباح فيصلحنَ من شأنها و يعاونّها على اتمام زينتها ولكنها في ذلك اليوم لم ترَ احدًا منهنَّ فنادتهنَّ واحدةً بعد اخرى فلم يكن من يجيب واخيرًا اطلّت من خدرها فرأت نسآء البلاط جميعًا يتراكضنَ مذعورات نحو الباب ودلائل الخوف والارتعاد باديةٌ على وجوهنَّ . فارتاعت لهذا المشهد وسارت في اثرهنَّ تستطلع الخبر وهي ذاهلةٌ عن حالتها فلم يكن ما يستر جسدها سوى ردآءٍ من النسيج الرقيق اشبه بسحابة صيف تغشى سنى القمرِ وشعرها الحالك الناعم المنسدل على كتفيها يمثل قتام الطبيعة وعبوسها

ولم تتوسط باحة القصر حتى سمعت الضوضاَء في الخارج فأسرعت الى الشرفة التي ابصرت منها اباها مقبلاً منذ امدٍ غير بعيد تخفق فوق رأسهِ رايات النصرِ

والفوز فرأت جماهير الاعداء وقد احاطت بالمدينة احاطة السوار بالمعصم فجمد الدم في عروقها وتحلب العرق البارد من جبينها ولبثت جامدة كتمثال من رخام وقد صفا لون وجهها جزعاً فبدت معاني الغمّ والقلق في ملامحها فزادتها جمالاً بل جعلتها تفوق آلهة الجمال رقةً ودلالاً بحيث تجعل الناظر اليها لا يتمالك ان تذوب نفسهُ لوعةً وتأسفاً على تينك العينين السوداوين ان تغشاهما دموع الخوف والحزن. ثم امالت وجهها عن صفوف الاعداءِ فزحزحت تلك الحركة افاعي شعرها التي كانت تزيد رمح قوامها طولاً فبدا من تحتها عنقٌ هو العاج لولا انهُ اكثر غضاضةً وليناً وقد خطّ الجمال على وجهها « سطرًا ملخصهُ سبحان من خلق » . فنظرت على مسافة قريبة من السور فرقةً من الجند قد انفردت عن المعسكر واقتربت من السور كأنها تتفقد ثغورهُ وتستطلع مداخلهُ وكان بينهم فارس يمتاز عن باقي اصحابهِ بحسن الطلعة وجمال التركيب ولطف الابتسام مع المهابة والجلال فحانت منهُ التفاتة نحو النضيرة فاشتبك النظران وتجردت سيوف اللحاظ فصادفت قلوباً معرّضة لمضاربها فما لبثت ان اسالت منها الدماء فظهرت آثارها على الوجنات بما اخجل الورد وجعلهُ يتمنى لو يعود الى اكمامهِ . واحست الفتاة بالغلبة فاطرقت حياءً ثم نفرت نفور الظبي من امامهِ وخلفتهُ صريعاً وهي قائلةٌ　　تأملوا كيف فعلُ الظبي بالاسدِ

* * *

ومن ذلك الحين لم يعد الفارس يفارق ذلك المكان بل كان يتردد اليهِ من وقت الى آخر طمعاً في مشاهدة تلك الفتاة الفتانة . ولما كان اليوم الثاني وقد دنا الوقت الذي ظهرت فيهِ بالامس كان يراقب النافذة من الموقف نفسهِ وقد امتطى اجود الخيل واحاط بهِ الحرس بما لم يبقِ مجالاً للريب في كونهِ الملك فلم يلبث ان رأى ستار النافذة يزاح عنها برشاقة ثم ظهرت ضالتهُ وكانت مرتدية اجمل اللباس ومتحلية بأبهى زينة وكان يظهر من حركاتها وسكناتها ومجمل هيئتها ان فيها عاطفة جديدة من الهيام تجهد في اخفائها . ثم جعلت تنظر الى هنا وهناك كمن يبحث عن شيءٍ يعهدهُ في تلك الناحية فما لبثت ان رأتهُ وهو على تلك الحال من الشوق

والانتظار فخفق فؤادها وتورّدت وجنتاها غير ان ذلك لم يمنعها من مبادلتهِ الابتسام ثم ذهبت من حيث أتت بعد ان طال وقوفها عن الامس

وهكذا توالت الايام وتعددت المواجهات حتى لم يعد احدهما يطيق صبرًا عن مشاهدة الآخر

وكانت النضيرة اذا ابصرت حبيبها غابت عنها مظاهر العالم اجمع فلا ترى سوى انوار طلعتهِ بازغة على فؤادها الخالي فتملأهُ غبطةً وهناءً ولكنها حين تخلو بنفسها تتغلب عليها مفاعيل الحزن والاسف اذ تذكر ان من تحبهُ هو عدوّ ابيها وغريم مملكتها فترى نفسها في حيرةٍ بين الاخلاص لوالدها أو الخضوع لسلطان الهوى وعلى ذلك حلت الهواجس منها مكان دعة النفس وخلو البال فأخلدت الى العزلة والتفكير ولم يكن لها من مؤنسٍ غير الدمع ولا من رفيق سوى الزفرات

و بينما كانت يومًا جالسةً في خدرها مسندةً رأسها الى ساعدها الجميل وعيناها شاخصتان وقد ارتسمت عليهما علائم الذهول والغم ورُصّع ورد خديها بلؤلؤتين من الدمع اشبه بندى الصباح وابدى اقحوان ثغرها عن صفين من الدرّ النضيد يقضم بعضها بعضًا كأنهما يودّان ان يفتديا رقة ذاتها بصلابة ذاتهما اذ دخلت احدى وصائفها واسمها هند وحين رأت سيدتها على تلك الحال وقفت مبهوتة لا تجسر على مخاطبتها ولبثت النضيرةُ هائمةً في اودية الافكار فلم تنتبه لدخول احد عليها . واخيرًا دنت وصيفتها منها وكلمتها بوقار يمازجهُ الحنان وقالت فدتكِ نفسي يا سيدتي ما لي اراكِ مغمومةً اليوم . فنظرت اليها بعين يكسرها الحزن ثم قالت بصوتٍ تكاد تخنقهُ العبرة اني شقية يا هند . فقالت اواه يا حبيبتي وانى للشقآء ان يعترض سبيل صفوكِ وهنآئكِ فاذا كان جزعكِ مسببًا عن حصار هذا الصعلوك ورجاله فلكِ من اقتدار والدكِ العظيم ومن حولهُ من اسود الرجال ما يكفل بردهم على اعقابهم بالخيبة والعار . قالت ليس هذا الذي يقلقني يا هند ولا انا في شيء مما تقولينهُ فدعيني وشأني فحزني لا تنفع فيهِ تسلياتكِ ودآئي ليس لهُ من دوآء

فأطرقت الخادمة الى الارض وجعلت تضرب في بيدآء الافكار وقد اخذها من

العجب كل مأخذ ثم رفعت بصرها وقالت لقد كسرتِ قلبي يا سيدتي بما سمعتهُ منكِ هذا اليوم فهل بلغ منكِ الغمّ واليأس هذا المبلغ وانتِ الفتاة التي تحسدكِ بنات عشيرتكِ على ما انتِ فيهِ من العز والمجد . فاستحلفكِ باسم والدكِ المحبوب ان تطلعيني على سبب ما يخامركِ من الكرب والاكتئاب فاما ان اسرّي عنكِ او اشاطركِ المصاب . وانتِ تعلمين صدق محبتي لكِ وحفاوتي بكِ وشدة اهتمامي بامركِ منذ كنتِ طفلةً حتى الآن أفلا استحق منكِ حسن الظن بي وائتماني على شيءٍ من اسراركِ . قالت اجل يا هند اني لا ارتاب في صدق ولآئكِ واهتمامكِ بامري فسأطلعكِ على ما انا فيهِ ولعلكِ ترينَ لي رأيًا تكون فيهِ راحتي ان كان لمثلي ان يرجو راحةً اوعزآءً . فقالت بل بنفسي افديكِ وسأبذل حتى دمي فيما يخفف عنكِ فلتقل سيدتي . قالت ألم تنظري جيش العدو خارج المدينة . قالت بلى لقد نظرتهُ . قالت وهل رأيتِ الملك . قالت نعم لقدرأيتهُ ايضاً . قالت وكيف وجدتهِ . فقالت على جانبٍ عظيم من الجمال . قالت ذلك وتراجعت قليلاً الى الورآءِ وحدّقت في وجه سيدتها لتلتقط اول بادرةٍ منها . ففاضت دموع النضيرة والقت بنفسها على صدر خادمتها فطوقتها تلك بذراعيها واستولى السكوت ساعةً لم يسمع فيها سوى تنهدات النضيرة والقُبَل التي كانت هند ترسمها على وجنتي سيدتها من وقتٍ الى آخر واخيرًا قالت لها والبكآء يقطع صوتها اني اهوى هذا الملك الجميل ! ! !

* * *

ودام الحصار مدة اشهرٍ كثيرة لم يجد سابور فيها سبيلاً الى فتح المدينة اوحيلةً في دخولها فقل صبرهُ وكذلك النضيرة خانها الجلد وساورتها الهموم فذبل وردخدّيها وبدت عليها دلائل السقم واصبحت لا ترى لها راحةً ولا سلوةً الا بالموت . وانها لكذلك اذ اقبلت هند يوماً مشرقة الوجه وقالت لها ابشري يا سيدتي فقد هان العسير . قالت وماذا جدّ يا ترى . فقالت ان الملك يهواكِ الى حدّ الوله ويبذل كل مرتخص وغال في سبيل الحصول عليكِ . قالت اني اعلم ذلك ولي الف شاهد عليهِ من منظرهِ وحركاتهِ وذلك مما يزيدني حبًّا وشجنًا . قالت وما الذي يحزنكِ بعد ان

تحققت ميلهُ وثبت لكِ انهُ يهواكِ كما تهوينهُ . قالت ولكن ذلك لا ينسيني انهُ عدونا وانهُ يستحيل التقرب بيني و بينهُ . قالت هو عدوّ ابيكِ ولكنهُ حبيبكِ . ثم هو لم يجنِ ذنباً يستحق لاجلهِ ان تشاركي اباكِ في معاداتهِ لهُ بل كان ابوكِ هو الجاني عليهِ البادئ بعداوتهِ لغير سببٍ ولا داعٍ فاذا كان سابور يقصد الانتقام منهُ فبحقّ يفعل . واعلمي بان لديهِ من العَدَد والعُدَد ما يضمن لهُ الفوز والغلبة على ابيكِ فان انتِ ساعدتهِ على فتح المدينة تغنمين المنزلة الاولى عندهُ وتكونين سبباً في فك الحصار وحقن الدمآء ثم تستطيعين بعد ذلك ان تشفعي لديهِ في حياة كثيرين من ذويكِ واحبآئكِ بما لكِ عندهُ من الدالة والكرامة وفوق ذلك كلهِ تكونين عندهُ ملكةً معظمةً بين قومهِ ويكون لكِ المقام الاول بين نسآئهِ

فتفرت النضيرة لدى سماعها حديث خادمتها وقالت لا لا ان الموت اهون لديَّ من خيانة ابي و بلادي ولكن ما ينالهُ سينالني فاقصري عن الحديث في هذا الشأن وليعلم سابور ان ابنة الضيزن لا تغترُّ بخداعهِ ومواعيدهِ فليبحث عن الظفر في غير هذا السبيل

فقالت اهذا جوابكِ لهُ . . اذن فانا ذاهبة لأبلغ رسولهُ كلامكِ ولكن تبصَّري قليلاً يا سيدتي في الامر واعلمي انكِ بذلك تفقدين الحبيب والوالد والبلاد جميعاً اذ لا بدَّ من الظفر لسابور يوماً وانتقامهِ من ابيكِ بعد حصارٍ طويل وقتلهِ شرَّ قتلة مع جميع المقرَّبين منهُ ولا يكون نصيبكِ منهُ عند ذلك سوى الذل والامتهان وذهابكِ سبيّةً عوض ان تكوني ملكةً مكرَّمةً

قالت ويلاهُ اني لا اقوى على ذلك فانجديني يا هند برأيكِ الصائب واني افعل بما تشيرين . قالت ليس عليكِ سوى الموافقة والاذعان وعليَّ التدبير فانا احتال على حرّاس الحصن وافتح الطريق لسابور ورجالهِ فيدخلون المدينة بسلام دون ان تهرق قطرة من الدمآء . قالت لقد رضيتُ بذلك ولكن قبل الشروع في الامر اشترط على سابور ان انا سلمتُ اليهِ المدينة ان يجعلني الاولى بين زوجاتهِ واكون المالكة دون سائر نسآئهِ وان يجيب طلبي بالعفو عن حياة كل شخص اطلبها منهُ . قالت

سمعاً وطاعةً يا سيدتي فسأعود اليكِ غداً بالجواب وليلهمكِ الله ما فيهِ خير ذويكِ وقرب حبيبكِ

ولم تغرب شمس ذلك النهــار حتى عادت هند تبشر سيدتها بقبول الملك لاقتراحاتها ومعاهدتهِ لها على انفاذ مطالبها . فسرت النضيرة عندئذٍ و باتت ليلتها يتنازعها عاملا السرور والجزع بين ما تبنيهِ لمستقبلها من دعائم الآمال وما تخشاهُ على أبيها و بلادها من الدمار والوبال

* * *

اما هند فانها ذهبت واعدّت آنية الشراب واطباق الفاكهة وانتظرت حتى اذا مضى جانبٌ من الليل اخذت معها بعض جواري القصر فحملنَ تلك الآنية والاطباق الى المقاتلة الذين كانوا يبيتون بأعلى السور والحراس الذين كانوا يدورون طول الليل على السور فوزعت عليهم الشراب والفاكهة وقالت هذا من عند مولاتي النضيرة بعثتنا بهِ اليكم جزآء سهركم ونصحكم لابيها الملك وهي توصيكم بادمان السهر وحراسة السور . فشكروا نعمة الاميرة واخذوا في تداول الكؤوس فلعبت الخمرة في رؤوسهم ودبّ دبيبها الى عيونهم فاذبلتها والى اجسادهم فصرعتها . ولما سكروا وناموا كلهم وكان قد تناصف الليل ولم يبقَ احد في المدينة مستيقظاً نزلت والجواري ففتحنَ باب السور وكان سابور وجنودهُ على الباب فدخلوا وانتشروا في المدينة انتشار الجراد فقتلوا من وجدوا في سبيلهم وسلبوا ما وصلت اليهِ ايديهم وكانت ساعةً يشيب لهولها الوليد ثم هجموا على الضيزن في قصرهِ فاخذوهُ اسيراً في مئة رجلٍ من اشراف قومهِ

وكانت النضيرة تسمع صياح الشعب وولولة النسآء و بكآء الاطفال وفؤادها يقطر دماً لما جلبتهُ عليهم بخيانتها من الشقآء حتى كاد يغمى عليها . واخيراً اطلت من باب حجرتها فرأت حرس سابور يخفرها فعادت وجلست على متكإٍ وحاولت البكآء تخفيفاً للوعتها فلم تجد الى ذلك سبيلاً وكان كل شيءٍ من انواع التعزية قد هجرها حتى الدموع تخلفت عنها فلبثت كالتمثال لاتقوى على الحركة وقد اوشكت ان تجنّ

ويُقضى عليها اسًى وندماً

وفي تلك الساعة دخلت هند واخبرت سيدتها ان سابور الملك آتٍ اليها ثم دخل سابور على اثرها فنهضت النضيرة لاستقباله وكانت كآلةٍ تتحرك ولا تعي لولا ان شعرت بخفقان شديد في قلبها فأطرقت ببصرها ولم تقوَ على النطق

فشكر الملك حسن صنيعها معهُ وكرر على سماعها ما وعدها بهِ سابقًا من ان تكون زوجتهُ ومليكة بلادهِ

فشكرتهُ وخرجا معًا يحيط بهما الحرس بعد أن القت النضيرة آخر نظرةٍ على ذلك المكان الذي ترعرعت فيهِ وذاقت من انواع المسرات والنعيم ما لم تحلم بهِ فتاةٌ قبلها. وما زال سائرًا بها حتى ادخلها فسطاطهُ وكان اذ ذاك قد انبلج وجه الصباح فلما استقرّ بهِ المقام امر بالاسرى فأدخلوا عليهِ وهو على سرير من ذهب والنضيرة الى جانبهِ. وكان اول من دُعي بهِ الضيزن فلما دخل عليهِ رأى بنتهُ الى جانبهِ فقال لها سلَّط الله عليكِ ما سلطتِ علينا ويلكِ هل كنت مقصرًا في تربيتكِ. ثم قال لسابور لا تغترَّ بها فكأني بها قد فعلت بك كما فعلت بي. اما النضيرة فسترت وجهها بيديها حتى لا ترى وجه ابيها وقد انصدع قلبها عند رؤيتهِ في تلك الحال. ولما أُخرج من بين يديهِ أرسل من ضرب عنقهُ ثم أمر بالذين أسروا معهُ فضُربت اعناقهم وبعد ذلك غنم سابور ما في المدينة ثم امر بتقويض سورها وتخريب الحصن وانصرف عائدًا الى مملكتهِ

اما النضيرة فلبثت بعد ذلك اياماً غائبةً عن الوجود لما تناوبها من اعراض الحمى ثم خفت عنها وطأة الاعراض وفتحت عينيها فرأت نفسها محمولة على هودج كبير كثير الزخرفة ومن حولها ثلاث نسآءٍ يعتنين بها. ولما وصلنَ الى مدينة عين التمر وهي المدينة التي كان الملك يقصدها وقف الهودج بهنَّ فأرسلت النسآء النقاب على وجوههنَّ وكذلك فعلنَ للنضيرة ثم رُفعت احدى ستائر الهودج وأُنزلت النضيرة فدخلت المدينة وهي مسندةٌ بأكف النسآءِ وامامهنَّ وحولهنَّ الجيوش العديدة وكانت المدينة مزينة بابهى زينةٍ وقد خرج كل من كان فيها من الناس لاستقبال

ملكهم المنتصر وسار الملك بينهم باسماً وهو يحييهم فكانوا يقابلون تحيته بالهتاف والدعاء وقد طفحت وجوههم بالمسرات والهناء . وما زالوا كذلك الى ان انتهى الملك الى قصره فتربع في سرير مملكته واذن لرجاله في الدخول عليه فجعلوا يتوافدون افواجاً مهنئين ومسلمين

اما النضيرة فلبثت مدةً اليفة السقام والاحزان تندب اهلها و بلادها وتستغفر ربها عما جرّته عليهم من البلاء وما ارتكبته فيهم من الاثم الفظيع وما برحت تتمثل لديها آخر نظرةٍ من والدها وهو يعنفها على غدرها وخيانتها وقد زوّدها تلك الدعوة الرهيبة ثم تتمثل لها حالته تحت يد الجلاّد وتدفق دمه على الارض وكأن كل قطرةٍ منه ترشها باللعنات فيغور قلبها حزناً وندماً وتسترسل الى البكاء والنحيب حتى تسقط خائرة القوى فاقدة الرشد فلا تصحو الا وتشعر بوخز الضمير الذي كان ينهش قلبها ويستنزف دمعها

ولبثت على تلك الحال من الحزن والغم مدة تزيد عن الشهر وهي لا تقبل عزاءً ولا ترغب في تسلية . غير ان الملك ما فتئ يلاطفها و يبذل جهده في مؤانستها وتفريج كربتها الى ان خف ما بها من لوعة وحزن ومالت الى العزاء والسلوان وقد آنست من الملك حنوًّا وتوددًا انسياها مامرّ بها من الاحزان . فافترّ ثغرها وعاد الى محياها زهوه واشراقه فانجلت عنه ظلمات العبوس و بدا مكانها لطف الابتسام وأخذت النضيرة منذ ذلك الحين تناجي نفسها بلذة الاوهام وتمني ذاتها بجميل الاحلام

وفي تلك المدة كان الملك قداستراح من وعثاء السفر وعاد الى سابق اعماله فنظم مملكته ورتب شؤون رعيته ورفع مراتب المستحقين من رجاله واجزل الهبات لسراة قومه ولما راقت الاحوال واستتبت الاعمال عين يوماً لاقترانه بالنضيرة

وما شاع الخبر حتى تسابق اهل القصر لاقامة الزين الباهرة والحفلات الشائقة وشارك اهل المدينة ملكهم في ارتشاف كؤوس الهناء بضعة ايام ثم عُقد للملك على النضيرة في حفلة حافلة بإشراف المدينة وكبارها

واتفق بعد ذلك ان النضيرة أرقت في احدى الليالي فباتت تتقلب على فراشها

وهي لا تذوق غمضاً فقال لها الملك ما لي اراكِ قلقةً لا تنامين . قالت ان جنبي يتجافى عن فراشك . قال ولِمَ فوالله ما نامت الملوك على ألين منهُ وأوطأ وان حشوهُ لزغب النعام . ثم التمس ما يؤذيها فاذا طاقة آس قد سقطت داخل ثوبها من الازهار التي كانت تزين بها شعرها فتناولها واذا هي قد أدمت جسدها فدهش الملك لما رأى من لين جسدها و بضاضة جلدها وقال لها ويحك ما كان فراشك عند ابيك . قالت كان مثل هذا من الحرير الناعم وكان لباسي في الشتاء الخز والوشي المنسوج بالذهب وفي الصيف الكتان المفصص بالجوهر . قال وما كان يطعمك ابوك . قالت المخ بالسكر الطبرزذ ولحوم الدرّاج والشفانين والصلاصل وكان شرابي ماء الرمان الامليسي. فلما سمع سابور ذلك خافها على نفسهِ وقال هذه لم تنصح لابيها مع احسانه هذا اليها وحسن تربيتهِ لها و بلوغهِ من برّها ما وصفت فكيف آمنها ان تفعل بي ما فعلت بابيها ان جفوتها يوماً و بات تلك الليلة وقد عقد عزمهُ على قتلها

ولما كان الصباح دعا سابور رائضاً من روّاضهِ وامرهُ ان يختار اقوى فرس لهُ وان يشدّ ذؤابتها بذنب الفرس ثم يطردهُ وهي معلقة بهِ حتى تنقطع . فلما علمت ما يُفعل بها قالت لعمري لقد استجاب الله دعوة ابي فيّ واني لمستحقة هذا لما كان مني الى ابي العظيم حقهُ عليّ وهذا جزاء غدري بهِ وخيانتي لهُ

ولم يلبث الامر ان شاع في المدينة فاجتمع الى ساحتها خلقٌ لا يحصى لينظروا ذلك المشهد وهم بين آسفٍ لحالها وشامتٍ بما نالها وجلس الملك على شرفة قصرهِ مطلاً على تلك الساحة ولم يمضِ الا قليلٌ حتى جيء بالنضيرة موثقة اليدين والى جانبيها اثنان من الجند . وكانت تسير بينهما بخطوات ثابتة دون ان يبدو عليها اقل ارتعاش او جزع بل كانت جملة هيئتها تدل على ان بها ظمأً الى تجرُّع تلك الكأس ورغبةً في التخلص من العذاب الداخلي وما كانت تقاسيهِ من آلام تو بيخ الضمير منذ استسلمت لهواها وجرّت على بلادها تلك الويلات ولاسيما في تلك الساعة التي تعاظم فيها يأسها اذ رأت ان الذي جُنّت في حبهِ واقترفت ذلك الاثم العظيم في سبيل ارضائهِ بل الذي رضيت ان تفقد كل شيءٍ لاجل الحصول عليهِ هو الذي يسلمها

الى الموت فلم يبقَ لها بعد ذلك ما ترجوهُ من الحياة بل وجدت انهُ لا راحة لها الا بالموت ولا مكان تخفي فيهِ وجهها الاّ القبر

ولما توسط بها الجنديان تلك الساحة الرهيبة اخذا يحلان شعرها الناعم بايديهما التي خشنها سفك الدماء فلم تشعر بنعومتهِ ولم تتأثر للطفهِ واقبل الرائض بفرسهِ وهو يثب ويرفس ويضرب الارض بحوافرهِ فوقف الى جانبها ينتظر امر الملك

وحصل في تلك الفترة سكوت عميق وكانت العيون جميعها محدقة في النضيرة . اما هي فضمت اصابع يديها الموثقتين ورفعت بصرها الى السماء وتحركت شفتاها بصلاةٍ حارة وكأن تلك الصلاة القصيرة التي لفظتها المسكينة كانت رسول التعزية الى قلبها الجريح اذ لم تلبث ان ابتسمت ابتسامة ملكية وطفح وجهها بشرًا كانما هي ترى اباها من اعالي السماء ينظر اليها باشفاق مكتفياً بما نالها من العقاب صافحاً عماجنتهُ من الاثم

وكان قلب الملك قد استحال حينئذٍ الى اقسى من الحديد فلم تجد الشفقة اليهِ سبيلاً ولا امكن ذلك الجمال الذي بدا حينئذٍ على ابدع ما يتصورهُ عقل والطف ما يجري في وصفهِ قلم ان يشفع لديهِ في تلك المحبة المسكينة أو يخفف لها ذنباً هو حملها عليهِ بخداعهِ وجرّها اليهِ بتملقهِ وحسن وعودهِ فكأنما الديان قد اعماهُ وشاء ان يجري العدل في مجراهُ فأنطقهُ بكلمة الحكم الاخيرة وفي اسرع من لمح البصر تناول الرائض شعرها الطويل وربطهُ الى ذنب الفرس . وحينئذٍ اضطربت النضيرة وظهر عليها ارتعاشٌ ذهب بابتسامها واصبح لونها كالاموات ففتحت عينيها وارسلت الى الملك نظرة كان تأثيرها في فؤادهِ اشد من وقع السهام . وللحال خلي سبيل الفرس

اما الملك فشعر ان قلبهُ قد سحق بتلك النظرة وندم على فظاعتهِ وغلاظة كبدهِ فاسرع ورفع يديهِ مشيرًا الى الرائض أن يتوقف ولكن كان قد سبق السيف العذل واصبح ذلك الهيكل البديع التكوين قطعاً منثورةً على الحضيض .

واصاب سابور بعد ذلك حزنٌ شديد وندم على ما كان منهُ ولكن بعد الفوات وبلي بغمٍّ مفرط لم يزل مصاحباً لهُ الى الممات . انتهى

المجاز

(تابع لما في الجزء السابع)

بيد أنّا لا بدّ ان نقول ان الوصول باللغة الى هذه الغاية لا يستتبّ لنا الا بعد تدارك ما فاتنا من اوضاع المتقدمين واستقرآء ما اشتملت عليهِ مصاحف اللغة من الفاظهم لان كل ما سبق لنا ذكرهُ في هذا المبحث من التنبيه على اقيسة الاشتقاق وطرق المجاز ليس الا بياناً لطريقة العرب في وضع لغتهم وتفريع بعض الفاظها من بعض ولكن هذا لا يغني عنا شيئاً في تحدّيهم والجري على سنّتهم ما لم نُحِط بالفاظهم انفسها لنتنزل منها منزلتهم والا كنا كمن يحاول بنآء بيتٍ ولا حجارة لديهِ . ومعلوم ان الباقي من اللغة في استعمالنا ونعني بهِ الفصيح من الفاظها او ما يمكن ردّهُ الى الفصيح ليس الا جانباً يسيراً منها اذا جرّد بنفسهِ لا يكفي لأن يكون لغة قومٍ من الاقوام مهما انحطّت منزلتهم من الحضارة وقلّت حاجاتهم ولذلك ترانا نستعين بالالفاظ العاميّة تارةً والاعجمية أخرى لتصوير ما نرومهُ من الاغراض وذلك خلا أن جُلّ الفاظنا مقصورٌ على معانٍ لا تتعدى حاجات المعاش واغراض المعاشرة والمعاملة في ابسط حالاتهما بحيث لا تجد في كل معنًى الا اللفظ الكلي الذي يعبَّر بهِ عن جنس ذلك المعنى دون ما يقع تحتهُ من الجزئيات باعتبار ما تتصف بهِ من الاحوال المتباينة والهيئات الخاصة . وهذا ولا جرَم مما زاد اللغة في هذا العصر على ضيقها ضيقاً وربما اوقع في وهم الكثيرين من مزاولي الكتابة والتأليف انها قاصرة عن ادآء الاغراض المَدَنية والعلمية وانها لا تصلح الا

لرعاة الابل وسكان المضارب . ولكن من تصفح دواوين اللغة نفسها علم ان العرب لم تكن بمعزلٍ عن كثير من معاني الحضارة وان لم يبلغوا بها حضارة الفُرس مثلاً لعهدهم وقد كان منهم اهل تجارةٍ وصناعة وزراعة وبحارة كما يشهد بذلك المنقول من الفاظهم وكانت لهم خُلطةٌ مع الهند والفرس والروم من قبل زمن الاسلام بكثير . وهذا فضلاً عما حدث بعدهم في عهد الحضارة الاسلامية من الالفاظ العلمية والسياسية والصناعية وغيرها مما لا يخلو ان يسد بعض هذه الحاجة بنفسهِ ولو بتبديل شيء من حدّهِ الذي كان متعارفاً عندهم لان المعتبر في الالفاظ صدقها على مدلولاتها في الجملة ولو اختلف حدّها في اعتبار المعتبر

ونحن نورد هنا بعض الالفاظ المشار اليها مما نطقت بهِ العرب قديماً ومما وُضع على عهد الاسلام ليكون مصداقاً لما ذكرناهُ وحاثّاً للمتأدبين والكتّاب على تصفح اسفار اللغة وكتب العلم واقتباس ما تتسع بهِ مذاهب التعبير امامهم . ولنأخذ من اوضاع العرب ما كانت تعبّر بهِ في بعض احوال التجارة وهو لا ريب من ابعد ما يقع في الظن انهُ كان موجوداً عندهم ومن اقل ما نطقوا بهِ فعلاً ولكنك لا تكاد تجدهُ اليوم حتى في كلام الخاصة فضلاً عن العامة وبهِ يقاس مبلغ ما انتهت اليهِ اللغة في هذا العهد من الضعف والاهمال . فمن ذلك قولهم فلانٌ من باعة الكسر اذا كان يبيع كل سلعةٍ وحدها وهو خلاف بيع الجملة وقد كسر بضاعتهُ واختاها إختاءً اذا باعها كذلك . وقولهم فلانٌ يشتري القَفَلات اي الجَلَب الكثير جملةً واحدة . فان اشترى رِزَماً رِزَماً دون الاحمال فهي المقاضمة . فاذا اوجب البيع على

ان يترك ما اشتراهُ عند البائع ثم يأخذهُ اولا فاولا فهو الوجيبة فاذا فرغ قيل قد استوفى وجيبتهُ . فاذا احتبس البائع السلعة حتى يقبض ثمنها قيل قد اعتقبها . ويقال اشترى هذا الشيء مقاطرةً وهو ان يزن جُلّةً من تمر او عِدلاً من حبّ او غير ذلك ثم يأخذ ما بقي على حساب الذي اخذهُ ولا يزنهُ . وتقول اعطيك من ضمد هذه الغنم اي من جيّدها ورديئها من غير تمييز . ويقال ماكسهُ في البيع اذا استحطّ من الثمن وطلب الانتقاص وقد تماكس البيّعان أي البائع والشاري اذا تشاحّا على الثمن اي تجادلا عليهِ . وكايسهُ في البيع اذا داهاهُ حتى يغبنهُ . ويقال رجلٌ دَخِل اذا كان يماكس عند البيع حتى يستمكن من حاجتهِ . وروّقتُ لفلان في سلعتهِ اذا زدت في سومها وانت لا تريدها . وأرهن فلان في السلعة اذا غالى بها وبذل فيها مالهُ حتى ادركها . وتقول بعني هذه السلعة بصبغ ثمنها لا وَكس ولا شَطَط اي بالثمن الذي تستحقهُ من غير نقصٍ ولا زيادة . ويقول المغبون أَغمِضْ لي فيما بعتني وغمِّضْ لي اذا طلب الزيادة منهُ لرداءتهِ او الحطّ من ثمنهِ وقد استحطّهُ من الثمن واستوضع منهُ . ويقول البائع برئت اليك من عُهدة هذا المبيع اي من عيبٍ يكون فيهِ . وأبيعك الملَسَى لا عُهدة اي تملس بما اشتريت ولا اضمن تَبِعتهُ . وتقول حاباني فلانٌ في البيع ورافأني واَنباع لي في سِلعتهِ اي ساهلني وسامحني . وهذا القدر كافٍ في هذا المقام ومن تفقد كتب اللغة وجد غير ذلك ايضاً خلا ما يُذكَر في كتب المعاملات مما لم نكد نَنقل شيئاً منهُ لشهرتهِ

ولا بأس ان نزيد هنا الفاظاً أخرى في معانٍ متداوَلة لا نقصد

المناسبة بينها وانما نذكر منها ما يحضر الذاكرة . وذلك كقولهم غملتُ الرجل وغمنتهُ اذا ألقيتَ عليهِ الثياب ليعرق . وقولهم دَرَّم اظفارَهُ اذا سوّاها بعد القصّ . وبلَّغ الفارس تبليغاً اذا مدَّ يدهُ بعنان فرسهِ ليزيد في جريهِ . وقولهم جاءتني جَبْهةٌ من الرجال وهم الذين يسعون في حَمالةٍ اومَغرَم فلا يأتون احداً الا استحيا منهم . وقولهم لَصِب السيف ولَحِج اذا نَشب في الغمد فلم يخرج ولَصِب الخاتم في الاصبع اذا تعذر نزعهُ . وضَرَس البناءَ اذا سدّ بين خَصاصهِ بحجر . واُكتار الفرس اذا رفع ذيلهُ عند العَدْو . وتداحا الشيءَ بينهما اذا حملاهُ على عود . واغترق الفرسُ الخيلَ اذا خالطها ثم سبقها . وهدَر الغلام اذا اراغ الكلام وهو صغير . وبزَم وتر العود اذا اخذهُ بين السبّابة والابهام ثم ارسلهُ . ولاوَص الشجرة اذا اراد قطعها بالفأس فنظر يمنةً ويسرةً كيف يأتيها . وناض الوتد ونحوهُ اذا عالجهُ لينتزعهُ . ومن ذلك قولهم كلُّ السكين والسيف وهو قفاهُ . وصِغْو المِغرفة اي جوفها وجعلتُ هذا الشيء في صِغو كفي . والعَسيل مكنسة شعر يكنس بها العطّار بلاطهُ من العطر . والبصيرة ما يعلّق على الباب من شُقّةٍ قطن اوغيرهِ . والكِلّة الستر الرقيق يخاط كالبيت يُتوقى بهِ البعوض . والقَرِّية عود الشراع الذي في عرضهِ من اعلاهُ . والحِجار ما يحيط بالسطح من البناء يقي من السقوط . والمِساة جورب الصيّاد . والطَلاّسة خرقة يُمسَح بها اللوح وقد نَجَل الصبيُّ لوحهُ اذا محاهُ . والوفيعة الخرقة يمسح بها الكاتب قلمهُ . واللَحَق في النخل والكرم الثمر يخرج بعد ادراك الثمر الاول وقِس على كلِّ ذلك ما لا يُحصى

واما الالفاظ المولّدة فمما يلحق باللغة منها الإِلهام للهداية المخلوقة في الحيوان جآء في كلام ابن خلدون وربما عبّر عنهُ بالهداية ايضاً . والوزائع للضرائب التي يوزّعها الحاكم وهي في كلام ابن خلدون ايضاً وكأن مفردها وزيعة على حدّ ضريبة وضرائب . وفي الاغاني ندَّر الرجل وتندَّر اذا جآء بالنادرة وربما قيل نادرَ وتنادر وقد ندَّر بفلان وتنادر عليهِ اذا جعلهُ مورد نادرتهِ . وفي كلام الثعالبي تطرَّف بالشيء اذا اتخذهُ طُرفةً وهي الشيء المستملَح . وجآء في الاغاني في اخبار يونس الكاتب لمسعود بن خالد المورياني من ابيات

تنشُرُ ديباجاً واشباههُ وهم اذا ما نشروا كَرْبَسُوا

اي جآؤا بالكرباس وهو نسيجٌ ابيض من قطن فارسيٌّ معرَّب فبنى منهُ فعلاً . وفي شفآء الغليل النيزك رمحٌ قصير فارسيٌّ معرَّب واستعملهُ الحكمآء في شعلةٍ تُرَى كالرمح وهو احد اقسام الشهُب . وفيهِ النجّاب اسمٌ للبريد وقد يُخصّ بمن يجيء على ناقةٍ نجيبة . قلنا ولعل هذا هو الاصل في هذه التسمية فيكون من باب ذي كذا على حدّ عطّار واشباههِ . وجآء في نفح الطيب بلادٌ معتدلة المزاج يريد اعتدال هوآئها نقلهُ عن مزاج البدن وهو ما رُكّب عليهِ من الطبائع . وفيهِ جمعت هذه الفوائد من مقيّدتي وهي الدفتر يكتب فيهِ الرجل ما يمرّ بهِ تذكرةً لنفسهِ . وقريبٌ منها التذكرة وهي الرقعة يُكتَب فيها الشيء ليُتذكر جآءت في كلام الحموي صاحب خزانة الادب . ومن ذلك المِزْوَلة للساعة الشمسية ذكرها الخفاجي في ريحانة الالبآء . والثريّا للتي يُستصبَح بها وهي المعروفة في هذا القطر بالنجفة جآءت في كلام صاحب

نفح الطيب . والعقال لما يُشدّ على الرأس جاء في شعرٍ لأَبي فراس . وخيال الظلّ للامثلة المشبَّهة من وراء ستار وهو لفظٌ مشهور وغير ذلك مما يطول استقراؤهُ فنكتفي منهُ بما ذُكر

واما الاصطلاحات الخاصة فمنها في مواضعات كتّاب ديوان الخراج الحشْريّ وهو ميراث من لا وارث لهُ وهو المعروف في ايامنا بالمحلول . والإِقطاع وهو ان يُقطع السلطان رجلاً ارضاً فتصير لهُ رقبتها وتسمى تلك الأَرضون قطائع واحدتها قطيعة . والطُعمة وهي ان تُدفع الضيعة الى رجلٍ ليعمرها ويؤدّي عشرها وتكون لهُ مدة حياتهِ فاذا مات ارتُجعت من ورثتهِ والقطيعة تكون لعقبهِ من بعدهِ . والتسويغ وهو ان يُترك للرجل شيءٌ من خراجهِ في السنة وكذلك الحطيطة والتريكة . ومن مواضعات كتاب ديوان الجيش الأَطماع وتسمى الرَزَقات وهي مرتَّبات الجند والعمال . والتلميظ وهو ان يُطلَق لطائفةٍ من المرتزقين بعض ارزاقهم قبل ان يستحقوا وقد لُمّظوا بكذا وكذا . والمناصّة وهي ان يُحبَس عن القابض لمالهِ ما كان تلمظهُ واستلفهُ . ومن مصطلحات المهندسين الشكل الناري وهو جسمٌ يحيط بهِ اربعة سطوح مثلثات متساوية الاضلاع . والشكل الارضي وهو جسمٌ يحيط بهِ ستة سطوح مربعات متساوية الاضلاع والزوايا على هيئة كعب النرد وهو المعروف بالمكعَّب . والشكل الهوائي وهو جسمٌ يحيط بهِ ثمانية سطوح مثلثات متساوية الاضلاع والزوايا . والشكل الفَلْكي وهو جسمٌ يحيط بهِ اثنا عشر سطحاً مخمسات متساوية الاضلاع والزوايا الى غير ذلك . ومن اصطلاحات اهل الموسيقى اوتار العود الاربعة اغلظها البمّ ويليهِ المثلث ثم المثنى ثم الزير

وهو ادقّها . والملاوي وهي الآذان التي تُلوَى عليها الاوتار . ومشط العود وهو الشبيه بالمسطرة الذي تشد عليهِ الاوتار من تحت انف العود وهو مجمع الاوتار من فوق . والابريق وهو اسمٌ لعنق العود بما فيهِ من الآلات . والمضراب وهو الذي تُضرَب بهِ الاوتار . والجسّ وهو نقر الاوتار بالسبابة والابهام دون المضراب على التشبيه بجسّ العرق وقد تقدّم البزم بمعناهُ . والحزق وهو شدّ الوتر ونقيضهُ الارخآء والحطّ[1] . وقد اطلنا الى ما لعلهُ ادّى الى سأم المطالع فنمسك على هذا القدر ومن تتبع هذه النظائر في كتبهم وجد من كل ذلك ما يملأ مجلدات كثيرة وانما اوردنا هذه الامثلة القليلة بياناً لما كانت عليهِ اللغة في عهد السلف مما لم يصل الينا منهُ الا النزر اليسير . ومن غريب ما يُذكَر هنا انك تجد كثيراً من هذه الالفاظ في لغات الافرنج منقولةً بلفظها العربيّ وربما اضطررنا ان نأخذ بعضها من لسانهم كالكحل (alcool) والغرّافة (carafe) وغيرهما فسبحان مقلب الاحوال

(ستأتي البقية) ٥٠٦

رياضة الحيوان

المراد بالرياضة إعمال عضلات الجسم لتقويتها وهي مما لا يستغني عنهُ الحيوان كما لا يستغني عنهُ الانسان ولا سيما في زمن نموّ الجسم ولذلك ترى اللعب والاكثار من الحركة طبيعياً في الصغير من الانسان وغيرهِ . ومن

(١) كل هذا عن كتاب مفاتيح العلوم لمحمد بن احمد الخوارزمي من اهل المئة الرابعة للهجرة باختصارٍ وتصرفٍ قليل

أميل الحيوان الى هذا النوع من الحركة القرود فانك ترى القرد المحبوس في قفصهِ دائم الحركة والتسلق والنزول لا يكاد يسكن طرفة عين وهو شأن معروف في القرود في الآجام والادغال البرية فانها دائمة الوثوب من شجرةٍ الى شجرة ومن غصنٍ الى آخر وكثيراً ما تتعلق بقوائمها او باذنابها وتترجح في الهوآء ثم تعاود وثوبها . وقد ذكر بعضهم انهُ رأى غزلاً يرقص فكان في اثنآء رقصهِ يثب وثباتٍ عالية ويدور على نفسهِ في الهوآء ثم يدرك الارض واقفاً على قدميهِ وبعد ذلك يترنح فيميد ذات اليمين وذات الشمال كما يفعل السكران. وذكر غيرهُ انهُ رأى واحداً من نوع الجبُّون وهو صنفٌ منهُ قريبٌ من الاوران يتسلق بسرعةٍ غريبة على قضيبٍ من الخيزران او على طرف غصنٍ ويترجح عليهِ ثم يثب عنهُ مقذوفاً بقوّة الغصن نفسهِ فيذهب مسافة اثني عشر او ثلاثة عشر متراً ثم يتعلق بغصنٍ آخر فيفعل مثل ذلك حتى كأنهُ يطير بغير جناح وكذلك دأبهُ على الدوام فيقضي من حياتهِ في الهوآء اكثر مما يقضي بين الاغصان

وللكلاب مثل هذا الولوع بكثرة الحركة والجري حتى ترى هذه الكلاب الصغار التي تتبع اربابها في السكك لا تزال في حركةٍ حولهم فتذهب يمنةً ويسرةً على عرض الطريق وربما رجعت ادراجها مسافةً ثم تعود فلا يقطع ربها مسافةً حتى تكون قد قطعتها مرّات . قيل وفي طبع الكلاب حبُّ التزلج كما يفعل الغلمان وقد حكى بعضهم انهُ بينما كان مسافراً في بعض جبال الألب انفرد عنهُ كلبهُ الى منحدرٍ كان مكسوًّا بالثلج فاستلقى على ظهرهِ وجمع قوائمهُ فوقهُ وقد جعل رأسهُ الى جهة الاسفل ليكون تزلجهُ موافقاً لميل

شعرهِ ثم تزلج على ذلك الثلج المتجمد حتى انتهى الى حضيض الجبل ولما بلغ منقطع الثلج نهض ثم نظر الى صاحبهِ وهو يبصبص بذيلهِ واضطجع على الكلأ ينتظرهُ

ومثل الكلاب في ذلك الوعول وقد حكى من شهدها انها تقصد الشهوب (جمع شَهْب وهو الجبل علاهُ الثلج) أسراباً في مدة الصيف فاذا بلغت مأمنها في القُنَن العالية تنفرد جماعةٌ منها فتضّجع على طرف الشاخص من القُنّة وتزحف بقوائمها الاربع حتى تبلغ منحدر الجبل ثم تترك انفسها فتتزلج الى الاسفل وتقطع في تلك المسافة ما لايقل عن مئة او مئة وخمسين متراً ومتى بلغت الحضيض تستوي على قوائمها وتعود الى حيث كانت فتأخذ مكانها جماعةٌ اخرى فتفعل فعلها وتقف الاولى تنظر فاذا فرغت وعادت رجعت الاولى فتزلجت فلا تزال تتعاقب كذلك مرات ٍواحياناً يلي بعضها بعضاً فتتزلج معاً فيكون هناك منظرٌ من ابدع المناظر

ولا حاجة الى وصف ما يفعلهُ من ذلك سائر انواع الحيوان كالعِفآء والحُملان والجِدآء والغزلان والخنازير والارانب وغيرها وما يحدث بين بعضها احياناً من المواثبة والعراك على غير عداوةٍ ولا قصد سوى الرياضة البدنية وهو من الالهام الطبيعي في الحيوان

وهذا كلهُ غير مقصور على حيوان البرّ ولكنهُ كثيراً ما يُرَى في ذوات الثُدي من حيوان البحر واشهرهُ في ذلك نوع الدُلفين فانهُ يجتمع صفاً طويلاً بعضهُ بجانب بعض ويقطع كذلك مسافاتٍ طويلة في البحر وهو يتواثب بخفةٍ وسرعة فيذهب في وثبتهِ متراً او مترين في الهوآء على شكل قوسٍ

وبعد ما يغوص في المآء يعود الى مثل ما فعل اولاً وربما دار بعضهُ على نفسهِ في تلك الوثبة وهو يضرب بذنبهِ وقد ينتصب واقفاً ويرقص على وجه المآء ويثب مرات في الهوآء . واكثر ما يكون ذلك منهُ اذا رأى سفينةً قد نشرت اشرعتها وهي تخترق عباب المآء فانهُ حالما يراها يتجمع ويدور حولها ثم يدنو منها فيثب امامها او على جوانبها وهو يذهب ويجيء وكلما ازدادت سرعتها ازدادت حركتهُ حولها فيكون ذلك من اجمل ما يتلهى بهِ المسافرون

واما الطير فيقضي اكثر حياتهِ في الرياضة لانهُ دائم التنقل والطيران ومع ذلك فان لهُ رياضاتٍ مخصوصة فمنهُ ما يحلّق في اعالي الجوّ كالجوارح ومنهُ مايثب ويتراقص بين اغصان الشجر كالعصافير ولبعضهِ حركاتٌ مستملَحة ولا سيما الببغاء فانهُ كثير العبث في حركاتهِ وبعضهُ يرقص رقصاً بديعاً . وقد اطنب هَدْسُن في وصف رقص الطِيطَوَى وهو صنفٌ من القطا ذكر انهُ رآهُ في الجمهورية الفضية فروى عنهُ فصلاً غريباً ننقلهُ في هذا الموضع تفكهةً للقرآء . قال يجتمع للرقص ثلاثةٌ من هذا الطائر وهو مولعٌ بالرقص لا ينفك عنهُ طول السنة نهاراً وليلاً حتى في الليالي المظلمة . وهو يعيش اثنين اثنين ذكراً وانثى فاذا اراد الرقص انفرد واحدٌ منهُ وجاء الى الزوجين المجاورين لهُ فيستقبلانهِ بكل ما يدل على سرورهما بهِ ويذهبان فينضمان اليهِ ثم يقفان ورآءهُ ويمشي الثلاثة بسرعةٍ بخطوةٍ متفقة وهنَّ يغردنَ تغريداً موقعاً . فاذا فرغنَ يقفنَ وينشر المقدَّم جناحيهِ وينتصب واقفاً من غير حراك ويقف الآخران ورآءهُ ويغردان بصوتٍ عالٍ وقد نفشا

ريشهما ويميلان الى الامام والخلف حتى يمسا الارض باطراف مناقيرهما فيلبثان كذلك وهما يهينمان بصوتٍ منخفض واذ ذاك ينتهي الفصل فيعود الزائر الى انثاهُ وبعد ذلك يذهب احد الطائرين فيزورهما ويفعل الثلاثة كذلك . اهـ

الحياة في القمر

اجمع علماء الهيئة على ان القمر جرمٌ هامد لا شيء فيهِ من الكائنات الحيّة ولا هو قابل لان يعيش فيهِ ذو حياة لانهُ لا يُرى فيهِ الا فوَّهات براكين خامدة . على انهُ قد ظهر في بعض الكسوفات الكلية ان حولهُ شيئاً من الهواء الجوّي على ما اشرنا الى ذلك غير مرة وقد نشر المسيو پيكرين الفلكي الاميركاني الشهير ما يدلّ على انهُ يعتقد ان القمر لم يبلغ تمام الهمود وانهُ لا يخلو من وجود هواءٍ وماءٍ وثلج وبالتالي لا يمكن القطع بانهُ خربةٌ خالية من كل حياةٍ حيوانية او نباتية . ووافقهُ على ذلك المسيو پرسيڤال لُوِيل فان هذين الفلكيين قد صنعا آلاتٍ بصرية في نهاية القوّة لرصد المريخ فاستخدما تلك الآلات لفحص وجه القمر ولبثا يرصدانهِ مدة سنةٍ كاملة . وقد تبين للمسيو پيكرين ان براكين القمر لم تخمد تمام الخمود فانهُ قد ظهر لهُ حدوث فوَّهات في اماكن لم تكن فيها من قبل

وقد اعلن ما هو اغرب من ذلك وهو وجود ثلج على القمر وذلك انهُ رأى عدة فوّهات بركانية صغيرة يحيط بها مادّة بيضاء اذا وقعت عليها اشعة الشمس ظهرت بلمعانٍ شديد ورأى مثل هذه المادّة ايضاً على الفوّهات الكبرى وعلى بعض قُنن الجبال العالية ومنظرها يختلف تبعاً لاتجاه اشعة

الشمس الواقعة عليها وتتبدل اشكالها في بعض الاحيان بما يُستدلّ منهُ على ان هذا الاختلاف مرتب على ازمنةٍ تتعاقب تبعاً للفصول

وكذلك ذكر انهُ رأى بُقعاً ذات ألوانٍ متغيرة موقعها على الغالب ما بين ٥٠ درجة من العرض الشمالي و ٦٠ درجة من العرض الجنوبي وهذه البقع تكون دائماً بجوار الفوّهات الصغرى مستديرةً بها على هيئة اكاليل او محاذيةً لبعض الاخاديد الضيّقة الا ان منظرها يتغير بين موعدٍ وآخر مما يدلّ على تغيرٍ في السطح الذي ينعكس عنهُ النور الآتي من جهتها . والذي في رأيهِ ان اقرب ما يعلَّل بهِ ظهور هذه البُقع انها نوعٌ من النبات الا انهُ قد لا يكون شبيهاً بالنبات الارضي

ويقول المسيو پيكرين ان هذه المناظر لا يمكن ان تكون مسببةً عن اختلاف الظلال على وجه القمر او عن نَوَدان القمر في فلكهِ ولكنها امورٌ متحققة تدل على اشيآء حادثة في سطح القمر نفسهِ . وعلى كلِّ حال فان القطع بهذا القول لا يمكن الا بعد تكرار الرصد ولاسيما اذا امكن ابلاغ الآلات البصرية الى اتمّ ما هي عليهِ من الاتقان والله اعلم

السكَّر في غذآء المسلولين

نُشر الدكتور پليك احد اكابر اساتذة الطب في باريز فصلاً في الوقاية من السل الرئوي ذكر في جملتهِ منفعة السكَّر في مقاومة هذا الدآء ننقل هنا محصلَّهُ قال

لا يخفى ان السكَّر كان يُستعمَل قديماً في معالجة كثيرٍ من الاحوال

المرضية ولكنهُ اهمل في جملة ما أهملهُ المتأخرون من الادوية القديمة . وحسبنا في ذلك ان نذكر ما كان عليهِ اطبآء العرب من اعتبار مربّى الورد بالسكَّر من انجع الادوية في علاج السلّ وقد كان ابن سينا يستعملهُ في مداواة هذه العلة واستمرّ معتبراً كذلك عندنا الى عهدٍ غير بعيد من ايامنا كما ذكرهُ لازار ريڤيّار سنة ١٦٢٩ وكان المنصور يصف للمسلولين لبن الحمارة لكثرة ما يشتمل عليهِ من السكَّر . وقد ذكر رُولّين من فائدة السكَّر انهُ علاوةً على كونهِ من المغذّيات يُعدّ من افضل مضادّات الفساد وكان يذرّ منهُ على الجراح فيحصل عنهُ نفعٌ عظيم . ولا يُنكَر ان مضادّات الفساد كما نبه عليها المشار اليهِ تعد من افعل الذرائع في مقاومة السل

ومن المعلوم اليوم ان الاطعمة المحلاّة بالسكر فضلاً عن كونها نافعةً في المعالجة تنفع ايضاً في الوقاية والاحتياط . والسكَّر من الموادّ التي يسهل امتصاصها وتمثيلها في البدن وهو زيادةً على ذلك يفيد البنية مقداراً عظيماً من الحرارة لا يكون اقلّ من نصف الحرارة التي تنشأ عن المواد الدهنية

اما كيفية استعمالهِ فلا يصلح ان يُعطى بالحالة الطبيعية ولكن الافضل ان يُتخذ منهُ مربّيات تُخلَط عند الاقتضآء باللحم النيء (وهو علاجٌ قديم لتروسّو) او تُستعمَل بدونهِ وافضلها مربى البرتقال . ويُعطى ايضاً في بعض الاطعمة والمشروبات المحلاّة بهِ وغير ذلك من اصناف المتناولات ومقدار ما يؤخذ منهُ لا ينبغي ان يتجاوز ١٠٠ غرام في اليوم ويجب ان يكون من السكر النقي المتبلور لا يخالطهُ شيءٌ من المواد الملوّنة ولا سيما اللازورد

مربّعة ابن دريد

(تابع لما في الجزء السابق)

حرف الحاء

حماهُ الكرى طيفٌ يلمُّ بجفنهِ ويبعث ماءَ العين فهو سفوحُ
حرامٌ على عينٍ يسامرها البكا وجفنٍ رماهُ الوجد فهو قريحُ
حيامٌ[1] على ماء السلوّ وللهوى خواطرُ تغدو نحوهُ وتروحُ
حوى غاية البلوى فؤادٌ معذَّبٌ طوى عنهُ صدَّ حِبِّهِ[2] ونُزوحُ

حرف الخاء

خامرَتْ قلبهُ همومٌ تلظَّت نارها في الحشا فليس تبُوخُ[3]
خفيت في الفؤاد ثم اذاعت[4] لدموعٍ تجيش ثم تسوخُ[5]
خاف نأيَ الحبيب فاستصرخ الدمـ ـعَ وماءُ الجفون نِعمَ الصريخُ[6]
خِلْتَ من لو دعوتَهُ وهو ميتٌ ظلَّ يُصغي مسارعاً ويُصيخُ[7]

حرف الدال

دعا دمعَهُ الشوقُ المبرّحُ دعوةً فأَقبلَ لا يلوي[8] ولا يترددُ
دموعٌ هي الماءُ الزلال وتحتهُ تضرُّمُ وجدٍ جمرهُ يتوقدُ
دواءُ فؤادٍ انت اعظمُ دائهِ لقاؤُكَ[9] والعذّال عنيَ رُقَّدُ

---

(١) مصدر حام وهو مبتدأ محذوف الخبر اي لهُ حيامٌ (٢) بكسر الحاء بمعنى حبيبهُ (٣) تخمد (٤) كذا ولعل الاصل ثمةَ ذاعتِ والضميرِ للهموم (٥) اي تغور وتنضب (٦) استصرخ الدمع استغاثهُ والصريخ المغيث (٧) بمعنى يصغي (٨) يمطل (٩) مبتدا خبرهُ دواءُ في اول البيت

دنوتُ فكافا بالدنوّ تباعداً فحتى متى ادنو اليهِ ويبعدُ

حرف الذال

ذاب من فرط شوقهِ القلب حتى عاد مما عراهُ وهو جنيذُ (١)

ذقتُ طعم الهوى مع الهجر مرًّا وهو ان مازَجَ الوصالَ لذيذُ

ذَرْعُ صبري يضيق ان مارس الشوق فصبري اليك منهُ يعوذُ

ذاع ما كنتُ كاتماً من جوى الحبّ م الذي ضمهُ الفؤاد الوقيذُ (٢)

حرف الرآء

رُبَّ ليلٍ اطالهُ أَلَمُ الشوق وفقدُ الرقاد وهو قصيرُ

راع فيهِ الكرى تباريحُ شوقٍ وخيالٌ جنحَ الظلام يزورُ

راقهُ منظرٌ انارَ فأورى لسناهُ ضوءُ الصباح المنيرُ

رشأٌ يقتل الاسودَ غريرٌ كيف يُردي الاسود ظبيٌ غريرُ

حرف الزاي

زَفَراتٌ للقلب فيها اذا ما اضرمتها الهمومُ فيهِ أزيزُ (٣)

زعموا أن من يحبُّ ذليلٌ فكذا كلُّ من يُحَبُّ عزيزُ

زار تحت الكرى فسهَّلَ امراً كان ان رُمتُ وهو صعبٌ حريزُ

زِلتُ في امرهِ اكفكف دمعاً ساقهُ للجفون شوقٌ حميزُ (٤)

حرف السين

سيرةُ الوامق انقيادٌ اذا قِيدَ م ذَلُولاً وهو الجَموح الشريسُ

---

(١) مشوي (٢) المدنف (٣) غليان (٤) زلت اي ما زلت بحذف الحرف . وحميز اي شديد

سِيمَ خسفاً فقال ان كان حظي منهم الضيمَ فهو حظٌّ تعيسُ
ساعدت عينهُ الفؤادَ فجادت فهي غَرْقى[1] ونورها مطموسُ
سَئِمَتْ نفسهُ الحياةَ وأكدِرْ بحياةٍ اذا اُجتوتها[2] النفوسُ

حرف الشين

شابَ ماءَ الجفون بالدم شوقٌ ملأ القلبَ منهُ فهو يجيشُ
شفّهُ الهمُّ فهو نِضوٌ سقيمٌ ايُّ نفسٍ مع الهموم تعيشُ[3]
شَقِيَت بالسهاد مقلة صبٍّ بات والجمر تحتهُ مفروشُ
شام برقاً يحدو الردَى فحداهُ لورود الحِمام حادٍ كميشُ[4]

حرف الصاد

صوابٌ لعيني ان تَصُوبَ دموعها وقد شمرتْ بالظاعنين القلائصُ[5]
صرفتُ اليهم طرف عينٍ سخينةٍ وانسانها في لجة الدمع غائصُ
صباحاً وقد حالت دُوَينَ شخوصهم فِساح الفيافي والإكام الشواخصُ
صِباكَ ولا يُغلَبْ عليك وقد بدا شُعاعُ مشيبٍ في المفارق وابصُ[6]

حرف الضاد

ضمانُ اللهِ يكنُفُ من تولى وقلبي من تذكُّرهِ مريضُ
ضَنِيتُ وكيف لا يَضنَى محبٌّ يشرِّدُ نومَهُ دمعٌ يفيضُ

(١) كذا في الاصل (٢) كرهتها (٣) شفهُ أنحلهُ والنضو المهزول (٤) سريع
(٥) تصوب تنحدر والقلائص النياق الفتيّة (٦) كذا رواية هذا البيت
وكأن صباكَ اغرائية اي الزم صباكَ ويقال غلبهُ على الشيء اذا غصبهُ اياهُ كأنهُ يقول
الزم صباكَ ولا يفرق بينك و بينهُ المشيب بأن يحوزكَ دونهُ . والوابص اللامع

ضميري مرتع الاحزان دهري وطرفي عن سوى سكني[1] غضيضُ
ضرامُ الشوق في أثنآء قلبي وبين جوانحي جمرٌ فضيضُ[2]

(ستأتي بقيتها)

متفرقات

راحة يوم في الاسبوع ـ امتحن الدكتور شفرد احد اطبآء الانكليز لزوم الجمام اي الفترة في العمل وما ينشأ عنهُ من التأثير في وظائف الاعضآء فاختبر ذلك في الخيل فوجد ان التي كانت تُراح يوماً في كل سبعة ايام ازداد عملها على نسبة ١٧ في المئة اي نحو السدس عن التي كانت لا تراح الا الراحة المعتادة في اوقات النوم والعلف . ثم اختبرهُ في الحمير والثيران فوجد ان عمل الحمار لم يزدد الا ٩ في المئة والثور ازداد عملهُ ١٣ في المئة فدلّ ذلك على انهُ كلما كان الحيوان اشدّ بنيةً كان اشدّ افتقاراً الى الراحة

مقاومة السلّ ـ خصص المستر جون رُوكفلر احد اصحاب المليارات من الاميركان مبلغ خمسة وثلاثين مليون فرنك لاقامة مستشفى للسل يُبحث فيهِ عن مصلٍ لهذا الدآء وسيوكل هذا البحث الى اطبآء كلية شيكاغو

---

(١) السكن الخليل تسكن اليهِ (٢) متفرق

آثار ادبيّة

الراوي ـ هو اسم جريدة يومية سياسية تجارية ينشرها حضرة الفاضل السريّ يوسف بك طلعة وقد تصفحنا الاعداد الاولى منها فالفيناها معتدلة الخطة نزيهة المقاصد مشتملةً على كثير من شريف المباحث وجليل الفوائد وقيمة اشتراكها السنوي ١٥٠ غرشاً في القطر المصري و ٥٠ فرنكاً في الخارج فنتمنى لها الانتشار والثبات

الاخآء ـ هو عنوان الجريدة التي كانت قد ظهرت منذ نحو ثلاث سنوات لحضرة صاحبها الاديب محمود افندي كامل كاشف قد عاد الى نشرها في هذه الايام بشكل مجلةٍ ذات ٣٢ صفحة تصدر مرةً في الشهر وقد وردنا الجزء الاول منها فوجدناهُ مشتملاً على عدّة نبذ مفيدة وقصائد رائقة لبعض اكابر شعرآء القطر فنحث الادبآء على مطالعتها وقيمة اشتراكها ٥٠ غرشاً في السنة

محاضرات الادبآء ومحاورات الشعرآء والبلغآء للراغب الاصفهاني ـ طُبع هذا الكتاب في مطبعة الهلال مختصراً بقلم حضرة الاديب ابرهيم افندي زيدان وهو سفرٌ جليل الفائدة يشتمل على كثير من الحكم والآداب ونوادر الاخبار والاشعار. يُطلَب من مكتبة الهلال بالقاهرة وثمنهُ ١٥ غرشاً مصريًّا واجرة البريد غرشان ونصف

فكاهات

حياةٌ بحياة [1]

كان يُرى على شاطئ البحر في الجهة الشمالية من بريطانيا كوخٌ حقير مبني من بعض الاخشاب والتراب يقيم فيهِ رجل وزوجتهُ وولدٌ صغير لهما يدعى ارمان . وكان الرجل صيادًا متقدماً في العمر لم يبقَ لهُ من طرق العمل والكسب الاّ صيد الاسماك فيحمل ما يصيدهُ الى اول بلدةٍ تقرب من كوخهِ فيبيعهُ بثمنٍ بخسٍ ويبتاع القوت الضروري لهُ ولامرأتهِ وولدهِ . وكثيرًا ما كان يحدث ان يلمّ بالرجل اعتلال أو يمنعهُ هيجان البحر من الصيد فيبيت اهل ذلك الكوخ ليلتهم بدون قوت عرضةً لانياب الجوع والبرد الشديد غير انهم احتملوا مصائبهم صابرين ووطنوا انفسهم على مقارعة الخطوب واستقبال القدر كيف جآء . ومضت عليهم في تلك الحال سنوات عديدة الى ان بلغ ارمان الحادية عشرة فكان يساعد والدهُ وقد اصبح شيخاً ضعيف الهمة في حمل الصيد والقآء الشباك ورفعها

وفي ذات يومٍ عاد الصياد الى بيتهِ مسآءً وعلامات اليأس بادية على وجههِ فاستقبلتهُ زوجتهُ كعادتها بوجهٍ باش وجعلت تسليهِ وتسرّي عنهُ لانها كانت تكتم في صدرها ما تقاسيهِ من شظف العيش ومرارة الحياة واذا عاد زوجها استقبلته بحنانها وبدّلت جحيم كدرهِ بجنة مؤاساتها فينسى المسكين همهُ ويخال نفسهُ في نعيم . وبعد ان جلسا حيناً قالت لهُ ما لي اراك ايها العزيز على خلاف العادة لا تبدد تسليتي اياك غيوم الهموم المنتشرة على وجهك . قال اواه ايتها الحبيبة انهُ لا يمكن ان ندوم على هذه الحال فانني شاعرٌ بتناقص قواي يوماً فيوماً فاذا منعني الكبر والضعف عن تحصيل القوت فماذا يحل بنا وكيف يتمكن ولدنا الصغير من القيام بثلاثة

(١) معرّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

اشخاص وهو لا يكاد يعرف حتى الآن كيف يلقي شبكتهُ ولا تقوى يداه الضعيفتان على هذا العمل الشاق . بل اي مستقبلٍ يرجى لهُ الا أن يعيش كما عاش والداهُ في هذه الارض المقفرة و بلوغ الحالة التي نحن فيها . قالت خفف عنك يا عزيزي فان للكون خالقاً يعتني بأمورهِ ويدبر احوالهُ فهو لايتركنا في زمن الضيق والشيخوخة ولن يتخلى عن ولدنا هذا . فقال الصياد لا اشك في ذلك ايتها الحبيبة لكنني لا انكر ان على الانسان السعي وعلى الله التدبير . وقد قابلتُ اليوم البائع الذي يشتري مني السمك وسألني عن احوالي فبسطت لهُ حقيقة ما نحن فيهِ وهو الذي وجه افكاري الى مستقبل ولدنا ارمان وقد نصحني نصيحةً اراها في منتهى الحكمة ولكنني ينفطر قلبي عند تصور امكان حدوثها . قالت وما هي هذه النصيحة . قال اشار عليَّ ان ارسل ارمان الى باريس فانهُ اذا بلغ تلك المدينة العظيمة لا يعدم وسيلة الاستخدام في محلٍ ما ولهُ في اجتهادهِ ونشاطهِ وذكائهِ كافلٌ بتقدمهِ عسى الله ان يأخذ بيدهِ فيبلغ يوماً سعادة الاستقلال بعملٍ خاصٍ لهُ . فصاحت الزوجة المسكينة ماذا تقول . . وكيف نحيا اذا بعد عنا ولدنا الوحيد وهو رجاء حياتنا في ايامنا الاخيرة . فقال الصياد وقد ترقرقت الدموع في وجنتيهِ هذا ما يكسر قلبي ايتهـا العزيزة ولكنني ارى نفسي من الجهة الاخرى مسوءولاً عن سعادة الولد ومستقبلهِ وليس من العدل ان نضحي مستقبل هذا الولد لمجرَّد سرورنا ومراعاةً لعواطفنا الابوية ونحن في حالة فقرٍ وليس في يدنا ما نعوض عليهِ بهِ بعد مماتنا . وكانت نتيجة هذه المحادثة ان قام الاثنان عن الطعام ولم يذوقا شيئاً منهُ فانزوى الرجل الى جانب الغرفة واطرق مفكراً وقامت الوالدة لرفع الطعام وقضاء اشغالها البيتية وهي ساكتة صامتة ولما انتهت جلست على سريرها وتضرعت الى الخالق عزَّ وجل ان يدبر ما يراهُ

ولم يفت ارمان كلمة من حديث والديهِ فلما ناما بقي مستيقظاً يفكر فيما سمعه ويحللهُ في رأسهِ الصغير الى ان تكاثرت عليهِ الآمال فاتعبتهُ ونام نوماً هادئاً حلم في اثنائهِ انهُ سافر الى باريس واقام فيها وانهُ اصبح ذا مالٍ فاستقدم اليهِ والديهِ وعاش واياهما بمنتهى السعادة والسرور . فلما استيقظت والدتهُ صباحاً رأت فمهُ الصغير وقد

رُسم على شفتيهِ الحمراوين تبسمٌ لطيف اعارهُ جمالاً ملائكيًّا فانحنت عليهِ وقبلتهُ بمنتهى الحنو والحب . فاستيقظ ارمان ورأى والديهِ بجانب مضجعهِ فقال اهلاً بكما فكيف تريان بيتي الجديد . ثم اجال نظرهُ في الكوخ فعلم انهُ كان لا يزال تحت اضغاث الحلم فضحك وقص عليهما حلمهُ . ثم قال لابيهِ دعني اذهب يا ابتاه الى باريس لاني اعتقد ان حلمي لم يكن الا وحياً يدلني على الطريق الذي يجب ان اقصدهُ . فقالت والدتهُ دع عنك هذه الافكار يا ولدي فأنت لا تقوى على السفر وهب انك سافرت وبلغت باريس سالمًا فمن يضمن لنا انك تجد فيها عملاً وماذا يحل بك في الغربة وانت بدون عمل ولا دراهم . قال لا يخلق الله يا اماه انسانًا ويهملهُ فلا يتركني اموت جوعًا وان لم اصل الى حالةٍ احسن من الحالة التي انا فيها الآن فلست بواصلٍ الى ادنى منها . فقال والدهُ قد تكلمت صوابًا ايها الحبيب وما كنت لامنع سفرك من الآن لولا خلوّ يدي ولو من مبلغ يكفي لان تصل بهِ الى باريس . فقال ارمان لا لزوم لذلك يا ابتاه فان غاية ما يلزمني قوتُ يومٍ يوصلني الى اول بلدةٍ في طريقي فمتى بلغتها لا اراني اعدم فيها وسيلة للعمل وتحصيل قوت يوم آخر يوصلني الى بلدةٍ اخرى وهكذا الى ان ابلغ باريس . فقالت والدتهُ وكيف يطاوعني قلبي ان ادعك تسافر وحدك هذه المسافة الطويلة . قال خففي عنكِ يا اماه فليس في الطريق وحوش مفترسة ولا اخاف من اللصوص اذ ليس معي ما يطمعهم فيَّ . وانتهى الجدال بين هؤلاءِ الثلاثة على قرارهم وموافقتهم على سفر ارمان في اليوم الثاني فأخذ الصياد شباكهُ وتوجه الى الشاطئ ليصرف عنهُ الشجن وحضنت الام ولدها طول نهارها وهي كلما سمحت لها دموعها ان تتكلم تزودهُ بالنصائح والارشادات . ثم فتحت صندوقها فأخرجت منهُ علبةً صغيرة ملفوفة بمزيد الحرص وكان فيها عشرة فرنكات فأعطتها لارمان وقالت لهُ هذا كل ما امكنني جمعهُ في هذهِ السنوات الاخيرة يا بنيّ ولا حاجة لي بهِ فخذهُ واحرص عليهِ الى وقت الحاجة

وفي صباح اليوم الثاني جهز ارمان نفسهُ واعدت لهُ والدتهُ طعامًا فسار ورافقهُ والداهُ الى مسافة من كوخهما فأعادا الوداع وكان موقفهما يكسر القلب ولحظ ارمان

ذلك فابتعد عنهما مسرعاً و بقيا يراقبانهِ الى ان غاب عن اعينهما فعادا اشباحاً بلا ارواح حتى بلغا الكوخ فانزوى كلٌّ منهما في زاويةٍ فكان مثال اليأس والحزن والكدر

وسار ارمان مسرورًا يعلل نفسهُ بالآمال ويغني لحنًا تعلمهُ من والدتهِ في ايام الصغر . وكان الثلج مغطياً طريقهُ فشعر ببرد شديد فجعل يعدو الى ان اعيا ورأى على جانب الطريق حجرًا فجلس عليهِ ثم اخرج طعامهُ وجعل يأكل منهُ شيئًا . و بعد ما استراح قليلاً شعر ببرد عظيم ثم تذكر والديهِ ورأى نفسهُ وحيدًا تائهاً في العالم الواسع فتساقطت دموعهُ وتغلبت عليهِ العواطف الصبيانية فأخذ يعول وينتحب . ثم كأن قوةً جديدة تولدت فيهِ فنهض وعاد الى عدوهِ كالاول ليتناسى افكارهُ المؤلمة وادركهُ المسآء فأجهد نفسهُ الى ان بلغ بلدةً بعد غياب الشمس . فأخذ يسير في احد شوارعها وهو يتلفت الى اليمين والشمال فرأى بنايةً رحبة امام بابها رواق فسيح ورأى في اعلاها صليباً فعرف انها كنيسة فمال الى الرواق وجلس في احدى زواياهُ ثم عاد الى تناول طعامهِ وكانت قد دبت فيهِ الحرارة فشعر بثقل اجفانهِ فتلا صلاةً كان قد تعلمها من والدتهِ ونام على مقعدٍ خشبي الى ان لاح الفجر .

وحالما دارت حركة العمل في البلدة كان ارمان يتجول في ازقتها وهو يعرض نفسهُ على اصحاب المخازن فمنهم من طلب منهُ ان يكنس لهُ المحل ومنهم من كلفهُ حمل بعض الامتعة ليوصلها الى مكان آخر فشعر بلذة العمل ولا سيما عند ما انتهى النهار ووجد انهُ ابتاع طعامهُ للغد و بقي معهُ فرنك اضافهُ الى ما اعطتهُ اياهُ والدتهُ وعاد الى الرواق امام الكنيسة ونام في الليلة الثانية براحةٍ تامة . ولما اصبح استأنف مسيرهُ الى جهة باريس بعد ان استدل على وجهتها وعرف اسم اول بلدةٍ على طريقهِ اليها . وما زال على هذه الحالة يتنقل من بلدةٍ الى اخرى حتى لم يبقَ بينهُ و بين باريس سوى مرحلةٍ واحدة . وعلم ان تلك المرحلة طويلة فمكث حيث كان يومين ليستريح ويقوى على قطع المسافة التي عليهِ اجتيازها ولما كان اليوم الثالث امطرت السمآء مطرًا غزيرًا وتساقط الثلج بكثرة فاضطرّ الى البقآء يومين آخرين ثم عاد الى استئناف مسيرهِ فانطلق تدفعهُ الرغبة الى الامام ويقويهِ الافتكار براحة والديهِ

على احتمال المشقات التي تعترض دون اتمام بغيته

وما انتصف عليه النهار حتى رأى طريقهُ مكسوةً بالثلج فتاه عنها وجعل يخبط في ذلك السهل متبعاً الوجهة التي يظن انها تؤدي الى باريس وخشي ان يدركهُ الليل قبل بلوغها فكان يقفز كالايل على تلك الارض البيضاء وما زال كذلك الى ان آذنت الشمس بالمغيب ورأى على نور الشفق قمم بنايات باريس وقباب كنائسها فسُرّي عنهُ واخذ يتابع سيرهُ مطمئناً . وسمع في اثناء سيره صوتاً ضعيفاً فاقشعرّ جلدهُ ووقف هنيهةً فتبين الصوت فاذا به صراخ طفل فتعجب من وجوده في ذلك القفر المغطى بالثلوج ودفعتهُ الرغبة ان يستطلع امر هذا الطفل فقصد جهة الصوت الى ان بلغ وهدةً فوجد فيها امرأةً مطروحة على الارض وقد غطى الثلج نصف جسمها وهي تضم الى صدرها طفلةً صغيرة لا يزيد عمرها عن السنتين وقد خلعت الام اكثر ثيابها ولفّت بها طفلتها لتقيها من الموت برداً ولو كلفها ذلك بذل حياتها . وهال ارمان هذا المنظر فوقف حيناً لا يدري ماذا يفعل ثم اقترب الى الام وناداها فلم تجب فلمسها بيده واذا هي كقطعةٍ من جليد فجعل يحرك جسمها ويضع اذنهُ على صدرها فوجد انها ميتة ولا امل في اعادة الحياة اليها فتحول الى الطفلة ورفعها بين ذراعيه فنظرت اليه بعينين زرقاوين وكأنها استأنست بوجوده فتبسمت وحاولت ان تطوق عنقهُ بيديها الصغيرتين . وألقى ارمان نظرةً اخيرة على تلك الجثة الهامدة فرأى انهُ لم يبقَ عليها الا اليسير من ثيابها وفي زندها محفظة جلدية صغيرة مقفلة فأخذها مع الطفلة ثم كانهُ رعبهُ منظر المائتة فابتعد عن تلك البقعة مسدداً خطواته الى جهة باريس . وبعد بضعة ايام لما ذاب الثلج رأى الفلاحون جثة تلك الام التي قضت شهيدة حبها لطفلتها فلم يعرف احد عنها شيئاً فنقلت الى باريس ودفنت في مقبرة الغرباء وكُتب على قبرها تاريخ ومحل وجود جثتها

اما ارمان فبلغ باريس حاملاً الطفلة وهو يبذل جهدهُ في مداراتها . وكأن قوة غريزية نبهتهُ الى ان الطفلة في حاجة الى القوت ومرَّ امام حانوت لبّان فاشترى منهُ قليلاً وجعل يطعم الطفلة بيده بحنوّ لا يُفرَق عن حنوّ الأمّ . وما انتهت

الطفلة من طعامها حتى القت رأسها على صدر ارمان وغرقت في سبات النوم . وكان ارمان قد استراح قليلاً فاستأنف سيرهُ في شوارع تلك المدينة العظيمة وهو حامل الطفلة بين يديهِ حتى بلغ قصرًا رأى على بابهِ حارساً فاستأذنهُ في المبيت تلك الليلة على جانب الباب فشفق الرجل عليهِ وادخلهُ الى غرفتهِ فوضع الطفلة بكل هدوء على الارض ثم تناول من زادهِ شيئاً وكان قد بلغ منهُ التعب فتمدد بجانب الطفلة وضمها الى صدرهِ ونام . ولما كان الصباح نهض ارمان فشكر الحارس لضيافتهِ ثم حمل الطفلة الى حيث ناولها الطعام كالليلة السابقة . وكان النهار دافئاً والجوّ مصحياً فجعل يطوف بها باحثاً عن خدمةٍ يسوقهُ اليها القدر ولكنهُ قضى اليوم الاول والثاني بدون جدوى ووجد انهُ قد انفق من مالهِ مبلغاً بدلاً من ان يزيدهُ . وكان لا يدري ماذا يفعل بالطفلة وهي سبب منعهِ من وجود عملٍ يعملهُ فجلس يوماً على رصيف شارع ووضع الطفلة على ركبتيهِ ثم اسند رأسهُ الى يدهِ وغاص في تأملاتهِ . ومرّ بهِ فتى فقال لهُ مازحاً هل انابتك امك عنها في تربية ابنتها . فتذكر ارمان والدتهُ فانحدرت دمعة على وجنتهِ ثم قال اواه يا ليت امي هنا او يا ليت أم هذه الابنة لم تمت . ثم دار بينهما الحديث فأخبر ارمان الفتى بقصتهِ فقال لهُ اشير عليك اذن ان تأخذ هذه الطفلة الى دير الراهبات فانهنَّ اجدر منك بتربيتها فضلاً عن انهُ ليس في طاقتك ان تبقيها معك ولا بيت لك ولا عمل لديك . فاستحسن ارمان مشورتهُ واستدل على احد اديار الراهبات فذهب اليهِ وطلب مقابلة رئيستهِ واعلمها بأمر الطفلة فأخذتها منهُ ثم سلمها المحفظة الجلدية وقال اظن ان من الواجب حفظ هذه كما هي الى ان تكبر الابنة وتستلمها لانها ارثها الوحيد من والدتها فاستلمتها الراهبة منهُ . ولما همَّ بالخروج شعر بحزن لمفارقة طفلتهِ فقبلها مرارًا ومسح دموعهُ بكمهِ وخرج

وكان ارمان اينما ذهب يرى في طريقهِ نفرًا من الجنود الفرنسوية فيتوق الى الانتظام في سلكهم والارتداء بملابسهم ولكنهُ علم ان الجندي كثير التنقل معرَّض للاخطار وهو يفكر في عكس ذلك اي انهُ يسعى للاقامة في نفس باريس واصلاح حالهِ ليأتي بوالديهِ . ولم تمضِ عليهِ مدة طويلة حتى استُخدم في محلٍّ تجاري بأجرةٍ حسنة

فاكترى غرفةً وايقن ان نجم سعادته ِقد قارب الاشراق . وقضى ارمان في باريس ست سنوات يدأب في عمله ِمواظباً مجتهداً منتبهاً الى دخله ِ وخرجه ِ فتوفر لديه ِ مبلغ من المال ليس بقليل فاستأذن رئيسهُ وسافر الى والديه ِ ليبشرهما بنجاحه ِ ويحضرهما بصحبته ِ . ولما بلغ مسقط رأسه ِ توجه الى الشاطئ حيث كان الكوخ فرأى مكانهُ انقاض ذلك البناء الحقير ولدى البحث والسؤال من جماعة الصيادين المقيمين في تلك الجهات علم ان ابويه ِ توفيا من مدة طويلة وانهما مدفونان تحت انقاض ذلك الكوخ . فأظلمت الدنيا في عيني ارمان وعاد الى البلدة المجاورة فاكترى عمالاً رفعوا انقاض البنآء وبنى لوالديه ِ ضريحاً قضى بجانبه ِ اياماً يندبهما ويسقي ثرى الضريح من دموعه ِ ثم رجع الى باريس وقد عرف نفسهُ للمرة الاولى في حياته ِ انهُ اصبح يتيماً وحيداً في العالم الكبير . ولم يعد ما يحول دون بغيته ِ في خدمة الجندية فدخل في سلكها وكان لهُ من اجتهاده ِ وذكائه ِ وما كُتب لهُ من التوفيق ما ساعدهُ على الارتقاء فما عتم ان سمي رئيساً لفرقةٍ من الحرس

وبلغ ارمان الخامسة والعشرين من عمره ِ وقد اكتمل بنآء جسمه ِ واشرق وجههُ بنضارة الشباب وكانت ملابسهُ العسكرية تزيده رونقاً وجمالاً وتقرباً من قلوب ناظريه ِ واصحابه ِ . واحبهُ ناظر الجهادية فعينهُ محافظاً للأمن في الجهة الشرقية من باريس فسار بفرقته ِ الى محل عمله ِ واكترى بيتاً فاقام فيه ِ . وحدث يوماً انهُ فتح نافذتهُ صباحاً فرأى على الجانب الآخر من الشارع بيتاً قد فُتحت نافذتهُ فبان داخلهُ ووجد في تلك الغرفة فتاةً جالسة على كرسيٍ وامامها قطعة من النسيج الحريري تشتغل اناملها بتطريزها . وحانت من الفتاة نظرة فرأى ارمان وجهها فشعر بسهمٍ اصاب فؤادهُ ولا عجب فانهُ لا عمل لاله الحب سوى ان يريش مثل هذه السهام كلما سنحت لهُ الفرصة . وشعرت الفتاة بوقوع نظر ارمان عليها فاستحيت وعادت الى شغلها فلبثت مدة قصيرة ثم نهضت عن كرسيها وغابت عن نظره ِ . اما ارمان فلم يفارق غرفتهُ في كل ذلك النهار وهو يسير فيها ذهاباً واياباً ويتطالُّ بنظره ِ الى النافذة لعلَّ فاتنتهُ ترجع الى عملها فيراها مرةً ثانية . ودخلت عليه ِ

صاحبة البيت وقد احضرت لهُ طعام المساء فجعل يحادثها ثم تطرق الى السؤال عن الجيرة فعرف منها ان الفتاة تدعى اماليا وانها يتيمة تسكن في بيت رجل شيخ حرفتهُ التعليم وانها تشتغل بالتطريز وتتكسب منهُ فتحصل في كل شهر ما يقوم بنفقات سكناها وكسوتها وربما ادخرت من دخلها شيئاً . ثم اخذت المرأة تطنب في مدح اماليا وانها منذ جاءَت الى ذلك البيت اي من مدةٍ تزيد عن سنة لم ترَ منها سوى العفة والوقار والحرص والاجتهاد . فازداد ارمان ولعاً وتاق الى مشاهدة اماليا مرة اخرى والتعرف بها . وما صدق ان جاءَ اليوم الثاني حتى اطلّ من نافذته فرأى الفتاة في عملها كالمرة الاولى . ثم نظرت فرأتهُ فصُبغ وجهها بلون القرمز وكاد هو ان يفقد تنفسهُ . ودامت الحال على ذلك اياماً لا يرى ارمان اماليا ولا تراهُ الا مرةً واحدةٍ في اليوم ولم يحصل بينهما كلام ولم يدريا ان رسل الهيام الغير المنظورة كانت تتبادل بينهما رسائل الحب بلغةٍ سرية لم يتمكن البشر الى الآن من حل رموزها وضبط حروفها . وكانت مدة تراسلهما بالنظر تطول يوماً عن يوم فتحقق ارمان ان عند الفتاة مثل ما عندهُ من الهيام فتجاسر يوماً وحنى لها رأسهُ مسلماً فاجابتهُ بالمثل فبقي ذلك اليوم بطوله مسروراً فرحاً كانهُ رقي العرش الملكي . واصبحت عرى الوله محكمة بين العاشقين ولكن لم يجسر احدهما ان يبدأ الآخر بالحديث

وكان ناظر الحربية لا يفتر عن مراقبة ارمان فاعجبهُ جدًّا بحسن سلوكهِ وذكائهِ الخارق عدا ما رأى فيهِ من النفس الأبية ودلائل الشرف والعظمة . فاستدعاهُ اليهِ يوماً واخبرهُ انهُ يودّ مفاتحتهُ بامرٍ سري عظيم الاهمية وسألهُ اذا كان يثق بشرفهِ ان يقوم بما سيعرضهُ عليهِ وانهُ مخير في القبول او الرفض بشرط ان يعاهدهُ على عدم افشاء سرّه لمخلوق . فاقسم ارمان للناظر بشرفهِ وتربة والديهِ ان لا يخالف لهُ رغبةً فاكتفى الناظر بهذا القسم فادخل ارمان الى غرفة سرية و بعد ان اخذ التحفظات اللازمة جلس بقربهِ وقال لهُ اعلم ياعزيزي ارمان ان المملكة الفرنسوية الآن منقسمة الى حزبين احدهما يعضد كافل الملك الدوق دورليان والحزب الاخر يكرههُ ويستهجن سياستهُ ويرى ان بقاءَ هذا الدوق في منصبهِ مجلبة للدمار والويل

على وطننا المحبوب . وانني انا من هذا الحزب الاخير الذي يضم اعاظم رجال فرنسا ونخبة اشرافها . ولما لم يكن من الممكن خلع الدوق ولا اقناع الملك بعزله قررنا وجوب التخلص منهُ وعلمنا انهُ يزور في بعض الليالي ابنتهُ في ديرها فيرجع من هنالك ليلاً بعربتهِ وحدهُ ولا حرس يرافقهُ فرأينا ان نعين اناساً يكمنون لهُ في طريقهِ حتى اذا كان عائدًا يخطفونهُ ويذهبون بهِ الى اسبانيا ولنا هنالك انصارٌ من حزبنا فيبقى اسيرًا عندهم الى ما شآء الله . وقد اعددنا جوازات السفر وكل التدابير المستلزمة ولم يبقَ علينا سوى اختيار الباسل الذي يعهد اليهِ في هذا العمل وقد ضمنت للحزب ايجادهُ اعتمادًا عليك وثقةً بك فهل اخطأت في زعمي يا ارمان . فقال ارمان وقد تهلل وجههُ فرحًا لاعتماد ناظر الحربية اياهُ وثقتهِ بهِ وقال امرك مطاع يا مولاي وكان في امكانك ان تؤكد للحزب ان الشخص موجود قبل ان تسألني . فقال الناظر هذا ما كنت ارجوهُ ايها العزيز واعلم انهُ اذا نجحنا في مسعانا هذا فلا تكاد تفرغ من هذه المهمة حتى ترى نفسك في ديوان النظارة الحربية مادًّا يدك للقبض على قضيب المارشالية . فقال ارمان لا تعدني بالمكافأة يا مولاي لئلا يُظن انني مأجورٌ لهذا الفعل وانا اود ان افعلهُ عن طيبة خاطر . فقال الناظر قد اظهرت لك جزآء الفوز كما اني لا اخفي عنك ان دون اتمام الامر خطرًا جسيمًا وانك اذا عاندك القضآء وعُرفت قبل القيام بذلك لا يكون جزآؤك الا الموت العاجل . فقال ارمان متبسمًا سترى يا مولاي ان سيري الى القبر لا يختلف عن سيري الى المجد . قال حسنٌ ولكن ربما تُعذَّب للاقرار باسمآء من تعرفهم من رجال حزبنا . قال كن مطمئن البال يا مولاي فان عذابات العالم باسرهِ لا تقوى على ان تفتح شفتي ارمان اذا شآء ان يطبقهما . فقال الناظر لا عدمتك ايها العزيز وانهُ يمكنني بعد ما رايتهُ فيك ان ادخلك الى الجلسة الحافلة بحزبنا وهم ينتظرون الجواب فاتبعني . ولما قال هذا اخذ بيد ارمان وقادهُ الى باب قريب وضغط زرًّا ففتح الباب ودخلا دهليزًا انتهى بهما الى غرفةٍ فسيحة منارة بنور ضعيف ورأى ارمان نفسهُ في حضرة جمهور من الكبرآء عرف اكثرهُ . فأخذ الناظر يقص عليهم ما دار بينهُ وبين ارمان فأظهر الجميع

اعجابهم بيسالة الفتى واثنوا عليهِ ثم اعلموهُ ان الدوق سيذهب لزيارتهِ المعتادة في مسآء الغد . فتكفَّل ارمان ان يبذل جهدهُ للقيام بتلك المهمة فصافحوهُ جميعاً متمنين لهُ الفوز واعطاهُ الناظر مبلغاً وافرًا من المال ليستعين بهِ على اغرآء مساعدين لهُ اذا دعت الحاجة . فانصرف ارمان وهو لا تكاد رجلاهُ تلمسان الارض لاعجابهِ بنفسهِ وقد اصبح مستودعاً في صدرهِ سرًّا هائلاً تهتز لهُ رؤوس كبار الفرنسويين وتقف حياة اعظمهم مقاماً على النطق بكلمةٍ واحدة من فمهِ . واستغرقت زيارة ارمان للناظر القسم الاعظم من الليل فلم يبلغ غرفتهُ الا في الساعة الرابعة صباحاً وعلم ان امامهُ في الليلة الثانية عملاً شاقًّا وسهرًا طويلاً فنزع ثيابهُ وانطرح على سريرهِ ملتمساً الراحة

ولم يستيقظ ارمان من نومهِ الا قرب انتصاف النهار فهبَّ مذعورًا وتوجه حالاً الى نافذتهِ فأطلَّ على غرفة الفتاة فوجد انها قد غادرت عملها فعضَّ على انامله اسفاً ثم جلس في غرفتهِ يفكّر في كيف يقوم بالمهمة التي فوضت اليهِ فرأى ان لا يعتمد على احد لمساعدتهِ وان يكتفي بقوتهِ وحدهُ . ثم جال في فكرهِ ما سيلاقيه من الاخطار وما يحتمل ان يصادفهُ من الفشل وانهُ ربما يلقى عليهِ القبض ويحكم عليهِ بالاعدام فطار رشدهُ لا خوفاً من الموت بل خوفاً من ان يموت دون ان يرى حبيبتهُ اماليا . وبقي ارمان على هذه الحالة الى ان ولّى النهار ولم يفز برأى حبيبتهِ فعمد الى رقعةٍ كتب عليها ما يأتي :

« يا منتهى املي

لم يسبق بيننا خطاب ولا مراسلة وقد عرفت اسمكِ وانكِ يتيمةٌ وحيدة وانا كذلك وهذه المساواة بيننا تقوي املي انكِ تحبينني كما احبتكِ حبًّا لا يقوى الموت على نزعهِ من صدري . سأغيب ايتها الحبيبة بضعة ايام لقضآء مهمة عظيمة وشديدة الخطر فأطلب من قلبكِ الطاهر ان تتضرعي الى الله من اجلي لاعود سالماً . وان لم ارجع في نهاية هذا الاسبوع فيكون قد قضي عليَّ واذ ذاك فلا اطلب منكِ سوى ذكري والاعتقاد بأني محبكِ المخلص ارمان »

ولما انهى كتابة الرقعة ربطها الى حجر صغير ورمى بها الى غرفة اماليا ثم تمنطق

بسيفه واخفى غدارتين في ثيابه وخرج من البيت تسوقهُ المقادير وتقودهُ الآمال حتى بلغ البقعة المقفرة التي علم ان الدوق سيمرّ فيها فتربص في مكمنٍ وجعل ينتظر قدوم فريسته

وعند الساعة العاشرة ليلاً سمع ارمان وقع حوافر جياد العربة فاقشعرَّ بدنهُ ثم نهض فتقدم الى جانب الطريق واخذ بيديه غدارتيه فما وصلت العربة الى جانبه حتى وثب كالليث المفترس فصوب الغدارة الواحدة الى صدر الدوق والاخرى الى الحوذي وصاح بهما ان من باشر حركة واحدة تخترق رصاصتي صدرهُ. فاستوقف الحوذي الجياد وقال الدوق بصوته المعتاد و بغاية اللطافة وماذا تريد منا ايها الفتى . قال اريد ان تتبعني بدون ممانعة البتة وان تقسم لي بشرفك انك تفعل قبل ان اردّ يدي . فقال الدوق لا شك انك فرنسوي يا هذا ولا يفعل الفرنسوي الا ما يعود بالخير على وطنه فأنا اقسم لك بشرفي انني لا امانعك في شيء مما تنوي عملهُ الى ان اعرف غايتك . ولم يشعر ارمان في اثنآء مخاطبته الدوق ان فرقةً من الجنود كانت تتسلل من بين تلك الادغال تحت غلس الظلام حتى اقتربت منهُ ووثب اربعة منها على ارمان فألقوهُ الى الارض موثقاً في اقل من طرفة عين . وكان السبب في ذلك ان بعض شرطة الدوق عرفوا بأمر المكيدة وتفاصيلها فأخبروا الاب ديبوا كاتم اسرار الدوق فوجّه هذه الحامية لانقاذ مولاهُ واحباط سعي المؤتمرين

وأُخذ ارمان الى الباستيل حيث احتمل اصناف العذاب للاقرار عن بقية رفاقه في هذه المكيدة فانكر ان لهُ رفقآء وقال انهُ انما اراد الانتقام من الدوق لعداوة شخصية يضمرها لهُ ثم حوكم وحُكم عليه بالاعدام

اما اماليا فلما عادت الى غرفتها وجدت فيها رسالة ارمان فأخذتها بيد مرتجفة ولم تفرغ من تلاوتها حتى تساقطت دموعها ثم جثت امام ايقونةٍ معلقة على جدار الغرفة فابتهلت الى الله بحرارة فائقة سائلةً لحبيبها النجاة والعودة بسلام . ثم جعلت تراقب يوميًّا غرفة ارمان فلم ترهُ فيها وكانت اخبار محاولة الفتك بالدوق قد ملأَت باريس فسمعتها اماليا و بلغها ان صاحب المكيدة ملقىً في سجن الباستيل ينتظر نفاذ

الحكم باعدامهِ . ولما انتهى الاسبوع ولم يعد ارمان فرغ صبرها وكادت تفقد عقلها فوالت البحث والسؤال فعرفت انهُ هو نفس حبيبها وان موعد اعدامهِ في الغد فعادت الى غرفتها حيث استخرطت في البكآء وقضت نهارها في التضرع والصلاة

ولما كان اليوم الثاني نهض ارمان في سجنهِ وقد شعر باقتراب ساعة اعدامهِ فمر على مخيلتهِ ذكرى والديهِ ثم اشخاص المكيدة الذين حافظ على كتم سرهم ثم حبيبتهِ اماليا وهنا تراكمت عليهِ الاحزان وتشردت افكارهُ فغاص في بحار التأملات ولم ينتبه الاَّ عند ما فتح باب سجنهِ فراى جنديين بحرابهما يأمرانهِ بالخروج فسار امامهما بدون وجل كانهما يقودانهِ الى حفلة سرور وليس الى النطع الى ان بلغا بهِ غرفة حاكم الباستيل . وهناك وجد ارمان شخصاً مرتدياً السواد وعلى وجههِ نقاب ثقيل فاشار الحاكم الى ارمان وقال للشخص هوذا السجين فخذهُ واتبع الاوامر المعطاة لك. واذ ذاك نهض الشخص فاقتاد ارمان وخرجا من الغرفة وكان في ساحة الباستيل عربة مطبقة فاشار الشخص الى ارمان ان يدخلها ففعل وتبعهُ الشخص وسارت العربة بهما حسب الاوامر المعطاة للسائق . وبعد مسير نحو ساعة ونصف لم يتكلم الشخصان فيها قط. وقفت العربة واذ ذاك اخرج الشخص المجهول رقعةً من صدرهِ ناولها لارمان وقال لهُ اقرأ هذه . ففتحها ارمان بيد مرتعشة واذا فيها ما ياتي

«قد حاولت ان تفتك بي في هذا المكان فقصاصاً لك اهبك حياتك في المحل نفسهِ وعساك ان لا تفكر بعد الآن في اذية كاتبهِ فيليب دوق دورليان»

وبينما ارمان حائر في امرهِ كشف الشخص قناعهُ واذا بهِ اماليا بعينها . فصاح ارمان كمن رأى شبحاً وانطرح على مقعد العربة لافاً ذراعيهِ على عنق حبيبتهِ وألقت هي رأسها على صدرهِ . ولما ملك ارمان روعهُ عاد بحبيبتهِ الى بيتها وجلس بجانبها طالباً منها تفسير ما حصل فقالت

كان ابي ضابطاً في الجندية وحارب مرة في موقعة تحت قيادة الدوق دورليان نفسهِ فحدث ان وجَّه احد الاعدآء سهماً مسموماً الى صدر الدوق ولم يكن من وسيلةٍ لاتقائهِ وكان ابي بجانب الدوق فوثب كلمح البصر واستقبل السهم بصدرهِ

فمات ابي ونجا الدوق . وكانت والدتي قد وضعتني قبل هذه الحادثة ببضعة ايام فما بلغها خبر والدي حتى استولى عليها مرض عضال لم تنجُ منهُ الا بمعجزة . ووجدت لديها بعد شفآئها كتابًا من الدوق يقول فيهِ انهُ يتأسف جدًّا على فقد والدي وانهُ وان يكن غير قادر على اعادة الموتى الى الحياة فهو بالخصوص وفرنسا بالعموم مديونان لوالدتي ولها ان تطلب منهما ما تشآء ليقوما بعملهِ لها . فحرصت والدتي على هذا الكتاب وحفظتهُ عندها مدة سنتين كانت تنفق فيها مما تركهُ لها والدي ولما ضاقت بها الدنيا واصبحت لا تملك شيئًا قصدت باريس وفي نيتها ان تطالب الدوق حسب وعدهِ بما يصلح حالها فعاجلتها منيتها وربيت انا في بعض الاديار وليس لي من ذكرى والديَّ سوى كتاب الدوق و بعض اوراق . فصرفت مدةً في الدير تلقيت فيها بعض العلوم والاشغال اليدوية ثم مللت حياة العزلة فخرجت وقد اتفقت مع الشيخ صاحب هذا البيت وكان يدرّس في الدير فاعطاني هذه الغرفة وكنت اطرز وابيع ما اطرّزهُ فادفع لهُ اجرة الغرفة واجمع لديَّ الباقي . ولما بلغني خبر سجنك وصدور الحكم عليك بالاعدام لبثتُ نهاري نائحة ضارعة ثم خطر لي في المسآء كتاب الدوق فكدت اجن فرحًا وبالحال اخذتهُ وسرت الى القصر و بعد ممانعة طويلة و يأس عظيم أذن لي في الدخول الى حضرة الدوق وهو آية اللطف والكمال فاستقبلني بوجهٍ بشوش وسألني عما اريد فتلجلج نطقي اولاً ولكنني تصورتك امامي ايها العزيز ارمان فعادت اليَّ قوتي وتكلمت بفصاحة فاخبرتهُ بحالي كما هي واطلعتهُ على كتابهِ الى امي وقلت لهُ قد خلص ابي حياتك بفقد حياتهِ فخلص انت حبيبي بدون ان تخسر شيئًا . ولما عرفني الدوق قال اذًا انتِ ابنة منقذي من الموت وسقطت عبرةٌ من عينيهِ ثم اطرق مفكرًا كمن يحارب افكارهُ فيما يصمم عليهِ وانا شاعرة ان حياتي معلقة بين شفتيهِ

و بعد سكوت هنيهةٍ خلتها دهرًا اقترب الدوق من مائدةٍ فأخذ ورقةً وكتب عليها شيئًا وختمها بخاتمهِ ثم كتب ورقةً اخرى دفعها اليَّ واوصاني ان اسلمها اليك كما فعلت وقال لي قد وهبتك حياة حبيبكِ ووفيت الدين القديم الذي عليَّ فعيشي

معهُ بسرور وتذكرا انهُ لم يبقَ عليَّ دينٌ لأ فيهُ مرةً اخرى ... ثم قرع جرساً فضياً فدخل بعض قواد الحرس الملكي فأعطاهُ الرقعة وقال لهُ خذ هذه الفتاة الى حاكم الباستيل وقل لهُ يفعل حسب اوامري هذه . فجئنا الباستيل وامروني ان اتقنع قبل ان تقابلني وتمّ ما تعرفهُ ايها الحبيب

وكان ارمان شاخصاً الى وجه حبيبتهِ وهو لا يدري أفي يقظةٍ هو أم في منام فجعل يقبلها ويشكرها . ثم قال لها ذكرتِ ان والدتكِ توفيت حين كان لكِ من العمر سنتان فقط فكيف عرفت تاريخها ومن اين حصلتِ على الاوراق التي ذكرتها . قالت لما تضايقت والدتي كما اخبرتك حملتني واستصحبت المحفظة التي فيها هذه الاوراق وقصدت باريس لتطلب مساعدة الدوق فاعترضتها في طريقها الثلوج والبرد القارس وخافت عليَّ من الموت برداً فجعلت تنزع ثيابها فتلفني فيها وبعبارة اخرى بذلت نفسها لخلاصي وقضت في ذلك المدفن الثلجي . واتفق ان فتى كان ماراً من هنالك فالتقطني واخذني الى الدير الذي ربيت فيهِ ولما كبرت اخبرتني الراهبات بذلك وان جثة والدتي قد دُفنت في مدفن الغرباء فبحثت عن قبرها حتى عرفتهُ وكنت ازورهُ دائماً . ثم دفعني الشوق الى معرفة والديّ ففتحت المحفظة ووجدت الاوراق وعلمت منها كل شيء . فلما سمع ارمان منها هذا الحديث بُهت ووقف كالمأخوذ ثم قال أو لا تعلمين من الفتى الذي التقطكِ من وسط الثلج . قالت قد بحثت عنهُ ايضاً فلم اقف لهُ على اثر وحبذا لو قُسم لي ان اراهُ لاقدم لهُ الشكر الذي يستحقهُ من خلص نفساً من الموت . فجثا ارمان امامها وقال بل قد وفيتهِ اكثر مما يستحق يا اماليا فقد انقذتهِ من موت اشنع وانلتهِ اعظم سعادة بقبولكِ اياهُ حبيباً لكِ . ثم اخبرها بقصتهِ من البداءة الى تلك الساعة

واقترن ارمان باماليا فعاشا حياةً سعيدة لا يشوبها كدر وكانا يزوران في كل سنةٍ ضريح والديهِ ووالدتها

العصر الجليدي

المراد بالعصر الجليدي حينٌ من الدهر اشتدّ فيهِ البرد وبلغ اعظم مبالغهِ حتى جمد المآء في اكثر النصف الشمالي من الارض واصبحت تلك البقعة كلها على مثل ما توصف بهِ النواحي القطبية ليومنا هذا . وكان ذلك فيما قدَّروا في اوائل الدهر الرابع وهو الدهر الذي ظهرت فيهِ الحيوانات الكبرى من الانواع الباقية كالفيل والجاموس والفرس والخنزير وغيرها . وقد ابتدأ هذا الحادث بامطارٍ غزيرة متواصلة طبقَّت تلك النواحي باسرها وطمت فيها السيول على القيعان وجوانب الاودية وطغت الانهار على ما حولها الى مسافاتٍ بعيدة . قالوا ففي باريز مثلاً زخر نهر السّين وطفحت مياههُ على الجانبين حتى عمّ جميع الارض التي بين مونمارتر وجبل جنڤياف وتبسَّط شمالاً حتى كان اشبه ببحيرةٍ امتدّت من سان جرمان الى مونمورنسي . وحدث مثل ذلك في الاراضي الجبلية الا ان السمآء كانت ترسل شبه عواصف ثلجية ثم لم تلبث تلك الثلوج ان اصبحت جليداً منبسطاً على قمم الجبال وأسنادها الى الحضيض ولم تزل تتراكم حتى اصبحت هضاباً واطواداً وتوالى الامر على ذلك ما شآء الله من السنين الى ان غطى الجليد شمالي اوربا وآسيا واميركا وبلغ جنوبي فرنسا وسويسرا وما يحاذي ذلك من سائر الارض

وقد كان دليلهم على هذا الحادث الغريب ما وجدوهُ من آثارهِ الباقية الى اليوم واظهرها هذه الحجارة التي تعرف بالصخور التائهة (blocs erratiques)

وهي قطعٌ من الصخر توجد ملقاةً على وجه الصعيد ومنها ما تكون ذات حجم هائل حتى تبلغ احياناً آلافاً من الامتار المكعبة الا ان طبيعتها مباينةٌ لصخر المكان الذي هي فيهِ .وقد ذكر بعضهم انهُ عاين في نواحي جُنيف وبعض جبال سويسرا صخوراً ضخمة تبين لهُ عند فحصها انها من صخر الجبل الابيض ورأى غيرهُ في سهول المانيا صخوراً اصلها من جبال اسوج وقس على ذلك سائر ما وُجد من هذه الحجارة وهي كثيرةٌ جدًّا يُرى منها في جميع نواحي الشمال الشرقي من اوربا مقادير لا تحصى واكثرها آتٍ من جبال السكندينافيا وفنلندا ومنها ما قطع مسافة تزيد على ١٢٠٠ كيلو متر حتى انتهى الى المكان الذي هو فيهِ

فبقي ان يُعرف كيف كان انتقال هذه الصخور من اماكنها الى مثل هذه المسافات الشاسعة لان من تأملها يتبين من اول وهلة انهُ لا يمكن ان تكون مما جرّتهُ السيول وذلك اولاً انهــا فضلاً عن ضخامتها الهائلة حتى لا يقع في التقدير ان سيلاً مهما تعاظم واشتدّ اندفاعهُ يستطيع ان يجرّها فان كثيراً منها يُرى في اماكن مرتفعة قد تكون على مسافة ٢٠٠ متر فما فوق الى ١٠٠٠ متر عن الحضيض . وثانياً ان حجارة السيول تكون عادةً مدملكةً ملساء الجوانب لاحتكاكها بما تمرّ عليهِ من الصخور وهذه لا يُرى عليها ادنى اثر للاحتكاك ولكنها تكون ذات زوايا وحروف محدّدة وسائر جوانبها خشنة متضارسة وبالتالي فانها ترى على نفس الهيئة التي كانت عليها حين اقتُلعت من مكانها . واغرب من ذلك انها تُرى موضوعةً في اماكنها وضعاً مرتباً فمنها ما تكون مصفوفةً على مسافةٍ طويلة صفّين متأزيين ومنها ما تكون

مؤلفة بشكل دائرةٍ او هلال حتى كانها اجتُملت من اماكنها ووضعت كذلك

وقد لبث هذا الامر موضع حيرة لعلماء طبقات الارض الى ان اتفق لشَرْپنتيّاي وهو احد المنقطعين لهذه المباحث أن كان يوماً في احدِ اودية سويسرا فعثر فيهِ على حجرٍ ضخم من مثل الحجارة المذكورة فوقف يتامل فيهِ وينظر الى النواحي المجاورة ليعلم كيف وصل الى ذلك الموضع . وبينا هو كذلك مرّ بهِ احد فلاّحي تلك الجهة وكانهُ رآهُ في حيرةٍ فقال لهُ اظنك تفكر في هذا الصخر كيف وصل الى هنا قال نعم . قال قد كان في اعلى هذا الوادي رحىً عظيمة من الجليد ثم زحفت وفي اثناء تزلجها انقاب هذا الصخر عليها فجرّتهُ الى هنا وبعد ذلك انحلّ الجليد وبقي هذا الحجر في مكانهِ . فكأنّ شعاعاً من نور اشرق على بصيرة شرپنتيّاي فاخذ يستقري هذه الصخور في مواضع مختلفة ويفحص ما حولها من الارض مدة عشرين سنة واخيراً ظهر لهُ انهُ لا بدّ ان يكون قد مرّ بالارض زمنٌ تعدى فيهِ الجليد حدودهُ المعروفة الى مدًى بعيد فنقل هذه الحجارة من اماكنها على مثل ما وصف لهُ ذلك الفلاح . وقد تتبع علماء الطبائع امر الجليد في الازمنة المتأخرة وراقبوا ما يكون منهُ في الاماكن العالية فتحققت لهم صحة هذا القول بما لا يحتمل الريب

ومما يزيد هذا القول تاكيداً ان من تفقد المواضع التي فُرِض مجيء هذه الحجارة منها كجبال السكنديناف مثلاً يرى فيها آثار تزلُّج الجليد ظاهرةً في الصخور التي على طريقهِ . وذلك انهُ بما هو عليهِ من الضخامة والثقل يجرف ما يكون في ممرّهِ من حجارةٍ او رملٍ وحصى ويكسّر نواتئ

الصخور التي تكون تحتهُ او على جانبيهِ فترَى الصخور هناك مسحوجةً مخططةً بحزوزٍ واتلام متآزية من اول طريقهِ الى آخرها ويُرى حطام الصخور والحصى متجمعاً على جانبي ممرّهِ في خطٍ متصل بحيث انهُ بتتبُّع هذه الاتلام والحجارة المتجمعة يُهتدَى الى المواضع التي ابتدأ تزلجهُ منها ويُعرَف مصدر الصخور التي جآء بها

اما سبب حدوث هذا البرد العظيم ثم سبب انقطاعهِ ورجوع الحرارة الى درجتها الاولى فما لم يصلوا فيهِ الى تعليلٍ شاف . الا انهُ لما كان هذا الانقلاب العظيم امراً عاماً لا موضعياً فاكثر علمآء طبقات الارض يجعلونهُ مسبباً عن حادثٍ كونيّ زعم بعضهم انهُ تغيُّرٌ في اتجاه محور الارض وانتقال قطبيها الى غير مكانهما . وزعم غيرهم انهُ وصول ارضنا وسائر العالم الشمسي الى موضعٍ من الفضآء هو اشدّ برداً مما كانت فيهِ ومما هي فيهِ اليوم . وذهب آخرون الى انهُ مسببٌ عن صدمة نجمٍ من النجوم المذنبة وكأن هذا تعليلٌ للسبب الاول وهو تبدُّل اتجاه محور الارض . وارتأى جماعةٌ انهُ ظهر في عصرٍ من الاعصار شمسٌ اخرى مع شمسنا وكانت الارض قد بلغت آخر مبلغ من البرد حتى تغطت بالجمد فلما ظهرت الشمس الاخرى انحلَّ ذلك الجمد وعادت حرارة الجوّ الى ارتفاعها ثم توارت الشمس الاخرى ولم يعلم ما كان من امرها بعد ذلك . قالوا والارض الآن آخذةٌ في البرد ايضاً حتى تعود الى ما كانت عليهِ من الحال الجليدية وعليهِ فلا يكون هناك عصرٌ جليديٌّ بخصوصهِ ولا يكون البرد الذي وصلت اليهِ الا تدريجياً طبيعياً وستعود اليهِ كذلك

وهناك رأيٌ آخر لا بأس من تلخيصهِ وهو ان الارض تدور حول الشمس في فلكٍ هليلجي محل الشمس في احد محترقيهِ ويقال لأقرب نُقَطهِ من الشمس نقطة الرأس ولأبعدها نقطة الذنب وهاتان النقطتان تنتقلان من الغرب الى الشرق نحو ٦٢ً من القوس كل سنة فتتمان دورتهما حول الشمس في ٢١٠٠٠ سنة وفي هذه المدة تمرّان على جميع فصول السنة ويترتب حرّ الفصول وبردها وطولها وقصرها على مقدار بعد الارض عن الشمس. ثم ان محور الارض مائل على فلكها نحو ٢٣ درجة ونصف فمتى كان احد قطبيها مقبلاً على الشمس كان القطب الآخر مدبراً عنها بالضرورة وبذلك ينعكس امر الفصول بين النصف الشمالي منها والنصف الجنوبي . وقد تقدم ان نقطتي الرأس والذنب تدوران حول الشمس في مدة ٢١ ٠٠٠ سنة فمن البديهي انهُ في نصف هذه المدة اي ١٠ ٥٠٠ سنة يكون الصيف في احد نصفي الارض اقصر من صيف النصف الآخر وشتآؤهُ اطول من شتآئهِ وبعد ذلك يأخذ الامر في الانعكاس وهذا ما يقال لهُ الصيف الاكبر والشتآء الاكبر ويقال لمجموعها وهو المدة المذكورة السنة الكبرى . فمتى كان الشتآء الاكبر في احد قسمي الارض يبرد الجوّ فيهِ تدريجاً بحيث ان ما يحدث فيهِ من الثلج والجليد يزيد على ما ينحلّ منهما في مدة الصيف فتزداد على ذلك مقادير الثلج والجليد سنةً بعد سنة وتتراكم وفي آخر المدة المذكورة يتجمع منهما على ابرد القطبين ركامٌ ذو حجمٍ هائل وكثافةٍ عظيمة حتى تتغير هليلجية الارض وينحرف مركز جاذبيتها الذي تميل جميع اجزآء المياه على سطحها ان تتوزع بالنسبة اليهِ على السوآء

ثم ان الشتآء الاكبر للقطب الجنوبي قد كانت نهايتهُ في سنة ١٢٤٨ للميلاد وهي السنة التي فيها وافقت نقطة الرأس اوان المنقلب الشتوي عندنا وذلك بعد ان لبثت الثلوج تتراكم على القطب المذكور مدة ١٠٥٠٠ سنة وفي هذه المدة انحازت مياه البحار الى جهة هذا القطب وغطّت معظم النصف الجنوبي من الارض وانحسرت عن القارات والجزر الواقعة مما يلي القطب من النصف الشمالي . ولكن منذ ٦٥٥ سنة بدأ الشتآء الاكبر في النصف الشمالي فهو داخلٌ الان في طور البرد والثلج وقد اخذ الجليد يتراكم عليهِ سنةً بعد سنة ومن الآن الى مئة قرن بعد ان يعود مركز جاذبية الارض الى موضعهِ الطبيعي الذي هو المركز الهندسي للشكل الهليلجي يتخطاهُ الى ما وراءهُ وفي اثناء هذه المدة يحلّ الجليد المتراكم الآن في القطب الجنوبي وتجري مياههُ الى النصف الشمالي وحينئذٍ تبرز قشرة الارض هناك وتظهر الاراضي التي كانت مغمورةً بالمياه

وهكذا فالبرد يتعاقب على القطبين وينقل المياه من احد جانبي الارض الى الآخر وبانتقال مركز الجاذبية وتحوُّل جانب من مياه البحار عن احد نصفي الارض الى النصف الآخر تنتقل الصخور المذكورة من اماكنها بقوة اندفاع المياه كما يدل على ذلك اتجاهها في الحادث المشار اليهِ من الشمال الى الجنوب . اه

قلنا وعلى ما في هذا المذهب من البناء على اصولٍ علمية فانهُ لا يخلو من شطط في القسم الاخير منهُ لان ما ذُكر من الزيادة المتتابعة في مقدار الثلوج في احد القطبين لا يقضي بحدوث طوفانٍ في ناحية القطب الآخر

حتى يجرّ اندفاع المياه فيهِ مثل تلك الاجرام الضخمة وذلك فضلاً عما ذُكر في اثنآء هذا الفصل مما ينفي كون الصخور المذكورة مما جرّتهُ السيول وفضلاً عن ان هذه الزيادة في حجم الثلج والجليد على احد القطبين لا يمكن ان تكون بالقدر الذي يغيّر مركز جاذبية الارض تغييراً محسوساً وينقلهُ عن موضعهِ مسافةً يكون عنها مثل الاثر الذي ذكروهُ . بل لو قيل ان ازدياد البرد في احد قطبي الارض يكون سبباً في مثل ما ذُكر من تراكم الثلوج ثم جُعِل نقل الصخور المذكورة مسبباً عن تزلج الجليد على ما تقدم بيانهُ لكان اقرب شبهاً بالصواب والله اعلم

اكتشاف جغرافي

كلما ظن الانسان انهُ قد اتى على جهات الارض واكتشف كل موطئ قدمٍ منها ظهر لهُ من ورآء حجب الغيب بقاعٌ لم تقع عليها عين باحث وقبائل من البشر لا عهد بهم لسائح فعاد الى رسمهِ الجغرافي يصححهُ ويملأ بعض فراغهِ والى سلسلة الاجيال البشرية يزيد في تعدادها ووصف كيانها وملامحها وعوائدها واديانها . وهذا اليوم من الامور المستغربة بعد ان جال الانسان في جميع اطراف الارض وزواياها ولم يدع برًّا ولا بحراً الا قطعهُ بركائبهِ وسفنهِ

وآخر ما اكتُشف من ذلك قبيلةٌ شمالية اكتشفها المسيو جاكلسون في سيبيريا لم يُسمَع بذكرها من قبل ولا توهم احدٌ وجودها . وذلك انهُ من نحو سنتين انطلق هذا الرحّالة في بعثٍ وجّههُ المسيو موريس جُوزُوپ قيّم

دار المواليد الثلاثة في بطرسبرج فاوغل في شمالي سيبيريا وجاس كل البقاع التي مرّ بها وهو ينوي البحث عن آثار من كان بها من قبائل العصور الخالية ولم يدُر في خلده انهُ سيقع على شيء مما عثر عليهِ اخيراً

وقد اكتشف في اثناء سياحتهِ هذه آثاراً عديدة في جملتها ناب ماموث وجدهُ في جزائر سيبيريا الجديدة في الاوقيانوس الشمالي وزنهُ ٢٢٠ ليبرة (نحو ٧٠ اقة) وهو اكبر نابٍ وُجد الى الآن . ثم عثر على انيابٍ أُخر وعظام من هيا كل هذا الحيوان المنقرض في فوَّهة نهرٍ هناك يقال لهُ نهر انادير ووجد ما يزيد على الفي قطعة عظمٍ منقوشة من صنعة الاوّلين من سكان تلك النواحي وفيها ما يدلّ على معرفتهم لبعض الفنون ودرعاً من الحديد اشبه بالدروع اليابانية القديمة

اما القبيلة التي عثر عليها في تلك الناحية فهي فيما ظهر لهُ تقرب كثيراً من هنود اميركا مما لعلهُ يدل على وحدة الاصل بينها وبينهم لانهُ وجد فيها شبهاً من اخلاقهم ولغتهم وعباداتهم وتقاليدهم وتسمى هذه القبيلة باليُوكُوجْير. وقد علم منها انها كانت فيما سلف من القبائل الكبيرة لايقل عددها عن بضعة آلاف ولكن تفشى بينها داء الجُدَري من عهدٍ غير بعيد فاهلك منها خلقاً كثيراً ولم يبقَ منها الا سبع مئة نفس وقد هاجرت من مواطنها الاولى واقامت بناحية كُولينا في بقعةٍ منقطعة من الارض تبلغ مساحتها اربعة آلاف ميل مربع

قال ومن غريب امر هؤلاء القوم انهم اذا ارادوا النُقلة للهجرة الشتوية لا يستخدمون الوعول في جرّ زلاّجاتهم ولكنهم يقرنون اليها الكلاب والنسآء . . . وهي ايضاً من عوائد الهنود . وهم يقيمون في الصيف تحت

اكواخٍ من هشيم الشجر او تحت خيامٍ من الأَدَم وفي الشتآء يأوون الى اكواخٍ من خشب

وهم اذا قوبلوا بسائر سكان سيبيريا لا يُرَى فيهم شيءٌ من الملامح المغولية فانهم صغار القامات دقاق البنية حسان التركيب ووجوههم صغيرة تميل الى الاستدارة وفي نسآئهم بعض الجمال ولونهنَّ يقربُ من الوان البيض . فلا يجمع بينهم و بين قبائل شمالي سيبيريا الا الدين ومذهبهم يُعرَف بالشامانية (نسبةً الى الشامان وهو الكاهن بلسانهم) وهم يعبدون كائناً اسمى يسكن في الشمس الا انهُ وكل سلطانهُ في الارض الى ارواحٍ صالحة او شريرة منها روحٌ مخيف يسمى بالشيطان وهو لا يُترضَّى الا بالعبادات التي يرفعها اليهِ كهنتهم . ومن سنتهم انهُ اذا شاخ احدهم قتلهُ بنوهُ بغير رأفةٍ كما يفعل البارياس من اهل الهند ولكنهم لا يقتلونهم بقصد التخفيف عنهم من ثقل الشيخوخة بل طاعة لارواح الهوآء فانها تأمر باهلاك من استوفى قسطهُ من الحياة الارضية

واليوكوجير مستقلون بانفسهم ليس عليهم سلطان لاحد ومعيشتهم من الصيد وعندهم شباك يتخذونها من عند مجاوريهم من ابنآء البلاد وهم يحسنون استعمالها . ولبث المسيو جاكلسون واصحابهُ عندهم عدة اشهر يشاركونهم في صيد البر والبحر وكانوا اكثر ما يخاطبونهم بالايمآء . وقد حمل المسيو جاكلسون الى دار المعروضات كثيراً من انواع الاسلحة وآلات الصيد وادوات المنزل والزينة والآنية المختصة بالعبادات . ومن غريب ما وجد عندهم بيت قربان من الذهب من صنعة الاسبنيول في القرن السادس عشر

عليهِ كتابةٌ لاتينية ولم يكن رجال القبيلة يعلمون ما هو ولا من اين وصل اليهم. ثم سافر من عندهم على الزلاّجات فاستعمل في جرّها ١٥٠ كلباً من كلاب تلك البلاد فقطع ٨٠٠ ميل في ٤٤ يوماً ثم نزل هو واصحابهُ في الزوارق ذات المجاذيف فقطعوا مسافةً اخرى وبعد ذلك اتموا سفرهم على ظهور الخيل . اه

استكراه النبات

المراد باستكراه النبات معالجتهُ بالطرق الصناعية حتى يُخرِج زهرهُ أو ثمرهُ في غير اوانهِ (تعريب Forçage) وقد توصل علماء اوربا الى ذلك بايواء النبات في زمن الشتاء الى بيوت زجاجية يصنعونها على شكل آزاج (جمع أزَج وهو البيت المسنَّم) يسدّون خصاصها من كل ناحية ويرفعون الحرارة في داخلها شيئاً فشيئاً حتى تبلغ ١٥° من السنتغراد فلا يمضي على النبات ايامٌ حتى يخرج زهرهُ ويعقد على حدّ ما يكون ذلك في اوانهِ الطبيعي

غير انهم اهتدوا في هذه الايام الى اكتشافٍ يزيد في سرعة العمل كثيراً وهو تعريض النبات المراد استكراههُ لأبخرة الايثير فيجعلونهُ في بيتٍ صغير مسدود سدًّا هرمِسيًّا ويضعون فيهِ اناءً واسعاً يجعلون فيهِ مقداراً من الايثير الكبريتي الخالص وهو نحو ٤٠٠ غرام للمتر المكعب من الهواء ويفتحون فوَّهتهُ لخروج البخار ويتركون النبات هناك مدة ٤٨ ساعة . ولا بدّ من مراعاة درجة الحرارة التي يكون فيها والحالة هذه فلا تكون دون ١٧ ولا فوق ١٩° . ثم يخرجونهُ من هناك ويضعونهُ في الأزَج أي

البيت الزجاجي المذكور قبل ويجعلون الحرارة فيهِ على ١٦ الى ٢٠° فلا يمرّ عليهِ ثلاثة أو اربعة ايام حتى تتفتح براعم زهرهِ وهي لا بدّ ان تكون قد بدأ ظهورها فيهِ قبل زمن الشتآء والا فانهُ يورق ولا يزهر . وبعد ان تتفتح البراعم الاولى بثمانية ايام يستكمل ظهور براعمهِ الأُخر ولا يأتي عليها ستة أو ثمانية ايام ايضاً حتى يخرج زهرها خروجاً واحداً . وقد امتُحن هذا في كثير من انواع الزهر ولا سيما السوسن فنجح نجاحاً تاماً وكان زهرهُ اكثر وانضر من الزهر الذي يُعالج اخراجهُ بدون ذلك

وقد اهتدوا الى استخدام سوائل اخر غير الايثير مما لهُ خصائصهُ كالكلوروفرم والألدَهيد النملي والاساتون والغازولين وغيرها الا ان امتحانهم الى الآن كان مقصوراً على اخراج الزهر ولا يبعد ان يتوصلوا بعد حين الى استخدام مثل ذلك في اخراج الثمر . وتأثير هذه السوائل يختلف تبعاً لنوعها ونوع النبات وكلها اذا زادت مدة تعريضهِ لها عن ٤٨ ساعة ادّت الى هلاكهِ

وقد اختلفوا في تأثير هذه المواد على النبات فقيل هو تخدير كما هو المتبادر الى الذهن وقيل تنبيه والظاهر ان الصحيح الاول لان بعضهم امتحن تبخير النبات الحساس بالايثير فلما اخرجهُ وجدهُ قد فقد ما كان لهُ من الحسّ ولم يعاودهُ الا بعد حين . قالوا وحقيقة فعلها انها بما تحدثهُ على النبات من الخدر تزيد في خمودهِ وكمون قواهُ في زمن البرد حتى اذا أُخرج الى حالة يمكن ان يعاود فيها قواهُ النباتية ظهرت فيهِ للحال فكأنهُ قد حصل تعاوُر بين مدة هذا الخمود ومقدارهِ فأُخذ من احدهما للآخر والله اعلم

مربعة ابن دريد

(تتمة)

حرف الطاء

طاب فقد الحياة بعد أُناسٍ ... شطّ بي عنهم المحلُّ الشحيطُ [1]

طال من بعدهم مِطالُ هموم ... حظُّ قلبي منها الجوى والنحيطُ [2]

طاف والليل مدلهمُّ الحواشي ... طارقٌ للرقاد عني مُميطُ [3]

طوّقتني الدُجي يدٌ لا تُجارَى ... عُشرُ معشارها بشكري محيطُ

حرف الظاء

ظعنوا في كَنَف الاله وحفظهِ ... لا زلت ارعى عهدهم واحافظُ

ظلموا ولست بحائدٍ عن ظلمهم ... الا اليهم فالهوى لي باهظُ

ظنّي الوفآء مجانباً ومقارباً ... ابداً أُلاينُ مرّةً واغالظُ

ظفرت باوفر حظها عينٌ اذا ... ظلّت ترامق [4] حِبّها وتلاحظُ

حرف العين

عصى عاذليهِ واعترتهُ لجاجةٌ ... فرتهُ نزاعاً والمحبُّ نَزُوعُ [5]

عرتهُ خطوبٌ شرّدت نوم عينهِ ... وليس لعين المستهام هجوعُ

عزآءَكَ لا تُغلَب عليهِ فانهُ ... هو الدهر ان يؤمنْ فسوف يَرُوعُ

عصى عاذليهِ اذ اطاع حمامَهُ ... ويعصي الفتى في حبهِ ويطيعُ

---

(١) فعيل من شحط اي بعد مثل شطّ (٢) الزفير (٣) مبعد
(٤) ترمق مرة بعد مرة والرمق اللحظ الخفيف (٥) قولهُ فرتهُ كذا في الرواية والنزاع الشوق

حرف الغين

غابوا فعيشي ناصبٌ من بعدهم دامت لهم نُعمى وعيشٌ رافغٌ[١]
غُودِرتُ بعدهمُ اسيرَ صبابةٍ كمدًا يغصّصني الشراب السائغُ
غنَّت فظلَّ غناؤها لي شاغلاً لكن لها قلبٌ وعيشك فارغُ
غوريةٌ[٢] تعلو الغصونَ كانما اهدى لها الطوق المؤلف صائغُ

حرف الفآء

فَنَنٌ على دِعصٍ[٣] تألّق فوقهُ بدرٌ يضيءُ بهِ الظلام العاكفُ
فاتت محاسنهُ فكل مسربلٍ بالحسن عن ادنى مداهُ واقفُ
فاذا بدت شمس النهار ووجههُ رجعت ولون النور منها كاسفُ
فرد المحاسن لا يقوم بوصفهِ ابداً وان بلغ النهاية واصفُ

حرف القاف

قالوا صحوتَ فقلتُ تأبى لوعةٌ في القلب يلذع جمرها بل يحرقُ
قلقت مدامعهُ فبُحْنَ بسرّهِ مَن ذا يقارنهُ الهوى لا يَقلقُ
قلبي الملوم على الهوى بل مقلتي بل ذا وذاك كلاهما لي موبقُ[٤]
قل ما بدا لك عاذلاً ومناصحاً قَدَرَ الهوى فأسيرُهُ لا يُطلَقُ

حرف الكاف

كن كيف شئت فانني لك وامقٌ انتَ المليكُ وقلبيَ المملوكُ
كم ليلةٍ قاسيتها بسهادها والقلب تحت لظى الهوى مسبوكُ

(١) خصيب (٢) نسبة الى الغور وهو خلاف النجد ويريد حمامةٌ غورية
(٣) الفنن الغصن والدعص الكثيب من الرمل (٤) مهلك

كبدٌ تذوب ومقلةٌ موقوفةٌ دَرَجَ[1] السُّهادُ ودمعها مسفوكُ
كيف التخلص من مقارنة الهوى والجسم ملتبسٌ به منهوكُ

حرف اللام

لكِ العهد عهد الله ألاَّ يزال لي بذكراكِ او التي المنيّةَ شاغلُ
لقلبيَ من ذكراكِ في كل خطرة تلهبُ شوقٍ ان عدانيَ قاتلُ
لبستُ نحولاً لو تلبس بالصفا لأصبحَ منهُ صلدُهُ وهو ناحلُ
لعلكِ ان امسيتُ رهنَ حفيرةٍ تقولين جادتهُ الغيوث الهواطلُ

حرف الميم

مُنّي عليَّ براحةٍ من مهجتي فالموت ايسر من عذابٍ دائمِ
مالي سوى الزمن المعلّق بالمُنَى نفسٌ تَرَدَّدُ في الفؤاد الهائمِ
ملكتْ فؤادي وهي اعنفُ مالكٍ وتحكمت والحبُّ أجورُ حاكمِ
موسومةٌ بالحسن لكن فعلها سمجٌ كذا فعلُ المليك الظالمِ

حرف النون

نمتَ عن ليل مُدنَفٍ حيرانِ نومهُ نازحٌ عن الاجفانِ
نَعمتْ بالكرى جفونكَ لما سلِمَ القلبُ من جوى الاحزانِ
نالني منك مالو التبس الطو دُ بهِ ظلَّ واهيَ الاركانِ
نظري خاشعٌ وقلبي كتومٌ ودموعي تبوح بالكتمانِ

حرف الواو

وعيشكِ لازلتُ حِلفَ الضنى ولا أُلتامَ[2] بعدكِ للقلب لَهْوُ

---

(١) بمعنى دبَّ (٢) اجتمع واصلهُ التأم بالهمز فلينهُ

ودون مزارك لليعملاتِ اذا ما ابتُذِلنَ ذميلٌ وشَدْوُ[1]

ومما يزيد بكم صبوةً وَلُوعُ العواذل والعذل لغْوُ

وُقيتَ بنفسي صروفَ الردى وكلٌّ زماني صروفٌ ونَبْوُ[2]

حرفِ الهآء

هنيئاً لعينك وِردُ الكرى اذا الليل اردف من جانبيهِ

هل الحبُّ لي منصفٌ مرةً فيُعدِي[3] رقادي على مقلتيهِ

هوايَ رقيبٌ عليَّ فما يعطّفُ قلبيَ الا عليهِ

هو البدرُ يدركني ضوءُهُ ولا استطيع وصولاً اليـهِ

حرف اللام الف

لا تُصغِيَنْ[4] في الهوى لمن عذلا وسَقّياني سقيتما نَهَلا

لا والذي ملَّك الهوى جسدي ما هجعت مقلتايَ اذ رحلا

لا زال طيفٌ لهُ يؤرّقني يطردُ عني الكرى اذا نزلا

لاصبرَ عمَّن اذا تصوَّرَ لي رايتُ بدرَ السماء قد أفلا

حرف اليآء

يرجّي اصطباراً وايُّ اصطبارٍ يكون لقلبٍ عميدٍ جريّ[5]

---

(١) اليعملات النياق والذميل السير اللين والشدو مصدر شدا الابل اذا ساقها

(٢) جفآء (٣) ينصر (٤) كذا في الرواية ولعل الاصل لا تصغيا كما يدل عليهِ عجز البيت (٥) العميد الذي هدّهُ العشق . وقولهُ جريّ لا يظهر لهُ معنًى في هذا الموضع ولعلّ لهُ اصلاً غير هذا . على ان فيما سبق الفاظًا اخرى لا يستقيم معناها على ظاهرهِ او يبعد تأويلها وقد تكلفنا تخريج بعضها على قدر ما يحتملهُ المقام وتركنا بعضها للمطالع والله اعلم

يقول اذا ما الهوى شفَّهُ لقد خُصَّ قلبي بدآء دويّ
يبيتُ على مثل جمر الغضى وان بات فوق مهادٍ وطيّ
ينام الخليُّ وما للشجيّ رُقادٌ اذا طال نوم الخليّ

متفرقات

قوّة قشر البيض ــ جآء في احدى الجرائد ذكر امتحانٍ غريب اجراهُ الاستاذ جُوي الاميركاني لمعرفة قوّة قشر البيض . وذلك انهُ يقيم البيضة على محورها الاطول ويضع فوقها اقراصاً من الحديد يوسط بينها و بين البيضة قرصاً من المطاط حتى لاتباشرها صلابة الحديد ثم لا يزال يزيد قرصاً بعد آخر حتى تنكسر . وقد تبين لهُ بعد عدة امتحانات ان البيضة تحتمل من الثقل ما بين ١٤ و٣٤ غراماً ومتوسط ذلك ٢٤ غراماً وحين تنكسر يكون انكسارها على دائرةٍ من الدوائر العظمى او تسقط برمتها حُطاماً ولكن بدون ان يتغير شكلها قبل ذلك

استخدام غريب للقوة الدافعة عن المركز ــ ما زال اصحاب الصناعة يحاولون طريقةً لصنع انابيب الفولاذ (الصاب) من دون لحام لان ذلك متعذرٌ فيها على الطريقة التي يُسبك بها الحديد والنحاس وغيرهما . وقد وُفق احد مهندسي الاسوجيين المسمى المسيو ستردسبرج في ذلك الى طريقةٍ طبيعيةٍ سهلة الاستعمال وهي ان يُسبك الفولاذ في قالب اسطواني

يوضع اولاً عمودياً و بعد ان يُفرَغ فيهِ المقدار اللازم تُسدّ فوّهتهُ للحال ويحوَّل الى وضعٍ افقي ويدار على محورهِ بسرعةٍ شديدة . ومن المعلوم انهُ اذا أُخذت قنينة ووُضع فيها ماء وأديرت كذلك على نفسها يتخذ الماء فيها شكلاً مجوفاً مستطيلاً وهذا نفسهُ يكون من الفولاذ وهو في حالة السيلان فيندفع الى جوانب القالب ثم لا يلبث ان يبرد فيخرج بشكل اسطوانةٍ جوفاء ذات ثخانةٍ وقوةٍ واحدة

الحدائق العمومية في الولايات المتحدة ـ ذكرت السينتفك اميركان انهُ منذ خمسين سنة لم يكن في جميع مدن الولايات المتحدة حديقةٌ عمومية . وفي سنة ١٩٠١ كان في المدن التي يبلغ سكانها ٥٠ الف نفس فما فوق ٢٣٦٠ حديقة يكون مسطحها اكثر من ٢٤ الف هكتار من الارض (الهكتار عشرة آلاف متر مربع) وثمن جميعها لا يقلّ عن مليارين ونصف مليار من الفرنكات . وتقدَّر الحدائق العمومية في جميع مدن الولايات المذكورة بما يبلغ مسطَّحهُ ٣٠ الف هكتار وينفق عليها جميعاً نحو ٥٥ مليون فرنك كل سنة

اضرار الكينا ــ تفشى في هذه الايام في شرقي افريقيا نوعٌ من الحمى كثرت بهِ الوفيات الى حدٍّ اعيا الاطباء ومن غريب ما روتهُ الفورّين اوفيس عن تقرير لقنصل المانيا هناك انهم بعد طول الفحص والتجارب ثبت لهم ان هذه الحمى تحدث بسبب اخذ الكينا لكن لا بد ان يتقدم ظهورها

اسباب معدّة في مزاج العليل ولذلك امتنعوا من اعطاء الكينا الا بعد الاحتياط والتثبت في حالة العليل فقلّت بعد ذلك الاصابات والوفيات

اسئلة واجوبتها

عكاء — ما هي افضل طريقةٍ لتبييض الشمع العسلي . وقد بلغني ان مسحوقاً يذاب مع الشمع فيبيضّ بهِ وهي ان صحت طريقة بسيطة فما هو هذا المسحوق احد المشتركين

الجواب — افضل ما يُستعمَل لتبييض الشمع العسلي ان يعرَّض بعد تنقيتهِ للرطوبة واشعة الشمس . والطريقة في ذلك ان يذاب الشمع اولاً فيما يسمى بحمّام ماريّا وبعد ان يذوب يُرفَع عن النار ويُترَك ريثما يصفو ويركد ما فيهِ من الموادّ الغريبة ثم يصفّى الى اناء آخر ويترك ايضاً حتى يرسب ما بقي فيهِ من الكدر . وبعد ان يصفى مرةً اخرى يُسكب في اناء مثقَّب الاسفل فيسقط على شكل خيوطٍ دقيقة ويكون تحت الاناء المذكور اسطوانة من خشب يُجعَل نصفها غائصاً في الماء البارد فتُستقبَل تلك الخيوط على الاسطوانة المذكورة وحال انسكاب الشمع عليها تدار على نفسها فيلتف حولها على شكل رقائق ضيقة . فتُنزَع هذه الرقائق وتُبسط على قطعةٍ من النسيج وتجعل في الشمس مع رشها بالماء عدة مرات في النهار الى ان تبيضّ . وان لم تبلغ تمام البياض من اول مرةٍ يعاد العمل عليها ثانيةً الى ان يتم قصرها كما ينبغي

وقد يبيَّض الشمع بالكلور بأن تعرَّض رقائقهُ المذكورة لغازهِ أو بأن

يُمزَج بنوعٍ من انواع الهيپوكلوريت كهيپوكلوريت الجير مثلاً وهو المسحوق الذي اشرتم اليهِ . الا انهُ على الحالين يصير قَصِماً اي سريع التفتت ويقلّ قبولهُ للاشتعال ولذلك قلما تُستعمَل لهُ هذه الطريقة . على ان المبيَّض بالطريقة الاولى يقسو ايضاً فيعالج بان يضاف اليهِ قليلٌ من الشحم على نسبة ٥ في المئة

القاهرة — وقعت بيني وبين احد رصفآئي مناقشةٌ على قول ابن معتوق « خفرت بسيف الغنج ذمة مغفري » فذكرت ان هذا الاستعمال غلط لانهُ لايقال خفرتُ ذمة فلان بمعنى نقضتها وانما يقال خفرتُ بها او اخفرتها طبقاً لما جآء في مقالتكم «لغة الجرائد» (ص ٣٨) . ولم يكن لدينا من كتب اللغة الا المصباح المنير للفيّومي واقرب الموارد المطبوع في مطبعة اليسوعيين في بيروت فراجعنا هذه اللفظة في الاول فوجدنا كلامهُ فيها موافقاً لما ذكرتموهُ بالحرف ثم راجعناها في الثاني فاذا هو بالعكس لاننا وجدنا فيهِ بعد ذكر « خفرهُ » بمعنى اجارهُ ما صورتهُ « خفرهُ ايضاً خفراً وخفوراً نقض عهدهُ وغدرهُ يقال خُفِرت ذمة فلان خفوراً اذا لم يوفَ بها ولم تتمّ » . اه . ولما لم يمكنّا ان نصل من هذين الكتابين الى حقيقة اتفقنا على ان نردّ المسئلة اليكم يقيناً بأنكم لا تحيدون عن قول الحقّ ولو ظهر انهُ مخالف لرأيكم ورجآء انكم لا تضنون علينا بالجواب ودفع الارتياب ولكم منا الشكر سلفاً

محمود حلمي

من متخرجي المدارس الاميرية

الجواب — الذي ذكرناهُ في هذه المسئلة هو ما ترونهُ منصوصاً عليهِ في جميع كتب اللغة التي بين ايدينا . قال في القاموس « خفرهُ وبهِ وعليهِ اجارهُ ومنعهُ وأمّنهُ وخفر بهِ خفراً وخفوراً نقض عهدهُ وغدرهُ كأخفرهُ » اه . وهذا ما تجدونهُ في تاج العروس من غير زيادةٍ ولا استدراكٍ ومثلهُ في المصباح على ما ذكرتم . واقتصر في الصحاح ولسان العرب والنهاية والاساس على الفعل الثاني اي اخفرهُ دون خفر بهِ ولكن لم نجد احداً من كل هؤلاء الائمة ذكر خفرهُ بمعنى نقض عهدهُ ولا عثرنا على ذلك في استعمالٍ قديم . وقد بحثنا عن الموضع الذي نقل منهُ صاحب اقرب الموارد هذا الاستعمال حتى راجعنا عبارة لسان العرب المطبوع في مصر فوجدنا فيها خطأً في الضبط لم نشكّ انهُ هو الذي استدرجهُ في هذه المهواة كما سنبينهُ وهذا نصّ عبارة لسان العرب . « أخفرهُ نقض عهدهُ وخاس بهِ وغدرهُ وأخفر الذمة لم يفِ بها .. والخفور هو الاخفار نفسهُ من قِبَل المُخفِر من غير فِعل على خَفَر يخفر * شَمِر * خَفَرَتْ ذمة فلان خفوراً اذا لم يوفَ بها ولم تتمّ وأخفرها الرجل وقال الشاعر

فواعدَني واخلف ثمَّ ظني　　وبئس خليقة المرء الخُفُورُ

وهذا من خَفَرَتْ ذمتّهُ خفوراً » . انتهى المقصود منهُ . وقد جاءَ لفظ « خَفَرَت » من قول شمر مضبوطاً في الموضع الاول اي في قولهِ « خَفَرَتْ ذمة فلان » مضبوطاً بصيغة المجهول وفي الموضع الثاني اي في قولهِ « وهذا من خَفَرَتْ ذمتّهُ » مضبوطاً بصيغة المعلوم مع جعل التاء ضميراً للمتكلم فجاء الفعل في الموضعين في صورة المتعدّي وكلا الضبطين غلطٌ من الناسخ

او سهوٌ من المصحح . وبيانهُ ان صاحب لسان العرب بعد ان ذكر الخفور اولاً ونصَّ على انهُ « من غير فعل على خفر يخفر » حكى عن شَمِر انهُ يُستعمَل لهُ فعلٌ وهو ما ذكرهُ بقولهِ «خَفَرَتْ ذمة فلانٍ خفوراً »فاشار الى ان الخفور هو مصدر خفَرَتْ كما صرَّح بهِ بعد الاستشهاد بالبيت . والفعل حينئذٍ لازمٌ لا متعدٍّ كما دلَّ عليهِ بقولهِ « وأخفرها الرجل » فهو مبنيٌّ للمعلوم لا للمجهول لانهُ لوكان للمجهول لوجب ان يقول بعدهُ « وخفرها الرجل » بصيغة الثلاثي والالزم ان يكون المعلوم من صيغة والمجهول من صيغة اخرى . ومن هنا تعلم ان الفعل في قولهِ « وهذا من خَفَرَتْ ذمتهُ » هو عين الفعل المذكور قبلاً في قولهِ « خَفَرَت ذمة فلانٍ » فكلا الفعلين مبنيٌّ للفاعل والتآء في كليهما للتأنيث

فاذا تأملت ذلك كلهُ لم يبقَ عندك ريب في صحة ما ذكرناهُ ولكن البلآء كل البلآء ان العلم قد اصبح في هذه الايام تجارةً واصبح رجالهُ فوضى فترى كل من عرف كلمتين من الصرف يتصدى للتأليف في اللغة فيحطب من ههنا وههنا وينقل الغث والسمين والصواب والخطآء على غير علمٍ بما ينقل ولا سيما وان الكتب التي انتهت الينا مشحونةٌ بالتحريف والغلط وزاد في هذه الطينة بلّة ان مطابعنا قلما تبالي باختيار المصححين فتطبع تلك الكتب على غلطها ويتلقاها المطالعون بالثقة . ومن تفقد النسخة المذكورة من لسان العرب وجد فيها من التحريف والتصحيف والزيادة والنقصان ما شوّه هذا التأليف النفيس وادّى الى افساد كثير من نصوصهِ وسنفرد محلاًّ في الضيآء لسرد ما اتفق لنا العثور عليهِ من تلك الاغلاط

خدمةً للغة وارباب المكاتب والله الموفق الى السداد

آثار ادبيّة

الجوائب المصرية ـ هو عنوان جريدة سياسية ادبية مالية تصدر كل يوم صباحاً لحضرة مديرها الفاضل خليل افندي المطران صاحب المجلة المصرية المشهورة . وقد تصفحنا الاعداد الاول منها فوجدناها كثيرة الفوائد اثيرة العوائد لطيفة الانشآء تنطق بما عُهد في حضرة مديرها من البراعة في صناعة للقلم و بعد المدارك في مجال السياسة والادب . فنرحب بها ونتمنى لها ما تستحقهُ من الاقبال والانتشار وقيمة اشتراكها السنوي ١٦٠ غرشاً في القطر المصري و٥٠ فرنكا في الخارج

المجلة المدرسية ـ مجلة علمية ادبية مصوَّرة لحضرة مديرها ومحررها سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية بالسيدة زينب غرضها تهذيب الناشئة من تلامذة المدارس المصرية وتلقينهم الآداب الصحيحة والفضائل السامية وتخريجهم في الابواب العلمية مع إفراد قسم منها لنشر ما تتبارى فيهِ اقلامهم . ولا يخفى ما في ذلك كلهِ من الفائدة العميمة في تنشئة ابناء الوطن وتنوير اذهانهم فنحث ارباب الغيرة على تعضيدها وهي تصدر مرةً في اول كل شهر وقيمة اشتراكها السنوي ١٥ غرشاً مصرياً في القطر و ٥ فرنكات في الخارج

فكاهات

الحديث شجون [1]

لجريدة التيمس الانكليزية الاسبوعيــة عدد غفير من الكتبة ولكلٍّ منهم موضوعٌ يتفرغ للكتابة فيهِ فمنهم من اختصتهُ الادارة للمواضيع السياسية ومنهم من عينتــهُ للاخبار المحلية او النبذ العلمية او غير ذلك وقد حدَّث كاتب الاخبار المحلية عن نفسهِ فقال

تركت المدرسة وانا في شوق شديد لتعاطي العمل وكنت ميالاً الى الكتابة فجعلت اعرض نفسي على اصحاب الجرائد ومؤلفي الكتب حتى وُفقت اخيرًا الى مقابلة صاحب جريدة التيمس وبعد ان عرَّفتهُ بنفسي واطلعتهُ على رغبتي قال لي انا في احتياج الى من يكتب لنا الأخبار المحلية في الجريدة الاسبوعية فهل ذلك في استطاعتك وهل تعرف هذه المدينة حق المعرفة ويمكنك استطلاع اخبارها . فقلت وقد استبشرت ببلوغ المرام انهُ لا يوجد في كل لندن شارع او عطفة الا وقد سلكتهُ مرات واما مقدرتي على جمع الاخبار وكتابتها فاترك ذلك لحكمك حين ترى ما اكتب . قال حسنٌ فانت اذًا من الآن تكون من كتاب الجريدة ولا يذهب عن بالك انهُ يطلب منك في كل اسبوع مقدار ما يملأ عمودًا من الجريدة ويجب عليك ان تكتب ذلك بالآلة الكتابية على ورق نظيف وتقدمهُ لي في مساء كل خميس حتى اذا وجدتهُ ملائمًا ارسلتهُ للطبع وظهر في عدد السبت . فوعدتهُ بذلك وعدت الى نفسي وقد شعرت انني قابضٌ على زمام المملكة باسرها وفي نفس اليوم كتبت اكثر مما يطلب مني لذلك العدد واعددتهُ كما ينبغي وجعلت انتظر مساء الخميس وما صدقت ان جاء فدخلت على المدير وناولتهُ الاوراق فكان

(١) معرّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

يقرأها بتأنٍّ وتأمل ولما اتم قرآءتها اظهر علامات السرور وقال احسنت فاتّبع هذه الخطة . وكنت قد سمعت قبلاً انهُ لا يكاد يبدي سرورهُ من كتابة احد وقد ابدى ذلك لي فتهللت فرحاً وتضاعفت همتي فكتبت في الاسبوع الثاني احسن من الاول وهكذا كنت ازيد في التحسين من مرةٍ الى اخرى مدفوعاً الى ذلك برغبتي الشديدة وما اراهُ من سرور رئيسي . غير انهُ لكل بدآءةٍ نهاية ولكل امرٍ اجل فما انتهت السنة الاولى على خدمتي هذه حتى صارت الكتابة عادةً غريزية فيَّ فلم اعد اشعر بلذةٍ في تركيب كلماتي وتنميق عباراتي ولا اجد عندي همةً للسعي في جمع اخبار املأ بها اوراقي . وقمت يوماً فاخذت نسخةً من الجريدة وقرأت فيها ما كتبتهُ بالامس فوجدتهُ ينزل كثيرًا عن كتاباتي الاولى فسآءني ذلك وعمدت الى طرح الكسل جانباً والعودة الى غيرتي الاولى فصرفت يوم الاحد بطولهِ وانا انتقل من مكان الى مكان واتنسم الاخبار فلم اعثر على شيءٍ اتخذهُ لي موضوعاً للكتابة فيهِ . ولما قطعت الامل عدت الى غرفتي واملت ان لا يفوتني ذلك في الغد ولكنني كنت اصرف اليوم بعد اليوم ولا تزداد قريحتي الا جمودًا فما شعرت الا وانا في منتصف يوم الخميس وموعد تقديم اوراقي مسآء ذلك اليوم فطار رشدي وللحال ذهبت الى الادارة فجلست الى مكتبتي واخذت اتفكر لعلهُ يفتح عليَّ بشيء وكانت افكاري قد تقسمت الى ذراتٍ عديدة تطايرت في جميع انحآء لندن باحثةً عن امرٍ اتمكن من بنآء مقالتي عليهِ . وبعد الافتكار الطويل خطر لي ما جعلني اثب عن كرسيَّ فرحاً وقد تذكرت قصةً رواها لي من مدةٍ صديقٌ يدعى ارجونوت كانت مهنتهُ تضمير الجياد والمسابقة عليها . فلم أضع دقيقةً واحدة وجلست للحال امام الآلة الكتابية وكانت اناملي تتنقل على مفاتيحها بسرعة البرق وفي اقل من ساعةٍ كتبت الخبر الآتي

. . . .

يعرف جمهور القرآء المستر ارجونوت الشهير بتضمير الخيول والمعروف ببطل السباق وقد اتصل بنا عنهُ روايةٌ غريبة نرويها هنا فكاهةً للقرآء . وذلك انهُ لما

كان في الحادية والعشرين من عمره وقد اشتهر ولعهُ بالجياد ومهارتهُ في المسابقة علم بهِ اللرد رندل وكان هذا مولعاً ايضاً بتربية الخيول فاستدعى ارجونوت اليهِ وعين لهُ اجرةً يتقاضاها منهُ شهرياً ووكل اليهِ امر الاعتناء بجيادهِ وركوبها في المسابقات المهمة . وكان هذا العمل جل ما يتمناهُ ارجونوت فبذل كل اهتمامهِ في تضمير جياد مولاهُ والعناية بعلفها وسياستها وترويضها . وفاز ارجونوت فوزاً مبيناً في اول رهان ركب فيهِ جواداً من جياد اللرد رندل وكان هذا سبباً لانهاض همتهِ فلم يعد يحصل رهان بعد ذلك الحين الا كان ارجونوت بين المسابقين فيهِ واول الفائزين بجائزتهِ فاشتهرت خيول اللرد واشتهر ارجونوت شهرةً لم يبقَ بعدها بغية لطالب

وحدث في بعض الايام ان خرج ارجونوت للتنزه فامتطى بعض الجياد وحث المسير فما زال كذلك حتى بلغ شاطئ البحر ورأى نفسهُ في سهل من الرمال فاطلق لجوادهِ العنان وجعل يلاعبهُ ويجري بهِ شوطاً بعد شوط الى ان تعب الجواد واخذ العرق يتصبب من جسمهِ بكثرة فلما رآهُ كذلك ترجل عنهُ وقادهُ راجعاً وهو يسير الهوينى ويسرح نظرهُ تارةً في الفضآء وطوراً في امواج البحر المزبدة وهي تهاجم البر صفاً بعد صف ثم تتراجع عنهُ منكسرةً وانهُ لكذلك واذا بهِ قد استوقفهُ سماع صوتٍ شجي صادر من جهة البحر تعج الامواج فتخفيهِ ثم تسكت فيُسمع بمنتهى الرقة والعذوبة . فوقف ارجونوت ساعةً كالمأخوذ ثم كأن قوةً مغناطيسية في رجفات ذلك الصوت كانت تجذبهُ الى جهتها رغماً عنهُ فسار على غير هدًى وسار جوادهُ على هداهُ الى ان وقف ورآء صخرٍ كبير كان الصوت كأنهُ يندفع من داخلهِ فلبث حيناً ثملاً بتلك الالحان وقد خال ان جنداً من الملائكة ينشدون في ذلك الخلآء . وبعد هنيهةٍ انقطع الصوت فحبس ارجونوت نفَسهُ مخافة ان يمنعهُ عن السماع واذا بهِ يسمع وقع اقدام ثم خُيّل لهُ ان الصخر قد انشق الى نصفين وظهرت في اعلاهُ فتاةٌ رائعة الجمال قد اكسبتِ شمس البحر بياض وجهها لوناً يقول للجماد كن عاشقاً فيكونِ . ووقع نظر الفتاة على ارجونوت وجوادهِ ولم تكن عالمة بوجود احد بالقرب

منها فذهشت ووقفت حيرى . وكان ارجونوت قد اجال بصرهُ فيها فرأى شعرًا ذهبيًّا مضفورًا ومجموعًا في مؤخر رأسها تحت قبعةٍ من العصافة الناعمة وقد ارتدت الفتاة ثوبًا كثياب النوتية شفَّ عن جسم حسن التركيب متناسب الاعضاء قوي البنية شديد العضلات . وكانت الفتاة قد راعها وجود هذا الغريب فجأةً بالقرب منها ثم علمت حالاً ان لا خطر عليها فتبسمت وكان ابتسامها مثل رقيةٍ حلت ارجونوت من جمودهِ واطلقت لسانهُ فرفع قبعتهُ اجلالاً وقال بصوتٍ مرتجف اسألك عفوًا ايها الملك الطاهر اذا كنت قد ازعجتكِ وانما كنت مارًّا من هذا المكان فاستوقفني عن كثب صوت جوقٍ من الملائكة قادني الى هـذه البقعة بالرغم عني . فقالت الفتاة ضاحكةً ولِمَ الاعتذار يا سيدي وانت لم تفعل ما تلام عليهِ . اما ما ظهر على وجهي من الاستغراب لمرآك فهو لانني منذ عدة اشهر اتردد الى هذا المكان فلم اجد فيهِ قبل الآن رفيقًا سوى هذا الصخر الثابت ولا نجيًا سوى هدير البحر وزفير امواجهِ . فقال ارجونوت باستغراب وهل انتِ وحدكِ هنا يا سيدتي اني لأعجب جدًّا من وصولكِ الى هذه البقعة البعيدة عن البلدة بدون رفيق ولا مؤنس . قالت علمني الدهر ان خير رفيق هو الطبيعة وافضل مؤنس من تناجيهِ ولا يناجيك . وقد تولد فيَّ منذ عقلت ولعٌ شديد بحياة العُزلة وشوقٌ الى مياه البحر فكنت لا ارى سرورًا الا بجانبهِ . ولي قاربٌ تمرنت من صغري على ركوبهِ فانا اركبهُ يوميًا الى جهاتٍ مختلفة وقد اهتديت الى هذه البقعة منذ ستة اشهر فاحببتها وصرت ازورها كل يوم في قاربي فاصرف في هذا الفردوس الارضي ساعةً من الزمن واعود كما اتيت . والآن قد ازف وقت عودتي واري قاربي يتقلقل على وجه المياه كأنهُ ملَّ من الانتظار فاستودعك الله يا سيدي . ولما قالت هذا حنت رأسها مودعةً ثم وثبت كالظبي الى جانب الصخر وقفزت عنهُ الى القارب وكان مربوطًا الى الشاطئ فحلتهُ وجلست فيهِ واعملت مجذافيها بمهارة فائقة فانساب الزورق حاملاً اياها فوق سطح البحر كانسياب الافعى امام مطارديها . ولم يقوَ ارجونوت على مجاوبتها بالكلام حين ودعتهُ فرفع قبعتهُ ثلاثًا ووقف يراقب الفتاة ولم يزل يتبعها

بنظرهِ الى ان غابت عنهُ .ثم امتطى جوادهُ وعاد من حيث اتى وهو مطرقٌ بنظرهِ الى الارض يفكر في ما رأى وسمع . ولما تراكمت عليهِ التصورات وخز جوادهُ ليبدد عن مخيلتهِ فانطلق يعدو بهِ كالسهم اذا فارق القوس مدفوعاً بيد قوية ولم يقف الاَّ امام الاصطبل في بيت اللرد رندل

وما جآء اليوم الثاني حتى شعر ارجونوت بقوة داخلية تدفعهُ الى مثل نزهة الامس فامتطى جوادهُ وسار قاصداً تلك البقعة المعهودة ووجه نظرهُ الى قمة الصخر الذي كانت عليهِ فتاتهُ الفتانة . وكأن الفتاة اوحت اليها نفسها بقدوم الشاب فكانت من حين الى آخر ترسل طرفها الى جهة السهل الرملي فما وضح لها شبح ارجونوت عن بعد حتى شعرت بسرور لم تدرِ معناهُ . فلما بلغ النقطة وقف محيياً ثم قال لها قد دفعني يا مولاتي ما سمعتهُ امس الى المجيء اليوم فهل تسمحين لي ان اقف هنا قليلاً ام يضايقكِ وجودي في هذا الموضع . فتبسمت الفتاة وقالت اذا كنت من المغرمين بجمال الطبيعة مثلي فعلى الرحب والسعة.. وللحال وثب ارجونوت عن ظهر جوادهِ فربطهُ الى جانبٍ وصعد الى جانب الفتاة . وبعد ما عرَّفها بنفسهِ علم منها انها تدعى لوسيل وقد مات والداها وتركا لها دخلاً كافياً لمعيشتها وانها تصرف مدة الصباح في الدرس والكتابة وبعد منتصف النهار تركب زورقها وتجيء الى هذا المكان وانها تسكن في لندن شارعاً لا يبعد كثيراً عن بيت اللرد رندل . وبعد ما تحادثا قليلاً وانس بعضهما ببعض طلب اليها ارجونوت ان تتكرم عليهِ بمراجعة نشيد الامس ففعلت بدون تردد وكان صوتها الرائق الشجي يتصاعد الى الجوّ وينتشر في الافق آخذاً معهُ نفس ارجونوت الى عالمٍ سماويّ

ومن ذلك الحين اصبح ذلك المكان ملتقىً يومياً لارجونوت ولوسيل فكانت تنتظرهُ كل يوم بطهارة قلب وتشعر بلذةٍ فائقة حين يكون بجانبها وكان هو يشعر باضعاف ذلك وقد بلغ منهُ حب تلك الفتاة اعظم مبلغ الا انهُ لم يستطع ان يبوح لها بحبهِ بعد ان اظهرت لهُ نفسها كشقيقتهِ مع ما وجدهُ فيها من طهارة القلب الفائقة الوصف . فكان يكتفي برؤيتها يومياً وسماع صوتها العذب وانتظار موعد اللقآء

من يوم الى آخر

وذهب ارجونوت يوماً كعادتهِ الى الصخر المعهود فلم يجد لوسيل فظن ان سبباً عاقها عن القدوم وجلس على قمة الصخر يرقب البحر لعلهُ يرى زورقها قادماً. ولكنهُ انتظر مدةً طويلة فلم تأتِ فانقبضت نفسهُ وادركتهُ غصةٌ فبقي الى المسآء ولما لم تأتِ طارت نفسهُ شعاعاً وعاد الى بيتهِ مشرّد الافكار حزين النفس يحارب الخواطر المضطربة التي شغلت فؤادهُ . ولا تسل عن غمهِ الشديد حين ذهب في اليوم الثاني ايضاً ولم يفز بمشاهدة فاتنتهِ فانها لم تحضر و بعد ان انتظر مدةً جلس على ذلك الصخر المحبوب وجعل ينتحب وهو لا يدري لمَ. ولما سدل الليل ستارهُ افاق الى نفسهِ فعاد من حيث اتى وقد عقد عزمهُ على زيارة لوسيل في منزلها . فتوجه الى الشارع الذي ذكرتهُ لهُ واهتدى الى البيت الذي تقيم فيهِ وقرع الباب بيد مرتجفة ضرباتٍ توازي ضربات قلبهِ في الشدة والسرعة . ففتح الباب وظهرت منهُ خادمة مسنة فسألتهُ عن رغبتهِ فقال لها انهُ يودّ مقابلة السيدة لوسيل . فقالت انها لا تستطيع مقابلة احد لان لها يومين في سريرها تشكو انحرافاً في صحتها . فازالت هذه الكلمة شيئاً من نفس ارجونوت ولكنهُ ما عتمّ ان ارتسمت على وجههِ علامات الاسف وقال للخادمة بربكِ قولي لمولاتكِ ان ارجونوت بالباب فربما تود ان تراني . وكان في كلامهِ وهيئتهِ ما جعل الخادمة تطيعهُ بدون ممانعة فغابت لحظة وعادت فأذنت لهُ في الدخول . فلما بلغ غرفة لوسيل رآها متوسدة سريرها كالزهرة الناضرة اذا لفحتها الشمس فاذبلتها فظهرت على وجههِ علامات الكمد والاشفاق وتقدم من سريرها وهو لا يقوى على الكلام . فمدت اليهِ لوسيل يداً لطيفة وقالت لا بد انك ذهبت الى محل اجتماعنا ولم ترَني فاعذرني لعدم موافاتك الى هنالك فقد منعتني الحمى عن ذلك . ولبث ارجونوت عندها ساعةً يسليها و يلاطفها وقد دار بين الاثنين حديثٌ يعرفهُ كل من اصابهُ طرف مما اصيب بهِ ارجونوت ولوسيل . وطال مرض لوسيل فكان ارجونوت يعودها كل يوم وربما كرر عيادتهُ مرتين او اكثر حسبما تسمح لهُ الاحوال

وحدث في ذلك الحين ان عين جماعةٌ من اشراف انكلترا رهانًا تتسابق فيهِ الجياد كان من عداد الداخلين فيهِ اللرد رندل . وكان اعتمادهُ على ما يعلم من جودة خيلهِ ومهارة ارجونوت قد جعلهُ على ثقة من الفوز بدون شك فراهن على ذلك بمبالغ طائلة . واستدعى اللرد ارجونوت فاعلمهُ بالامر واوصاهُ ان يبذل جهدهُ في الاستعداد اللازم لانهُ ان لم يفز بالسبق يخسر اللرد من اموالهِ القسم الاعظم الذي راهن عليهِ . فوعدهُ ارجونوت خيرًا ولكنهُ لم يتمكن من القيام بوعدهِ وتمرين الجياد لانهُ وان كان جسمهُ في بيت اللرد فروحهُ وعقلهُ في بيت حبيبتهِ التي كان المرض يشتدّ عليها يومًا فيومًا . وقبل موعد السبق بيومين كان ارجونوت بجانب فراش لوسيل وكانا قد اعترفا لبعضهما بالحب وجددا عهود الولآء فقالت لهُ تحدثني نفسي ايها الحبيب انني لست بعائدةٍ الى صحتي الاولى وان ايامي قد قاربت الانتهآء فبربك لا تبتعد عني بعد الآن وزوّدني ما استطعت من وجودك قبل وفاتي . وكانت كلماتها هذه تحرق فؤاد ارجونوت فيبذل جهدهُ في تسليتها وتطييب خاطرها وتعليلها بالشفآء القريب وهو لو كان في امكانهِ لاشترى بحياتهِ صحة جديدة ووهبها لها . فكان يذهب الى بيت اللرد ويقوم بما يطلب منهُ بمنتهى السرعة ويعطي الاوامر اللازمة للسوّاس ويعود حالاً الى حبيبتهِ فيقف عند سريرها وهو لا يغمض لهُ جفن مواظبًا على مناولتها العلاجات والاعتنآء التام بها . فمضى عليهِ يومان لم يزر الكرى اجفانهُ ولم يذق طعامًا وفي اليوم الثالث وهو موعد الرهان احتشد المراهنون في المكان المعين وكان اللرد رندل يراقب جوادهُ وارجونوت بعين ملؤها سرور وثقة بالفوز . اما ارجونوت فكان يسير على غير هدًى كشاربٍ ثملٍ وقد اضناهُ التعب والسهر . ثم ازفت الساعة المقررة فركب المتسابقون واعطيت لهم العلامة فاندفعت الجياد بهم اندفاع السيل المنهمر . وكان قد بلغ الجهد والنعاس من ارجونوت فلم يسر جوادهُ كثيرًا حتى اطلق لهُ العنان واطبق جفنيهِ فنام على ظهر الجواد كأنهُ على فراشهِ ولم يفق من نومهِ الا حين ارتفع هتاف الحضور يشق عنان السمآء فوجد ان جوادًا آخر قد بلغ الغاية قبلهُ ببضع اقدام . وادرك ارجونوت

ذنبهُ وتقصيرهُ بعد فوات الوقت فردَّ رأس جواده وعاد حزينًا ذليلاً . ولم يعرف اللرد رندل سبب تقصير جواده فنسب ذلك الى معاكسة الحظ واضطر الى دفع المبالغ الطائلة التي راهن عليها . وكرهت نفسهُ الجياد من تلك الدقيقة فباع خيولهُ واخبر ارجونوت انهُ لم تعد لهُ حاجة به . ولم يصدق ارجونوت ان سمع منهُ ذلك حتى ترك بيت اللرد وطار مسرعًا الى بيت حبيبته

ولما شعرت بقدومهِ فتحت عينيها المطبقتين بسكرات الموت وقالت لهُ بصوت ضعيف احمد الله على مجيئك لاراك قبل سفري الاخير . ورأى ارجونوت ان ذراع الموت كادت تضم جسم حبيبته فطوَّقها بذراعيهِ وضمها الى صدره كأنهُ يدافع عنها والقت رأسها على كتفهِ فانحنى عليها وتقابلت افواههما لاول مرة وارتسمت على شفتيهما قبلة الحب الطاهر . وبعد هذا العناق قالت لوسيل حسبت يا ارجونوت انني ساعيش سعيدة واياك ولكن الله قضى لي بسعادةٍ اعظم وهي ان اكون مع والديَّ وها انا ذاهبةٌ اليهما فتصبر ايها الحبيب لغيابي واستعدّ لاتباعنا اذ لا بد من اجتماعنا بعد حين وقد فاتنا ذلك هنا فسيكون هناك . واعلم ان ليس لي من الاهل او المعارف احد اهتم به سواك واذ قد تعاهدنا على الحب والولاء فانت زوجي ولو لم تضم رأسينا بركة الاكاليل وعلى هذا قد كتبت كل ما املكهُ باسمك وفي املي انك لا تكدّر ساعتي الاخيرة برفض ما ارجوهُ منك فاقبل هذا التذكار الحقير مني وتزوج حالما تجد شريكةً تناسبك وأسأل الله ان يهبك مولودةً فتدعوها لوسيل لتذكرك بي دائمًا وتهبها متى كبرت ما اهبك اياهُ الآن

وكان اجهاد لوسيل نفسها قد زاد ضعفها فصمتت اما ارجونوت فلم يستطع كلامًا ولما رأت دموعهُ المنهمرة قالت لهُ عِدني ان تفعل حسب رغبتي . قال اعدك بكل شيء الا الزواج فلن يخطر في بالي ما حييت . قالت ولكن لوسيل .. قال كوني براحة فساجد ابنة ادعوها لوسيل واجعلها تمثل امامي دائمًا ملكي الحارس . ومدت لوسيل ذراعيها حول عنق ارجونوت فضمتهُ اليها وضمها اليهِ وتمتمت بكلماتٍ منخفضة فهم منها فقط «استودعك الله الى الملتقى» ولفظت تلك المسكينة روحها النقية

في آخر قبلةٍ رسمتها على فم ارجونوت الحزين فاعول و بكى وقضى ساعاتٍ بقرب جثة حبيبتهِ نادباً

و بعد ما دُفنت لوسيل فكّر ارجونوت في اتمام وصيتها وكان قد آلى على نفسهِ ان لا يتزوج فقصد ديرًا للراهبات اخذ منـهُ لقيطةً صغيرة فدعاها لوسيل واقام واياها في بيتهِ فجعل تركة الفقيدة لهذه الطفلة و بقي هو قيماً عليها

. . . .

ولما أتمّ الكاتب القصة واعاد قرآءتها سرّ سرورًا عظيماً ولكنهُ ما لبث ان قطب حاجبيهِ وقال اواه قد ذهب تعبي سدًى لان ارجونوت لما اخبرني بهذا الامر حلفني ان لا اذكرهُ الا بعد موتهِ ومن يعلم اين هو الآن ... و بعد ما فكر هنيهةً ذهب الى كاتب الاخبار فقال لهُ هل تعلم شيئًا عن ارجونوت المسابق الشهير . فقلب الكاتب بعض دفاتره وقال قد توفي منذ اربعة اشهر . فلما سمع ذلك كاد يطير فرحاً وكان قد صار المسآء فأخذ مقالتهُ وقدمها الى المدير وفي اليوم الثاني نُشرت الجريدة وفيها هذه القصة فكان لهـا احسن وقع عند القرآء وتواردت التهاني على الكاتب من كل صوب

و بعد نحو شهر من تاريخ صدور الجريدة جآء رجلٌ غريب الهيئة وطلب مواجهة الكاتب فأُدخل عليهِ ولما خلا بهِ تفرّس فيهِ الكاتب مليًّا ثم صاح بدهش عظيم ألست أنت ارجونوت . قال بلى انا هو . فقال الكاتب ولكن بلغني انك مت منذ خمسة اشهر . قال انا اصدق ممن اخبرك وهآنذا امامك حيٌّ أرزق . فقال الكاتب اعذرني اذاً ايها الصديق لنشري قصتك في الجريدة فانني لم انشرها الا بعد ان تحققت انك توفيت . فتبسم ارجونوت وقال لا تبتئس يا عزيزي وانا لم آتِ لاعاتبك بل لاشكرك على نشر هذه القصة فانها قد سببت لي سرورًا عظيماً وانالتني راحة ضميري . وذلك اني بعد وفاة لوسيل انقطعت الى تربية الابنة الصغيرة ولمـا راقت احوالي جعلت افتكر في ماضيّ ووجدت انني كنت السبب في خراب اللزد رندل فاتعبني ضميري جدًّا وصممت ان ابذل جهدي لاصلاح ما افسدتهُ وعلمت

ان اللارد رندل عرف بعد حين بما كان من امري فزادهُ ذلك على اسفهِ لفقد مالهِ مقتاً لي وكراهةً لذكري . وبعد اعمال الفكرة اخذت لوسيل وسافرت بها الى بلدةٍ بعيدة حيث اشعت خبر وفاتي وصرت اراقب الفرص الى ان نُشرت قصتي في جريدتك وتحقق الجميع خبر موتي . وكنت في هذه الغيبة قد اطلقت شعر لحيتي كما ترى وغيرت شيئاً من هيئتي وجئت منذ اسبوعين الى لندن وقابلت اللارد رندل فعرضت عليهِ ان يوليني امر الاعتناء بخيولهِ والمسابقة لهُ عليها فلم يعرفني وكان قد عاد الى الانشغاف بالخيل والمسابقة فقبل . وما صدقت ان سمعت منهُ ذلك حتى انخرطت في خدمتهِ واتفق ان كان السباق الشهير منذ اربعة ايام فأشرت الى اللارد ان يراهن على اي مبلغٍ شاء فقال لي انهُ لن يفعل لانهُ خسر ثلثي مالهِ في امرٍ كهذا بسبب تقصير المسابق ارجونوت وهو لا يود ان يخسر الثلث الباقي . فقلت لهُ ولكنني اؤكد لك يا مولاي انك ستربح في هذا السباق اربعة اضعاف ما خسرت في الماضي والححت عليهِ فقبل ولم تعد تُرى قائمة للمراهنة الا وفيها اسم اللارد رندل بمبالغ باهظة . ولما جاء اليوم المعين بذلت الجهد حتى فزت بالسباق وربح اللارد حقيقةً ما لا يحصى من المال فاستدعاني اليهِ في مساء ذلك اليوم ووهبني عشرة آلاف ليرة مكافأةً لي وقال لي انهُ كان يعتقد قبل معرفتي انهُ لم يقم في العالم امهر من ارجونوت في ركوب الجياد . فتبسمت وقلت لهُ وهو يا مولاي بنفسهِ يعوض الآن عما ارتكبهُ في الماضي . ثم اعلمتهُ بما كان من امري وطلبت منهُ الصفح فصفح لي واعادني الى خدمتهِ كالسابق . وقد قدمت الآن لاشكرك على مقالاتك فانها كانت السبب في ما وصلت اليهِ وبواسطتك قد ربحت هذا المال الذي نصفهُ حقٌّ شرعي لك . والحَّ ارجونوت على الكاتب فقبل منهُ نصف ما اهداهُ لهُ اللارد وبقي ارجونوت بعد ذلك في وظيفتهِ لا يهمهُ من العالم باسرهِ سوى ابنتهِ لوسيل وجيادهِ

﴿ المجاز ﴾

(تتمة ما سبق)

وبقي مما يتصل بهذا البحث شيئان هما وان لم يرجعا الى قياسٍ معلوم فانهُ اذا تولاهما ذهنٌ شفّاف وذوقٌ لطيف يمكن ان يستعان بهما في وضع كثيرٍ من الالفاظ التي يتعذر فيها الالتجآء الى الاشتقاق او المجاز ونعني بهما النحت والتعريب . والمراد بالاول ان تؤخذ احرفٌ من كلمتين فاكثر فيصاغ منها كلمةٌ تدلّ على ما نُحتت منهُ وقد تقدم لنا في هذا النوع كلامٌ وافٍ في مجلة الطبيب في مقالة الامالي اللغوية . واكثر مايكون اللفظ المنحوت رباعياً نحو البسملة والحمدلة في حكاية قولك بسم الله والحمد لله ونحو العبشمي في النسبة الى عبد شمس والعبقسيّ في النسبة الى عبد القيس وما اشبه ذلك . وقد يكون خماسياً نحو قولهم عجوزٌ صَهْصَلِق اي صخّابة نحتوهُ من صَهَل وصَلَق والصلق بمعنى الصوت الشديد . ونحو العَجَمْضَى وزان حَبَرْكَى وهو ضربٌ من التمر يكون في ضاجم اسم وادٍ فنحتوهُ من عَجَم اي نَوَى وضاجم للوادي المذكور . وربما زادوا على الاحرف المقتطعة لينطبق بنآء الكلمة على وزنٍ مخصوص كالهيللة في حكاية قولهم لا اله الا الله زادوا فيهِ اليآء ليأتي على مثال الحمدلة ونحوها من المنحوت الملحق بالرباعي . وقولهم الحَبَنْطَى وهو المنتفخ البطن اخذوهُ من الحَبَن والحَبَط وكلاهما بمعنى عظم البطن وزادوا الالف في آخرهِ كما زيدت في حَبَرْكَى ليلحق ببنآء سفرجل

وربما كان النحت في الثلاثيّ كما نبهنا عليهِ هناك وهو من النحت الخفيّ ولذلك لم نجد من تعرَّض لذكرهِ . ومن امثلتهِ نَبَض الماء اذا سال فانهُ يصحّ ان يكون منحوتاً من نضَّ و بضَّ وكلاهما بمعنى نبض فحُذف المكرَّر في اللفظين . وهذا مع جواز ان يكون مما استُنبط بناؤهُ بزيادة الحرف الثالث على حد نَبَط ونَبَع فان من هذه الالفاظ ما لا تجد فيهِ مندوحةً عن النحت والامثلة من ذلك عزيزة يحضرنا منها كلمات قليلة منها لفظ المأج بمعنى الماء الأجاج فان هذا لا يكون الا منحوتاً من ماء واُجاج ثم بنوا منهُ فعلاً فقالوا مؤُجَ الماء يمؤُج مؤوجةً فهو مأج فجاء على حد صَعُبَ صعوبةً فهو صعْب . ومن ذلك الكَبْو وفسروهُ بكتم الربو واحرِ بهِ ان يكون منحوتاً من هذين اللفظين اي من كتم وربو . ومثلهُ ما ذكرناهُ هناك من قولهم عبَر النهر فانهُ يشبه ان يكون منحوتاً من عُباب و بَرّ لان مفاد العبور يتركب من هذين المعنيين . وقالوا عطَّب الشراب وزان قدَّم اي عالجهُ ليطيب وهو كذلك منحوتٌ من عالج ويطيب . ويجري هذا المجرى من الفاظ الحكاية قولهم هلَّل اي قال لا اله الا الله تركوهُ على لفظ مزيد الثلاثي وهي لغةٌ اخرى فيهِ . ولعل من استقرى ابنية اللغة يجد غير ذلك مما لا يبقى معهُ شبهةٌ فيما ذكرناهُ وكل ذلك ولا ريب مما يستعان بهِ على التوسع في سبيل الوضع والاستحداث على طريقٍ يُقتدَى فيهِ باسلوب العرب بحيث ان الالفاظ المستنبطة على هذا النحو يمكن ان يقال انها لم تخرج عن اوضاع العرب انفسها وهو الشرط الذي ذكرناهُ في وضع الالفاظ المحدثة

ولا بدّ في النحت من مراعاة ائتلاف الحروف عند ضمّ بعضها الى

بعض لان منها ما يتنافر عند الجوار فيثقل النطق بهِ على اللسان او تنبو عن سماعهِ الاذن والحاكم في هذا الذوق السليم . ولا بدَّ فيهِ ايضاً من مراعاة الاوزان العربية حتى يلحق المنحوت بالابنية الموضوعة بخلاف التعريب كما سيجيءُ فانهُ يكتفى فيهِ بموافقة المخارج العربية دون اوزان الكلمات

واما التعريب فالمراد بهِ هنا احالة اللفظة الاعجمية الى ما يوافق اللفظ العربيّ اما بتبديل بعض مقاطعها فقط كما في الشاهسْبَرَم او الشاهسْفَرَم وهو اسم نباتٍ من الرياحين فان اصلهُ بباءٍ معقودة يُلفَظ بها بين الباء والفاء فعرَّبوهُ تارةً باحد الحرفين وتارةً بالآخر . واما بتبديل بعض مقاطعها ووزنها جميعاً كما في فِرْدَوْس وهو تعريب پاراديسوس باليونانية فابدلوا من الباء المعقودة في اولهِ فاءً والحقوهُ بوزن بِرذَوْن . وقد استوفينا هذا البحث في بعض اجزاء السنة الثانية من هذه المجلة فليُراجَع في مواضعهِ

وليكن هنا ختام كلامنا في اللغة والعصر ولا نزيد المطالع علماً اننا كتبنا هذه المقالة كلها كما نكتب سائر فصول الضياء لم نتخذ لها فراغاً مخصوصاً ولم نكد نراجع فيها كتاباً اونستمدّ من احدٍ سوى ما وعت الحافظة الضعيفة. على أنَّا في كل ما سلف لنا الوقوف عليهِ من كتب اللغويين لم نجد من تصدَّى لهذا البحث وفصّل الكلام على معاني المشتقّات واغراض المجاز على الوجه الذي شرحناهُ في هذه العُجالة ولعلّ في هذا بعض العذر لنا فيما لعلهُ فاتنا من هذا المبحث الواسع والله سبحانهُ وتعالى اعلم وهو وليّ الهداية والسداد

الحيوان والنبات

قسم المتقدمون الكائنات الارضية الى ثلاثة اجناس عامّة تسمّى بالمواليد الثلاثة وهي الجماد والنبات والحيوان وعرّفوها بان منها ما ينمو ومنها ما ينمو ويعيش ومنها ما ينمو ويعيش ويحسّ . وقسمها المتأخرون الى اجسام غير عضوية واجسامٍ عضوية ويدخل تحت الاولى جميع الاجسام التي لا اعضآء لها وانما يقوم كيانها بالنواميس الطبيعية والكيماوية وهي المعادن والسوائل والغازات . والثانية تتناول جميع الاجسام ذات الاعضآء التي لها حياةٌ مّا وتنقسم ايضاً باعتبار النواميس الحاكمة فيها الى قسمين وهما النبات والحيوان. ولا اشكال في تمييز الاجسام غير العضوية من العضوية كما انهُ لا اشكال في تمييز الانواع الراقية من الحيوان والنبات ولكن الاشكال كل الاشكال في التمييز بين الانواع الدنيا منهما وهو ما طالما كان موضعاً لمباحث اهل العلم على ما نورد خلاصتهُ

اما الفصول المميزة بين الحيوان والنبات فترجع في الجملة الى امرين احدهما أن الحيوان ينفرد عن النبات بانهُ يحسّ ويتحرك بالارادة والثاني أن الاغتذآء والتنفس يتمّان في كلٍّ منهما على غير الوجه الذي يتمّان عليهِ في الآخر

على ان من النبات ما يوهم ان لهُ حركة اختيارية كالنوع المعروف بالنبات الحسّاس فانهُ حالما يُمسّ تنقبض اوراقهُ وتنطبق وابلغ منهُ النوع المسمى بالنبات المفترس او النبات اللاحم اي الآكل اللحم فانهُ اذا وقعت عليهِ ذبابةٌ او شبهها من صغار الحيوان يقبض عليها بشدّةٍ ويحتبسها ثم يُفيض عليها

لعاباً لزجاً شديد الحموضة يشبه العصارة الهاضمة التي تفرزها معدة الحيوان فينحلّ لحمها ويمتصّ ما فيه من الغذآء وبعبارةٍ اخرى يهضمهُ . وربما تجاوز بعضهُ الى غير ذلك كما يشاهد في جراثيم بعض النبات البحري فانها تنتقل من مكانها وتفرخ في مكانٍ آخر حالة كون بعض انواع الحيوان كحيوان المرجان مثلاً لا يستطيع ان يبرح مكانهُ كالنبات . ولكنّ المحققين على ان هذه الحركات كلها لا تصدر عن اختيارٍ في النبات ولا عن احساس وانما هي مجرّد تهيُّجٍ موضعيّ من قبيل ما يسمّى بردّ الفعل وبالتالي فهي حركاتٌ قسريّة وان شئت قلت حركاتٌ حِيلية اي ميكانيكية . والذي يميز هذه الحركات واشباهها عن حركة الحيوان الارادية انها لا تصدر عن دافعٍ داخليّ وانما تحدث بسبب مباشرة محرّكٍ من الخارج وتصدر دائماً على شكلٍ واحد وبخلافها الحركة الارادية في الحيوان فانها تكون مسببةً عن وحيٍ باطن يُوعز به الى الاعضآء المتحركة فتفعل . وهذا الايعاز يتمّ بواسطة اعضآء خاصة هي الاعصاب التي بها يتمّ الحس والحركة وبها يتميز الحيوان من النبات ولذلك يُعتبر الجهاز العصبي هو الفصل المقوّم للحيوان . على ان المتأخرين من علمآء الطبائع كانوا الى عهدٍ قريب يذهبون الى انتفآء هذا الجهاز في الحيوانات السافلة ولكن الاستقرآء اثبت وجودهُ لعددٍ كبير منها . ولما كان من المحقق ان جميع انواع الحيوان التي ثبت ان لها عصباً انما يتم احساسها بواسطة العصب لزم ان كل حيوان يظهر منهُ احساس يكون الاحساس فيهِ مسبباً عن وجود عصب ولو لم يثبت وجود ذلك العصب بالعيان

واما الاغتذآء والتنفس ففيهما بين الحيوان والنبات تفاوتٌ بعيد .

وذلك ان النبات ومثلهُ بعض انواع الحيوان البسيطة البناء يتنفس من عامة سطح الجسد واما الحيوانات التي هي اتمّ تركيباً فان هذا السطح فيها غير كافٍ لقضاء حاجة البنيــة ولذلك لا تستغني عن عضوٍ خاصٍ بالتنفس كالرئة والخيشوم يكون مع صغر حجمهِ ذا سطوحٍ متعددة يباشرها المقدار الكافي من الهواء . ثم ان مُفرَز التنفس بين الفريقين يختلف ايضاً فان الحيوان يتناول ما في الهواء من الاكسيجين ويلفظ الحامض الكربونيك والنبات بعكسهِ فانهُ يمتصّ من الهواء الحامض الكربونيك فيستأثر بما فيهِ من الكربون مع جزءٍ من الاكسيجين والقسم الاكبر من الاكسيجين يرتدّ الى الهواء . ولا عبرة بما يفعلهُ النبات من عكس ذلك في مدة الليل وعند احتجابهِ عن اشعة الشمس فان ما يدفعهُ في هذه الحال من الحامض الكربونيك اقل من المقدار الذي يمتصهُ حال تعرُّضهِ للنور وبالتالي فان هذا لا ينبغي ان يُعَدّ في النبات فعلاً حيويًّا لانهُ بعينهِ يتمّ في اجزاء النبات التي ليست بحيّة . فالنبات على هذا يستمدّ غذاءهُ من عناصر الهواء ويمثّل ما يستمدّهُ منها فيستحيل الى اجزاءٍ نباتية وبذلك يباين الحيوان مباينةً تامة لان الحيوان لا يمثّل في انسجتهِ الا الموادّ العضوية التي قد جهزها النبات او انواعٌ أُخر من الحيوان ولا يمثل شيئاً من الجواهر في حالتها الغازية ولا من المركبات الثنائية لان الاكسيجين الذي يدخل في بنيتهِ من طريق التنفس لا منفعة لهُ الا ايقاد الموادّ العضوية التي تدخلها من الطرق الاخرى. وهناك اختلافٌ آخر يؤخذ مما تقدم وهو ان النبات لا يستغني عن امتصاص حرارة الشمس لتحليل الحامض الكربونيك الذي في الهواء

حالة كون الحيوان لا يحتاج الى حرارة من الخارج بما فيهِ من الحرارة الغريزية التي هي مستوقدٌ حقيقيٌّ للاشتعال

هذه اظهر الفروق التي يميز بها الحيوان من النبات وبقيت هناك فروقٌ أُخر منها ان الدورة في النبات ابسط جدًّا مما هي في الحيوان لفقدهِ الجهاز الدوري ولا سيما القلب او ما يقوم مقامهُ في بعض انواع الحيوان . ومنها ان الحيوان اكثر اعضآء ووظائف حيوية الى ما لا نسبة بينهما فيهِ ومنها نوع التوالد في الفريقين الى غير ذلك مما هو عند التحقيق أغلبيٌّ لا عامٌّ اذ الحيوانات الدنيا في كثيرٍ من ذلك تشبه النبات وللقوم في هذا المجال مباحث طويلة اقتصرنا منها على ما قلّ ودلّ والله اعلم

المؤتمر الطبي المصري

اسلفنا عند ذكر هذا المؤتمر انا سننشر فحوى بعض الخُطَب التي تُليت فيهِ ايذاناً بما ترتب عليهِ من جليل الفوائد وايثاراً للمطالعين بما ابرزتهُ قرائح اولئك الاعلام من المكتشفات الطبية التي هي بلا ريب اثمن المكتشفات العلمية واعمّها نفعاً . وقد ظفرنا في هذه الايام بمجموعة المقالات التي تلاها حضرة النطاسيّ الوطنيّ الفاضل الدكتور صالح صبحي بك وهي مكتوبة باللغة الفرنسوية فيما يبلغ اربعين صفحة كبيرة فآثرنا تلخيصها على قدر ما يسعهُ المقام افادةً للقرآء وتنويهاً بفضل المشار اليهِ

ونحن ذاكرون مما تضمنتهُ هذه المقالات اربعة اكتشافات هي بالمنزلة الاولى من الاهمية لانها تتعلق بشفآء امراضٍ عجز عنها الاطبآء من قبلهِ .

اولها اكتشاف طريقةٍ لمنع تقرُّح الدمامل والبثور الجُدَرية . والثاني شفآء العلة المعروفة بالتيتانوس اي الكُزاز . والثالث اكتشاف طريقة لحلّ انعقاد الامعاء . والرابع شفآء داء السرطان مع إخلاف ما ذهب منهُ بالعمل الجراحي . ونحن نسوق هذه الاكتشافات واحداً فواحداً قال اعزَّهُ الله

اكتشاف طريقة لمنع تقرُّح الدمامل والبثور الجُدَرية

قد علمنا مما قررهُ بَستُور ان كل موضع يشغلهُ الهوآء المحيط لا بدّ أن يكون مشحوناً بجراثيم مختلفة الاسمآء والمفاعيل والبيئات نستدل على وجودها بما ينشأ عنها من النتائج . وهي على تناهيها في الصغر من اشدّ اعدآء الانسان خطراً ولم تبرح تناشبهُ حرباً هائلة اكثرما تكون هي الظافرة فيها عليهِ . غير انهُ من يوم تنبه بَستُور لامر هذه الجراثيم وهو التاريخ الذي نشأ فيهِ علم البكتيريولوجيا اصبح في طوق الانسان ان يدافعها ويدفع غائلتها في كثيرٍ من الاحوال

لاجَرَم انهُ بواسطة تعقيم الآلات الجراحية والذرائع المستنبطة لاهلاك الجراثيم المفسدة قلّت اخطار الاعمال الجراحية حتى ان معظم تلك الاعمال لم تعد تحدث فيهِ هذه الاختلاطات المخيفة التي كان يهلك بها نحو الثمانين في المئة . فنحن اليوم بما لدينا من وسائط منع الفساد نتلاعب بالامراض المعرَّضة للتقرُّح بدون ان نخشى لها تَبِعةً فان عملية خُرَاج الكبد التي كانت منذ سنوات من اشدّ العمليات خطراً اصبحت اليوم في نظر الجرَّاح الماهر بمنزلة أُلعوبةٍ صبيانية وقس عليها سائر العمليات التي يتولاها مشراط الجرَّاح

وقد قدَّمنا ان الجراثيم المذكورة منتشرة في كل موضع يشغلهُ الهوآء فمن طرُق اتقآئها اذن ان نمنع مباشرة الهوآء للمواضع المعرَّضة لأَذاها . ولا يلزمنا في ذلك ان نلجأ الى الوسائط البعيدة بل يكفي لمنع الهوآء عن الجراحات مثلاً او القروح ان نصيّرها في حالةٍ يمتنع معها نفوذهُ اليها وذلك اما بان نضمّ سطحي الجراحة حتى لا يبقى بينهما فراغٌ يتخلَّلهُ الهوآء . واما بان نغطّي تجويفها بغشآءٍ مُصمَت لا يجد الهوآء منفذاً الى ما ورآءهُ

اذا تقرر ذلك اقول انهُ ليس منا الا من اتفق لهُ مراراً ان يلاحظ في معالجة الجُدَريّ ان التقرح اشدّ ما يحدث في الوجه واليدين ثم انهُ بعد البرء تبقى آثارهُ احياناً في الوجه فتترك هناك وسماً لا يُمحى حالة كونهِ لا يبقى لهُ اثرٌ في شيءٍ من سائر البدن المغطى بالملابس . فبقي ان نبحث عن السبب في ذلك وهو فيما ارى يبعد ان يكون من طبيعة العلّة بل الاقرب والاشبه ان سببهُ الهوآء المحيط وما يتخللهُ من النور وسائر المؤثرات الجويّة . ومن المعلوم ان الوجه اكثر الاعضآء تعرضاً لهذه المؤثرات فبالضرورة تكون العلة فيهِ اشدّ منها في سائر الاعضآء . وهي كذلك في الواقع فانها تكون في الوجه اظهر اعراضاً ويكون التقرح اعظم ويعقب ذلك ما ذكر من الآثار التي تبقى بعد زوال العلة . ولكن اذا جُعل الوجه في كِنٍّ من المؤثرات المذكورة وما يصحبها من التبخر الجلدي وما في الهوآء من الجراثيم المنتشرة قلّ التقرُّح الى حدٍّ هو من ورآء المنتظَر

فالسرّ كل السرّ فيما جريت عليهِ في معالجة هذا التقرُّح هو اني احتلت على صنع بشرةٍ لا ينفذها الهوآء ولا تقبل الانحلال ولا الفساد بارتفاع حرارة

البدن او افرازه. وبعبارة اخرى على اتخاذ جلدٍ صناعي يغطي كل سطح الدمل او البثر بحيث يتم تحتهُ الالتحام بدون تقرح . وقد امتحنت ذلك في الجدري خصوصاً فكان لهُ نفعٌ عجيب وقد ثبت لديَّ ذلك مراراً بهبوط الحرارة - اي بانتفاء تقرح البثور - وبعدم حدوث الهذيان وسائر الاختلاطات وما يتلو البرء من هذه الآثار القبيحة التي تبقى في الجلد فتشوّه المنظر ولا سيما في النسآء

ثم شرح عدة حوادث اتفقت لهُ من هذا القبيل عالجها بإلصاق ورق الذهب المعدني على الدُمَّل او البثر وهو المراد بالبشرة الصناعية المشار اليها فامتنع التقرح في جميعها . وسنأتي على بقية الاكتشافات في الاجزاء التالية ان شاء الله

التاريخ والشعر

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرّس البيان في المدرسة الشرقية بمدينة زحلة من جبل لبنان

اشرتم في بعض اجزآء مجلتكم الغرآء الى التاريخ الشعري بحساب الجُمَّل ولما كنت قد صرفت وقتاً في التنقيب عن هذا الفن الذي ولع بهِ المتأخرون رأيت ان الخص ذلك في هذه العجالة لعلَّ بعض قرآء مجلتكم الكرام يرون فيهِ فائدةً والاّ فلا اقلّ من ان يجدوا فيهِ بعض الفكاهة فلا أُحرم رضاهم في الحالين فاقول

ان حروف الجُمَّل المشهورة نقلها العرب عن السريان وزادوا عليها

كلمتين جمعوا فيهما الحروف التي سمَّوها الروادف كما اشرتم الى ذلك . ويظهر ان العرب اعتنوا بحساب الجمّل مثل اخوانهم الشرقيين لكنهُ كان على طرق مخالفة لما ألفهُ المتأخرون منا وقد وقفتُ على تلميح الى مثل ذلك في قول ابن الشبيب من اهل القرن السادس للهجرة في الامام المستنجد بالله وهو

أنت الامام الذي يحكي بسيرتهِ من ناب بعد رسول الله أو خلفا
اصبحتَ « لبَّ » بني العبَّاس كلّهم ان عُدّدت بحروف الجمَّل الخُلفا

فأراد أن جُمّل « لُبّ » ٣٢ والمستنجد هو الخليفة الثاني والثلاثون من العبّاسيين . ثم رأيت لصلاح الدين الصفدي من اهل القرن الثامن بيتين في قلم ممدوحهِ ألمّ فيهما بشيء من ذلك بقولهِ

لصفات بدر الدين فضلٌ شائعٌ تصبو لهُ الافكار والاسماعُ
انظر الى « القلم » الذي يحوي فقد صحّ الحساب بأنهُ « نفّاعُ »

فاراد ان كلمتي القلم ونفاع تتفقان في حساب الجمّل فتكون كلٌّ منهما ٢٠١ .
وقال آخر ولم اعلم من هو ولعلهُ قبل هذا التاريخ

من كان « آدَم » جُمّلاً في سنّهِ هجرتهُ « حوَّآءُ » السنين من الدُمى

وأراد أن من كانت سنّهُ عدد حروف آدم (٤٥ سنة) هجرتهُ من كان عمرها كجمّل حوآء (١٥ سنة)

ورأيت بعد هذا لكثير من المؤلفين حروفاً يرمزون بها الى سني التأليف او النسخ بحساب الجمّل وقد اورد بهآء الدين العامليّ في الكشكول الغازاً كثيرة عبرَّ عن الملغز بهِ منها بالحروف مما لا حاجة الى الاطالة بنقلهِ

اما التاريخ على الصورة المشهورة عندنا اليوم فان اقدم ما عثرنا عليهِ

منها قول ابن المبلط في السلطان سليم لما تولى الخلافة سنة ٩٧٤ وهو

تولى مليك العصر وابن مليكهِ　　بعزٍّ وتأييدٍ ونصرٍ وسلطانِ
ودولةِ ملكٍ قلت فيها مؤرّخاً　　سليمٌ تولى الملك بعد سليمان

١٣٠　١٢١　٤٤٦　١٢١　٧٦　١٩١

ثم قول الآخر يؤرخ ظهور التبغ في بلادهِ سنة ٩٩٩ هـ وهو كما اوردتموهُ

سألوني عن الدخان وقالوا　　هل لهُ في كتابنا ايماءُ
قلتِ ما فرّط الكتاب بشيءٍ　　ثم ارخت يوم تأتي السماءُ

ورأيت لشمس الدين المصريّ تأريخاً من قصيدة يرثي فيها والدهُ المتوفى سنة ١٠٠٣ هـ وهو

علمت مسكنهُ دار النعيم لذا　　قد قلت أرّخ بنادِ القبر قد حشِرا

فترك الياء من نادِ ضرورةً . ثم قول الآخر مؤرخاً مقتل السلطان عثمان ابن السلطان احمد سنة ١٠٣١

مات سلطان البرايا　　فهو في الاخرى سعيدُ
قال لي الهاتفُ أرّخْ　　ان عثمانَ شهيدُ

وقول الآخر في ابي البقاء الصالحي المتوفى سنة ١٠٢٥.

اودى مسيلمة الكذو　　ب الساحر النحس المرائي
أُلهمتُ في تأريخهِ　　مات الشقيُّ أبو البقاءِ

ولكنهُ حسب الياء المشدّدة حرفين والمشهور انها تحسب حرفاً واحداً .

وقول الشيخ عبد الرحمن التاجي مؤرخاً بناء قصر للامير عمر الحرفوش سنة ١٠٧٧ من ابيات

ابديتَ فيهِ للعيون بدائعاً　　في الحسن تُصدَر عن علاك وتُورَدُ

ولذالك ثغر السعد قال مؤرخاً قصرٌ زهيٌّ للامير مشيَّدُ

وقول الشيخ عبد السلام الكامليّ من قصيدةٍ مؤرخاً اطلاق عذار سنة ١١٠٥

قد قلت لما صاغهُ قلم المحاسن في الخدود
كتب الجمال مؤرخاً خط الزبرجد بالورود

وقول الشيخ احمد بن ناصر الدين الحنفي مؤرخاً فتح المورة على يد علي باشا المعروف بابن الحكيم سنة ١١٢٧ في بيتين كلٌّ منهما برمتهِ تاريخ

قد صاغ بيتين في كلٍّ يؤرخهُ من بعد هذا كعقدٍ زان ذا عطَلِ
في كل حربٍ دهى الاسلام من نوبٍ قد ايد الله فيها احمداً بعلي
لا زال بين الورى اعلاَ ء عدلهما ما دام عزّهما في السهل والجبلِ

ثم جآء بعد هؤلآء السيد عبد الرحمن شاكر النحلاوي خرّيج العلاّمة الشيخ عبد الغني النابلسي فابتكر طريقة القصيدة التأريخية الشهيرة سنة ١١٣٦ ه وزعم المرحوم الامير حيدر الشهابي في تأريخهِ (الغرر الحسان) ان النحلاوي هو الذي اخترع فنّ التأريخ على حساب الجمّل ولعلهُ اراد الطريقة الخاصة لامطلق التأريخ والاّ ففي ما ورد من التواريخ الآن غنًى

وجآء بعد ذلك الشيخ احمد البربير الشاعر المشهور فأرّخ ببيت واحد وفاة الامير منصور الشهابي سنة ١١٨٨ ملماً بذلك النمط الحديث لكنهُ زاد عليهِ بان جعل الحروف المهملة من البيت كلهِ تأريخاً والحروف المعجمة كذلك فقال من ابيات

أتى تأريخهُ في بيت شعرٍ يودُّ البدر لو يعطى سناهُ

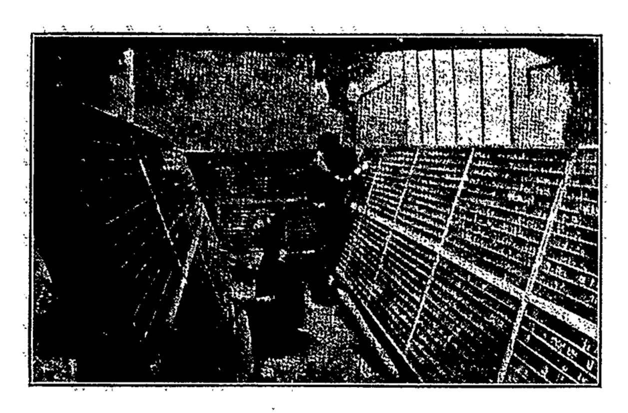
فمهملهُ ومعجمهُ وكلٌّ　　من الشطرين تأريخاً تراهُ
شهابٌ رحمة المولى عليهِ　　هوى للترب بدراً من رباهُ
وقد عدَّ كلاً من الياء في المولى وهوى معجمة　　(ستأتي البقية)

الطباعة الصينية

اجمع الباحثون على ان فن الطباعة من اختراع الصين وكانوا اولاً يطبعون على صفائح من خشبٍ او غيرهِ ينقشون فيها صفحاتٍ كاملة ثم توصلوا الى صنع حروف منفردة يركّبون منها ما شاءوا . وقد ورد ذكر هذه الحروف في كتبهم منذ القرن العاشر للميلاد فيكون هذا الاختراع تقدّم عندهم قبل ظهور الطباعة في اوربا بنحو خمس مئة سنة . ومعلومٌ ان الكتابة الصينية ليست بحروفٍ ذات مقاطع يتركب منها لفظ الكلمات وانما هي رسوم رمزية يُدلّ بها على المعاني المختلفة على حدّ الكتابة الهيرغليفية فلكل كلمةٍ رسمٌ مخصوص ولذلك كان عدد الرسوم التي تتركب منها كتابتهم يكاد يفوت الحصر فقيل هي ستة وعشرون الف رسم وقيل ثلاثة وخمسون الفاً وابلغها بعضهم الى ثمانين الفاً وذكر بعض المحققين انها نحو النصف من هذا العدد . وهي تُكتَب في اسطرٍ عمودية يُبدأ فيها من الاعلى الى الاسفل ويُنتقل في ترتيبها من اليمين الى اليسار

على ان المستعمل من هذه الرسوم في مطابعهم لا يتجاوز احد عشر الفاً هي المستعملة اليوم في المطابع الصينية في اميركا وغالبها ذات حجم كبير توضع في صناديق فاخشة الكبر مقسمة الى آلافٍ من العيون يبلغ طول

الصندوق منها عدة امتار فيما يقرب من مترين عرضاً وهي توضع قائمةً فيكون اسفلها عند قدمي العامل واعلاها محاذياً لرأسهِ كما ترى ذلك في الرسم



ومع كثرة عدد هذه الرسوم او الحروف الى الحدّ الذي ذكرناهُ مما لا يمكن ان تحيط بهِ حافظة فانهم يرتبونها في الصناديق على وجهٍ يسهل على المنضِد الوصول الى حاجتهِ منها . وذلك انهم يقسمونها الى طوائف مرتبة على اجناس المعاني فيكون مثلاً بجوار الرسم الدالّ على الطائر الرسوم التي هي من لوازمهِ الخاصة كالطيران والريش والبيض والتغريد وكذلك اللوازم العامة من نحو الخفة والسرعة والارتفاع وما اشبه ذلك . ولكن العمل على كل حال لا يكون الا في غاية البطء بحيث انهُ اذا اريد تنضيد جريدةٍ صغيرة ذات اربع صفحات لزم ان يعمل في تنضيدها ثمانية او تسعة اشخاص مدة اثنتي عشرة او ثلاث عشرة ساعة

وللصينيين الآن عدة جرائد في الولايات المتحدة تُطبع في المدينة

الصينية المسماة بكنتُون الصغرى بسان فرنشيسكو ولها بينهم انتشار واسع . واكبر هذه الجرائد ثنتان اسم احداهما « شُون سآي يات بُو » واسم الثانية « مُون هِنْج يات بُو » ينشئهما اناسٌ منهم ويكتب في الاولى استاذٌ اميركاني يدرّس اللغة الصينية في كلية كاليفرنيا يقال لهُ المستر جون فرايَر وهو الابيض الوحيد الذي يكتب في جريدةٍ صينية

واما في الصين فجرائدهم قليلة واكثرها يتولى نشرهُ الاجانب من الاوربيين وعندهم جريدةٌ رسمية تصدر في باكين وهي اقدم جريدةٍ في الارض بُدئ بنشرها منذ اكثر من الف سنة

الرخام الصناعي

اخذ اهل الصناعة منذ عهدٍ قديم يحاكون الرخام بمركّباتٍ تشبههُ في القوام والمنظر وقد انتهوا من ذلك الى تقليد الرخام بكل صفاتهِ . الا ان ما يصنعونهُ اكثر ما يُتَّخذ لتغشية الابنية من الداخل لانهُ لا يتحمل الرطوبة فيصنعونهُ صفائح رقيقة يلصقونها على بواطن الجدران ويلبسون بها الاساطين المبنية من الحجارة . ولصنعهِ طرائق عديدة نذكر افضلها واحدثها وهي الآتية

يؤخذ ٨٠ جزءًا من مسحوق الجِصّ و ٢٠ جزءًا من مسحوق الرخام ومثلها من كبريتات البوطاس وتُداف في محلولٍ من الغرآء الحيواني على نسبة ٥ في المئة بحيث ينشأ عنها عجينةٌ رخوة . وبعد ان يتمّ مزجها يؤخذ لوحٌ كبير من الزجاج تامّ الصقال يكون طولهُ الى مترين في عرض متر

وثخانة ٢٠ ميليمتراً ويوضع وضعاً افقياً على حاملٍ من المعدن يكون ارتفاعهُ بحيث يستطيع العامل ان يرى لوح الزجاج من الاسفل . ثم يوضع على اللوح كفافٌ اي بروازٌ بالشكل المراد يركَّب بحيث يمكن فكهُ ويكون ارتفاعهُ عن سطح الزجاج ٢٠ ميليمتراً فيكون هناك شبه قالبٍ يُفرَغ فيهِ المزيج المذكور . ويُبدأ بافراغهِ من احدى زوايا القالب بحيث ان المزيج يمتدّ امتداداً مستوياً حتى يبلغ شفة الكفاف وينظر العامل من اسفل القالب واعلاهُ ويزيل كل ما يحدث في المزيج من الفقاقيع الهوآئية . ومتى اخذ المزيج في التصلب يغرز في ظاهرهِ عقاقيف من اسلاك الحديد المطلية بالزنك على شكل دبابيس الشعر المعروفة بحيث يبقى البارز منها شبه حلقةٍ ليُغمس في الطين الذي يُجعل على الجدار حين الصاقهِ ليثبت في مكانهِ . ومتى تمّ تصلّبهُ يُفكّ الكفاف من حولهِ وتُرفع الصفيحة فتكون مُعدَّةً للاستعمال . ولا بدّ قبل افراغ المزيج في القالب من دهنهِ بزيتٍ او نحوهِ دهناً خفيفاً بواسطة قطعةٍ من الجوخ ليسهل انسلاخ الصفيحة عنهُ

اما تلوين الرخام الصناعي فيتمّ باضافة بعض المركبات الكيماوية الى المزيج فاذا اريد ان يلوَّن بصفرةٍ خفيفة ليُحاكى بهِ الرخام الرومي القديم الذي قد اصفرّ من مرور الايام يكفي ان يُحَلّ شيءٌ من كبريتات الحديد (الزاج) في الماء الذي يداف فيهِ الجصّ ثم يتمّ الاصفرار بفعل الهوآء بعد تعريضهِ لهُ . ومثلهُ اللون المزرقّ فانهُ يكتسب على الطريقة نفسها بان يضاف اليهِ شيءٌ من محلول كبريتات النحاس (الشب الازرق) وينبغي ان يكون المقدار من هذين الملحين قليلاً جدًّا

اما التعريق في الرخام فيكون رسماً من الظاهر ولا بدّ لهُ من سلامة ذوق في اختيار الالوان والاشكال ولباقةٍ في التقليد . فاذا اريد تعريق الرخام المصفرّ او المزرقّ بعروق تضرب الى الصفرة القاتمة او الزرقة تُرسم بمحلول خفيف جدًّا من كبريتات الحديد او كبريتات النحاس ويُختار ان يكون هذا الرسم بقطعةٍ من الاسفنج . واذا اريد تعريق المصفرّ منهُ بعروقٍ رماديّة تُرسم بغُلاية جوز العفص . واما ما بين ذلك من اللطخ الخفيف الذي يُرى عادةً في الرخام فيقلَّد بأن يُمَسّ مسًّا خفيفاً باسفنجةٍ قد غُمست في الغُلاية المذكورة

ويمكن ان يلوَّن الرخام في جميع اجزآئهِ بان يضاف الى مسحوق الجِصّ قبل دوفهِ في محلول الغرآء احد مساحيق الموادّ الملوّنة الآتي ذكرها ثم يجعل في برميل ويقلَّب حتى يختلط بهِ المسحوق المراد تلوينهُ بهِ . واشهر الموادّ التي تستعمل مساحيقها لهذا الغرض هي التربة الصفرآء وحجر الدم والمنغنيز والفحم النباتي واصفر الكروم والزُنجُفر . وقد يضاف اليهِ مسحوق الطلق الابيض لمحاكاة بعض اصناف الرخام الشفاف

اما صقال هذا الرخام فيكون بعد جفافهِ التام بأن يُفرَك فركاً شديداً بمسحوق الطلق بواسطة قطعةٍ من الصوف اللين

اسئلة واجوبتها

طرابلس الشام — ارجو اجابتي على هذين السؤالين

(١) لمَ وُجد في العالم بحيرات بعضها ملح وبعضها عذب

(٢) قال البرعي في طيف

المَّ بمضجعي فظفرت منهُ بما ظفر الفرزدق من نوارِ

فماذا كان ظفر الفرزدق من امرأتهِ نوار انطونيوس يافث

الجواب ـ اما المسئلة الاولى فان البحيرات اما ان تكون بقايا من البحار بعد ان ارتفع حضيضها على اثر الاضطرابات الداخلية في جوف الارض مثل بحيرة لوط وبحيرة وان وهذه لا تكون الاّ مِلحة . واما ان تكون متجمعةً من مياه السيول او الانهار مثل بحيرة الحولة وبحيرة انطاكية فتكون عذبة . وقد تقدم لنا كلامٌ شافٍ في هذا البحث في مجلد السنة الاولى من الضيآء صفحة ٣٨٩ وما يليها

واما بيت البُرَعيّ فالاظهر انهُ يريد ان الطيف تجنبهُ كما تجنبت نوار الفرزدق قبل ان طلّقها ولذلك حديثٌ ليس هنا موضعهُ

بيروت ـ قرأت في اقرب الموارد في مادة (ج ن ز) ما نصهُ . « طُحِن فلانٌ في جنازتهِ ورُمي في جنازتهِ اي مات » . فكيف يُطحَن الرجل في جنازتهِ وما معنى الطحن هنا وقد راجعت مادّة (ط ح ن) فلم اجد لهذا الاستعمال ذكرًا . وجآء في مادة (ق ف ر) « القفير الخلية » واظن ان هذا اللفظ عامي فما قولكم في ذلك احد المشتركين

الجواب ـ اما قولهُ طُحن في جنازتهِ فصوابهُ « طَعَن » بالعين و بصيغة المعلوم اي دخل والجنازة هنا السرير يوضع عليهِ الميت . وفي معناهُ قولهم طعن في نَيطهِ وهذا يُروَى بالمعلوم وبالمجهول وقد فسروا النيط على الاول

بالجنازة وعلى الثاني بمعنى نياط القلب وهو علاقتهُ فاذا طُعن مات صاحبهُ

واما « القفير » للخليّة فهو من الالفاظ العامية كما ذكرتم اوردهُ صاحب محيط المحيط على عادتهِ ولكنهُ سها عن ان ينبّه على كونهِ عامّياً وقد علمتم ان هذا الكتاب نسخةٌ عن ذاك

آثار ادبيّة

جغرافية آسيا — اهديت لنا نسخة من كتاب ألفهُ حضرة الاستاذ البارع شارل افندي مقصود مدرّس اللغة الفرنسوية في مدرسة العروة الوثقى بالاسكندرية وصف فيهِ جغرافية القارة المذكورة الطبيعية والسياسية مع ذكر حاصلاتها وحيواناتها ومعادنها . والكتاب مؤلفٌ باللغة الفرنسوية طبقاً لبرنامج المدارس الابتدائية في القطر وقد ذيل كل فصلٍ منهُ بما يتعلق بمضمونهِ من الفوائد التاريخية والسياسية وغيرها باللغة العربية توسيعاً لمدارك الطلاب في هذا العلم . فنثني على حضرة المؤلف لما بذل من العناية في هذا التأليف المفيد ونحث الطلبة على مقتناهُ وثمنهُ خمسة غروش اميرية

المجلة الصحية — هي المجلة المشهورة التي ينشئها حضرة النطاسي الفاضل الدكتور اديب افندي الزيات ولا حاجة مع ما بلغتهُ هذه المجلة من الشهرة الى وصف ما تتضمنهُ من جليل المباحث وصحيح الفوائد . وقد اجتازت السنة الثانية من انشائها ووردنا الجزآن الاولان من سنتها الثالثة فوجدناهما كالاجزاء السالفة حافلَين بالمباحث المفيدة والمطالب المهمة مع

زيادةٍ في حجمها وتزيينها بعدة رسوم . فنحن نثني على حضرة رضيفنا الفاضل لما يتوخى من عموم النفع ونرجو لمجلتهِ زيادة الانتشار والاقبال

مطلع الميامن في تهاني غبطة البطريرك كيرلّس الثامن ـ اطرفنا حضرة الاديب الكاتب عبد المسيح بك الانطاكي بنسخةٍ من مجموعة التهاني التي رُفعت الى غبطة السيد الجليل المشار اليهِ في عنوانها وقد صدّرها برسم غبطتهِ وافتتحها بتاريخ مختصر لطائفة الروم الكاثوليك مع سلسلة البطاركة الانطاكيين من لدن بطرس الرسول الى غبطة السيد الحالي وزينها برسوم عدةٍ من وجوه الطائفة في الديار المصرية . فنثني على حضرتهِ طيب الثناء لما عني بهِ من هذه الخدمة الجليلة ونحث القرّاء على مقتنى هذه المجموعة وثمنها عشرون غرشاً مصرياً

ارجوزة محرم ـ اهدت لنا ادارة مجلة الاخاء الغرّاء نسخةً من ارجوزة طويلة نظمها حضرة الشاعر البليغ احمد افندي محرم وسماها قول الراوي في حادثة المنشاوي وفي هذا العنوان ما يغني عن بيان مضمونها . وقد تصفحناها فوجدناها من مطبوع الشعر جامعةً بين السلاسة والمتانة مشتملةً على كثير من الحكم واللطائف . فنثني على قريحة الناظم ونحث الادباء على مطالعتها والتفكه بعذوبة الفاظها وحلاوة معانيها وهي تطلب من حضرة ناظمها بالدلنجات ومن مكتبة امين افندي هندية وثمنها نصف فرنك خلا اجرة البريد

فكاهات

جزآء الغادر (١)

اشتهر في القاهرة منذ امدٍ غير بعيد محلٌّ تجاري لرجلٍ اجنبي يدعى المستر روبرتسن وكانت اعمال هذا المحل مقصورة على طلب البضائع الاوربية من الخارج وبيعها للتجار في العاصمة والارياف ولم تكن معاملات المحل المذكور الاّ بالنقد المعجل. وكان في استقامة صاحبهِ وصدق معاملاتهِ ما ضمن لهُ توسيع اشغالهِ وزاد في صندوقهِ مبالغ من الارباح . فلما وثق روبرتسن بثبات محلهِ وتوطيد دعائم العمل فيهِ وكان قد حناهُ الكبر واتعب جسمهُ السهر على مصلحتهِ عهد في ادارة شغلهِ الى فتًى في الربيع الحادي والعشرين من حياتهِ حميد الصفات ذكي الفؤاد ذي اهلية واقتدار يدعى برسي . وبعد ان درَّبهُ روبرتسن مدةً على نهج الشغل وتأكد منهُ حسن القيام بالادارة فوض اليهِ العمل تفويضاً مطلقاً وترك لهُ المحل بكمالهِ يديرهُ كيف شاء ولم يكن يجيء هو الى مكتبهِ الا نادرًا حين تدعوهُ الضرورة للتوقيع على الحوالات والعقود . فكان برسي عنوان الاجتهاد والدراية وقد خصص معظم وقتهِ للعمل فلم يمل قط الى الملاهي العديدة التي كانت القاهرة حافلةً بها في تلك الايام واقتصر على معاشرة صديقٍ واحد يدعى هربرت حرفتهُ المحاماة وكان يتردد على اربع أُسر من قاطني القطر يزورها حيناً بعد حين زيارات معتدلة . فوقع بين برسي وابنة احدى هذه الاسر واسمها فيولت ودادٌ عظيم فكان اذا وُجد بحضرتها يشعر انهُ في محضر ملائكة النعيم واذا كانت هي بقربهِ تشعر انها متمتعة باعظم الملذات مع انهُ لم تزد الصلة بينهما عن درجة الوداد ولم تتعدَّ حدود الصداقة البسيطة

وفي ذات يوم دخل برسي الى مكتبهِ كعادتهِ ولم يكن عندهُ من العمل في

(١) معرَّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ذلك النهار سوى فض الرسائل الواردة الى المحل فرأى بينها رسالةً لم يسبق لهُ ان رأى مثل ظرفها ولا نوع الخط المعنونة بهِ فالقاها الى جانب وأخذ يفض بقية الرسائل وهو كلما قرأ واحدة منها يحول نظرهُ الى الرسالة الاولى حتى جآء على آخر المراسلات ولم يجد فيها شيئاً مهمًّا . ثم اخذ الظرف الذي شغل عقلهُ كل تلك الفترة وفضهُ وتلا الرسالة التي ضمنهُ فكأنهُ مذ اخذهُ بيدهِ قد قبض على موصلٍ كهربآئي فصعد الدم الى وجنتيه واخذتهُ رجفةٌ خفيفة كانت تزيد كلما اتى على سطرٍ من سطور تلك الرسالة وما اتم قرآءتها حتى قرع جرساً فضيًّا امامهُ فدخل عليهِ بعض الكتبة فقال لهُ متى يسافر اول قطار من هنا الى الاسكندرية . فنظر الكاتب الى ساعة معلقة على الجدار وقال بعد نصف ساعة . فامتعض برسي ثم ناول الكاتب ليرة وقال اسرع ما امكنك الى المحطة وخذ لي تذكرة سفر الى الاسكندرية وانتظرني ريثما اجيء . ورأى الكاتب في وجه برسي وحركاتهِ ما لم يرهُ قبلاً فداخلهُ ريبٌ من جهتهِ لكنهُ لم يمكنهُ مخالفة الامر فاسرع قاصدًا المحطة وهو يكيف الامر على ما يناسب افكارهُ وظنونهُ . اما برسي فاكبَّ على مكتبهِ واخذ المراسلات المتجمعة لديهِ فجعل يكتب على كلٍ منها بقلمهِ الازرق ما ينبغي ان تجاوب بهِ تلك المكاتبات وهو في كل لحظةٍ يرمق الساعة بنظرهِ الحاد حتى لم يعد لهُ من الوقت الا ما يكفيهِ لبلوغ المحطة فنهض مسرعًا وتناول قبعتهُ ثم فتح درجاً اخذ منهُ محفظة متينة من الجلد الاسود وهو على تسرعهِ يظنها محفظتهُ الخصوصية وهرول على سلم المحل وما بلغ الشارع حتى استوقف عربةً ركبها وامر السائق ان يحثّ السير الى محطة السكة الحديدية . ولما بلغها رأى الكاتب في انتظارهِ فاخذ التذكرة منهُ وقال لهُ قد تركت لك الرسائل على مكتبي ووقَّعت على كلٍّ منها ما ينبغي ان تجاوب بهِ فلا تتأخر عن القيام بذلك ومرّ في رجوعك على بيت المستر روبرتسن واعلمهُ ان امرًا خصوصيًّا في غاية الاهمية استدعى سفري الى الاسكندرية فمتى قضيت شغلي عدت فورًا . وكان القطار قد ابتدأ ينساب من المحطة كانسياب الافعى من حجرها فوثب برسي اليهِ وجلس في غرفةٍ لم يكن فيها سواهُ وغاص في تأملاتهِ . اما الكاتب فكانت

اعمال برسي تزيدهُ ظنوناً سيئة والنفس امارة بالسوء وارتاب في المحفظة الجلدية التي رآها في يد برسي فتبسم تبسماً شيطانيًّا ثم هز رأسهُ كمن ادرك غاية بعيدة المنال وقد القتها التقادير بين يديهِ . ولما غاب القطار عن نظرهِ خرج مسرعاً وجعل يعدو مسابقاً الرياح

اما برسي فظل غارقاً في تأملاتهِ مناجياً الاشباح التي كانت تتمثل امام مخيلتهِ ولم يفق الى نفسهِ الا عند وقوف القطار في محطة الاسكندرية فأشرق وجههُ بلمعان نور جديد ونفض عن ثيابهِ غبار الطريق ثم وقف وكان اول النازلين من القطار . ولكنهُ ما كادت تمس قدماهُ رصيف المحطة حتى شعر بيدٍ قد لمستهُ فنظر واذا بواحد من رجال الشحنة . فسألهُ عن مرادهِ فقال اعذرني يا مولاي فاني لا يسعني الا ان اقوم بواجباتي وهي تقضي عليَّ بالحجز عليك . فصاح برسي مزبدًا بالحجز عليّ .. ولأي سبب يا ترى . قال لا اعرف لذلك سبباً بل اعرف ان الاوامر المعطاة لي هي ان اقابلك ولا ادعك تتجاوز باب المحطة وان اعيدك محفوظاً الى القاهرة . فقال برسي ولكن اعلم يا هذا انك تعارض اجنبيًّا لا يتجاسر على معارضتهِ الا قنصل دولتهِ . قال اعلم ذلك يا مولاي وهوذا رجلٌ من قبل القنصل و بيدهِ امر لك إن لا تعارض ما اجريهِ . فوقف برسي مبهوتاً ورأى ان المقاومة لا تجديهِ نفعاً وظهرت علامات التذلل على وجههِ فقال للشحنيّ ألا يمكنني اذًا ان اقابل شخصاً جئت لمقابلتهِ لامر ضروري جدًّا ربما توقفت عليهِ حياتي . فقال بكل اسف يا مولاي لا ارى لك سبيلاً الى ذلك وليس في امكاني مخالفة الاوامر المعطاة لي فان شئت فادخل الآن الى هذه الغرفة ريثما يأتي وقت قيام القطار الى القاهرة-فترجع فيهِ واذا كنت في حاجةٍ الى طعام او شراب فلا اسهل من احضار ذلك اليك . فقال برسي كلا لا يلزمني شيء من ذلك ثم حنى رأسهُ على صدره ودخل الغرفة وفي صدرهِ نارٌ احرّ نار الجحيم ابردها . و بعد نحو نصف ساعة دخل الشحنيّ وقال كن على استعداد يا مولاي فقد بقي نحو خمس دقائق لقيام القطار . فتنفس برسي الصعدآء وقال سمعاً وطاعة ولكن اسألك معروفاً واحدًا . قال وما هو . قال اذا كتبتُ رقعةً فهل تعاهدني

على ايصالها الى صاحبها . فقال الشحني لم يردني امرٌ في هذا الشأن ولكني لا اظن ان فيهِ محذورًا . فسُرّي عن برسي واخذ للحال قلمًا وخط بضعة اسطر اودعها ظرفًا وكتب عليهِ العنوان ودفعهُ الى الشحني ثم ناولهُ ليرة وقال هذه اجرة الرسول لكي لا يتأخر في ايصال رسالتي . فقال الشحني كن في راحة بال يا مولاي فانا اؤكد لك انهُ بعد نصف ساعة تكون رسالتك بين يدي صاحبها . ثم أُدخل برسي الى غرفةٍ في القطار وسار وهو كالمأخوذ لا يدري أفي يقظةٍ هو ام في منام

ولبث برسي مدةً لا يسمع سوى صوت سير العجلات على الخط الحديدي ثم عاد الى نفسهِ كمن انتبه من نوم عميق وجعل يناجي خواطرهُ ويفكر في ما عساهُ ان يكون السبب في القآء القبض عليهِ وهو لم يقترف ذنبًا ولا ارتكب وزرًا . ثم خطر لهُ ان يبحث في محفظتهِ الجلدية عن بعض الاوراق ليلهي بها افكارهُ المتشردة ففتح المحفظة وللحال رأى ما حلَّ امامهُ ذلك المعمَّى الغريب التفسير اذ وجد انهُ من سرعتهِ في الصباح اخذ عوضًا عن محفظتهِ الخصوصية المحفظة المختصة بالمحل التي تودع فيها اوراق القراطيس المالية . ولما ظهرت محتوياتها امام عينيهِ ورأى ما فيها من اوراق المصارف والاسهم التي كان يعرف عظم قيمتها وقف ساهيًا ثم قال في نفسهِ لا بد ان الحجز عليَّ اليوم كان مبنيًّا على اخذي هذه الاوراق وقد ظنوني سارقًا فيالجنونهم وندمهم حين تظهر لهم الحقيقة . ولكن من يا ترى الشخص الذي ظنَّ بي هذا الظن واسرع الى الحصول على الامر بالقآء القبض عليَّ . انهُ لا يستطيع هذا الامر الا روبرتسن نفسهُ ولكن من المستحيل ان يكون هو الفاعل لانهُ يعرف اماناتي وقد سلم كل اشغالهِ بين يديَّ بل هو يعلم انني لو كنت سارقًا لما تأخرت الى الآن عن ان افعل ولاستعملت غير هذه الطريقة . وكان هذا الاكتشاف اراح فكر برسي ولم يعلق على الامر اهمية بل كان يفتكر فيما عسى ان يقولهُ روبرتسن متى اوضح لهُ الامر وماذا يحل بالذي وشى بهِ اذا كان في الامر وشاية

وبلغ القطار محطة القاهرة فرأى برسي على الرصيف احد رجال القنصلية ومعهُ اثنان من رجال الشرطة دخلا الى غرفتهِ فعرف قصدهما وقدم لهما يديهِ فوضعا فيها

الحديد وسارا به الى دار القنصل فاودعاهُ في غرفةٍ وتركاهُ يناجي جدرانها المكاسة . وكان برسي لا يزال يعتقد ان برآءتهُ ستظهر لاول وهلة فكان يسخر في نفسهِ بهذه الاحتراسات ويفكر فيما عساهُ ان يفعلهُ متى ظهر الامر . ومضت عليهِ تلك الليلة فنام فيها نوماً هادئاً لا يشوبهُ انزعاج ولما كان الصباح ادخل الحارس لهُ طعاماً من مائدة القنصل فاكل ثم فُتح باب غرفتهِ ودخل عليهِ صديقهُ المحامي هربرت . ولما رآهُ برسي نهض فقابلهُ بغاية السرور وجلس الصديقان على دكةٍ في جانب الغرفة فقال برسي اهلاً وسهلاً بك يا صديقي هربرت اني كنت انتظر زيارتك منذ مسآء امس فلمَ تأخرت عليَّ الى الآن . فقال هربرت لم يبلغني امرك الا في آخر الليل فآثرت ابقآء زيارتي الى الآن فقل لي بربك ما هذا الذي فعلتهُ فقد اقلقت افكاري وتراني على احرّ من الجمر لاعرف تفاصيل الامر . فاجابهُ برسي ضاحكاً لا تهتم ايها العزيز هربرت فليس في الامر ما يدعو لمداخلتك في المدافعة عني وما هي الا غلطة جسيمة ارتكبها المستر روبرتسن وسيندم عليها شديداً ثم قص عليهِ حكايتهُ كما وقعت . فقطب هربرت حاجبيهِ وقال ليس الامر بسيطاً يا عزيزي برسي كما توهمت بل اني ارى الامر مشكلاً واراك في موقفٍ حرجٍ اسأل الله ان ينقذك منهُ . قال ولمَ ذلك . فقال المحامي لاني بحثت عن امرك ودرست ما جرى درساً مدققاً فوجدت انهُ ان لم تحدث اعجوبة سماوية فأنت لا تنجو من العقاب . فقال برسي وقد اثر فيهِ كلام صديقهِ وماذا ترى في الامر يا هربرت صرح لي بافكارك ولا تنسَ ان كلمةً واحدة من فم روبرتسن تنفي كل ما حصل وتذرّيهِ ادراج الرياح . فقال المحامي انا اعلم ذلك ولكن اواه من لنا باستخراج تلك الكلمة من فم روبرتسن وهو قد امسى جثةً هامدة . فصاح برسي وقد استولى عليهِ الدهش ماذا تقول . . قال نعم ان مما يزيد موقفك حرجاً هو ان المستر روبرتسن قد توفي في الليلة التي كان سفرك في صباحها الى الاسكندرية بمرض القلب الذي لازمهُ منذ زمن بعيد . وقد لاحظ منك بعض الكتبة السرعة والانقباض في ذلك الصباح ثم رآك تسرع في السفر من القاهرة وقد تأبطت اوراق المحل المالية فداخلهُ في امرك

ريب وما ودّعك على المحطة حتى عاد الى ارملة الفقيد روبرتسن واقنع عقلها الضعيف بسوء قصدك فتركت جثة زوجها وتوجهت الى دار القنصل فرفعت اليهِ شكواها وصدرت للحال الاوامر بالحجز عليك. اما الآن وقد جرى ماجرى فمن يبرهن للقضاة على حسن قصدك وانك انما فعلت ذلك سهوًا ولغاية لا تعلق لها باعمال المحل. فان اول ما يتبادر الى خواطرهم انك عرفت بموت المستر روبرتسن فاخذت اوراقهُ المالية وعمدت الى الهرب بها كما قرر عنك الكاتب المذكور. فانحدرت من مقلتي برسي دمعتان محرقتان اسفًا على مربيهِ المستر روبرتسن وجمد حينًا وهو يفكر فيما آل اليهِ امرهُ. ثم تبسم ونظر الى صديقهِ هربرت فقال لا شك يا عزيزي ان ظاهر الامر يوجب اتهامي بعد ما ذكرتهُ لي ولكنني واثق ان العدل لا يحكم بذلك بعد ان ابرهن على مركزي وسوابق حياتي. وزيادةً على ذلك فان عندي في غرفتي رسائل تثبت لكل من يقف عليها حسن قصدي وتوضح سبب سفري الفجائي وغايتي منهُ فلا يمكن ان يطلع على ذلك قاضٍ ويحكم عليَّ مهما كانت معرفتهُ قاصرة وذمتهُ ساقطة. فقال هربرت قد نفست كربتي يا برسي وقويت آمالي ولا اكتمك انهُ بلغني ان محاكمتك ستكون بعد يومين وقد جئتك الآن لهذا القصد الوحيد وهو ان اطلع على كل ما عندك في هذا الشان لا تمكن من المدافعة عنك. فقال برسي لاعدمتك ايها الحبيب ثم سرد لهُ قصتهُ بتفاصيلها وقال اما سبب سفري فهو انني علقت من مدةٍ بحب فتاة بل بعبادة ملكٍ طاهر لان عظم محبتي لها وزيادة هيامها بي لم يتعديا صدرينا فكان الواحد منا ينظر الى الآخر اذا التقينا نظرةً تترجم عما لا تقوى الشفاه على النطق بهِ. وما زلنا كذلك لا يجسر احدنا على ان يبوح بما يكنهُ فؤادهُ والهيام يفعل في قلبي فعل النار في الحطب اليابس حتى اذا ذهبت يومًا الى الادارة تلقيت رسالةً وهي الاولى من حبيبتي تعلمني فيها ان اسبابًا اضطرارية في غاية الاهمية اجبرت والدها على السفر الى انكلترا وقد سافر باهل بيتهِ وانها تود مقابلتي قبل ركوبهم الباخرة لتطلعني على ما تكنهُ في ضميرها مما تؤكد لي انهُ يكون سبب عذابها الدائم ان هي لم تطلعني عليهِ. فما قرأت ذلك حتى طار رشدي ودعاني

الغرام فلبيتهُ واسرعت فركبت القطار وذهبت الى الاسكندرية وكان ما كان . فترى ايها العزيز ان الامر في غاية البساطة ولكن ما قضى بهِ الاتفاق السيئ من اخذي محفظة الاوراق وموت المستر روبرتسن في نفس تلك الليلة وسفري الفجآئي كل ذلك اوجب الشبهة فيَّ غير اني عالمٌ ايها العزيز انهُ بعد اطلاعك على الامر مع ثقتي بصدق اخآئك واجتهادك في الدفاع عني لا يلحقني شيء من وصمة الذل التي شآء حسادي ان يرموني بها . فقال المحامي هربرت وقد اتضح لهُ الامر كن براحة بال يا عزيزي برسي فلم يبقَ عندي شكٌّ في برآءتك وسيندم المشتكون ندماً شديداً لسوء ظنهم بك . ولكن قل لي بربك من الفتاة التي سلبت لبك وكانت السبب فيما حصل . قال هي ڤيولت التي رأيتني مرةً واياها في الجزيرة . وكأن برسي تمثل حبيبتهُ امامهُ فشخص ببصرهِ الى الفضآء ولم ينتبه الى تغير لون المحامي الفجآئي ولم يسمع صرير اسنانهِ . وبعد حين قال هربرت ذكرت لي يا برسي ان مما يؤيد برآءتك بعض رسائل في حوزة يدك وانها في غاية الاهمية فاين هي . قال هي في الدرج الثالث من مكتبتي في غرفتي فخذ هذا المفتاح وابحث عنها وأسأل الله ان يأخذ بيدك فلا البث طويلاً تحت هذه التهمة الشنعآء . فمد يدهُ مودعاً وقال اذاً سنلتقي بعد غدٍ في المحكمة فالى ذلك الحين استودعك الله

وخرج هربرت قاصداً بيت صديقهِ برسي وهو يتمايل في سيرهِ كالنشوان وكان يردّد هذه الكلمات . ڤيولت الحلوة .. ڤيوليت التي اعبد موطئ قدميها .. ڤيولت التي طالما عللت النفس بالحصول عليها تحب برسي ويحبها .. لا والله لن ينال يدها غيري ما حييت . ان للصداقة حدًّا لا تتجاوزهُ ولن يكون الانسان انساناً اذا ضحى غايتهُ لمنفعة صديقهِ . وما زال يردّد في صدرهِ مثل هذه الكلمات حتى بلغ منزل برسي فدخلهُ وكانت الخدم تعرفهُ جيداً فلم تمانعهُ في ذلك وتوجه الى مكتبة برسي ففتح ادراجها وجعل يبحث في الاوراق التي فيها فأفرز منها خمس رسائل اعاد قرآءتها مراراً ثم قال نعم ان واحدةً من هذه الاوراق كافية لاثبات برآءة برسي واعادتهِ الى اسمي من مركزهِ الاول ولا سيما هذه الوصية الموقع عليها بتوقيع

المستر روبرتسن نفسهِ فلا شك ان صديقي برسي سيرجع بعد المحاكمة معتزًّا وينال غنًى لا مزيد عليهِ . ولكن آه . اذا حصل ذلك فلا يحول دون حصولهِ على ڤيولت حائل وما انا ممن يرضى بذلك فآه ماذا افعل . أأضحي قلبي لخير صديقي وادفع بنفسي الى النار المحرقة بينا هو يتنعم على اسرَّة السعادة والنعيم . لا . لا . لا . انك تجد يا هربرت في كل حين صديقًا اما المحبة فان فقدت فهيهات ان تعود . ولما قال ذلك عمد الى شمعةٍ بالقرب منهُ فأشعلها واخذ الاوراق بيدهِ ولبث حينًا كمن يتردَّد في الامر ثم صرَّ باسنانهِ واتسعت حدقتاهُ وقطب حاجبيهِ علامة الاصرار فأدنى الاوراق من لهيب الشمعة واحدةً واحدةً وكان يتبسم تبسماً شيطانيًّا غريبًا كلما التهمت النار احداها ثم اخذ الاوراق المحرقة وفركها بين راحتيهِ فصارت هباءً من الرماد الاسود فذراهُ من نافذة الغرفة وعاد فغسل يديهِ وخرج عائدًا الى بيتهِ

وبعد يومين عقدت في دار القنصلية جلسة حافلة ترأسها عددٌ من القضاة بملابسهم السوداء وأُتيَ ببرسي فوقف الى جانب الغرفة وحانت منهُ التفاتة الى موقف المحامي فرأى هربرت وأيقن انهُ لا تمضي ساعة حتى يكون حرًّا مطلق السراح . فوقف كاتب الجلسة وتلا صكاً يتضمن الشكوى على برسي بأنهُ لما علم بوفاة روبرتسن صمم على الفرار بأموالهِ فأخذ محفظة الاوراق المالية وترك مصر قاصدًا البلاد الاوربية لولا ذكاء بعض الكتبة فانهُ رأى في هيئة برسي ما دلهُ على الخيانة والسرقة فبلَّغ الخبر وأُلقي القبض على السارق وهو متلبسٌ بالجناية وضبطت المحفظة في يدهِ . فلما انتهت تلاوة الشكوى سُئل برسي فانكر ما نسب اليهِ ثم نهض هربرت للمدافعة فأخذ يبرهن للقضاة ان ما فعلهُ برسي لم يكن بقصدٍ سيئ وانهُ سافر الى الاسكندرية لغرض خصوصي ولسرعتهِ الزائدة عند السفر اخذ محفظة المحل عوضًا عن محفظتهِ . فاستحسن القضاة قول المحامي ولكنهم لم يروا في دفاعهِ البراهين الكافية للاقتناع وكان برسي ينتظر من دقيقة الى اخرى ان يبرز هربرت الرسائل التي تؤيد براءتهُ فلما رآهُ لم يفعل طار رشادهُ واخذ يشير اليهِ بخصوصها فأومأ اليهِ هربرت ان كن براحة بال ولا تخشَ سوءًا . ولما انتهت المرافعة دخل القضاة الى غرفة المذاكرة ثم

عادوا فنهض الرئيس وقال لم نجد في الدفاع ما يؤيد برآءة المتهم فقد قررت المحكمة ثبوت الجناية وحكمت عليهِ بالسجن خمس سنوات مع الاشغال الشاقة. فصاح برسي كمن اعتراهُ الجنون وقال هاتوا الرسائل التي تؤيد برآءتي أو اسألوا عنها المحامي قبل نطقكم بالحكم الظالم. ولكنهُ لم يكد يتم عبارتهُ حتى احاطت بهِ بعض الجنود فاقتادوهُ وهو على غير هدًى الى خارج الغرفة وخرج القضاة من الباب الآخر. ولما بلغ برسي غرفة سجنهِ جاءَهُ هربرت فقال لهُ لمَ لم تذكر الرسائل يا عزيزي هربرت بل كيف جاز ان يصدر عليَّ هذا الحكم مع وجود تلك البينات. فقال هربرت اظنك واهماً ايها العزيز لانني ذهبت الى غرفتك وبحثت بكل جهدي فلم اقف على الرسائل التي ذكرتها لي فلا شك انك واهمٌ فيما تقول. فصاح برسي وهو متألم كلا بل انا على يقين مما اقولهُ ولكن لا بد ان في المسألة يداً تعمل على كيدي فلا بد ان يظهر الله الحق في حينهِ

. . . .

ومضت مدة جرت فيها المفاوضة بين الحكومة المحلية والقنصل ثم حصل الاتفاق على ارسال برسي الى الجيزة فكان يعمل مع المسجونين فمضت عليهِ ثلاث سنوات غلل نفسهُ فيها كثيراً وانتهى باليأس من الفرج فاستسلم للقضآء وزهد في دنياهُ. ولكنهُ كان يخطر لهُ احياناً ذكرى ڤيولت فتتجدد قواهُ وينظر الى المستقبل البعيد نظر التلهف والتشوق ثم يخطر لهُ انها لا بد ان تكون سمعت بما جرى لهُ وانها اعتقدت بانهُ مجرم ونبذتهُ ظهرياً فتطير نفسهُ شعاعاً ويتمنى لنفسهِ الموت

ولما انتهت السنة الثالثة لسجنهِ بلغهُ قدوم سجين جديد فانتظر مقابلتهُ شأن المحبوسين الذين يفرحون بقدوم رفيق جديد يسألونهُ عن العالم الخارج عن دائرة سجنهم. فلما وقعت عينهُ عليهِ اذا هو احد خدمهِ الامناء الذين كانوا في بيتهِ ايام عزهِ ونعيمهِ فاظهر برسي علامات التعجب والاستغراب. اما الخادم فاشار اليهِ بالصمت ولما انتهى شغل النهار واختليا في المسآء في حجرة واحدة قال برسي ما الذي اتى بك الى هذا المكان. قال اني يا مولاي بينما كنت في المنزل بعد سفرك الى

الاسكندرية جآءنا المستر هربرت في اليوم الثاني وطلب الدخول الى غرفتك فسمحنا لهُ بذلك لما نعلمهُ من الصداقة الوطيدة بينكما ولكنهُ داخلني ريبٌ من مجيئهِ فكنت اتجسس حركاتهِ في البيت فرأيتهُ قد انتقى من مكتبتك بعض الرسائل وبعد ان وقف حيناً يناجي افكارهُ ادناها من شمعة متقدة واحرقها جميعها . اما انا فلم اعلم شيئاً من حقيقة تلك الرسائل ولا من قصدهِ في احراقها . وحدث بعد سجنك انني دخلت في خدمتهِ وبقيت ارقبهُ الى هذه الايام فوجدتهُ في اول الامر مسروراً من الحكم عليك . واتفق في المدة الاخيرة ان دُعي الى وليمة فانتهزت فرصة غيابهِ ودخلت غرفة مكتبتهِ فوجدتهُ قد نسي على مائدتهِ دفتراً يكتب فيهِ حوادثهُ اليومية وقرأت في ذلك الدفتر شيئاً فوجدت في بعض صفحاتهِ ما كتبهُ عن نفسهِ انهُ احرق لك اوراقاً كانت تؤيد برآءتك ومن جملتها وصاة المستر روبرتس وقد ترك لك جميع اموالهِ واشغالهِ بشرط ان تحافظ على اسرتهِ وتقدم لها النفقة اللازمة . وقرأت ايضاً ان هربرت انما فعل ذلك تخلصاً منك لوجودك عثرةً سبيل حصولهِ على ڤيولت التي يحبها وقد علم منك انك كنت عازماً على الاقتران بها . فلما رأيت ذلك اظلمت الدنيا في وجهي وفهمت جلية الامر التي كانت اشكلت عليَّ قبلاً فقطعت بعض صفحات ذلك الكتاب واخفيتها الى ان يتيسر لي مقابلتك واطلاعك عليها . فلما عاد هربرت ورأى ما حصل بادر فشكاني الى الحكومة متهماً اياي بسرقة محلهِ وتمكن باغرآء بعض اولي النفوذ فحُكم عليَّ وجئت الى هنا

وكان برسي يسمع حديث خادمهِ وهو لا يكاد يصدقهُ ثم سألهُ وما فعلت بالاوراق التي اخذتها . قال حفظتها بحرصٍ شديد وها هي ذي ثم اخرجها من تحت ثوبهِ وسلمها الى برسي فلما اطلع عليها انتفى عنهُ كل ريب وبات ليلتهُ يفكر في الامر . ولما اصبح كتب استرحاماً الى قنصلهِ يطلب فيهِ مواجهتهُ لامرٍ ذي بال يود اطلاعهُ عليهِ ولما سُمح لهُ بذلك جآء القاهرة وعرض الامر على القنصل فاكبر القنصل الجناية وامر بعقد جلسةٍ خصوصية للنظر في الامر ثم ارسل قوةً الى بيت هربرت لاحضارهِ فوجدوا بيتهُ مقفلاً واغتصبوا بابهُ فلم يجدوا فيهِ احداً ولكن

رأوا على مائدته رسالةً معنونة باسم برسي فأحضروها معهم وفتحها برسي امام القنصل فقرأ فيها ما يأتي

يا من كنت صديقي

لا بد ان تكون قد علمت بما فعلتهُ بك ولم يكن ذلك الا طمعاً في الحصول على الفتاة الفاتنة ڤيولت وقد فضلت ان القي بك الى التهلكة على ان اراك واقفاً في سبيلي مانعاً لي من الحصول عليها . وقد بذلت جهدي كل هذه المدة فلم انل منها كلمة رضى واحدة ولا نلتُ منها وعداً وقد اطلعتها موءخراً على ما اصابك واخبرتها ان لا امل لها في لقياك بعد ذلك الفراق وان الافضل لها ان ترضى بي بعلاً لها وتنساك وانت مثقل بقيود السجن وفظاعة التهمة الشنيعة . فكان جوابها النهآئي انها لن تسمح لي بتقبيل الارض التي تدوسها ولا تريد ان تراني البتة وانها تعتقد انني سبب بلآئها ومصاب حبيبها . وقد اصابت فيما قالت . وارى ضميري يبكتني جداً على ما فعلت وقلبي يسهل لي الموت على الحياة مرفوضاً من اعز الناس لديَّ . فها انا اقرُّ لديك بجنايتي واسألك ان لا تتمنى لي الشر ولا تسعى في اذيتي فاني سأقتص بنفسي من نفسي الشريرة فاصفح عن ذنبي واعذر من تغلب الجهل عليهِ فاعمى بصيرتهُ

هربرت

. . . .

واستأنفت اللجنة المخصوصة جلساتها فحكمت ببرآءة برسي والتعويض عليهِ عما لحق بهِ من الاضرار والاهانة ثم فرضت مبلغاً سنوياً لارملة رو برتسن وارجعت التركة بتمامها الى برسي طبقاً لمنطوق وصية الموصي فعاد برسي الى عزهِ وكرامتهِ ثم اقترن بڤيولت فعاشا سعيدين مسرورين يُذهبان مرارة الماضي بحلاوة الحاضر

ووجد خفرآء السواحل بالقرب من امبابة ثاني يوم خروج برسي من سجنهِ جثةً طافية على وجه المياه فانتشلوها و بعد الفحص عُرف انها جثة هربرت المحامي وحقق الكشف الطبي انهُ مات منتحراً

الحوادث البركانية

ما زال امر هيجان البراكين شغلاً شاغلاً لعلماء طبقات الارض وقد تعددت اقوالهم في اسبابهِ ولاسيما بعد حوادث المرتينيك في السنة الماضية وتوالي المراقبات حيناً بعد حين عند تجدد تلك الحوادث . وقد كان من رأي جماعة من مشاهيرهم ان السبب فيهِ جاذبية الشمس والقمر وبعض السيارة عند اجتماعها في جانب واحد من الارض . وذلك انهم يعتبرون المواد السائلة في باطن الارض بمنزلة شمس صغيرة تتجاذبها الاجرام التي حولها فتُحدِث بين دقائقها انضغاطاً وهذا الانضغاط يُحدِث ارتفاعاً في الحرارة الباطنية فتزداد حرارة المواد المحيطة بها ويشتد ضغط الغازات على ما فوقها من قشرة الارض فيكون عن ذلك الهيجان البركاني . وقد زادهم تمسكاً بهذا المذهب ما كان من صحة انباء بعضهم بحدوث هيجان في جبل بُلاّي في ٣٠ من اوغسطس بناء على ان الشمس والقمر يكونان في ذلك التاريخ مجتمعين فوق الجبل المذكور وقد كان هذا الانباء منذ اوائل يوليو—

وذهب غيرهم الى غير هذا الرأي لان جذب الشمس والقمر معاً وان جاز ان يُحدِث اثراً مّا في باطن الارض فان القول بان هذا الاثر يبلغ ان يحدث عنهُ هيجانٌ بركاني لا يخلو في رأيهم من مبالغةٍ في تقدير فعل الجاذبية. قالوا ولكن من المعلوم ان الارض كانت في اول امرها جذوة سائلة وكانت تلك الجذوة محاطة بطبقةٍ كثيفة من بخار الماء ثم اخذت تتبرد شيئاً بعد شيء بانبعاث الحرارة منها واذ ذاك طفا على وجهها شبه زَبَدٍ من المواد

الخفيفة ثم اخذ هذا الزبد يتجمد حتى تألفت منهُ قشرةٌ صخرية كانت تزداد مع تعاقب الدهور ثخانةً وصلابةً . ولما كان هذا التبرد يتزايد بالتدريج كان حجم الارض يتقلص في اثنآئهِ فتشنّت القشرة الاولى وتغضنت وكان ما ارتفع منها جبالاً وما انخفض بحاراً . ثم انهُ لما قلّ قبول الاجزآء الافقية منها للتمدد وكان ما تحتها من الموادّ السائلة مستمرًّا على تقلصهِ اصبحت تلك الاجزآء حاملةً لثقلها ثم كان هذا الثقل يتعاظم شيئاً فشيئاً فكانت تتصدّع من جوانبها ثم يعقب هذا التصدّع انخسافاتٌ تهبط بها حتى تماسّ ما تحتها من الموادّ السائلة وتضغط عليها فتطلب تلك الموادّ منفذاً من خلال الصدوع المحيطة بها وهو اصل منشأ البراكين

ثم ان التغضنات المذكورة في الارض ابتدأت من لدن القطب الى جهة المعدَّل وآخر ما نشأ من تلك الغضون سلسلة الجبال العظيمة المتصلة على محيط الارض كلها وهي تمتدّ من جبال الالب الشمالية فما يليها الى جبال البلقان فالقوقاس ومن الجنوبية الى جهة جزائر الغرب ثم جزائر اليونان فآسيا الصغرى وما يليها الى حملايا ثم الى برمانيا وجزائر السند : ومن هناك تتشعب الى فرعين احدهما يمرّ بغينيا الجديدة وينتهي الى ما ورآء زيلندا الجديدة والآخر يمرّ في الجزر الفيلبينية واليابان ويمتدّ الى اميركا الشمالية من جهة الألَسْكا فالجبال الصخرية وينقاد على شاطئ الپاسيفيك الى ان ينتهي الى طرف اميركا الجنوبية

ثم ان الفرع الاميركي كان يمتدّ منهُ فرعٌ آخر ينشأ من عند بحر الانتيل منقسماً الى شعبتين تتقاطعان عند جُزُر المرتينيك ويتصل طرفاهما الغربيان

باميركا الشمالية واميركا الجنوبية وطرفاها الشرقيان بجبال الالب شمالاً من جهة اوروبا وجنوباً من جهة افريقيا. ثم حدث هناك انخسافٌ عظيم فهبط هذا الفرع كلهُ وغمرتهُ مياه الپاسيفيك والاتلنتيك وحدث عند طرفيهِ البحر الرومي وبحر الانتيل ولا يزال الصدع الذي حدث على أثرهِ هذا الانخساف ممتدًّا على حدود البحار المذكورة وبسببهِ نشأت براكين ايطاليا والانتيل ودائرة النار في الپاسيفيك

على ان هذه الحوادث لم تقع كلها دفعةً واحدة ولكنها تتابعت في مُدَدٍ متراخية لا سبيل الى تقديرها على وجهٍ يُقطَع بهِ وما زال يتكيف بها وجه الارض طوراً بعد طور حتى انتهت الى ما هي عليهِ لعهدنا الحالي . وهي مع ذلك لا تزال تتوالى على الدوام فلا يمرّ بالارض حينٌ من الدهر حتى يحدث فيها انقلابٌ جديد يغير وجهها ويداول بين برها وبحرها وحسبنا من ذلك الحوادث الاخيرة في هاتين السنتين فضلاً عما سُجّل في تاريخها من الحوادث العظيمة والانقلابات الهائلة . واقرب ما يعهد الانسان من تلك الانقلابات ما تقدمت الاشارة اليهِ من انخساف البرّ الاتلنتيكي الذي تسلسل ذكرهُ على ألسنة الرواة حتى انتهى الى عهد كتبة اليونان الاولين وكان اصلاً لما يُروَى من حادثة برّ الاتلنتيد[1] . ثم ما كان سنة ٧٩ للميلاد من دمار مدينتي پُمپآي وهركولانوم واندفانهما تحت مقذوفات جبل بزوف وما حدث سنة ١٧٨٣ من الزلزال الهائل في ارض كالَبرا من ايطاليا وسنة ١٨١٩ من غؤور ايالة الرُهن بجملتها في الدلتا الهندية وقد غاصت تحت

(١) راجع مجلد السنة الثالثة صفحة ٣٧

البحر وخلفها خورٌ بلغ عمق المياه فيهِ خمسة امتار. ثم ما كان سنة ١٨٨٣ من خراب الجانب الاعظم من جزيرة كراكتوا وقد انفجرت عليها المواد البركانية فدمرت ما فيها من المدائن واهلكت اربعين الف نفس وذكر ان رمادها بلغ الى مسافة عشرين الف متر في العنان وارتفع المدّ الى ٢٥ متراً فعمّ الاوقيانوس باسرهِ وهو اعظمُ حادثٍ بركاني حدث في العصور المتأخرة. واخيراً ما كان سنة ١٩٠٢ من دمار مدينة سان پيار بالمرتينيك وغؤور جزيرة برموجا برمّتها في جنوبي خور المكسيك واضمحلال جزيرة تُوري شيما باليابان. واذا تتبعت هذه الحوادث وجدت معظمها على جوانب السلسلة المذكورة من الجبال كما تقدم

ثم انك اذا تفقدت تواريخ الحوادث الاخيرة وجدت ان الاماكن التي حدثت فيها قد يبعد بعضها عن بعض مسافاتٍ شاسعة مع حدوثها في وقتٍ واحد او في وقتين متقاربين. فاذا كانت مسببةً عن اجتماع الشمس والقمر كما قيل وكان هذا هو السبب في الهيجان الذي حدث في ٣٠ من اوغسطس في جبل پُلاّي فماذا يقال في الهيجان الذي حدث قبل ذلك بايامٍ قلائل في جزيرة توري شيما باليابان ثم ما القول في سائر الهيجانات التي حدثت في السنة نفسها في جهاتٍ شتى من الارض مما لا يتفق ان يكون ناشئاً عن السبب المذكور. ونحن نسوق هذه الهيجانات واحداً فواحداً بحسب تواريخها

فمن ٢٠ الى ٢٦ من مايو كان هيجان جبل پُلاّي ومُونُولاوُو بجزائر هاواي وهيجان بركان في جبال اوغسطينا بالأَلَسْكا

ومن ٥ الى ٢٠ من يونيو هيجان بركان توكانو ودمار مدينة رتلكونن بقرب جواتيمالا وزلزال ڤاتري بايطاليا وهيجان جروزي جراو بالقوقاس وزلزال هائل في سملا بحملايا

ومن ٥ الى ١٠ يوليو زلازل في شبه جزيرة خلكيديك وفي بندر عباس بجهة خليج فارس

ومن ٢٨ الى ٣٠ من يوليو عدة زلازل في ارض كاليفرنيا

ومن ١٥ الى ٣٠ من اوغسطس هيجان بركان جزيرة توري شيما ودمارها وزلزال عنيف في ارض كشغر من تركستان ودمار مدينتين ثم هيجان خفيف في جبل پلاي وزلزال هائل في جزيرة مندانا من الفيليبين وزلزال شديد في ارض كاروپانو من ڤنزويلا وهيجان آخر في جبل پلاي ودمار المورن روج

ومن ٣ الى ٦ ستمبر هيجان منجم الكبريت بسان ڤنسان وزلازل في بايون وسان سبستيان وسرقسطة

ومن ١٢ الى ١٥ ستمبر زلزال في جزائر الغرب وهيجان بركان في زيلندا الجديدة وجبل شولو پاتا بالپيرو ورجوع هيجان شديد في يزوف واسترمبلي وأتنا وڤلكانو وغؤور جزيرة برموجا بالمكسيك

ومن ٢٠ الى ٢٥ من ستمبر زلازل في هندوراس الانكليزية وجواتيمالا وتوفازولا بالمكسيك وكويتو وكنجستون بجامايكا

ومن ٢ الى ٣٠ من اكتوبر زلزال في تفليس من القوقاس وفي جزائر الغرب وهيجان هائل في جبل إيزلكو بالسلڤادور من اميركا الوسطى

وهيجان بركان السنتاماريا بجواتيمالا مصحوباً بزلزال في السلفادور ونِكارَجُوا وكُستا رِيكا

فمما ذُكر ترى ان الحركة البركانية تابعة للمواضع التي انتقض فيها التحام قشرة الارض بالانخسافات المذكورة وترى ان الهيجانات والزلازل في الأنتيل اكثر تواتراً لان هذه الجزائر واقعة في مكان تقاطع السلسلتين المتصلتين بين اميركا والبحر المتوسط وفيها دليلٌ ايضاً على ان الهيجان يكون اشدّ كلما كانت البقعة المنخسفة اوسع . وقد ثبت من ذلك كلهِ ان وجود البراكين مسبَّب عن ردّ الفعل الحادث عن القوّة المستبطنة للكرة الارضية وكذلك الهيجانات البركانية ومعظم الزلازل مسببة عن علل داخلية ترجع بجملتها الى تبرُّد الارض وهو العامل الدائم الذي يتجدد فعلهُ حيناً بعد حين الى ان تبلغ غاية تقلصها وتصبح برمتها كتلةً جامدة . انتهى

خصائص الهوآء السائل

تقدم لنا في بعض اجزآء السنة الاولى من هذه المجله كلامٌ في الهوآء السائل وطريقة تسييلهِ الا انهُ كان الى ذلك العهد لا يتعدى كونهُ مظهراً من مظاهر الاستغراب بالقياس الى ما اشتهر زماناً من ان الهوآء غير قابلٍ للسيلان . وكان معظم ما توصلوا اليهِ ان اخترعوا جهازاً يمكن ان يسيَّل بهِ نحو ٤٠٠ لتر في مدة اربع وعشرين ساعة ولكنهم منذ ذلك الحين لم يبرحوا يتفننون في ضروب الاختراع حتى تسنى للدكتور لِنْد أن صنع جهازاً يسيّل بهِ نحو ١٠٠ لتر في الساعة وقد عرض هذا الجهاز في معرض باريز سنة

١٩٠٠ ثم زاد عليهِ المسيو أسترجرين والمسيو برجر حتى صار يمكن ان يسيل بهِ في الساعة ما بين ٢٥٠ الى ٣٠٠ لتر

ثم ان الهوآء مركبٌ من مزيج من الازوت والارغون والاكسيجين والحامض الكربونيك وعناصر أُخر اكتُشفت حديثاً من مثل النيون والكربتون والكسانون وهي التي اكتشفها رمساي بترشيح الهوآء السائل على ما سيذكر. الاان هذه العناصر لاتبقى في الهوآء السائل على مقاديرها النسبية في الهوآء المطلق لان الازوت يسيل على درجةٍ اسفل من الدرجة التي يسيل عليها الاكسيجين فلا يبلغ درجة السيلان حتى يكون قد تبخر جانبٌ منهُ حالة كون الاكسيجين يكون قد انقطع تبخرهُ ولذلك تنقص نسبة الازوت في الهوآء السائل فلا يكون اكثر من ضعفي الاكسيجين مع انهُ في الهوآء المطلق يكون على ما يقرب من نسبة ٤ الى ١ . واما كثافة هذا المزيج فهي نحو كثافة المآء ولونهُ يشبه لون المآء ايضاً الا انهُ لا يخلو من كدورة لانهُ يشتمل على بلورات من متجمد الغاز الكربونيك فاذا رُشّح وخلص منها كان تامّ الصفآء وحينئذٍ يضرب الى زُرقةٍ خفيفة هي لون ما فيهِ من الاكسيجين لزيادة مقدارهِ النسبيّ في الهوآء السائل

واذا تُرك الهوآء السائل يتبخر بالتدريج انتهى بان لا يبقى منهُ الا الاكسيجين خالصاً على التقريب فانهُ متى بقي على عُشر حجمهِ الاول كان هذا الباقي مشتملاً على ٩٥ في المئة من الاكسيجين وهي افضل طريقةٍ لاستخلاص الاكسيجين من الهوآء

ولما كانت عناصر الهوآء تسيل على درجاتٍ متفاوتة من البرد امكن

ان تُستخدَم هذه الطريقة لاستخلاص بقية العناصر منهُ واحداً بعد واحد تبعاً لدرجة سيلانها ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة العظيمة في الحصول على العناصر البسيطة على اسهل سبيل . وقد توصل دَرسُنقال بواسطة الهوآء السائل الى ان يستخلص الهدروجين من غاز الاستصباح وذلك ان هذا الغاز يشتمل على نحو نصف حجمهِ من الهدروجين ثم على ٤٥ الى ٤٨ من المئة من غاز المستنقعات والباقي خليط من اكسيد الكربون والغاز الكربونيك والابخرة الهدروكربورية . ومعلوم ان الهدروجين لا يسيل الا على درجةٍ سافلة جدًّا فاذا اراد استخلاصهُ من غاز الاستصباح جعلهُ في قابلة مبرَّدة بالهوآء السائل فتتكاثف جميع المواد المخالطة لهُ وتستحيل الى السيلان او الجمود ويبقى الهدروجين وحدهُ في حالة الغازيّة خالصاً من كل ما يشوبهُ من الموادّ الغريبة

وللهوآء السائل خصائص اخر يمكن ان تستخدَم في المختبرات منها انهُ يقسّي الاجسام التي تُغمَس فيهِ فالصمغية منها كالمطّاط مثلاً تصير قَصِمة اي سريعة التفتت والمعدنية يشتدّ تماسكها حتى تتعاصى عن الانفصام ولكن كلاًّ منها تعود الى ما كانت عليهِ حالما تستردّ حرارتها المألوفة . ومن الامتحانات في ذلك انهم عمدوا الى سلك من الحديد قطرهُ خُمس المليمتر وعلقوا بطرفهِ الاسفل كفّة ميزان بعد ان غمسوهُ في الهوآء السائل ومُعظَم ما يحملهُ هذا السلك في درجة الحرارة المعتادة ١٢٠٠ غرام فامكن بعد ذلك ان يوضع في الكفّة اربعة اضعاف هذا المقدار ولم ينقطع السلك ثم انهُ بعد ان تُرِك فترةً من الزمن حتى استرجع شيئًا من حرارتهِ الاولى لم يلبث ان انقطع

ومن تلك الخصائص ان المواد المبرّدة بالهوآء السائل ولا سيما المعادن تزداد قوة ايصالها للكهربآئية فقد ظهر بالامتحان ان النحاس مثلاً تتضاعف هذه القوة فيهِ وهو على — ١٩١ْ عما تكون عليهِ وهو على درجة الصفر. على ان الهوآء السائل نفسهُ شديد العزل للكهربآئية حتى لا تكاد تمرّ فيهِ فاذا أُخذت لفافةٌ يصدر عنها من الشرر في الهوآء المعتاد ما يبلغ طولهُ ٥٠٠ ميليمتر وغُمِس طرفاها في الهوآء السائل لا ينطلق الشرر منها الى ما يزيد على ١٪ من المسافة الاولى اي لا يكاد يتجاوز ٥ ميليمترات

وقد استُخدم الهوآء السائل بمنزلة قوّةٍ محركة لبعض الآلات التي لا تحتاج الى قوة كبيرة وقد كان في معرض السيّارات في نيويرك سنة ١٩٠٠ سيارتان تسيَّران بالهوآء السائل . وعلى الجملة فانهُ باعتبار هذه الخصائص كلها لا يبعد ان يأتي يومٌ يصير فيهِ الهوآء السائل ركناً من اركان الصناعة يُعتَمد عليهِ في كثيرٍ من الاعمال غير ان الذي يقف في طريق استعمالهِ الان غلآء ثمنهِ ولكن مع توالي الاختراعات يؤمَّل ان يتوصلوا الى تسييلهِ بطرائق يسهل معها استخدامهُ بنفقاتٍ قليلة فيُستغنَى بهِ عن استخدام النار والبخار

التاريخ والشعر

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف

(تابع لما في الجزء السابق)

اما الذي حاز قصبات السبق في هذا المضمار فهو علامتنا اللغوي الشاعر المشهور الشيخ ناصيف اليازجي الذي تفرَّد ببدائعهِ واكثر في تواريخهِ من

التلميح الى حوادث تاريخية دينية ومدنية وقلما ترى لهُ تاريخاً خالياً من نكتةٍ بديعة وذلك كقولهِ مؤرخاً وفاة يوسف العسيلي وقد توفي قتيلاً سنة ١٨٤٧

هذا العسيليُّ الذي نزل الثرى　　كالغصن من حمر المنايا يقصفُ
ومسطّر التاريخ انشد حولهُ　　هذا قميصك شاهدٌ يا يوسفُ

وقولهِ مؤرخاً وفاة اسكندر بن خليل نعمان في السنة المذكورة

لخليل نعمانٍ على ولدٍ لهُ　　نوحٌ يكاد يلين منهُ قبرُهُ
نادى بهِ التاريخ انَّ اسكندراً　　يفنى الزمان وليس يفنى ذكرُهُ

وقولهِ مؤرخاً وفاة موسى بسترس سنة ١٨٥٠

تُعزَى الى بسترسْ يا ركن عصبتهِ　　وانت افضل من يُعزَى الى عيسى
سعيتَ لله اياماً مؤرَّخةً　　واليوم تنظر وجه الله يا موسى

وقولهِ مؤرخاً وفاة لطف الله بن موسى عطاآء سنة ١٨٥٤

قضى بالله لطف الله طفلا　　فقام بنو عطاآءٍ بالنحيبِ
فقال مؤرخاً كفّوا فاني　　حصلتُ على السعادة من قريبِ

وقولهِ مؤرخاً اطلاق عذار صديقٍ لهُ سنة ١٢٧٣ هـ

هذا كريمٌ باسم احمد قد اتى　　فجلا على الابصار صورة يوسفِ
نبت العذار بوجنتيهِ مؤرَّخاً　　يحكي سواداً في بياض المصحفِ

وكل تواريخهِ على هذا النمط من المتانة والرشاقة والانسجام

والتأريخ انواع منها ما يكون ملفوظاً بهِ مثل قول الشيخ عبد الغني النابلسي في وفاة انسي قاضي دمشق سنة ١٠٧٥ هـ

لما مضى انسي مضى　　قدامهُ الانس وخلف

تأريخهُ جآءكمُ　　خمسٌ وسبعون وألف

ومن بديع ذلك ما ورد لعلاّمتنا الشيخ ناصيف اليازجي الآنف الذكر في بيتين ضمّنهما ثمانية وعشرين تأريخاً لسنة ١٢٤٨ ما عدا التأريخ المنطوق بهِ وهو من ابتكاراتهِ

في فتح عكا بردُ نار معاطبٍ　　دارِ الخليل وللديار بهِ البكا
رأسَ الثمان واربعين بطيّهِ　　مئتان مع الفٍ فبارك ربُّكا

واحسن التواريخ ما كانت الفاظها على قدر المعاني وقلّما يتيسر ذلك لكل شاعر كما تيسَّر ليازجينا رحمهُ الله ومن ابدع ذلك قول الشيخ احمد البربير في وفاة ابي الذهب المشهور سنة ١١٨٨ ه

لما دنا كل المنى　　والهمُّ عن قلبي ذهب
والسعد اقبل ظاهراً　　أرختُ مات ابو الذهب

وربما جآء تأريخان في بيت واحد اما لسنةٍ واحدة مثل قول النابلسي الآنف الذكر في تأريخ عرس وختان لأخوين سنة ١٠٧٦ ه

اقبلت أزهر عرسٍ　　أرّخ بازهى ختانِ
١٠٧٦　　١٠٧٦

واما لعامين هجري وميلادي كقول اليازجي في المدرسة العبيدية في القاهرة

وفوق بابٍ لدى تأريخهِ وُضعت　　أرختُ يُنقَشُ تذكارٌ الى الأبدِ
١٢٧٦ ه　　١٨٦٠ م

وقد تجتمع ثلاثة تواريخ في بيتٍ واحد مثل قولِ يازجينا مؤرخاً بناء دار

يا حسنها داراً لكثرة وَفدها　　قُسِمَت لهم ابياتها شطرينِ

فاذا كفى التاريخ يوماً غيرَها　يأتي مؤرخها بتاريخين

١٢٧٣　١٢٧٣　١٢٧٣

وقد يجتمع اربعة كقوله

أغرُّ لهُ * خَلقٌ تهلّل بالبها　وخُلقٌ سمت * اوضاعهُ فكرَ مادحِ

١٢٣٦　١٢٣٦　١٢٣٦　١٢٣٦

فكاهة خُلقٍ * مذ تبدَّى جمالها　اضآءت بآلآءٍ * غوادٍ روائحِ

١٢٣٦　١٢٣٦　١٢٣٦　١٢٣٦

(ستأتي البقية)

المؤتمر الطبي المصري

(تابع لمقالات حضرة النطاسي الفاضل الدكتور صالح صبحي بك[1])

شفآء الكزاز (التيتانوس)

لا حاجة الى الاطالة في وصف اعراض هذا الدآء لشهرتهِ غير اني اقول بالاختصار ان جراثيمهُ توجد في التراب ولاسيما في سرقين الاصطبلات وفي معامل السكّر وهي تدخل البنية من طريق الجلد فاذا وُجد فيهِ ايسر جراحةٍ كفت لأن تتطرّق منها الى الدم فتفرز ثمَّ نوعاً من السمّ يُحدث تشنجاتٍ في الجسم وتصلباً في عضَل العنق والفك الاسفل ثم تتناول عضلات الصدر والظهر واخيراً تنتشر في عامة البدن فتعم جميع الاعضآء العليا والسفلى

(١) انظر الجزء السابق صفحة ٣٦٣

وتأخذ العليل نوبٌ تشنجية تتكرر على فتراتٍ تتقارب شيئاً فشيئاً الى ان يُقضى عليهِ .

هذا على الجملة تعريف هذه العلة وهي من العلل القتّالة قلما ينجو من اصيب بها ومعدّل الذين يموتون من اصحابها نحو ٩٥ في المئة وقد حاولوا معالجتها بمصلٍ كُزازي فلم يفلِحوا ولبثت العلة على فتكها . غير اني قد وُفقت الى علاجٍ لها كان ناجعاً في الغالب وذلك بأن اغسل الجرح الذي كان مدخلاً لجراثيم العلة بمحلول السليماني على نسبة ١ ٪ ثم اكوي الموضع كيًّا بطيئاً بمكواةٍ احميها الى ما دون درجة الحمرة بحيث ينشأ هناك قشرةٌ سوداء لحمية مصمتة البناء تكون حاجزاً بين الموضع المصاب والهواء فتمنع وصول الجراثيم اليهِ من الخارج وتسهّل التحام الجرح .

وقد كان اول شروعي في هذا النوع من المعالجة من اوائل اكتوبر سنة ١٨٩٩ وذلك ان رجلاً يسمى عطية الليثي وهو سقّاء ببلبيس من مديرية الشرقية شكا يوماً الى صديقٍ لهُ حذّاء المًا في صدرهِ فاشار عليهِ بان يختلّ في جلد صدرهِ ثم تولى لهُ صنع هذا الخلال بنفسهِ فثقب جلد الصدر وسلك فيهِ خيطاً من الخيوط التي يخصف بها الاحذية . وبعد ان اتى على الرجل بضعة ايام اخذ يشكو من ألمٍ شديد في الترقوة ويبس في الفك الاسفل فعرض نفسهُ على طبيب المديرية فوجد انهُ مصابٌ بداء الكُزاز وأمر باخذهِ الى المستشفى الاميري فجُعل هناك في قسم اصحاب الامراض المعدية . وقد حكى الرجل عن نفسهِ الحديث الآتي قال

« في نحو ١٦ من ستمبر شعرت بألمٍ حادّ في نواحي المعدة فاشار عليّ

صديقٌ لي في ميت يزيد ان اختلّ على موضع الالم وعمل لي الخلال بيدهِ بخيطٍ من الخيوط التي يخصف بها الاحذية وامرني ان لا انزع الخيط الا بعد ٢١ يوماً . ولكن بعد ذلك اشتدّ عليَّ الالم فعزمت على قطع الخيط وذهبت الى طبيب مركز بلبيس لاستشيرهُ في الامر فاعلمني اني مصابٌ بالكزاز واشار عليَّ ان ادخل المستشفى . وفي ذلك اليوم عادني رئيس اطباَّء المستشفى فامرني ان الزم الفراش لاني مصابٌ بالكزاز وكانت تنتابني تشنجات تنفضني من الرأس الى القدم ويبس فكي الاسفل فلم اعد استطيع ان احركهُ . و بعد ذلك عادني مفتش صحة المديرية عزتلو صالح صبحي بك فاثبت ما شخَّصهُ طبيب المركز ورئيس اطباَّء المستشفى واجمعوا على ان الكزاز اصابني من قبل الخيط الذي خلَّني بهِ الحذّاء » . انتهى

وانما نقلت هنا كلام المريض نفسهِ لانفي كل ريبٍ من جهة تشخيص العلة وقد عالجتهُ على الطريق الآتي وهو

اولاً　تبديل جميع ملابسهِ

ثانياً　مسح جسمهِ باسفنجةٍ مبلولة بمحلول الكريولين على نسبة ٢ ٪ او محلول السليماني على نسبة ١ ٪ وذلك قبل الباسهِ الملابس الجديدة

ثالثاً　كيّهُ على منفذي الخلال في الجلد على نحو ما سبق بيانهُ

رابعاً　تنقية القناة الهضمية بمسهلٍ يُختار ان يكون من كبريتات المانيزيا

خامساً　جعل غذآئهِ باسرهِ من اللبن مع حقنهِ كل يوم بمئتي غرام من اللبن المعقَّم مضافاً اليها معلقة طعام من بزر الشيح الخراساني (Semencontra) مع اغلاَّئها مدة ٢٠ دقيقة ثم تصفيتها

سادساً دفع سمّ المرض او ابطال فعلهِ في الدم والجهاز العصبي بحقنهِ تحت الجلد مرتين في اليوم صباحاً ومسآءً في المكان المحاذي لزاوية لوح الكتف او على طول العمود الفقريّ بسائل الدكتور صالح

والسائل المذكور مما هو استنبطتهُ بنفسي بعد تجارب عديدة ولذلك أضفتهُ الى اسمي وقد كان لهُ في جميع الحوادث التي عالجتها نفعٌ عظيم . وهو ليس بسائلٍ مصليّ ولكنهُ مجموع موادّ طبية من خصائصها ابطال فعل السمّ الناشئ عن جراثيم هذه العلة

وقد ذكر هنا خمسة شواهد اخر من معالجاتهِ بهذه الطريقة كلها عقبها الشفآء ما خلا واحداً منها كان سبباً في اكتشاف فائدةٍ اخرى في طبيعة جراثيم هذا الدآء . وذلك أن فتاةً في سن الثانية عشرة اصيبت بالمرض على اثر مرور عجلةٍ على رجلها فعالجها مدة ١٤ يوماً حتى تماثلت وخرجت من المستشفى . ولما صارت الى اهلها جآءتها والدتها بشيءٍ من السكّر فوضعتهُ بين مخدّتها وفراشها وكانت تتناول منهُ فعاودتها العلة في مدة ٢٤ ساعة بكل شدتها ولم تلبث ان توفيت . وقد تحقق بعد ذلك ان موتها كان بسبب السكر كما ايّد ذلك ما رواهُ قيّم معامل السكر في مصر المسيو لُرُوّ من ان عدةً من العمّال عندهُ ماتوا بعلة الكُزاز . فعلِم من هنا ان جراثيم هذا المرض شديدة الميل الى السكر ولذلك ينبغي ان يُحترَز من اطعام المصابين بهِ شيئاً من الاطعمة السكرية　　(البقية في الجزء الآتي)

حادثة غرام

ملخص قصة مشهورة منقولة عن الالمانية

رآها على شرفة المنزل ... وما كان بالحبّ ممن بُلي
وقد أَرسلت لحظها رائداً ... اليـهِ يفتش عن مقتلِ
فكان يقول اذا ما خلا ... الى نفسهِ قول مستجهلِ
بربكمو يا قضـاة الهوى ... متى كان يخفق قلب الخلي
والاّ فما لفؤادي كأَنَّ ... فؤادي على النار في مِرجلِ
أَقُدّرَ لي حبها بعد ما ... نشأْتُ عن الحبّ في معزلِ
وقد كاد يمضي الشباب ويبكي م ... الغرام على عمريَ الأَوَّلِ
ولا أكره الحبَّ لكنني ... أُحبُّ الحياة بلا مُشكلِ
وأَن أَستقلَّ بنفسي فلا ... يكون سوايَ عليّ ولي
حـذارِ اذاً يا فؤادي فلا ... تحبَّ ويا نفسِ لا تجهلي

***

كذا قال ثمَّ انقضت مدةٌ ... وعين الهوى عنـهُ لم تغفلِ
سلوَّ اللسان سلا لا سلوَّ م ... الفؤاد فقال ولم يفعـلِ
وكان يراقبها ناظراً ... الى وجهها نظرةَ الأَحولِ
يشاغل عنها بها نفسهُ ... وذاك الجمالُ لهُ ينجلي
فلما غدا واثقـاً أَنهُ ... أُصيب بداء الهوى المعضِلِ
هداهُ الأُلى عرفوهُ الى ... سبيلٍ الى دارها موصلِ
وقد ساءهُ انها ذات بعلٍ ... محبٍّ لهـا برّهُ مُجزِلِ

وفيٍّ اذا أَقبلت شاكرٍ كريمٍ اذا أَعرضت مقْبِلِ

تعبَّدها طفلةً لم تُجرِّبْ بحبٍّ سواهُ ولم تُشغلِ

فلما رأى الصبُّ أنَّ لها فؤاداً كمستودعٍ مُقفلِ

اذا عصفت عاصفات الهوى حواليهِ مرَّت ولم تدخلِ

وكان اذا جاءها زائراً مشوقاً يقول العفاف ارحلِ

وكان يزيد ولوعاً بها اذا ذكرها دار في محفلِ

وزيدَ الثناء على خلقها ثناءً على خُلقها الاجملِ

فخامرهُ اليأس في نفسهِ ولم يُصغِ للعذل والعذّلِ

رأى الموت افضل من عيشةٍ تمازجها مِرَّةُ الحنظلِ

وكأساً من السمّ أشهى اليهِ مع الصدِّ من خمرةٍ سلسلِ

فبات يردّد ذكر اسمها ومات وبالموت لم يحفلِ

اذا قام عذرٌ لمنتحرٍ فعذر المحبِّ الشقيِّ جلي

نقولا رزق الله

متفرقات

العميان والبصر — جاء في احدى المجلات العلمية ان الدكتور پتر ستياني وُفّق الى اكتشافٍ يجعلِ العميان يبصرون. وذلك انهُ لما لم تكن العين الا آلةً لنقل صور الاشباح الى الدماغ الذي هو محلّ ادراك المُبصَرات

فقد بحث المشار اليهِ في طريقةٍ لايصال هذه الصور الى الدماغ من دون توسط العين بحيث يتأتى للاعمى ان يبصر الاشباح من غير ان ينظرها الا انهُ الى الآن لم يبح بالطريقة التي يتمّ بها هذا الابصار لكن جاء في مجلة المجلات الفرنسوية عن الدكتور كاز انهُ عرض نفسهُ لامتحان هذه الطريقة فيهِ فانتفى عندهُ كل ريب في صحة هذا الاكتشاف المهمّ

علاج الأرَق — جآء في النشرة الاسبوعية التي تُطبَع في بيروت ما يأتي

كثيراً ما يأرق المرضىَ فيزيدون وهناً فيُضطرّ الاطباء ان يناولوهم المخدّرات والمنوّمات كالكلوروفُرم وغيرهِ وعواقب هذه المنومات قد تضرّ كثيراً ما لم يكن الطبيب بصيراً جدًّا . ولكن الدكتور استينر اكتشف في جزيرة جاڤا على طريقة تنشئ النوم بدون ادنى خطر اوضرر . وهي ان احد سكان تلك الجزيرة يجلس ورآء المريض ويضغط الشريانين السُباتيَّين بالسبابة والوسطى من كل يد ويدفعهما الى جهة السلسلة الفقرية فيسرع تنفس المصاب ويعمق ويميل رأسهُ الى الورآء ويعروهُ النعاس ثم يستغرق في النوم ويستريح ولا يعروهُ على اثر الاستيقاظ شيء من الغثيان او القيء كما قد يكون في اثر الاستيقاظ من المخدّرات . والظاهر ان القدماء كانوا يعرفون هذه الطريقة ولذلك سمّوا كلاًّ من ذينك الشريانين بالشريان السباتي او النومي

فوائد

ورق لازالة الحبر — يؤخذ قطعة من الورق النشّاف او من ورق آخر لاصمغ فيهِ وتُغمَس في محلول مركَّب من جزء من الحامض الاكساليك واربعة اجزآء من روح الخمر (السبيرتو) ثم تُرفَع من المحلول وتعلَّق من احدى زواياها الى ان تجفّ . وعند ارادة الاستعمال ترطَّب بالمآء ثم توضع على مكان الحبر بشرط ان تكون قاعدتهُ الحديد ويُضغط فوقها باليد قليلا فلا يبقى للحبر اثر

تنظيف الشعريات (الفرَش) ـ اول ما ينبغي التنبُّه لهُ ان لا توضع الشعرية على ظهرها بحيث يكون الشعر الى الاعلى لانها بهذا الوضع تكون عُرضةً لأن تُشحَن بالغبار والاوساخ ولكن ينبغي ان يكون الشعر الى الاسفل وبذلك تكون انظف وتطول مدة اقامتها ضعفاً آخر . ثم انهُ عند تنظيفها لا يحسن ان يكون بالمآء والصابون لان الرطوبة تليّن الشعر كثيراً وقد تحلّ ما يمسكهُ من الغرآء فيتناثر ولكن الافضل ان تنظَّف بالنخالة الجافّة واذا لزم تنظيفها بالمآء فليكن بارداً لا سخناً ثم توضع على الوضع المذكور قبلاً اي على الشعر لا على الظهر

اطفآء البترول — جآء في احدى المجلات ان افضل ما يُطفأ بهِ البترول النضح باللبن ولذلك يحسن ان لا تخلو البيوت من شيءٍ من اللبن

لهذه الغاية فان حوادث البترول اكثر من ان تُحصَى وينبغي ان تلقَّن هذه الواسطة للصغار والخدم

اسئلة واجوبتها

دوما (لبنان) — ارجو الجواب على الاسئلة الآتية

(١) في القواعد النحوية اينما وقعت « ما » بعد اذا فهي زائدة فما هي فائدة زيادتها وهل يصح الاستغناء عنها بعد اذا

(٢) تكتبون قمّة الجبل اي اعلاهُ ومنهم من يكتب قنّة الجبل مع ان القنّة هي الجبل الصغير فهل يجوز استعمالها بمعنى الاولى

(٣) قرأت في الجزء الثاني من مجاني الادب (ص ٣٧) قول بعضهم

يا خالط الدين بالدنيا وباطلها　　ترضى بدنياك شيئًا ليس يسواهُ

لمن يرجع الضمير في ليس والضمير المنصوب في يسواهُ وما معنى هذا الشطر

داود بشير

الجواب — اما المسئلة الاولى فالذي يؤخذ من كلامهم ان ما تزاد بعد اذا لتنقلها من التعيين الى الابهام . ومقتضى هذا القول انها تفيد كف اذا عن الاضافة الى جملتها اذ التعيين انما يكون باعتبار الاضافة وحينئذٍ تكون زيادتها كالنص على كون اذا للشرط حتى زعم ابو البقاء انهُ يجوز الجزم بها اذ ذاك في السعة مثل اذا ما تخرجْ اخرجْ بخلاف ما اذا كانت مجردةً فانهُ لا يُجزَم بها الا في الضرورة . واما الاستغناء عنها فلا شك انهُ يجوز في

كل حال غير انهُ اذا قُصدت المجازاة بها قُدّرت غير مضافةٍ حتى تكون مبهمةً كسائر ادوات الشرط وحينئذٍ يكون العامل فيها الشرط لا الجزآء

واما المسئلة الثانية فالقُنّة تأتي بمعنى القِمّة ايضاً ومثلها القلّة الا ان القِمّة بالكسر واختيها بالضمّ وهو غريب

واما بيت مجاني الادب ففي روايتهِ غلطٌ وصوابهُ * ترضى « بدينك » شيئاً ليس يسواهُ * وحينئذٍ يكون ضمير ليس عائداً على « شيء » والضمير المنصوب في يسواهُ عائداً على « دينك » ويكون المعنى انك ترضى عوض دينك الدنيا وهي لا تسواهُ

آثار ادبيّة

حريق مكتبة الاسكندرية ـ ألّف حضرة الاب الفاضل الخوري بولس عويس رسالةً في تاريخ مكتبة الاسكندرية وما كان من امر احراقها وهو حادثٌ اختلف فيهِ المؤرخون وتجاذبت ادلّتهُ الاهوآء فكل فريقٍ يتبرأ من تبعتهِ ويلقيها على غيرهِ . على ان مدار الخلاف انما هو على احراق المكتبة الصغرى التي كانت في هيكل سرابيس بين ان يكون الذي احرقها هو تيوفيل بطرك الاسكندرية باذن الامبراطور تيودوسيوس او عمرو بن العاص بامر الامام عمر . والظاهر ان القول الاول لا صحة لهُ ولا قائل بهِ من المتقدمين وانما هو من استنتاجات بعض متفلسفي التاريخ من اهل الاعصر المتأخرة كما اثبتهُ صاحب الرسالة المذكورة اذ خلطوا بين الحريق الاول الذي كان على عهد يوليوس قيصر والحريق الثاني الذي

يقال انهُ كان على اثر الفتح الاسلامي . وقد استفرغ حضرة الاب كنانة البحث في الادلة النقلية والعقلية على تحقيق هذه المسئلة الغامضة فاثبت ان الذي فعلهُ اصحاب البطرك تيوفيل لم يتعدَّ كسر التمثال الذي كان يُعبد في هيكل السرابيوم ولم يتعرضوا للابنية الملاصقة للمعبد ولم يقع هناك هدمٌ ولا احراق . واما القول الثاني فان صحّ فلا يكون المُحرَق الا عدداً يسيراً من الكتب هو الذي بقي بعد الثورات التي اشار اليها بين الحريق الاول والثاني وما حدث عنها من النهب والتدمير والحريق

على ان بعض المؤرخين يذكرون ان اصحاب تيوفل نهبوا الهيكل فيكون في جملة ما نهبوهُ الكتب وهذا لا يُستبعَد ولا يقتضي ان يكون بامر تيوفيل بل لو اراد كفهم عن النهب في تلك الحال لم يستطع . بل النهب قد حصل فعلاً كما يثبتهُ ما نقلهُ حضرة الاب من عبارة ايناب الوثني وقدكان معاصراً للحادث المذكور على ان في عبارة هذا المؤرّخ ما ينفي تخريب الهيكل لانهُ يقول ان الرهبان جعلوهُ بعد هذا الحادث مقاماً لهم وهو يؤيد ما سلف ذكرهُ . وقد تقدم لنا كلامٌ في هذه المسئلة في مجلد السنة الثانية من هذه المجلة (ص ٧٦ وما يليها) اخذناهُ عن اوثق المصادر وهو لا يخالف ما ذكر والله اعلم

تنبيه * جاء في الجزء الحادي عشر صفحة ٣٤٠ سطر ١٠ « غراماً » وصوابهُ « كيلغراماً » . وصفحة ٣٤٤ سطر ١٧ « من قول شمر مضبوطاً في الموضع الاول » وصوابهُ « من قول شمر في الموضع الاول »

فكاهات

الميت الحي (١)

حدث بعض ساكني باريس عن نفسهِ قال

جئت هذه العاصمة العظيمة الغنية منذ خمس عشرة سنة وقد ارسلني اليها والدي لتلقي فن المحاماة فدهشت من البدائع والتحف التي رأيتها فيها وحرت في انواع الترف وضروب اللهو التي لا يخلو منها شارع كبير ولا صغير فصرفت اياماً في التجوّل في جميع انحاء العاصمة لتعرُّف طرقها واختبار عوائد اهلها وطبائعهم قبل دخولي المدرسة حتى اذا ابتدأت في درس المهنة التي عزمت على اتخاذها لكسب رزقي عكفت على المطالعة والدرس واعتزلت جميع الملاهي ولم اكن اخرج للنزهة الاّ في الايام التي تقفل فيها المدرسة ابوابها . وكانت السنة الاولى صعبة جدًّا عليَّ في دروسها الجديدة ولا سيما لما وجدت من ثقل القوانين المدرسية حتى اني فكرت مرارًا في الرجوع عن عزمي والعودة الى والديَّ لولا ما كان يتخالج في صدري من حب التقدم والاستقلال في العمل وخصوصاً ان والدي لم يكن من ذوي الثروة وانهُ يوفّر من احتياجاتهِ الخصوصية لينفق عليَّ . وكان هذا الفكر الاخير ضربة قاضية على اهمالي وتكاسلي فانصببت بكليتي على الكد والاجتهاد ومضت الستة الاشهر الاولى فلم اضيع منها دقيقة واحدة وجاء موعد الامتحان لمنتصف السنة فدفعني الشوق للحصول على احسن شهادة ارضاء لوالدي فقضيت نحو اربعة ايامٍ لم اخرج فيها من غرفتي قط وما اتيت على آخرها في ليل اليوم الرابع حتى شعرت وانا مكبٌّ فوق كتبي بدوارٍ في رأسي وخفقان في قلبي فضاق تنفسي وكان العرق البارد يتحلب من وجهي فخشيت عاقبة ذلك وكان قد قارب الليل ان ينتصف فتركت الكتب والاوراق كما كانت واسرعت

(١) معرّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

من الغرفة فخرجت الى الشارع . وهب الهوآء البارد فانعش صدري الملتهب وسررت بهِ فشعرت بلذة فائقة وسرت كما تقودني قدماي على غير هداية ولا انتباه فمررت بشوارع لم يخطر لي قط المسير فيها وابتعدت مسافة ليست بقليلة عن محل اقامتي وانا اظن انني لم ابتعد عنهُ سوى بضع خطوات . وكان هدوء الليل وسكون الحركة يحببان اليَّ المشي فبقيت سائرًا الى ان قرع اذنيَّ صوت همس كان يتخلله بعض كلماتٍ متقطعة بصوتٍ اجشّ تدل على صيغة زجر وصوت بكآء يدل ان صاحبهُ لم يتجاوز سن الطفولية . فما كدت اسمع ذلك حتى شعرت ان رأسي قد فرغ من الافكار السابقة التي كانت تشغلهُ ودبَّ في جسدي نشاطٌ عظيم وقوةٌ غريبة فأصغيت لعلي افهم شيئًا مما يدور في ذلك الزقاق المظلم . وكنت قد قرأت كثيرًا عن مكنونات باريس واعمالها الليلية وتأكدت ان وجودي وحدي بالقرب من اولئك الاشخاص مهما كانوا لا يخلو من خطر ورأيت عند اول الزقاق الذي جآء منهُ الصوت شبه سرداب يُدخل منهُ الى بيتٍ حقير فانزويت الى جانبهِ وكدت امنع تنفسي لئلا يعوقني عن سماع ما يجري . وبعد ما تربصت قليلاً سمعت احد المتسترين بذلك الظلام يقول اظنني سمعت وقع اقدام من جهة الشارع الكبير . فقال الثاني لا تخشَ بأسًا يا هذا فان الذي يسوقهُ سوء بختهِ الى القدوم الينا في مثل هذا الوقت لهُ في هذا الخنجر ما يضمن لنا منهُ كتمان السر الى الابد . فقال الثالث اجل ولكن الاحتراس اولى فاذهب يا فرنسوا وانظر هل في الشارع احد وعد الينا بالخبر اليقين . فانفرد عنهم الذي دعي بهذا الاسم وسار متجسسًا كما يسير الخيال في النوم فمرَّ بجانبي وعجبت كيف لم تنبههُ ضربات قلبي الى محل وجودي وما زال سائرًا حتى بلغ الشارع الكبير ثم عاد اليهم فطمأنهم ورجعوا الى حديثهم . فقال صاحب الصوت الاجش أليس في امكانكم تسكيت هذه الملعونة فاني لا اطيق سماع صوتها . وظهر لي ان احدهم سدَّ فم الطفلة فلم اعد اسمع منها شيئًا . ثم عاد الزعيم الى كلامهِ فقال قد انتهينا من الاتفاق الاول وبقي عليَّ ان اطلعكم على مشيئتي فان ثروة اسرتنا محصورة في شخص عمي وذلك بفضل الشريعة التي وضعها اكبر مجانين المملكة الذين

قضوا بأن الغني الشريف لا يورّث من بنيهِ الاّ اكبرهم ليحافظ على القيام باسم الاسرة ووجاهتها فكان ينتقل المال الكثير من عقبٍ الى عقب في اعضاء اسرتنا فينال حظهُ منهُ الابن الاكبر تاركاً اخوتهُ في الحاجة الشديدة وبعض الاحيان في الفقر المدقع . وكان لجدي ولدان فقط وقد آلت اليهِ جميع اموال الاسرة وكنوزها فعمل بالشريعة المذكورة وأوصى بها لعمي الذي هو ابنهُ الاكبر تاركاً والدي لا يملك شروى نقير . وكان عمي يودّ من حين الى آخر ان يساعدنا ببعض المال فلم اسمح لوالدي بقبولهِ لانني أبيتُ ان يُتصدَّق علينا من اموالنا

فهتف الجميع حسناً فعلت ايها الامير . وعاد الامير الى تتمة حديثهِ فقال . ولم يزل عمي يزداد غنى ولم نزل نحن في تأخرٍ حتى توفي والداي من شدة الحزن وتوالي الهموم وبقيت انا لسوء الحظ ولكنني لا آسف الآن لبقائي حيًّا وقد اضاء امامي نورٌ اظنهُ يهديني الى ما يعوض عليَّ الحياة المرة الماضية . فان امرأة عمي ولدت لهُ ابنة منذ عامين وتوفيت على اثر ولادتها وبذل عمي جهدهُ في الاعتناء بالطفلة فلم تمت وبقيت حية الى الآن . ولعلمي ان الميراث لا يكون للاناث أمّلتُ ان يعود المال اليّ بعد وفاة عمي ولكنهُ مرض منذ بضعة اشهر المرض الذي توفي بهِ وكأنهُ شعر بدنو اجلهِ فكتب وصاتهُ وسجلها في الحكومة وقد كتب فيها انهُ ان ماتت ابنتهُ اكون انا الوارث والاّ بقيت هي الوارثة الوحيدة بشرط انها تتزوج رجلاً من مقامها ويتخذ هو اسم اسرتنا عوضاً عن ان تتخذ هي اسمهُ

فصاح واحد يا لهُ من غاشم دنيء أيفضّل ان ترثهُ الغرباء ولا يرث ابناء اسرتهِ حقهم الواضح . فقال الامير وهذا ما اضطرّني ان ادعوكم الآن فان ابنة عمي هذه الطفلة التي بين ايديكم كما ترونها متمتعة بكمال الصحة ولا يخاف عليها سوء فان هذا الجنس طويل العمر لا يقوى الموت عليهِ بسهولة ولم أرَ من العدل ان تصبح اموال اسرتنا المحفوظة لنا من القرون السالفة غنيمة باردة لغريبٍ عنا يرضى بالتنازل عن اسمهِ والتكني باسم اسرتنا فيكون قد غنم مالنا وشاطرنا شرف اسمنا . وبعد اعمال الفكرة رأيت ان اخفي هذه الطفلة قبل ادراكها الخير والشر وانقلها الى حيث

لا يعلم بها احدولا تصل اليها يد واذا ثبت امر فقدها طالبت بحقوقي وحصلت على ما حُرمهُ آبائي من قبلي وما كدت أُحرمهُ انا بسبب التقاعد والاهمال . وقد ادرك خادمي الامين فرنسوا غايتي فذهب الليلة متسترًا الى بيت عمي وانتشل الطفلة من سريرها بدون ان يشعر بهِ احد وجآء بها الى هنا . فما رأيكم ايها الشجعان فانني قد اعتمدت عليكم واحببت ان استشيركم قبل الاقدام على هذا العمل فاذا رأيتموهُ موافقًا اتممتهُ والاعدت عنهُ عن طيبة خاطر . ثم صمت الامير المتكلم

فارتفعت ضجة خفيفة تدل على الاستحسان العام ثم قال احدهم لا شك انك فعلت ما يجب فعلهُ ايها الامير وانني بالنيابة عن رفاقي اوافق على تدبيرك واقول انهُ عين الحكمة والصواب . فقال آخر وهل يجوز يا مولاي ان طفلة صغيرة كهذه تقف في سبيل سعادتك . اسمح لي ان اطوق عنقها باصبعيّ هاتين دقيقة واحدة فقط فتصبح كأنها لم تكن ثم نلقيها في نهر السين وهو غير بعيد من هنا فتخفي اسماكهُ خبرها قبل بزوغ شمس الصباح

فقال الامير كلا يا صاح ان القتل حرام وانهُ لعار علينا ان نجتمع هنا خمسة اشخاص لقتل فتاةٍ لم تتم سنتين من عمرها . فقال واحد منهم وكان لم يتكلم قبلاً . اتركوا لي تدبير الامر فعندي لهُ الدوآء الوحيد الذي لا ينفع سواهُ . فقال الامير وما هو . قال لي ابنة صغيرة غير شرعية حاولت ان اتخلص منها منذ ولادتها فمنعتني امها وهي من عمر هذه الطفلة تقريبًا وقد ماتت اليوم فيمكننا ان نأتي بجثتها حالاً ونلبسها ملابس هذه الطفلة ونعيدها الى سريرها فاذا اصبح الصباح ووجدوها ميتة لا يداخلهم ريبٌ في انها نفس ابنة عمك ويحتفلون بدفنها وتكون انت اول السائرين ورآء نعشها فتعود من مدفن الاسرة توًّا لاستلام الامارة وما تطمح اليهِ نفسك

فارتفعت من الجميع اصوات الاعجاب والسرور و بعد مفاوضة جدّية قصيرة أُمر الرجل فذهب يسابق الرياح وما غاب كثيرًا حتى عاد بالطفلة الميتة فأبدلوا ثيابها بثياب ابنة عمّ الامير وسلموها الى فرنسوا ليرجعها الى السرير الذي انتشل الطفلة

الحية منهُ . فقال الامير وماذا نفعل بهذه اذًا . فقال الرجل الذي ابدل ابنتهُ بها آخذها انا الى بيتي عوضاً عن تلك فلا يعلم بها احد ومتى عجزت عن الاعتنآء بها أو سئمت من معاشرة الاطفال آخذها الى دير للراهبات أو الى محل آخر فلا تخف عليها يا مولاي . فقهقه الامير ضاحكاً مسرورًا وقال اذًا قد انتهى اجتماعنا هذا على افضل ما يرام فلينصرف كلٌّ الى مكانهِ بسلام وفي نفس اليوم الذي يبلغكم فيهِ خبر حصولي على تركة عمي وامتلاكي زمام اعمالهِ واملاكهِ واوراقهِ تعالوا جميعكم لمقابلتي في مثل هذه الساعة في هذا المكان فقد نذرت على نفسي من الآن ان اهبكم خمسين الفًا من الفرنكات جزآء اخلاصكم لي ونصحكم في خدمة الحق . فصاحوا جميعهم ليحيَ اميرنا الكريم وأنالك الله مبتغاك . ثم دار بينهم التوديع فذهب كلٌّ لشأنهِ وذهب فرنسوا بالجثة لارجاعها بدل الطفلة الحية ومرّ الرجل الحامل الطفلة الاميرة بجانبي وما بلغ طرف الشارع حتى وقع نور المصباح على وجههِ فتبينتهُ جيدًا وارتسمت هيئتهُ على مخيلتي فلاانسى صورتهُ ما حييت

وعادت تلك البقعة الى سكونها العميق فلبثت هنيهةً ثم خرجت من مخبإِي وعدت من حيث اتيت فبلغت غرفتي ولم استطع رقادًا فأحييت بقية الليل مفكرًا في تلك الرواية متعجبًا مما جرى واصابتني من شدة التأثر حمى خفيفة لازمتني طول النهار التالي . وفي المسآء حدثتني نفسي ان اطالع اخبار العاصمة فابتعت جريدة واول ما وقع نظري عليهِ علامة سودآء قرأت تحتها ما يأتي

توفيت في هذا الصباح الاميرة ارنستين لونفيل في السنة الثانية من عمرها وهي ابنة الامير موريس لونفيل ووارثتهُ الوحيدة وقد انتقل ارث هذه الاسرة برمتهِ بعد وفاتها الى ابن عمها الفتى جواني لونفيل

فشعرت بحزنٍ عميق في نفسي على تلك الطفلة المسكينة البريئة المظلومة وارتعشت اعضآئي وسقطت الجريدة من يدي فلم اشأ ان ألتقطها وكان ضميري يحاربني على سكوتي عن هذه الحادثة وجعلت اناجي نفسي عما اذا كان العدل يعدّني شريكاً لاولئك السفلة . غير ان اقتراب موعد الامتحان انساني كل ذلك فعدت الى دروسي

وجزت الإمتحان فبعثت بالشهادة التي نلتها الى والدي وكان سروري بنفسي وبالتنشيط والفرح اللذين ابداهما لي والدي يقوّي عزمي على متابعة اجتهادي فعدت الى ما كنت عليه قبل حصول هذه الوقائع وكان امرها كأنهُ لم يكن

ومضت عليَّ خمس سنوات اتممت فيها جميع الدروس المختصة بفن المحاماة ونلت الشهادة العليا وشهادة الامتياز في جميع فروع المدرسة . وعرض عليَّ اساتذتي ان اعلّم في نفس المدرسة ساعةً من وقتي واشاروا عليَّ ان اتعاطى هذا الفن في نفس باريس ففعلت كما اشاروا وكُتب لي التوفيق فاشتهر اسمي وزاد دخلي اكثر مما كنت اظن فلم البث ان استحضرت والدي ووالدتي الى باريس فسكنا معي واقمنا بفضلهِ تعالى في اتم نعيم وارغد عيش . وكنت كثيرًا ما التقي بالامير جواني لونفيل في مركبتهِ الجميلة تجرها جياد الخيل وهو يتنعم بالملذات ويسرف في النفقات متبعاً التهتك والطيش فكنت اذا وقعت عيني عليهِ يرتد بصري عنهُ كأن مسلةً اصابت حدقة عيني . وكان قد اقام على املاكهِ وكيلاً حكيماً عرف كيف يدبر تلك الحوزة الواسعة فكانت الثروة تتضاعف بين يديهِ رغماً عن طيش الامير الفتى وشدة اسرافهِ

ومضت بعد ذلك سنوات عديدة فتناسيت امر الامير والاميرة وسدل الدهر على تلك الحادثة ستار النسيان فلم تعد تخطر لي في بال الى هذه السنة منذ بضعة ايام فقط . وذلك انني كنت يوماً في مكتبي غارقاً بين اوراق الدعاوي العديدة التي في عهدتي لاربابها واذا بخادم المحل قد دخل واخبرني ان رجلاً في الباب يروم مواجهتي للاستشارة في قضية عظيمة الاهمية فقلت لهُ انني في شغلٍ شاغل الآن فلا يمكنني مواجهة احد . واذا بباب الغرفة قد فتح وسمعت صوت متذللٍ يقول اتوسل اليك يا مولاي ان لا تبخل عليَّ بمواجهتك فان قضيتي مهمة للغاية تتوقف عليها حياة بريءٍ وقد جئتك واثقاً انهُ لا يوجد سواك لتخليصي من تهمة فظيعة ستودي بحياتي ظلماً وعدواناً . فنظرت الى المتكلم وحالما وقع نظري عليهِ مرت سحابة كثيفة امام عينيَّ وانقشعت بغتةً فتذكرت صورة الرجل وعرفتهُ انهُ هو نفس الشخص الذي رأيتهُ في تلك الليلة المشؤومة حاملاً الطفلة الاميرة لاخفائها وانفتح امامي سفر تذكار

الماضي فدفعني الاستغراب الى مقابلة الرجل لعليّ اقف على خبر تلك الفتاة السيئة الحظ . فتركت اوراقي جانبًا ونسيت ما انا فيهِ من العمل وسمحت للرجل بالدخول فجلست واياهُ الى جانب الغرفة وامرت الخادم بالخروج . واستأنس الرجل فجعل يتلو عليّ حديثهُ بلهفةٍ شديدة فقال . انني يا مولاي فتًى فقدتُ والديَّ صغيرًا فكنت اترددِ الى خانةٍ اخدم فيها واحصل قوتي فلم ارَ ولم اعاشر الا جماعة من المقامرين واللصوص الذين كانوا يترددون الى تلك الحانة وما شببت حتى وجدت نفسي رفيقًا لهم في سطواتهم واعمالهم الليلية المنكرة واصبحت ادهاهم واكثرهم شرورًا ولم ازل على هذه الحالة الى امدٍ غير بعيد . ويظهر ان الله شفق على حياتي فهداني يومًا وندمت على مسلكي السابق فتبت توبةً حقيقية واقلعت عن شروري السالفة واجتهدت ان اعوض في ما بقي من حياتي عما جنيتهُ في ماضيَّ واعلمت رفاقي انني انفصلت عنهم وانهم لا يرجون مني مساعدة بعد . فاستشاطوا غيظًا واجتهدوا كثيرًا في تحويلي عن عزمي فلم يفلحوا ولما رأوا اصراري خافوا ان ابوح للحكومة باسمآئهم فصمموا على اهلاكي . وكان من امرهم انهم سلبوا رجلاً منذ يومين ثم قتلوهُ واحضروا جثتهُ فرموها امام باب منزلي ولما وُجدت الجثة اتُّهمتُ بالجناية وما هي الا دسيسة كادها لي أولئك اللصوص ليحكم عليَّ بالموت فيأمنوا جانبي . ولثقتي بمقدرتك العظيمة يا مولاي جئتك راجيًا ان تأخذ بيدي وتنقذني من هذه التهلكة واعلم ان لديَّ من المال شيئًا كثيرًا فلا يذهب تعبك سدًى

وكان الرجل يتكلم باضطراب شديد وهو يتلفت الى ناحية الباب كانهُ يتوقع دخول الشرطة بغتةً لالقآء القبض عليهِ . فتبسمت اليهِ وقلت لا تخف يا هذا فانا اعدك بمساعدتي ولكنني لا اقبل شيئًا من اموالك التي جمعتها كما اعترفت من السلب واللصوصية وانما اشترط عليك شيئًا واحدًا وهو ان تعلمني بما جرى للاميرة ارنستين لونفيل التي ابدلتها بابنتك المائتة في تلك الليلة الدهمآء . فارتعش الرجل كمن لدغتهُ عقربٌ ثم حنى رأسهُ على صدرهِ وانحدرت دمعةٌ من عينيهِ مسحها براحتهِ وقال آه ما اشقاني فانني مع ندمي على شروري واجتهادي في التكفير عن الماضي لا ادري

كيف لم يخطر لي الافتكار في تلك المسكينة وكيف لم اهتم بانقاذها . فقلت لهُ اسرع وأجبني احية هي وهل هي في حالة مرضية . قال انها حية ترزق يا مولاي وفي امن من الجوع والحاجة واما آدابها وسيرتها فالذي يبلغني عنها انها لا عيب فيها . فقلت لهُ اخبرني عما تعلمهُ من امرها وماذا فعلت بها . فقال اخذتها الى بيتي وكنت اعتني بها وجعلتها واسطة لاستدرار المال من الامير جواني لونفيل الى ان بلغت العاشرة من عمرها فاخذتها الى جوقةٍ من ممثلي الروايات وبذلت جهدي فقبلوها للتشخيص وما مضى عليها امدٌ طويل حتى بان جمالها الساحر فتورد خداها وبرز نهداها وُمشقت قامتها فطار صيتها في عالم التمثيل واكتسبت الجوقة شهرة واسعة بسببها وهي لا تعلم شيئًا من ماضي حياتها وأسرتها ثم ما لبثت ان اصبحت كبقية اللواتي يتعاطين هذه الحرفة مقصدًا للفتيان المسرفين تسامرهم وتسايرهم ويقدمون لها الجواهر والنفائس جزآء نظرة واحدة ترمقهم بها وهي تضن بعفافها وثوب طهارتها ولا تزال كذلك الى الآن

فاستفهمت منهُ عن اشخاص الجوقة والمكان الذي يشخصون فيهِ ثم وعدتهُ بالاهتمام بقضيتهِ فذهب شاكرًا . اما انا فعدت الى عملي وما صدقت ان جآء المسآء فقصدت الملعب الذي يجري فيهِ التشخيص وابتعت تذكرةً ندخلت وكانت عيناي تتفرَّسان في المشخصين وانا ابحث لعلي اهتدي الى تلك الفتاة ثم رأيت ليونار وهو الرجل الذي اعلمني عنها فاشرت اليهِ ان يقترب مني ففعل وسألتهُ ان يدلني على ربيبتهِ ولما ارتفع الستار بانت ورآءهُ صورة ملائكية ادهشني جمالها واومأ اليَّ ليونار انها هي الاميرة فزاد خفقان قلبي واذ ذاك ابتدأت في غنآء بعض الادوار بصوتٍ رخيم سحر جميع الحاضرين فصرنا كلنا كاشباح لا حراك بها

واشتغلت افكاري بامر الاميرة من ذلك اليوم فجعلت اتردد الى ذلك المحلّ واجتهدت في كشف ما يمكنني كشفهُ من احوالها فوجدتها كما ابلغني ليونار آيةً في الغنج والدلال ولكنها باقية محافظة على ثوب عفافها فلم تدنسهُ شائبة . ورأيت شبان الفرنسيس يتخاصمون في سبيل رضاها ويتبارون في تقديم كنوزهم لديها ورأيت بينهم الامير جواني وهو بالضرورة لا يعرفها ولا تعرفهُ فكان يتفانى في التقرب اليها وانفاق المبالغ الطائلة

في تقديم الهدايا الثمينة اليها واستجلاب رضاها

اما انا فكان من همي ان اسعى في اعادة هذه المسكينة الى مقامها السامي وعزّ اسرتها . و بعد ان اعددت ما يجب صنعهُ قصدت يوماً الملعب وانتظرت فيهِ الى انتهآء التشخيص ثم طلبت الدخول الى غرفة الاميرة وهي تعرف باسم لوسيل كما دعاها مربيها فاذن لي ان ادخل بعد ان يخرج الزائر الموجود عندها حالاً . فانتظرت امام باب غرفتها وانا متيقن ان زيارتي ستسبب لها اعظم السرور ومتفكر فيما عساها ان تقولهُ بعد ان تسمع حديثي وتتحقق مركزها . وبعد ما لبثت حيناً في الانتظار دفعني الشوق ان اقترب من غرفتها فسمعتها تتكلم بصوت الآمر المغتاظ وتقول انني ارفع من ان اسمع مثل هذا الكلام فاخرج من غرفتي في الحال . ثم سمعت صوت رجلٍ يقول لن اخرج ما لم تجيبيني الى طلبي و بذلك تصبحين اعظم اميرة في فرنسا . قالت انني لا ابيع بكل فرنسا وما فيها ذرة واحدة من شرفي . قال اذاً استدفعينني الى استعمال القوة لانني اخبرتكِ بما اجمعت عليهِ وتيقني انني لا اعود عن عزمي ما حييت . ومرَّ في تلك الدقيقة قيّم الملعب فاشرت اليهِ بالصمت وان يقترب معي لسماع ما يجري داخل الغرفة ففعل . ثم سمعنا صوت الفتاة تقول ارفع يدك عني يا هذا والا صحت باعلى صوتي مستغيثةً . فقهقه ضاحكاً وقال تستغيثين بمن وهل تظنين ان احداً هنا يقوى على معارضة اوامري فاعطيني جوابك النهائي عما عرضتهُ عليكِ . قالت الموت اهون من اجابة طلبك فاخرج عني ايها الخبيث والاّ قتلت نفسي . قال انني اكفيكِ هذا العنآء لانني صممت على قتلكِ ان لم تذعني لي فان موتكِ خير لديَّ من خسارتي اياكِ وقد احضرت هذا الخنجر معي لهذه الغاية . ثم تبع ذلك صوتِ عراكٍ مستطيل وقبل ان اتمكن من مخاطبة القيم لفتح الباب والدخول لانقاذ الفتاة سمعناها تصيح قائلةً دونك ايها النذل . . ودونك . . ودونك . . .

فلم اتمالك نفسي بعد ذلك ان دفعت الباب برجلي فانكسر زلاجهُ وفتح فرأينا امامنا الامير جواني لونفيل مطروحاً على الارض يتدفق الدم من ثلاثة جروحٍ كبيرة في صدره والى ناحية اخرى الاميرة وقد سقطت مغميً عليها وقد انحلَّ شعرها

الاسود و بان على عنقها علامات زرقآء حيث كان الامير قابضاً عليها . وكان الامير لم تزل فيه بقية من الحياة فلما وقع نظرهُ عليَّ قال بصوت ضعيف تقطعهُ حشرجة الموت قد رأيت يا هذا قاتلتي فخذ بثاري منها . فاقتربت منهُ وقلت بل هي قد اخذت بثارها من ابن عمها الخائن الذي عمل على اهلاكها للتمتع بثروتها . فجحظت عيناهُ وقال ماذا تقول افهي هذه . . . قلت نعم هي الاميرة ارنستين لونفيل وقد اوصلتها الى هذه الحالة باعمالك السيئة . فحاول ان ينهض فلم يقدر فصرّ باسنانهِ وقال لعنك الله يا ليونار . لعن الله . . . ولم يستطع ان يتمّ كلامهُ فسقط الى جانبٍ وفاضت روحهُ

ولما افاقت الاميرة اصابتها حمى شديدة من جرّآء ما حصل لها ولما تعافت اخبرتها بحقيقة امرها ثم بذلت جهدي في المدافعة عنها ولم اتمتع براحةٍ لجسدي حتى برهنت للحكومة حقيقة الامر واستعنت بشهادات قيم الملعب وليونار وخادم الامير فبرأت الحكومة ساحة الاميرة واعادت اليها كرامتها وثروتها . وتوسطت لدى ارباب الامر والنهي في قضية ليونار فصفحت الحكومة عنهُ والقت القبض على رفاقهِ فنالتهم ما يستحقونهُ وذهب هو الى قريةٍ بعيدة عن باريس يصرف فيها باقي ايامهِ

اما الاميرة ارنستين فكانت لا تجد سرورًا ولا سلوةً الا بصحبتي فكانت تستدعيني لتناول الطعام على مائدتها يوميًّا واعترفت لي اخيرًا بحبها فتوسلت اليها ان تقلع عن ذلك لانني لست من اصحاب الرتب وليست اسرتي من الاسر الغنية كما ذكرت اولاً وانني مع خمول اسم اسرتي لا أحب أن أتركهُ للتمتع باسم اسرتها . فقالت ولا أنا ممن يحافظون بعد الآن على اسم أسرةٍ كان جواني الخائن أحد افرادها . ولم تفتأ أرنستين تلحّ عليَّ ولها في صدري من الحب العظيم ما ساعدها على بلوغ أربها فغلبتني ولم تمضِ علينا ايام كثيرة حتى تزوجت بها وأصبحت كما هي الآن عضدي في العمل وسعادتي في الحياة وهي جالسة الآن بجانبي تساعد ذاكرتي على تدوين أهم ما جرى لنا في حياتنا

الفينيقيون

هم من اقدم الامم عهداً واغمضها تاريخاً لا يكاد يُعرَف من امرهم الا الشيء القليل مما توحي بهِ آثارهم الباقية ومما انتهى الينا من صُحُف مؤرخيهم وإن هو الا شذورٌ ناقصة مما كتبهُ سَنكُنيات احد كهنتهم في عصرٍ لا يُعلَم بالتحقيق وقد فُقد تاريخهُ الا لُمَعاً مما تُرجم منهُ الى اليونانية على يد فيلُونِ البيبلوسي رواها اوسابيوس القيصري واكثرها في شرح عقائد الفينيقيين والمصريين

وقد اختلف المؤرخون في اصل الفينيقيين فقيل هم من العرب ابناء اسمعيل بن ابرهيم وقيل من ابناء كنعان بن حام وردوا فينيقية من ارض أشُّور لحيفٍ وقع عليهم هناك فنزلوا بالمكان الذي اختطّوا فيهِ مدينة صيداء وهي اول مدينةٍ فينيقية ثم انتشروا فيما يليها من الساحل الى شمالي طرابلس وجنوبي رأس الكرمل وما يلي هذه المسافة من البرّ الى سفح الجبل الشرقي وهي بقعةٌ لا تزيد على ١٢٥ ميلاً طولاً في نحو ٣٠ عرضاً وهي الموطن الاصليّ الذي نشأت فيهِ هذه الامة العظيمة التي ملأت آثارها ما بين الشرق والغرب ولا بدع مع ما اشتهر بهِ رجالها من الذكاء والاقدام ومع ضيق مضطرَبهم في تلك البقعة الصغيرة وانفساح البحر امامهم وكثرة ما في ارضهم من الاشجار الباسقة ان يكونوا امهر امةٍ في ركوب البحر وبناء السفن وتعاطي التجارة الى ابعد مكانٍ في المعمور

وكانت اشهر مدائنهم مدينة صور بُنيت على اثر مدينة صيداء فيما بُني

من المدائن الفينيقية من مثل بيروت وبيبلوس (جُبيل) وانترادوس (طرطوس) وارادوس (ارواد) وطرابلس وغيرها الا انها لم تلبث ان فاقت تلك المدن باسرها وكسفت بهاء صيداء العاصمة الاولى ولم يأتِ عليها الا قرونٌ قلائل حتى اصبح البحر الرومي في قبضتها وانبثَّ رجالها في جميع السواحل الشرقية منهُ ثم تبسطوا في غربيهِ فانتهوا شمالاً الى غربي اسيا الصغرى فجزر اليونان والبحر الاسود وجنوباً الى نواحي تونس فابتنوا ثمة مدينة قرطاجة المشهورة وما يتبعها من المدن واجتازوا من هنالك الى اوربا فدخلوا جنوبي ايطاليا وصقلّية ثم سردينيا وكرسكا فبلاد الغال واسبانيا وتركوا في كل موضع انتهوا اليهِ طوارئ[1] منهم وأسسوا مدناً جعلوها مراكز لتجارتهم . ثم عبروا مجمع البحرين فخرجوا الى الاتلنتيك وجازوا شمالاً الى البلطيك وجنوباً الى الجزائر السعيدة ثم طافوا من حول رأس الرجاء الصالح وانبثت طوارئهم على شواطئ البحر الهندي واتخذوا من اليهود فُرضتين على شواطئ البحر الاحمر وابتنوا عدة مدن على شواطئ الخليج الفارسي منها مدينة باسم تيروس (صور) واخرى باسم أرادوس (أرواد) وغير ذلك

اما حكومتهم فلاسبيل الى معرفة ما كانت عليهِ بالتحقيق لكن يقال انها كانت في اوائل امرها نوعاً من الجمهورية الديمقراطية الا انها ولا بد كانت تحت سيطرة الكهنة لما كان لهم من السطوة والنفوذ . وكانت كل

(١) جمع طارئة وهي الجماعة تطرأ من ارضها الى ارض اخرى تعريب Colonie ولا بأس ان تطلق على الارض التي تتوطنها تلك الجماعة ايضاً من باب المجاز المرسل على حدّ استعمال اللفظة الافرنجية بالمعنيين

مدينةٍ من المدن الكبرى مع اعمالها جمهوريةً قائمةً بنفسها وكان بين تلك الجمهوريات الصغرى نوعٌ من التحالف وجآء في بعض التواريخ انهم كانوا يعقدون في كل مدةٍ مجلساً عاماً يُرسَل اليهِ نوابٌ من جميع تلك المدن يجتمعون في طرابلس

غير انهُ بعد ذلك استحالت تلك الجمهوريات فكان لكلٍ من مدينتي صور وصيدآء ملكٌ يتولى امورها الا انهُ لم يكن مطلق الحكم ولعلهُ كان كذلك لسائر المدن الكبرى . واول من عُرِف من ملوك صور ابيبعل جلس على سرير الملك في اوائل القرن الحادي عشر قبل الميلاد وكان معاصراً لشاول ملك اسرائيل . ثم خلفهُ ابنهُ حيرام الاول تولى نحو سنة ١٠٥٠ وكان محالفاً لداود ثم لسليمان من بعدهِ وهو الذي ارسل الى سليمان الاستاذ حيرام ورجالهُ لبنآء الهيكل المشهور باورشليم واطلق لسليمان ان يقطع ما شآء من ارز لبنان حتى اصبح خشب الارز في اورشليم «مثل الجميز الذي في الصحارى كثرةً » وجعل سفن سليمان مع سفنهِ فكانت تأتي ترشيش مرةً في كل ثلاث سنين وتقفل حاملةً ذهباً وفضةً وعاجاً وقردةً وطواويس . وفيما ذكر يوسيفوس ان صك الحلف بين حيرام وسليمان كان لا يزال باقياً الى ايامهِ بين سجلاّت مدينة صور

ومن ملوك صور أَتبَعْل الاول ملك سنة ٩٣٤ وكان كاهناً من كهنة عشتاروت وهو ابو ايزابَل التي تزوجها احآب ملك اسرائيل ويُنسَب اليهِ بنآء عدة مدن بفينيقية . وممن ملك بعدهُ حفيدهُ بِجْمَليُون سنة ٨٧٤ وكان من امرهِ أن كان لهُ صهرٌ واسع الثروة يقال لهُ سيخَاي وهو زوج

اختهِ ديدُون فطمحت نفسهُ الى الاستئثار باموال صهرهِ فذبحهُ بيدهِ على عتبة الهيكل . فلما رأت اختهُ ذلك خافت على نفسها فخرجت في جماعة من ذويها وهاجرت الى افريقيا وقيل انها هي التي بنت مدينة قرطاجة وكان ذلك نحو سنة ٨٦٠

ثم انهُ في سنة ٧١٨ اقبل شلمنصّر ملك اشور ونزل بجيشهِ على صور بعد ما دوّخ مملكة اسرائيل وحاصرها زمناً وكان ذلك على عهد أليلاّي فامتنعت عليهِ فاستولى على صيداء ومدنٍ اخرى . وفي سنة ٦٠٥ حاصرها بختنصّر الثاني ملك بابل على عهد أَتبْعل الثالث وقيل الثاني وافتتحها عنوةً بعد حصار ثلاث عشرة سنةً ووضع فيها النار ففرّ اهلها الى الجزيرة المجاورة لها وهي صور الحاليّة وجدّوا في عمارتها وتوسيع حدودها فلم تلبث ان انتقلت اليها عزّة سالفتها . الا ان خلفاء بختنصّر لم يفتأوا يناشبونها القتال حيناً بعد آخر ورأى اهلها ان السلم اسلم فاعطوا بايديهم لملوك بابل واصبحت صور تابعةً لهم تؤدي الجزية . واستمرّ الامر على ذلك الى ما كان من امر قورش واستيلائهِ على مملكة بابل فدخلت صور في نوبة ملوك الفرس وذلك سنة ٥٣٨ . ثم لما غزا الاسكندر مملكة فارس خضعت صيداء لسلطانهِ وملّك عليها ابدولونيم من سلالة بعض ملوكها الاولين ولكن صور امتنعت من طاعتهِ فحاصرها سبعة اشهر حتى دخلها عنوةً واعانهُ على افتتاحها اهل صيداء اذ جهزوهُ بما يحتاج اليهِ من السفن وكان ذلك سنة ٣٣٢ . واذ ذاك انحطّت صور عن عزتها الاولى ولا سيما بعد ان بنى الاسكندر مدينة الاسكندرية فكانت محطةً للتجارة بين اوربا وآسيا وافريقيا واخيراً ضُمّت فينيقية الى

الجمهورية الرومانية سنة ٦٥ قبل الميلاد فلحقت بسائر البلاد السورية

هذا مجمل ما امكن الوصول اليهِ من تاريخ هذه البلاد ومنهُ يتبين ان الفينيقيين لم يكونوا اهل شوكةٍ وبأس وانما بلغوا ما بلغوهُ من الشهرة والغنى بما اوتوهُ من قوّة الذكآء والتفنن في الصنائع والاختراعات والاقدام على خوض البحار . وكانوا يحملون الى جزائر اليونان المواد العطرية والابازير والارجوان وآلات الزينة والملاهي وسائر المصنوعات النفيسة ويجتلبون من جزائر الاتلنتيك القصدير والكهربآء وكانت اذ ذاك اثمن من الذهب ومن ايبيريا الفضة والحديد والرصاص ومن البلاد العربية وافريقيا والهند الابنوس والذهب والعاج والحجارة الكريمة

ولبثت سفنهم منتشرة في جهتي الشمال والجنوب من شواطئ البحر الرومي وصلاتهم ممتدة في جميع جزائرهِ ومدنهِ الساحلية الى ان نبغ اليونان في التجارة فاخذوا يتخلون لهم عن النواحي الشمالية ويتحازون الى الجنوب بما كان لهم من العلائق مع المصريين في عهد نخو ومع الاسرائيليين في عهد داود وسليمان ومع من لهم من الطوارئ الفينيقية في قرطاجة وما يقابلها من ارض اسبانيا واهملوا ما كان لهم من التجارة في البحر الاسود ولاسيما بعد اتصالهم بالهند واستيلآئهم على تجارتها . وكانت اكثر طوارئهم في اسبانيا في الجهة الجنوبية المعروفة اليوم بالاندلس وكانوا يقيمون بالناحية المسماة بترشيش أو ترسيس . ومن المدن المشهورة التي ابتنوها هنالك قادس والجزيرة ومالقة واشبيلية ومن مدنهم في افريقيا قرطاجة المذكورة بالقرب من تونس وقد وُجد فيها من آثارهم ما لا يُحصى وكذلك في سائر مدنهم

هناك كالحمامات ولبيد وغيرها وذلك فضلاً عما لهم من المدن في جزائر البحر الرومي كقبرس ورودس وكريت وصقلية ومالطة وسردينيا وكرسكا وبعضٍ من جزر اليونان ولهم في جميعها آثارٌ باقيةٌ الى اليوم

وكما كانت تجارتهم في البحر متسعةً الى مثل الحدود المذكورة فقد كان لهم مثل هذه التجارة في البرّ بواسطة القوافل فكانوا يرسلون بضائعهم جنوباً الى ارض الحبشة والحجاز واليمن وشرقاً الى بابل وما يليها الى آخر حدود آسيا وشمالاً الى بلاد الارمن ونواحي القوقاس وعلى الجملة فقد كانت في ايديهم أزمّة التجارة في الارض كلها ولم يكادوا يطأون ارضاً الا تركوا فيها اناساً منهم فانبثت عاداتهم وعباداتهم بين اكثر امم المعمور

(ستأتي البقية)

المؤتمر الطبي

(تتمة مقالات حضرة النطاسي الفاضل الدكتور صبحي بك[1]) .

اكتشاف طريقة لحلّ انعقاد الامعاء

لا يخفى ان هذه العلة كثيراً ما يعجز الطبيب عن شفائها وقد يفشل دونها امهر الجرّاحين . ولها اسبابٌ كثيرة لا حاجة الى تفصيلها هنا غير اني اقول انهُ مهما كان سبب الانعقاد ونوعهُ فهو يتضمن وجود عقدةٍ ذات طرفين هي اشبه شيء بعقدة المشعوذ واذ ذاك فلا بد من الاحتيال لحلّ هذه

(١) انظر صفحة ٣٦٣ وصفحة ٤٠٠ وما يليهما

العقدة بدون ان يُلتجأ الى فتح البطن والتعرض لما فيهِ من الخطر ولا سيما وان حلها بطريقة الجراحة لا بد لهُ من معرفة مكانها اولاً وهذا يكون احياناً من اغمض الامور فيقف الجرّاح من دونهِ حائراً وكثيراً ما يضطرّ ان يعمل عملهُ على غير هُدًى فيحتاج الى الاكثار من تقليب الامعاء وربما اصابت يدهُ الغشآء الصفاقي (البريتون) فينشأ عن ذلكِ ما يكون اشدّ خطراً من العلة نفسها

ثم افاض هنا في شرحٍ طويل ليس من غرضنا نقلهُ الى ان افضى الى بيان الطريقة التي استعملها فذكر انهُ جاءَهُ في صباح ١٠ نوفمبر سنة ١٨٩٧ رجلٌ من اهل فاقوس كان مصاباً بهذه العلة ومعهُ طبيبان احدهما وطنيٌّ والآخر يوناني وكان الرجل صحيح البنية ليس فيهِ ولا في اسرتهِ شيءٌ من الامراض التي ينشأ عنها انسدادٌ في الامعاء وذكر لهُ الطبيبان انهما عالجاهُ بجميع الوسائط الدوائية مدة خمسة ايام فلم يزدد المرض الا سوءًا

قال وكان قد اتفق لي ان دُعيتُ قبل ذلك لمعالجة مريض بالعلة نفسها فاستعملت لهُ طريقةً جديدة كُتِب لهُ فيها البرء على يدي فلم اتردد في استعمالها للمريض الآخر. وهي ان يؤخذ نحو ١٠٠٠ غرام من جذر القلقاس ويُنقَع في نحو ٣ ألتار من الماء الفاتر مدة ساعة حتى يحلّ ما فيهِ من المادة اللزجة وبعد ذلك توضع النُقاعة في محقنة من مثل التي تستعمل لغسل المعدة ويُدخَل انبوبها في طرف المستقيم ثم تُفتَح حنفيتها فينطلق السائل منها وبما فيهِ من اللزوجة يسهّل انزلاق الانبوبة في المستقيم ثم فيما يليهِ من الامعاء ومع الرفق في ادخالها يمكن ان تخترق مسافة طويلة من القناة الهضمية حتى

تبلغ صمام الاعور وقد استصنعت لهذا الغرض انبوباً يبلغ طوله ٣ امتار . ولتقوية فعل الحقنة وتسهيل انطلاق المعى يحسن ان يعطى العليل في الوقت نفسه ١٥ غراماً من المسهل الالماني

ولا حاجة ان اقول اني قد صادفت هذه المرّة من نجاح هذه الطريقة ايضاً ما زادني برهاناً آخر على صحتها وحقق لي انها افضل علاجٍ لهذه العلة

***

طريقة علاج السرطان بالتلقيح الحيواني

لايخفى ان من اشدّ ما عُرّضت لهُ البنية البشرية هذا الخُراج المعروف بالسرطان فانهُ الداء العياء الذي وقف من دونهِ جهد الاطباء وذهبت كل مساعيهم سدًى . اجل لا انكر ان العمل الجراحي قد يكون طريقاً الى الشفاء لكنهُ في كثير من الاحوال لا يفيد الا اطالة عذاب العليل على غير جدوى

غير اني اعرض عليكم اليوم اكتشافاً توصلت اليهِ بتكرار المراقبة وبعد شغلٍ شاقّ ثابرت عليهِ مدة سنوات . وكان الذي نبهني الى ذلك اني حينما كنت اتمرّن في الصناعة في مستشفى سنت الوا كلّفت يوماً ان اعطي الكلوروفرم لصبيّةٍ في عمر ١٧ الى ١٨ سنة اصيبت بخُرَاج خبيث في ثديها الايسر. فلما اخذ منها الكلوروفرم طفقت تتكلم بكلام غريب فقالت وهي بهذي « يا لك من طبيبٍ قاسٍ .. انك تريد ان تنزع ثديي فلا اجد بعد انتباهي الا ثدياً واحداً . . فاذا اتفق لي ان اتزوج فماذا اقول لزوجي اذا سألني عن الثدي الآخر . . بأيّ حقٍ تستبيح نزعهُ اذا لم يكن في طاقتك

ان تخلفهُ عليّ . . أليس على من يكسر اناءً ان يغرمهُ . . . »

وعلى اثر هذا الكلام دخلت في الطور الثاني من الكلوروفرم فأسكتها عن المزيد غير اني قد اثرت فيَّ كلماتها تأثيراً شديداً ومذ ذاك جعلت وكدي ان ابحث عن ذريعةٍ يتمكن بها كل جرّاحٍ ان « يغرم الاناء الذي يكسرهُ »

وبعد اشتغالي بهذا الامر عدة سنوات وُفّقت الى الظفر بالمطلوب وذلك اني اهتديت الى صنفٍ نادر من الكلاب لا يوجد في مصر ولا في اوربا الا انهُ سهل التبليد اذا أُحسنت العناية بهِ واصلهُ من الصين. ومزية هذا الصنف انهُ عارٍ من الشعر الا قليلاً فيُرى جلدهُ املس ابيض اللون يشبه في مواضع منهُ جلد الانسان . ولما كان غرضي ان اعوّض ما يُقطع من الموضع المصاب بالسرطان كان تطعيم ذلك الموضع بجلدٍ هذا الكلب من افضل ما يُستعمل لهذه الغاية لانهُ يمكن ان يتخذ منهُ جلدٌ صناعيٌّ حيّ

وكان اول امتحانٍ عمدت اليهِ اني دُعيت لمعالجة مريضةٍ بالسرطان قد اصيبت بهِ في ثديها الايسر وكان متقرحاً فأخذت من مِدَّة القرح ولقحت احد الكلاب على حد التلقيح بمادّة الجُدَريّ وصبرت عليهِ مدة ثلاثة اشهر فلم يتبين فيهِ شيءٌ من المرض . فأعدت عليهِ التلقيح مرةً اخرى فكان كالمرة الاولى ولم يظهر فيهِ اثرٌ للدآء فثبت عندي ان الكلب غير قابل لهذا المرض . اما العليلة فماتت بعد حين لان المرض كان قد استعزّ بها فلم يبقَ امل في شفآئها

وبعد ذلك عالجت امرأةً اخرى مصابةً بالسرطان في الموضع نفسهِ

فبعد بتر الثدي وازالة كل فساد طعّمت موضع البتر بقطعةٍ من اذن احد الكلاب بعد ان فريتها على شكل مثلث تركت قاعدتهُ متصلةً بالكلب مدة ٤٨ ساعة لتسهيل التحام القطعة بصدر المرأة و بعد ذلك فصلت القطعة من جسم الكلب فتمّ الالتحام المذكور على ما ينبغي وشُفيت المرأة

ثم اجريت امتحاناً ثالثاً في امرأةٍ بالحال نفسهِ و بعد بتر الثدي طعّمت مكانهُ بقطعةٍ من بطن كلبةٍ اخذت معها احد أطْبآء (اثدآء) الكلبة مع حلمتهِ وقطعتها كذلك على شكل مثلث مع ترك قاعدتهِ متصلةً ببطن الكلبة ثم فصلتها من جسم الكلبة كما فعلت في المرة الاولى

ومن غريب ما يُذكر هنا انهُ بعد ان تمّ شفآء المرأة لم تكد تظهر بين جلدها والجلد الجديد ندبةٌ في موضع الالتحام . ثم انهُ في المواعيد الشهرية كان الثدي المطعّم ينتفخ ويزرق كالثدي الآخر الطبيعي . وهنا محل بحثٍ فيما لو حملت هذه المرأة وولدت هل كان هذا الثدي مع توفر غدّتهِ يفرز لبناً وهذا ما لم يتسنَّ لي ان اتتبعهُ لاني لم اعد أرى المرأة ولا اعلم مكانها . انتهى باختصارٍ وتصرفٍ قليل

التخدير بالكهربائية

امتحن الدكتور اسطفان لُدُوك ما للكهربائية الخفيفة المتقطعة من الخصائص الفسيولوجية والعلاجية وما يؤثر المجرى الكهربائي في الدماغ فثبت لهُ انهُ كلما كان المجرى اضعف كان اشدّ اختراقاً ونفوذاً وانهُ اذا عُرّض الحيوان لفعل المجرى الكهربائي امكن ان يؤثر في دماغهِ من حيث

الوظائف ومن حيث الاغتذاء فترتب على ذلك انهُ يمكن ان تعالج العلل الدماغية بتسليط المجرى الكهربائي على الدماغ مباشرةً

ولا محل هنا لوصف الآلة الكهربائية التي استخدمها لهذا الامتحان وتفصيل العمل بها غير انا نقول انهُ رتّب المجرى على ان يكون تقطّعهُ بين ١٥٠ و ٢٠٠ مرة في الثانية . قال ولتحقيق هذا الاختبار يؤخذ كلبٌ أو ارنب ويُحفى شعر رأسهِ حتى يُبلَغ الجلد ثم يوضع هناك موصل يتخذ من القطن مبلولاً بمحلول فاتر من كلورور الصوديوم على نسبة ١ ٪ ويغطى بصفيحة معدنية ويثبَّت الكل بواسطة كمامةٍ تُشَدّ في رأسهِ ثم يناط بهذا الموصل القطب السلبي من الرصيف ويُجعل القطب الايجابي على ظهر الحيوان من لدن مؤخرهِ بعد ان يُفعل بالموضع مثل ما ذُكر . وهكذا فبعد ان تمرّ الدائرة الكهربائية في جسم الحيوان ويتحرك المقطّع تُدار يدُ الآلة بسرعة ويقوَّى المجرى الى ان يتشنج الحيوان تشنجاً عاماً واذ ذاك يسقط مضطجعاً على احد جانبيهِ ويبطل تنفسهُ فتخفَّف قوة المجرى تدريجاً الى ان يعود التنفس . وفي مدة التشنج يستفرغ الحيوان كل ما في امعائهِ ومثانتهِ تقريباً وبعد ان يعاد اليهِ التنفس يُرى ان القلب ينبض نبضانهُ القانوني لكن الحيوان يلبث مضطجعاً كما كان فاقداً كل حراك فيمكن ان يُقرَص أو يُوخَز أو يجرح ولا يبدو منهُ ردّ فعل ولا صوت ولا حركة دفاع أو محاولة للهرب ما خلا بعض حركاتٍ منعكسة تكون في غاية الخفاء في الكلب ولكنها تكون قويةً في الارنب

اما وظائف الدماغ فتكون مفقودةً بتمامها ويكون الحيوان في رقادٍ

ثقيل وفي حالة خدرٍ كامل ويستمرّ نائماً كذلك مدة ساعتين أو اكثر نوماً متصلاً وبعد ذلك يستيقظ بغتةً ثم يقف على قوائمهِ ويثب ويمرح كعادتهِ . ويظهر ان هذا الامتحان لا يسبب لهُ شيئاً من الالم لانهُ لا يصرخ اقل صرخة ولا يظهر منهُ ادنى حركة تململ ولا ينفر ممن فعل بهِ ذلك كما انهُ لا يبدو منهُ ادنى خوفٍ أو تهيؤٍ للهرب في مدة تجهيزهِ للامتحان . وبهذه الواسطة يمكن ان تشنَّج عضلات عضو كامل من الانسان بدون ان يحدث لهُ ادنى ألم

ثم انهُ اذا اطيلت مدة تأثير المجرى الكهربآئي على الحيوان بحيث تلبث اعضآء التنفس متشنجةً مدة طويلة حتى يحدث الموت الظاهر فانهُ بعد دقائق كثيرة من موتهِ الظاهر يمكن ان يعاد الى الحياة بأن يُجعل المجرى متقطعاً بما يقرب من تقطع النَفَس فيكون ذلك من افعل الوسائط في انشآء التنفس الصناعي ولذلك كان هذا مما يجب اجرآؤهُ في حال الموت بالكهربآئية والكلوروفرم والغرق ونحو ذلك

وقد تقدم ان الامعآء والمثانة تتفرغ بواسطة هذه المجاري المتقطعة فيمكن والحالة هذه ان تُستعمل في معالجة ضعف الامعآء . ولكن اهمّ ما فيها من الخصائص احداثها للنوم والخدر العامّ وهذا ولا ريب من الامور العظيمة الفائدة في احوال شتى اخصّها ما نراهُ من عذاب الحيوان عند الذبح كالبقر والخنزير وغيرهما مما لا يمكن ان يشاهدهُ انسانٌ الا يتوجع شفقةً على هذه الحيوانات فاذا خُدّرت بهذه الواسطة امكن ان يُتفادى في ذبحها من هذه القسوة وتُعفى من الآلام التي تقاسيها في الذبح المعتاد

التاريخ والشعر

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف

(تتمة ما سبق)

وقد تقدم ذكر البيتين اللذين ضمَّنهما ثمانية وعشرين تاريخا لفتح عكاء على يد المرحوم ابرهيم باشا وطريقة استخراج هذه التواريخ منهما مشهورة فلا حاجة الى الاطالة ببيانها . فلما وقف عليهما ابرهيم باشا طلب من شيخنا ان ينظم لهُ قصيدةً يعارض بها قصيدة الشيخ شاكر النحلاوي التي مدح بها استاذهُ الشيخ عبد الغني النابلسي فنظم قصيدتهُ التاريخية المشهورة ومطلعها

الزهر تبسم نوراً عن اقاحيها	اذا بكى من سحاب الفجر باكيها

فأُعجب بها الوزير اشد الاعجاب، واجازهُ بعشرة آلاف غرش وخاتم من الياقوت . وهذه القصيدة من معجزات الشعر فانها مع التزام التاريخ في كل شطر منها قد اودعها من البدائع والاختراعات مع السلاسة والانسجام ما لا يتاتى لكثير من الشعراء بدون التاريخ وذلك كقولهِ منها

يقول قومي رُوَيداً قد سقمتَ هوًى	فقلت مهلاً شفآءي من نواحيها
لعلَّ صافي نسيمٍ من خمائلها	اتى يهبُّ على روحي فيشفيها

ولا حاجة الى التنبيه على ما في هذين البيتين من الرقة وحسن السبك والخلوّ عن التكلف . وقولهِ

راق الدلال لها والذلُّ لي ابداً	ولم يَرُق كأسَ وِردي من تدانيها
دمعي ومبسمها الدرُّ الثمين صدًى	لمهجتي فبصبر القلب ارويها

وقوله

ان العيون التي بانت لطائفها　　لها خفاء مغانٍ ليس ندريها

طلاسم سحرها المرموز طالعةٌ　　اشكاله في سطورٍ حار قاريها

وقد احسن في البيت الثاني ما شاء بذكر الطلاسم والسحر والرموز والاشكال وكل ذلك من التوجيه مع مراعاة النظير في البيت كلهِ . وقال بعد ذلك

لواحظٌ لُحنَ في زيّ الحداد لكي　　يُبرزنَ حزناً على قتلى روامِيها

الناهبات البواكي المبكيات فقد　　كفّت عقول البرايا عن معانيها

وقال في التخلص

رماحكم يا كرام الحيّ لا تقفوا　　ولا ترُعكم بلى جدّت داوهيها

كل البلايا من الدنيا متى نزلت　　بنا فنيران ابرهيم تفنيها

ثم قال

نارٌ ونورٌ متى قال النزالُ لهُ　　والجودُ هاتِ يداً لم يُلقَ ثانيها

ولا يخفى ما في هذا البيت من الطيّ والنشر مع الاستخدام وذلك ان النزال يرجع الى النار المذكورة في اول البيت والجود يرجع الى النور . وقولهُ هاتِ يداً اليد بالنسبة الى النزال بمعنى القوة وبالنسبة الى الجود بمعنى النعمة . وقولهُ ثانيها بالنسبة الى المعنى الاول بمعنى من يثنيها أي يردّها وبالنسبة الى الثاني بمعنى الثاني في العدد وهو الذي يأتي بعد الاول . وقال بعد ذلك

بنى من العزّ بيتاً دون اعمدةٍ　　سوى قناةٍ لهُ عزّت مبانيها

اللوذعيّ العزيز الباسل الملاك اُل　　غازي الملا بيدٍ حسبي اياديها

للسيف والرمح والاقلام قد وُلدت　　راحاتهُ ولسؤّالٍ تفاجيها

غازٍ مهيبٌ حسيبٌ ماجدٌ نجبٌ صافي الصفات نفيس النفس زاكيها

اقوالهُ خُطبٌ افعالهُ شُهبٌ آراؤهُ قُضُبٌ بالله حاميها

ولا يخفى ما في هذه الابيات من الجناسات والانواع البديعية مما يطول استيفاء الكلام عليهِ فضلاً عما في جميعها من نباهة المعاني وجزالة الالفاظ وانسجام التراكيب وقس على ذلك سائر ابيات القصيدة . ولهُ قصيدةٌ اخرى من هذا النوع مدح بها ساكن الجنان السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٣ مطلعها

قف بالمطايا على انجاد ذي سلمِ وقل سلامٌ على دام في الخيمِ

وقد نسج كثير من بعدهِ على منوالهِ كولديهِ العلاّمة الشيخ ابرهيم صاحب هذه المجلة والمرحوم الشاعر العالم الشيخ خليل وكالمرحومين الشاعرين شاكر افندي شقير وسليم بك تقلا وغيرهم

والتأريخ انواع كثيرة عدّدَ بعضها المرحوم الابياري في كتابهِ سعود المطالع فمن اراد استقصاءها فليراجعها هناك ومنها نوعٌ يسمى المجوهر وهو ما حُسبت فيهِ الحروف المعجمة فقط مثل قول الشيخ عبد الباقي العمري شاعر العراق رحمهُ الله من ابيات

تألَّقَ نجمٌ فاق في الوصف كيوانا كسا وضعهُ هام الاركام تيجانا

١٢٦٣ ١٢٦٣

واغرب ما اطّلعت عليهِ من القصائد التأريخية ما نظمهُ الشيخ محمد قبادو التونسي مشطّر قصيدة بشر بن أبي عوانة الشهيرة وقد رفع قصيدتهُ الى ساكن الجنان السلطان عبد المجيد ويُستخرَج منها الوف من التواريخ لسنة ١٢٧٦ هـ ويتولد منها قصيدة اخرى يستخرج منها كثيرٌ من ذلك مما

يدلّ على قوّة عارضة هذا الشاعر . والأُمّ هي ستة وثلاثون بيتاً والمولدة ثمانية عشر اذ يخرج من كل بيتين من الامّ بيت من المولدة ومطلع الأُمّ

خير حامٍ مجدٍ مجير العبيدِ　　　حاط خيراً مجرًى لعبد المجيدِ

حاطهُ عن عثار جعدٍ برجفٍ　　　منتجٍ جحد عرف ربق العهودِ

واما مطلع المولَّدة فهو

خير حامٍ مجير عبد المجيـدِ　　　عن عثارٍ برجف جحد عهودِ

وتُستخرَج هذه التواريخ منهما على طريقة استخراج الثمانية والعشرين تأريخاً من بيتي شيخنا المقدَّم ذكرهما في فتح عكاء وذلك ان كل شطرٍ برمتهِ تأريخ ومهمل كل شطر مع مهمل غيرهِ أو معجمهِ تاريخ وكذا معجم كل شطر مع معجم غيرهِ أو مهملهِ فتحصل هذه التواريخ من ضم المهمل والمعجم من كل شطر الى ما في سائر الشطور على التوالي . وقد استخرج ألفاظ القصيدة الثانية من نفس ألفاظ الاولى وميزّها بالحبر الاحمر بحيث اذا قُرئت الكلمات الحمرآء وحدها من القصيدة الاولى خرجت القصيدة الثانية ولا يخفى ما يقتضي ذلك من طول الباع في صناعة النظم والاقتدار في حساب التاريخ

وبالجملة فان هذا الفن دقيق يجب ان توضع عليهِ يد السلاسة والانسجام بحيث تكون كلمات التأريخ مستقلَّة بالمعنى مرتبطة بلفظة التأريخ خالية من الضرورات والجوازات الشعرية ولاسيما مثل ما يحتمل وجهين اذ يقع فيهِ التباس . ويجب ان تعتبر فيهِ الصورة اللفظية بحيث تحسب الالف المقصورة يآءً حيثما وقعت والهمزة حسب الحرف الذي تكتب بهِ وان كانت بدون حرف فلا تحسب شيئاً . والتـآء المربوطة تحسب كالمبسوطة الاَّ اذا وُقف

عقوبتهِ » فهل هذا هو المقصود في تفسير « انهرج » وكيف يقال ان النبيذ بالغ في عقوبة الرجل . فارجو بيان هذه الامور كلها ولكم الفضل

ارنست ابو طاقية

من متخرجي مدرسة اليسوعيين بالقاهرة

الجواب — امّا المسئلة الاولى وهي ما رَوتهُ عنا مجلة المشرق فلا علم لنا بها وانما هي من الصدق الجزويتي المعهود . . . والحمد لله انكم بحثتم في جميع مظانّها من كلامنا فلم تجدوها ولكن من لا تندى صفحتهُ من التكذيب لا يبالي باختلاق الاكاذيب . وهذا مثل زعمهم اننا غلَّطنا كتَّاب الجرائد في استعمال بارَح مكان بَرِح وقد لغطوا في هذه المسئلة وخلَّطوا الى ما لا مزيد عليهِ . والصحيح اننا لم نغلّط في ذلك احداً ولا ورد لهذه اللفظة ذكرٌ في الكلام على لغة الجرائد ولكنّا سئلنا عن هذا الاستعمال ايام كُنا نكتب في البيان فاجبنا عليهِ بما حضرنا وهذا نص السؤال والجواب

« طرابلس الشام ـ نرجو الافادة عن كلمتي بارَح وبَرِح هل يقال بارَح الرجل مكانهُ ام بَرِحهُ واي اللفظتين اصح في الاستعمال . ميشال غرّيب »

« الجواب ـ المنصوص عليهِ في كتب اللغة بَرِح المجرَّد ولم نجد بارَح في كلامٍ قديم وكانهُ محمولٌ عند من يستعملهُ على نحو فارَق وزايَل وغادَر كما حمل المتنبي تقصَّدهُ على تعمدَّهُ في قولهِ

تقصَّدهُ المقدار بين صحابهِ على ثقةٍ من دهرهِ وامانِ

وفي كلام المولدين شيءٌ كثير من امثال ذلك الا ان اجتناب مثل هذا الاستعمال مع وجود المندوحة عنهُ اولى» . انتهى بالحرف فليتأمل المنصفون

واما « طبل اقرب الموارد » فالمراد بهِ الرَبْعة وهي سلةٌ مغشاة بالجلد يُجعَل فيها الطيبُ وانما اهمل ذكرهُ بهذا المعنى في مادة (ط ب ل) لان صاحب محيط المحيط رحمهُ الله سها عن ذكرهِ هناك وقد نبهنا غير مرة الى ان هذا الكتاب نسخةٌ عن ذاك

واما قولهُ « اذى اهل مصر طبلاً » الخ فصوابهُ « ادّى » بالدال المهملة مشدّدةً فابدل التشديد بالإعجام لمشاكلة بقية الكتاب . . .

واما قولهُ في تفسير انهرج « بُلغ منهُ وأُنهِك » فصوابهُ « انهكّ » بتشديد الكاف وبناء الفعل للمعلوم وهو مطاوع هكّ من قولهم هكّ النبيذ فلاناً اذا بلغ منهُ كما تجدون ذلك في الكتاب نفسهِ في مادة (ه ك ك) وان لم يذكر مطاوع هذا الفعل هناك وهو مذكور في لسان العرب

آثار ادبيّة

تراجم مشاهير الشرق ـ صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب تأليف حضرة الفاضل جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغرآء وهو يتضمن تراجم اشهر العلمآء والادبآء والشعرآء والكتاب ممن نبع في القرن التاسع عشر . وقد تصفحنا بعض تلك التراجم فوجدناها حسنة التنسيق وافية ببيان مقامات المترجَمين على غير غلوٍّ ولا اجحاف مع ذكر ما انفردوا بهِ من المزايا الشخصية والعلمية والاشارة الى مكانهم من النهضة الحاليّة وتعديد مؤلفاتهم واعمالهم وسرد ما اتفق لهم من الحوادث اخذاً عن اوثق المصادر وامثل الروايات

والكتاب يشتمل على ٤٤ ترجمة مصدَّراً اكثرها بصور اصحابها وهو جيد الورق والطبع يقع فيما يزيد على ٢٤٠ صفحة كبيرة . فنحث ارباب المطالعة على مقتناهُ وهو يباع في مكتبة الهلال بالفجالة وثمنهُ ١٥ غرشاً مصرياً او ٤ فرنكات واجرة البريد نصف فرنك

جدول تحويل العملة ـ اهدى لنا حضرة الاديب ابرهيم افندي زيدان نسخةً من جدولٍ مطوَّل سرد فيهِ انواع النقود المصرية والفرنسوية والانكليزية والسورية والاميركانية مع تحويل بعضها الى قيم بعض وختمهُ بجدولين لتحويل الموازين الشرقية والافرنجية . ولا يخفى ما في هـذا الكتاب من الفائدة الكبيرة لاصحاب المعاملات من التجار وغيرهم وهو يطلب من مكتبة الهلال ومن سائر المكاتب المشهورة وثمنهُ خمسة غروش مصرية واجرة البريد غرش واحد

جرائد حديثة ـ وافتنا عدة جرائد عربية أُحدثت في هذا العهد منها جريدة « الإمام » لحضرة صاحبيها ومحرريها الفاضلين محمد بك ابو شادي مدير الجريدة ومحمود افندي واصف . وهي سياسية علمية ادبية قضائية تجارية تصدر في القاهرة مرة في الاسبوع وقيمة اشتراكها ٨٠ غرشاً مصرياً

ومنها جريدة « الصيحة » لحضرة صاحبها ومحررها ومدير سياستها محمود افندي الشاذلي وهي سياسية ادبية عمومية تصدر في مدينة طنطا مرة في الاسبوع وقيمة اشتراكها ١٠٠ غرش

ومنها جريدة « القليوبية » وهي علمية ادبية اخبارية فكاهية لحضرة

صاحبها ومديرها محمد افندي زكي الاتربي تصدر في ميت غمر مرة في الاسبوع
وقيمة اشتراكها السنوي ٢٥ غرشاً في القطر المصري و٣٠ في الخارج

ومنها جريدة « القاهرة » وهي وطنية اجتماعية عمرانية مديرها حضرة
بشير افندي يوسف وصاحب امتيازها نديم افندي الكواكبي وهي تصدر في
القاهرة مرتين في الشهر وقيمة اشتراكها ٣٠ غرشاً

ومنها جريدة « السودان » وهي سياسية ادبية تجارية مديرها ومحررها
حضرة محمود افندي القباني تطبع في مصر وقيمة اشتراكها السنوي ١٠٠ غرش
في مصر والسودان و٤٠ فرنكاً في غيرهما

ومنها جريدتان باسم « الاقبال » احداهما علمية تاريخية أخبارية
فنية لحضرة صاحبها ورئيس تحريرها عبد الباسط افندي الانسي تصدر في
مدينة بيروت مرةً في الاسبوع وقيمة اشتراكها في بيروت ولبنان ريالان
مجيديان وفي الولايات المحروسة ريالان ونصف وفي سائر الجهات ١٥ فرنكاً

والثانية سياسية ادبية تجارية حقوقية لحضرة صاحبيها يوسف افندي
صليبا وغصن افندي غصن وهي تُطبع في لورنس ماس من الولايات المتحدة
وقيمة اشتراكها السنوي ثلاثة ريالات اميركية في الولايات المتحدة وكندا
والمكسيك وثلاثة ونصف في غيرها

فنثني على همم أولئك الافاضل في خدمة العلم والحضارة ونرجو لجرائدهم
مزيد الرواج والانتشار

فكاهات

الرسالة المفقودة [1]

كانت الجنود الانكليزية كما يعلم الجميع تحارب كتفًا الى كتف مع الجنود المصرية في اراضي السودان لاسترجاعهِ ولكنها كانت مع هذه الموافقة والمخالطة سائرةً على نظامها الخاص تحت امرة قواد مخصوصين مرجعهم الى حكم السردار . وكان في بعض الفرق الانكليزية صديقان حميمان من لندن يدعى احدهما هرجر والثاني فلكونر كانا من الاسر الغنية فدخلا المدرسة الحربية معًا واتقنا الفنون العسكرية ولما بلغهما ان الحرب دارت رحاها في صحاري السودان سوّلت لهما النفس يدخلا هذه المعمعة علهما يصيبان شيئًا من اكاليل الغار فجعلا يتوقعان الفرصة الى ان دعت الحال الى استقدام عساكر انكليزية جديدة من انكلترا فكان نصيبهما ان جآءا هذا القطر وهما يعللان النفس و بعدانها بالفوز والارتقآء

وكان حظ هرجر اكثر مساعدةً من حظ رفيقهِ فارتقى الى قيادة فرقتهِ وجُعل فلكونر ثانيهُ في نفس الفرقة غير ان هذا التمييز لم يكن لهُ تأثير بينهما الا في المرقف العسكري اما في الاوقات الاخرى فكانا اخوين لا يفترقان . وكانا يتوقعان قدوم البريد الاوربي بكل اشتياق فاذا جآء اخذ كلٌّ ما يخصهُ من الرسائل وذهب الى خيمتهِ فلا يعود يراهُ رفيقهُ الى الصباح . ولم يكن جميع ما ذكر دليلاً على صدق الوداد وصفآء القلوب بين الاثنين فلو تأمل الناظر فيهما وهما مجتمعان يتحدثان لوجد في اعينهما غشآءً يغطي ما ورآءهُ من هيجان براكين مندفعة من القلب وانهما كخيول الرهان تعيش في اسطبلٍ واحد ويحن بعضها الى بعض الى ان تجيء ساعة السباق فينسى الواحد صاحبهُ بل يتمنى لهُ الهلاك كي لا يبلغ الغاية قبلهُ

---

(١) معرّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وحدث في شهر مايو سنة ١٨٩٦ ان اقتربت الجيوش الانكليزية والمصرية من عكاشة وكانت الدراويش مستولية عليها فخطط السردار طريقة الهجوم واصدر الاوامر اللازمة لقواد الفرق واستعد الجميع لمناشبة القتال في الغد . وعند منتصف الليل استدعى القائد هرجر ثانيةً فلكونر وقال لهُ خذ مئة فارس واذهب بهم الآن الى الجهة الشرقية من عكاشة وتربصوا فيها الى الصباح حتى اذا ابتدأت المعركة بيننا وبين رجال المهدي توافونا من تلك الجهة فيكون لجناح الجيش منكم سندٌ عظيم. فقال فلكونر وقد ظهرت على وجههِ علامات الاستغراب أصحيحٌ ما تقولهُ يا هرجر ام انت تمزح . قال لسنا الآن في موقف مزاح بل في وقت اعطاء الاوامر العسكرية . فقال فلكونر لا يخفى عليك ايها العزيز ان الارض مجهولة منا تماماً ولم يسبق ان ارسلنا فيها طلائع فربما تقودنا خطواتنا توًّا الى حيث تكمن الدراويش فنقع في ايديهم غنيمة باردة . ولا اقول ذلك ضنًّا بحياتي او خوفاً من الموت ولكن لا ارى من الحزم ان يُسمح بقتل مئة فارس يحتاج اليهم في موقفٍ اهم ولغايةٍ انفع . فقطب هرجر حاجبيهِ وقال ربما كان هذا رأيك يا فلكونر ولكنهُ غير رأيي انا وانما اعلم شيئاً واحداً وهو انهُ لو كنت انت رئيسي والقيت عليَّ اوامرك لما تأخرت دقيقة واحدة عن العمل بموجبها . فصمت فلكونر هنيهةً جالت في اثنائها افكار كثيرة في رأسهِ ثم حيَّا التحية العسكرية وقال امرك مطاعٌ يا مولاي فانا ذاهب . وبعد نصف ساعةٍ من هذه المقابلة كان فلكونر في طليعة المئة الفارس يقودهم في الظلام الدامس وهم لا يدرون شيئاً من امرهِ بل لم يدرِ فلكونر نفسهُ الى اين تقودهُ قدماهُ فادار وجههُ الى جهة انكلترا مسقط رأسهِ وتنهد من كبدٍ حرَّى واستأنف مسيرهُ

وكانت جيوش الظلام الحالك تنهزم امام طلائع نور الشفق الى ان بزغ الفجر فجعل فلكونر منظارهُ على عينيهِ فرأى في النقطة التي امرهُ هرجر بالمسير اليها عدداً غفيراً من الدراويش قد غطى كل تلك البقعة لكثرتهِ وعلم انهم اذا رأوهُ ورجالهُ فلا بد من هجومهم عليهِ وحصد تلك الشرذمة الصغيرة في لحظة من الزمن فامر فرسانهُ بالوقوف واخذ ورقة وكتب عليها الى القائد هرجر يعلمهُ بما رأى وبخطر الموقف

وانهُ سيلبث في النقطة التي بلغها الى ان يصله امرهُ بالرجوع لانهُ يستحيل التقدم بعد . ثم اعطى الرسالة الى احد اعوانهِ وامرهُ ان يرجع بها الى القائد بمنتهى السرعة ويعود بالجواب . فاعمل الرسول في شاكلة جوادهِ المهماز وسار ينهب الارض نهباً الى ان بلغ هرجر فاعطاهُ الرسالة وترجل ليبدل حصانهُ لانهُ لم يكن يقوى على الرجوع بمثل السرعة التي جآء بها . وما كاد يفعل حتى ناداهُ هرجر وكان وحدهُ في خيمتهِ فقال لهُ عد حالاً الى فلكونر وقل لهُ يتبع اوامري الاولى واعلمهُ انهُ مسؤولٌ عن كل تأخير يحدث بسبب مخالفتهِ الاوامر كما اني سألقي عليهِ تبعة هذا التردد الذي ابداهُ مرتين . فحيَّا الرسول وعاد كوميض البرق الى ان ادرك فلكونر فانهى اليهِ جواب القائد الشفاهي وهو لا يدرك شيئاً غير ما سمع . اما فلكونر فلم يظهر عليهِ اقل تأثر وامر فرسانهُ للحال باستئناف المسير فكانوا يتقدمون شيئاً فشيئاً الى جهة الدراويش وهؤلآء عنهم غافلون

وبعد مدة قصيرة ارتفع من جوانب البلدة صراخ يصم الآذان وعلت الغوغآء من جهات مختلفة ثم سمع فلكونر اطلاق البنادق فتأكد ان القتال قد انتشب ورأى ان الدراويش الذين كانوا في تلك البقعة قد ابصروهُ ومن معهُ من تلك الشرذمة القليلة فأقبلوا عليهِ وهم كالنمل الزاحف فلم يفقد شيئاً من شجاعتهِ فأصدر امرهُ الى رجالهِ بمداومة المسير والاستعداد للقتال . ولم يكن الا قليل حتى أُطلقت اول رصاصة اصابت الرسول الذي كان قد بعثهُ فلكونر الى هرجر فخرَّ صريعاً فشهر فلكونر حسامهُ باليد الواحدة ومسدسهُ بالاخرى وخاض برجالهِ ذلك البحر العجاج سابحاً بين نيران البنادق ومطر الحراب . واحدقت برجالهِ الدراويش فكان نحو عشرة منهم لكل فارس وحانت منهُ نظرة الى اتباعهِ فوجد انهُ لم يبقَ منهم سوى اقل من نصفهم فنزلت ضبابة كثيفة على عينيه وايقن بالهلاك .ولكنهُ صمم على عدم التقهقر وكانهُ قد فقد عقلهُ فكانت ضرباتهُ تلمع يميناً وشمالاً كالبرق الخاطف وهو ثملٌ بهول ذلك الموقف

ودخلت جيوش السردار عكاشة من الجانب الآخر مطاردةً الدراويش بعد ما

هزمتهم شر هزيمة وملأت الارض من قتلاهم وابصر السردار العدد الغفير منهم المحيط برجال فلكونر القلائل فتعجب لوجودهم هنالك وامر للحال بعض الفرق ان تسير لنجدتهم ففعلت ورأى الدراويش ذلك فتقهقروا تاركين ورآءهم عددًا كبيرًا من القتلى والجرحى وكُتبت لفلكونر الحياة فبقي ومعهُ نحو العشرين من رجالهِ فقط . ومرَّ السردار بجانبهِ فقال لهُ ستؤدي حسابًا يا هذا عن وجودك هنا بدون امري وستجاوب عن شهدآء طيشك هؤلاء ثم وخز جوادهُ وكرَّ راجعًا الى بقية الجيش

ولما انتهى القتال واستراحت الجنود استدعى السردار قوادهُ واثنى على همتهم ونشاطهم بما يستحقون وكان من جملتهم هرجر فاصابهُ من الثنآء اعظمهُ ومن الاكرام اكثرهُ لان جنودهُ كانت قد ابلت البلاء الحسن في تلك المعركة . ثم استُدعي فلكونر فسألهُ السردار عن سبب هجومهِ مع رجالهِ القلائل الى حيث رآهُ وقد فقد ثلاثة ارباع فرسانهِ . فقال فلكونر لا استطيع يا مولاي ان اجيبك عن هذا سوى انني عملت بالاوامر المعطاة لي . فقال السردار واي احمق اعطاك مثل هذه الاوامر . قال رئيسي هرجر ثم اخبرهُ بما حصل تمامًا . وكان هرجر مصغيًا فقال لا صحة لرواية فلكونر البتة ولم تبلغني رسالةٌ منهُ قط بل انني تعجبت جدًّا حين قام الجيش للهجوم ولم ارَ فلكونر بجانبي . فاختدم فلكونر غيظًا وعلم انهُ لا واسطة لهُ يستشهد بها على صحة روايتهِ فان اوامر هرجر كانت شفاهية وقد انكرها والرسول الذي بعثهُ اليهِ قتل فلم يبقَ لهُ الا كلامهُ فقط وقد كذّبهُ هرجر فحرق الأُرَّم غيظًا وصمت . فقال السردار اما انا فما عليَّ الا ابلاغ ما جرى الى نظارة الحربية وهي تحكم بما تراهُ

ولما عادت الجنود الانكليزية الى انكلترا دُعي هرجر وفلكونر الى مجلس عسكري وجرت المحاكمة فذكر فلكونر انهُ نبَّه قائدهُ اولاً شفاهًا ثم برسالةٍ مكتوبة وان ذلك الحَّ عليهِ بالتقدم وهددهُ بالمعاقبة اذا خالف الامر فلم يسعهُ الا الانقياد لاوامره . وكان هرجر ينكر تمام الانكار ما نسب اليهِ ويؤكد انهُ لم تبلغهُ الرسالة ولا عرف شيئًا من ذلك . وكان قد اثر على المجلس ما كتبهُ السردار من المدح والاطرآء لهرجر وكان كما ذكرنا من الاسر المنظورة فاصدر المجلس حكمهُ بتجريم فلكونر

فاجبروهُ ان يستعفي من الخدمة ولبث هرجر في عز ونعيم يزداد تقدماً ويترنح بخمرة انتصارهِ وكوفئ بمنحهِ لقب لرد فايقن انهُ نال منتهى السعادة والصفاء . وعاد فلكونر الى بيتهِ وقد اخفى في صدرهِ احرّ من نار الجحيم ولكنهُ علم ان ليس بيدهِ حيلة

. . . .

كان في مدينة لندن سيدةٌ من اشرافها تدعى اللادي هيوبرت اشتهرت بحسن الصفات ومحبة الناس وكانت من حين الى آخر تولم في قصرها الولائم فيجتمع على مائدتها عدد غفير من الاصدقاء والمعارف يتمتعون بأنس اللادي هيوبرت وما كلها اللذيذة الى الصباح . وحدث انها دعت يوماً جماعة من معارفها الى وليمة حسب العادة فلما جاءت ساعة العشاء اخذ المدعوون في الحضور وهي تستقبلهم بما فطرت عليهِ من حسن الحديث وطلاوتهِ . وكان من جملتهم الجنرال هرجر وزوجتهُ وشقيقتها وهي فتاة تدعى املي لم تتم الخامسة عشرة من سنيها وهي من ذوات الجمال الساحر فقابلتهم اللادي هيوبرت وادخلتهم الى ضيوفها . ولما ازف وقت الجلوس الى المائدة فتح الباب ودخل آخر المدعوين وهو المستر فلكونر . وكانت اللادي هيوبرت لا تجهل ما بينهُ وبين اللرد هرجر ولكنها سهت عن ذلك عند ارسال الدعوات ولم تنتبه الى غلطها الاّ بعد دخول فلكونر فما وقعت عينها عليهِ حتى صبغ الاحمرار وجنتيها ولكنها تمالكت واستقبلتهُ بمهارتها المعهودة وهي تود ان يتم ذلك الاجتماع على صفاء . اما هرجر فلما تبين فلكونر قطب حاجبيهِ وعاد الى كرسيهِ متنكراً ولم يملك نفسهُ من اطلاق بعض الشتائم المرَّة في حق اللادي هيوبرت لجمعها بينهُ وبين عدوهِ فلكونر . اما فلكونر فراى بنظرةٍ واحدة جميع الحضور فحيَّا بخفض الراس بكل عظمةٍ ثم اخذ يتكلم مع اللادي هيوبرت . وكانت املي جالسة بقرب شقيقتها زوجة هرجر فلما سمعت اسم فلكونر ورأتهُ وثبت اليهِ بسرعة البرق فاتحةً ذراعيها وحيتهُ بمنتهى الشوق والانعطاف ثم اخذت تعاتبهُ على مسمع الجميع على عدم زيارتهِ لهم مع انهُ كان لا يمر اليوم الواحد الا تراهُ مرتين او اكثر في بيتها . اما اللادي هيوبرت فاسرعت الى تلافي الامر ودعت الجميع الى المائدة فقاموا وكان

من نصيب فلكونر ان اتفق جلوسهُ بجانب املي وكانت هي تعدّ تلك الساعة من ساعات السعادة فأخذا يتنازعان اطراف الحديث . ولما فرغوا من الطعام خلت املي باللادي هيوبرت وقالت لها قد لاحظت ان بين زوج اختي وفلكونر نفورًا فاحب ان اعرف سببهُ . فقالت اللادي هيوبرت نعم ان ما لاحظتهِ لصواب يا عزيزتي وساطلعكِ على هذا الامر في فرصةٍ اخرى . فقالت املي كلا بل اودّ معرفتهُ الآن . ورأت اللادي هيوبرت ان ضيوفها مشتغلون بالعابٍ ومسامرات فلم ترَ مانعاً من اجابة طلب املي وقصت عليها ما يأتي قالت

كانت شقيقتكِ يا املي آية الجمالِ والظرف فكان الشبان يكثرون من التردد لطلب يدها ولكنها رفضتهم جميعاً ولم تكن تميل الاّ الى اثنين صديقين وهما هرجر وفلكونر وكانت تحبهما محبةً متساوية ولا تدري من تفضّل من الاثنين فبقيت تعللهما بالمواعيد وهي لا تجزم باختيار واحدٍ منهما . وكان فلكونر يتردد عليكما كما ذكرتِ ويأخذ لكِ الهدايا الكثيرة رغبةً في التقرب الى شقيقتكِ ونيل رضاها . فلما طلبت الجنود للحرب السودانية سافر هرجر وفلكونر في جملتهم واذ ذاك توقعت شقيقتكِ ان يكون في هذه السفرة فصل الخطاب اذ لا بدّ من حدوث ما يمتاز بهِ الواحد عن الآخر . ولما عادا وجرت المحاكمة العسكرية بخصوص رسالةٍ ادعى فلكونر انهُ ارسلها الى هرجر واقسم هذا انها لم تصلهُ أُمر فلكونر ان يقدم استعفاءَهُ من الجندية ثم ترقى هرجر الى رتبة جنرال ونال لقب لرد فلم يعد من الصعب على شقيقتكِ ان تجزم باختيارهِ ولم تلبث بعد ذلك حتى صارت اللادي هرجر . ويهون عليكِ بعد هذا يا عزيزتي ان تعلمي بنفسكِ سبب نفور فلكونر من هرجر بعد ما سلبهُ حبيبتهُ وفاز عليهِ بالترقي . فقالت املي بربكِ اخبريني قصة الرسالة ايضاً . فتلت عليها اللادي هيوبرت القصة كما جاءَت في اول هذه الرواية وكانت املي تصغي بمزيد الانتباه وعيناها سابحتان بالدموع شاخصتان الى حيث كان فلكونر جالساً وحدهُ يقلب صفحات مجلدٍ ضخم

وعادت اللادي هيوبرت الى ما بين ضيوفها واذا بهرجر قد قام مستأذنًا في

الانصراف بحجة انهُ مدعوٌّ مع زوجتهِ الى اجتماع ٍلابد من حضورهِ فخرجا واخذا معهما املي . ولما خلت اللادي هرجر في عربتها مع زوجها وشقيقتها اخذت توبخ املي على تصرفها في مقابلة فلكونر وقالت لها بما انكِ لا تزالين تسيئين التصرف في المجتمعات العمومية فلا تذهبين معنا الليلة بل نوصلكِ الى البيت ونذهب وحدنا . اما املي فلم تنبس ببنت شفة وكانت افكارها مشتغلةً بما سمعتهُ عن فلكونر من اللادي هيوبرت وما جرى بينها وبينهُ من الحديث في اثنآء الطعام

ووقفت العربة امام قصر اللرد هرجر فنزلت املي ودخلت الى غرفتها واتمّ اللرد وزوجتهُ مسيرهما الى حيث دعيا . ولما بلغت املي غرفتها خلعت ثيابها ولكنها لم تجد عندها ميلاً الى الرقاد فجلست مدةً مفكرةً ثم خطر لها ان شقيقتها سمحت لها منذ بضعة ايام في انتقآء بعض الملابس القديمة من غرفتها وترميمها لتقدمها الى سوق الشفقة . فانارت مصباحها ونزلت الى تلك الغرفة ففتحت خزانة وجعلت تسلي نفسها بتفقد الثياب المذكورة . وما زالت على هذه الحال الى ان وقعت بين يديها بذلة عسكرية من الكتان الاسمر وهي البذلة التي كان يلبسها هرجر وقت الحرب . فقالت الآن علمت مقدار محبة شقيقتي لزوجها فلو كان هرجر زوجي لما سمحت بهذه البذلة قط ولحرصت عليها اشد الحرص . ولكن ما لنا ولهذا فماذا استطيع ان افعل بهذا الثوب . ثم جعلت تقلبهُ وتراجع افكارها في كيفية ترميمهِ ثم مدت يدها الى جيوبهِ مخافة ان يكون هرجر قد اودع فيها شيئاً يحتاج اليهِ ودخلت يدها الى جيبٍ مشقوقٍ بدون انتباه فشعرت بملامسة قطعةٍ من الورق مجعدة فاخرجتها وهي لا تدري ما هي ثم فتحتها وما وقع نظرها عليها حتى وثبت عن الارض كأن قوة كهربائية قد رفعتها وحدّقت ببصرها الى تلك الورقة فقرأت فيها رسالة موقعاً عليها باسم فلكونر ومرسلة الى هرجر وعلمت انها نفس الرسالة التي انكرها هرجر كما مرَّ

ولما عاد هرجر وزوجتهُ الى البيت رأت اللادي هرجر نوراً في غرفة ملابسها فدخلت فوجدت شقيقتها في الحالة التي ذكرناها . فقالت لها ماذا تفعلين هنا يا املي اظنكِ تنتقين الثياب التي وضعتها لكِ على حدة . قالت نعم يا شقيقتي ولم يكن

ذلك منكِ انتِ بل هو الهامٌ من الله جعلكِ تنبهيني الى هذا العمل لكشف القناع عن الرجل الذي يقسم بشرفهِ كذبًا ولارجاع شرف البريء المتهم ظلمًا وعدوانًا . فقالت اللادي هرجر وقد عجبت من لهجة شقيقتها .اذا تعنين يا املي وما مرادكِ بهذا الكلام . قالت مرادي ان اسألكِ هل تعتقدين بصدق كلام زوجكِ وان فلكونر لم يرسل اليهِ تلك الرسالة في واقعة عكاشة في السودان . قالت نعم اعتقد ذلك ولكن ماذا تريدين بهذا السؤال . قالت اريد ان اخبركِ انهُ قد وضح الحق وقد وجدت الرسالة بعينها في ثوب زوجكِ المخاتل هذا وان لديَّ البرهان الواضح الذي يظهر للملأ اجمع خيانة هرجر وكذبهُ و براءة فلكونر وحقهُ المهضوم ظلمًا

وكانت اللادي هارجر كمن يرى حلمًا فوقفت حينًا صامتةً ولكنها رأت ثوب زوجها العسكري والرسالة في يد شقيقتها فلم يبقَ عندها ريب في حقيقة ما تسمع وادركت بلحظة واحدة عظم الامر فقالت لشقيقتها بصوتٍ خافت يا املي تعسًا لي فقد وقعت بين يدي رجلٍ لا شرف لهُ ولكن قد قضي الامر فينبغي ان لا نهدم بيتنا بيدنا فهاتي هذه الرسالة لنلاشيها . فقالت املي ضاحكةً نلاشيها ؟ كلا بل نعطيها لفلكونر ليستعين بها في اثبات براءتهِ . فقالت اللادي هرجر اذكري يا املي ان بذلك خراب اختكِ وخراب صهركِ الذي اعتنى بكِ وتعيشين في بيتهِ . قالت اجل واذكر رجلاً مظلومًا بنيتم اساس مجدكم الكاذب على انقاض صدقهِ ونزاهتهِ . ولما قالت هذا طوت الرسالة واخفتها في صدرها تحت ثوبها ورأت ذلك شقيقتها فهجمت عليها لتأخذها منها رغمًا عنها وحصل بين الشقيقتين عراك شديد كادت تتغلب فيه اللادي هرجر على شقيقتها الضعيفة لو لا انها عثرت برجل كرسيٍ كان بجانبها فهوت الى الارض واغتنمت املي الفرصة فوثبت الى خارج الغرفة واغلقت الباب وراءها بعنف

ولبثت اللادي هرجر واقفةً تفكر فيما يجب ان تصنع ثم ذهبت لاتباع املي فلم تجدها في غرفتها و بعد ان بحثت في كل انحاء القصر بهدوءٍ لكي لا يعلم زوجها علمت من البواب انهُ رآها خارجة من باب الحديقة . فطار رشد اللادي هرجر وتأكدت ان املي ستتوجه توًّا الى فلكونر وتسلمهُ الرسالة . فاستدعت خادمتها واخبرتها انها ذاهبة

في امرٍ مهمٍ جدًّا واوصتها ان لا تدع لارد يعلم بغيابها ثم خرجت وما سارت قليلاً حتى وجدت عربةً ركبتها وتوجهت الى الفندق الذي يقيم فيهِ فلكونر وكان فلكونر لا يزال مستيقظًا فقرعت باب غرفتهِ بيدٍ راجفة ولما فتح ورآها استغرب مجيئها في تلك الساعة. فقالت لهُ اسألك اول كل شيء ان تعذرني على قدومي الآن بهذه الصفة وانما جئتك لامرٍ فيهِ موتٌ وحياة فهل جاءَت شقيقتي املي الى هنا . فقال مستغربًا كلاّ واي شيء يستدعي مجيئها . فوقفت هنيهةً مترددة ثم صممت عزمها فاقتربت من فلكونر واخذت بيدهِ وقالت ايها الشهم ساخبرك بسرٍ عظيم وانما ارجو ان تقسم لي انك لا تسعى في خرابي والحت عليهِ فاقسم لها . فقالت قد احببتك كما كنت تعلم وكان حبي لك اقوى منهُ لسواك اضعافًا ولكنني انبهرت بارتقاء هرجر ومجدهِ ففضلتهُ عليك غيرانني اواه قد نلت الآن جزاء حماقتي وغروري فكفاني قصاصًا مرًّا ان اكون زوجة رجلٍ ليس لهُ من الشرف الا الاسم الظاهر واما داخلهُ فمكر وخداع . ثم قصت عليهِ ما جرى بينها وبين املي في تلك الليلة واخبرتهُ بوجود الرسالة وانها تأكدت ان الرسالة وصلت الى هرجر في وقتها وانهُ عن غير تروٍ جعَّدها بيديهِ ووضعها في جيبهِ فسقطت الى داخل البطانة وانهُ ولا بد قد تأكد فقدها والاَّ لما ابقاها وتجاسر ان ينكرها . ثم جثت على ركبتيها امام فلكونر وانحدرت دموعها على يدهِ وقالت بربك يا فلكونر اصفح لي واعفُ عن زوجي ليس لاجلهِ بل لاجلي ولا تجرَّ عليَّ الويل والاهانة فان كلمةً واحدة منك بعد وصول الرسالة الى يدك ترمي بنا من ذروة العز الى وهدة الخزي والعار بل توصلني الى قبري باكرًا . فتأثر فلكونر من دموعها وانهضها وقال لا . اني لا اغتنم هذه الفرصة للانتقام بل انتقم منكما بسكوتي . اما سعيي لتبرئة نفسي فقد مضى وقتهُ ولا يهمني اعادتهُ بعد خسارتي اياكِ وقد كنت اظنك سعادتي في هذه الحياة الدنيا . وقد نسيت ماضيَّ ونسيتكما من زمنٍ طويل فلا تذكريني بما لا احبُّ والآن ارجو ان تعودي من حيث اتيتِ واطلب اليكِ ان تجتهدي في ان لا نتقابل بعد الآن . فضغطت اللادي هرجر على يد فلكونر وكانت دموعها تمنعها عن الكلام ثم حنت رأسها مودعةً وخرجت

ولم تمضِ بضع دقائق على فلكونر حتى سمع باب غرفتهِ يقرع ثانيةً ففتح واذا باملي داخلة اليهِ بثياب النوم وقد القت على كتفيها شالاً خفيفاً فقابلها فلكونر باسماً . فقالت لهُ اعذرني ايها العزيز لمجيئي اليك بهذه الحالة فاني قد وجدت لك ما يثبت براءَتك ويعيدك الى اسمى مركزٍ تؤمله فخذ هذه الرسالة التي كتبتها الى هرجر الخائن وقد وجدتها في ثوبهِ هذه الليلة . ثم اخرجت الرسالة من صدرها وناولتهُ اياها فمد يدهُ واخذها منها ثم ادناها من شمعةٍ متقدة بجانبهِ ولم يتركها حتى سقطت برمتها رماداً . اما املي فوقفت حائرة لا تدري لعلهُ كان قد فقد عقلهُ . ورأى فلكونر منها ذلك فقال كانت شقيقتك هنا قبلك يا املي وقد اقسمتُ لها ان لا اسعى في خراب بيتها وزوجها وفضلاً عن ذلك فلم تعد تهمني براءَتي وقد عزمت على مغادرة انكلترا والذهاب الى بلادٍ بعيدة انسى فيها مسقط رأسي ومعارفي كما نسوني . اما انتِ فلا ارى كيف اعبر لكِ عن شكري العظيم ايها الملك الطاهر . فصمتت املي هنيهةً ثم قالت بصوتٍ خافت تذهب والى اين وماذا يحلّ بي الان وشقيقتي لا تقبلني بعد الان في بيتها . قال وماذا افتكرتِ ان تفعلي اذًا . قالت ان ابقى واياك فقد احببتك يا فلكونر ولن انسى ايام كنت صغيرة وكنت تزورنا وتحملني بين ذراعيك . قال نعم واما الان فلا يمكن ذلك فانتِ في مقتبل حياتك وانا قد وخط رأسي الشيب . قالت ما لي ولهذا فانا احبك ولن افارقك بعد الان

. . . .

وفي نفس الاسبوع تعجب معارف الطرفين اذ قرأوا في جرائد لندن خبر اقتران فلكونر باملي شقيقة اللادي هرجر وسافر العروسان على الاثر لقضاء شهر العسل . ومع ان العلاقات الودية بقيت غير محكمة العرى بين العديلين والشقيقتين فان سرّ الرسالة لم يزل مكتوماً الى ان سمح هرجر بنشرهِ وهو على فراش الموت

الفينيقيون

(تابع لما في الجزء السابق)

وكان لهم في الصناعة اليد الطولى ولا سيما في صنع المعادن والمنسوجات وضروب الوشي والزخرفة والتماثيل المعدنية والحجرية . وقد جآء في التوراة في وصف حيرام الصوري انهُ كان خبيراً بعمل الذهب والفضة والنحاس والحديد والحجر والخشب والارجوان والسمنجوني والبزّ والقرمز وصناعة كل نقش واختراع كل شيء يُلقَى اليهِ . ومن بدائع مصنوعاتهِ في هيكل سليمان العمودان الهائلان اللذان نصبهما في رواق الهيكل وهما المسميان بياكين وبُوعَز سبكهما من نحاس وكان طول الواحد منهما ثماني عشرة ذراعاً ومحيطهُ اثنتي عشرة وسبك لكلٍّ منهما تاجاً على شكل زهرة سوسن ارتفاعهُ خمس اذرع تحيط باصلهِ مئتا رمانةٍ قد نُظمت صفَّين . ثم الحوض المسمى بالبحر سبكهُ مستديراً على شكل سوسنة وجعل قطرهُ عشر اذرع في مثل نصفها ارتفاعاً واقامهُ على اثني عشر ثوراً كل ثلاثة تنظر الى جهة من الجهات الاربع . وسبك معهُ عشرة ابازن للاغتسال ركَّبها على قواعد تجري على بكر من نحاس ونقش عليها اسوداً وثيراناً وكَرُوبين وجعل فوق هذه وتحتها قلائد زهور متدلية الى آخر ما ذُكر من الوصف هناك

ثم ان الفينيقيين هم اول من زاول صنع الزجاج واول من اتخذ منهُ المرآئي وكانت قبل ذلك تتخذ من صفائح المعدن . وكانوا ولا ريب قد اهتدوا الى معالجة الزجاج باضافة المنغنيز الى الرمل والصودا للزيادة في شفوفهِ وصفآء

مآئهِ ويقال انهم كانوا يقلدون بهِ الحجارة الكريمة ويلوّنونهُ بالاكاسيد المعدنية . وهم اول من استعمل في الصناعة البوري والمخرطة والازميل ونُقل عن سنكُنيات المقدم ذكرهُ ان الصيدونيين هم الذين وضعوا فن الموسيقى واليهم ينتهي اختراع اكثر الآلات القديمة وفي رأي بعضهم ان هذا الفن لم يبلغ ما بلغهُ من الاتقان عند الاسرائيليين لعهد داود الاّ لما كان من استحكام الصلات بين بلاط اورشليم وبلاط صور

الا ان اعظم اختراع يُنسَب الى الفينيقيين هو استنباطهم لصناعة الكتابة والمراد بها الكتابة بحدّها المعروف اليوم اي المؤلفة من حروفٍ ذات مقاطع فان الكتابة التي كانت متعارَفةً قبل ذلك من مثل الرسوم الصينية والهيرغليفية انما كانت رموزاً يُدَلّ بها على الكلمات دون الحروف وبعبارةٍ اخرى كانت صوراً للمعاني دون الالفاظ فكان تعلُّمها يقتضي درساً طويلاً لكثرة اشكالها واختلاف مدلولاتها فضلاً عما يقع فيها احياناً من الالتباس ولذلك لم تكن جديرةً بان يعمّ استعمالها جميع طبقات المجتمع . وبخلافها الحرف الفينيقي لرجوعهِ الى تركيب الصور اللفظية وانحصارهِ في عدد معلوم من الاشكال هو عدد المقاطع التي تتركب منها تلك الصور ولذلك لم يكد يشتهر هذا الاختراع حتى تناولتهُ الامم المجاورة ثم لم يلبث ان شاع في جميع اطراف آسيا وسواحل افريقيا وجاز البحر الفاصل بين آسيا واوربا فدخل كريت وبلاد اليونان وصِقلّية وايطاليا واسپانيا وانتشر من هنالك الى شمالي اوربا وكان سبباً في تمدن اكثر امم الارض

واما لغة الفينيقيين فمع انتشارها في كل موضعٍ وصلت اليهِ طوارئهم

ومع كثرة ما وُجد لهم من الآثار والدفائن لم يعثر الباحثون منها على القدر الكافي للكشف عن حقيقتها غير انها بلا ريب كانت من الفروع الساميّة كما يُستدَلّ عليهِ من الكتابات القليلة التي وُجدت في بعض دفائن قبرس ومرسيليا وغيرها . وفي كلام اشعيآء ما يؤخذ منهُ انها هي العبرانية بعينها لانهُ يسمي هذه اللغة بلغة كنعان وهو ما تؤيدهُ الادلة التاريخية والشواهد اللفظية كما اثبتناهُ في الكلام على اصل اللغات الساميّة [١] مما لا نكررهُ في هذا الموضع طلباً للاختصار . على انهُ قد تبين من بعض ما في الكتابات المذكورة ان هذه اللغة تختلف بعض الشيء عن اللغة المدوَّنة في التوراة وقد وُجد فيها كلمات عربية وحميرية وحبشية لا وجود لها في العبرانية او توجد فيها ولكن بغير مدلولها الفينيقيّ . والاظهر ان هذا الاختلاف نشأ بسبب مهاجرة بني اسرائيل ذلك الزمن الطويل واختلاطهم بالمصريين وما عرض لهم من تبدُّل العادات والشؤون مما لا بدّ ان يكون قد حدث شيءٌ من مثلهِ عند الكنعانيين ايضاً فنشأ بين الفريقين من تباين اللهجة ما ينشأ عادةً بين اصحاب اللغة الواحدة اذا اتفق لهم مثل ذلك . وقد وقع مثل هذا الاختلاف بين لغة فينيقية ولغة قرطاجة مع تحقق وحدة الاصل فيهما وهو ولا ريب مسببٌ عن مثل ما ذُكر

وقد انقرضت اللغة الفينيقية منذ ازمانٍ بعيدة لما توالى على اهلها من الجوائح وما تبدل على ارضهم من الدول ولا سيما بعد وقوعهم في قبضة الرومان وكان آخر ما عُهد منها في قرطاجة ونواحيها من بلاد افريقيا وذكر القديس

(١) انظر مجلد السنة الرابعة ص ٤٨٨ و ٤٨٩

ايرونيموس في القرن الرابع بعد الميلاد انها كانت باقية الى ايامهِ وذلك بعد خراب قرطاجة على يد الرومان بما يزيد على ٥٠٠ سنة

اما دين الفينيقيين فهو كسائر شؤونهم لم يبقَ ما يُعرَف منهُ الا الشيء القليل وقد كتب عنهُ جماعةٌ منهم ثيودُوطس وهِبسِكرات وهيّرُونيمس المصري وغيرهم ولعلّ اصحّ ما ورد فيهِ ما نُقل عن سَنكُنْيات المقدَّم ذكرهُ. ومحصَّل ما جاء في تلك المنقولات ان الفينيقيين كانوا يرجعون في عقائدهم الى كتبٍ مُنزَلة على حدّ سائر امثالهم من الامم الكبرى لذلك العهد كالبابليين والمصريين وغيرهم وقد أُنزلت تلك الكتب اليهم على يد تآؤُوت اله الحكمة عندهم وهو فيما يرى بعضهم نفس توث اله المصريين المعروف عند اليونان بهِرمِس وقد اوحى اليهِ بها بعل الاله الاعظم وكان هذا الاله الحكيم ينزل حكمتهُ على عَمَد الهياكل او يودعها الواح الكتب المقدسة

على ان ما نُقل عن سنكنيات لم يخلُ من مخالطة اشياء من فلسفة اليهود واليونان والمصريين كما يتبين ذلك مما روى عنهُ اوسابيوس القيصري وهو في الغالب مقصورٌ على البحث في كيفية الخلق وكلهُ مورًّى تحت الرموز والاسرار. وخلاصة ما ذُكر فيهِ انهُ في البدء كان يملأُ الفضاء هواءٌ مظلم وقد انتشرت في ذلك الهواء نسمة الروح وكلاهما لا يحيط بهِ حيّز ولا يحدُّهُ زمن . ثم ان عناصر الهواء عشق بعضها بعضاً فاتحدت وتولد عن هذا الاتحاد الطين او الحمأ وكان هو جرثومة الخلق باسرهِ. ولما خُلقت الكائنات الحية كانت فاقدة الحسّ ثم تولد عنها كائناتٌ اخرى حية عاقلة كانت على شكل بيضة وسميت زُوفًا سَمِين (وبالعبرانية صُوفًا شَمايِم) اي

حارس السماوات . و بعد ذلك ظهرت من جوف ذلك الحمأ الشمس والقمر والنجوم والكواكب الكبرى اي صُوَر النجوم. ولما التهب الهوآء بحرارة الارض والبحر نشأت الريح والسحاب وعقب ذلك انهمار مياهٍ كثيرة من السمآء انصبّت بغزارة عظيمة ثم تبددت بحرارة الشمس فعادت الى الجوّ وعند التقآئها اصطدمت بعنفٍ فحدث الرعد والبرق وعند قصيف الرعد استيقظت الحيوانات العاقلة وارتعشت بذلك الصوت فشرعت تتحرك في البرّ والبحر وكان منها ذكورٌ واناث

وهنالك تفاصيل طويلة في اشتقاق بعض الآلهة من بعض وتسلسل الخلائق من العناصر اكثرها مُبهَمٌ لاستتاره وراء الرموز فاضربنا عن استيفآئها . ومن تقاليدهم التي رواها فيلون في حديث الخلق ان الاله الخالق واسمهُ عندهم ايل لما نوى ان يَخلق الكائنات وأد أخاهُ اطْلس اي دفنهُ حيًّا برأي تآؤُوت وهو هرمس وذبح ابنهُ ساديد بيدهِ وقطع أروُس بناتهِ وتزوج جميع بنات ابيهِ وفيهنّ عشتاروت والمراد بها هنا القمر وهي من اعظم آلهة الفينيقيين . فوُلدله منها سبع بنات هنّ الكواكب السبعة السيّارة ووُلد لهُ ايضاً ثلاثة بنين يسميهم اليونان كرُونُس وزِيُوس وأُپولُون وهم ثلاثة اقانيم لالهٍ واحد يراد بهم ثلاث صفاتٍ هي التي لم تبرح منذ تجسد اللاهوت في العالم تحييهِ وتحرسهُ وتجدد ما اندرس منهُ على الدوام

ثم ان كرونوس وهو احد الاقانيم الثلاثة المذكورة ذبح لابيهِ اورانس (اي السمآء) ابنهُ الوحيد وقرّبهُ محرقةً لهُ فكان من ثمَّ رسم الضحايا البشرية التي طالما جرى عليها الفينيقيون ولا سيما في عبادة بعل مولك وهو

الذي يسميهِ فيلون كرونوس قيل والمراد بهِ زُحَل وهو اعظم آلهتهم. وكانوا يعبدونهُ باعتبار كل صفةٍ من صفاتهِ او فعلٍ من افعالهِ فكان يمثَّل على عدة اشكال كلٌّ منها كان الهاً بنفسهِ . فمن الآلهة التي تمثلهُ بعل أيتان اي الاله القدير وبعل شامان او هامون قيل ومعناهُ الاله المُحرِق او اله النار وكان يُعبَد في قرطاجة . وبعل جاد أي اله السعادة قيل والمراد بهِ المشتري وكانوا يطلقون عليهِ كوكب بعل. وبعل صَفُون أي اله الظلمات او اله الجحيم وبعل بريت أي اله العهد وبعل فغُور وكان اله الفجور وفغور اسم جبل بارض موآب كان موضع عبادته . وبعل حرمون وهو الجبل المشهور المعروف اليوم بجبل الشيخ وكان معدوداً من الجبال المقدسة وفيهِ عدة هياكل لهذا الاله

وكان لهم آلهةٌ من البشر او غيرهم من المخلوقات هم الذين كانت تتجسد فيهم تلك الآلهــة فمنهم ملكرت حارس مدينة صور ويقابلهُ هرقول عند اليونان وهو بمنزلة اقنوم من اقانيم بعل أيتان المقدم ذكرهُ وهو اله الغنى والصناعة والملاحة وكانوا حيثما اقاموا يبنون لهُ هيكلاً . ويليهِ عدةٌ كثيرة من الآلهة منهم تأُوت المذكور قبلاً وهو مخترع الكتابة والعلوم والفنون كهرمس عند اليونان . ومنهم داجُون وكانوا يمثلونهُ بشكل حيوان نصفهُ انسان ونصفهُ سمكة وهو من آلهة البحار . ومنهم تيفُون وهو على شكل ثعبان قيل وهو من آلهة البحار ايضاً وغير ذلك مما لا نطيل باستقرآئهِ

وكان في صور عدة مَعابد لملكرت ومثلها في صيدا لعشتاروت وفي هليُوبُوليس (بعلبك) وبيبلوس (جبيل) وأَفقا لعشتاروت وأَدُونيس او بعلِ أَدُوني وكذلك في هييرابوليس على ان بعضاً من تلك المعابد لم يكن

فيها اصنام ولكن كانوا يكتفون فيها بايقاد النار والبخور . وذكر لوسيان في الكلام على هيكل هيَرابوليس انهُ رأى فيهِ تماثيل نخيمة يُتوهم انها آلهةٌ احيآء فانها تعرق وتتحرك وتجيب بنفسها على ما تُسأل عنهُ واذا أُغلق الهيكل ارتفعت من داخلهِ اصواتٌ تُسمَع من الخارج . قال اما غنى ذلك الهيكل فحدّث عنهُ ولا حرج فانهُ ترسل اليهِ من بلاد العرب وفينيقية وارض بابل وكبدوكية وقيليقية و بلاد أشّور هدايا لا تحصى من ذهب وفضة ومنسوجات فاخرة وغيرها وقد رأيت كل ذلك بنفسي في مكانٍ محجوب و يقام هنالك من الاحتفالات في الاعياد ما لا يقام نظيرهُ في العالم باسرهِ

وكان الفينيقيون يكثرون من الكهنة حتى كان عند ايزابل بنت أَتبعل الصوري اربع مئة وخمسون كاهناً من كهنة البعل واربع مئة من كهنة عشتاروت وكان الكهنة يحلقون شعر رؤوسهم ويلبسون السواد ولم يكن الكهنوت مباحاً للنسآء . وكانوا يقيمون احتفالاتهم الدينية على مشارف من الارض يبنون عليها الهياكل ويغرسون حولها الاشجار العظيمة و يأتيها المحتفلون في الاعياد من كل أوب فيرفعون اليها هداياهم ومحرقاتهم ويُجري الكهنة سنن عباداتهم فيتهلون باعلى اصواتهم وربما هشّموا اجسادهم بالسيوف والحراب وهي عادةٌ لهم في اوقات الحزن والتفجع . وكانت لهم مواعيد يقرّبون فيها الى بعض آلهتهم الضحايا البشرية واخصّ تلك الآلهة بذلك مولَك في فينيقية وكرونوس في قرطاجة وقد تقدم ان كليهما واحد وكانت تقرَّب اليهما الضحايا من الاطفال. وكانوا يمثلون كلاًّ منهما بهيئة رجلٍ من نحاس قد بسط يديهِ كانهُ يتلقى بهما الضحية المرفوعة اليهِ وعند ارادة التقريب يوقدون تحتهُ ناراً

حتى يحمى ثم يضعون الطفل على يديه فيحترق وفي اثناء ذلك يقرع الكهنة الطبول ويرفع الشعب اصواتهم بالهتاف حتى لا يُسمع صراخ الطفل . وذكر ديودورس الصقلي في وصف صنم قرطاجة ان يديه كانتا مبسوطتين مع تصويبهما الى جهة الارض وكانوا يجعلون امامهُ حفرة يملأونها ناراً فاذا وضعوا الطفل على يديه تدحرج فسقط في الحفرة . وقال غيرهُ بل كان الصنم مجوفاً والنار تحتهُ ويداهُ مصوبتان بحيث اذا وُضع الطفل عليهما انحدر الى جوفهِ فالتهمتهُ النار التي تحتهُ ولعل هذه الرواية اصح لما جاء في خرافات اليونان من ان زُحل افترس ابناءهُ عملاً بما اشترط عليهِ اخوهُ تيتان حين نزل لهُ عن الملك في خرافة ليس هنا محل ذكرها . قال واكثر ما كانوا يفعلون ذلك عند ارادة التكفير عن ذنبٍ من ذنوب الامة اجتلاباً لرضى الآلهة وكان على الأمّ ان تشهد احراق طفلها من غيرها ان تجري دمعةً او تبدي أمارة حزن

هذا ما امكن استخلاصهُ من تأريخ هذه الامة الصغيرة التي طبقت شهرتها آفاق المعمور وتخطى ذكرها اعناق العصور اخذناهُ عن عدة مؤلفات من اشهر ما كُتب في هذا المعنى وامثالهِ . وهناك رواياتٌ أُخر بعضها مشكوكٌ في صحتهِ وبعضها لا يخلو من مناقضةٍ لبعض ما تقدم فاضربنا عن ذكرها تفادياً من تشويش ذهن المطالع . على ان غالب ما في تاريخ هذه الامة لا مستنَد لهُ الا نقل الرواة لذهاب كتبهم وندرة الآثار الباقية عنهم ومما لا يُنكَر ان الفينيقيين كما كانوا قادة الملاحة واساتذة الصناعة في تلك العصور فقد كانوا ائمة العلوم والفنون وملقّني العقائد الدينية والفلسفية

وعنهم اخذ اكثر الامم المعاصرة لهم ولا سيما اليونان لما كان بين الامتين من قرب الجوار وكثرة المخالطة . ولذلك فانك قلما تجد معبوداً للفينيقيين او اسطورة دينية او ذكر من اشتهر باختراعٍ او عملٍ عظيم الا تجد ما يقابلهُ في عقائد اليونان ومروياتهم مع تبديل صور الوقائع والاسمآء والخلط بين ما إصلهُ فينيقي وما اصلهُ يوناني . وهذا ولا جرم احد الاسباب التي ضاع بها كثيرٌ من حقائق تأريخ الفينيقيين واوقع فيهِ ماذُكر من التباين تارةً والتناقض اخرى . على أنَّا اخذنا من كل ذلك بالاشبه والاقرب والله اعلم وهو سبحانهُ المتفرد بالبقآء لا الهِ الا هو ذو العزَّة والجبروت

الدخان والبخار

كلاهما ما يتصاعد عن الاجسام بفعل الحرارة وهما كثيراً ما يتشابهان في رأي العين لكن الفرق بينهما ان البخار ارقّ قواماً واخلص مادّةً لانهُ لا يتألف الا من غازات صِرفة حالة كون الدخان لا بدّ ان يشتمل على اجزآء سائلة او جامدة وبعبارةٍ اخرى هو بخارٌ غازيٌّ يخالطهُ موادّ غير غازيّة . وذلك ان الجسم عند احتراقهِ لا يستحيل برمتهِ الى رماد وعناصر غازيّة لان ما يتأكسد منهُ تخالطهُ ذرّات من الفحم والموادّ الدهنية واجزآء اخرى من المادة المشتعلة مما لم يخلّ بالاحتراق

ولما كان الدخان يشتمل على جانبٍ من هذه الاجزآء التي لم يتم احتراقها كان ولا جرم من الفضلات التي تذهب سُدًى وهي قد تكون مقداراً كبيراً من مادّة الوقود ولا يخلو فضلاً عن ذلك من اضرارٍ صحية ولاسيما

في البلدان التي يكثر فيها الايقاد كالمدن الصناعية ذات المعامل الكثيرة . ولذلك كان من همّ العلماء ان ينقبوا عن طريقة يمنعون بها حدوث الدخان بأن يحتالوا على احراق جميع اجزاء الوقود بدون ان يبقى منها باقٍ وذلك انما يتم بزيادة مقدار الهواء المتخلل للموادّ المشتعلة ليزيد في قوة اشتعالها . وقد زاولوا استنباط عدة اجهزةٍ لذلك نجحوا في بعضها بعض النجاح وافضل تلك الاجهزة ما اخترعهُ تيرّي وما كان منها على طريقتهِ وهي ان يسلَّط على المستوقَد مضخَّة تقذفهُ ببخار الماء فان هذا البخار لا بدّ ان يصحبهُ مقدارٌ من الهواء كافٍ لجعل الاشتعال اتمّ . وقد ارتأى بعضهم من عهد قريب ان يُستبدَل البخار بنترات الصودا او نترات البوتاس يُرجَم بهما المستوقَد حيناً بعد آخر لما في هاتين المادّتين من شدة قبول الاشتعال وهذه الطريقة مستعملة اليوم فيما ذُكر في بعض معامل كِدَّرمِنْستَر ودُرهام وغيرهما من بلاد الانكليز

هذا في المستوقدات الصغيرة واما المستوقدات الكبرى من مثل اتاتين الحديد ونحوها فانهُ بعد ان يُصنَع الأتُّون على الشكل المألوف يُجعل على جدرانهِ الجانبية غُرَفٌ يدور فيها الهواء الذي يراد ان تزاد بهِ قوة النار وتتخذ لهُ منافذ في الجدران المذكورة بحيث لا ينتهي الى داخل المستوقد الا وهو على درجةٍ عالية من الحرارة فتزداد بذلك قوة الاشتعال . ثم ان اعلى المستوقد مبنيٌّ من آجُرّ لا تذيبهُ قوة النار وهو على شكل حاجز مثقَّب بثقوب يمرّ فيها الدخان قبل ان يخرج من المدخنة فاذا حمي هذا الحاجز بنار المستوقد وبلغ درجة الاحمرار يحترق الدخان بالضرورة عند نفوذهِ في تلك الثقوب

بحيث لا ينفلت الى المدخنة الا البخار الباقي بعد الاحتراق

واما البخار فعرّفوهُ بانهُ غازٌ غير ثابت ويعنون بذلك انهُ قابل للانتقال الى حالة السيلان اذا انحطت درجة حرارتهِ او عرّض لضغطٍ شديد . على انهم قد توصلوا اليوم الى تسييل كثير من الغازات الحقيقية وحينئذٍ فقد اصبح الغاز داخلاً في حدّ البخار ولم يبقَ بينهما فرقٌ ظاهر

ثم ان الماء مثلاً يتبخر لأقلّ حرارةٍ تعرض عليهِ وكذلك اكثر السوائل ومن الاجسام ما يتبخر بمجرد مباشرة الهوآء لهُ كالكحل والايثير والبروم واليود وتُعرَف بالموادّ الطيارة . على ان اصلب الاجسام كالنحاس والذهب حتى الالماس يمكن احالتهُ الى بخار اذا بُلغ بهِ الى درجةٍ من الحرارة كافيةٍ لذلك كما ان كل بخارٍ يمكن ان يعود الى حالتهِ الاولى اذا هبطت حرارتهُ الى درجةٍ اسفل من الدرجة التي تبخر فيها وعلى هذا بُني ما يُسمى بالتقطير

وقد كان المتعارَف زمناً بين العلماء ان البخار لا يمكن ان ينشأ من تلقاء نفسهِ ولكن ينبعث عن سطوح السوائل بتحليل الهوآء وانهُ بذلك يمكن ان يبقى منتشراً في الجوّ . غير ان التجربة دلت على غير ذلك فانهُ اذا أُخذت قصعةٌ واسعة ومُلئت زئبقاً ثم غُمس فيها انبوبان زجاجيّان مسدودا الاعلى قد مُلئا زئبقاً وفُرّغ منهما الهوآء على نحو ما يُصنَع ميزان الجوّ (البارومتر) فان كلاً منهما يدلّ على مقدار ضغط الهوآء على الزئبق الذي في القصعة كما هو معلوم . فاذا أُدخل الى احدهما قليلٌ من الماء بواسطة مبزلٍ اعقف فان الماء لخفتهِ النوعية يصعد الى الفراغ الذي في اعلى الانبوب المعروف بفراغ تُورِتْشَلّي واذ ذاك لا يلبث عمود الزئبق ان يهبط بعض

ميليمترات . ولا يمكن ان يُنسَب هذا الهبوط الى الكمية القليلة من المآء التي طفت على اعلاهُ ولا الى الهوآء الذي يتضمنهُ هذا المآء على تقدير انهُ قد انفلت منهُ لان هذا الامتحان قد أُجري بعد اغلآء المآء وطرد الهوآء منهُ فتعيَّن اذ ذاك ان هبوط الزئبق انما كان عن تبخر المآء في الفراغ المذكور وأن لبخار المآء كسائر الغازات قوةً تمددية لانهُ يفعل على عمود الزئبق نفس ما يفعلهُ الهوآء . فاذا أُدخِل بدل المآء شيء من الايثير الكبريتيك كان هبوط عمود الزئبق اعظم كثيراً بحيث انهُ اذا قُدّر أن هبوطهُ ببخار المآء كان ١٢ ميليمتراً فانهُ يبلغ ببخار الايثير الى منتصف الانبوب وبالتالي يكون ضغط هذا البخار معادلاً لنصف ضغط الهوآء الجوّي كما لا يخفى . فتحصّل من ذلك ان البخار يحدث في الفراغ وان حدوثهُ فيهِ يكون دفعةً حال كونهِ يحدث في الهوآء تدريجاً وان لهُ قوةً تمددية الا ان هذه القوّة تتفاوت بين بخار سائلٍ وآخر

الفضة والمكروب

بقلم حضرة الاديب الياس افندي الغضبان

وقفت على المقالة الآتية في احدى الجرائد الافرنجية فآثرت ان اطرف بها قرآء الضيآء لما فيها من الفائدة وهي هذه

قد ظهر من عهدٍ قريب للدكتور ڤنسان احد الاطبآء العسكريين في فرنسا ان الفضة تقتل المكروب . وذلك ان الدكتور المشار اليهِ بينما كان يفحص انواع المسكوكات فحصاً مجهريًّا وجد ان المكروب اكثر ما يتجمع

على القطع النحاسية منها ثم على القطع الذهبية واقلّ ما يوجد على القطع الفضية . فانهُ فحص قطعةً من ذوات العشرة سنتيمات فوجد عليها نحو ١١٠٠٠ مكروب ثم فحص قطعةً ذهبية فوجد عليها نحو ٣٠٠٠ ولم يجد على قطعة الفرنك زيادةً على ٥٠٠ مكروب ونحو ضعفي هذا العدد على قطعة الخمسة فرنكات

وقد يتبادر الى ذهن المطالع ان السبب في ذلك هو نوع التعامل بهذه القطع فان المسكوكات النحاسية اكثر تنقلاً بين ايدي الناس من الفضية وهي ولا شك تمرّ بين ايدٍ اقلّ نظافةً وتعهداً بالغسل . ولكن اذا كانت قطع الفضة اقل تداولا واكثر حفظاً من قطع النحاس فان الذهب ولا شك اقلّ تداولاً من الفضة وهو لا يزال مخبوءًا في ضمن الجزدانات النقية فكان ينبغي ان يكون ما عليهِ من المكروب اقلّ جدًّا مما على القطع الفضية ولكن ظهر بالفحص ان الامر على خلاف ذلك فان المكروب اشدّ ميلاً الى الذهب من الفضة

ثم ان الدكتور ڤنسان لم يكتفِ بما ظهر لهُ من الفحص المذكور ولكن لزيادة تحقق الامر عمد الى امتحانات وضحت لهُ نتائجها بما لا يقبل الريب . وذلك انهُ اخذ جملة قطع ذهبية وفضية و بعد ان طهّرها بالنار وضع على سطح كلٍّ منها بعض قطراتٍ من مستفرَخاتٍ مختلفة ثم ترك بعضاً منها على درجة الحرارة المعتادة وجعل بعضها في حمّام على ٣٦ درجة من الحرارة . و بعد ذلك تبين لهُ ان القطع الذهبية يمكن ان تعيش عليها جراثيم الحمى التيفوئيدية خمسة ايام وجراثيم الخُناق (الدفتيريا) ستة ايام والجراثيم

الصديدية تسعة ايام وان هذه الجراثيم كلها تموت في اقل من ثماني عشرة ساعة اذا وُجدت على سطح قطعةٍ فضية وذلك في الحرارة المعتادة واما اذا كانت على ٣٦ درجة من الحرارة وهي تقارب حرارة جيوب الانسان فانها تهلك في اقل من ست ساعات

فاذا تحقق ذلك عُلم منهُ ان الفضة سمٌّ قتّال للجراثيم المرضية وانهُ يمكن ادخال هذا المعدن في جملة المواد الدوائية . على انهُ في سنة ١٨٩٦ لاحظ الدكتور فُولاّي في باريز ان الجراح التي تخاط باسلاك من فضة كانت اسرع برءًا من غيرها فأدّاهُ ذلك الى امتحان الحقن بالفضة في عدة امراض . وكيفية ذلك انهُ اتخذ مصلاً صناعياً من ماء وملح قليل (٧،٥ في الالف) وسخّنهُ ثم اضاف اليهِ غراماً من هباء الفضة واتخذ منهُ مستحلباً بعد مزجهِ بزيت الجّايا كُول والأوكالبتُول

وقد امتحن الحقن بهذا المستحلب في التدرُّن الرئوي فلم يأتِ الى الآن بفائدة تذكر. لكنهم في المانيا يستعملون الحقن بالفضة بشكل هُلامي (كولويدال) بحيث يمكن ان ينفذ الى جميع انسجة البنية فيستعملونهُ دلكاً او حقناً في معالجة التهاب اغشية الدماغ والحمى التيفوئيدية والتهاب اغشية القلب الظاهرة والباطنة والخُناق والتدرن وغير ذلك ويزعمون انهُ يشفي من كل هذه العلل . اه

اما كاتب هذه السطور فاني وان لم اكن طبيباً اضمن ان الفضة هي انجع دواءٍ لمن ابتُلي بفقد الذهب لكن الصعوبة كلها في الامتحان . . . . .

التماثيل الشمعية

الظاهر ان صنع هذه التماثيل قديمٌ جدًّا ولكنهُ ولا شك كان متأخراً عن صنع التماثيل الحجرية والصلصالية لان القصد من تماثيل الشمع الزينة دون الحفظ ولا يُتصور ان يكون ذلك الا بعد التبسط في الحضارة والتماس اسباب التأنق والزخرفة . وقد استُفيد من بعض نصوص التأريخ ان هذه الصناعة كانت معروفة عند اليونان في القرن السادس قبل الميلاد وفيما روى بلينوس الطبيعي ان اول من مثّل صور الاحياء بالشمع هو ليسِستراتس السِكيوني في عصر الاسكندر الكبير . وتفننوا فيها بعد ذلك فكانوا يصنعون من الشمع جميع انواع الازهار والفواكه يزينون بها الهياكل ومنازل الكبرآء وكانوا يمثلون الاشيآء الطبيعية تمام التمثيل فيقلدونها شكلاً ولوناً حتى لا تُفرَق بمجرّد النظر . ومن لطيف ما يُروَى في ذلك ما حُكي عن الفيلسوف سفيروس والملك بَطلميوس فيلُو پاطُور وكان قد جرى بينهما كلامٌ في البصر وما يجوز عليهِ من الصُوَر المموَّهة فانكر الفيلسوف ذلك وزعم ان العين لا تقبل التمويه . فلما كانا على المائدة امر بطلميوس ان يوضع على الخوان رُمّان مصنوع من الشمع الملوّن فما عتّم الفيلسوف ان مدّ يدهُ وتناول واحدةً من ذلك الرمان وهو يرى انها رمانةٌ حقيقية . ومثل ذلك ما رواهُ لمپر يديوس عن هَليُوجَبَل احد قياصرة الرومان في القرن الثالث للميلاد انهُ كان احياناً يفاكه مدعوّيهِ فيضع امامهم صحافاً فيها اطعمةٌ من الشمع تمثل الطعام الذي في صحفتهِ فلا يفطنون لذلك حتى يمدّوا ايديهم ويتناولوا من تلك الاطعمة

ثم انتشرت هذه الصناعة بين الرومان فبلغت عندهم من الاتقان مبلغها عند اليونان على ما تقدم الايماء اليهِ وكان اشرافهم يتخذون تماثيل للمتوفّين منهم فيمشون بها امام الجنائز . ولكنها لم تلبث بعد ذلك ان انحطت عن منزلتها فلم تعد الى رونقها الا في القرون المتوسطة لما كان اذ ذاك من عناية الكنيسة بصنع تماثيل القديسين . وفي القرن الخامس عشر اعاد فرّكيو البندقي صنعة ليسِستراتس فكان يصنع قوالب يمثّل بها صور اناسٍ من الاحياء ثم ازدادت هذه الصناعة اتقاناً وكمالاً في القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر وقد أُنشئت من مصنوعاتها عدة معارض مثّل فيها اشهر الاشخاص والوقائع التاريخية منها معرض تسُّود في لندرا ومعرض جُرّيقين في باريز وفي كلٍّ منهما ما لا يحصى من الاشخاص ممثلةً بهيئاتها وملابسها وحركاتها الطبيعية بحيث يسبق الى وهم الناظر انهُ يرى اصحاب تلك التماثيل باعيانها . ثم اخذوا يتوسعون فيها الى ما هو ادقّ من ذلك من الاغراض العلمية كتمثيل بعض موضوعات العلوم الطبيعية ولا سيما في علم التشريح فبلغوا في ذلك نهاية الاتقان والابداع . غير انهُ لما كان الشمع سريع العطب يتأثر من ادنى شيء وجدوا ان هذه المصنوعات غير صالحةٍ لدرس الاعضاء لما يقتضي ذلك من تكرار لمسها وتقليبها فعدلوا عن الشمع الى المادة التي يُصنَع منها الورق . وهي ولا ريب اصلب واصبر الا ان كلتا المادّتين لا تصلح الا لتمثيل ظواهر الاعضاء بحيث لا يستغني الدارس عن مزاولة التشريح فعلاً كلما اراد الوقوف على شكل الاعضاء الباطنة . فاخذوا يبحثون عن مادةٍ يستخدمونها لذلك واخيراً توصل الدكتور أُوزُوّ الى صنع

الاعضآء التشريحية من مادّة ٍعجنها بمسحوق الفلّين يفرغها وهي طريئة في قوالب معدنية فاذا جفّت كانت اصلب من الخشب . وبهذه الطريقة تأتى لهُ ان يصنع جسداً كاملاً بجميع اعضآئهِ الظاهرة والباطنة بحيث يمكن تفكيك كل جزءٍ وحدهُ واعادتهُ الى موضعهِ وجميعها لا تُفرَق عن الاعضآء الطبيعية

كلاب القضآء

جآء في احدى المجلات الفرنسوية الحديث الآتي نرويهِ بقصد الفكاهة قالت

اعتاد الاميركان ان يستخدموا الكلاب لتعقُّب المجرمين وهي عادةٌ قديمة عندهم فانهُ قبل زمن الحرب المعروفة بحرب الحرّية او العتاق كانت تُستخدَم لاحتياش العبيد الآبقين وفي بعض الولايات الجنوبية تُرسَل للقبض على المسخَّرين الذين يفرّون من العمل . وقد ذهب احد اهالي بياتريس بنبراسكا من الولايات المتحدة وهو الدكتور فُولتُون الى ما هو ابعد من ذلك فاستخدم هذا الصنف من الكلاب بمنزلة جواسيس للشِحنة تكشف عن احذق المجرمين واقدرهم على التنكُّر

فان الدكتور المذكور عندهُ حظيرة تشتمل على عشرين كلباً من الكلاب العجيبة وقد اشتهرت هذه الكلاب بصفتها المذكورة حتى انهُ لا يكاد يمرّ اسبوع حتى ترسل الحكومة فتستخدمها للبحث عن اشيآء مسروقة والقبض على الجناة . وهي تُستدعَى من جميع انحآء الولاية باجرة معيَّنة هي ١٥ ليرة استرلينية في اليوم واذا ادركت المطلوب كان لها فوق ذلك

جائزة سنية ولذلك اصبح محل الدكتور فولتون من المحلات الغنيّة

وهذه الكلاب موكولة الى عهدة ابن الدكتور ومعهُ كلاّبان ماهران يؤدّبانها . وهذا التأديب ليس فيهِ شيءٌ من السرّ ولكن مرجعهُ الى دقة اختيار الكلب واختبار اخلاقهِ لان لكلِ حيوانٍ معاملةً مخصوصة تنطبق على طبيعتهِ . اما هذه الكلاب فهي شرسة الطباع متقلبة الاطوار لها بدواتٌ عنادية الى آخر ما يتصور فاذا لم يُوقَف على حقيقة طباعها قبل الشروع في تأديبها فقد يُفضَى بها الى ان تعتاد عاداتٍ يتعذر قلعها فيما بعد وهي مع شراستها وقوة عنادها اذا تولى رياضتها خبيرٌ باخلاقها كانت تحت يدهِ في منتهى الطواعية والانقياد

ومما حدّث بهِ الدكتور فولتون احد زوّارهِ عما تفعل كلابهُ ان جماعةً من اللصوص دخلوا حانوتاً للسرقة فاتفق ان احدهم بينما كان يعدو سقطت قبعتهُ فتركها في طريقهِ ومضى فكانت القبعة اهدى دليل للكلاب للوقوع على اللصوص فانها شمتّها ثم ذهبت تتبع آنافها حتى وقفت امام منزلٍ علمت الشحنة ان اربعة اشخاصٍ مُريبين كانوا قد دخلوهُ في صبيحة ذلك اليوم فاستقرّوا فيهِ هُنيهةً وطلبوا طعاماً ثم انصرفوا فعادوا الى تتبُّع اثرهم الى حيث عرّجوا مرةً اخرى ثم الى مبيتهم الذي باتوا فيهِ تلك الليلة

ثم انهُ في احدى عطفات الطريق افترق اللصوص فاخذ اثنان منهم في جهة الشرق واثنان في جهة الشمال فتتبعت الكلاب اولاً جهة الشمال فادركت اللصين اللذين ذهبا فيها ثم عادت فاخذت في جهة الشرق فادركت اللصين الآخرين فكُبّل الاربعة بالحديد ولم يمضِ الا اربع

وعشرون ساعة حتى كانوا تحت الاقفال

واتفق مرةً اخرى أن سُرق بغلٌ من احد الاصطبلات في لويفيل فالتجأ صاحبهُ الى كلاب القضاء فاقتيدت الى المكان الذي سُرق منهُ البغل وأشمُّوها خِرَقاً كانت هناك من كيسٍ عتيق ظنوا ان اللصوص لا بد ان يكونوا قد لفّوا بهِ قوائم البغل ثم اطلقوها فلم تلبث ان وُجِد البغل والسارق

ومما حدَّث عنها ان رجلاً في فربوري يقال لهُ باكر قتل اخاهُ وامرأة اخيهِ فطلب حاكم الموضع كلاب القضاء بالتلفون فجاءتهُ مع كلاَّبها في جمهورٍ كبير. وكان على سرير القتيل قطعةٌ من ثياب القاتل فاشمُّوها للكلاب ثم اطلقوها وأتبعوا بها عدةً من الرجال لان الرجل كان معروفاً بقوّةٍ لا تقاوَم. وكأن الكلاب ادركت خطورة الامر فاندفعت تعدو ثم اخترقت حقلاً من الزرع وفيما هي خارجةٌ منهُ صادفت بعض خراطيش فارغة وجدت فيها ريح الرجل فجدَّت في عَدْوها وبعد ان قطعت نحو اثني عشر كيلومتراً على الطريق العام وقفت عند سَرَبٍ تحت الارض فنزل الرجال الذين يتبعونها الى السرب وبحثوا فيهِ فلم يجدوا احداً فعادت الكلاب الى الجري وقد اشتدّت حماستها واسرعت حتى لم يكد الرجال يستطيعون لحاقها وبعد ان قطعت مسافة اخرى انتهت الى حوشٍ وكان امام باب الحوش آثار اقدام فاخترقت الى الداخل من بين خصاص الواح الحوش ثم عدلت يمنةً الى جرينٍ هناك (وهو البيدر حولهُ جدار) وكان باكر مختبئاً فيهِ فلما احسّ بالامر وعلم انهُ لا نجاة لهُ اطلق الرصاص على دماغهِ فخرّ صريعاً

ابسط آلة لقياس علوّ الاشباح

اخترع المسيو مالاسي آلةً في منتهى البساطة يُتوصل بها الى قياس علوّ الاشباح التي يتعذر الوصول اليها وذلك بدون استخدام الحسابات الهندسية. وهي تتألف من قطعتين من الخشب تركَّب احداهما مع الاخرى على هيئة زاوية الصنّاع كما ترى في الشكل الاول بحيث ان اج = ب ج = ٢ ج د

(ش ١)

فاذا أُريد قياس شبحٍ عالٍ كشجرةٍ او برج تُركَز الآلة على الوضع الذي في وسط الرسم من الشكل الثاني بحيث يكون ب ج د تامّ العمودية ثم توضع العين عند ا وتقدَّم الآلة او تؤخَّر حتى يمرّ الخط اب بقمة الشبح كما ترى في الرسم ثم يعيَّن في الارض مكان النقطة ا . وبعد ذلك تُنقَل الآلة الى الوراء بعد ان يُجعل عاليها سافلها كما في الوضع الذي في طرف الرسم ثم

(ش ٢)

توضع العين عند اَ وتقدَّم الآلة او تؤخَّر كما فُعل في المرة الاولى الى ان يمرّ الخط اَد بقمة الشبح وذلك مع جعل اَج على ارتفاع اج وجعل د ج ب عموديًّا كما ذُكر اولاً . ثم يعيَّن في الارض مكان النقطة اَ وتقاس المسافة التي بين ا و اَ فتلك ارتفاع الشبح المطلوب

ولبرهان ذلك لنعبّر عن هذا الارتفاع الذي هو خط ه و بحرف ف (ش ٣) وعن المسافة بين ا وأ بحرف ن وبين أ و ج بحرف س فيكون لنا من ذلك

(ش ٣)

$\frac{ف}{أو} = \frac{دج}{أج}$ لكن د ج = $\frac{س}{٢}$ و أ ج = س فيكون $\frac{ف}{أو} = \frac{١}{٢}$

ثم ان أو مركب من خطين احدهما ا أ وهو الذي عبرنا عنهُ بحرف ن والآخر ا و وهو في المثلث القائم الزاوية المتساوي الضلعين ا و ه = ف لان المثلثين (ش ٢) ا ج ب و ا و ه متماثلان و ج ب = ج ا

وعلى ذلك فان $\frac{ف}{ف + ن} = \frac{١}{٢}$ اي ٢ ف = ن + ف .

لكن يبقى ان هذا القياس انما يؤخذ على ارتفاع العين لا على الارض فلكي يتحرر القياس يمكن ان تضاف المسافة التي بين العين والارض الى طول ن المقيس على الارض فيكون الارتفاع الحقيقي للشبح

فوائد

منع العطاس ــ من الوسائط المشهورة لمنع العُطاس ان يُضغط بطرفي السبابة والوسطى حول اصل وترة الانف مدة خمس دقائق أو نحوها وهي واسطة مزعجة وقد تضطرّ الى ضغط شديد يكون احياناً مؤلماً . وافضل منها

واسهل كثيراً ان يُبادَر الى غسل الوجه بالمآء البارد فانهُ مهما كان التهيج الداعي الى العطاس شديداً يسكن في الحال

اسئلة واجوبتها

دير المخلّص ـ اجمع النحاة على ان آخر « جوارٍ » ونحوهِ يُحذف في حالتي الرفع والجرّ للتخفيف . ثم التنوين فيهِ مذهبان احدهما انهُ لما حُذِف آخر هذا الاسم دخلهُ التنوين على حدّ دخولهِ في نحو «قصاع » لانهُ قد صار على وزنهِ وهو على هذا القول تنوين صرف . والمذهب الآخر انهُ لما سكن آخر جوارٍ في الحالتين المذكورتين جُعل التنوين بدلاً من الحركة الملقاة عن اليآء فهو تنوين عوض . اه ملخصاً عن شرح مفصَّل الزمخشري لابن يعيش

فاولاً ان الثقل الذي يذكرونهُ مسلَّم في جوارٍ المرفوع واما المجرور فانهُ يُجَرّ بالفتحة كسائر الاسمآء الغير المنصرفة والفتح لا ثقل فيهِ فكان يجب ان يبقى آخرهُ ثابتاً كما يثبت آخر المنصوب لانهما بصورةٍ واحدة فمن اين جآء الثقل ولمَ لم يُعتبر هذا الثقل في المنصوب ايضاً . وثانياً كيف يصح ان الكلمة الواحدة تكون مصروفة في حالتي الرفع والجرّ وغير مصروفة في حالة النصب وما الداعي الى هذا التفريق . وثالثاً مقتضى المذهب الثاني ان آخر جوارٍ المجرور ساكن كالمرفوع فكيف ذلك واذا كان ما لا ينصرف يُجرّ بالفتحة فلمَ حُذِفَت في جوارٍ ثم لمَ كان حذفها في الجرّ دون النصب .

ارجو الجواب على ذلك كلهِ مع ابدآء رأيكم الخاص في هذه المسئلة ولكم الفضل مستفيد

الجواب ـ اما الثقل الذي يذكرونهُ فهو باعتبار الضمّ والكسر المقدَّرين على اليآء ولو اعتبروا الصورة اللفظية لكان آخر المنصوب اولى بالحذف من آخر المرفوع لان الفتحة تظهر فيكون آخرهُ معها متحركاً والضمة تقدَّر فيكون آخرهُ ساكناً ولا شك ان الساكن اخف من المتحرك . لكن العجب انهم يعتبرون في مثل هذا الحركة المقدَّرة ويهملون اعتبار الحركة الظاهرة مع ان المسئلة كلها لفظية ومع ان الممنوع من الصرف لم يُجرّ بالفتحة عوض الكسرة الا للتفادي من هذا الثقل . واما القول بانّ نحو جوارٍ قد صار بعد حذف آخرهِ منصرفاً فانهُ فضلاً عمّا فيهِ من اختلاف الحكم في الكلمة الواحدة كما ذكرتم لا مساعد لهُ من القياس لان من القواعد المقررة عندهم ان المقدَّر كالمذكور ولذلك تُعتبر اليآء المحذوفة في نحو جآءتني جوارٍ كاليآء الثابتة في نحو جآءت الجواري فتقدَّر الضمة على الاولى كما تقدَّر على الثانية

واما رأينا الخاص في هذه المسئلة فالذي عندنا انهم حذفوا آخر جوارٍ وما جرى مجراهُ في حالتي الرفع والجرّ حملاً على قاضٍ ونحوهِ لمجرَّد المناسبة اللفظية ولذلك نوّنوهُ في هاتين الحالتين مع انهُ ممنوع من الصرف لثبوت المانع باعتبار تقدير المحذوف . واما ترك تنوينهِ في حالة النصب فلأن التنوين مع بقآء حركة الاعراب غير مخصوصٍ بقاضٍ ولا غيرهِ فهو في ذلك مثل بقية الاسمآء لانك تقول رأيت قاضياً كما تقول رأيت كاتباً فلم يبقَ وجهٌ للحمل ولذلك جرى على ما يستحقهُ في نفسهِ والله اعلم

فكاهات

ليلة العيد (1)

جآء الى القاهرة لعهد الاحتلال الانكليزي فتى في السابعة والعشرين من عمره يدعى جورج كان قد أوصى بهِ بعض معارف ابيهِ من الانكليز وقدمهُ الى احد قوّاد الجيش الانكليزي . وكان لجورج معرفة كافية في اللغة الانكليزية والمام ببعض اللغات الاخرى وهو سريع الحركة متوقد الفؤاد فحظي عند القائد وعينهُ ترجمانًا لهُ براتبٍ لم يكن يخطر لهُ ان يناله . وكان شديد الحرص على نفسهِ بعيدًا عن الاشتغال بالملاهي واسباب الترف والتبذير فمضت عليهِ سنواتٌ قلائل جمع فيها ثروةً صغيرة

وكان في القاهرة اسرةٌ جاءَت القطر المصري من زمنٍ بعيد فتعرف بعض افرادها بجورج وتمكنت الصداقة بينهما فكان جورج يزورهم في بيتهم . وكان لهم ابنةٌ تدعى حنَّة فاضمروا بعد ما رأوهُ في جورج من حسن الصفاتِ ان يزوجوها بهِ لتحققهم انها ستكون في غاية الراحة والنعمة فكانوا لا ينفكون عن ملازمة جورج في اوقات فراغهِ ودعوتهِ الى سهراتهم وتنزهاتهم ومشاركتهم في الطعام على الاقل اربع مرآت في الاسبوع . ولم يكن من رأي جورج ان يكثر مثل هذه الزيارات والمخالطات ولكنهُ رأى في جمال حنة ما يقتادهُ الى اجابة دعوتهم ولم تمضِ ايام كثيرة حتى شعر جورج بتمكن الحب في فؤادهِ وأصبح لا يحولهُ شيء عن الافتكار بحنة والاهتمام بالاقتران بها . وكان ذووها يلاحظون ذلك منهُ فيبتهجون في نفوسهم ويظهرون التجاهل شأن الماهرين في نصب الحبائل لتزويج بناتهم وهم يعتقدون ان بقآء الابنة في البيت حملٌ عظيم ومصيبة لا تطاق

اما حنة فكانت بديعة في الجمالِ الى غايةٍ لا تحاكى حتى لو درسها الرسام شهرًا

---

(1) معرّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

والنقاش اشهرًا لا يستطيعان ان يريا اقل خلل في تركيب جسمها وتكوين بنيتها وتقاطيع هيئتها . لكن يظهر ان كل ما أُودع من الجمال والكمال في ذلك الهيكل البشري لم يكن الا خارجيًا فلم يصل الى داخلهِ شيءٌ منهُ فكانت اشبة بتمثال من النحاس ترى في ظاهرهِ منتهى قدرة الناقش ولكنك اذا فحصت باطنهُ تراهُ فارغًا خاويًا . فانها كانت بليدة العقل قليلة المدارك لا تدري من الصفات الادبية شيئًا واما الاعمال اليدوية والاشغال التي يُفرَض على كل سيدة ان تتقنها فلم تكن تتنازل الى الاهتمام بها ولم تكن والدتها تهتم بذلك ايضًا وكانت اذا نبهها احد الى وجوب تعليم ابنتها وتدريبها على الواجبات البيتية والعلوم تقول دعوها تفرح بصباها فاني لا اخاف عليها لانهُ اذا رأى جمالها خاطبٌ لا يعود يسأل عن شيء آخر وفوق كل ذلك فانني لن ادعها تقترن الا بغنيٍ يكفيها مشاقّ العمل ويكتفي منها بالنظر الى هذا الجمال الرائع وعبادتهِ صباحًا ومسآءً

وقد صدق ظن والدة حنة في جورج فانهُ بعد اغترارهِ بجمالها وسقوطهِ في شرك الحب لم يترك لفطنتهِ سبيلاً الى اختبار اخلاقها بل اصبح من رأي والدتها في انها زهرة نادرة لم توجد الا للنظر والشم . وزاد بهِ الوجد والهيام فاغتنم الفرصة يومًا كان فيهِ يتناول الطعام في بيت ذويها ففاتحهم في امر حبهِ لها وسألهم قبول خطبتهِ اياها . فما صدق أولئك ان سمعوا هذا الاعتراف ولكنهم اتباعًا للعوائد راوغوهُ في الجواب وادّعت الام ان ابنتها لا تزال صغيرة السن وانها لا تستطيع مفارقتها ثم رفعت يدها الى عينها لتمسح دمعةً لم توجد هنالك قط وانتهى الحديث على ان يتشاوروا في الامر ويعطوهُ الجواب في الغد . فقضى جورج ليلتهُ على احر من الجمر وما صدّق ان جآء المسآء الثاني واخذ الجواب بالايجاب بعد ترددٍ طويل فألبس حنة خاتمًا ثمينًا كان قد استحضرهُ معهُ وطلب اليهم ان يسرعوا في اعداد جهازها لانهُ يود ان يتزوج حالما يفرغ من ترتيب منزلهِ في اقل من شهر

وبعد نهاية الاجل المضروب اقترن جورج بحنة وسكنا بيتًا جميلاً وغرق جورج في بحر الملذات وتسنمت حنة ذروة مجدها وسرورها فكانت المالكة المطلقة الارادة

وكان زوجها من اطوع رعاياها واكثرهم تفانياً في القيام باوامرها فلم يكن يعترض على ما تفعلهُ من الانفاق والاسراف والتبذير وزيادة عدد الخدم والحشم بل كان يقدم لها من امواله جميع ما تطلبهُ فلم يشعر بعد حين الا وقد كادت تفرغ ثروتهُ ولم يبقَ لهُ من الاموال التي جمعها سوى الشيء اليسير . فقال لها يوماً ينبغي ايتها العزيزة ان نحتاط في امر نفقتنا لاننا اذا دمنا على هذه الحالة فقدت كل ما جمعتهُ واصبح راتبي غير كافٍ للقيام بمطالبنا الضرورية . فقالت حنة انني لم اولد ايها العزيز لاكون كاتبة حاسبة فلا تؤمل ان اتعب افكاري بمثل هذه الحسابات بل انا ارى ما يجب اجراؤهُ لنحافظ على المعيشة التي الفناها ولا ننزل عن الدرجة التي عرفنا الناس بها فدبر انت بنفسك امر دخلك لان عليَّ تدبير باب الانفاق وعليك تقديم المال

وانتبه جورج ولكن بعد فوات الوقت الى ما وقع فيهِ من مرارة العيش حين لم يبقَ لهُ من المال سوى ما يتقاضاهُ من مرتبهِ الشهري وقد رأى في زوجتهِ سوء التدبير وصلابة الرأي وهي مع ذلك لا تذعن لاوامرهِ ونصائحهِ بل تعتقد فيهِ الشح وعدم معرفة قواعد السلوك . فتنغص عيشهُ وسعى في اصلاح احوالهِ البيتية ولكن على غير جدوى واذ ذاك اضطرّ الى قرع ابواب اخرى للعمل علهُ يكسب منها ما يضيفهُ الى مرتبهِ ليقوم بمطالب زوجتهِ . ورزقهما الله ابنةً سمياها أليس وكانت مثال والدتها في الجمال فاسرع جورج واحضر لها مربيةً انتقاها بعد بحث طويل وعلق عليها آمالهُ في تربية ابنتهِ بحيث لا تكون كوالدتها . اما حنة فلم تكن تهتم بابنتها قط كسائر امور بيتها ولم يكن لها من همّ الا تزيين نفسها واثوابها وتوفير اسباب العظمة والفخر

وبقيت هذه الاسرة على ما ذكرنا الى شتاء سنة ١٩٠٢ فلم يطرأ عليها من التغيرات في احوالها الا الشيء القليل فان جورج كان قد انتقل من مركزهِ الى نظارة الحربية بسبب سفر القائد الى بلادهِ فزاد دخلهُ وقل عملهُ اليومي واتسع وقتهُ لاعمالٍ اخرى كانت تحفظ ميزانية نفقتهِ ومطلوبات زوجتهِ . وكانت أليس قد بلغت سن الصبا وفاقت والدتها في الجمال ولكنها لم تكن نظيرها في الصفات المذكورة فكانت تساعد الخدم في الاعمال البيتية وتلاحظ بنفسها ما لا تهتم والدتها ان

تفتكر فيه ،وكانت تكره البطر والاسراف وكثيرًا ما تستآء من والدتها حين تراها كل يوم في حلة جديدة وتقول مسكين ابي ... واما والدتها فلم تغير الايام من صفاتها شيئًا بل زادتها تيهًا بنفسها وسعيًا ورآء الزينة والتبرُّج

ومرض يومًا جورج مرضًا اوجب ملازمتهُ البيت فاستدعى احد كتبة الديوان ليأتيهُ يومياً بالاعمال الضرورية ليعملاها معًا وكان الكاتب المذكور يقال لهُ اديب وهو فتًى في مقتبل الشباب رزين عاقل ذكي الفؤاد وكان جورج يميل اليهِ كثيرًا ويستحسن سلوكهُ . فجآء هذا الى بيت جورج ولما دخل استقبلتهُ أليس فاخبرها انهُ جآء بنآءً على طلب والدها فادخلتهُ اليهِ ولما انهى الغمل عاد الى بيتهِ وقد اشتغلت افكارهُ بتلك الطلعة الملائكية التي قابلتهُ في بيت رئيسهِ جورج . واستدعت الحال عودة اديب اياماً متعاقبة الى ذلك البيت فكان يرى في كل يوم أليس ويخرج حاملاً من حبها احمالاً ولكنهُ تجلد فلم يعلم احد ما حلّ بهِ وهو يعتقد انهُ انما يرجو المستحيل

وشفي جورج فعاد الى عملهِ في الديوان وبطلت زيارات اديب ولكنهُ كان دائم القلق كثير البلابل والافكار وقد تمثلت لهُ تلك الطلعة الساحرة في عملهِ وراحتهِ وشغلت جميع دقائق حياتهِ . اما أليس فأعجبها اديب جدًّا وكانت تشعر من حبهِ بمثل ما يشعر بهِ من حبها وتتوق الى رؤيتهِ وقد رأت الايام بعد انقطاعهِ اعوامًا

وكان يتردّد على بيت جورج ايضًا شابٌّ يقال لهُ عزيز من معارف اهل السيدة حنة وكانت هذه تميل اليهِ كثيرًا لكونهِ يشابهها في الاخلاق فانهُ كان من مستخدمي الحكومة براتب لا يتجاوز الفًا وخمسمائة غرش كان ينفقها بين اوائل الشهر واواسطهِ على ملابسهِ وركوب العربات والجلوس في القهوات حتى اذا بلغ اليوم العشرين من الشهر ابتدأ في اقتراض النقود من رفاقهِ وهو يعد بوفآئها قريبًا . وكان اذا جآء عزيز بيت جورج لا بد ان يصحب معهُ باقة من الازهار يقدمها الى السيدة حنة ثم يجلس فيحادثها وهو في كل دقيقة ينظر الى حذآئهِ الاصفر الجميل ثم ينتقل الى تنفيض ما ربما علق على ثيابهِ الجديدة من الغبار بمنديلهِ الحريري المنضوح بالطيب أو يخرج من جيبهِ من حين الى آخر ساعتهُ الذهبية . فكانت السيدة حنة اذا رأتهُ نسيت كل

شيءٍ واهتمت بمجادثتهِ وهي تقول في قلبها آه يا ليت زوجي عندهُ نصف ما عند عزيز من الذوق وآداب السلوك ولكن لا بأس فلن ادع هذه الفرصة تفوت أليس . وهكذا عقدت النية على اهداء ابنتها الى هذا الشاب فكانت اذا خلت بها تثني على صفاتهِ واذا قدم تدعوها لمجالستهِ . اما هذه فكانت فضلاً عن اشتغال بالها بأديب تكره عزيزاً كراهة قلبية وتأنف من سيرتهِ الدالة على سخافة العقل وقلة الادراك

وكان اديب يعلل النفس من يوم الى آخر ويفكر في طريقة تمكنهُ من زيارة بيت رئيسهِ والتمتع بمشاهدة أليس . فلما جاء يوم اول السنة انتهز الفرصة لتأدية واجبات العيد فقصد بيت جورج وهو يقدم رجلاً ويؤخر اخرى حتى بلغ الباب وكأن رسول قلبهِ قد سبقهُ فما دخل الباب حتى كانت أليس قد أتت لاستقبالهِ فتكلمت لحاظها في تلك النظرة بما لا تسعهُ المجلدات الضخمة . ولما دخل استقبلهُ جورج احسن استقبال اما السيدة حنة فنظرت اليهِ شزرًا وبعد قليل نظرت الى ابنتها فقالت لها قومي يا أليس واستعدّي فقد أزف موعد مجيء عزيز ليأخذنا في العربة الى الجزيرة حسب الاتفاق . فقامت الابنة بعد ان القت على اديب نظرة لم يخفَ عليهِ معناها لكن رابهُ ما رأى لعزيز من الدالة على بيت جورج فقال في نفسهِ لعلهم يريدون مصاهرتهُ واذا كانت هذه هي الحقيقة فقد انتفى آخر ما بقي لي من الامل . ثم انتظر ريثما تناول القهوة فاستأذن فألحّ عليهِ جورج ان يزورهم في كل اسبوع ولم يسمح لهُ بالخروج حتى وعدهُ ان يفعل . ولما خرج من البيت توجه توًّا الى قهوةٍ على طريق الجزيرة فرأى بعد قليل عربة تقل أليس ووالدتها وبازائهما عزيز في ثيابٍ جديدة وزينة فاخرة ورأتهُ أليس فصبغ الاحمرار وجهها اما اديب فكأن غشاوةً غطت عينيهِ وتأكد ان لا نصيب لهُ في هذه الابنة

وكان اديب يزور بيت جورج حسب وعدهِ في يوم استقبالهم فيزيد حب جورج لهُ لفرط ادبهِ وطلاوة حديثهِ وكمال آدابهِ . اما حنة فكانت تنحاز الى جانب عزيز اذا وُجد وتشاغلهُ بحديثها طول المساء أو تذهب الى غرفتها فتنام اذا لم يجئ ودامت الحال على هذا المنوال الى مساء العيد الكبير فألحت السيدة حنة في طلب

الذهاب لحضور صلاة نصف الليل في كنيسة الحمزاوي . فامتنع جورج من الذهاب معهما لوفرة اشغالهِ فقالت حنة انهمـا ستذهبان بصحبة عزيز فلا خوف عليهما وكانت ارادتها دائماً غالبة كما علمنا من قبل فلم تجد ممانعاً لرغبتها . ولم يرُق لأليس مرافقة والدتها وعزيز لانها كانت تبذل جهدها في الابتعاد عنهُ ولكنها فكرت انهُ لا بد من وجود اديب هناك ايضاً فتراهُ ولو عن بُعد . وذهب الثلاثة الى الكنيسة فكانت السيدة حنة تستلفت انظار الجميع بهيئتها الفخيمة ولا سيما ملابسها التي انفقت عليها مبلغاً كبيرًا من المال وخصصتها لتلك الليلة . اما أليس فأصابها في وسط الحفلة دوار عظيم عقبهُ ألم في رأسها فلم تستطع الوقوف وتوسلت الى والدتها ان يرجعوا الى البيت فقالت امها تشددي يا بنية فاني ما جئت الى هنا لاترك الكنيسة قبل انتهآء الصلاة ولا يقدر عزيز ان يرجعك ويتركني هنا وحدي . فصمتت أليس مكرهة ولكنهُ زاد بها الألم فلم تقوَ رجلاها على حملها وكادت تسقط الى الارض لولم تبادر والدتها الى احتضانها وهي تشتم الاتفاق وتؤنب ابنتها على المجيء . ثم حانت منها التفاتة واذا اديب بالقرب منها فأشارت اليهِ فأتى فكلفتهُ ان يوصل أليس الى البيت في العربة ويعود حالاً . فاستغرب اديب الامر جدًّا ولم يصدق اذنيهِ لأول وهلة وكانت أليس قد عجبت اكثر منهُ فقالت لوالدتها وهل من العدل يا اماه ان يحرم اديب حضور الصلاة . فقال اديب لا بأس يا سيدتي فسأعود في الحال ولا يفوتني الاّ القليل . ثم اخذ يد أليس وما صدَّق ان خرجا من فسحة الكنيسة وبلغا العربة فركباها واشارا الى السائق بالمسير وهاج في صدر اديب بركان من العوامل لكنهُ لم يجد الى النطق سبيلاً وعلم كما علمت أليس ان الفرَص تمر مر السحاب وان التقادير أوجدت لهما هذه الفرصة فلا ينبغي تركها وتغلب اخيرًا على حيآئهِ فقال ألا تزالين تشعرين بألم ايتها السيدة . قالت لا فاني مذ لمست يدك شعرت بتمام القوة والعافية . قال أفتريدين ان ارجعك الى الكنيسة اذًا . قالت كلا فاذا عدت الى الوقوف بجانب هذا الغليظ عزيز فلا بد ان يعاودني الدآء . فبـددت هذه الكلمة جميع شكوك اديب في وجود علاقة بين حبيبتهِ ومناظرهِ فتنهد طويلاً وقال الحمد لله . قالت ولمَ . قال لانني ظننتك تحبينهُ

وانهُ سيكون خطيبك كما سمعت . قالت ان والدتي تسعى جهدها في ذلك ولكن هيهات ان ذلك لا يكون وفيَّ عرقٌ ينبض . فلم يقوَ اديب على ضبط نفسه زيادة على ذلك فأخذ يد أليس بكلتا يديهِ وقال وهل تحبينَ سواهُ اذًا . فنظرت اليه نظرة طويلة ثم تنهدت ومسحت دمعةً ترقرقت من مقلتها ولم تبدِ جوابًا . فقال اديب اواه ما اتعسني وما اعقم آمالي وهبي ان ما كنت اظنهُ غير صحيح فمن أين لي ان اصل الى ما ارجوهُ . قالت وما هو الذي كنت تظنهُ وما الذي ترجوهُ . قال كنت اظنكِ خاليةَ الصدر من حبي فكان في عزمي ان استعطف فؤادكِ على فؤادي الجريح واما وقد علمت انكِ رثيتِ لعذابي وتنازلتِ لحبي فمن يضمن لي قبول والديكِ وسماحهما لي بكِ . فقالت وقد القت رأسها الى صدره انت في غنى عن استعطافي يا اديب فقد احببتك منذ زمانٍ طويل واما قبول والديّ فصعب ولكنهُ غير مستحيل . فطوّق اديب خصرها بذراعيهِ وقال أحقيقةٌ ما انا سامع وهل تحبينني حبًا صادقًا يا حياتي . قالت قد اعطيتك يدي فاما ان اكون عروسًا لك او للحد

وكانت العربة قد وقفت امام بيت جورج فدخلت أليس بعد ان ودعت اديبًا ورسم على يدها قبلةً كانت اثمن واصدق عربون لخطبته ثم عاد الى الكنيسة . وكانت السيدة حنة وعزيز لا يزالان في موقفهما فاخبرها بقدوم العربة فلم يهتما بسؤاله عن أليس فعاد الى بيته وصرف ليلة من اسعد لياليه يراجع في ذاكراته ما دار بينهُ وبين حبيبته من الكلام

وبعد ذلك بايام دار حديث بين حنة وابنتها أليس في امر الزواج فقالت حنة لا بد انكِ لاحظتِ يا أليس ميل عزيز اليكِ وقد سألني يدكِ فوعدتهُ بذلك ولم يبقَ سوى تعيين يوم الفرح . فقالت أليس ومَن اعلمكِ يا اماه انني راغبة في الزواج ولو كان ذلك لكان عزيز آخر من افتكر فيه لانني لا اطيقهُ . فقالت والدتها وقد استشاطت غيظًا ومتى كان للبنات اللواتي من سنكِ حق في انتقاء ازواجهنَّ او رفض ما يدبرهُ لهنَّ والدوهنَّ . أوَلا تدرين يا هذه ان عزيزًا اجمل شبان العاصمة واحسنهم ذوقًا واتقنهم لباسًا فهل رأيتِ بين كل معارفنا من يشبههُ في شيءٍ من

ذلك . قالت كلا وانما لم ارهُ يشبه احدًا في الرصانة ووفور العقل بل هو فظ قليل الادراك لن تحتمله نفسي . فقالت امها اخرسي ايتها الجاهلة وانني اخطأت بمفاتحتكِ في هذا الحديث واخذ رأيكِ فيه مع انني عالمة ان لا ارادة لكِ سوى ارادتي . والآن اخبركِ ان زفافكِ الى عزيز قد تقرر ولا بد منهُ قبل حلول العيد القادم . ولما قالت هذا ذهبت الى غرفتها تاركةً أليس بين التنهد والدمع

ولما جاء جورج في المسآء رأى ابنتهُ حزينة النفس وكان يحبها حبًّا شديدًا فطارت نفسهُ شعاعًا وجعل يسآئلها عما بها ثم اخذها الى غرفته وكانت والدتها في غرفة الاستقبال مع عزيز . واجتهد الاب في ملاطفة ابنته فاخبرتهُ بما دار بينها وبين والدتها من الحديث ثم اعترفت لهُ بحبها لاديب . وكان ذلك الوالد الحنون يصغي بمنتهى اللطف فأثر فيه كلام ابنته ولا سيما وهو عالم بحالة زوجته فتحركت فيهِ العواطف الوالدية وقال لابنته لا تحزني يا أليس فانني لا ارضى بهذا المخنث الذي تروم والدتك ان تنغص عيشكِ به كما نغصت حياتي هي . اما اديب فانني احبهُ كولدي وطالما تمنيت ان يكون صهرًا لي لانهُ مثال الرجل العاقل الحازم وسيكون لهُ مستقبل حسن . فطيبي نفسًا ولا تفاتحي والدتكِ في شيء من حديثنا هذا الى ان يأتي وقتهُ

واخبرت حنة زوجها بما دبرتهُ لابنتها فقال لها ان عزيزًا لا يناسب أليس ولا اريدهُ صهرًا لي فهو مخنثٌ لا يملك شروى نقير وما ترين فيه من الاسراف والتوسع في النفقات ليس الا من اموال اصحابه ومعارفه فاياكِ ان تعديه بذلك . فقالت وقد رفست الارض برجلها ولكنني وعدتهُ ولا ارى افضل منهُ لابنتنا فلا بد من اتمام وعدي أوَلا تعلم ان للام الحق في تدبير شؤون بناتها وليس للاب دخل في ذلك . وافضت هذه المحادثة الى نفور شديد بين جورج وزوجته واقسمت انها ان لم يطع زوجها مشيئتها ستتركهُ وتحسب نفسها ارملة . فكان يحتمل جورج ذلك بصبر ويسعى جهدهُ في اصلاح زوجته ولكنها لم تزد الا تصلبًا وعنادًا واصبحت حياتهما البيتية حياة نكد ومرارة . وجعل جورج همهُ مساعدة اديب في التقدم والترقي حتى اناله مركزًا حسنًا ثم خطّبهُ أليس وعين يوم زفافها بدون ان تعلم زوجتهُ

اما عزيز فلم يعلم بشيء من ذلك وكان لا يتكلم في امر أليس لعلمهِ بافلاسهِ وقد اكتفى بميل والدتها اليهِ . وقبل اليوم الذي عينهُ جورج لزفاف أليس اخبر امرأتهُ فابرقت وارعدت وتوعدتهُ بعقوبات شتى . ولما رأت تصميمهُ على عزمهِ خرجت الى غرفتها وفي الصباح دخل الخادم على جورج ورفع اليهِ رسالة قرأها فاذا فيها ما يأتي

« ايها الرجل العنيد

بما انك صممت على ترك طاعتي والتصرف بدون مشورتي فلا انت زوجي ولا انا زوجتك فسأخرج من هذا البيت الذي فقدت سلطتي فيهِ . ستندم انت وابنتك على ما فعلت ولكنني سأسرّ متى رأيتكما تعضان اناملكما اسفًا . وينبغي ان تعلم اخيرًا انهُ لا يوجد قوة تعيدني اليك اذا صممت على تزويج ابنتك من اديب »

فاستاء جورج جدًّا واخذ يسأل عن زوجتهِ فاخبرهُ الخدم انها خرجت قبل بزوغ الصباح واوصتهم ان يسلموا اليهِ رسالتها حين يستيقظ

ولم يؤخر جورج امر اقتران ابنتهِ واديب فتم ذلك بغاية البساطة والسكون . اما حنة فان بغضها لزوجها ورغبتها في التكفير لعزيز عن عدم القيام بوعدها جعلاها تغوي ذلك الشاب الصغير العقل فسلمتهُ نفسها واكترى لها بيتًا اقاما فيهِ معًا في بعض الانحاء المهجورة من المدينة ولكنها ما عتمت ان تحققت ضيق ذات يدهِ وتراكم الديون عليهِ فعظم عليها الامر وضاقت الدنيا في وجهها اذ لم يمكنها الرجوع الى بيت زوجها ولا استطاعت البقاء على تلك الحالة واثر فيها اليأس والغيظ فمرضت مرضًا شديدًا كان فيهِ انقضاء حياتها

وبلغ خبرها جورج فتأثر تأثرًا شديدًا ولكنهُ هان عليهِ ذلك بعد تركها اياهُ على الصفة المذكورة فلبث مع ابنتهِ وصهرهِ اديب لا يشوب حياتهم شيء من الاكدار سوى تلك الذكرى المحزنة عاقبة الطيش والجهل

﴿ مسيح الهند ﴾

وان شئت قلت مهديّ الهند او دجّال الهند وهو كهؤلآء المهديّين او المتمهدين الذين ما فتئوا يظهرون الحين بعد الحين تصديقاً لما جآء في الاثر



من الإنبآء بنزول عيسى في آخر الزمان . واقربهم عهداً من وقتنا هذا ثلاثة احدهم مهديّ السودان واسمهُ محمد احمد وقد كان من امرهِ ماهو مشهور الى انَ كذّب السيف دعواهُ . والثاني مهديّ الصومال القائم في

هذه الايام واسمهُ المُلاّ محمد بن عبد الله ولم يصل الينا من اخبارهِ الا القليل والله اعلم بما سينتهي اليهِ امرهُ . والثالث مهديّ الهند وهو الذي ترى صورتهُ في صدر هذا الفصل[1] واسمهُ مرزا غلام احمد القادياني وهو يسمي نفسهُ بالمسيح الموعود وبالمهديّ والامام المنتظر . والظاهر انهُ اوفر الثلاثة عقلاً واحكمهم سياسةً ولعلهُ سيكون اثبتهم قدماً وانفذهم دعوةً لانهُ جاء يحمل راية السلم واتخذ شعارهُ طرح السلاح فجعل موقفهُ بمنجاةٍ عن معترك السياسة ومصادمة القوى الدولية وفي جهل قومهِ مايضمن لهُ العدد الكبير من الاتباع كما ضمن مثلُ ذلك لغيرهِ من قبلهِ

اما ترجمتهُ فلم يقع الينا منها ما فيهِ غناء غير انهُ يقال انهُ كان يتولى شياخة احدى الطرائق الاسلامية بالهند ثم سوّل لهُ الغرور بنفسهِ وبما أوتيهُ من الفصاحة على زعمهِ ان يدّعي المهدوية . ولهُ عدة رسائل وكتب عربية ينسج فيها تارةً على منوال الحريري ويتحدّى تارةً كلام القرآن منها

(١) نقلنا هذه الصورة عن رسم فوتغرافي اطرفنا بهِ حضرة الاديب ديمتري افندي نقولا صاحب مجلة الفكاهة وقد بعث بهِ اليهِ احد السيّاح من معارفهِ بعد سياحتهِ في بلاد اوغندا . ومما كتب اليهِ هذا السائح انهُ لما كان في تلك الجهة تعرَّف بكثيرين من افاضل الهنود وفيهم جماعة من اتباع هذا المسيح من الموظفين في اعمال سكة الحديد هناك . قال وكنا اذا اجتمعنا يسألونني عن رأيي في مسيحهم وعما اذا كنت اصدّق دعواهُ وكنت اجاوبهم باجوبةٍ تدل على اني ولو لم اعتقد صحة دعواهُ فاني غير ساخطٍ عليهِ فاستأنسوا مني واهدوا اليَّ هذه الصورة والتمسوا مني ان لا اهينها . . . فوعدتهم واظن ان قرآء المجلات عندكم يسرّون من رؤيتها اذا نشرت في احداها فارسلتها لذلك القصد . اه

كتابٌ انتهت الينا نسخةٌ منهُ عنونهُ بالهُدَى والتبصرة لمن يرى وهو مكتوب بالعربية و بعضهُ مترجمٌ الى الفارسية يشرح فيهِ دعوتهُ ويردّ على بعض المنكرين عليهِ . وقد بث تلك الكتب والرسائل في كل ناحية من البلاد الاسلامية واستمال بها كثيرين الى اتباعهِ ويذكر هو عن نفسهِ ان أتباعهُ يبلغون خمسة عشر الف نفس "

اما كلامهُ فهو النهاية في الركاكة والسخافة بحيث ان من يقرأهُ تظهر لهُ فيهِ دلائل العجمة من اول وهلة لانهُ لا يحسن اختيار الالفاظ ولا وضعها في مواضعها وقد يخطئ معانيها لجهلهِ باللغة فيأتي كلامهُ على خلاف ما يقصد وذلك فضلاً عما يتعاور الفاظهُ من اللحن والغلط كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وافراد المجموع ووضع صيغةٍ بمكان اخرى الى غير ذلك مما يطول سردهُ . ولا بأس ان ننقل للمطالع نموذجاتٍ من كلامهِ في الكتاب الذي اشرنا اليهِ . قال في مستهلّهِ بعد البسملة

« الحمد لله الذي ارى اوليآءهُ صراطاً يضل فيهِ الغَطَاط وجلى لهم نهاراً لا يبصر فيهِ الوطواط واسلكهم مسالك لم يرُضها مطايا الابصار وفجر لهم ينابيع ما اهتدت اليهِ طيور الافكار والصلوة والسلام على خاتم الرسل الذي اقتضى ختم نبوتهِ ان تبعث مثل الانبياء من امتهِ وان تنوّر وتثمر الى انقطاع هذا العالم اشجارهُ ولا تعفى آثارهُ ولا تغيّب تذكارهُ فلاجل ذلك جرت عادة الله ان يرسل عباداً من الذين استطابهم لتجديد هذا الدين ويعطيهم من عندهِ علم اسرار القرآن ويبلغهم الى حق اليقين ليظهروا معارف الحق على الخلق بسلطانها وقوتها ولمعانها ويبينوا حقيقتها وهويتها

وسبلها وآثار عرفانها ويخلصوا الناس من البدعات والسيئات وطوفانها وطغيانها » . . . . .

ووراء هذا الكلام لغو طويل لا يكاد يتخلص منهُ معنىً سوى ما ارادهُ من السجع الملفق وفيهِ من الرطانة والطمطمانية ماهو اغرب من دعواهُ . ومن امثلة هذه فيهِ قولهُ « وليست شقوة في الدنيا كانكار المأمورين ولا سعادة كقبول هؤلاء المقبولين وانهم مفتاح حصن الامن والامان وحرز الداخلين فمابال الذي فقد هذا المفتاح وما دخل الحصن وقعد مع المخرجين وان اشقى الناس رجلان ولا يبلغ شقاوتهما احد من الانس والجان رجلٌ كفر بخاتم الانبياء ورجلٌ آخر ما آمن بخاتم الخلفاء وأبى واستكبر واساء الادب عليهِ وترك طريق الحياء وما تأدب مع الله واهلهِ الموعود و بلغ التوهين الى الانتهاء ولو لم يتولد لكان خيراً لهُ من سوء العاقبة وسخط حضرة الكبرياء » . . . ثم اخذ يتحدى القرآن فقال « وان الساعة آتيةٌ لا ريب فيها ثم الذين ختمت على قلوبهم لا ينتهون واذا قيل لهم آمنوا وأصلحوا ولا تفسدوا قالوا بل انتم مفسدون وحسبوا الغيّ رشداً والفساد صلاحاً فهم لا يرجعون فكيف اذا زهقت نفوسهم وأُظهر ما كانوا يكتمون واذا قيل لهم ما جاء رأس المائة قالوا بلى فقل افلا تتقون ان الذين كفروا ما نفعهم خسوفٌ ولا كسوفٌ ولا آياتٌ أخرى بل هم يستهزئون يعرفون ثم يخلون بما آتاهم الله من العلم وانكشف عليهم الهدى ثم لا يهتدون وجنّ عليهم ليلٌ من التعصب فهم فيهِ يمسون و يصبحون » . . . . .

ومن كلامهِ في اثبات رسالتهِ « ايها العلماء فكروا في وعد الله واتقوا

المقتدر الذي اليهِ ترجعون انهُ جعل النبوة والخلافة في بني اسرائيل ثم اهلكهم بما كانوا يعتدون وبعث نبينا بعدهم وجعلهُ مثيل موسى فاقرأوا سورة المزمّل ان كنتم ترتابون ثم وعد الذين آمنوا وعد الاستخلاف ففكروا في سورة النور ان كنتم تشكّون هذان وعدان من الله فلا تحرّفوا كلم الله ان كنتم تتقون ولذلك بدئ سلسلة نبينا من مثيل موسى وختم على مثيل عيسى ليتمّ وعد الله صدقاً وحقّاً ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وكان من الواجب ان يتساوى السلسلتان الاولى كالاولى والاخرى كالاخرى الا تقرأون القرآن او بهِ تكفرون فان تمنيتم ان ينزل عيسى بنفسهِ فقد كذّبتم القرآن وما اقتبستم من سورة النور نوراً وبقيتم مع النور كقوم لا يبصرون .. وكان وعد الله انهُ يستخلف منكم وما كان وعدهُ ان يستخلف من بني اسرائيل فلا تتبعوا فيجاً اعوج وتعالوا الى حكم ربكم ان كنتم تسترشدون »

اما مذهبهُ فالظاهر انهُ لا يدعو الى دينٍ جديد ولكنهُ على شريعة القرآن يأمر باوامرهِ وينهى بنواهيهِ الا في امر الجهاد فانهُ يدعو الى ابطالهِ لان الجهاد كان يجب في زعمهِ عند قيام الدين الموسوي حتى اذا انتشر ورسخت قواعدهُ جاء المسيح فامر بالسلام والمحبة وكذلك في الاسلام فقد كان الجهاد واجباً في اوائلهِ لقمع المقاومين ونشر الدين واما الآن وقد زالت تلك الاسباب فارسل الله مسيحهُ (يعني نفسهُ) لابطال الجهاد في القرن الرابع عشر ... ومن كلامهِ في هذا المقام قولهُ « سيصولون عليّ شرير او ضرير ويقول ويحك اتحرّم الجهاد وانا ننتظر المهديّ الذي يسفك الدماء ويفتح

البلاد ويأسر كل من ارى الكفر والعناد فالجواب ان هذه القصص ما ثبتت بالقرآن بل يأتي المهدي بوقارٍ وسكينةٍ لا كمجنون بالسيف والسنان ايقبل عقلٌ سليم وفهمٌ مستقيم ان يخرج المهديّ بسيفٍ مسلولٍ ويقتل الغافلين وما كان الله يعذّب امةً قبل ان يفهّم بالآيات والبراهين وان هذا امر لا نجد نموذجهُ في سنن المرسلين ولا يصدر كمثل هذا الفعل الا من المجانين »

وهو يثبت مسيحيتهُ من نصوص القرآن كما مرّ بك من استشهادهِ بما جاء في سورة المزّمّل وسورة النور يريد ما جاء في الاولى من قولهِ « انّا ارسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولاً » . وفي الثانية من قولهِ « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيستخلفنَّهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم » . وقد تقدم بيان ما استخرجهُ من هاتين الآتين الآن الثانية منهما بعيدة عن مقصودهِ لانهُ حمل الاستخلاف فيها على الخلافة النبوية وهو انما اريد بهِ استخلاف قومٍ مكان آخرين على حدّ ما جاء في سورة هود من قولهِ خطاباً لعاد « فان تولّوا (تتولوا) فقد ابلغتكم ما أُرسلتُ بهِ اليكم ويستخلف ربي قوماً غيركم » . ومثلهُ ما جاء في سورة الأعراف من قولهِ لهم « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » وكذا ما جاء بعدهُ من قول صالح لثمود « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد » وبيّنٌ ان الكلام ليس في شيء من معنى الاستخلاف الذي ارادهُ فضلاً ان يكون هو المقصود بما ذُكر من الوعد في سورة النور

ثم انهُ يقول « ان الله بعث مسيحهُ الموعود (اي القادياني) عند هذه الفتن الصليبية كما بعث عيسى ابن مريم عند اختلال السلسلة الموسوية . .

فبعث نبينا وسيدنا محمداً صلى الله عليهِ وسلم وجعلهُ مثيل موسى وكلمهُ وعلّمهُ ما علَّم ثم لما انقضت مدة هجرة هذا النبيّ الكريم كمثل مدة كانت بين عيسى والكليم .. بعث الله مثيل ابن مريم في هذا الزمان ليتطابق السلسلتان» والحاصل انهُ أُرسل بعد ان مرّ بينهُ و بين محمد مثل المدة التي مرّت بين عيسى وموسى وهي ثلاثة عشر قرناً وكأن هذا المتتمّة التطبيق بين السلسلتين الا انهُ غلط في حساب هذه المدة بنحو ٤٠٠ سنة

وهو ينكر قيامة المسيح و بقاءهُ حيًّا لينفي رجوعهُ بنفسهِ كما اشتهر في الآثار وقد روى عنهُ خبراً لا بأس بنقلهِ تفكهةً للقرآء . قال « وثبت بثبوت قطعي ان عيسى هاجر الى ملك كشمير بعد ما نجاهُ الله من الصليب بفضلٍ كبير ولبث فيهِ الى مدة طويلة حتى مات. ولحق الاموات وقبرهُ موجود الى الآن في بلدة سِري نَكَر التي هي اعظم امصار الخطّة وانعقد عليهِ اجماع سكان تلك الناحية وتواتر على لسان اهلها انهُ نبي كان ابن ملك وكان من بني اسرائيل وكان اسمهُ يوزاسف واشتهر بين عامتهم ان اسمهُ الأصلي عيسى صاحب . وكان من الانبيآء وهاجر الى كشمير في زمان مضى عليهِ من نحو ١٩٠٠ سنة . بل عندهم كتب قديمة توجد فيها هـذه القصص في العربية والفارسية ومنها كتاب سمي اكمال الدين » . . .

وجاء بالهامش « قد رأينا قريباً من الف مجلدات من الكتب الطبية فوجدنا فيها نسخة مباركة يسمى مرهم عيسى عند هذه الفرقة وثبت بشهادة اطباء الروميين واليونانيين واليهود والنصارى وغيرهم من الحاذقين ان هذه النسخة من تركيب الحواريين وكتب كلهم في كتبهم انها صنعت لجراحات

عيسى وكذلك كتب على قانون الشيخ ابي علي سينا »

ثم ذكر في تفسير لفظة يوزاسف « انها كلمة عبرانية مركبة من لفظ يسوع ولفظ آسف ومعنى يسوع النجاة واما لفظ آسف فمعناهُ جامع الفرق المنتشرة » . وبالهامش « كان من عادة اليهود انهم يسمون اطفالهم يسوع اعني النجاة على سبيل التفاؤل وطلب العصمة من امراض الجدري وخروج الاسنان والحصبة خوفاً من موت الاطفال بهذه الامراض المخوفة فكذلك سمت مريم ابنها يسوع اعني عيسى »

وهو على كل ما رأيت يدّعي انهُ قد ملك عنان العربية واصبح فيها نسيج وحده حتى لا يوجد في اهلها من يخطّ لهُ فيها غباراً او يلحق لهُ آثاراً ويقول انهُ يفسر القرآن تفسيراً يعجز عنهُ اهل الارض في مدة لا تجاوز سبعين يوماً وقد فسر الفاتحة في مئة وخمسين صفحة وسمى تفسيرهُ

إعجاز المسيح في التفسير الصحيح . ومن كلامهِ فيهِ يتحدى القرآن « وان اجتمع آباؤهم وابناؤهم واكفاؤهم وعلماؤهم وحكماؤهم وفقهاؤهم على ان يأتوا بمثل هذا التفسير في هذا المدى الحقير لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيراً » . وقد قرأنا في مجلة المنار انهُ نظم قصيدةً يدّعي انها من المعجزات وارسل معها منشوراً باللغة الانكليزية يقول فيهِ انهُ اوتي من البلاغة ما لم يؤتهُ احدٌ من العالمين ويقول ان من يعارض قصيدتهُ هذه من شعراء العربية يعطى عشرة آلاف روبية . ونحن نروي بعض ابيات هذه القصيدة لعلّ في اصحابنا الشعراء من يرغب في معارضتها طمعاً في نيل هذه الجائزة السنية . قال في مطلعها

ايا ارض مُدٍّ قد دفاكِ مدمّرُ واردَاكِ ضليلٌ واغراكِ موغرُ
دعوتِ كذوباً مفسداً صيدي الذي كحوت غديرٍ اخذهُ لا يعزّرُ
وجاءكِ صحبي ناصحين كاخوةٍ يقولون لا تبغوا هوًى وتصبروا
فظلّ أُسارى كم اسارى تعصبٍ تريدون من يعوي كذئبٍ ويخترُ
فجآءوا بذئبٍ بعد جهدٍ اذابهم ونعني ثنآء الله منهُ ونظهرُ

ومنها يذكر بعض المنكرين عليهِ

فلما اعتدى وأحسّ قومي انهُ يصرّ على تكذيبهِ لا يقصرُ
دعوهُ ليبتهلن لموت مزورٍ مضلٍّ فلم يسكت ولم يتحسّرُ
وكذّب اعجاز المسيح وآيهُ وغلّطهُ كذباً وكان يزوّرُ

وقد اطلنا في الكلام على هذا الرجل الى حدٍّ لعلنا جاوزنا بهِ ما يستحق امثالهُ وما كنا لنتفرغ للاهتمام بهِ ونشغل بمزاعمهِ صفحات الضيآء لولا ما تواتر من ذكرهِ في هذه الايام وما تكرر من الكلام عليهِ في بعض جرائدنا ومجلاتنا مما بعث جماعة من مشتركي الضيآء على ان توالت اسئلتهم في الاستفهام عنهُ فلخصنا في هذه النبذة ما تسنى لنا الوقوف عليهِ من مذهبهِ وترجمة حالهِ ليكون ضرباً من الفكاهة وليعلم القرآء منزلة هذا الرجل الذي قام يدعي مثل هذه الدعوى في هذا الزمان بل ليعلموا ما لا يزال عليهِ بعض امم عصرنا من الجهل والغفلة حتى تروج عليهم امثال هذه المخرقات الهذيانية ولعلهُ لا يمضي طويل زمنٍ حتى نسمع ان من جماعتهِ من تجنّد لبثّ مذهبهِ فيعيد علينا احاديث العصور الخالية والدهر ابو العجب

الجذام في القرن العشرين

قام اهالي باريز هذه المدة وقعدوا لتفشي دآء الجذام عندهم من احد المستشفيات المعروف بمستشفى سان لويس وقد وقفنا على فصل نشرتهُ احدى مجلات باريز العلمية تحت العنوان المذكور عدَّدت فيهِ اماكن انتشار هذا الدآء في القرن الحالي قالت

كنا نظن ان دآء الجذام قد انقطع دابرهُ من زمنٍ طويل فلا نجد ذكرهُ الا في التواريخ القديمة من عهد الصليبيين وما قبلهم الى عهد الفينيقيين واليونان ولكنهُ قد انتشر في هذه الايام في كثير من البلدان حتى اصبح على حدّ السلّ الرئوي عندنا و زاد في شيوعهِ وتفشيهِ كثرة المغازي والفتوح واتصال الاسفار والمخالطات و بعد اذ كان لا يُرى في اوربا من المبتلين بهِ الا الواردون عليها من جهات الطوارىء بقصد الاستشفاء وتبديل الهوآء قد سرى الى نفس المقيمين من اهلها فصار من الامراض الوطنية

على ان هذا الدآء منتشرٌ اليوم في غالب اقطار الارض واكثر ما يوجد في اوربا في اسلندا ونروج و فنلندا ونواحي القوقاس . وقد كان في اسلندا في اوائل القرن التاسع عشر اربعة مستشفيات للمجذومين عُطّلت في سنة ١٨٤٨ فكان ذلك سبباً في زيادة شيوع هذا المرض هناك وقد كان عدد المصابين بهِ سنة ١٨٩٥ نحو ٢٠٠ نفس من ٧٣٠٠٠ من السكان . على ان هذا العدد اقلّ من الواقع لانهُ لم يُحصَ الا من كان المرض ظاهراً فيهِ يُعرَف من اول نظرة و بقي كثيرون ممن لم يُنتَبه الى وجودهِ فيهم . واما في

نروج فهم على اكثر من هذه النسبة فقد أُحصي الذين دخلوا المستشفيات فقط فكانوا نحواً من ٥٠٠ نفس . ووُجد قريبٌ من هذا العدد في نواحي فنلندا وكذلك في ولايات البلطيك وما يجاورها من ارض پروسيا وبلغ عدد المصابين بهذا الدآء في ولايات القوقاس بموجب الاحصآء الاخير ٢٩١ نفساً

اما في نواحي البلغار فالمجذومون كثيرون جدًّا وكذا في سائر ارجآء المملكة العثمانية كما فصّلهُ الدكتور زَمْبا كو باشا في الآستانة وقد ذكر بعضهم ان اصحاب هذا الدآء في الآستانة يبلغون خمسة من كل الف من السكان . وقس على ذلك في جزائر الارخبيل الرومي وفي صِقلّية والاندلس من اسپانيا وفي البرتوغال وغيرها فان هذا الدآء كثير التفشي فيها . اما في فرنسا فهم قلائل فانهُ يوجد في پاريز نحو ٥٠ مجذوماً جميعهم غُربآء من اهل الطوارئ واكثرهم من المرتينيك وغادلوپا ولا يكاد يُرى منهم في غير پاريز احد

واكثر ما يوجد الجذام في آسيا وفتكهُ فيها شبيه بفتك السل في فرنسا ففي هندستان يبلغ المجذومون على ما جآء في الاحصآء الاخير ١٣٠٠٠٠ نفس بين ٢٠٠ مليون من السكان ولا يكاد يوجد من المصابين احدٌ اجنبي . وفي الهند الصينية يوجد على اقلّ تقدير ٢٥٠٠٠ مجذوم . وهو كثير في الصين وكوريا وفرموزا ففي كنتون ٢٥٠٠ مصاب وفي اليابان ١٠٠٠٠ وهنالك قرًى جميع اهلها على التقريب مجذّمون . وكذا في جزر اوقيانيا وفي اميركا واكثر ما يوجد في جزر الانتيل وعلى الخصوص في كوبا وهايتي وجامايك . وهو من الامراض المقيمة في جزر الپاسيفيك ففي جزر صندويج يُعدّ

المجذومون واحداً من ١٥ من مجموع السكان وفي كاليدونيا الجديدة يختلف عددهم بين ٢٥ و٧٥ في المئة . وعلى الجملة فان هذا المرض قد اصبح عامًّا في جميع اقطار الارض لا يكاد يخلو منهُ موضع

اما صفتهُ فانهُ يكون على هيئات مختلفة لكنهُ يرجع في الجملة الى نوعين احدهما تظهر اعراضهُ في الجلد بما يحدث فيهِ من التقرُّح ويسمى بالجلديّ والآخر اكثر ما تكون اصابتهُ للعضل والعصب ولا يصحبهُ التهابات جلدية ويُعرَف بالعصبيّ . والاول يتميز بظهور بُقَع مستديرة في الجلد يصحبها دمامل يختلف كبرها من قدر الحمّصة الصغيرة فما فوق وعلى الغالب يتصل بعضها ببعض حتى تعمّ جميع العضو الذي تخرج فيهِ . وهي اكثر ما تظهر في الوجه فيتشوه تشوهاً قبيحاً وتتغير جملة هيئتهِ وتستحيل الى الهيئة الخاصة باصحاب هذا الداء . فتتراكب تلك الدمامل على الجبهة ولا سيما على قوسي الحجاجَين ويتطأمن الانف من عند قاعدتهِ وتتضخم الشفتان وتبرزان الى الامام ويتحدب الذقن ويميل الى التربيع وتغلظ محارة الاذنين وتتشوه حتى لا يعود يتميز شكلها ويتناثر شعر الحاجبين والاجفان والعارضين او يسقط برمتهِ ويصير منظر الوجه شبيهاً بمنظر وجه الاسد ولذلك يسمى هذا النوع بداء الاسد

واما النوع الآخر فتتضخم فيهِ الاعصاب حتى تصير على مثلي غلظها الطبيعي او ثلاثة امثالهِ الا ان هذا التضخم يكون فيها على شكل عُجَرٍ متفرقة واكثر ما يظهر في عصب اليدين والرجلين فاذا ضُغط على العصب كان اشبه بحبلٍ غليظ ذي عُقَد يمور تحت الجلد . وهو حيثما ظهر حدث في العضو الذي يظهر فيهِ ضمورٌ وهزال وصحب هذا الضمور سقوط الاطراف المصابة .

فتتشنج اصابع اليدين والرجلين وتتقفع حتى تصير اطراف بعضها اشبه بمخالب السباع وبسبب هذا التشنج يتقعر ظاهر الكفين ثم تخرج بالاطراف دمامل تتقرح ويتشقق الجلد والعضل وبعد ذلك تتساقط الاصابع من تلقآء نفسها عقدةً بعد عقدة ويتشوّه شكل الكف والقدم حتى تصبح كلٌّ منها جذمةً قبيحة . ويستحيل منظر الوجه فتجمد حركات عضله وتنتفخ بخصات الاجفان وتثقل حركات العين وتظهر على المصاب هيئة الفدامة والبلاهة

على انهُ كثيراً ما تشترك اعراض النوعين فيجتمع التقرح وضمور الاعضآء وسقوط الاطراف ويعقب ذلك كلهُ اعراضٌ ثقيلة ولا سيما في النوع الاول حتى يصبح الانسان جيفةً تنبعث الروائح الكريهة من جميع جسمهِ فضلاً عما يقاسيهِ من الآلام والاضطرابات العصبية وغير ذلك مما يطول استيفآؤهُ ويقشعرّ الانسان من مجرّد تصوُّرهِ

قلنا وقد اختلف متقدمو الاطبآء في هذا المرض هل هو وراثيٌّ او ينتقل بالعدوى ولكن الذي اجمعوا عليهِ اليوم انهُ لا دخل فيهِ للوراثة وانما ينتقل بواسطة نوع من الانبوبيات (bacilles) اكتشفهُ هنسن سنة ١٨٦٩ على ان عدواهُ كانت من الامور المقطوع بها قديماً وعليهِ الحديث المشهور « اهرب من المجذوم هربك من الافعى » . وهو يعدي باللمس بأي طريقة كانت لجسم العليل او ملابسهِ او آنية طعامهِ او شرابهِ او غير ذلك من كل ما يصيبهُ شيءٌ من صديد العلة

رحلةٌ في بلاد المكسيك

نقتضب النبذة الآتية من كتابٍ مطوَّل بعث بهِ الينا صديقٌ لنا من المهاجرين الى الاقطار الاميركية وقد مرَّ في اراضي المكسيك وشاهد مافيها من الغرائب فمما جآء في كتابهِ المذكور قال

. . . وبعد خروجنا من ابيساغو كان القطار يقطع بنا سهولاً فسيحة قد انبسط فوقها العشب البرّي وساد عليها سكون الموت . وكانت تبدو لنا احياناً من ورآء الافق او من فوق قنن الجبال صورة كنيسة او قبة جرس بيضآء تحيط بها الاشجار كأنها وكنة طائر او صومعة ناسك وحولها فضآءٌ لا نهاية لهُ يمثل للناظر انهُ سائرٌ في طريق الآخرة او انتقل الى اوائل العصور الغابرةُ

وبعد ان جزنا مسافاتٍ طويلة في هذا المشهد الموحش بلغنا مدينةً اسمها پُوِّيبْلا وكانت السبع الطباق تدوي بصدى الاجراس المحزنة واستمرَّ القرع ساعاتٍ وهو يتجدد كلما حسبناهُ انتهى فقلنا لعلَّ الفقيد من اشراف المكسيك الذين لا يموت مثلهم الا نادراً . . . ولكن مضى على ذلك ايامٌ بعد ان القينا بها العصا والاجراس لا تزداد الا هراشاً ثم قيض الله لنا من انار بصائرنا فاعلمنا ان پوِّيبلا هذه مدينة الملائكة وتسمى ايضاً مدينة الكنائس لكثرة معابدها . وللكنيسة الكبيرة وحدها ساعةٌ دقاقة و ١٩ جرساً في قبة واحدة واكثر هذه الاجراس بطول قامة الانسان وهي مختلفة الاصوات وكلما عبر ربع ساعة يأخذون في قرعها على التوالي ايذاناً بانقضآء ربع الساعة

فتارةً يكون القرع نقراً لطيفاً وتارةً جعجعةً خشنة ومرّةً طقطقةً على عجل وطوراً أنيناً عميقاً على مهل واحياناً بين بين وهكذا الى ان تتمّ جميع الاجراس واجباتها على اختلاف نغماتها فيعاد الامر على اسلوبٍ آخر بان يؤلف بين نغمة جرسين الى ما شاكل ذلك مما يضيق المقام عن وصفهِ. ولكل ما ذكر اصول وشروط لا يعرفها سوى اربابها فان الدقات معدودة وقبل نهاية كل فصل يضعف الصوت ويتماوت ثم ينتفض فجاءةً بقرعةٍ عنيفة هي الاخيرة

اما اهل البلاد فاكثرهم من الهنود الخلّص واول ما يستغربهُ الناظر اليهم نتوء الصدغين وتباعد العينين من غير ميل وبلوغهم الثمانين قبل ان يطرّ شاربهم فهم في هذا على الزيّ الانكليزي من قبيل الشارب فقط. وقد صَعُبَ عليَّ ان آلَف ذلك منهم كما صعب عليَّ ان اعتاد منظر قبعتهم. غير اني لا احسب لهم فضلاً في شكل القبعة ولا في شكل البنطلون لانهم اخذوا هذه الحسنة في زيهم عن الاسپانيول. اما البنطلون فانهُ اضيق من قفّاز الپاريزيات فتراهم فيهِ على حدّ قول عنترة « والساق منها مثل ساق نعامةٍ » او مثل ساق الإوَزّة المنتوفة. واما القبعة فانها ذاهبةٌ في العنان كبرج أُفّيل او عمود قَندُوم وعليها نقوش وكتابات اكثر من مسلة كليوپترا ولها من حولها اطار او رواق مستدير اوسع ظلاً من قبة نجران وكلما اختال لابسها في مشيهِ وهزّ رأسهُ تحسب الارض قد ماجت والسماء انخفضت من جانب وارتفعت من الجانب الآخر

وكلما اتسعت ثروة الواحد منهم زاد في زخرفة ملبوسهِ فبنطلون ذوي اليسر يكون على الغالب ثلاثة الوان كالراية الفرنسوية وعلى جانبيهِ سلسلتان

من الحديد مُتينتان وهما بطول البنطلون و بعرض ٧ سنتيمترات فما زاد وهما تقومان مقام الازرار لان هذا البنطلون لضيقهِ لا يُلبَس كغيرهِ ولكن لابد ان تكون كل واحدة من ساقيهِ مشقوقة من الجانب الوحشي من فوق الى اسفل ثم تُضمّ احدي حاشيتيها الى الاخرى بواسطة السلسلة ولابسهُ يسمى « كاباليّيرُو » . ويصعب عليهِ المشي على الارض لان لحذآئهِ مهمازاً نادر المثال قطرهُ نحو ١٥ سنتيمتراً فيضطر حاملهُ ان يخطو الخطوات القليلة التي لا بد منها متنقلاً على اصابع رجليهِ كانهُ الحجل اوكانهُ ماشٍ على بيض . وهو قلما ينزع عنهُ سلاحهُ ولا يُرَى في منطقتهِ اقلّ من مسدَّسين وخنجر مع قطع النظر عن الاحدب البتار الذي الى جنبهِ وبندقية موزير التي في عاتقهِ

والمكسيكيون على جانب من اللطف والمؤانسة فقد اتفق لي غير مرة ان امرّ باحد المشاة . . . او الخيالة فاراهُ على عدم معرفتهِ بي يكشف القبَّعة ويحني رأسهُ مسلماً فاردّ التحية باحسن منها ظاناً ان السلام لهذا الفقير. ثم تنبهت الى ان التحيات والتسليمات كانت للدرابزين او زعرور الباب فانها كلها وقعت لي بجانب حائط احدى الكنائس ومن واجبات عابر الطريق ان يسلّم متى واجه الجدار ولو كانت الكنيسة على مسافة نصف كيلومتر منهُ. وليس هذا الدليل الوحيد على تقوى الامة فان عربة الاسقف متى مرّت ينطرح الناس على جانبي الطريق الى الارض وهي عادةٌ قديمة كنت اظن ان الناس ابطلوها من عهد بطرس الاكبر

ومن غريب عوائدهم ان الشاب اذا اراد الاقتران بفتاة لا يخطبها الى ذويها ولكن يكون ابتداء المسئلة على حد ما قال الشاعر « نظرةٌ فابتسامةٌ

فسلامٌ » ومتى ارخى الليل سدولهُ يقف تحت نافذة الحبيبة ويناجيها باشواقهِ ومذ ذاك يصير المغرب والنافذة موعد التقآء الحبيبين فيقضيان الساعات الى ما بعد منتصف الليالي على هذه الصورة غير مباليين بالبرد ولا المطر وبعد ان تمرّ عليهما عدة اشهر فاما ان يقترنا او ان يفترقا الى ما شآء الله . وهذا ليس مما يقع في الندور ولكنها عادة جارية في البلاد فانك لا تكاد تمرّ في احد الشوارع بعد المغيب الا ترى في كل نافذةٍ فتاةً وتحت كل نافذةٍ عاشقاً وربما وقفت اثنتان او ثلاث في نافذة واحدة وكان الخطّاب كذلك وهم كما ذكرنا في الشارع العام . وهذه الحسنة ايضاً اقتبسها المكسيكان عن اخوانهم الاسپنيول وهي كثيرة الشيوع في اسپانيا حتى ان ناپوليون الثالث خطب الكنتس دي مونتيخو من النافذة وهي التي صارت بعد ذلك الامبراطورة اوجيني . واغناطيوس لويولا ادلت اليهِ خطيبتهُ حبلاً فصعد اليها الى النافذة ثم انتهى امرهما بالتقاطع وعلى اثر ذلك انخرط في سلك الجندية ثم انشأ شركة الجزويت المشهورة ج * ن

اسئلة واجوبتها

القاهرة ـ عثرت في الجزء الخامس من مجاني الادب (ص ١٩١) على قصيدة عنوانها « زهرية عنتر بن شداد » ولدى مطالعتها وجدت فيها الفاظاً كثيرة لم افهم معناها وذلك مثل قولهِ منها

والجوُّ بين مقلّسٍ ومغلّسٍ بتغزُّلٍ وتبرُّقٍ وتسلسلِ

والطير بين مفرّدٍ ومغرّدٍ ومرنّمٍ ومرخّمٍ ومكلّلِ

والزهر بين مفتَّحٍ ومطرَّحٍ ومفوَّحٍ وملوَّحٍ لم يكملِ
ما بين منشورٍ كشوبٍ معلمٍ ومفوَّفٍ ومزوَّقٍ ومململِ
والورد بين مبهَّجٍ ومفوَّجٍ ومبهرجٍ ومرهَّجٍ ومجللِ

وهلمَّ جرًّا من مثل هذا الطرز مما ان كان عنترة حقًّا هو قائلهُ فلا شك انهُ كان سكران في الحديقة التي يصفها . . . والا فهل لكم ان تخبرونا ما معنى المقلّس والمغلّس في وصف الجوّ وكيف يكون ذلك منهُ بتغزُّل وتبرُّق وتسلسل وما معنى هذه الالفاظ هنا . ثم ما المراد بالطير المفرّد وما الفرق بين المغرّد والمرنم وماذا اراد بالمرخّم وما المناسبة بين المغرّد وما يليهِ و بين المكلل وهلمَّ جرًّا الى آخر ما هنالك . ارجو الجواب على ذلك ولكم الفضل ديمتري نقولا

الجواب ــ قد علمتم ان عنترة كان عبداً اسود لان امهُ أَمَةٌ زنجية فلعلَّ هذه الالفاظ من لغة اخوالهِ العبيد . . . .

آثار ادبيّة

السحر الحلال في شعر الدلّال ــ اهدى لنا حضرة الكاتب الفاضل الالمعيّ قسطاكي بك الحمصي نسخةً من رسالةٍ لهُ بهذا العنوان ضمَّنها ترجمة الشاعر الاديب الرحالة المرحوم جبرائيل الدلّال احد اعلام مدينة حلب وفضلائها المشهورين ذكر فيها تاريخ حياتهِ ونشأتهِ واسفارهِ وجانباً من مختارات شعرهِ ونُخَب رسائلهِ فجاءت فيما يزيد على اربعين صفحة . وقد القى عليها من لطائف انشائهِ وطلاوة اسلوبهِ ما جعلها على الحقيقة كتاب

ادبٍ تروق مطالعتهُ ولا تُملّ مراجعتهُ فنثني على حضرتهِ اطيب الثنآء لما عُني بهِ من احيآء هذا الاثر ونحضّ المطالعين على ادّخار هذه الطرفة والتمتع بما احتوتهُ من محاسن الغُرَر

المنتحَل — هو سفرٌ نفيس من مؤلفات الامام ابي منصور الثعالبي الشهير جمع فيهِ كل ما رقّ وراق من جيد الشعر ومحكمهِ مما يستعين بهِ ارباب الانشآء ويُتمثل بهِ في اثنآء المطارحات والمساجلات واخرجهُ في خمسة عشر باباً في اغراضٍ مختلفة « مما ينخرط في سلك الرسائل والمخاطبات ويندرج في اثنآء الاخوانيات والسلطانيات ويستعمل في سائر انواع المكاتبات » . وقد عُني بطبعهِ بعد تنقيحهِ وتصحيح روايتهِ حضرة العالم الفاضل الشيخ احمد ابي علي امين المكتبة البلدية بالاسكندرية وفسّر ما فيهِ من الالفاظ الغريبة ثم ختمهُ بذيلٍ اورد فيهِ تراجم من ذُكر فيهِ من الشعرآء وهم نحو مئة وستين شاعراً من قديم ومولَّد سرد اسمآءهم على ترتيب حروف المعجم وسماهُ « المنتخَل في تراجم شعرآء المنتحَل » . فجآء كتاباً جليل الفائدة لا يستغني عنهُ منشئٌ ولا اديب ولا يعدم فوائدهُ المترسل والشاعر لما يتضمن من الفاظ الخاصّة واساليب الشعر الصحيح

وقد تصفحنا ما وسعنا تصفُّحهُ منهُ فوجدنا ان المصحح لم يدّخر وسعاً في تنقيحهِ وتهذيبهِ واخراجهِ على اصحّ الصور وامثلها مما قضى فيهِ ولا ريب اشد العنآء كما يدل عليهِ ما ذُكر في اولهِ من نموذج اغلاط النسخ في النسخة الوحيدة التي وقعت اليهِ مما لا يُظفَر بصحتهِ الّا بعد جهد التنقيب

والامعان في تقليب الصحف وكفاهُ بذلك فضلاً يشهد لهُ بالاخلاص في خدمة اللغة وأنهُ ممن يقدرون الآثار العلمية حق قدرها

بيد أنّا لا بدّ ان نستأذنهُ في ايراد بعض ما مرّ بنا من الهفوات التي بقيت من عبث الناسخ او نشأت من سهو الطابع مما لا شك انهُ لا يفوت مثل علمهِ وان تخطاهُ نظرهُ في التصحيح لما لا يخفى وجه العذر فيهِ . وذلك كما جاء في صفحة ١٧ حيث رُوي قول المتنبي « بكتب الامام كتابٌ ورد » وصوابهُ بكتب « الأنام » كما لا يخفى وهو المرويّ في ديوانهِ . وفي هذه الصفحة « وتفاءلتُ في الظهور على الواشي .. » والوجه « بالظهور » لانهُ يقال تفاءلت بالشيء ولا يقال تفاءلت فيهِ . وفي صفحة ٢٤ رُوي قول الشاعر

بدا بالمعاني وتهذيبها فأبرزها كالوجوه الحسانِ
وقدَّرَ الفاظهُ بعد ذلك على ما اقتضتهُ قدود الغواني

فقولهُ « قدود الغواني » هو ولا شك من بقايا تحريف الناسخ والمقام يقتضي قدود « المعاني » كما هو ظاهر . ومن هذا القبيل ما جاء في صفحة ١١٩ من قول الشاعر

الى كم يكون العتب في كل ساعةٍ وان لا تملّينَ القطيعة والهجرا

ولا يخفى ان الشطر الثاني مختلٌّ في المعنى والاعراب والوجه « وكم » لا تملّينَ . و مثلهُ ماجاء في صفحة ١٢٥ من قول الآخر

ليَ جارٌ كلما قلتُ جرى وتشوّقتُ لهُ ينقطعْ

وصحتهُ وتشوقتُ « اليهِ » لان القافية ساكنة . واغرب منهُ ما جاء في آخر

صفحة ١٧٧ من قول الآخر

ولم نرَ كالمعروف بدعاً حقوقهُ ورُبما ضرَّ عند الحاجة المطرُ

وهما شطران من بيتين كلٌّ منهما من بحر. وربما نُسِب بعض الابيات الى غير قائلهِ كما جاء في اول صفحة ٥٨ حيث رُوي بيتان للمتنبي نُسب اولهما الى عليّ بن الجهم والثاني الى البحتري ولعل هذا من اصل التأليف لان المؤلف رحمهُ الله كثيراً ما كان يتفق لهُ مثل ذلك كما نبهنا على بعضهِ في التذييل على شرح ديوان المتنبي ولهُ هنا نظائر اخرى كما ترى في صفحتي ٢٣٨ ـ ٢٣٩ وصفحتي ٢٥٣ ـ ٢٥٤ . وبهذا القدر في هذا المقام كفاية

بقيت لنا كلمةٌ في تسمية هذا الكتاب بالمنتحَل بالحآء المهملة ولسنا ننكر ان هذا اللفظ كذلك رُوي في وفيات الاعيان وفي فوات الوفيات الا ان ذلك يمكن ان يُحمَل على تحريف النساخ ومانرى الثعالبي الا اراد المنتخَل بالخآء المعجمة اي المنتخَب لانهُ انتخبهُ من عدد كبير من دواوين الشعرآء ولا وجه لتسميتهِ بالمنتحَل لان هذا اللفظ لا يصدق على شيءٍ من مضمون الكتاب . وما قدَّرهُ حضرة الشيخ من انهُ سماهُ بذلك ليشير الى ان ابا الفضل الميكالي انتحلهُ لنفسهِ مستبعَدٌ لانهُ لا يقع في الظنّ ان مثل الميكالي على ما هو معروف من علمهِ وفضلهِ يجوز عليهِ مثل هذا مع وضوح القصد منهُ وانطباقهِ على الواقع ان صحّت هذه الرواية عنهُ

واخيراً فانّا نكرّر ثنآءنا على حضرة المصحح لما عني بهِ من نشر هذا الكتاب ونَنصح للمتأدبين بالكتاب بمقتناهُ . وهو حسن الطبع جيد الورق يقع في ٣٦٠ صفحة وثمنهُ ٢٠ غرشاً اميريًّا

فكاهات

الفجآءة[1]

استيقظتُ يومًا سحرًا فخرجت من منزلي وكان النسيم عليلاً منعشًا فما زلت سائرًا الى ان اوصلتني خطواتي الى امام باب حديقة الازبكية فدخلتها وسرت توًّا الى محلٍّ يظلله النبات الغض بالقرب من البحيرة التي فيها فاتكأت على العشب وجعلت اتأمل في محاسن الطبيعة وترتيب يد الانسان . وكانت العصافير في رؤوس الاشجار تترنم وتغرد كأنها تسبح الخالق على ذلك اليوم البهيج قبل خروجها الى عملها اليومي . وبعد ان سرحت افكاري في مواضيع شتى خطر لي ان اكتب روايةً وكان سكون المحل وبهجتهُ يحببان مثل هذا العمل فأخذت قلمي وورقًا كنت احفظهُ في جيبي ثم اشتلتُ لفافةً وبدأت في الكتابة . ولكنني لم اكد اخط كلمةً واحدة حتى شردت افكاري فتوزعت في انحاء عديدة فأرسلت وراءها رائد الذاكرة ليجمعها فلم تزدد الا تشتتًا ونفورًا وبقيت نحو نصف ساعةٍ اجاهد في ذلك فلم اصادف اليهِ سبيلاً واخيرًا ارجعت اوراقي وقلمي الى مخبئهما في جيبي . واذا بصوتٍ قرع اذني في ذلك السكون على غير انتظارٍ مني فأصخت بسمعي وعلمت ان المتكلم فتاة في اوائل العمر وهي تقول بلهجةٍ الحنو باللغة الانكليزية الفصحى ولماذا اراكِ دائمًا تبكين اذًا . . . فأجابها صوتٌ آخر بنفس الرقة والعذوبة أبكي يا بنيتي على حظي الاسود واسألهُ تعالى ان لا يجعل نصيبكِ كنصيبي . ثم تبع ذلك تنهدٌ من قلب جريح وكلماتٌ متقطعة من صاحبة الصوت الاول لم اتمكن من سماعها تمامًا . ودفعني الاستغراب الى مشاهدة صاحبتي الحديث فنهضت من موضعي واشرفت من بين الاغصان الملتفة فرأيتُ ابنةً لا تتجاوز الرابعة من العمر تقودها بيدها سيدةٌ مرتدية

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

بجبرةٍ سوداء وقد رفعت عن وجهها برقعاً من الحرير الناعم الرفيع فأزاحتهُ الى أعلى رأسها لتتمكن من مرأى ما حولها . وتبعتهما بنظري الى ان بلغتا مقعداً حجريًّا على حافة تلك البحيرة الصغيرة فجلستا تتأملان طيوراً من الاوز كانت تستحمّ في المياه . فرأيت في هيئة المرأة ما ظهر لي منهُ انها من الحريم التركي المصري ولكن ما سمعتهُ من كلامها حقق لي انها انكليزية الاصل أو انها تربّت في انكلترا لانهُ لا يمكن ان تكون تناولت هذه اللغة بالتعليم وادركت هذه الغاية من حسن النطق بها . فزادت بي الحيرة وحملني حب الاستطلاع على ان سرت من مكاني متوجهاً الى الباب الآخر فمررت بالقرب منهما وبودّي ان استطيع مشاهدة السيدة عن قرب . ولما كدت ابلغ مكانهما سمعت الام تقول اواه فانهُ لو كان لي عليّ الاقل من اشكو لهُ همي وانتفع بمشورتهِ لهان عليّ تحمل هذا العذاب . وما سمعت هذه الشكوى حتى شعرت ان الدم قد صعد الى وجهي وخفق قلبي فلم اتمالك ان اقتربت من السيدة وقلت لها بلغتها الانكليزية اظن ان السيدة ان سمحت لي ان اكلمها ليست من بنات مصر . وظهر لي انها دهشت من تجاسري على محادثتها ولكنها القت عليّ نظرةً من عيني جؤذر ينبعث منهما نور يسحر القلوب وقالت لا بل انا انكليزية . قلت كنت تأكدت ذلك لو لم يموّه الحقيقة عليّ هذا اللباس الذي انتِ مرتدية بهِ . وقد سمعت عليّ غير قصدٍ مني عبارتين منكِ علمتُ انكِ على غير ما ترومين من السرور وبما انني غريبٌ مثلكِ فقد اثر فيّ ما سمعتهُ واجترأتُ على مكالمتكِ فهل في امكاني يا ترى ان اقوم بخدمةٍ أو اسعى في امرٍ ما لمساعدتك . فحدّقت ببصرها في وجهي مدة وهي صامتة ولم يقوَ نظري على الثبات في تلك الطلعة الملائكية فأطرقت الى الارض وبعد هنيهة قالت انك تتكلم بالانكليزية نظيري فهل انت انكليزي . قلت لا ولكني درست هذه اللغة جيداً بكافة فروعها وعاشرت بنيها وتعلمت آدابهم واخلاقهم وهذا ما دعاني الى محادثتكِ بعد ما سمعت شكواكِ . فصمتت هنيهةً وهي تتفرس في وجهي ثم قالت يظهر لي انك صادق فيما تقول ولا يزجرني ضميري عن اطلاعك على حالتي ولعلّ الله ساقك اليَّ لتجدّد في نفسي بقية الامل التي كادت تضمحلّ .

ولكن التمس منك ان تعرفني بنفسك اولاً وسأعرفك بنفسي لدى تلاوة حديثي . فذكرت لها اسمي وان محل شغلي مجتمع غرائب تجارية تقصدهُ السيَّاح ثم جلست بازآئها على جانب البحيرة وكانت ابنتها الصغيرة تتوق نظيري الى سماع ما ستقصهُ علينا والدتها فساد سكون عميق كان يرن فيهِ صوت المتكلمة الرخيم فقالت

اني وُلدت في مدينة منشستر من اعمال انكلترا وابواي انكليزيان من اسرة غير دنيئةٍ . فاصابت والدتي حمى النفاس و بعد ولادتي بايام قلائل توفاها الله فكان ذلك اول مصيبة حلت عليَّ اذا لم احسب ان ظهوري في عالم الوجود كان مبتدأ المصائب . وكان والدي في سعة عيش ورخآء ولهُ معملٌ كبير للمنسوجات القطنية يديرهُ بمنتهى الحذاقة والنشاط . و بعد عدة سنوات الَّف رؤسآء المعامل في بلادنا جمعيةً غرضها التضييق على الصناع والاستئثار بالسلطة والتلاعب بالاسعار فلم يشأ والدي ان ينضم الى هذه الجمعية وكان ذلك سبباً لخرابنا. فان الجمعية المذكورة مافتئت تسابقهُ وتضايقهُ حتى وقفت حالهُ تماماً وطرأت عليهِ خسائر جسيمة فوقع تحت احمال الديون الباهظة واضطرّ اخيرًا ان يبيع المعمل بثمن بخس لم يكد يكفي لوفآء الديون.

ولما اصبحنا لا نملك شروى نقيرٍ وليس في استطاعة والدي ان يتعاطى غير العمل الذي نشأ عليهِ دخل في خدمة الرجل الذي اشترىٰ معملهُ وكان كلما دخل المعمل وخرج منهُ يتخيل لهُ كيف كان فيهِ السيد المطلق ثم اصبح من بعض العملة فتضيق نفسهُ ويضغط عامل الحزن على قلبهِ فيذيب من قوتهِ وصبرهِ فابيضّ شعرهُ وانحنى ظهرهُ ولم اعد أرى فمهُ متبسماً من ذلك الحين

وكان لصاحب المعمل الجديد ابنٌ في مقتبل الحياة يدعى وليم رآني يوماً فولع بي واشتدّ هيامهُ وكنت قد بلغت السادسة عشرة من عمري فاتاني يوماً وشرح لي حبهُ وسألني ان اقابلهُ بالمثل وان اعدهُ بان اكون لهُ زوجةً . وختم حديثهُ بقولهِ ان انا وافقتهُ على طلبهِ فانهُ يرفع شأن والدي ويقيمهُ مديرًا ويزيد راتبهُ والاّ فانهُ يضايقهُ ويطردهُ من عملهِ ويتركنا في اسوأ حال . اما انا فلم اكن اميل الى هذا الفتى بل كنت اكره ان اقابلهُ لفظاظة طباعهِ وسوء آدابهِ وعلى الخصوص لاني كنت احب

ابن عمي وهو فتى يدعى شارلس هيل ادركهُ اليتم صغيرًا فاخذهُ والدي ورباهُ معي فكنا كأن الطبيعة اوجدتنا معًا ليكون احدنا للآخر وكان يعمل مع ابي ايضًا . فلما سمعت من الفتى هذه الكلمات كدت اقع مغشيًّا عليّ ولم اجسر ان اصرّح لهُ بالرفض مخافة ان يحقق ما قالهُ من ايقاع الاذية بوالدي فتساقطت دموعي بغزارة وبعد قليل توسلت اليهِ ان يمهلني مدةً اراجع فيها افكاري قبل ان اجاوبهُ آملةً اني بهذا التأجيل اكسب وقتًا اطلب فيهِ الى الله ان يرشدني الى طريقة التخلص بها من محبي هذا بدون ان يحنق على والدي . ولم اذكر لابي ولا لابن عمي شيئًا مما جرى فقضيتُ اياماً لا اكاد اذوق قوتًا وبان تأثير هذه الانفعالات عليَّ بكل وضوح . فقلق والدي وشارلس وبذلا وسعهما في مداواتي بالتنزه وانواع المسرات ولم يكونا يعلمان ان في الصدر حزازةً دامية لا يمكن شفآؤها الا بما هو اشدّ منها ضررًا . وبعد شهر من تلك المقابلة المشؤومة جآءني وليم ثانيةً طالبًا مني بالحاح شديد ان اعطيهُ الجواب النهآئي فصرفنا ساعةً قضيت اكثرها بكآءً ونحيبًا ولم استطع ان اجيبهُ بكلمة . فخرج محنقًا وقال سأنتظر الى الغد فقط فان لم احصل على جوابكِ ترين اباكِ وابن عمكِ راجعين من محل شغلهما مطرودين طردًا . فسقطت على مقعدٍ في غرفتي واستغرقت في البكآء ثم جثوت وتضرعت الى الله ان يسهل لي طريقة الخلاص من معذبي هذا ولو بموتي . اما وليم فانهُ توجه توًّا الى المعمل وقابل والدي فقال لهُ قد سألتُ ابنتك بلانش امرًا وينبغي ان تجاوبني عليهِ غدًا صباحًا من غير بد . فلما جآء والدي في العشية ورأى ما انا فيهِ مع اجتهادي في اخفآءِ الامر استدعاني اليهِ والحّ عليّ ان اطلعهُ على ما حصل بيني وبين وليم . فاضطررت ان افعل واخبرتهُ بالواقع تمامًا . فلمحت في وجههِ سحابة كدر مرّت بسرعةٍ ثم اخذ في ملاطفتي ولامني على عدم اخبارهِ بذلك من اول الامر ثم وعدني انهُ سينظر في طريقة لخلاصي من وليم بدون ضرر . وهكذا رجعت اليَّ نفسي فنزلنا الى غرفة المائدة واكلنا مع ابن عمي عشآءً هنيئًا ولم نكد نفرغ حتى نهض ابي فلبس قبعتهُ وخرج قائلاً انهُ ذاهب لزيارة صديق . وحدثني قلبي انهُ يضمر غير ما يقول وكانت الحقيقة انهُ توجه الى بيت وليم فقابلهُ

وأنبهُ على تهديده اياي ومخاطبته لي في شؤون كهذه بدون استشارته ثم قال له واعلم يا وليم ان بلانش لا تريدك فلا تطمع فيها . فقال وليم بمنتهى الشراسة واعلم انت ايضاً ان المعمل لم يعد في احتياج اليك فتعالَ غداً مع شارلس لتأخذا ما بقي من اجرتكما ولا تعودا ترياني وجهيكما بعد ذلك . فقال ابي بل نترك لك المستحق لنا مكافأةً لك على تخليصنا من مشاهدة وجهك القبيح ومعاشرة آدابك الفاسدة. وكنت انا وشارلس ننتظر والدي في الحديقة فلما عاد كان تأثرهُ شديداً حتى انهُ مرّ بجانبنا ولم يرنا حتى كلمناهُ ثم دخلنا معاً وقصَّ علينا ماحصل. فشقّ علينا الامر جدًّا ولكن والدي كان يسلينا ويعزينا ويقول لنكن واثقين برحمة الله فانهُ لا يترك بنيهِ ولا يحرمهم حظًّا حتى يقضي لهم بافضل منهُ . آه لقد صدق والدي وقضى الله بالحظّ الافضل ولكن لهُ لا لنا فانهُ بعد ذلك بمدةٍ قصيرة افتقدهُ بمرض كان سبب وفاتهِ وفاضت روحهُ ويداهُ ممدودتان الواحدة على رأسي والاخرى على رأس شارلس

ثم شهقت بلانش ومنعتها العبرة من متابعة الحديث فاخذت اسليها الى ان سكن روعها فمسحت عبرتها ثم عادت الى اتمام حديثها فقالت

وشمر شارلس ابن عمي عن ساعد الجد والنشاط وكان يسعى في البحث عن عملٍ لهُ فصرف اياماً بدون جدوى وسُدّت في وجههِ ابواب الرزق من كل جهة فاضطرّ اخيراً ان ينتظم في سلك الجندية وعلم ان ذلك سيكون ضربةً اخرى فوق مصائبي ولكنهُ اقنعني بوجوب ذلك وعللني بالآمال انهُ سيترقى يوماً الى رتبة لائقة فنقترن ونعيش بسرور ينسينا المرارة الماضية . وتجلدت انا ايضاً فوعدتهُ انني انتظر ذلك واساعدهُ بصلواتي وانني سأحافظ على حبهِ وذكرهِ مما لم يكن يشك فيهِ قطّ . وفي الشهر الثالث من انتظامهِ في الجيش نشبت الحربِ الترنسفالية المشهورة فكانت فرقتهُ اول الفرق التي صدرت لها الاوامر بالسفر الى تلك البلاد . وكان يوم سفر شارلس اشبه بيوم وفاة والدي وكان كلٌّ منا يغالب عواطفهُ بالتجلد رأفةً بالآخر . وبعد سفر شارلس كان لديّ مبلغ قليل من المال جمعت بعضهُ من التوفير والبعض الآخر مما تركهُ لي والدي فسافرت الى ليفربول واكتريت غرفةً في بيتٍ باجرة

يسيرة وكنت اعيش بمنتهى الحكمة والتقتير . ومرّت عليَّ سنة في تلك الحال كنت اكاتب فيها شارلس ويكاتبني فيخبرني عن احواله ولا تسل عن سروري عندما بلغني منهُ انهُ رُقّي الى رتبة ملازم جزآء اقدامهِ وبسالتهِ. وفي منتصف السنة الثانية انقطعت عني اخبار شارلس فقلقت جدًّا وكنت انتظر الجرائد بشوق شديد لعلي ارى فيها خبرًا عنهُ الى ان كنت ذات يوم اطالع في احداها فوجدت خبرًا عن الفرقة التي فيها شارلس انها حاربت في موقعة شديدة امام بريتوريا ومع قلة عددها وكثرة رجال العدو فازت فوزًا مبينًا ولم يقتل من رجالها الا القليلون . ثم يقال في الرسالة ان ممن ابلى البلآء الحسن في هذه المعركة الملازم شارلس هيل فانهُ كان امام رجالهِ غير مبالٍ بالاخطار يقودهم بمنتهى البسالة والاقدام وينفخ فيهم روح الحمية التي لو لم يكن هو ومثالها لما فازت جنودنا في تلك الموقعة. ولكنهُ ما كاد يفرح بنصرتهِ هذه حتى اصابتهُ رصاصة اطارت قطعةً من جمجمتهِ فسقط قتيلاً وقد ابدى السردار والقواد مزيد اسفهم على خسارتهِ

فلما قرأت ذلك شعرت اولاً كأن مجرًى كهربآئيًّا أُطلق على جسدي فجمَّد دمي ويبَّس اعضآئي ثم سقطت الجريدة من يدي ولم اتمكن من ان اتحرك لرفعها ولبثتُ مدةً كأنني شخصٌ حجريٌّ . وشعرت لاول مرة في حياتي انني اصبحت حقيقةً وحيدة في هذا العالم الواسع وكان امامي مرآة في الحائط تعكس صورتي فخلتها شبح الموت آتيًا ليأخذني الى شارلس فأطبقت اجفـاني وقلت هآءنذا . وغاية ما اتذكرهُ انني شعرت كأني اسقط الى هوة القبر ثم غبت عن الوجود . . . . ولما افقت وجدت نفسي مطروحة على الارض والكرسي مرميٌّ بجانبي وقد خرج الدم من فوق صدغي الايمن وجمد على جرح اصابني في تلك السقطة . وقضيت اياماً لا اذكر شيئًا مما اجريتهُ فيها ولولم تعتنِ بي صاحبة البيت الذي كنت اقيم فيهِ — ويا ليتها لم تفعل — لكنت من زمنٍ طويل قد اصبحت جثةً هامدة

اما حياتي هنالك فأصبحت في غاية المرارة والضيق ولم اعد اطيق النظر الى تلك البلاد التي يذكرني كل ما اراهُ فيهـا بأهلي الذين فقدتهم ومصائبي المتواترة عليَّ .

فقضيت اياماً كفاقدة العقل الى ان مررت يوماً امام مخزن قرأت على بابهِ اسم محل كوك الشهير وتحتهُ اعلان يفيد ان الشركة المذكورة مستعدة لنقل السياح الى مصر بأجور تختلف باختلاف الدرجات. ولا ادري ما الذي دفعني الى الرغبة في المجيء الى الى هذا القطر غير اني رغبت في مغادرة تلك البلاد لعلمي اني اذا كنت في ارض غريبة لا اخجل من تعاطي أي خدمةٍ أو عملٍ اتفق اذا نفدت دريهماتي واحتجت الى القوت . وهكذا دخلت المحل المذكور واكتتبت مع اصحاب الدرجة الثالثة ودفعت الاجرة المعينة . ولما جآء موعد السفر وركبت الباخرة ألقيت على وطني نظر الوداع الاخير غير عالمة بما خبأهُ لي الغيب

ولما بلغت القاهرة نزلت في فندق يوافق حالتي الماليةِ . وكانت ايامي الاولى في القاهرة غير مملة لما رأيتهُ فيها من الحركة الدائمة والمناظر الجميلة والآثار القديمة ولكن لما جآء الصيف اخذت اشعر بضيق المعيشة والانفراد . وكانت النقود الموجودة معي قد قاربت النفاد فأعلنت في احدى الجرائد اني اروم الاستخدام بصفة مربية للاولاد فلم احصل ولا على ذلك ايضاً . وساقني يوماً حظي الاسود فخرجت من الفندق وظللت سائرةً الى ان بلغت جسر قصر النيل فوقفت عليهِ اراقب مياههُ الجارية بسرعة في معظم فيضانهِ وجال في خلدي ان ألقي بنفسي الى ذلك التيار علهُ يريحني من عذابي فيكون ارحم من معاملة الدهر لي ولكن بقية من الديانة في صدري كانت تحارب ارادتي هذه وتغلبت عليها فأسرعت الخطى حتى ابتعدت عن الجسر وسرت على غير هدًى في الطريق اليمنى المؤدية الى اواسط الجزيرة وادركني الكلال فرأيت شجرة غضة جلست تحتها طلباً للراحة . وبعد هنيهة جاءت عربة يقودها اثنان من جياد الخيل يسوقها فتى حلو الشمائل ناضر الشبيبة تلوح على هيئتهِ ملامح اللطف والانس فاستوقف عربتهُ قرب الشجرة قبل ان يراني ثم حانت منهُ التفاتة فنظرني فاعتذر عن وقوفهِ بجانبي على غير قصد . ورأيت فيهِ سمة العظمة والشرف والغنى فقلت لهُ لا بأس يا سيدي ولكن اسمح لي ان اسألك هل عندك عيالٍ . قال نعم عندي عيال هي عيال والدي اما انا فلست بمتزوج . وصبغ

الحيآء وجهي لاني خشيت ان يكون قد فهم مني غير ما اريد فأدركتهُ للحال قائلة انما سألتك عن العيال اريد هل عندكم اولاد صغار تطلبون لهم معلمة أو مربية فاني قد ارصدت نفسي لهذا العمل . فقال ربما وجدت لكِ عملاً فأين اراكِ . فأعطيتهُ عنوان الفندق و بعد ان تحادثنا حصةً من الزمن عرض عليَّ ان يوصلني في عربتهِ فشكرتهُ ورفضت وسار وهو يتلفت الى جهتي . وفي اليوم الثاني زارني الفتى المذكور في الفندق وتكلمنا فوجدت فيهِ لطفاً عظيماً ورقةً شرقية وسررت بحديثهِ فكان يزورني دائماً ويعدني انهُ ساعٍ بايجاد شغلٍ لي . واعلمني انهُ ابن احد الباشوات واسمهُ عمر بك وانهُ لم يتزوج حتى ذلك الحين لانهُ سافر مرارًا الى اوربا ولم يعد يرى في بنات جنسهِ من يود ان يقترن بهـا ثم ذكر لي انهُ قد احبني ويروم ان اقبلهُ زوجًا لي . فارتعش جسمي عند سماع هذا الكلام وقلت لهُ كيف تفكر في ذلك وانت غريب الجنس والدين عني . قال لا يهمني ذلك البتة وأعِدكِ انني لا اعترضكِ في مذهبكِ . و بعد ان الحّ عليَّ في هذا الطلب فكرت فيما قالهُ وأعدت نظري في احوالي الحاضرة فوجدت الامر نعمةً قد ساقها اليَّ القدر لخلاصي من الشقآء الذي وصلت اليهِ فأجبتهُ الى ما ارادهُ واقترنت بهِ . وكان الاحتفال بقراننا عظيم الابهة والجمال والزينة مستكمل اسباب الترف والسرور حضرهُ عدد غفير من سراة القاهرة وكبرآئهـا ووجدت نفسي في قصرٍ عظيم يحتوي على جميع اسباب الغنى والعظمة وفوق كل ذلك محبة عمر الشديدة لي فأيقنت ان مصائبي قد انتهت وابتدأت في حياة السعادة والهنآء . وخطر لي اذ ذاك ما كان يقولهُ لي ابن عمي شارلس وكيف كان يؤمل ان اعيش واياهُ على مثل تلك الحال فلم اتمكن من حبس نفسي عن ذرف الدموع . وكان لعمر شقيقة يحبها جدًّا توفيت وتركت ابنةً صغيرة في الثالثة من عمرها تدعى عفت فأخذها عمر وجعلها ابنةً لنا وهي هذه التي بجانبي وتظنني امها

وما كادت تتم السنة الاولى من زواجنا حتى رأيت في عمر تغيرًا وانقلابًا عظيمين فصار لا يجيء البيت الا نادرًا لينام ثم صار يسيء معاملتي فمنعني من الذهاب الى الكنيسة ثم امرني ان اغيّر لباسي وارتدي بهذه الهيئة الشرقية فكنت لا اخالف

لهُ امرًا لعلمي انهُ زوجي وعليَّ طاعتهُ . وسعيت لاعلم ما الذي جعلهُ في هذا التغير فعلمتُ انهُ قد سقط في شرك بعض بنات الهوى اللواتي ينصبنَ حبائلهنَّ في حانات هذهِ الجهات فجعلنَ عمر عبدًا لهنَّ يدعونهُ يوميًّا الى مسامرتهنَّ وتعاطي كؤوس الشراب الى ان تفقدهُ الخمرة عقلهُ فيبدد عليهنَّ الاموال الطائلة ويعود الى بيتهِ عند بزوغ نور النهار لينام . وتقدمت اليهِ يومًا لاردعهُ عن عملهِ هذا واذكرهُ بواجباتهِ الزوجية فاستشاط غيظًا ونفر مني واعدت عليهِ الكرة مرة اخرى فلطمني ورفسني وسقطت الى الارض مغمًى عليَّ . واحاطت بعمر عصبة من أولاد جنسهِ ورتبتهِ فكانوا ينتقلون بهِ من رذيلةٍ الى ارذل ومن منكر الى انكر حتى اصبح كفاقد العقل من كثرة تعاطي الحشيش والمسكر وادمان السهر والجولان . هذا وامواله تنفق بدون حساب وتتدفق من بين انامله تدفق الماء . وكثيرًا ما كنت انتظر عمر ساهرة الى الصباح فيعود محمولاً على ايدي رفاقهِ أو خدمهِ ولا ازال حتى الآن في هذه الحالة الشقية وهو لا يسأل عني الا ليضايقني ولا يواجهني الا ليلطمني ولا يكلمني الا ليشتمني فآخذ هذه البُنَيَّة واسير بها غائبة عن البيت مدة وجودهِ فيهِ وكثيرًا ما اقصد هذه الحديقة لقربها من بيتنا وجمال منظرها حتى اذا وقفت امام هذه البحيرة يعاودني فكر التخلص من هذه الحياة المرة بالانتحار لولا اشفاقي على مولودٍ سيظهر الى عالم الوجود قريبًا

ولما انهت بلانش قصتها ورأت التأثر الشديد البادي على وجهي قالت لم يخطئ ظني فيك ايها الصديق وغاية ما ارجو منك ان تعدني بمقابلتك حينًا بعد آخر فكفاني ان ارى من يكلمني بلغتي ويلذني حديثهُ فيسليني بعض التسلية عما انا فيهِ من المصائب . فاخذت اخفف عنها والاطفها ووعدتها بمقابلتها في يومٍ آخر وكنا كثيرًا ما نجتمع ونتفاوض فاعلم منها ان عمر لا يزال يزداد في شرورهِ وانغماسهِ في الرذائل والشهوات

. . . .

وذهبت ذات يوم من شتاء سنة ١٩٠٣ الى محل شغلي وكانت السياح ترد اليهِ بين مشترٍ ومتفرج ورأيت رجلين بينهم قد وقفا امام مومياء يتفرسان فيها فقال احدهما

للآخر « لو كانت عادة التحنيط باقية الى الآن لما بُعثت من قبرك » فاستغربت هذا الكلام وسألتهُ عما يعنيهِ فقال لي ان صديقي هذا قد قام من الموت . فسألت الرجل عن الامر فقال لي انهُ كان ضابطاً في الجندية واصابتهُ رصاصة في رأسهِ كسرت جمجمتهُ والقتهُ على الارض قتيلاً وان الجنود جاءت بعد الموقعة ترفع القتلى فرفعوهُ معهم ونقلوهُ الى محل الدفن . واستغرقت الاستعدادات المتبعة في مثل تلك الحالة نحو يوم كامل ثم اخذوا في مواراة القتلى في التراب بعد فحص ثيابهم واخذ اوراقهم فلما وصلت النوبة اليهِ ومدّ المأمور يدهُ الى جيب صدرهِ شعر بضربات قلبهِ فذُعر ونادى الطبيب للحال ففحصهُ فوجد انهُ لم تزل فيهِ بقية من الحياة . فنقلوهُ الى المستشفى ولبث فيهِ نحو ثلاثة اشهر زال في نهايتها كل خطر على حياتهِ و بعد ستة اشهر اخرى أُذِن لهُ في العودة الى انكلترا فعاد و بقي فيها الى هذه السنة فاستحق « اجازةً » جاء فيها القطر المصري لتغيير الهواء .

وكنت انا اسمع الحديث بقلبٍ خافقٍ وقد ملكني العجبُ والاستغراب فما صدقت ان فرغ من كلامهِ حتى صحت بهِ اسمك اسمك ما هو اسمك . فدُهش الرجل شديداً وقال اسمي الملازم شارلس هيل فماذا يهمك ذلك . فقلت وقد اخذ مني السرور مأخذهُ يهمني ويهمك كثيرًا فانتظرني قليلاً وكان قد قرب ميعاد انتهاء عمل النهار فخرجت معهُ وهو متعجب وقد ظنني ولا شك فاقد العقل . فلما بلغنا الفندق الذي يقيم فيهِ خلوت بهِ وسردت لهُ ما سمعتهُ من بلانش وما علمتهُ منها في اجتماعاتنا التالية فكاد الرجل يجنّ فعلاً . ثم اخبرني انهُ سعى جهدهُ بعد عودتهِ الى انكلترا للوقوف على اثرها فلم يمكنهُ ذلك وظن اخيرًا انها ماتت . ثم صاح بي قم بربك وخذني اليها لتعود اليَّ حياتي . فاستمهلتهُ الى صباح الغد ووعدتهُ ان اجمعهُ بها وكان اليوم الثاني موعد اجتماعي ببلانش حسب العادة ولما ذهبت الى الفندق في الصباح رأيت شارلس ينتظرني على بابهِ وقد دلّت هيئتهُ على انهُ لم ينم تلك الليلة فسرت بهِ ودخلنا حديقة الازبكية الى المكان المعهود . وكانت بلانش قد سبقتنا فلما رأتني قامت لاستقبالي كالعادة بدون انتباه الى ان بصحبتي آخر . ولما وقع

نظرها عليهِ صاحت صياح الخائف اذا رأى شبحاً يقوم من لحده ِ ثم اسندت ذراعها الى شجرة بالقرب منها وهوت ساقطةً الى الارض . وكنت انتظر مثل ذلك فاسرعت واخذتها بذراعيّ قبل ان تسقط . ولما عادت اليها قوتها فتحت عينيها وقالت بربك ايها الصديق ما الذي دفعك الى احضار ارواح الموتى . فقلت سكّني روعكِ يا سيدتي فان الواقف امامكِ الآن ليس شبحاً بل هو حقيقةً ابن عمك شارلس هيل . فقالت اخبرهُ اذاً اخبرهُ بكل شيء وعادت الى غيبوبتها . وكان شارلس قد اخذها بين يديهِ ودموعهُ تتساقط على وجهها تساقط المطر فكان منظرهما على تلك الحالة مما لم ارَ ولم اسمع اشدّ منهُ تأثيرًا . فصرفنا ساعة او اكثر وابت بلانش الا ان نرافقها الى بيتها ففعلنا وسألتها عن زوجها فقالت انهُ الى حين خروجي لم يكن قد عاد بعد ولا اظنهُ يعود اليوم . ولكننا ما بلغنا القصر حتى رأينا الخدم يجرون وعلى وجوههم هيئة الرعب والاضطراب ولدى البحث علمنا ان عمر بك عاد الى بيتهِ في الصباح في حالة سكرٍ عظيم وكان الحشيش قد اضاع رشدهُ فدخل الى غرفتهِ في الطبقة العليا وخرج الى شرفةٍ على غير هدًى فزلت قدمهُ وسقط من ذلك العلو الشاهق فشجّ رأسهُ . فاسرعنا اليهِ وحملناهُ واستدعينا الطبيب فوجد بعد الفحص انهُ قد مات . وكانت بلانش واقفة بجانب سريرهِ مستخرطة في البكاء وتعاونت انا وشارلس فاخرجناها الى غرفة اخرى وجعلنا نعزيها فقالت نعم اتعزى ولكن بعد ان افي الزوج حقهُ فهما فعل عمر فانهُ كان زوجي

وفي اوائل الشهر الرابع من هذه السنة ولدت بلانش غلاماً ذكرًا ورث ما كان لابيهِ من الاموال الطائلة والمقتنيات واصبحت والدتهُ وصيةً عليـهِ . اما ابن عمها شارلس فعاد الى انكلترا ليقدم استعفاءهُ من الخدمة ويعود للاقتران ببلانش . ولا ازال ازورها في بيتهـا الى الآن فنذكر ما مضى وهي تقول لي في كل مرةٍ ان قلبي اوحى اليَّ من اول مرةٍ نظرتك فيها انك ستكون بشير الخير والسلام

الزلازل وشكل الارض

بحث المسيو للمان نائب رئيس الندوة الفلكية الفرنسوية في امر الزلازل واسبابها بما لا يخرج في الجملة عما تقدّم لنا شرحهُ قريباً في بعض اجزاء هذه المجلة (١) ثم استطرد الى البحث في شكل الارض على العموم وسبب توزع البرّ والبحر فيها على الترتيب الذي نراهُ فذهب في ذلك مذهباً جديداً لا يخلو ذكرهُ من فائدة وتبصرة ونحن نورد ملخص ما ذكرهُ في هذا المعنى مع الاقتصار على أبينهِ واقربهِ منالاً من ذهن المطالع . قال

لا يخفى ان العلماء منقسمون في الموادّ المستبطنة للارض على مذهبين احدهما ان باطن الارض سائل وان ظاهرها انما جمد بسبب انبعاث الحرارة منها في الجوّ على ما هو المشهور بين اهل هذا العلم فالزلازل على هذا القول مسببة عن تجمُّع الغازات التي تطلقها الموادّ السائلة عند تبرُّدها او عن ابخرةٍ كثيفة تحدث عن ارتشاح مياه من البحر تتسرب الى باطن الكرة حتى تماسّ الموادّ الملتهبة . والمذهب الآخر ان باطن الارض جامد والزلازل على هذا القول تحدث عن تفاعلاتٍ كيماوية يصدر عنها انقلابات في باطن الارض اوعن مفاعيل كهربائية من مثل ما يحدث في طبقات الجوّ

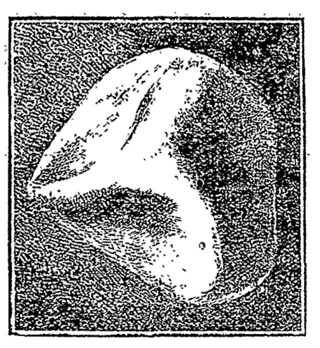
وايّ هذين القولين كان الاصحّ فان ما ذُكر في كليهما لا يخرج عن كونهِ تعليلاً موضعياً نُظر فيهِ الى الحاصل دون السبب اذ لا يُتناول منهُ ناموسٌ عامٌّ لهذه الحوادث مع تشابهها ووقوعها في الوقت الواحد في عدة

(١) صفحة ٣٨٩ وما يليها

مواضع من الارض . وقد احصي على وجه الارض ما يزيد على ثلاث مئة فُوَّهة من فوّهات البراكين العاملة واكثر من ضعفي هذا العدد من البراكين الخامدة او الهاجعة وقد اخذت عدةٌ كبيرة من هذه البراكين تستيقظ منذ سنةٍ فاكثر موزعة في جميع انحاء الكرة . فمنها في جُزر الانتيل باميركا الوسطى وفي شيلي والأَلَسكا والبحر الهندي والپاسيفيك وفي اوربا ومافتئت تتوارد علينا الانبآء في كل يوم بحدوث زلازل جديدة تارةً في اليابان واحياناً في الجزائر الفيلبية او في الهند او تركستان او الخليج الفارسي او القوقاس وفي استراليا وسلسلة جبال الكُرْديلار او غواتيمالا حتى ان جزراً برمتها غاصت فجأةً في البحر الاصفر وفي خور المكسيك فلا بدّ لهذه الحوادث المتفرقة من سببٍ عام يكون مصدراً لجميعها

وقبل الكلام في ذلك لا بدّ لنا من البحث في كيفية توزُّع البرّ والبحر على وجه الارض وسببهِ ولعلّ ارجح الآرآء في ذلك ما ارتآهُ المستر گرين احد علمآء الانكليز وتبعهُ فيهِ جماعةٌ من علمآء طبقات الارض وهو مبنيٌّ على القول بان باطن الارض سائل فانهُ ذهب الى ان قشرة الارض بعد تقلُّص الموادّ السائلة التي في باطنها اتخذت شكلاً هو اقرب شيء الى الشكل الهرميّ ذي القاعدة المثلثة . وقد بنى رأيهُ هذا على امتحانٍ اجراهُ فَرْبَرْن وذلك انهُ عمد الى انابيب من المطّاط وسلّط عليها ضغط الهوآء من الخارج بان فرَّغ شيئاً من الهوآء الذي في داخلها فاتخذت شكلاً مثلثاً ذا سطوح مقعرة فاستنتج من ذلك انهُ لو اجرى هذا الامتحان في كرةٍ مجوَّفة وعرَّضها لمثل هذا الضغط لوجب ان تستحيل الى شكل هرمٍ مثلث

قال صاحب المقالة وقد حداني حبّ الاختبار على ان امتحنت هذا الامر بالفعل فعمدت الى كرة من المطاط واستخرجت بعض الهوآء المحصور فيها شيئاً بعد شيء فاتخذت الشكل الذي تراهُ في الرسم . وامتحن ذلك بعد حين اثنان من علمآء البلجيك في كرات مجوَّفة من الزجاج ففرَّغا شيئاً من الهوآء الذي فيها بعد ان ليّناها بالحرارة فصارت الى الشكل عينهِ وهو ولا جرم ابسط شكل يمكن ان يستحيل اليهِ الجسم الكروي عند التقلص



ومعلومٌ ان هذا الشكل لا بد لهُ من اربع قِمَم لو اطرافٍ ناتئة حيث تلتقي زوايا سطوحهِ ولا يقدح في ذلك ما يُرَى في الارض من الشكل الكُرَويّ فان هذا انما نشأ من قِبَل مياه البحار الغامرة لاكثر سطحها بحيث اصبحت اشبه بكرةٍ مركزها مركز الجاذبية في الهرم فتجمعت المياه حولها على الشكل المذكور . ولما لم يكن بدٌّ لمحور الارض ان يوافق احد محاور الشكل المثلَّث لزم ان تكون ثلاثٌ من تلك القمم في احد نصفي الارض وتكون مع ما حولها مرتفعة فوق مستوى سطح المياه وتكون القمة الرابعة بارزةً في قطب النصف الآخر وما حولها مغموراً بالمياه وهو امرٌ يكفي لتحقيقهِ ان تُلقَى نظرةٌ على كرةٍ من الكرات الارضية فيُرَى ان شكل الارض مطابقٌ لما ذُكر

وذلك ان معظم اليبس مجتمعٌ كما هو معلوم في النصف الشمالي من الارض وهو ينقسم الى ثلاثة برور احدها برّ اميركا بقسميها والثاني برّ اوربا مع ما يتصل بهِ من برّ افريقيا والثالث برّ آسيا مع ما يتبعهُ من برّ استراليا . ثم ان القطب الشمالي مغمورٌ ببحرٍ عميق تحقق وجودهُ منذ الرحلة الاخيرة للدكتور نَنْسَن وقد سبر بعض اغوارهِ فوجد فيها ما يبلغ عمقهُ ٣٨٠٠ متر. واما القطب الجنوبي فعلى عكس ذلك فانهُ مركز برٍّ قد تراكم فوقهُ الجمد وقد تحقق رُوس ان هناك قمماً من الجبال عظيمة الارتفاع يبلغ علوّ بعضها ٤٠٠٠ متر

ثم ان البرور الثلاثة المذكورة مع ما يتصل بها يتخللها ثلاثة ابحر وهي الپاسيفيك والاتلنتيك والبحر الهندي الا انهُ يظهر في هذا الاخير شيء من الشذوذ لانهُ كان ينبغي لتمام الشكل ان يمتدّ شمالاً حتى يفصل بين آسيا واوربا . لكننا اذا تفقدنا شكل البرّ هناك وجدنا هذا الشذوذ امراً ظاهريًّا فقط لان جميع النصف الغربي من سيبيريا مؤلفٌ من قاعٍ متطأمن اذا زاد انخفاضهُ شيئاً يسيراً ركبهُ الماء ولحق بالاوقيانس . وهذا التطأمن يمتدّ على محاذاة نهر أورال من اول مجراهُ حتى ينصبّ في بحر قزوين ووجود هذا البحر هناك يدلّ على ان هذين البرين كانا منفصلين من عهد لا يبعد كثيراً

ثم ان من مقتضى ما ذُكر ان ينتهي البرّ الذي يلي كلاًّ من القمم المذكورة بطرفٍ يذهب جنوباً وان الابحر ينبغي ان تستدقّ كلما اوغلت بين برّ وآخر ذاهبةً الى جهة الشمال . وهذا ما تجدهُ ايضاً في الصورة الجغرافية فانك ترى طرف كلٍّ من اميركا الجنوبية وافريقيا والبرّ الآسويّ الاسترالي

حادّ الشكل في الجملة كما ترى ان آسيا واميركا الروسية توشكان ان تتصلا من عند مضيق بيرنغ بطرفين مستدقين يمتدّان من كلٍّ منهما الى الاخرى

وهناك امرٌ آخر يترتب على تشكل الارض بالشكل المذكور وهو مما يزيد هذا الرأي تأكيداً واريد بهِ الانخساف العظيم المتخلل لتلك القارات كأنهُ يطوّق الارض بطوقٍ من المآء يقسم الكرة الى نصفين . وذلك ان اوربا مفصولة عن افريقيا بالبحر الرومي وآسيا مفصولة عن استراليا ببحر السُّند واميركا الشمالية لا تتصل بالجنوبية الا ببرزخ پناما وجزائر الانتيل هناك لا تكاد تبرز عن سطح البحر الذي يجمع بين هذين البرّين . ومن رأي المستر جُرين أن هذا الانفصال مسببٌ عن دورة الارض اليومية مما سنحققهُ ونبين ما ترتب عليهِ في شكل الارض

وذلك ان الارض في اول امرها وعند ما بدأت قشرتها تتجمد اتخذت

شكلاً كُرَوياً تام الاستدارة ولكنها مع استمرار انبعاث الحرارة منها وتقلص المواد السائلة في باطنها اخذت شيئاً فشيئاً تتشكل بالشكل الهرميّ المثلّث فكانت القمم الثلاث في النصف الشماليّ منها تشخص يوماً فيوماً وتتجافى عن محور الدوران حالة كون الاجزاء القريبة من القمة المركزية في الجنوب على عكس ذلك تزداد ضموراً واقتراباً من المحور . واذ ذاك اصبحت الاجزآء الناتئة في الشمال ابطأ دوراناً من السطح الذي كانت فيهِ من الكرة الاصلية وبالتالي كانت في دورانها تتأخر عن سائر اجزآء الكرة وبعكس ذلك النواحي الجنوبية فانها لبقآئها على سرعتها كانت تتقدم الى جهة الشرق. فنشأ عن هذا الاختلاف ضربٌ من الانفتال في اضلاع المثلث تولد عنهُ

بين النواتئ الشمالية وما يتصل بها من الجنوب خطّ انفصام يدلّ عليهِ الانخساف الذي يشغلهُ اليوم البحر الرومي والخليج الفارسي وبحر السند وخور المكسيك . وهذا هو السبب في ان الاراضي الجنوبية من اميركا وافريقيا واستراليا هي مائلة الى الشرق ميلاً عظيماً بالقياس الى الاراضي الشمالية التي هي اذيالٌ لها

اذا تقرر ذلك كلهُ بقي ان ننظر في العلاقة بين الشكل المثلث وحدوث الزلازل . وقد قدّمنا ان تقلص المواد السائلة في باطن الارض ادّى الى ضمور القشرة وانزوائها فنشأ عن ذلك تشكلها بالشكل الهرمي المثلث وذلك حين كانت القشرة ليّنة سهلة التغضُّن ثم لما تصلبت كانت زيادة التقلص في الباطن تحدث فيها مكان التغضن تصدعاً واذ ذاك يختلّ التوازن في القشرة فيحدث عن هذا الاختلال صدمةٌ ينشأ عنها ارتجاجاتٌ تنتشر الى كل جهة ويكون معظمها في الجهات الواقعة على جانبي الصدع . ثم ان اسرع هذه الارتجاجات وهي اشدها تدميراً تسكن سريعاً تبعاً لناموس استمرار المادّة ولا يُشعَر بفعلها الا في منطقةٍ ضيقة حول مصدرها الاصلي ولكن تنبعث عنها ارتجاجاتٌ بطيئة تمتد الى مسافاتٍ بعيدة جدًّا بسرعةٍ وشدة تتفاوتان بحسب مقدار التماسك والمرونة في الطبقات التي تمرّ فيها من قشرة الارض ويظهر فعل هذه القوة الباطنة بارتجاجاتٍ متواصلة قد يزيد بعضها اشتداداً وعنفاً فيحدث عنها ما يسمى بالزلزال

وعلى ذلك فالانفجارات البركانية والزلازل لا تكون الا نتائج طبيعية لازمة عن حركات القشرة وهي اكثر ما تقع في النواحي التي كان فيها معظم

التغير في شكل القشرة لضعفها هناك عن المقاومة ولذلك كان اكثر المواضع تعرضاً للزلازل النواحي المجاورة لاضلاع الشكل المثلث وقممهِ وعلى الخصوص خط الانخساف الكبير المقدم ذكرهُ بين القارات الشمالية والجنوبية لزيادة ضعف القشرة هناك بما اجتمع عليها من الانخساف المذكور وتغضن الاضلاع

هذا محصَّل ما اوردهُ في شرح هذا الرأي وهو ان سُلّم كل ما جآء فيهِ فلا ريب انهُ بحثٌ خطير واكتشافٌ بديع . لكن يَرد عليهِ ان ما ذكرهُ من الانحراف في اطراف اضلاع المثلَّث اي في برّ اميركا الجنوبية وجنوبي افريقيا وناحية استراليا بالسبب الذي ادّعاهُ وهو سرعة الدوران في تلك الجهات غير سديد بل الاظهر ان الامر على العكس لما هو معلوم من ان الاجزآء الدائرة حول محور كلما كانت ابعد عن محور الدوران كانت المسافة التي تقطعها اطول فلزم ان يكون البعيد منها اسرع دوراناً من القريب ضرورةَ أن كليهما يتمان دورتهما في آنٍ واحد . ويمكن ان يقال ان ميل الاطراف المذكورة الى الشرق مسببٌ عن ضغط المياه على الجانب الغربي من كل برّ حين كانت قشرة الارض لينّة ولعل هذا هو السبب في انك اكثر ما ترى الجزر في الجانب الشرقي من كل قارة ولا تكاد ترى غربيّ القارات الا مجتمع الحدود وان وجد بجانبهِ جزر فاكثر ما تكون تلك الجزر قريبةً من البرّ وبخلاف ذلك في الجهات الشرقية فانها تكون مبددةً على مسافاتٍ بعيدة من البرّ والله اعلم

كَمْشَتْكا

هي شبه جزيرة باقصى شرق سيبيريا شمالاً موقعها على بحر بيرنغ بين ٥١° و٦٣° من العرض الشمالي و١٥٣° و ١٧١° من الطول الشرقي من هاجرة باريز . وهي ممتدَّة من الشمال الى الجنوب وطولها ١٣٥٠ كيلومتراً ومتوسط عرضها ٣٧٥ كيلومتراً واهلها يبلغون ٢٠٠٠٠ نفس نحو ثلاثة ارباعهم من منفيّي الروس والباقون من الوطنيين وبينهم اخلاطٌ أُخر من سكان تلك النواحي

وارض كمشتكا جبلية تخترقها من طرفها الشمالي الى الطرف الجنوبي سلسلة جبال بركانية تقسمها الى شطرين متساويين وعاصمتها تسمى بِتْرُوبَقْلُسكي أُسست سنة ١٧٤٨ على العُدْوة الشرقية من خور أَقَتْشا وهي ذات مرسى امين وفيها نُصُبان رُفِعا ذكراً لاثنين من مشاهير اهل السياحة وهما بيرنغ مكتشف المضيق المنسوب اليهِ في تلك الناحية ولاپيرُوز

اما هواء هذه الارض فهو باردٌ جدًّا والشتاء هناك يستمرّ ثمانية اشهر والصيف مع قصرهِ شديد القيظ ولا يبتدئ خروج النبات قبل شهر يونيو ويظهر الصقيع منذ اوائل اوغسطس

وفي شبه الجزيرة المذكور اربعون بركاناً منها اثنا عشر لا تزال متقدة ويبلغ ارتفاع اعلاها ٤٨٠٠ متر . وجبالها كثيرة الغابات من الشربين والحور وغيرهما وفيها كثير من الحيوانات التي تصلح جلودها للفراء كالثعلب والسمُّور وكلب الماء وابن عرس والدبّ والذئب والاروى وغير ذلك . وفيها سوقان

حافلتان للفرآء يأتيهما الصيادون من جميع تلك الاطراف يحملون اليهما الجلود الثمينة ويقصدهما التجار من اوربا واميركا وغيرهما فتباع عليهم تلك الجلود بالمزاد

وتأتيها اسرابٌ لا تُحصى من قواطع الطير من كل نوع فترتع في غاباتها الفسيحة وفيها كثيرٌ من الانهار والبحيرات الغاصّة بانواع الاسماك وهي بالغة اعظم مبلغ من الكثرة حتى تؤخذ باليد . ومتى جمدت الانهار في مدة الشتآء تبقى تلك الاسماك محبوسة فيها بغير حراك فتموت باسرها ومتى انحلّ الجمد في مدة الصيف يصبح المآء سماً ذُعافاً لما يحلّ فيهِ من جثثها وينتن ما حولهُ من الهوآء

واهل كمشتكا قصار القامات حادرو الاجسام عراض الاكتاف والوانهم الى السواد وشعورهم فاحمة وعيونهم صغيرة ووجوههم مفلطحة وافواههم شديدة الاتساع . وهم في منتهى القذارة والتفالة لا يغتسلون البتة ولا يقلّمون اظفارهم ولا يمتشطون وكلهم تفوح منهم زهومة السمك

اما لباسهم فمن الجلود وطعامهم السمك وجذور النبات و بعض حبّ الاشجار ويسكنون مدة الشتآء في اكواخ يغشّونها بالجلد وفي الصيف في اكواخ من الهشيم . وهم يسافرون على زلّاجات تجرّها الكلاب وقد ذكر بعضهم ان اربعة كلاب تجرّ ٨٠ كيلغراماً ما خلا الراكب واثقالهُ وتقطع ثلاثين كيلومتراً في اليوم . وهذه الزلاجات تكون عالية ضيّقة فلا يأمن الراكب ان ينقلب عنها الى الارض واذا اتفق لهُ ذلك في برّيةٍ مقفرة هلك في مكانهِ لان الكلاب لا تقف ما لم تبلغ المنزل ولذلك يحتاط الراكب بان

يربط نفسهُ بالزلاجة . واشدّ ما يكون هذا السفر خطراً اذا فوجئ الركاب بزوبعةٍ يصحبها اعصارٌ ثلجيّ فيضطرّون ان يلجأوا الى الغابات ويلبثوا فيها مع كلابهم الى ان تسكن الزوبعة وهي قد تستمرّ مدة اسبوع كامل. ومتى شعرت الكلاب بصعوبة السفر تابث ساكنةً ولكنها اذا تمادى عليها الامر لا تصبر على الجوع فتأكل السيور والاعنَة ورُبُط الزلاّجات

واهل هذه البلاد على اعظم جانبٍ من الجهل حتى انهم لا يعرفون اعمارهم ويعدّون على اصابع ايديهم وارجلهم فلا يستطيعون ان يعدوا ما فوق العشرين. ومن غريب عوائدهم ما ذكرهُ احد السيّاح قال اذا اراد احدهم ان يخطب مودّة انسان يدعوهُ ليأكل عندهُ فيدفئ كوخهُ اكراماً للضيف ويُعدّ لهُ من فاخر طعامهِ ما يكفي عشرة انفس . ومتى حضر يتجرد كلٌّ من الداعي والمدعوّ من ثيابهِ جملةً ثم يجلس الضيف الى الطعام ويقوم المضيف في خدمتهِ وهو لا يأكل شيئاً من المأدبة التي اعدّها ولكنهُ يلجئ الضيف ان يأكل ويشرب بدون ان يتوقف لحظةً وهو بين ذلك يصبّ الماء على حجارةٍ يحميها في المستوقد الى حدّ الجمرة للزيادة في تدفئة الكوخ . وعلى الضيف في تلك الحال ان يأكل ويشرب كل ما يقدَّم اليهِ حتى يبلغ نهاية الكظّة ويضطرّ ان يتقيأ عدة مرات ولا يزال كذلك حتى يعترف بالعجز ويفتدي نفسهُ بهدايا ثمينة على ما يقترح المضيف وان لم يفعل المضيف ذلك عدّهُ الضيف مقصراً في حقهِ واتهمهُ بالبخل واساءة ادب المعاشرة

واما دينهم فكانوا قديماً على مذهب الشامانية وهو مذهبٌ شائعٌ في تلك الناحية وقد تقدم لنا شيءٌ من الكلام عليهِ في غير هذا الموضع. والشامانية

نسبةٌ الى الشامان وهو الكاهن بلسانهم وهم يعبدون كائناً اسمى يزعمون انهُ يقيم في الشمس ولهُ نوّابٌ من الآلهة الصغرى يجرون احكامهُ في الارض وهم ارواحٌ بعضها صالحٌ وبعضها شرير اهولها روحٌ يسمى الشيطان . ويمشي كهنتهم وهم يحملون باليد الواحدة ذنب حصان وبالاخرى طبلاً يطردون بهِ ارواح السوء وهم يحكمون على الامور المستقبلة ويتعاطون كل انواع الشعوذة . الا ان هذا المذهب قد كاد ينتسخ من بينهم لان اكثرهم انتحلوا الدين المسيحي ولهم عيدٌ واحدٌ في السنة يقع في شهر نوفمبر وهو عندهم شهر تكفير الآثام

وهذه الارض اليوم تابعةٌ لمملكة روسيا وقد دخلت في حوزتها سنة ١٧٠٦ ولكنها لم تمتلكها الا بعد ان تابعت اليها ارسال البعوث لان اهلها كانوا يأخذونهم بالمخاتلة والمكر . وكان اول بعث وجهتهُ اليها نفراً من قوزاق سيبيريا سنة ١٦٩٠ فاظهروا لهم التودد والخضوع ثم اخذوهم الى اكواخهم فاحرقوا بعضهم وهم نيام واهلكوا الباقين بالسمّ . وآخر الامر صدقتهم القتال ولم يكن لهم سلاح الا القسيّ فلم يثبتوا امام السلاح الناري فملكتهم عنوةً

والظاهر ان هذه البلاد كانت فيما سلف من الدهر عامرة بالسكان وكان لاهلها حظٌّ من الحضارة على خلاف ما هي عليهِ لهذا العهد فقد ذكر بلْبي انهُ يُرَى فيها كثيرٌ من السدود والارصفة المبنية بالحجارة المنحوتة . على ان امثال هذه الآثار توجد في جميع تلك الناحية من شمالي آسيا واوربا مما يدل على حضارةٍ قديمةٍ هناك لا يُعلم تاريخها ولا سبب اضمحلالها والله مقلّب الليل والنهار

التخدير بالكهربائية

عودٌ على بدء — تقدم لنا في الجزء الرابع عشر (ص ٤٣٠ وما يليها) ذكر الامتحان الذي اجراهُ الدكتور اسطفان لدُوك لاختبار مفاعيل الكهربائية المتقطعة وما لها من الخصائص الفسيولوجية والعلاجية وقد كان امتحانهُ المذكور مقصوراً على بعض الحيوانات من الكلاب والارانب . وقد وقفنا لهُ على فصلٍ آخر بعد ذلك ذكر فيهِ انهُ اجرى هذا الامتحان على الانسان فاتخذ الموصل من قطعةٍ من نسيج القطن طواها على ثمانية اضعاف ثم غمسها في محلول حارّ من كلورور الصوديوم ووضعها على الجبهة بعد ان غسلها بالايثير لحلّ المواد الدهنية ثم شد عليها صفيحة معدنية وناطها بالقطب السلبي من الرصيف كما فعل هناك وسلط القطب الايجابي على الكليتين بواسطة موصل من مثل الذي ذُكر . فكان عن ذلك اولاً تهيجٌ شديد في العصب السطحي ثم اخذ التهيج يضعف شيئاً فشيئاً كما يكون عن المجرى المتصل . فاحمرّ الوجه وتشنجت عضلاتهُ وعضلات العنق والذراع تشنجاً خفيفاً ثم تخدرت الانامل والكفّان وامتدّ الخدر الى اصابع الرجلين والقدمين . وبعد ذلك حدث شللٌ في مراكز النطق ثم في مراكز الحركة فاصبح الشخص عاجزاً عن ردّ الفعل ولو هُيّج بأشدّ المؤلمات ولم يستطع الكلام بتةً وكان يئنّ تارةً بعد اخرى الا ان ذلك لم يكن عن الشعور بألم بل الظاهر انهُ كان بسبب تهيج عضلات الحلق . اما النبض فلم يتغيَّر ولكن التنفس كان شاقًّا قليلاً

وهذه الامتحانات كلها أُجريت على نفس الدكتور لُدُّوك صاحب هذه المقالة وقد تم اجرآؤها على ايدي الاستاذين المسيو أَلبِير مالرْب والمسيو أَلفرِيد رُوكسُوّ . وقد وصف ما كان يشعر بهِ في تلك الحال فقال لما بلغ المجرى معظم قوتهِ كنت لا ازال اسمع ما يُتحدَّث بهِ حوالِيّ كانني في حلم وكنت متحققاً من نفسي انني عاجز عن الحركة والكلام وكنت اشعر باللمس والقرص والوخز في ذراعي الا ان شعوري كان كليلاً اشبه بشعور عضو قد خدر اشدّ الخدر . وكان اصعب ما مرّ بي اني كنت اشعر بانحلال حواسي وفقدها واحدةً بعد واحدة فكان مَثلي في هذه الحال مَثل من عرض لهُ الكابوس فوجد نفسهُ امام خطرٍ عظيم وهو لا يقدر ان يصيح ولا يتحرك . غير اني كنت اشعر من نفسي بالاسف على ان رصفآئي لم يكونوا يبلّغون المجري الى القوة التي فيها يُفقَد شعوري فقداً تاماً

ولبثت تحت تسلط المجرى الكهربآئي مدة عشرين دقيقة وبعد ذلك قُطع اتصال الدائرة الكهربآئية فاستيقظت توًّا وعادت وظائف الدماغ في الحال ولم يكن عندي شعور بأدنى انزعاج بل وجدت نفسي على تمام الارتياح والنشاط الطبيعي

على ان بعض الرصفآء كانوا يخشون ان يكون في هذا الامتحان خطرٌ على عمل القلب ولكن الذي ثبت لي بتكرار التجارب ان الشلل يبدأ بالرئتين قبل القلب واذا بقي عملهما متوقفاً الى مدة دقيقة فانهُ يعود من تلقآء نفسهِ بعد إعمال المجرى . واذا طالت مدة شلل الرئتين عن ذلك تبدأ ضربات القلب في التوقف شيئاً فشيئاً ثم تبطل . وفي هذه الحال اذا أُطلق المجري

في كل ثانيتين لحظةً تحدث تشنجاتٌ عامّة تعيد الدورة وتشنجاتٌ في الحجاب تحدث تنفساً صناعياً فلا تلبث الحياة ان تعود . واذا بطل التنفس مدة دقيقتين او ثلاث يضعف تنبه الغشآء الدماغي سريعاً وبعد دقيقةٍ اخرى يمتنع تنبه الدماغ بتةً واذ ذاك يتحقق حدوث الموت . انتهى

الصَدَى

هو من ملاعب الطبيعة التي يخفى سببها في بادي الرأي ولذلك طالما كان محلاًّ للاستغراب عند المتقدمين . وقد جآء في خرافات اليونان ان الصَدَى ويسمى عندهم أيكُوّ اسم الاهةٍ وُلدت من ازدواج الارض والهوآء وان هذه الالاهة كانت من اتباع يونُون زوجة جوبيتّير اي المشتري فكان يستخدمها في تأديةِ رسائلهِ الى معشوقاتهِ واحسّت بذلك يونون فعاقبتها بان لا تستطيع ان تتكلم الا اذا كُلِّمت ولا تجيب الا بتكرار آخر هجآءٍ مما تخاطَب بهِ

وقد اختلف علمآء العرب في تحقيق الصدى على مذهبين نذكر اصحهما وهو ما رجّحهُ صاحب المواقف ومشى عليهِ السيد الجرجاني في شرحهِ ومحصّلهُ ان الهوآء المتموّج الحامل للصوت اذا صادم جسماً يقاومهُ ويردّهُ كجبل او جدار حصل فيهِ بسبب مصادمتهِ ورجوعهِ تموُّجٌ شبيهٌ بالتموّج الاول فيحدث فيهِ صوتٌ شبيهٌ بالاول وهو الصدى . لكن قد لا يُحَسّ الصدى اما لقرب المسافة بين الصوت وعاكسهِ فلا يُسمَع الصوت والصدى في زمانين متباينين فيُحَسّ بهما انهما صوتٌ واحد كما في الحمّامات والقباب

المُلس الصقيلة واما لان العاكس لا يكون صلباً املس فيكون الهوآء الراجع كالكرة التي تُرمَى الى شيء ليّن فلا يكون نبوُّها عنهُ الا بضعف . انتهى المقصود منهُ بتصرف

اما نواميس الصدى فترجع الى نواميس انعكاس الصوت وقد اثبتوا بامتحانات شتى لا محل لتفصيلها هنا ان انعكاس الامواج الصوتية يجري على ناموس انعكاس الاشعة الضوئية بحيث ان زاوية الانعكاس تكون معادلةً لزاوية الوقوع والى هذا الاصل يرجع تعليل الصدى في جميع مظاهرهِ

ثم ان الصوت كما هو معلوم يقطع ٣٤٠ متراً في الثانية فاذا كان بين الصوت والعاكس مسافة ١٧٠ متراً سُمع الصدى بعد ثانية . وعدد الاهجئة التي يمكن ان تميزها الاذن على هذه المسافة لا يكون اكثر من عشرة وعليهِ فلكي يُسمع صدى هجاء واحد ينبغي ان يكون بين الصوت والعاكس مسافة ١٧ متراً في الاقلّ ولكي يُسمع صدى هجاءين ينبغي ان يكون بينهما ضعفا هذه المسافة وهكذا فيما زاد على ذلك . ولا يخفى انهُ بهذه الواسطة يمكن ان يُعرَف بُعد الاشباح العاكسة فانهُ اذا رجع صدى الهجاء الواحد بعد ثانية كان بُعد العاكس ١٧ متراً او بعد ثانيتين كان بعدهُ ٣٤ متراً وهلمَّ جرًّا

على ان انعكاس الصوت لا يستلزم ان يكون العاكس صلباً لما ثبت بالمراقبة من ان البحر والسحاب يردّان صدى الاصوات وهذا هو السبب في ارتجاز الرعد اي تتابع صوتهِ واستطالتهِ فانهُ من ترديد صداهُ بين سحابةٍ واخرى . وكذلك الحال في البحر كما اثبتهُ ركاب المناطيد ولا سيما فوق البحيرات الساكنة فان الصدى هناك يكون في غاية الوضوح . وحكى بعضهم

انهُ كان مرةً على شطوط البرازيل مواجهاً للشراع الاكبر من احدى السفن فسمع اجراس سان سلڤادُور وقد انعكس صوتها عن ذلك الشراع وبين الموضعين مسافة ٢٠٠ كيلومتر

ثم ان من الصدى ما يتكرر حدوثهُ بنفسهِ عدة مرات وهذا يكون فيما اذا كان على جانبي الصوت سطحان متآزيان يردّ كلٌّ منهما صداهُ الى الآخر كما يكون مثل ذلك في المرئيات عند تقابل مرآتين متآزيتين. وقد ذُكر انهُ كان بالقرب من ڤِرْدن بهانوڤر مكانٌ يتعاقب فيهِ صدى الكلمة الواحدة ١٢ او ١٣ مرة منعكساً عن برجين متقابلين بينهما ٥٠ متراً. ومن الامكنة المشهورة بذلك قصر سيمونتّا بالقرب من ميلان قالوا انهُ اذا أُطلق فيهِ عيارٌ ناري تكرر صوتهُ ٦٠ مرة. وذكر الاميرال رَنْجل انهُ مرّ في موضع من سيبيريا يبعد نحو ٢٧٠ كيلومتراً عن كيرنْسك يتردد فيهِ صدى طلَق البارود اكثر من مئة مرة

واذا تعددت السطوح التي تعكس الصدى كما يكون في بعض الاودية المجتمعة ردّهُ بعض تلك السطوح على بعض فاستمرّ مدةً طويلة وربما سُمِع متواصلاً او متقطعاً تبعاً لاتجاه السطوح التي ينعكس عنها. واذا كان الموضع الذي يتردد فيهِ هليلجيّ الشكل وكان محل صدور الصوت احد محترقي الهليلجي انعكس الصدى الى الطرف الآخر ثم اجتمع في محترقهِ الثاني فسُمِع هناك وهذا كما يحدث عن اشعة الضوء اذا اتجهت كذلك بين مرآتين مقعرتين. وحينئذٍ فاذا وُجد احدٌ بالقرب من بؤرة الانعكاس لم يسمع الصدى وبالتالي فانهُ يمكن ان يتسارّ اثنان كلٌّ منهما قائمٌ في احد

محترقي الهليلجي ويسمع احدهما الآخر ولا يسمع القائمون بينهما شيئاً

وللصدى احكامٌ شتى تراعى في بنآء المعابد والمجتمعات بين تحديد اشكال السطوح التي تنعكس الاصوات عنها واختيار الموادّ التي تُصنع منها تلك السطوح الى غير ذلك مما ليس من غرضنا استيفاؤهُ في هذا المقام . ومن الطف ما جآء في الصدى قول ناصح الدين الأرَّجاني

سألَ الغضى عنهُ وأصغى للصدَى ... كيما يجيبَ فقال مثلَ مقالهِ
ناداهُ اين ترى محطُّ رحالهِ ... فاجاب اين ترى محطُّ رحالهِ

السمن النباتي

جآء تحت هذا العنوان في احدى المجلات الفرنسوية ما يأتي قالت

المراد بالسمن النباتي مادّةٌ تُستخرَج من النارجيل اي جوز الهند وهو اللفظ الذي اطلقهُ على هذه المادة الدكتور هُونّز احد الكيماويين الالمان . ومعلوم ان الجوز المذكور من المواد الدهنية ولهُ زيتٌ مشهور يستعمل في طبخ الصابون وتزييت آلات المعامل وغير ذلك لكنهم في هذه الايام قد توصلوا الى معالجتهِ على وجهٍ مخصوص بحيث يستخرجون منهُ ضرباً من السمن لا يفضلهُ السمنُ الحيواني .

وقد ظهر لهم بالتحليل ان زيت النارجيل هو اقرب جميع الزيوت النباتية من تركيب السمن الحيواني فانهُ يشتمل على نحو ٧ في المئة من الحوامض القابلة الانحلال وهذا المقدار لا يوجد في شيء من انواع الزيوت الاخر والحوامض المذكورة هي التي تكسبهُ الرائحة العطرية وما فيهِ من طعم

الجوز الاصلي

اما تحويل هذا الزيت الى سمن فيكون بان يُنزَع منهُ ما فيهِ من الحوامض الدهنية والطيارة وسائر المواد العطرية بواسطة روح الخمر (السبيرتو) والاسود الحيواني فيكون الباقي منهُ بعد ذلك كتلةً بيضآء في قوام السمن المعروف ذات طعم لذيذ. وهذه المادة تذوب على ٢٥ درجة من الحرارة وهي تشتمل من المواد على ما يأتي

مواد دهنية ٩٩٬٦٣٢

مواد معدنية ٬٠١١

مآء ٬٣٥٧

والمقدار المذكور من المآء لايزيد على ١ من ٢٥ او ٣٠ من المآء الذي يوجد في السمن الحيواني. واذ ذاك يمكن ان يبقى مدة ١٥ الى ٢٠ يوماً ولا يظهر فيهِ طعم حموضة فهو بهذا الاعتبار يفضل السمن الحيواني ولا سيما في صنع الحلويات الجافّة من انواع المخبوزات

واما بالاعتبار الصحي فانهُ يُعدّ من المواد المقاومة للفساد فلا يعيش فيهِ شيء من الجراثيم المرضية حالة كون السمن الحيواني يُعدّ من اصلح المواد لاستنبات تلك الجراثيم وتربيتها. ثم انهُ قد امتُحن في المستشفى المركزي في ڤينّا فوُجد انهُ من المواد السهلة الهضم وكُرّر هذا الامتحان في بعض مستشفيات سويسرا فوُجد كذلك. انتهى تحصيلاً

استعطاف

من نظم حضرة الشاعر العصري نقولا افندي رزق الله

أليس حراماً أن نعودَ فنلتقي ... ولا نتداني بعد طول التفرُّقِ
وأن نلتقي إثنين في مجلسٍ معاً ... فأُسهِبَ في شرح الغرام وتُطرِقي
وحيدَين في روضٍ كأنَّ غياضهُ ... مكامنُ يهوي مثلها العابدُ التقي
يشاجر فيهِ الغصنُ غصناً وينثني ... بثوبٍ من الاوراق غيرِ ممزَّقِ
وتجتمعُ الاطيارُ فيهِ أنيسةً ... بأفيآئهِ أو مآئهِ المترقرقِ
كلانا يرى مآءً وزهراً وخضرةً ... ويسمع أسجاع الحمام المطوَّقِ
كلانا لهُ قلبٌ سريعٌ خفوقهُ ... كلانا يناديهِ الشبابُ تعشَّقِ
وأُقسمُ لو أصباكِ ما نقَّطَ الندى ... بهِ الزَّهرَ من ماسٍ بديع التألُّقِ
وشاقكِ ما في المآء والنبت والثرى ... وفي كلِّ حيٍّ من هوًى وتعلُّقِ
علمتِ يقيناً أنَّ جامعة الهوى ... تؤلِّفُ ما بين الورى المتفرِّقِ
تعالَيْ نجدِّد عهدَ من عاش قبلنا ... ومات على وُدٍّ رعاهُ وموثِقِ
خذي فاجعلي قلبي وقلبكِ واحداً ... لكي تُسعدي بالحبِّ مَن منهما شقي
ولا تحسبي سرًّا هوى النفس كامناً ... وقد عالجتهُ عينُ صبٍّ محققِ
أعيدي على سمعي يميناً حلفتِها ... سحرتِ بها عقلي وقلبي ومنطقي
بَرَرْتِ بها حيناً من الدهر لم يطُلْ ... وطالت عليهِ لهفتي وتحرُّقي
سلامٌ على ذاك الوصال الذي مضى ... وان كان هجراً ما سيبقى فلا بقي
ولا عشتُ الاَّ في هواكِ موفَّقاً ... ولا عيشَ في الدنيا لغيرِ موفَّقِ

اسئلة واجوبتها

القاهرة ـ وعدتم القرآء في الجزء الرابع عشر من مجلد السنة الماضية بنقد « كتاب المترادفات » الذي اوعزت بتأليفهِ نظارة معارفنا الجليلة وامرت بتدريسهِ في مدارسها الثانوية . ولما كنت مما كُتب لهم ان يكونوا من مدرّسي هذه المدارس وقد عرض لي في اثناء مطالعتي لهذا الكتاب وتدريسهِ مواضع وقفت فيها بين الشك واليقين اصبحت منتظراً ظهور النقد المشار اليهِ وانا كلما صدر جزء من ضيآئكم الساطع اتفقد بين تضاعيف اوراقهِ واثناء سطورهِ لعلي اظفر بالضالة المنشودة الى ان طال الانتظار وعزّ الصبر فرأيت ان استفتيكم في بعض ما عنّ لي من تلك الشبهات راجياً ان تمنّوا بالجواب وفي املي انكم لا تحرمون القرآء الوقوف على صائب انظاركم في هذا الكتاب صيانةً للغة وافادةً للمدرّسين والدارسين ولكم الفضل

اما الشبهات المشار اليها فقد جاء في الصفحة الاولى من هذا التأليف ما نصهُ « الاستهلال اول صياح المولود اذا ولول » ولا اكتمكم اني عند ماقرأت هذه العبارة تطيرت من هذه الفاتحة فاتحة الشؤم والولوال وهي اول مرةٍ علمت فيها ان المولود يولول لما كان يسبق الى فهمي من ان الولولة بمعنى الدعاء بالويل . وقد راجعت القاموس فوجدتهُ يقول ذلك ثم رأيت في الكتاب نفسهِ اي كتاب المترادفات صفحة ٥٥ سطر ٨ ما حرفيتهُ « والولولة حكاية وا ويلاه » وهذا من العجب بمكان فهل سمع احدٌ قبل مؤلفي هذا الكتاب طفلاً يقول « واويلاه »

وجآء في صفحة ٢٣ في مرادفات البشاشة والعبوس « قابلني بوجه عابس وزَوَى عني » فلم افهم معنى « زَوَى » في هذا الموضع وقد بحثت في كتب اللغة فلم اجد احداً يقول « زَوَى عني » بمعنى « قابلني بوجهٍ عابس » فما قولكم في هذه العبارة

وفي صفحة ٣٥ « صاروا في ضنك من العيش وغضاضة وشَظَف » فمقتضاهُ ان « الغضاضة » مرادفة للضنك والشظف فهل ورد هذا في شيء من كتب اللغة

وفي صفحة ٤٧ في مترادفات الادوآء « فاذا لم يُعلَم بهِ (اي بالدآء) حتى يظهر منهُ شر وَعرٌ فهو الدآء الدفين » وقد التبس عليَّ المراد « بالشر وَعْر » (ان كانت اللفظة مفردة) او « الشرّ الوَعْر » (ان كانت كلمتين) وقد نقلتها لكم برسمها وضبطها فما قولكم فيها .

وفي صفحة ٥٤ « نقيق الدجاجة وكذا العقرب والضفدع والهرّ » فهل يقال نقَّت العقرب ونقَّ الهرّ

واكتفي الآن بهذه الاسئلة وان هي الا قليلٌ من كثير اوردتها لكم على سبيل المثال راجياً الجواب على كل ما ذُكر وان تفرغتم لنقد الكتاب بجملتهِ فهو الفضل الذي يلزمنا شكرهُ ولا يفوتكم اجرهُ والسلام

(* *)

احد خوجات المدارس الاميرية

بالقاهرة

الجواب — اما تأجيلنا لما وعدنا بهِ من النقد المذكور فلانهُ لابدَّ لنا

قبل مباشرتهِ من تصفح الكتاب برمتهِ وقد كان عندنا في هذه الاشهر من الاشغال ما هو اهمّ من مطالعة هذا الكتاب ونقدهِ ولعلنا سنعود اليهِ في بعض الاجزآء التالية ان شآء الله وكل آتٍ قريب

واما المواضع التي اشرتم اليها في الكتاب فاما مسئلة « ولولة المولودِ » فهي على ما ذكرتم من الغرابة والعبارة منقولة عن كتاب فقه اللغة في سياقة الاوائل لكن مؤلفي الكتاب نقلا عن النسخة المطبوعة في بيروت بتصحيح الاب شيخو الشهير. ه. وقد وردت فيها على الصورة التي ذكرتموها . غير اننا راجعنا هذا الموضع في النسخة المطبوعة في مصر سنة ١٢٨٤ فوجدنا فيها مكان اذا « ولول » اذا « وُلِدَ » فتحرّف لفظ وُلد على حضرة الاب فجعلهُ ولول ولا يبعد ان يكون حرّفهُ عمداً لانهُ لم يفهم المراد بقولهِ اذا وُلد بعد قولهِ المولود فظنهُ لغواً او خطأً فصححهُ بولول. وهذا ما طالما خشينا مغبّتهُ من تحريف هؤلآء الآبآء للكتب العربية وخفنا ان يكون مهواةً يُستدرَج بها قرّآء كتبهم حتى تهوَّر بهِ امثال مؤلفَي هذا الكتاب الفاضلين وتبعهما « حضرة العلاّمة الفاضل مفتش اول اللغة العربية في القطر المصري » . . . فلا حول ولا

واما قولهم — اي قول المؤلفين والمفتش — « وزَوَى عني » فمن التراكيب التي لا معنى لها لان زَوَى فعلٌ متعدٍّ وليس هذا من المواضع التي يُحذَف فيها المفعول بهِ . ومعنى زوى صرف ونحَّى فكأن الاصل الذي نقلوا عنهُ « زَوَى عني وجههُ » او « صفحتهُ » مثلاً الا ان هذا بمعنى الاعراض لا بمعنى العبوس . ويجيء زوى ايضاً بمعنى قبض وجمع يقال اسمعهُ كلاماً فزَوَى لهُ ما بين عينيهِ كما في الاساس اي قبض ما بينهما وقطبهُ والظاهر

ان هذا هو اللفظ الذي ينبغي ان يُذكر في هذا المقام

واما جعلهم « الغضاضة » من مرادفات الضنك والشظف فلا وجه لهُ بل أحرِ بهذه اللفظة ان تكون على عكس مرادهم لان الغضاضة بمعنى النضارة والنعومة يقال غصنٌ غضٌ وشبابٌ غضٌ فمحالٌ ان يستعار هذا المعنى لشظف العيش وخشونتهِ وهذه كتب اللغة لا تجدون فيها من يذكر الغضاضة بهذا المعنى

واما قولهم في الدآء « حتى يظهر منهُ شر وعرٌ » فصحةُ ضبط هاتين اللفظتين شَرٌّ وعَرٌّ بتشديد الرآء فيهما وفتح ما قبلها وهي عبارة اصحاب اللغة في تفسير الدآء الدفين . واما معنى العرّ فلم نجد فيهِ اصرح من قول الزمخشري في الاساس «لقيت منهُ شرًّا وعرًّا وهو الجرب لانهُ ابغض شيء اليهم » اه . ولا يخفى ان هذا المعنى لا يناسب ما ذُكِر هنا لكن الاظهر ان هذه العبارة جارية مجرى المثل على حد قولهم للهِ درّهُ وما اشبههُ فلا يراد اصل معناها

واما جعلهم « النقيق » للعقرب والهرّ فمما لم يرد في غير هذا الكتاب فضلاً عما فيهِ من البعد عن حكمة الواضع لانهُ من الالفاظ الدالة على الاصوات الطبيعية واين صوت العقرب والهرّ من لفظ النقيق . وعبارة فقه اللغة في هذا الموضع « النقيق صوت الدجاج والضفدع » ولم يزد عليهِ واما صوت العقرب فهو « الصئيّ » وصوت الهرّ « المُوآء » كما ترون ذلك ايضاً في الموضع نفسهِ من الكتاب والله سبحانهُ اعلم وهو الهادي الى سوآء السبيل

فكاهات

الرقيق الابيض [١]

في احد الايام من صيف سنة ١٨٨٠ دخلت باخرة الى ميناء مرسيليا واختلطت بغيرها من البواخر التي وصلت في ذلك الحين و بعد ما القت مرساتها صعد الركاب الى ظهرها متوقعين صدور الاذن من ادارة المحاجر لنزولهم الى البر . وكان بين الركاب فتاةٌ في السادسة عشرة من عمرها قد انفردت عن باقي القوم واتكأت الى جانب السفينة وكانت هيئة هذه الفتاة من اجمل ما يتصور للناظر قد اندمجت ذراعاها كانهما مصنوعتان من العاج وأُرسلت احداهما الى جانب جسمٍ معتدل القوام ممتلئ العضلات وارتفعت الاخرى لتسند رأساً هو مجتمع المحاسن والجمال يغطيهِ شعر اسود كالليل الحالك تبرق من تحتهِ عينان كعيون المها قد ترقرق فيهما ماء الحسن وزادهما فعلاً في النفوس اهداب طويلة كانها دروعٌ من الزرد تمنع تلك العيون عن ارسال نبلها القاتل الى صدر الناظر . ولم يكن يرى من فم هذه الفتاة سوى خطٍّ احمر هو لون شفتيها وقد زادهُ حمرةً وجودهُ في وجهٍ انقى من بياض الثلج

وكانت عينا الفتاة تنتقلان بسكون من مياه البحر الى بقية المسافرين ثم الى الشاطئ القريب . ثم تعود فتلتفت الى ورآئها باحتراسٍ وتأنٍّ كمن ينظر الى افعى وهو يود الهرب والابتعاد عنها فيتدفق الدم الى وجنتيها بسرعةٍ عظيمة ويصبح ذلك الوجه النقي البياض شديد الأحمرار كانهُ قد جذب اليهِ كل ما في ذلك الجسم من الدم . اما سبب ذلك فهو رجلٌ يناهز الخمسين من العمر اسمر اللون لا من اصل خلقتهِ بل من كثرة الاسفار في البحار والتعرض لحرارة الشمس . اما شعرهُ فلم يكن فيهِ واحدة سودآء ولهُ انفٌ اقنى اشبه بمنقار النسر يفصل بين عينين تكادان لا

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

تريان لصغرهما ينبعث منهما شرار الخشونة والشر . اما لباسهُ فكان بسيطاً وهو واقف الى الجانب الآخر من السفينة بازآء الفتاة فلا يميل نظرهُ عنها حتى اذا نظرت هي الى جهتهِ ادخل يدهُ في جيب صدرتهِ وابرز طرفاً من مسدسٍ يخفيهِ فيها وكان ذلك هو السبب في وجوم الفتاة وصعود الدم الى وجهها كأن نار المسدس قد الهبت وجنتيها

و بعد قليل اذن الربان للمسافرين في النزول وأسرعت الزوارق لنقلهم ونظرت الفتاة الى جهة الرجل فأشار اليها مهدداً بما يدل على انهُ يقضي عليها باتباع ما اوصاها بهِ . و بعد ان تحقق ذلك رفع بيدهِ صندوقاً صغيراً من الجلد واقترب من بعض الزوارق فساوم صاحبهُ على الاجرة وجلس ثم القى نظرة اخرى فرأى الفتاة قد اقتربت منهُ فوقف مبتسماً ورفع قبعتهُ باحترام كانهُ لم تسبق لهُ معرفة بها وقال يظهر لي ايتها السيدة ان ليس في صحبتكِ احد فهل تسمحين لي ان اوصلكِ بسلام الى البر . فاجهدت الفتاة نفسها على الكلام وشكرتهُ ثم جاءَت فجلست بجانبهِ . فقال لها لم يكن من موجب لهذا الاحتراس لانهُ لم ينتبه الينا احد فلم تجبهُ الا بتنهدٍ خرج من اعماق صدرها . وفي بضع دقائق بلغ الزورق البر واذا برجلٍ قد تقدم فتبادل مع رفيق الفتاة نظرات سرية ثم قدم لها يدهُ فاخذتها بعد ان القت نظرها الى رفيقها وسارت معهُ الى عربةٍ كانت تنتظرهما فركباها وسارت جيادها تنهب بهما الارض . اما رفيق الفتاة الاول فدفع اجرة الزورق وسار ببطءٍ الى فندق يقرب من الشاطئ و بعد ما استراح هنيهةً نادى صاحب الفندق وقال لهُ أليس عندك رسائل باسمي . فقال وما هو اسمك يا مولاي قال ساندو . فقال بلى قد وردت اليَّ رسالة بهذا الاسم صباح اليوم وها هي . فاخذها ساندو وفتح غلافها بشوق عظيم ثم تبسم حتى بدت نواجذهُ لانها كانت تحتوي على قراطيس مالية حسبها ساندو فكانت قيمتها عشرين الفاً من الفرنكات

اما الرجل الثاني الذي اخذ الفتاة فلم يزل سائراً بها حتى بلغا محطة السكة الحديدية فابتاع تذكرتين لهُ ولها برسم باريس وما كادا يجلسان في احدى عربات القطار حتى سار بهما يقلهما الى تلك المدينة الغنآء المعروفة بأم الدنيا . وبعد اجتياز

المحطة الاولى والثانية نظر الرجل الى الفتاة وقال يظهر يا اماليا انك غير راضية عن هذا السفر وقد بانت دلائل الكمد على وجهك فاعلمي ان مثل هذه الدلائل تقف حاجزًا بين مستقبلك و بينك وتحرمك كثيرًا من السعادة المكتوبة لك فانصح لك ان تبدلي هذا الكمد الظاهر عليك بالسرور والانشراح وتأكدي ان امامك حياة سعادة لا يشوبها كدر . وكأن الفتاة لم تفهم كلمة واحدة مما قيل لها فرفعت منديلها الى مقلتيها تمسح دمعتين ترقرقتا من آماقها وتنهدت عن كبدٍ حرَّى . ولما اجتازا مسافةً ثانية قال لها قد اعلمك ساندو على ما اظن بما يجب عليك صنعهُ وازيدك انني ادعى لورنسو فاياك ان تدعيني بغير هذا الاسم ويجب ان يعتقد من يرانا ايًّا كان انك اختي وانني اخوك واكرر على مسمعك ان في هذا الجيب مسدسًا تقلّبهُ يدٌ قلما تخطئ مرماها مستعدة لاستعماله عند اول اشارةٍ تبدو منك لمخالفة الاوامر التي اعطيت لك . وكانت الفتاة اماليا كنعجةٍ تساق الى الذبح لا تفتح فاها وتتلقى كل ما تؤمر بهِ بتمام الطاعة والخضوع ولا تجيب الا بعبراتٍ كانت تجاهد كثيرًا في حبسها وتنهداتٍ تندفع من صدرها بالرغم عنها . ولما بلغا باريس سار لورنسو باماليا الى بيتهِ و بعد ان قدم لها طعامًا وشرابًا عين لها غرفةً وقال خذي تمام راحتك ايتها الفتانة وسأطلعك غدًا على ما يسرك و يوضح لك شيئًا من السعادة الموضوعة امامك . ولما قال هذا تركها وخرج وجلست تلك المسكينة هنيهةً تناجي افكارها وتغلب عليها الحزن فانطرحت على السرير ولم تقوَ مع ضعفها على محاربة سلطان النوم فتغلب عليها وغرقت في سباتهِ العميق . وفي الصباح الثاني ايقظها لورنسو وتبسم لما رأى ان قد عادت اليها حمرة خديها ونضارة وجهها و بعد ان تناولا طعام الصباح قال لها انك ستسرّين كثيرًا عند ما تعامين انك ستصبحين حظيةً لاعظم امرآء فرنسا وأوسعهم غنى وشهرةً وكفاك ان هذا الامير قد انفق في سبيل الحصول عليك حتى الآن ما يزيد على الثلاثين الفًا من الفرنكات . ولا اشك انك لا تخيبين املنا بل تسعين لامتلاك لبهِ والتسلط على عقلهِ فلا يندم على ما انفق بل يراهُ قليلاً في جانب ما آتيناهُ من السعادة و يزيدنا خيرًا من غناهُ الوافر . وهاءنذا ذاهبٌ اليهِ لأُعلمهُ

بقدومكِ وربما شاء ان يراكِ اليوم فاستعدي لهذه المقابلة . ولما خرج و رأت اماليا نفسها وحدها اغلقت باب غرفتها ثم جثت على الارض وشخصت ببصرها الى السماء وابتهلت الى الله ان ينجيها من ذاك الضيق ويرحم قلب والدها المسكين وكانت عبراتها المنسجمة تزيد حالتها خشوعاً وصلاتها تأثيرًا . وكأن الله قد سمع صلاة تلك الضعيفة فلم يمضِ وقت طويل حتى عاد لورنسو ولما وقع نظرهُ على اماليا قال لها ان التقادير تمانع اتمام سعادتكِ في الحال فلا بد من الانتظار لان الامير مريض لم استطع مقابلتهُ وقد منعتهُ الاطباء من الاهتمام بأي امرٍ كان قبل ان يتعافى تماماً . ورأت اماليا في هذا الخبر ما يدل على ان الله قد وجه تدبيرهُ الى استجابة تضرعها فأخفت عن لورنسو سرورًا عظيماً طفح بهِ فؤادها وابرق في عينيها .

. . . .

كان قبل تاريخ ما ذكرناهُ بنحو ثماني سنوات ان سيدةً من شرفاء الفرنسيس تدعى الكنتة ريمي خرجت من بلادها للتنزه والسياحة و بعد ما جابت اشهر اقطار المعمور عادت الى ايطاليا واعجبها هوآء فلورنسا فأقامت فيها مدةً تعرفت في اثنائها بأسرةٍ مؤلفةٍ من ابٍ وامٍ وولدين ذكر وانثى وكان عمر الغلام عشر سنوات واسمهُ بيترو وعمر شقيقتهِ ثماني سنوات . ورأت الكنتة ان هذه الاسرة مع ضيق ذات يدها تعيش عيشة صفاءٍ وسرور غير ان الاب كان يأسف دائماً لعدم تمكنهِ من تعليم ولديهِ كما يحبّ وعدم مقدرتهِ على القيام بنفقات المدارس . فلما عزمت الكنتة على مغادرة تلك البلدة عرضت على الوالدين ان يسمحا لها بأخذ بيترو معها الى فرنسا حيث تودعهُ بعض المدارس العالية على نفقتها وتتخذهُ ابناً لها . فمانع الوالدان اولاً مدفوعين بعامل الحب والحنان ولكنهما اذعنا اخيرًا لطلب الكنتة بعد ما اقنعتهما انها تحافظ على الولد كأنها امهُ وانهُ لا يليق بهما ان يحرما ولدهما الحصول على مستقبلٍ مجيد لمجرد حبهما لهُ وعدم الارتياح الى مفارقتهِ . اما بيترو فكان ميالاً الى السفر فساعد الكنتة في الالحاح على والديهِ واخيرًا قبلا فودعهما وزوداهُ بركاتهما وادعيتهما الحارة . واخذت الكنتة بيترو فبلغت بهِ قصرها في باريس ثم ادخلتهُ في مدرسة

عالية فكان يصرف فيها نهارهُ ويعود في المسآء الى قصر الكنتة فتحرسهُ بعين الام الحنون وتلاحظهُ بنفسها . وكانت في اول الامر تكتب في كل شهر الى والديهِ عن احوالهِ ودروسهِ ثم زادت الفترات بين كتابة واخرى الى ان انقطعت الاخبار بين الولد واهلهِ تمام الانقطاع ولم يعد يعرف لهُ اقربآء سوى الكنتة وكان ذلك ما تودهُ فانها كانت تبذل جهدها في جعل والديهِ ينسيانهِ لتختصهُ لنفسها ابدًا . وكان بيترو يزداد بسطةً في الجسم والعقل وكانت هيئتهُ الملائكية تزيد جمالاً فيزيد حب الكنتة لهُ وهيامها بهِ فلم تعد تطيق ان يبتعد عنها يومًا واحدًا . ولما اكمل بيترو دروسهُ خيَّرتهُ الكنتة في انتقآء العمل الذي يحب ان يتعاطاهُ فوجدت فيهِ ميلاً شديدًا الى التجارة فخصصت لهُ جانبًا من اموالها استأجرت لهُ بهِ محلاً وملأَتهُ بأصناف البضائع فسرّ بيترو سرورًا عظيماً وايقن انهُ قد بلغ اوج السعادة والنجاح . اما الكنتة فكانت تنتظر عودتهُ كل مسآء بشوق عظيم فتضمهُ الى صدرها ثم تجلسهُ بجانبها فيقص عليها ما باع وما اشترى وكم بلغت ارباحهُ الى غير ذلك فتقابلهُ بتبسم الحنو والاعجاب وتعلق هو ايضاً بها فكان لا يهمهُ من العالم بأسرهِ سوى الكنتة اولاً وتجارتهِ ثانياً

واشتهر محل بيترو ولا سيا في البضائع المختصة بالسيدات فتهافت المشترون على محلهِ تجذبهم اليهِ رقة المعاملة وجودة الاصناف . وكان ممن زار المحل لورنسو واماليا بعد وصولها الى باريس وقد اخذها اليهِ لينتقي لها بعض الملابس التي تليق بجمالها الرائع ولا سيا لانهُ كان يتوقع ان يأخذها الى حضرة الامير قريباً . ولما دخل هذان المحل رآهما بيترو فما وقع نظرهُ على اماليا حتى شعر ان سهماً قد اخترق فؤادهُ فشخصت عيناهُ الى تلك الطلعة البهية وشعر بخفقان قلبهِ ولم يدرِ لذلك سبباً . ثم تقدم بنفسهِ وقدم اليهما مطلوبهما وكان يخدمهما وهو مشرد الافكار كأنهُ آلة تعمل بقوة محركة . ولما انصرفا رافقهما بنظرهِ حتى اختفيا بين جمهور السائرين في ذلك الشارع فعاد الى كرسيهِ وغرق في تأملاتهِ كمن تذكر شيئاً قديماً جدًّا لم يهتدِ الى معرفة حقيقتهِ . ثم جعل يتسآءل عن سبب تأثرهِ الشديد لدى نظرهِ تلك الفتاة ولم ينتبه

لنفسهِ الا وقد خيم الظلام وجاء موعد اقفال المحل فخرج ذاهباً الى بيتهِ وهو يتهادى في مشيهِ كالشارب الثمل

ولما بلغ بيترو القصر وجد الكنتة في انتظارهِ وقد اقلقها تأخرهُ بضع دقائق عن ميعاد مجيئهِ فاستقبلتهُ كجاري عادتها ولكنها رأت في وجههِ انقباضاً وفي عينيهِ شروداً لم تعهدهما فيهِ من قبل فاضطربت افكارها وعلمت انهُ قد طرأ عليهِ طارئ . ثم طوقت خصرهُ بذراعها وقادتهُ الى غرفتها حيث بذلت وسعها في استنطاقهِ الى ان اخبرها بسبب اشتغال بالهِ . فجحظت عيناها ووثبت من جانبهِ كاللبوءة اذا اصابتها رصاصة الصياد واحتبس لسانها هنيهةً عن الكلام ثم قالت ويك يا بيترو الا تخشى بعد كل ما فعلتهُ معك ان تميل الى فتاةٍ لم تنظرها في حياتك الا مرة واحدة فتنسيك التي ربتك وكانت سبب قيام حياتك . قال كلا لن تحول هذه ولا سواها دون اعتباري لكِ وطاعتي اياكِ يا مولاتي ولكنني لا اعلم ما الذي حرك عواطفي لدى رؤية هذه الفتاة فكانني اتذكر انني رأيتها قبلاً بل قد رأيت في عينيها ما دلني على انها تستجير بي من خطرٍ يفاجئها . فتبسمت الكنتة وقالت لا بأس وقد صار من الواجب اذاً ان ارافقك ايضاً الى محل شغلك واسهر عليك فلا أدع قلبك المتناهي في الحنو يذوب شفقةً على كل عابر سبيل لا تدري لهُ اصلاً ولا فصلاً

وفي اليوم الثاني ذهبت الكنتة حقيقةً مع بيترو الى محل شغلهِ فلم تفارقهُ طرفة عين ولبثت من ذلك الحين لا تنفك عن ملازمتهِ نهاراً وليلاً وهي تغار عليهِ من الهوآء اذا هب في وجههِ او من شعاع الشمس اذا اشرق عليهِ

وبعد اسبوع عادت الفتاة اماليا يصحبها لورنسو الى المحل لابتياع حاجات اخرى ولم تكن الكنتة تعرفها انها هي سبب انقلاب بيترو فلم تعبأ بها واظهر بيترو مزيد التجلد والاحتراس ولكنهُ احتال فادخل ورقةً صغيرة كان قد كتبها قبلاً في جيب ثوبٍ ابتاعتهُ اماليا . وكانت هذه قد اصابها ما اصاب بيترو عند اول نظرة ولكن لم يكن لورنسو كالكنتة فلم يهمهُ شيءٌ من امرها . ولحظت اماليا حين ادخل بيترو يدهُ في جيب ثوبها فما صدقت ان بلغت البيت وخلت بنفسها في غرفتها حتى اخرجت تلك

الرقعة فوجدت مكتوبًا عليها بخطٍ دقيق جدًّا ما يأتي . « ايتها السيدة . ان قصدي شريف وغايتي حميدة . فاودّ ان تأذني لي في مقابلتكِ لان عندي شيئًا احب ان اقولهُ لكِ غير اني اؤمل في حكمتكِ ان تبالغي في التحرز لانهُ يوجد شخص يسعى في عدم اتصالي بكِ ويبذل نفسهُ ان لزم دون اجتماعنا »

وكانت اماليا تقرأ وصدرها يرتفع وينخفض ثم جثت ثانيةً وقالت اللهمَّ سهّل ان يكون الفرج قريبًا . ثم مسحت الدموع من عينيها واعادت تلاوة الورقة فقالت لا ريب ان الشخص الذي يمنع هذا الفتى من مقابلتي ينبغي ان يكون تلك السيدة التي كانت ترمقني شزرًا وعيناها لا تكادان تفارقانهِ . ثم فكرت في اخفآء الورقة فتارةً تضعها في صدرها وطورًا تخرجها واخيرًا رأت الافضل ان تحرقها وتخفي اثرها فادنتها من شمعةٍ كانت متقدة بجانبها فالتهمتها النار واصبحت رمادًا فذرّتهُ مع الهوآء . وبعد تفكرٍ قليل اخذت ورقة صغيرة وكتبت عليها اسم الشارع الذي هي فيهِ ورقم المنزل ثم كتبت « اكون وحدي كل يوم من الساعة الثامنة صباحًا الى الظهر » واودعت رسالتها في الجيب المعهود ولما عاد لورنسو كلفتهُ ان يرجع الثوب الى المخزن لاجرآء بعض الاصلاحات فيهِ فاخذهُ وانصرف

ولما رأى بيترو لورنسو عائدًا بالثوب خفق قلبهُ وما صدق انهُ صار بيديهِ حتى مدَّ يدهُ واخرج تلك الرسالة سرًّا ثم تنحى الى حيث قرأها بدون مراقبة احد فطارت نفسهُ شعاعًا . وفي اليوم الثاني ارجع الثوب الى صاحبته وقد وعدها ان يزورها في اول يوم يجد فيهِ لذلك سبيلاً

وفي ذات يوم طرأ على صحة الكنتة انحراف الزمها البقآء في فراشها فاظهر بيترو شديد الاسف وعرض عليها ان يبقى بجانبها فابت وما صدَّق ان خرج من القصر حتى اخذ يقفز كالظبي وتوجه توًّا الى البيت الذي ذكرتهُ لهُ اماليـا وكانت تجلس يوميًّا امام نافذتها . فلما رأتهُ قادمًا خرجت لاستقبالهِ ثم دخلت بهِ الى غرفتها ولما استقرَّ بهما الجلوس قال بيترو عفوًا يا سيدتي اذا كان فيما فعلتهُ ما يوجب لكِ انزعاجًا لكنني مذ نظرتكِ اول مرة قرأت في عينيكِ شيئًا واحبّ ان احققهُ فهل صدق

ظني وهل لكِ من حاجةٍ في اخٍ يحبكِ ويبذل نفسهُ في سبيل رضاكِ . فقالت الفتاة وقد صبغ الحياء وجهها انني يا مولاي في اشدّ الحاجة الى من اتمكن من اطلاعهِ على حالتي والانتفاع بمشورتهِ ومساعدتهِ ولا سيا وانني منذ ثماني سنواتٍ متغربة عن اهلي في اسرٍ امرّ من الموت وانا لا مشير لي ولا معين . وبعد حديثٍ قصير اخذت اماليا في قصّ حديثها فقالت كان ابي فقير الحال ولكنهُ كان يحب اولادهُ حباً شديدًا ورزقهُ الله اياي واخاً اكبر مني واضطرت الاحوال والدي ان يرضى بمفارقة اخي لهُ وبقيت وحدي مع والديَّ فاصبحت سلوتهما وغاية مناهما . ولما عض الفقر والدي وقع في هم عظيم ولكنهُ تعرّف برجلٍ يدعى ساندو كان يتردد الى بيتنا فكان يسلف والدي مبالغ من المال ويأخذ بها اوراقًا منهُ . فأصبحنا بأجمعنا غرقى معروف هذا الرجل . ولما اثقل كاهل والدي الدين ولم يكن لهُ ما يفي انقلبت جودة ساندو الى شراسة وحشية وتهدد والدي بان يشكوهُ الى الحكام وما وراء ذلك الا الموت في السجن . وبعد محاورات عديدة ومباحثاتٍ شتى قبل ساندو ان يتنازل لوالدي عن دينه بشرط ان يستأثر بي ويجعلني ابنةً لهُ . ولا تسل عما اثر هذا الامر في نفس والديَّ ولكنهُ لم يكن لهما مندوحة عنهُ فاعطياني لساندو وسافر بي تاركاً اياهما في اشد حالات اليأس والحزن وقد فقدا كل عزاء ولم يبقَ عندهما من يلطف شيئًا من اشجانهما . اما انا فصبرت على ذلك شفقةً على والديَّ وانا اظن ان غمهُ لبعادي لا بد ان يكون اقل من غمهِ لو بقيت وحكم عليهِ بالسجن . ولكنني علمت بعد ذلك ان ساندو نخاس يتاجر بالفتيات وانهُ انما اسلف والدي تلك المبالغ بغية ان يدرك غايتهُ وانهُ يعتقد بعد حصولهِ عليَّ انهُ لا بد ان يصادف لي سوقًا رائجة فيبيعني بما يعوض عليهِ اضعاف ما اعطاهُ لوالدي . ثم اوصلني ساندو الى بلادٍ لا اعرفها وكان يعتني بتربيتي وتهذيبي مدة هذه السبع السنوات وهو يتهددني يوميًا اذا مرقت من طاعتهِ ويعدني بالخير ان اذعنت لمشيئتهِ . وفي ذات يوم دخل عليَّ مسرورًا وقال ان عميلهُ في باريس كتب اليهِ يطلبني لاميرٍ من اشرف أسر فرنسا وانهُ نقدهُ على حساب مشتراي مبلغًا وافرًا من المال . فوقعت في حيص بيص

ولكنني لم اقنط من رحمة الله وسافر بي ساندو الى مرسيليا حيث استقبلني عميلهُ لورنسو الذي رأيتهُ معي واحضرني الى هنا حيث لا ازال مسجونةً يمنعني التهديد والوعيد عن ان ابوح لمخلوق بحالتي او ان اسعى في النجاة . وقد ساعدني القدر بان مرض الامير الذي احضرني لاجلهِ وهذا ما عاق لورنسو عن تسليمي اليهِ حتى الآن

وكان بيترو يشرب حديث اماليا شرباً وهو في تأثر عظيم ثم قال لها ومن هم اهلك وقد ذكرتِ ان لكِ اخاً افلا تعرفين مقرهُ . قالت لا وانما اعرف ان سيدةً غنية اخذتهُ لتربيهُ في فرنسا وتتبناهُ اما اسمهُ فبترو واسم والدي ارمان لونلّو وهو يسكن مع والدتي في فلورنسا . وكانت هذه الكلمات كمجارٍ كهربائية أُطلقت على بيترو فتشنجت اعصابهُ وتقلصت عضلاتهُ وصار كأن هو في حلمٍ ثم تمالك نفسهُ وهجم على اماليا فأخذها بين ذراعيهِ يقبلها ويصيح قائلاً لم يخطئ ظني

وعرَّف بيترو شقيقتهُ بنفسهِ فكادت تجن من شدة الفرح وما تمهل ان استوقف عربةً ركبها واماليا وتوجها الى قصر الكنتة . فلما رأتهما هذه يداً بيدٍ طار رشدها وصاحت ببيترو آه يا لئيم قد اغتنمت فرصة غيابي لتزور هذه اللعينة وما كفاك ذلك حتى احضرتها لتدنس بوجودها قصري . فتبسم بيترو واقترب من الكنتة يسكن روعها ثم اطلعها على الحقيقة فلم يسرّها هذا الخبر كثيرًا ولكنها سكنت جأشها لعلمها ان بيترو لا يزال خالياً وان يفارقها

واستقدم بيترو والديهِ من فلورنسا فكان اجتماعها بولديهما دواءً شافياً ردّ حياتهما من حافة القبر وارجع اليهما النضارة والشباب وسكنوا جميعاً في قسم من قصر الكنتة ولبثت الكنتة متعلقة ببيترو الى مماتها واوصت لهُ بجميع مقتنياتها

اما ساندو ولورنسو فكان بيترو قد اعلم الحكومة بأمرهما فاختفيا وهما يندبان اخفاق مساعيهما ولم يوقف لهما بعد ذلك على خبر

قرطاجة

تقدم لنا في الكلام على الفينيقيين ذكر هذه المدينة العظيمة وهي اشهر مدائنهم واوسعها ظلاً وامنعها جانباً واعزها سلطاناً واغزرها ثروةً وقد التفّت حولها طوارئ الفينيقيين وانتشرت منها الى كل وجهٍ من المعمور فاستولت على مقاليد التجارة والصناعة واحتجنت جباية الاقاليم البرية والبحرية حتى اذا تأذّن الله بانقراض دولتهم في فينيقية بقيت خلفاً منها وقارعت الدهر ازماناً طوالاً الى ان لحقت بسالفتها فعادت كلتاهما كأن لم تغنَ بالامس سُنّة الله في خلقهِ

وكانت قرطاجة قائمةً على الشاطئ الشمالي الشرقي من بلاد المغرب وموضعها بين تونس واوتيكا وهي المعروفة اليوم بغار الملح . ويُطلق اسم قرطاجة على جمهورية عظيمة هي اول جمهورية جمعت بين التجارة والفتوح الا انهُ لم يصل الينا من تاريخها الا الشيء اليسير مما استطرد الى ذكرهِ بعض كتاب اليونان كهيرودوطس وارسطوطاليس وغيرهما وعنهم نقل كل من تكلم عليها بعد ذلك . وقد جاء ذكرها في شعر ڤرجيل الروماني لكن في كلامٍ مورّى يؤخذ منهُ انهُ كانت قد حدثت في صور اضطراباتٌ سياسية هاجر بسببها قومٌ من اهل تلك الاطراف وقصدوا الساحل الشمالي من افريقيا وكانت قد أُنشئت هناك مدائن أخرى فينيقية منها اوتيكا المقدَّم ذكرها فاختطّوا هذه المدينة في الموقع المذكور وكان ذلك نحو سنة ٨٦٠ قبل الميلاد . وقد اسلفنا في الكلام على الفينيقيين حديث ديدُون اخت

بجماليُون وما كان من مهاجرتها الى افريقيا بعد مقتل بعلها وشروعها في بنآء قرطاجة وهو موافق لما هنا . قالوا ولما جاءت افريقيا رآها ايراباس ملك الجاتوليين وهم سكان تلك الناحية فطلبها للزواج فامتنعت فلما الحّ عليها طعنت نفسها بخنجر فماتت . وكان القرطاجيون يجعلونها في عداد الآلهة ولها عندهم هيكل كانوا يجتمعون فيهِ للمشورة

ولما استقرّ الفينيقيون في تلك الارض اخذوا يتبسطون فيها شيئاً بعد شيء بحيث لم يأتِ عليهم الا نحو نصف قرن حتى تملكوا جانباً عظيماً منها واوغلوا في داخلها الى مدًى بعيد ووزعوا طوارئهم بين تلك الامم الهمجية من الليبيين والزواكيين وغيرهم وكان غالبهم من القبائل الرُحَّل فامتزجوا بهم وعوّدوهم حرث الارض وسكنى المَدَر ولم تلبث تلك الارض الخصيبة ان اصبحت باسرها مبآءةً لهم وكانت طوارئهم هناك بمنزلة احلافٍ متضافرة تستظلّ جميعها تحت لوآء قرطاجة

ثم ان القرطاجيين طمحت انفسهم الى التبسط شرقاً فزحفوا الى جهة قُورين بساحل برقة وهي طارئة يونانية قديمة فكانت بين الفريقين وقائع دامية وفي آخر الامر استُولوا على جميع الارض الواقعة بين خور سِدرة وخور قابس . وكان غرضهم من الاستيلاء على هذه الاماكن التذرع الى توسيع تجارتهم والايغال بها الى داخل افريقيا دون التملك لانهم كانوا على غير ثقةٍ من انفسهم بالقدرة على ضبطها وحمايتها وانما كان معظم وكدهم منصرفاً الى امتلاك الجزُر لانهم يستطيعون ان يمنعوها باساطيلهم فافتتحوا سردينيا وهي افضل طوارئهم ثم جزُر الباليار (اي الرماة) ومالطة وكُرسِكا وجزراً اخرى

صغيرة في البحر الرومي واستولوا على الجانب الغربي من صِقِلّية وبلغوا فيما يقال الى الجزر السعيدة وهي المعروفة بالجزائر الخالدات وجزيرة مُدَيرة وتوابعها في الاتلنتيك وبثّوا طوارئهم في اسپانيا والسواحل الغربية من افريقيا وغيرها . ولحفظ هذه الفتوح لم يكن لهم بدٌّ ان يجهزوا اساطيل عظيمة وجيشاً عديداً وكان اكثر جيشهم من المتطوّعة وبحارتهم من العبيد

اما دين القرطاجيين فقد كان مزيجاً من معتقدات الفينيقيين والليبيين واسماء آلهتهم قلما تختلف عن اسماء آلهة صور . وكان اعظم معبوداتهم زُحَل ويسمونهُ بعل مولك او كرُونوس وقيل المراد ببعل مولك الشمس وكان يحرم عليهم ان ينطقوا بهذا الاسم فاذا ارادوا ذكرهُ عبروا عنهُ بالازلي او السرمدي وذلك كما يفعل اليهود اذا لرادوا ذكر « يهوَه » فانهم يعبرون عنهُ بأدُوناي . ومن الآلهة الفينيقية ملكَرْت وعشتاروت وكانوا يوقدون لملكرت نيراناً عظيمة كما كان يُصنع في كل طارئةٍ من طوارئهم ويرفعون اليهِ هدايا ثمينة يبعثون بها الى هيكلهِ في صور . وكان لهم في كل سنةٍ ضحايا بشرية يترضونهُ بها واذا نزلت بهم كارثة شديدة ذبحوا لهُ اعزّ الناس عندهم . وذُكر انهم لما فشلوا في احدى حروبهم في صقلّية توهموا ان ذلك كان عقاباً لهم من ملكرت لتقصيرهم في توجيه الهدايا الى هيكلهِ في صور فارسلوا اليهِ اموالاً ونفائس لا تُحصَى حتى جردوا الهيا كل من اغشيتها الذهبية . ثم انهم كانوا قبل ذلك قد اصطلحوا على ان يفتدوا الاطفال التي يضحونها لهُ عادةً بعبيدٍ يشترونهم بالثمن فخافوا ان يكون هذا ايضاً مسبباً لغضبهِ فضحّوا لهُ مئتي رجلٍ من اشرف أُسَرهم . ورُوي عن انيبال انهُ لما همّ بالحرب في

ايطاليا بلغهُ ان ولدهُ قد عُيّن لان يكون ضحيةً في تلك السنة فقال الآن قد ارصدت للآلهة اكرم ذبيحة ترضيها

اما حكومتهم فكانت مؤلفةً من الاشراف وارباب الثروة لكن يمازجها شيءٌ من النظام الديمقراطي وكان مرجع الاحكام فيها الى مجلس شيوخ يتألف من نحو ثلاث مائة عضو من الاعيان ويرأسهُ نائبان يجدَّد انتخابهما سنةً فسنة وكل ذلك على تفاصيل لم يبقَ سبيلٌ الى تحقيقها لغياب اصولها وكذلك موارد الدخل وكيفية توزيع الاتاوات والضرائب مما يذكرهُ المؤرخون على سبيل الحدس والتقريب فلا نطيل بالكلام عليهِ

وكان من وكد قرطاجة ان تحتكر لنفسها جميع موارد التجارة في الغرب فكانت تُبعِد في مرمى طوارئها وتجهد في دفع الاجانب عن كل موضع تصل بضائعها اليهِ . وكانت تجارتها في البرّ على القوافل تستعين على خفارتها بالقبائل الرُحّل المجاورة لخور قابس وما يليهِ من الساحل فكان القرطاجيون يسافرون شرقاً الى مصر وجنوباً الى نواحي الزاب وما وراء ذلك . واما تجارتها البحرية فكانت مقصورةً في الغالب على طوارئها فكانت سفنها ترسو على جميع فُرَض البحر الرومي وتتجاوزها الى الحدود الشمالية من اسپانيا ثم تنتهي في الاتلنتيك من الجهة الواحدة الى شواطئ بريطانيا ومن الجهة الاخرى الى سواحل غينيا

وكان لا يزال في انفس القرطاجيين شيءٌ من الاستيلاء على بقية صقلّية لما هي عليهِ من الخصب والغنى فلما توالت انتصاراتهم وعظمت دولتهم ابرموا محالفةً مع أحشويرش (زركسيس) الاول ملك فارس سنة ٤٨٠ وكان

ينوي الغارة على بلاد اليونان وتواطأوا معهُ على ان يجيشوا على صقلّية في حين حشدهِ على اليونان فانضمّوا الى الاتروريين من طوائف ايطاليا بقيادة أَمِلكار احد مشاهير قوادهم وابحروا الى صقلية والتحم القتال بين الفريقين فكانت الدائرة على القرطاجيين كما كانت الدائرة في حرب اليونان على الفرس في حديثٍ ليس هنا موضعهُ . فاضطروا الى الصالح على غرامة التي وزنة من الفضة (نحو احد عشر مليون فرنك ونيّف) والزموهم الغآء الضحايا البشرية لآلهتهم وان يبنوا تذكاراً لهذا الصلح هيكلين احدهما في قرطاجة والآخر في سرقوسة احدى مدن صقلية

ولبثوا بعد ذلك في سكون مدة سبعين سنة ثم استأنفوا الغارة على صقلية فناهضهم ديونيسيوس السرقوسي فكانت بين الفريقين ثلاث وقائع هائلة وذلك من سنة ٤١٠ الى سنة ٣٦٨ هلك فيها من جيش القرطاجيين خلقٌ لا يحصى وآخر الامر عُقِد الصلح بينهما على أن يلزم كل فريق حدودهُ الاولى فبقي القرطاجيون مستولين على ثلث الجزيرة

وحدثت بعد ذلك فتن متوالية في صقلّية فكان القرطاجيون عند حدوث كل فتنة ينهضون للغارة على بقية الجزيرة فيرجعون بالخيبة الى ان كانت الفتنة الكبرى سنة ٢٦٨ قبل الميلاد حين ثار الجيش في سرقوسة واستولى على مسّينا ثم اوقد الثورة في عامّة الجزيرة فانقسم الصقلّيون الى حزبين احدهما مع الثوّار والآخر عليهم وانضمّ القرطاجيون الى هذا الحزب فكانوا يداً واحدة على الثوار فاستغاث هؤلآء بالرومان ونشبت الحرب بين الجانبين فكانت الغلبة للثائرين وأُلجئ القرطاجيون الى الخروج من الجزيرة

وكان ذلك بدء الحروب المشهورة بين القرطاجيين والرومان المعروفة بالحروب الفينيقية (Guerres puniques) . وتوالت الوقائع بعد ذلك بين الطائفتين تارةً في البرّ وتارةً في البحر وكان الفوز في اكثرها للرومان واخيراً أُبرِم الصلح على غرامةٍ فادحة كان من اعقابها عجز القرطاجيين عن اداء رواتب الجيش وذلك نحو سنة ٢٤٠ فثاروا عليهم وشايعهم فريقٌ من الرعية كانت قد اشتدّت عليهم المضايقة في اثناء الحرب فاضطرمت الفتنة الداخلية في البلاد ودامت مدة ثلاث سنوات انتشرت في اثنآئها الى سردينيا فكانت سبباً في خروجها من ايديهم واستولى الرومان عليها غنيمةً باردة　　(ستأتي البقية)

من أين اخذ پستور

جآء في احدى المجلات العلمية كلامٌ في معنى هذا العنوان فاحببنا تعريبهُ لما فيهِ من الفائدة قالت

من المشهور ان پَستُور هو المكتشف لجراثيم الاختمار في المواد العضوية والواضع لهذا العلم في الزمن الحالي ولكننا عند البحث نجد انهُ لم يفعل في هذا الشأن سوى انهُ استقرى اقوال من سبقهُ واخذ من مجموعها اصلاً بنى عليهِ وفرّع عنهُ وبذلك انطمس ذكر من جآء قبلهُ واصبح الامر كلهُ منسوباً اليهِ مع ان جميع ما ذكرهُ قد تقدمهُ فيهِ غيرهُ من زمنٍ طويل خلا ان ما قالوهُ كان ينقصهُ القياس النظري وهو كل ما فعلهُ پستور

وذلك انهُ كان من المعلوم من عهدٍ بعيد ان الاختمار في الخمر والسوائل

الروحية لا يتم الا بوجود السكَّر والخمير والمآء والحرارة . وقد نبه تينار منذ سنة ١٨٢٧ الى ان الخمير يحلّ السكَّر ويحيلهُ الى كحل (سبيرتو) وحامض كربونيك . وكذلك اختمار التخليل واختمار التعفن كان من المعلوم ان الاول لا بدّ لهُ من وجود خميرٍ خاص غير الخمير السابق يحول الكحل الى حامض خليك وكانت الاحوال التي لا يقع التعفن في الاجسام الآلية الا بها معروفةً عند تينار وغيره ممن تقدمهُ فانهُ كان من الثابت عندهم ان التعفن ينتشر بالحرارة ويتوقف بالبرد او يمتنع بتةً اذا كانت الحرارة تحت درجة الصفر . وقد استقرى تينار تأثير الهوآء فتحقق انهُ اذا كان ساكناً اعان على سرعة الاختمار واذا كان متحركاً أخّرهُ لانهُ حينئذٍ يجفف الاجسام ويحمل ما ينشأ عليها من جراثيم الفساد

وجآء في كلام لسّاك انهُ اذا عُصِر العنب في جوٍ خالٍ من الاكسيجين خلوًّا تامًّا كأن يُعصر في اناءٍ مملوءٍ من الهدروجين مثلاً لم يحدث هناك اختمارٌ البتة واذا ملئت زجاجةٌ من عصير العنب بعد عصرهِ في الهوآء وسُخّن كل يوم على ١٠٠° امكن ان يُحفَظ عدة اشهر بدون ان يختمر

وقد اشتهر عند المتقدمين ان الملح والكحل والخلّ تحفظ المواد القابلة للفساد واذا رجعنا في التاريخ الى زمن المصريين الاولين تبين لنا انهم كانوا على تمام المعرفة بموانع الفساد وحسبنا شاهداً على ذلك هذه الاجساد المحنطة الباقية عنهم الى هذا اليوم

ومن غريب ما يُذكَر في هذا المقام ما جآء في كلام كانيار لاتُور منذ سنة ١٨٣٥ من ان خمير الجعة مؤلف من اجسام مجهرية (مكرسكوبية)

هليلجية الشكل او كُرَويّتهِ وانهُ يمكن ان تكون اجساماً حية قابلة لان تتوالد من طريق التفريخ البرعميّ . و بعد ذلك اكتشف داڤين سنة ١٨٥٠ في دم الحيوانات الميتة لحماً وضرباً من الجُسَيمات الحية المعروفة بالمتمعجات (Vibrions) يتحرك حركاتٍ في غاية السرعة اذا حقن بهِ تحت جلد حيوان حيّ هلك بنفس المرض الذي ماتت بهِ تلك الحيوانات

ثم انهُ بعد عشر سنوات اخذ پستُور هذه المعلومات كلها فاستنبط منها اقيسةً عامّة وفرَّع عليها بحثاً نظرياً ردَّها فيهِ الى انواعٍ نبه على هيئاتها وخواصها و بنى على ذلك كلهِ علماً جديداً هو علم البكتيريولوجية . انتهى بتصرفٍ قليل

فردوس الپاسيفيك

هو الاسم الذي يطلقهُ السيَّاح عادةً على جزائر فيجي وهي مجموع جزائر واقعة في الاوقيانوس الپاسيفيكي على بعد نحو ١٦° من جنوبي خط الاستواء. وقد وقفت على مقالةٍ لبعض سياح الافرنج يصف فيها هذه الجزائر فرأيت ان افكّه بها قرآء هذه المجلة ولعلها لا تخلو من فائدة لطلاب المباحث الجغرافية

اما مجموع الجزائر المذكورة فهو مؤلفٌ من اربعين جزيرة ومئتي قارَة[1] صخرية غالبها مقفر يتوسطها بحر كوزو وتبلغ مساحة هذه الجزائر كلها مع القارات نحو ثلث مساحة البلجيك و يبلغ عدد سكانها ٥٠٠ ٠٠٠ نفس

اما سكان هذه الجزائر فكانوا فيما مضى من اكلة لحوم البشر وقد

(١) القارة بتخفيف الرآء الصخرة العظيمة والمراد بها هنا الجزيرة الصغيرة

ذكر احد شيوخ الاهالي لبعض السائحين في تلك الناحية ان لحم البيض كثير الملوحة ولحم النوتية يخالطهُ طعم قطران وتبغ مع عفونة وان الذ اجزآء الجسم طعماً الرأس والفخذان

وهم نحاسيو اللون يطلون جلودهم بالزيت ويلبسون مآزر على اوساطهم مصنوعة من الياف شجر النارجيل واما في الاحتفالات والاعياد فانهم يحبون ان يرتدوا بالملابس ذات الالوان الزاهية وان يتزينوا بالجواهر البرّاقة . ومن الغريب انهم مع قلة اعتنآئهم بالملابس الا في ايام الاحتفالات فانهم كثيرو الاعتنآء بشعرهم فان البعض منهم يتركون شعرهم طويلاً ويضفرونهُ حول رؤوسهم على شكل مروحة بواسطة عجينة رطبة من مسحوق المرجان والبعض يصنعهُ على اشكالٍ اخرى كثيرة كلها غريبة المَنظر ويصبغون وجوههم بالزنجفر فيزداد منظرهم غرابةً ولكن كل ذلك ممنوع على الاعزاب وهم عندهم في منزلةٍ حقيرة

وعندهم نوعٌ من اللباد يتخذونهُ من النبات ويستعملونهُ للباس والفرش وهو في غاية الموافقة لبلادهم فانها تتقلب على مدار السنة تحت اشعة الشمس العمودية يسقط فيها من المطر نحو ثلاثة امتار في السنة وهذا اللباد جامع بين الخفة والكثافة فيمنع نفوذ مآء المطر لكثافتهِ ولا يمنع البرودة في الصيف لخفتهِ

اما بيوتهم فانهم يصنعوها ايضاً بحيث يدخلها الهوآء ولا يدخلها المآء والرطوبة فيبنونها على دِكاكٍ ينضدونها من قِطعٍ كبيرةٍ من الصخر ثم يبنون فوقها الجدران وهي جوائز صلبة من الخشب يربطون عليها اغصاناً من

الصفصاف مشبكة بعضها ببعض بواسطة الياف من شجر النارجيل ثم يغطونها بطبقة كثيفة من اوراق النخل . اما السقوف فيصنعونها مسنَّمة بحيث تكون مرتفعةً في الوسط ومصوَّبة عن الجانبين ليسهل انحدار المآء عنها ويغطونها بالقصب واوراق الشجر فلا يزال يتخللها الهوآء . وقد كان رؤسآء الجزائر فيما مضى ينصبون امام بيوتهم حجارة كبيرةً على عدد الناس الذين اكلوهم وقد رُؤي في سنة ١٨٩٤ امام بيت احدهم ٨٧٢ حجراً

اما بلادهم فانها ذات جمال بديع وفيها كثير من المناظر الطبيعية الشائقة التي تكون عادةً في تلك المنطقة الحارة وذلك مع خلوها من الامراض التي يكثر وجودها في المنطقة المذكورة لان تلك الجزائر لا اثر فيها للمستنقعات الفاسدة التي تنتشر منها الامراض القتالة بواسطة الابخرة المتصاعدة منها فان مياه الامطار الغزيرة تجري من اعالي الجبال في انهرٍ ومجارٍ يتخللها شلالات صغيرة الى ان تصل الى البحر فتصب فيهِ بدون ان تترك اثراً لمستنقع

واذا تجوَّل السائح على شواطئ هذه الجزائر يرى طرقاً منحوتة في الصخور المرجانية على بضع اقدام من سطح البحر ومن هذه الطرق يرى البحر ممتداً بين الصخور المرجانية واذا ركب في البحر وسار بجانب الشاطئ يرى العشب والصدف والمرجان في قعر البحر المنار باشعة الشمس العمودية ويرى الاسماك الغريبة التكوين والتلوين التي توجد عادةً في ذلك البحر وبالاجمال فان منظر تلك الجزائر يُعدّ من ابهج المناظر وابهاها فلا بدع اذا أُعجب السياح بمحاسنها وسموها بفردوس الپاسيفيك

فريد البرباري

معالجة الحرَق

لا يخفى ان الحرَق من الحوادث الكثيرة الوقوع لتعدّد اسبابهِ واختلافها وكثيراً ما يفضي الى عواقب سيئة اذا لم يُعجَل في تداركهِ ومداواتهِ بالوسائط التي تمنع تطرُّق الفساد الى ما ورآء الجلد ولا سيما في الحروق البالغة . وقد وقفنا في ذلك على فصلٍ لبعض اكابر الاطبآء فرأينا ان ننقلهُ الى القرآء لما فيهِ من الارشادات المفيدة في مثل هذه الحوادث قال

اول ما يجب المبادرة اليهِ في علاج الحرق مهما كان نوعهُ اتخاذ الذرائع المانعة للفساد فاذا كان الحرق في موضع من البدن مغطًّى باللباس ينبغي ان يُشَقّ اللباس من ذلك الموضع بدون توقف ثم يُرفَع ما التزق منهُ بالجلد بكل رفق بحيث لا يُفقأ المَجْل اي الجلد المتنفط بسبب الحرق فان اقلّ ما في بقآئهِ انهُ يمنع فساد الانسجة التي تحتهُ بوقوع الجراثيم المفسدة عليها من الهوآء . واذا اتفق ان تحترق البشرة حتى ينكشف ما ورآءها من النسيج الباطن ينبغي ان يبادَر الى تغطية الموضع المكشوف برفادةٍ تتخذ من خِرَقٍ مضاعفة تُغمَس في محلول مشبع من الحامض البوريك (٣٠ غراماً من الحامض في اللتر من المآء) او في مآءٍ قد عقّم بالاغلآء

وبعد ذلك يؤخذ في غسل الحرق وينبغي ان يكون هذا الغسل بالتأني على جميع القسم المصاب من الجلد لانهُ عليهِ يتوقف تحقق البرء وسرعتهُ . فيبتدأ اولاً بالاجزآء المحيطة بموضع الحرق مما يلي الجلد الصحيح ثم يُمَدّ الغسل شيئاً فشيئاً الى الوسط حتى يعم الموضع كلهُ . ويستعمل لذلك قطعة

معقمة من النسيج تُغمس في محلول فاتر من الصابون والكحل ثم يعاد الغسل بالكحل والايثير وبعد ذلك يُغسَل الموضع بالمآء المعقَّم بالاغلآء او بمحلول البوريك او المآء المملوح فاتراً

وبعد تمام الغسل يضمَّد القسم المحرق كلهُ وكانوا قبلاً يستعملون هذا الضماد بمرهم الكاس وهو يركَّب في الصيدليات من مقدارين متساويين من زيت الكتان ومآء الكاس ولكنهم عدلوا عنهُ في هذه الايام الى محلول الحامض البكريك تغمس فيهِ رفادةٌ ثم تعصَر عصراً خفيفاً وتُجعَل على موضع الحرق ثم يُعصَب فوقها بقطعة من النسيج وقد ظهر بتوالي الاختبار ان هذا المحلول من افضل ما استُعمِل في علاج الحرق واوكدهِ نفعاً

واذا لم يكن باطن الجلد مكشوفاً يمكن ان يكتفَى بعد الغسل بمرهم الكاس وهذا يمكن تجهيزهُ في الحضرة بان يُمزَج شيءٌ من الزيوت ما كان بمقدار قليلٍ من الكاس المطفأ والمآء

هذه اول التدابير التي ينبغي الالتجآء اليها قبل حضور الطبيب ان كان في الحال ما يضطرّ الى استدعآئهِ على انهُ انما يُحتاج اليهِ في الحروق البالغة واما الحروق الخفيفة فيكتفَى فيها بما ذُكر

من كلام عضد الدولة ما كتب بهِ الى احد عمالهِ « غرَّك عِزُّك فصارَ قُصارُ ذلك ذُلَّك فاخشَ فاحِشَ فعلك فعلَّك بهذا تهدأ » وهذه الكلمات كلها متشابهة في الخط كما ترى لا يميَّز بينها الا بالنقط والشكل

كتاب المترادفات[1]

هو الكتاب الذي علاتنا بهِ نظارة المعارف المصرية الجليلة منذ سنين وقد برز والحمد لله من جانب « النية » الى جانب الايعاز ثم الى جانب التأليف فالطبع الى ان تمثل لنا كتاباً سوياً ....

والكتاب « تأليف الفاضلين عبد الجواد افندي عبد المتعال وعبد الله افندي الانصاري استاذي اللغة العربية « بالمدرسة » الخديوية .. وقد « نظرهُ » فضيلتلوحضرة العلامة الفاضل الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله مفتش (اول) اللغة العربية « بالمدارس » و « اقرّ » على طبعهِ »

وكنا عند ظهورهِ قد تصفحنا بعض الشيء منهُ ثم اعترضتنا من دونهِ مشاغل استوقفتنا عن تتمة مطالعتهِ وربما لم يتمثل لنا بعد ذلك في بال الى ان نبهنا اليهِ بعض اساتذة المدارس الاميرية على ما تراهُ في الجزء السابق فاصبح حقاً علينا ان نفرّغ لهُ جانباً من وقتنا وما هو مما يقتضي منا وقتاً طويلاً لانهُ لا يتجاوز ٦٢ صفحةً صغيرة خلا ما ذُيّل بهِ من كلام حضرة « مفتش اول اللغة العربية » وهو اربعة اسطر يؤخذ منها ثلاثة امور.

الاول اعترافهُ بل تبجحهُ بانهُ هو الذي « صحح الكتاب وضبط مفرداتهِ اللغوية عراضاً على امهات الكتب » فصار هو المسؤول عن كل ما فيهِ.

والثاني شهادتهُ بانهُ «جاء صحيح المبنى والمعنى »وهو ما يدور عليهِ كلامنا في

[1] راجع ضيآء السنة الرابعة ص ٤١٩ الى ٤٢٣ وضيآء هذه السنة ص ٥٣٦ وما يليها

هذا الفصل . والثالث ان ذلك اي صحة المبنى والمعنى « قلما يوجد في اضرابهِ من الكتب المؤلفة في بابهِ » . وفي هذا القول من التهور ما كنا نحب ان يصون الشيخ نفسهُ منهُ على أنَّا عند تصفح الكتاب وجدناهُ باسرهِ منقولاً عن كتابي فقه اللغة للثعالبي والالفاظ الكتابية للهمذاني لانهُ من اولهِ الى آخر صفحة ١٢ منقولٌ عن فقه اللغة ومن صفحة ١٣ الى ٤٠ عن الالفاظ الكتابية ومن هناك الى آخر الكتاب عن فقه اللغة . وحينئذٍ فما ندري كيف يبرأ مما في هذين الكتابين من فساد المبنى والمعنى الا ان يعني الشيخ انهُ بتصحيحهِ ومعارضتهِ على امهات الكتب قد نفى منهُ ذلك الفساد فبقي ان نفحص هذه الدعوى لنتبين مكانها من الواقع

على ان ما ابنّاهُ في الجزء السابق من مواضع التحريف والافساد في النقل عن الكتابين المذكورين كافٍ في الدلالة على هذا الغرض غير اننا اجابةً لصاحب السؤال وتنبيهاً لسائر الذين ضُرب عليهم مقتنى هذا الكتاب الى ما فيهِ من مواضع الزلل لم نجد بأساً ان نتتبع سائر ما يبدو لنا فيهِ من الهفوات ليكون مطالعوهُ على بيّنةٍ من الاخذ عنهُ ورجاء ان يصحَّح في الطبعات الآتية بما يكون معهُ جديراً بالثقة والله ملهم الصواب

فمن ذلك في صفحة ٥ وهي الصفحة الاولى من الكتاب في سياقة الاوائل « وفواتح الامر واوائلهُ وبواديهِ بمعنًى » . فقولهم (أي قول المؤلفين والمصحح) « وبواديهِ » البوادي جمع بادٍ او بادية وليس شيءٌ منهما بمعنى اول الامر . واذا تساهلنا وفرضنا ان في هذه الكلمة شيئاً من المطبعة وانهم ارادوا بوادئهُ بالهمز فكذلك لانهُ لا يقال بادئ الامر ايضاً ولا بادئتهُ بمعنى بدئهِ

وفي صفحة ٦ « الرسّ البئر الكبير » وصوابهُ « الكبيرة » لان البئر انثى

وفي هذه الصفحة « الجخدُب الضخم الغليظ » والذي في فقه اللغة « الجخدب الجندب الضخم » وهو اللائق بهذا المقام لان الكلام في سياقة الاشيآء الكبيرة باعتبار ما يُطلَق عليها لا في بيان مرادفات الكبير على ان كلا المعنيين واردٌ في كتب اللغة فما ندري ما كان الداعي الى هذا العدول

وفي صفحة ٨ « وعيشٌ رفيع » بمعنى واسع . وصوابهُ « رفيغ » بالغين المعجمة ويقال ايضاً عيشٌ رافغ ورابغ وقد رَفُغَ عيشهُ بالضمّ وهو مثل رَفُهَ وانهُ لفي رَفاغةٍ من العيش ورَفاغيَة ورُفغْنية كل ذلك لغةٌ في الهآء

وفي صفحة ١٠ « الوتيرة ما بين المَنخُرين » وضُبط لفظ « المنخرين » بفتح الميم وضم الخآء وصوابهُ الفتح فيهما او الضمّ فيهما معاً . قال في القاموس « المنخر بفتح الميم والخآء وبكسرهما وضمهما وكمجلس ومُلمول الانف » ومثلهُ في غيره من « امهات الكتب » لم يحكِ احدٌ المَنخُر بفتح الميم وضم الخآء . على ان هذا من الابنية النادرة لم يجئ منهُ الا مَنعُم فيما ضبطهُ صاحب القاموس والا مَكرُم ومَعُون ومألُك فيما رواهُ الكسآئي والمبرّد لم يُسمَع غير ذلك

وفي صفحة ١١ في تأكيد الالوان « وأحمر قانٍ » بجعل « قانٍ » من المعتلّ والافصح « قانئٌ » بالهمز قال في لسان العرب وترك الهمزة فيهِ لغةٌ اخرى ومعلوم انهم متى قالوا هذا لغة في كذا فُهم منهُ انها لغةٌ ضعيفة . على ان هذا اللفظ في فقه اللغة حتى في نسخة الاب شيخو مهموز

وفي صفحة ١٣ في مرادفات الجدّ في العمل « وفلانٌ همٌّ بالعمل ونهِض

واستقلّ وأوفى بهِ اي مضى فيهِ » وفي هذا السرد ما لا يخفى فان معنى « همّ بالعمل » نواهُ واراده وعزم عليهِ كما في لسان العرب فهو لا يتضمن معنى الشروع في العمل فضلاً عن الجدّ فيهِ . وقولهم « وأوفى بهِ » اي بالعمل لا معنى لهُ والمعروف في هذا الاستعمال اوفى بعهدهِ بمعنى وفى بهِ . وما ننكر ان كلا اللفظين واردٌ في الالفاظ الكتابية ولكن اين قول الشيخ انهُ « عارضةٌ على امهات الكتب » اولم يكن هذا اولى من تبديلهِ عبارة الثعالبي في صفحة ١٢ وتخصيصهِ الصَمَر باللحم بعد ان كان مخصّصاً بالسمك مع صحة استعمالهِ في كليهما

ومن هذا القبيل ما جآء في صفحة ١٥ في مرادفات التخاذل « حصل بين القوم التفرق والتدابُر والتفاشُل » ولم يُنقَل في اللغة تفاشل القوم ولا هو مما يصح بناؤهُ في القياس لان افعال المشاركة لا تبنَى الا من المتعدي ولو تأويلاً فيقال تخاذلوا اذا خذل بعضهم بعضاً وتدابروا اذا ادبر بعضهم عن بعض ومثل هذا لا يُتصوَّر من الفشل لان معناهُ الجبن والنزع والضعف فهو من الافعال التي لا يتعدى اثرها نفس الفاعل فلاوجه فيهِ للمشاركة كما هو ظاهر .

وفي صفحة ١٦ في مرادفات كرم الطبع وحسن الخلق « وهو سيّئ الخلق وشكِس وشرِس وخبيث النية مزدرًى في خَلقهِ وخُلقهِ » وهذا الاخير في منتهى الغرابة وانظر اين معنى الازدرآء في الخَلق والخُلق من سوء الخُلق والشكاسة وما يليهما

وفي صفحة ١٨ في مرادفات المصالحة « وضرعوا الى الهدء وفرَعوا

اليهِ » ولا معنى لفرَعوا هنا وهو كما تراهُ بالرآء المهملة مفتوحةً في الرسم والذي في الالفاظ الكتابية « فزِعوا اليهِ » بالزاي مكسورةً اي لجأوا وهو التعبير الصحيح وما ندري عن اي « امهات الكتب » صححت هذه الكلمة . . .

ثم جآء بعد ذلك « وتحاجزوا عن بعضهم » وهذه لم ترد في الالفاظ الكتابية وانما هي من عند مؤلفي الكتاب وهذا التركيب فاسدٌ كما لا يخفى لان معناهُ ان كلهم تحاجزوا عن بعضهم فانظر كيف تفهم ذلك . والصواب حذف هذه الصلة والاكتفآء بلفظ تحاجزوا لان صيغة تفاعل تفيد الاشتراك على ما تقدم البحث فيها قريباً (ستأتي البقية)

نحن والمنار

والدين الاسلامي

وقفنا في مجلة المنار ـ وما نحن ممن يقرأ المنار ولكن أطلعنا عليهِ بعض الاخوان ـ على عبارةٍ استوقفتنا بين الحيرة والاسف لما انتهت اليهِ حالة الفوضى القلمية في هذا القطر وانقطاع كل عقالٍ فيهِ حتى اصبح كل شيءٍ مباحاً وصار الكاتب اذا هجس في صدرهِ خاطر متخرص او مرّ بسمعهِ قول مُرجِف لا يلبث ان ينشرهُ بغير تثبت ولا تحص يشوش بهِ الافكار ويجعلهُ مصدراً للقيل والقال

على أنّا لم نكن لنحفل بقولٍ قالهُ صاحب المنار او غيرهُ لو لا انهُ نشرهُ على كثيرين ممن لم تسبق لهم معرفةٌ بنا ولم يُثبتوا صفاتنا واخلاقنا فربما توهموا إن لقولهِ ظلاًّ من الصحة وهو امرٌ لا نرضى بهِ ولو كان الذين يجوز

عليهم ذلك القول عشرة انفس في القطر

واليك العبارة التي قرأناها في المجلة المذكورة قالت

« نشرت مجلة البروتستنت المصرية نبذةً في الطعن بالقرآن نقلتها عن كتاب لهم يقال ان للشيخ ابرهيم اليازجي يداً في تصحيحهِ او تأليفهِ او ترجمتهِ والزيادة فيهِ » انتهى بحرفهِ . فوقفنا نقلّب الطرف في هذا الكلام ونحن نستحضر ما كرّ علينا من سوالف الايام ونمثل ما مرّ بنا من غرائب الاحلام لعلنا نتذكر في اي عهدٍ كنا من المناقشين في العقائد الدينية وفي اي زمنٍ كنا نؤلف الكتب في الطعن على الاسفار السماوية ومتى كنا نتعاطى حرفة التبشير بالاديان واي ثمرةٍ لنا في صرف بعض القوم عما اعتقدوهُ من الايمان . . امورٌ يعلم كل من لهُ ادنى معرفةٍ بنا انا من ابعد الناس عنها وفي مراجعة بعض مقالاتنا في الضياء ولا سيما مقالتنا في جرائد القطر المصري ما يدل المطالع اننا لسنا بالموضع الذي حاول صاحب المنار ان ينزلنا بهِ

وبعد فما ندري ما غرض الرصيف الفاضل من التعريض بنا في هذه المسئلة وشدة حرصهِ على ان يلصق بنا شيئاً من امر هذا الكتاب فهو ان لم يكن من تأليفنا فمن ترجمتنا وان لم يكن كذلك فمن تصحيحنا وان لم يثبت هذا ايضاً فلا اقلّ من ان نكون قد زدنا فيهِ فنحن على كل حال مأخوذون بواحدة . . . على ان كل هذا مبنيٌّ عندهُ على شهادة « يقال » وهي شهادةٌ ما انزل الله بها من سلطان . وقد كان يستطيع لو شاء ان يستثبت ذلك منا مشافهةً فاننا في بلدٍ واحد لا يمتنع علينا ان نجتمع كل يوم وقد التقينا غير مرةٍ وليس بيننا الا حديث المودّة حتى كنا الى هذه الساعة نعتقد صداقتهُ

ـــ وان لم تثبت مع التعصب صداقة ـــ فلا يحجبهُ عنا حاجب . ولو فعل لاكتفى اعنات نفسهِ في الاستخبار والاستطلاع ان كان حقاً قد قيل لهُ ذلك عنا او كدّ مخيلتهِ في الحدس والتكهن ان كان ذلك افتئاتاً من عندهِ

على ان معرفة مؤلف الكتاب لا تفيدهُ شيئاً لان غريمهُ انما هو الكتاب لا الكاتب وسوآء صح ان المؤلف نحن او سوانا فانهُ لا يستطيع ان ينال منهُ شيئاً لان حرية الاقلام بل فوضى الكتّاب شائعة في هذا القطر السعيد بفضل حكومتهِ الحكيمة وهذه بعض جرائد القطر وكتبهِ تطعن في الاديان جهراً ولا تُسأل عما تفعل واولها مجلة المنار واسم صاحبها مصرَّحٌ بهِ في صدرها فلو كان على الكاتب تبعةٌ في مثل هذا لكان هو اول من يؤخذ بهِ

ولكننا نحقق لحضرة الرصيف الفاضل أننا برآء مما اتَّهمنا بهِ او ما اتُّهمنا بهِ لديهِ واننا من ابعد خلق الله عن هذه السخافات التي يتاجر بها قومٌ لاستدرار الرزق من اخبث موارده وان لم يكن لهُ بدٌّ من ملازمة هذا الموقف والنضال بهذا السلاح فعندهُ من قسوس الانكليز والاميركان ومن ينتمي اليهم من المتقسسين ـ وكلهم معروفون لديهِ اسماً وجسماً ـ من يكفيهِ استنزالنا الى هذا المجال وتكليفنا ان نعمل بضد ما طُبعنا عليهِ وان نسعى بهدم الأُلفة بين عناصر الامة ان كان قد ترك لها امثالهُ بناءً قائماً وهذا القدر كافٍ في هذا المقام ولا حول ولا قوة الا بالله .

آثار ادبيّة

ديوان الرافعي — أُهدي لنا الجزء الاول من هذا الديوان وهو من نظم حضرة الفاضل مصطفى صادق افندي الرافعي وعليهِ شرحٌ لحضرة شقيقهِ الاديب محمد كامل افندي الرافعي . وقد صدَّرهُ الناظم بمقدمة طويلة في تعريف الشعر ذهب فيها مذهباً عزيزاً في البلاغة وتبسط ما شاء في وصف الشعر وتقسيمهِ وبيان مزيتهِ في كلامٍ تضمن من فنون المجاز وضروب الخيال ما اذا تدبَّرتهُ وجدتهُ هو الشعر بعينهِ

والديوان يشتمل على ابوابٍ مختلفة من المديح والوصف والغزل والرثاء وغير ذلك وهو رصين النظم محكم السبك جامعٌ بين فخولة اللفظ وسهولة التراكيب وكلهُ يدلُّ على تدفق طبع وغزارة محفوظ وسعة اطلاع على شعر المتقدمين والمتأخرين بحيث كان آخذاً بالطرفين جامعاً بين الحاشيتين . ونحن نورد شيئاً من امثلتهِ هنا كقوله يذكر مجد الشرق القديم من قصيدة

تمايلَ دهركَ حتى اضطرب　　وقد ينثني العطف لا من طرب

ومرَّ زمانٌ وجاء زمانٌ　　وبين الزمانين كل العجب

ومنها

ألستَ ترى العرب الماجدينَ　　وكيف تهدَّم مجد العرب

فاين الذي رفعتهُ الرماحُ　　واين الذي شيَّدتهُ القُضُب

واين شواهقُ عزٍّ لنا　　تكاد تمسُّ ذراها السُّحُب

لقد اشرق العلم من شرقنا　　وما زال يضؤُل حتى غربَ

وقولهِ في فلسفة الحب

لا تلم ذا الهوى على ان يبوحا　　هكذا العطر دأبهُ ان يفوحا
كيف تخفى بين العواذل نارٌ　　ساورتها الرياح ريحاً فريحا
وسقام الهوى يلوح على العا　　شق مهما اراد ان لا يلوحا
غلب الشوق اهلهُ فترى القو　　م طريحاً قضى ونضواً طريحا
وكأنَّ الغرام حين شرى الانفس　　م الفى الكرام ارخص روحا
يا اخا الحب ما ارى الحب الا　　نظراً جارحاً وقلباً جريحا
ثم من عاش بعد ذاك فقد عا　　ش ليبكي مما بهِ او ينوحا

وهي طويلة نكتفي منها بهذا القدر . واكثر ما في الديوان من هذا النسج الانيق والوشي البديع الا انهُ على توفر المحاسن الشعرية فيهِ ربما بلغ من اهتمام الناظم باستنباط المعاني وتنسيقها ما شغلهُ عن تحرير الاحكام اللفظية فوقع لهُ ما يؤخذ عليهِ من طريق اللغة او الوزن او غيرهما . ولا بأس ان نذكر بعض ما مر بنا من ذلك استيفاءً لحق النقد كقولهِ في صفحة ٢٧

فكم رجلٍ ترى فيهِ صبياً　　وكم من صبيةٍ وهم رجالُ

فقد وقعت كم في عجز البيت مبتدأً لا خبر لهُ . وقولهِ في صفحة ٥٠

ارى ذا الليل قد خفقت حشاهُ　　وبيَّض عينهُ نزف الدموعِ

فأنث الحشا وهو مذكر . وفي صفحة ٥٥

كانهم رهبانُ في بيعةٍ　　قد اوقدوا في كل كأسٍ سراج

فمنع صرف رهبان ولا وجه فيهِ للمنع . وربما استدرج بشهرة استعمال بعض الالفاظ كما في قولهِ في صفحة ٤٨

وقد مدَّت حواجبها شراكاً　　وطير الروح دانية الوقوعِ

اراد شَرَكاً اي حبالةً وانما الشراك السير تُشدّ به النعل . ومثلهُ في صفحة ١٠٠

انَّا ليوثٌ شهدوا انها　　اشبال ذاك الاسد الكاسرِ

وصف الاسد بالكاسر وانما هو من صفة الطائر اذا كسر جناحيهِ للوقوع

وكقولهِ في صفحة ٢٥

نحن في هذه المدارس نسعى　　لنبرّ الوالدات والوالدينا

وفي وزن البيت زيادة حرفٍ متحرك وهو اللام من والدات . وعكسهُ في صفحة ٥٧

يا غلام ارقب الفجر حتى　　يتجلى فنادني للمدامِ

فان صدرهُ ينقص وتداً مجموعاً ويتم بان يكرّر لفظ ارقب مثلاً . وفي صفحة ١١٩

انا لم يبقَ بين جنبيَّ الا　　كبدٌ من لوعة الشوق حرَّى

وفي عجزهِ نقص سببٍ خفيف بين كبد ولوعة . وفي صفحة ١٠١

صدَّت فكان سلامها نزراً　　وغدت تضنّ بذلك النزرِ

فجاء بالعروض الحذَّاء مضمرةً والاضمار مع الحذذ لا يقع الا في الضرب

على ان هذا لا يُنزل من قدر الديوان وان كان يُستحبّ ان يخلو من مثلهِ لان المرآة النقيّة لا تستر ادنى غبار ومن كملت محاسنهُ ظهر في جنبها اقلّ العيوب . وما انتقدنا هذه المواضع الا ضِناً بمثل هذا النظم ان تتعلق بهِ هذه الشوائب ورجاء ان ينتبه لمثلها في المُنتظر فان الناظم كما بلغنا لم يتجاوز الثالثة والعشرين من سنيهِ ولا ريب ان من ادرك هذه المنزلة من البراعة في مثل هذه السنّ سيكون من الافراد المجلّين في هذا العصر وممن سيحلّون جيد

البلاغة بقلائد النظم والنثر . فنحن نكرر ثناءنا على حضرتهِ بما هو اهلهُ ونحث المتأدبين على مقتنى هذا الديوان والتفكه بما انطوى عليهِ من البدائع الحسان وهو يباع في مكاتب القاهرة وثمنهُ خمسة غروش مصرية

منتخبات الشيخ نجيب الحداد — لا نزيد القرآء علماً بمكان المرحوم الشيخ نجيب الحداد من صناعة الانشآء والنظم وما بلغت اقوالهُ من المنزلة عند الخاصة والشهرة عند العامة لما هي عليهِ من بلاغة التعبير واحكام الترصيف وسلاسة الالفاظ ووضوح المعاني مع مراوحتهِ بين المباحث السياسية والفلسفية والاغراض الاجتماعية والتهذيبية الى غير ذلك مما جمع نفوس القرآء على ايثار كلامهِ وجعل لهُ عند كل طبقة مقاماً وفي كل مجلس ذكراً

وقد عُني بجمع هذه الاقوال من متفرق الصحف وشذور الاوراق حضرة صديقهِ الاديب حنا افندي النقاش وطبعها في سفرٍ مستقلّ حرصاً على بقآئها فجآء ما اختارهُ منها في ٢٤٠ صفحة من مثل صفحات الضيآء وجعل ثمن النسخة منها عشرين غرشاً مصرياً . فنثني على همة المشار اليهِ اطيب الثنآء لحرصهِ على حفظ هذا الاثر النفيس ونحث القرآء على مقتنى هذا الكتاب فانهُ من خير ما تُشغَل بهِ الاوقات وافضل ما تزان بهِ المكاتب

كتاب الف ليلة وليلة — اطرفتنا مطبعة الهلال الاغر بالجزء الثالث من هذا الكتاب وهو كالجزءين السالفين منقّح مما يستهجن ذكرهُ ومطبوعٌ طبعاً حسناً مع تحليتهِ بصور بعض الوقائع وعدد صفحاتهِ ٢١٦ صفحة وهو يباع في مكتبة الهلال وثمنهُ ١٠ غروش مصرية

فكاهات

اول كاس (1)

كان في سنة ١٨٦٥ رجلٌ طاعنٌ في السن يقيم مع ابنيهِ في بلدةٍ بالقرب من دمشق توفيت زوجتهُ وادركهُ بعد فقدها حزن شديد فزهد في الحياة وانقطع في بيتهِ باكيًا متحسرًا فاصابهُ مرض عضال الزمهُ الفراش مدةً وسلبهُ ما لهُ من الصحة . ولما طال مرضهُ ادرك انهُ اصبح على باب الابدية فاستدعى يومًا ولديهِ وكان لاكبرهما من العمر خمس وعشرون سنة واسمهُ جبرائيل ولاصغرهما عشرون سنة واسمهُ سعيد وقال لهما قد ازفت ساعة مفارقتي اياكما وترك هذا العالم الذي حنت ظهري مصائبهُ واني آسفٌ كثيرًا لانهُ لم يتيسر لي جمع مبلغ طائل من المال اتركهُ لكما يكفيكما شقاء الحياة ولكن ما اعهدهُ فيكما من الحذق والنشاط يغنيكما مع الاتكال على الله واستمداد معونتهِ وارشادهِ عما اتركهُ لكما . فاوصيكما اول كل شيء ان لا تحزنا لفقدي فاننا لهذا ولدنا وانما كلنا في هذه الارض عابرو سبيل واقضيا حياتكما بالتقوى والصلاح وعيشا بالاتفاق والمحبة فلا يفصل بينكما احد وكونا رجلين تعتمدان على جدكما وسعيكما ولا تتذللا لأحد فلا اصعب من جميل الانسان ولا اثقل من الدين ولا سيما دين الصدقة والمعروف . واني وان لم اترك لكما ارثًا جزيلاً فالقليل الموجود كافٍ ليمكنكما من السفر الى بلاد اخرى فسافرا بدون تأخير لان معيشة الغربة تخفف من احزانكما وتشحذ عزائمكما للعمل فتبلغان باذنهِ تعالى ما اتمناهُ لكما من التوفيق والنجاح وارى ذلك من الديار التي اكون فيها فتباركما نفسي

وافاض ذلك الوالد المسكين في نصح اولادهِ وهما لا يجيبانهِ الا بالزفرات والشهيق ثم جثوا بجانب سريرهِ وقد اخذ كلٌّ منهما يدًا من يديهِ يقبلها ويغسلها

(1) بقلم نسيب افندي المشعلاني

بدموعهِ . ولما اتم الاب وصيتهُ وارشاداته رفع يديهِ على رأسي الولدين و باركهما بركةً لم يسمعا منها سوى الكلمات الاولى وكان الموت يضعف من قوة نطقهِ شيئًا فشيئًا حتى فاضت روحهُ مع آخر كلمةٍ تحركت بها شفتاهُ

و بكى الولدان اباهما اياماً ثم سئمت نفساهما الاقامة في تلك البلاد فصمما على مغادرتها عملاً بوصية والدهما المتوفى فجمعا ما تركهُ لهما من الميراث واقتسماهُ بالسوية وتباحثا في وجهة السفر فارتأى اصغرهما ان يسافرا معًا الى البلاد الاميركية وقال الاكبر لا بل يسافر كلٌّ منا الى جهة لانهُ من يضمن لنا النجاح اذا ذهبنا الى بلدةٍ واحدة ولكن اذا تفرقنا فاذا لم ينجح الواحد لم ينقطع الامل من نجاح الآخر واذا تضايق الواحد امكن ان يساعدهُ الآخر ولعل الله يأخذ بايدينا ويكتب لنا التوفيق فلا نيأس من اجتماع شملنا بعد هذا الفراق

و بعد مناقشةٍ دامت اياماً قرر الاخوان العمل برأي اكبرهما فودّع بعضهما بعضاً وسافر الاكبر الى جهات البرازيل والاصغر الى القطر المصري . و بلغ الاكبر مدينة ريوجنيرو وليس لديهِ من المال الا مبلغ يسير بقي لهُ من ارثه بعد نفقات السفر

ولما التقى عصاهُ في تلك البلاد الغريبة وهو لا يعرف فيها احدًا جعل يفكر في طريقةٍ لكسب معاشه فنزل بفندقٍ اقام فيه باجرة يسيرةٍ بضعة ايام . وفي ذات يوم خرج صباحاً كعادته الى شوارع المدينة واخذ يجول بين التجار واصحاب الحوانيت يبحث عن عملٍ يعملهُ الا انهُ كان جاهلاً لغة البلاد فلم يدرِ كيف يخاطبهم ويفهم منهم واخيرًا قدّر لهُ ان بلغ محلاً يعرف صاحبهُ شيئًا من اللغة الفرنسوية فاطلعهُ جبرائيل على غرضه وانهُ يطلب عملاً يرتزق منهُ وكان الرجل في حاجةٍ الى مساعدٍ يعينهُ في حساباته ورأى في وجه جبرائيل ما دلهُ فيه على الاستقامة والامانة والذكاء فادخلهُ في خدمته وكان لهُ ميل شديد الى التجارة فجعل يعرض على صاحب المحل آراء جديدة ويهديه الى معاملاتٍ مستحدثة وعادت نصائحهُ بالخير والربح الجزيل على صاحب المحل فازداد حبهُ لهُ وزاد راتبهُ ثم ادخلهُ شريكاً في العمل. ولما تمكن جبرائيل من جمع مبلغ كافٍ من المال طلب الانفصال عن شريكه

والاستقلال بالعمل وانشأ لنفسهِ محلاً تجاريًا كبيرًا ما عتم ان امتدت شهرتهُ في تلك الاصقاع وكثر المترددون عليهِ والمعاملون لهُ واصبح من الاغنياء ثم تزوج بفتاةٍ من اهل تلك الديار ورزقهُ الله منها غلامًا سماهُ فيليب على اسم خالهِ وعاشت تلك الاسرة الصغيرة في رخاءٍ ونعيم

اما الاخ الاصغر سعيد فانهُ جاء مصر كما ذكرنا وكان ذلك لعهد المغفور لهُ اسماعيل باشا فكان ينتقل من بلدةٍ الى اخرى سعيًا في طلب الرزق وسهلت لهُ التقادير وجود خدمةٍ في قصر الامير فلبث فيها مدةً ناعم البال . ورأى اسماعيل باشا في خدمة سعيد همةً واخلاصًا فمال اليهِ وكان يغمرهُ بالعطايا الجزيلة فلم يمضِ عليهِ سنوات كثيرة حتى اصبح ذا مالٍ واقطعهُ اسماعيل ارضًا في بعض مديريات الوجه البحري فاصلحها وبنى لهُ فيها بيتًا فخيمًا وخصص باقيها للزراعة . وكانت انظار اسماعيل لا تزال موجهةً الى هذا الخادم الامين فكانت ارباحهُ تتضاعف ودائرتهُ تتسع وما زال على ذلك الى ان انقضت ايام الخديوي المذكور وقد اصبح ريعهُ يقدّر بالالوف

وكان اخوهُ جبرائيل بعد وصولهِ الى البرازيل واقامتهِ فيها قد كتب اليهِ واعلمهُ بمحل وجودهِ فكان الاخوان يتكاتبان بدون انقطاع . ولما بلغ جبرائيل درجة الغنى التي ذكرناها قبلاً كتب الى اخيهِ يعلمهُ بذلك ويستقدمهُ اليهِ فأجابهُ سعيد واصفًا الحالة الحسنة التي هو فيها وانهُ في رخاءٍ وسرور وعيش رغيد

وبعد خمس عشرة سنة من وصول جبرائيل الى البرازيل حدث فيها ثورة كان معظمها في ريوجنيرو وثار البرازيليون على الاجانب والغرباء ومن جملتهم جبرائيل فنهبوا محلهُ واتلفوا مالهُ وهجموا على بيتهِ قاصدين الايقاع بهِ فتلقتهم زوجتهُ وجعلت تكلمهم بلطف وتذلل الى ان تركوهُ وانقلبوا راجعين . غير ان احدهم لم يستحسن العودة بدون اظهار شيء من شراستهِ فوجه بندقيتهُ الى تلك الزوجة المسكينة واطلق رصاصة اصابتها في صدرها فسقطت تختبط بدمها بين يدي زوجها . وكانت هذه الضربة تفوق احتمال جبرائيل المذكور فبقي اياماً مأسورًا في بيتهِ وهو

كفاقد العقل ولم يجترئ على الخروج من سجنهِ هذا خوف القتل فدفن زوجتهُ في حديقة الدار ولبث لا يفارق ضريحها الاَّ اذا أجبرهُ خدمهُ وولدهُ فيليب لتناول القوت . وحالما خمدت نيران الثورة ترك البلاد لانهُ لم يعد يطيق الاقامة فيها وجاء مصر مع ابنهِ قاصدًا اخاهُ فكان لملتقى الاخوين بعد ذلك الفراق الطويل و بعد ما ذكر من الحوادث تأثيرٌ شديد يتراوح بين سرور اللقاء ومضّ الاسف . و بذل سعيد جهدهُ في تسلية اخيهِ وتطييب خاطرهِ غير ان المصيبة الفادحة التي ألمت بهِ كانت قد نهكت قواهُ واوقعتهُ في مرض عضال اودى بحياتهِ بعد وصوله ببضعة اشهر . ولما شعر جبرائيل بدنو اجله استدعى اخاهُ سعيدًا واوصاهُ بابنهِ فيليب وقال لهُ اذكر يا اخي ما اوصانا بهِ والدنا قبل وفاتهِ وبما انك لا تزال عزبًا وانا قد فقدت زوجتي فسيكون ابني هذا بعد مماتي بمنزلة ابنٍ لك يعيش في طاعتك ويأتمر بأوامرك اما انا فسأموت ناعم البال لعلمي انهُ في حراسة من يعتني بهِ اكثر من ابيـهِ . ولم يستطع سعيد ان يجيب اخاهُ بكلمةٍ لانهُ كان غاصًّا بدموعهِ فمدّ المائت يمناهُ ووضعها على رأس ابنهِ وأمسك بيسراهُ يد اخيهِ وفاضت روحهُ

ولبث فيليب في بيت عمهِ معزَّزًا مكرمًا ولم يقصر عمهُ في توفير وسائل سرورهِ وانبساطهِ فربي الولد في عزٍّ ونعيم لا يهمهُ من العالم باسرهِ سوى الملذات واسباب اللهو والمسرات . ولما بلغ الحادية والعشرين من عمرهِ عين لهُ عمهُ راتبًا شهريًّا ينفقهُ في سبيل سرورهِ

وجاء فيليب يومًا الى القاهرة فرأى فيها من اسباب اللهو ما يُرى في وقتنا الحاضر فطابت لهُ الاقامة فيها وكان في اول الامر مقتصرًا على النزهة والتفرج ولكنهُ ما عتم ان قادهُ رسول ابليس الى اندية شارع وجه البركة وتركهُ هنـاك حائرًا بين بدور الكؤوس وشموس الصهباء و بين لفتات الفتيات وظبي احداق الظباء فسقط المسكين في وهدةٍ لم يجد لهُ منها مخرجًا ورأى غيرهُ من الفتيان يرشفون اقداح بنت الحان فجلس على كرسيّ امام مائدةٍ وهو لا يدري ما يفعل . ولم يكد يجلس حتى جاءهُ الخادم وسألهُ ماذا يريد ان يشرب فاستغرب فيليب هذا السؤال ولكنهُ رأى نفسهُ

مدفوعاً الى طلب شيء فقال وقد بدت الحيرة على وجههِ اعطني ما شئت . فتبسم الخادم وغاب هنيهة ثم عاد و بيدهِ كأس من الوسكي يترقرق لونهُ الذهبي من خلال البلور ووضعها امام فيليب مع شيء من النقول . فأخذ فيليب الكاس وادناها من فمهِ وما شم رائحتها حتى ردّها الى المائدة وكان الجلوس يلاحظونهُ فخجل من نفسهِ واعاد الكأس فابتلعها دفعةً واحدة وشعر باحتراق صدرهِ فابتلع وراءها كأساً من الماء البارد واخذ منديلاً يمسح بهِ العرق المتحلب من جبينهِ والدموع التي احدثتها حدّة الشراب في عينيهِ ثم رمى الى الخادم ببعض الدراهم وخرج من الحانة قاصداً الفندق الذي كان يقيم فيهِ . وكان في اثناء سيرهِ قد دبّ تأثير تلك الكأس الى رأسهِ فشمخ بأنفهِ معجباً بنفسهِ وتخيل لهُ انهُ في عزّ لم يدركهُ سواهُ وان من يراهم من البشر امامهُ خدم تسعى في تقديم الاحترام لهُ والطاعة لاوامرهِ . ولما بلغ غرفتهُ وانطرح على سريرهِ شعر بدوار خفيف فقام مذعوراً وجلس بازاء النافذة حيث كان النسيم البارد يخفف من حرارتهِ وحانت منهُ التفاتة فرأى في نافذة البيت المقابل لهُ فتاةً تتهادى تهادي غصن البان وتتلفت تلفت الغزلان وقد اشعلت مصباحاً في غرفتها ووقفت امام مرآة تصلح شعرها الذهبي الطويل المترامي الى اقدامها فظن فيليب نفسهُ في حلم او في عالم الخيال . فمسح عينيهِ وحدّق ببصرهِ الى تلك الغرفة وكانت الفتاة في ريعان الصبى معتدلة القوام ناضرة الوجه فسلبت لبهُ ولم يعد يستطيع ان يحوّل نظرهُ عن تلك النافذة الى ان اكملت الفتاة ضفر شعرها وارتدت ثياب النوم ثم اطفأت مصباحها وساد الظلام على الغرفة . وبقي فيلب حيناً طويلاً كأنهُ ينتظر عودتها فلما يئس من ذلك رجع الى سريرهِ فنام وكان نومهُ مزعجاً قلقاً يهب منهُ من دقيقة الى اخرى مذعوراً ويسرع الى نافذتهِ فلا يرى شيئاً فيعود الى سريرهِ . ولما اسفر الصباح نهض فيليب وجلس امام نافذتهِ طول نهارهِ لعلهُ يرى فاتنة لبهِ فلم يفز بمشاهدتها واعياهُ الانتظار فخرج من الفندق وقادتهُ خطواتهُ الى الحانة فوجد دخولها هذه المرة اسهل منهُ بالامس فجلس وشرب الكأس الاولى والثانية و بعد ان تناول الطعام عاد الى غرفتهِ ولا تسل عن سرورهِ حين رأى غرفة

جارته مضاءة كالليلة البارحة . وبعد قليل نظر تلك الغادة تتنقل في الغرفة ذهاباً وايابا ثم جلست تقرأ كتاباً الى ان دنت ساعة المنام فقامت كالسابق وعينا فيليب تراقبانها وهو يكاد يمانع اجفانهُ عن ان ترفّ لئلا تقطع عليه لذة ذلك المنظر ولو لحظة

واشتد الغرام والهيام بفيليب فبقي على الحالة التي ذكرناها مدة ايام لم يتغير في وصف حالته شيء سوى انهُ اعتاد المسكر واصبح لا يرتوي الا من الكاس السابعة أو الثامنة . وتمكن اخيرًا من التعرف بأهل الفتاة فوجدهم اناساً من طبقة غير دنيئة يتعاطى والدها التجارة وتذهب هي الى المدرسة يوميًّا لتتعلم اللغة الفرنسوية والموسيقى وعرف ايضاً انها تدعى اوجيني . وكان فيليب يتردد على هذه الاسرة مدة فلا يزيدهُ الاجتماع بفاتنته الا عشقاً وهياماً لم يستطع اخفاءهُ فباح لها يوماً بما يكنهُ فؤادهُ من الحب فأجابتهُ الفتاة بلطف انها تميل اليه ايضاً ولكنها تروم منهُ ان يفاتح والديها في الامر قبل ان يعتمد على جوابها لانها لن تفعل شيئاً بدون ارادتهما . وكان ذلك ما يتمناهُ فيليب فذاكر اهل الفتاة بما في نفسه وكان هؤلاء لا يعرفون من امره شيئاً يمنع موافقتهم لطلبه فأجابوهُ فخطب اوجيني وايقن انهُ ادرك ذروة السعادة والعز واخذ من يومه يقدم الهدايا الثمينة والجواهر والحلي النفيسة . ورأى ان المال المعين لهُ شهريًّا لا يكفي لنفقاته هذه فذهب الى عمه وطلب منهُ ان يزيد لهُ المرتب الشهري . وكان سعيد يعلم ان ما خصصهُ لفيليب اكثر مما يحتاج اليه فتًى في سنه وحالته وخشي ان زاد المبلغ ورأى فيليب كثرة المال في يديه ان يقتدي بشرذمة ابناء الاغنياء فينهمك بالمسكر والمقامرة فرفض طلب ابن اخيه وقال لهُ ان ما عينتهُ لك يجب ان يزيد عن احتياجاتك فانفقهُ بتعقل ولا تسألني ان ازيدهُ لك بعد الآن . وخاف فيليب ان اخبر عمهُ بخطبته لاوجيني ان يغضب عليه لانهُ فعل ذلك بدون علمه فربما آل الامر الى اجباره على فسخ الخطبة وهو امر يرى الموت اسهل عليه منهُ أو حرمانه المرتب ان خالفهُ فلا يبقى لهُ سبيل الى الحصول عليها بوجه من الوجوه فصبر على بلواهُ ولكنهُ صبرٌ قطّع فؤادهُ وهاج حقدهُ فلبث الى ان انتهى الشهر وقبض راتبهُ ثم عاد الى القاهرة وما صدّق ان اجتمع بحبيبته وشكا لها

ألم الفراق فعاتبته على تركه اياها تلك المدة فقال ان اشغاله في مشارفة اطيان عمه توجب عليه ان يتفقدها من وقت الى آخر . وعاد فيليب الى تبذيره السابق فما انتصف الشهر حتى اصبح صفر اليدين وكان قد صار من اخص المترددين على تلك الحانة الجهنمية فلم يتأخر صاحبها عن ان يسلمهُ ما يحتاج اليه من المال ويقدم له المشروب على الحساب فكان يبقى الى ما قبل نهاية الشهر بخمسة ايام ثم يغادر القاهرة ويعود الى عمه فيصرف الايام الباقية في العزلة والانفراد الى أن يقبض الراتب الجديد ويرجع فيفي صاحب الحانة حقهُ ويعود الى مثل الشهر السابق

وكان فيليب يعلل نفسهُ بأن عمهُ قد تقدم في السن وانهُ لابد من موته قريباً فلا يكون لهُ وارث سواهُ فيتمتع اذ ذاك بتمام ما يشتهيه بدون مراقبة ولا عريف . وبعد مرور ستة اشهر على خطبة فيليب كان اهل خطيبته يلحون عليه بالاسراع في الزواج جرياً على عوائد البلاد فكان يسوّفهم ويعدهم بالاسراع في ذلك وهو يبتهل الى الله ان يقصّر من حياة عمه وينيلهُ مبتغاهُ . وفي ذات يوم عاد الى بيت عمه كعادته عند اواخر الشهر فوجد البيت في حركة غير مألوفة ورأى اناساً يعملون في التنظيف والترتيب وتجديد الاثاث والمفروشات فاستغرب ذلك وسأل عمهُ عن السبب فقال لهُ انني بلغت هذا العمر يا فيليب ولم ازل عزباً لان قوة الحداثة كانت تسهل لي قضاء حوائجي اما الآن وقد بدأت اشعر بضعفي فقد عزمت على الاقتران بسيدة تساعدني في خوض بحر هذه الحياة . ولو وقعت صاعقة على رأس فيليب لكانت عليه اسهل احتمالاً من سماع كلمات عمه هذه ولكنهُ تجلد وقال اصحيح ما تقولهُ يا عماه وقد اخبرتني من بضعة ايام انك في السابعة والخمسين من العمر فأي فتاة ترضاك بعلاً لها في هذه السن . فقهقه سعيد ضاحكاً وقال لا تخف يا فيليب فبين الفتيات من يعرفنَ فضل الزواج في هذه السن ويرغبنَ في ادارة البيوت اكثر من رغبتهنَّ في التبرّج والملاهي وقد وجدت منهنَّ واحدة وتم الاتفاق بيننا برضى ذويها . فقال فيليب ومتى يكون الاقتران يا عماه . قال في آخر الشهر الحالي ولم اخبرك بذلك واستدعك لحضور الحفلة لعلمي انهُ لا بد من مجيئك في مثل هذا الوقت

ولم يستطع فيليب بعد هذا ان يقف امام عمهِ لئلا يخونهُ جلدهُ فخرج من البيت وسار على غير هدًى حتى ابتعد عن البلدة وغاص بين الاراضي المزروعة وما زال سائرًا حتى بلغ ضفة احدى الترع وقد نمى على جانبها الحلفآء فجلس وغرق في تأملاتهِ وتأكد ان جميع آمالهِ قد ذهبت ادراج الرياح وانهُ اذا تزوج عمهُ فلا يبقى لهُ رجآء في الحصول على المال لانهُ اما ان يرثهُ اولاد عمهِ اذا رزقهُ الله اولادًا أو تقاسمهُ زوجتهُ جانبًا من التركة . وفيما هو كذلك استدعى انتباههُ صوت لغطٍ وغوغآء بالقرب منهُ فأصاخ بسمعهِ واذا بصوت بعض الفعلة الحشاشين قد اجتمعوا في تلك الخلوة يدخنون ويقول احدهم ان حياتنا صعبة يا اخوان فلا نكسب في يومنا اكثر من غرشين ننفق احدهما ثمن الحشيش ونبقى على غرش واحد . فقال آخر اما انا فلست بقانع بهذه العيشة ولا بد من ذهابي الى بلدة كبيرة فأترصد بعض اغنيآئها الى ان اسلبهُ شيئًا وافرًا من مالهِ سوآء كان بالنصب أو القتل أو كيفما كان الحال واعود خلي البال

وبعد مباحثةٍ دامت حصةً من الزمن نهض الفعلة الى اشغالهم الا المتكلم الاخير فان فعل الحشيش كان قد اثر فيهِ اكثر من اصحابهِ فتوسد الثرى ورأى الباقون حالتهُ وظهر انها كانت مألوفة عندهم فتركوهُ ومضوا

وابرق في مخيلة فيليب فكرٌ جهنميٌّ فضحك مقهقهًا ونهض لساعتهِ فسار الى ان جآء وجلس بجانب النائم واخذ يكالمهُ ويسايرهُ الى ان افاق قليلاً من سكرهِ فقال لهُ ما اسمك يا هذا قال اسمي عثمان . فقال لهُ هل لك ان تخدمني خدمة يا عثمان فاغنيك . فابرقت اسرة عثمان وقال مرني يا مولاي فتراني لملك الله اطوع من هذه العصا التي في يدك . فقال فيليب ولكن ربما كان في خدمتي خطر او اوجب الامر قتل شخصٍ ما . فقال عثمان ولو كلفتني قتل عشرين شخصاً لا اتأخر عن القيام بخدمتك . وكان فيليب بعد معاشرتهِ لاصحاب الكأس قد علم ان بين رعاع القوم من يوثق بهم وانهم اذا وعدوا وفوا فاطلع عثمان على تاريخ حياتهِ كما علمناهُ واخبرهُ ايضاً بما نواهُ عمهُ وانهُ سيفقد جميع آمالهِ . ثم قال لهُ وقد عزمت الآن ان اكلفك قتل عمي قبل زواجهِ ليعود الارث اليَّ واذا تمَّ ذلك انقدك مئة جنيه

واعين لك راتباً لا ينقص عن ثلاث مئة غرش تتقاضاهُ مني شهرياً . فطارت نفس عثمان سروراً ونهض فاخرج من حزامهِ خنجراً ماضياً يلوح ملاك الموت على حدّهِ وقال اتريد ان اذهب الآن . فقال فيليب مهلاً يا صاح فلا بد من تدبير الامر قبل السعي فيهِ . و بعد تبادل الافكار قرر الاثنان ان يذهب عثمان في تلك الليلة الى بيت سعيد فيتربص لهُ في غرفة نومهِ ومتى نام يقوم فيطعنهُ ثم يترك الخنجر غائصاً في جسمهِ ويلقي بجانبهِ بطاقةً كتبها لهُ فيليب مقلداً فيها كتابة عمهِ يقول فيها انهُ هو قتل نفسهُ لاسباب خصوصية وينفي التهمة عن كل احد سواهُ

ولما خيم الظلام ذهب عثمان عاقداً النية على اتمام رسالتهِ ومرّ في طريقهِ على حانةٍ شرب فيها مقداراً من المسكر لكي يساعدهُ في عملهِ . وعند ما انتصف الليل قصد بيت سعيد وعالج نافذةً ففتحها ودخل فلم يجد احداً في البيت لان سعيداً كان قد خرج ليزور بيت خطيبتهِ فدخل غرفتهُ وانسلّ تحت سريرهِ واقام ينتظر رجوعهُ ولكنهُ ما مضى عليهِ وقتٌ طويلٌ حتى غلب عليهِ النعاس والسكر فنام . و بعد ذلك بقليل عاد سعيد الى البيت فدخلهُ وهو يفكر في غدهِ وقرب موعد الزواج و بلغ غرفتهُ فجلس وخطر في بالهِ امر ابن اخيهِ فيليب فعزم ان يخصص لهُ مبلغاً جسيماً من المال و يسلمهُ اليهِ ليتصرف فيهِ كيف شاء . وانهُ في هذه الافكار واذا بغطيط نائم استوقف افكارهُ فحار في الامر و بحث عن جهة الصوت حتى اقترب من السرير ورفع غطاءهُ فرأى عثمان نائماً بتمام الراحة على الارض قابضاً بيدهِ على الخنجر المعهود وباليد الاخرى على البطاقة . فتراجع سعيد مذعوراً وما صدق ان بلغ الباب فخرج بكل خفةٍ واحتراس وايقظ خادماً لهُ فارسلهُ في طلب الشحنة

والقي القبض على عثمان وهو في سبات النوم ولما افاق قرروهُ فاقرّ فسلموهُ الى العدالة لتنظر في شأنهِ . اما فيليب فتداخل عمهُ في امرهِ و بعد ان وبخهُ على مكافأتهِ اياهُ بالشر عما احسن بهِ اليهِ تكرَّم عليهِ بمبلغ وصرفهُ ليذهب الى حيث شاء بشرط ان يغادر القطر فذهب تاركاً الجنة التي اضاع فيها عزهُ ومستقبلهُ وخطيبتهُ وهو يلعن الكأس الاولى التي شربها فجرَّت عليهِ هذا الوبال

قرطاجة

(تابع لما في الجزء السابق)

وكان عدد الثائرين من الجيش تسعين الفاً منهم سبعون الفاً من الافريقيين فتألبوا حول اسوار قرطاجة وحاصروها وكان القائد الاكبر اذ ذاك أَملكار وهو غير أملكار السابق ذكرهُ فاستأجر لقمعهم اقواماً من اهل نوميديا (وهي ناحية قُسَنطينة اليوم) وانفذ اليهم إحد القوّاد الذين تحت إمرتهِ للنظر في شكواهم فمثّلوا بهِ وبسبع مئة رجل من القرطاجيين فقطّعوا آذانهم وايديهم وكسّروا رُكَبهم ثم قذفوا بهم في مهواةٍ عميقة واقسموا ليَفعلُنَّ كذلك بكل من يُرسَل اليهم ؛ وكان عند أَملكار عددٌ كبير من اسراهم فالقاهم الى الوحوش الضارية ثم احاط بالثائرين وقطع عنهم القوت حتى افترس بعضهم بعضاً من شدة الجوع . ولما بلغوا الى هذه الحال بعثوا اليهِ عشرةً من زعمآئهم يسألونهُ الصلح فابى الاّ ان يسلّم اليهِ عشرة رجال يختارهم منهم فعاهدوهُ على ذلك ولما وقّعوا على صك المعاهدة قال لهم انتم اولئك العشرة ثم قبض عليهم وصلبهم . ولما اصبح الثائرون ولا زعمآء لهم اعمل فيهم السيف وكان عددهم اربعين الفاً فلم يفلت منهم احد ثم فعل مثل ذلك بفريقٍ آخر منهم فقتل منهم مقتلةً عظيمة وتشتت باقيهم

ولما انتهى امر اولئك الثوار وأمن القرطاجيون بأسهم بقوا يوجسون حذراً من ناحية املكار نفسهِ ولما لم يتهيأ لهم وجهٌ للائتمار بهِ ارسلوهُ للغارة على نوميديا فاخضع كل سواحل افريقيا حتى بلغ الاوقيانوس المحيط وخلّف

في كل هذه النواحي عصائب من الافريقيين . ثم انقلب من هناك للغارة على اسپانيا وهو ينوي ان يستعين بكنوزها على استرجاع سرديتيا وصقلية فدوَّخ النواحي الغربية منها ولما ايقن اهلها انهُ سيجتاح البلاد باسرها نهضوا نهضة اليأس فاتخذوا ثيراناً شدّوها الى مركبات قد ملأُوها ناراً وحطباً وطردوها في جيش القرطاجيين فانهزم القرطاجيون وقُتل املكار

فخلف املكار على قيادة الجيش صهرهُ اسدروبال وعاد الى القتال في اسپانيا فدخل بعض مدنها عنوةً وبعضها صلحاً واختطّ فيها مدينة قرطاجنّة اي قرطاجة الجديدة وكان ينوي ان يجعلها عاصمة مملكةٍ مستقلة تناظر رومية وقرطاجة . وكان عندهُ عبدٌ من الغَوْليين كان قد قُتل سيّدهُ فيمن قُتل من قومهِ في الوقائع السالفة فجعل يترصّدهُ حتى اذا كان يوماً ساجداً امام احد الهياكل طعنهُ بخنجر فخرَّ على اساس الهيكل . ولما توفي اسدروبال خلفهُ أَنِّيبال بن أَمِلكار وكان لهُ احدى وعشرون وقيل خمس وعشرون سنة حين ولي قيادة الجيش وكان قد خرج من قرطاجة في الثالثة عشرة من سنيهِ وصحب اباهُ في جميع وقائعهِ فتدرب في اصول الحرب واحكامها ولم يفتهُ شيءٌ من خُدَعها وفنونها . فجعل نُصب عينيهِ ان يوجّه كل عزمهِ الى تقويض اركان رومية لأنهُ رأى ان قرطاجة لا يكون لها بقاءٌ في جنبها فشرع اولاً في تدويخ البربر في اواسط اسپانيا حتى لا يكونوا عقبةً في سبيلهِ وجعل يواقع القبيلة منهم بعد القبيلة حتى انتهى الى نهر الايبروس وهو الحدّ بين القرطاجيين والرومان من عهد املكار ثم تجاوزهُ الى مدينة ساغُنتا وكانت من المدن المحالفة للرومان فحاصرها وضايقها اشدّ المضايقة

ولما رأى اهلها انهم مأخوذون لا محالة القوا بانفسهم في نيرانٍ اوقدوها فاحترقوا عن آخرهم ·

فلما رأى الرومان ذلك وجهوا الى انيبال وفداً يعنفونهُ على ذلك الغدر فلم يُقِم لهم وزناً فتحولوا الى قرطاجة وسألوا مجلس الشيوخ تسليمهُ اليهم فامتنعوا فكان ذلك سبباً في انتشاب القتال بين الفريقين وهي الحرب الثانية من الحروب الفينيقية وكان ذلك سنة ٢١٩ واستمرت تلك الحرب مدة ثماني عشرة سنة قيل وهي اعظم حربٍ تلطخت فيها الارض بالدمآء

ونهض انيبال بعد ذلك قاصداً ايطاليا فترك ستة عشر الف مقاتل مع اخيهِ اسدروبال لحماية اسپانيا وتوجه بباقي الجيش · وكان الرومان يترصدونهُ في البحر ولكنهُ خالف فتسلق جبال البيريناي والألپ في طريقٍ مهلكة تعترضهُ فيها العقاب الشاقة والادغال المشتبكة وهي اوعر طريقٍ سلكها سالكٌ من قبلهِ . فقضى في سفرتهِ هذه خمسة اشهر وكان معهُ عند خروجهِ من قرطاجنة خمسون الف راجل وعشرون الف فارس فلم يصل منهم الا عشرون الف راجل وستة آلاف فارس . فلما اطلّ على ايطاليا تلقتهُ جيوش الرومان فحدث بينهم وبينهُ عدة معارك كبيرة تتابع لهُ النصر فيها الى ان كانت الموقعة الكبرى في كانّ سنة ٢١٦ فكسرهم كسرةً هائلة قُتل فيها من الرومان نحو سبعين الف رجل

ولبث انيبال يثير الواقعة بعد الواقعة والرومان يتراجعون من وجههِ حتى استولى على الجانب الاكبر من جنوبي ايطاليا ونصب لوآءهُ على رابيةٍ تشرف على رومية ولكنهُ توقف عنها اذ كان قد هلك العدد الاكبر من

خيلهِ فضعفت بذلك جندهُ من الافريقيين وتخاذل الايطاليان عن نصرتهِ لطول زمن القتال فاضطرّ ان يقف عند حدّ الدفاع وارسل يطلب المدد من قرطاجة فلم يحصل منها على كبير طائل لمقاومة الحزب المناوئ لهُ . فاقام يتوقع النجدة من فيلبس المكدوني ومن جهة سرقوسة بناءً على محالفةٍ لهُ معهما فافسدت عليهِ رومية هذه الآمال بان شغلت سرقوسة بالحصار وبثّت لفيلبس الدسائس في بلاد اليونان فاضطرّ الى الرجوع عنها ثم عادت الى بعض المواقع التي غنمها انيبال فاستولت عليها حين كان انيبال زاحفاً على رومية سنة ٢١١. واذ ذاك لم يبقَ لانيبال ما يرجوهُ الا جيش اخيهِ اسدروبال في اسپانيا فارسل يستنجدهُ فسار اليهِ ولما بلغ ايطاليا كان الرومان لهُ بالمرصاد فكسروا جيشهُ ثم تمكنوا من القبض عليهِ فاحتزّوا رأسهُ ونبذوهُ الى معسكر اخيهِ .

ثم ان الرومان اغاروا على افريقيا ونازلوا القرطاجيين ففازوا عليهم في واقعتين عظيمتين فاضطرّ القرطاجيون ان يستقدموا انيبال من ايطاليا فلم يُغنِ ذلك عنهم وآخر الامر أُلجئوا الى المصالحة على ان يتخلوا عن جميع املاكهم في خارج افريقيا وان يسلموا جميع سفائنهم وافيالهم للرومان ولا يباشروا حرباً الا برضى رومية وضربوا عليهم غرامة مبلغها عشرة آلاف وزنة (نحو ستة وخمسين مليون فرنك) تؤدّى في آجال مختلفة في مدة خمسين سنة (ستأتي البقية)

المستنقعات

لا يخفى ان الابخرة المتصاعدة عن المستنقعات ولا سيما في بعض فصول السنة هي من الاسباب الملازمة المهيئة لحدوث الامراض ولا سيما الحمّيات المستعصية فاذا عرض للانسان اقلّ بردٍ فجائيّ او كان ضعيف البنية او حديث السنّ او سيئ الغذآء او قليلهُ لم يلبث ان يظهر فيهِ سمّ تلك المتصعدات . ولذلك يجب على من اضطُرَّ لسببٍ غالب ان يجاور هذه الاماكن ولو مدةً قصيرة ان يتخذ جميع التحوطات الواقية لهُ من اذاها . فاولاً ينبغي لهُ ان يختار ما استطاع ابعد الاماكن عن مجامع المياه الراكدة او على الاقلّ ان يكون بينهُ وبينها حائل من غابةٍ كثيفة او صفٍّ من الشجر الكبير او رابية من الارض وافضل الجهات التي يقيم بها الشمالية او الشرقية . ولا بدَّ لهُ من تبييض جدران المسكن بالجير واغلاق النوافذ من قُبيل المساء وعدم فتحها الاّ بعد شروق الشمس والمحافظة على نظافة البدن بادمان الاستحمام واتخاذ الملابس الحارّة مع المحافظة على جفافها فيلازم الملابس الصوفية ولا سيما الفلانلَّة على الجلد ولا يكشف رأسهُ ولا سيما في طرفي النهار ويكون لباس رجليهِ من الالبسة المصلَّدة اي التي لا ينفذها المآء وينبغي ان لا يترك على بدنهِ ثوباً رطباً ولا يعود الى لبسهِ الا بعد ان يجفّ تمام الجفاف

اما طعامهُ فيجب ان يكون من الاغذية المقوية وافضلها لحم البقر والغنم وينبغي ان لا يخرج قبل الطعام . واما شرابهُ فيجب ان يتجنب

ما امكن شرب المياه المستنقعة ولكن يشرب من المآء الجاري كالينابيع الواردة من الجبال او مياه الآبار البعيدة العمق بحيث يؤمَن ان يكون قد تحلّب اليها شيءٌ من مآء المستنقعات . واذا اضطرّ الى الشرب من المآء المستنقع ينبغي لهُ اولاً ان يغليهُ ثم يصفيهُ من خلال الرمل والفحم ويحسن ان يمزج المآء بشيءٍ من العرق ولا بأس من استعمال الخمر مع الاعتدال . ومما يفيد اتخاذ الاشربة العطرية كالشاي والقهوة وكذلك شرب الدخان ولاسيما في الصباح والمسآء

وينبغي أن لا يجعل شغلهُ في الهوآء المطلق الا بعد ان ترتفع الشمس عن الافق ولا يخرج صباحاً الا عن ضرورةٍ ماسّة وكذلك في المسآء وعلى الخصوص في اثنآء الليل . ومما ينبغي لهُ اجتنابهُ الخروج بعد المطر عقب انقطاعهِ اياماً لانهُ يحرّك الطين الراسب في المستنقعات ويخمّرهُ . وفي مدة توقد حر الصيف الى دخول الخريف ينبغي ان يبالغ في التحرز والاحتياط ولا بأس اذ ذاك ان يتناول كأساً صغيرة من خمر الكينا في صباح ومسآء كل يوم . واذا كان من ذوي العيال فالافضل ابعاد الاطفال الصغار في الفصل المذكور . اه معرَّباً عن احدى المجلات الصحية بتصرفٍ قليل

رحلةٌ في بلاد المكسيك

كتبت اليكم في رسالتي السالفة [1] ما تيسر لي الوقوف عليهِ من عوائد هذه الامة الغريبة وسائر احوالها العجيبة وفي رسالتي هذه جملةٌ اخرى

---

(١) صفحة ٤٩٨ وما يليها

اودعتها شيئاً من وصف هذه البلاد مع ذكر لمحة يسيرة من تاريخها لا تخلو من فائدة لمن احب الوقوف على مجمل احوالها

اما البلاد فتُحَدّ اليوم من لدن الولايات المتحدة شمالاً الى الولايات الجمهورية من اميركا الوسطى جنوباً ويحدها من الشرق خور المكسيك ومن الغرب المحيط الپاسيفيكي . وهي في الغالب بلادٌ جبلية وفيها براكين كثيرة لا يزال بعضها متقداً الى الآن وفي تربتها مناجم غنية من الذهب والفضة وسائر المعادن . اما الهوآء فهو في اكثر البلاد معتدل لمجاورتها خط الاستوآء وارتفاعها عن وَمَد البحر ونداهُ واما في الاراضي الساحلية فالحرّ لا يطاق والثلج على رؤوس البراكين النارية دائم وللسنة فصلان وهما فصل المطر من حزيران الى تشرين الاول وفصل الصحو وهو ما بقي من السنة خلافاً لسائر الاقاليم الشمالية

واهل البلاد فئتان وهما المخيكيون (المكسيكيون) والهنود . فالهنود كالغربآء الى ان يؤدوا الجبايات وهم احرار لان الرقيق حُرّر باتفاق الدول غير انهُ في بعض النواحي كاليوكاطان وما جاورها يستخدمهم الاغنيآء لحراثة الارض ويفرضون لهم اجراً لا يفي بثمن طعامهم فيسلفونهم ما يسدّ عوزهم شيئاً بعد شيء ويستكتبونهم صكوكاً بالمال ورباهُ فلا تمضي على الهندي سنتان حتى يصير من جملة عقار دائنهِ والحكومة تجبرهُ على الاقامة في خدمة مولاهُ الى ان يفي ما عليهِ . ثم يجد لهُ مولاهُ هندية من خادماتهِ يزوجهُ بها ويكفيهِ نفقات عيالهِ بدينٍ يتراكم على دين حتى اذا نفدت حياتهُ قبل الوفآء خلَّف الفقر والعبودية للذرية . ويكلَّف اولادهُ الخروج من دَين

المورّث على النمط المذكور ولذلك تراهم في ثورة لا تخمد وقتال مستمرّ حتى ان الجنود التي تعيَّن لتلك الناحية لها من الحكومة ضعفا راتبها كما في اوان الحرب

ولا يزال الهنود محافظين على كثير من عوائدهم واخلاقهم القديمة وهم يعيشون قبائل متحيزةً ويتكلمون بلغاتهم الاصلية يخالطها كلماتٌ من الاسپانيولية . وهم مسيحيون على المذهب الكاثوليكي الا ان منهم من يجمع بين الدين المسيحي والوثنية التي كانوا عليها قبل انتحالهِ ولكنهم يقيمون شعائر الوثنية سرًّا ولا يزالون يتبركون باصنامهم وربما دفنوها في المزارع والحقول يعتقدون انها بذلك تزداد خصباً

وكان لاهل هذه البلاد قديماً حظٌّ من التمدن بلغوا فيهِ غايةً بعيدة وكانوا اهل علوم عاليــة وصنائع دقيقة كالهندسة والهيئة والتصوير والحفر ومع كثرة ما اتلف الاسپانيول من آثارهم القديمة فانهُ لا يزال كثيرٌ منها باقياً يشهد بما كان لهم من المنزلة في الحضارة . وقد ذكر السياح الاولون الذين دخلوا هذه البلاد عدة كتب مكسيكية لا توجد اليوم من تاريخية وسياسية ودينية وعلمية ولكن المرسلين احرقوا كل تلك الكتب واكثرها كان مكتوباً بالهيرغليف المكسيكي وحطموا جميع التماثيل والرموز المحفورة مما كانت مفصلة فيهِ حقــائق تاريخهم واحوال تمدنهم الوثني . ومن غريب ما يُروى ان اول مرسلي الدين المسيحي كانوا يكتبون لهم التعاليم الدينيــة بالرسم الهيروغليفي يقلدون بهِ كتابة اسلافهم فكان اول تعليم مسيحي واول تاريخ مقدس بهذه الرسوم فاستأنس الهنود بذلك وكان من أعون الوسائط

لنجاح المرسلين بينهم

على ان البلاد اليوم تُعَدّ من البلاد المتقدمة في الحضارة العصرية ولا سيما في المدن وليس الهنود احطّ درجةً من سواهم في الذكاء بل ان كثيرين منهم قد سوّدوا انفسهم وبلغوا بها المناصب العالية على كراهة القوم لهم ومن اشهرهم بطل المكسيك خوارس (Juarez) وهو رئيس الجمهورية الحالي . والحكومة تسعى جهدها في نشر المعارف فقلما يخلو بلدٌ من مدرسة واكثر الهنود يطالعون الجرائد وفي اكثر المدن الكبرى مدارس عالية لتدريس الطب والهندسة والحقوق وما اشبه ذلك . ولهم مدرسة كلية في مكسيكو وهي عاصمة البلاد انشئت سنة ١٥٤١ ويتبعها مكتبة تشتمل على اكثر من ستين الف مجلد وفيها دار للآثار القديمة قد جُمعت فيها العاديّات المكسيكية وفيها فضلاً عن ذلك كثير من الابنية الخيرية كالمستشفيات وملاجئ اللقطآء والعجزة وغير ذلك .

والصناعة تجاري العلم في التقدم عندهم وفي البلاد معامل عديدة لتجهيز كثير من حاجيّاتها كالخام وهي تشحن منهُ الى الخارج والشاش والاقمشة القطنية والجوارب والاحذية والقبّعات والجعة ولفائف التبغ والاشربة الروحية والسكّر والورق والآنية الزجاجية والحديدية وغير ذلك وهي دائماً على ازدياد

اما كنوز البلاد فاغناها الفضة وقد شُحن منها في العام الفائت ما تقرب قيمتهُ من ٣٦٠ مليوناً من الفرنكات وتشحن ما تزيد قيمتهُ قليلاً عن هذا المبلغ من سائر المعادن وحاصلات النبات واكثرها من الليف

والڤانيليا والقهوة على ان الاراضي المستثمَرة الى الآن لا تذكر في جنب الاراضي المهملة بيد انهُ مع خصب التربة في اكثر الاماكن ومع اجتهاد الاهالي وسهر الحكومة يؤمل ان هذه الجمهورية ستصبح في زمن قريب من اغنى البلاد ج * ن

آلة الكتابة في الطبع

لا حاجة الى وصف ما وصلت اليهِ آلة الكتابة من الكمال حتى جمعت بين القلم والمطبعة في آنٍ واحد وزادت عليهما في السرعة فهي مطبعةٌ تحت يد الكاتب تأتي بالسطور مستقيمة متساوية البعد مع النقاوة والوضوح الى ما لا غاية بعدهُ او هي قلمٌ في يد الطابع يطبع بها ما شاء وهو جالسٌ في مكانهِ من غير ان يعاني جمع الحروف وما يتبع ذلك من معدّات الطبع وكُلَفهِ

وقد بحث الاميركان في طريقةٍ لطبع نسخٍ متعددة من الصور التي ترسمها الآلة الكاتبة على وجهٍ يكون اسهل من الطبع بالطريقة المألوفة واقلّ نفقةً فتوصلوا الى ذلك بان ينقلوا الحروف التي تخطها آلة الكتابة بالتصوير الشمسي على صفائح الزنك ثم يحفروها بالطريقة الكيماوية المعروفة. ثم انتقلوا من ذلك الى صنع صورٍ مركبة من كتابة الآلة وكتابة القلم معاً بان يزيدوا عليها ما لا ترسمهُ الآلة من كل ما يُراد رسمهُ من الحروف والعلامات والنقوش وصور الاشخاص والمناظر الطبيعية وغيرها . والنقوش والصور المذكورة اما ان تُرسَم باليد او تؤخذ عن الصور المطبوعة ان كانت موجودةً فتقطَع من مكانها وتُلصَق على موضعها من الصفحة المكتوبة

بالآلة ثم يؤخذ رسم كل ذلك بالفوتوغرافية مع تكبيرهِ او تصغيرهِ اذا اريد ذلك و يُنقَل الى صفائح الزنك فيُحفَر على ما تقدّم

وبهذه الطريقة يمكن ان تؤخذ صفائح تُطبَع بها كتبٌ برمتها مع الاستغناء عن استخدام الحروف الرصاصية وهي وان لم تبلغ مبلغ الصفائح المأخوذة عن الحروف في اتقان الاشكال واحكام ترتيب الحروف وتنويعها فلا ريب انها اقل نفقةً واسهل منالاً من تلك ولعلهُ مع ادمان التحسين في هذه الآلة يمكن ان يوصل بها الى درجةٍ من الكمال لا تنقص كثيراً عن المطابع المعتادة

كتاب المترادفات

(تابع لما في الجزء السابق)

وفي صفحة ٢١ في مرادفات الشكر « نهض بواجب الانعام والمواهب والنفائس والعطايا والمنن » . فدخول « النفائس » بين هذه المذكورات في غير محلهِ لانها ليست بمعنى المواهب والعطايا على ان هذا تعديدٌ لمرادفات النعم لا لمرادفات الشكر الذي هو عنوان الباب

وجاء بعد ذلك « ونشر لواء شكر ربّها وبثّ محاسنهُ وعدّد مناقبهُ وشفع متقدم احسانهِ واسبغ بوادي انعامهِ وجدد سالف مننهِ وألحق آخر نعمتهِ باولها » وهو من غريب الخلط وانظر اين معنى « شفع متقدم احسانهِ » وما يليهِ الى آخر هذا السرد من معنى الشكر المتقدم وانما هذه كلها في معنى متابعة الاحسان من قِبَل المحسن لا في معنى الشكر من المُنعَم عليهِ

وفي الموضع نفسهِ « انكر الصنيع وقطع زمام التعارف وطوى محاسن المحسنين » . فقولهم « قطع زمام التعارف » غريبٌ في هذا الموضع بل هو من الكلام الذي لا يكاد يتحصل لهُ معنًى وكأنهم اخذوهُ من عبارة الالفاظ الكتابية في باب الشكر « واضطلع بذمام المعارفة » وهذا ايضاً لا معنى لهُ ولكنهم ما اكتفوا حتى نقلوهُ عن بابهِ وتصرفوا فيهِ بما رأيت فبدّلوا الذمام بالزمام والمعارفة بالتعارف ولعل هذا من تصحيحات حضرة « مفتش اول . . . » للّه درّهُ

وفي الصفحة نفسها في مرادفات الاحسان والاساءة « فلانٌ يُحسِن ويسيء ويُحلي ويُمِرّ . ويعْرِف ويُنكِر » اي يصنع المعروف والمنكَر وهي عبارة الالفاظ الكتابية لكنهم ضبطوا « يعرف » بضم اولهِ وكسر الراء وكانهم حملوهُ على « يُنكِر » وهو منكَر . على انهُ لم يرد في اللغة فلانٌ يعرف اي يصنع المعروف. ولا فلانٌ ينكر بمعنى يفعل المنكر ولكن يقال أنكرتُ عليهِ فعلهُ اذا عبتهُ واستقبحتهُ فالمُنكَر اسم مفعول منهُ ثم قيل في ضدّهِ المعروف وفسرهُ صاحب لسان العرب بانهُ كل ما تعرفهُ النفس من الخير وتبسأ بهِ وتطمئنّ اليهِ

وفي صفحة ٢٢ في مرادفات الكرم « اريحيٌّ مُخلِف مفيد » والمخلف لا يأتي بمعنى الكريم انما يقال فلانٌ متلفٌ مُخلِفٌ اذا كان جواداً مرزوقاً فهو يبدّد مالهُ ويخلف سواهُ . وعبارة الالفاظ الكتابية « هو مُخلِفٌ متلف ومفيد مبيد » فاختصروها بما رأيت . قلنا وكان الوجه فيها متلف مخلف ومبيد مفيد اي بتقديم متلف ومبيد لانهُ يتلف ثم يُخلِف ويُبيد ثم يفيد

ومعنى افاد هنا اكتسب مثل استفاد

وفي صفحة ٢٥ في باب المدح والذم « وقد نقم عليهِ ومنهُ في عرضهِ اي سبهُ » وهو من معميات الكلام ولعل الاصل « ووقع في عرضهِ » مثلاً

وفي صفحة ٢٦ « تمادى في جهلهِ وتتابع في عمايتهِ » بالباء الموحدة في « تتابع » وانما هي متابعة للاب شيخو في نسختهِ والصواب « تتايع » بالمثناة

وفي صفحة ٢٧ « الشفقة والرقة . . والتحنن والحنين واحد » وانما « الحنين » بمعنى الشوق والطرب وما اشبه ذلك لا بمعنى الشفقة والرقة ولكن الذي يقال بهذا المعنى « الحَنان » يقال حنَّ اليهِ حنيناً وحنَّ عليهِ حناناً

وفيها في مرادفات العيّ « فلانٌ كليل اللسان ثقيل المسبَلة » ولا معنى للسبلة هنا فانها بمعنى شعر الشاربين او ما يحاذيهما من شعر مقدَّم اللحية . وهذه لم ترد في الالفاظ الكتابية وانما هي من زياداتهم ولعل الاصل الذي اخذوا عنهُ « ثقيل أسَلة اللسان » وهي طرفهُ

وفي صفحة ٢٨ في وصف البليغ « مفهم ما في قلبك محدِّث بما في نفسك ممهَّد لهُ الصواب مجنَّب مواقف الزلل واضح الحجة مطَّرد السياق والقياس » وكل هذا خلطٌ بين ما يقال في معنى صدق الفراسة واصابة الظن وما يقال في ظهور الحجة وسداد البرهان وليس من معنى البلاغة في شيء . وقولهم « محدِّث بما في نفسك » المشهور في هذا الاستعمال « محدَّث » بفتح الدال المشددة لا بكسرها ومنهُ في الحديث « قد كان في الامم محدَّثون فان يكن في امتي احدٌ فعمر بن الخطاب » قال في النهاية تفسيرهُ انهم الملهمون والملهم هو الذي يُلقى في نفسهِ الشيء فيخبر بهِ حدساً وفراسةً

وهو نوعٌ يخص الله بهِ من يشآء

وفي صفحة ٢٩ في مرادفات حسن المنظر « سطع نوره وتأنق شكلهُ » ولا معنى لتأنق هنا لانهُ يقال تأنق في الشيء اذا عملهُ بالاتقان والحكمة كما في القاموس والصواب « تألَّق » باللام مكان النون من قولهم تألق البرق اذا التمع فيكون قريباً من معنى العبارة الاولى

ثم قالوا « واشرقت بهجتهُ ولمعت زهرتهُ » وضُبطت « زهرتهُ » بفتح الزاي والصواب ضمها وهي مصدر الازهر بمعنى المشرق الوجه

وفي صفحة ٣٠ في مرادفات السرور « تقول انسرى همّي وأَسلى غمي وجلا كربي » فظاهره ان هذه الافعال تستعمل استعمالاً واحداً فتقول « أسلى غمّي » بمعنى « انسرى همي » وليس الامر كذلك فان « انسرى » فعلٌ لازم يُسنَد الى الهمّ فمعنى انسرى همي ذهب و « أَسلى » متعدٍّ تقول اسليت غمهُ اي اذهبتهُ ومثلهُ جلوت كربهُ . وعبارة الالفاظ الكتابية « سرَّى همي وأَسلى غمي » لكن الاب شيخو لم يشدد الراء من « سرَّى » فبقي مجرداً لازماً فبدّلوهُ بانسرى لانهم رأوا في القاموس انسرى الهمّ عني وسُرِّي ولم يجدوا سرَىَ المجرد فيا للعجب العجاب (ستأتي البقية)

وقف المنشاوي

لم يبقَ في القطر من لم يتحدث باريحية حضرة السريّ الامثل صاحب السعادة احمد باشا المنشاوي وما تبرع بهِ من الوقف الكبير على منفعة الامة لينفق ريعهُ على مؤاساة فقيرها وتنشئة صغيرها . وما تقاعدنا الى الآن عن

التنويه بهذه المبرّة العميمة والمأثرة الكريمة الا لأنا رأينا جرائدنا قد تجاذبت هذا النبأ وافرغتهُ في قوالب اغراضها على ما غوّدتنا من مثل ذلك في كل ما يُمدَح أو يُذَمّ من خطيرات الامور ولا سيما اذا كان ثمّة ما تشرئبّ اليهِ اعناق المطامع او تحتكّ بهِ حزازات الصدور على ان الامر اجلّ من ان يخفيهُ الكتمان او يموّههُ الايهام فان الشمس لا يحتجب ضوءها بالغمام وان البدر اسطع ما يكون اذا اشتدّ حلك الظلام ونحن مثبتون هنا ما صح لدينا منهُ تخليداً لذكرهِ وقضاءً لفريضة شكرهِ نأخذ ذلك عن تلك الجرائد بعينها وهذا محصل ما جآء فيها

في الخامس والعشرين من الشهر الحالي سافر الى القُرَشية وفدٌ من قِبَل جمعية العروة الوُثقى ليرفع شكر هذه الجمعية الى سعادة المفضال احمد باشا المنشاوي لاجل وقفهِ مئة فدّان من ارضهِ على مدرسة محمد علي الصناعية وقد أُصحب بكتابين احدهما من رئيس واعضآء الجمعية المشار اليها والثاني من دولة الوزير الخطير رياض باشا رئيس جمعية الاكتتاب للمدرسة المذكورة . ولما وصل الوفد الى القرشية قوبل بما عُهد من مكارم سعادة المحسن ثم رُفع اليهِ الكتابان بعد ما تلاهما بين يديهِ حضرة الفاضل محمد بك الشوباشي احد اعضآء جمعية العروة الوثقى . وهذا نص كتاب الجمعية المنوّه بها

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فخر الاماثل وعين الاعيان صاحب الجود والاحسان ذي الايادي البيضآء خير الخيرين والاسخيآء عطوفتلو افندم احمد باشا المنشاوي

من رئيس واعضآء مجلس ادارة جمعية العروة الوثقى الخيرية الاسلامية بالاسكندرية

السّلام عليك أيها البار بقومك المخلص لوطنك ورحمة الله وبركاتهُ أما بعد فقد

وافانا النبأ بعظيم ما صنعت من الخير في سبيل الله ابتغاء وجهه بتوفيق منهُ تعالى ومن ذلك وقف مائة فدان من أجود اطيانك بجهة بقاولة على مدرسة محمد علي الصناعية المزمع انشاؤها بالاسكندرية ينفق ريعها على ادارة هذه المدرسة من يوم تأسيسها . فلله أنت فقد فضلت بهذا الصنيع الاغنياء فضلاً يغبطونك عليهِ و بررت بالفقراء برًّا يحمدونهُ مدى الايام وحسبك فخرًا ما صارت اليهِ منزلتك في قلوب الكل فلا غرو أن يخلد ذكرك فأثرك بعد هذا حيٌّ باقٍ يزداد مقدارهُ وينمو في النفوس اعتبارهُ كلما مرت عليهِ الاحقاب وتذاكرتهُ الاعقاب وماذا عسى ان يكون مبلغ قدرتنا على جزائك الا أن يسجل لك الشكر في هذه الصحيفة التي نحملها اليك ورجاؤنا أن تقبلها وما عند الله خير وأبقى والله يجزي المحسنين

(التواقيع)

وهذا نص كتاب دولة الوزير

عطوفتلو احمد باشا المنشاوي حضرتلري

جمعية اكتتاب مدرسة محمد علي الصناعية المزمع تأسيسها بثغر الاسكندرية

تلقت بكل سرور وابتهاج خبر المبرة العظمى التي وفقكم لها وهداكم اليها الحق سبحانهُ وتعالى من وقف جانب من اطيانكم ليصرف ريعهُ على شؤون هذه المدرسة ورأت أن من الواجب عليها ان تقوم لكم بحق شكرها. و بصفتي رئيساً لهذه الجمعية قد كلفتني ان اكون واسطة خير في ابلاغكم حمدها وثناءها على هذا الصنع الجميل والكرم الجزيل الذي صدر منكم في فائدة العموم مما يخلد لكم الذكرى الحسنة على ممر الايام والازمان ولهذا بادرت بارسال هذا الرقيم لسعادتكم معلنًا لكم كل ما قام بأفئدة اعضاء هذه الجمعية الكرام من حيثيات الشكر والامتنان مع الدعاء المولى عز وجل بأن ينيلكم أجر عملكم هذا ويوفقكم لمثلهِ واكثر وهو الهادي للخير والصواب رياض

و بعد ما تلي الكتابان وتكلم بعض افاضل الوفد بما حضرهم شكرهم سعادة المحسن على ما نطقوا بهِ ثم قال اني لا اجد جوابًا على ما قلتموهُ سوى اني اجعل

الهبة اربع مئة فدان عوض المئة فاستغرق هذا الوعد شكر الحاضرين وطيروا نبأهُ بالبرق الى الاسكندرية . انتهى

ونحن لا نزيد في الشكر على ما جآء في هذين الكتابين البليغين سوى اننا نسأل الله ان يجعل هذا الرجل العظيم قدوةً لسائر الاغنيآء في القطر فان المنشاوي ليس باغناهم ولكنهُ اكرمهم جزاهُ الله افضل ما جزى بهِ اهل الاحسان والهمهُ المزيد من كل ما يجلب لهُ جميل الذكر وجزيل الشكران

آثار ادبيّة

كتاب البؤسآء — لم يصل الينا هذا الكتاب الاّ منذ ايام قلائل لسببٍ لعلهُ لم يكن الا الاتفاق بحيث قُضي علينا ان نكون آخر من تكلم عليهِ من الكتّاب وان لا نقول كلمتنا فيهِ الاّ بعد ان طفحت الجرائد بوصفهِ وتقريظهِ وبعد ان نضب معين الكلام ولم يبقَ للمتأخر الاّ ان ينسخ كلام من تقدمهُ او يؤمّن عليهِ

على ان الكتاب غنيٌّ بنفسهِ عن التقريظ والاطرآء فان كتاباً وضعهُ ڤكتور هُوجُو امير شعرآء الفرنسيس واكتب كتابهم في العصر الغابر وعرّبهُ الشاعر الناثر حافظ افندي ابراهيم نابغة العرب في العصر الحاضر لحريٌّ بان يكون مجمع الابداع وغاية الغايات في صناعة الفكر ووشي اليراع

ولقد تصفحنا اكثرهُ فوجدنا فيهِ من جزالة الالفاظ ومتانة التراكيب وحسن السبك والقدرة على التصرف في تمثيل المعاني ما لو كان الكتاب موضوعاً من عند المعرّب لم يأت فيهِ بافصح منهُ ولا احكم وضعاً وارسخ بنآء .

على انهُ لم يتمّ لهُ ذلك حتى تصرّف في قالب التأليف الاصلي واهمل منهُ اعتبار الالفاظ واخذ المعاني مجرَّدةً فألبسها العبارة اللائقة بها وهذا ولا جرم احد مَذهبين قديمين في التعريب ذكرهما الصلاح الصفدي ونحن نأتي هنا على جملة كلامهِ لما فيهِ من الفائدة قال

« وللترجمة في النقل طريقان احدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما وهو ان ينظر الى كل كلمةٍ مفردة من الكلمات اليونانية وما تدلّ عليهِ من المعنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل الى الاخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبهُ . وهذه الطريقة رديئة لوجهين احدهما انهُ لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثيرٌ من الالفاظ اليونانية على حالها . الثاني ان خواصّ التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة اخرى دائمًا وايضًا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات . الطريق الثاني في التعريب طريق حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما وهو ان يأتي الجملة فيحصّل معناها في ذهنهِ ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملةٍ تطابقها سوآء ساوت الالفاظ ام خالفتها . وهذا الطريق اجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحق الى تهذيب الا في العلوم الرياضية لانهُ لم يكن قيّمًا بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والالهي فان الذي عرّبهُ منها لم يحتج الى اصلاح . » انتهى

قلنا لكن بقي ان لكل قومٍ اصطلاحاتٍ خاصة في المأكل والمشرب والمفرش والملبس واشياء مما تقتضيهِ حالة الاجتماع وآداب المعاشرة مما تتباين فيهِ اللغات بتباين اهلها وليس كل ما عند قومٍ يمكن التعبير عنهُ بلغة غيرهم ولاسيما اذا اتسعت مسافة التفاوت بين اهل لغةٍ ولغة كما هي الحال اليوم بيننا وبين امم الغرب ومن اين للشرقيّ ان يعبّر عن كل ما ينطق بهِ

الغربيّ وثمَّ اشياء لم يرها قطّ ولم تمثل لذهنهِ ولا لفظ لها في لسانهِ ولا شيء يقاربها في مصطلح قومهِ وهذه هي العقبة العظمى في الترجمة والتي يرجع المعرّب من دونها حاسر الطرف فيضطرّ ان يخترع لتلك المعاني قوالب من عندهِ يلجأ فيها تارةً الى المجاز وطوراً الى الاشتقاق وربما حاول التعبير عن المعنى بما يفيد المقصود منهُ لا بما يصوّرهُ بعينهِ وفي كل ذلك من العناء وكدّ الفكر ما لا يكثر معهُ ان يسلخ مثل معرّب البؤساء اثني عشر هلالاً في تعريب هذا الجزء منهُ على ما ذكرهُ في صدر الكتاب . على ان هذا ايضاً قد يعزّ على المعرّب مهما اتسع صدرهُ في اللغة وطال باعهُ في اساليب التعبير فيضطرّ اما ان يُنزِل تلك المعاني في غير منازلها فيتشوه رونق الكتاب ويذهب ما فيهِ من مسحة الفصاحة واما ان يهملها رأساً اذا وُجِد الى ذلك مساغاً وهذا ولا ريب ما وقع لمعرّب هذا الكتاب وهو فيما نظنّهُ السبب في اختزال بعض فصولهِ واختصار بعض التفاصيل الواردة فيهِ مما اخذهُ عليهِ بعض المنتقدين

اما لغة الكتاب فهي في النهاية من البلاغة وحسن الترصيف ولا سيما الصفحات الأُوَل من المقدّمة وما يليها وهي التي كان المعرّب فيها مالكاً عنان قلمهِ يصرّفهُ بوحي فكرهِ فيجري حرًّا مطلقاً لا ينساق الا حيث يسوقهُ وجدانهُ ولا يرسم الا ما يرتسم في مخيّلتهِ فترى الكلام منسجماً متدامج الفقر لا يعترضهُ تكلف ولا تعسف ولا يرجع المطالع فيهِ على عبارةٍ قرأها. واذا قابلت الكلام هناك بشيءٍ مما وراء ذلك كصفحة ٢٠ مثلاً وجدت المعرّب على غير ما عهدتهُ في المقدّمة وظهر لك من خلال كلامهِ اثر كدّ

القريحة واعنات الروية ورأيت بعض الجمل مستكرهة على اماكنها وسلك المعنى ينقطع مرةً وينعقد اخرى . على ان هذا لا يُرى الا في مواضع قليلة من الكتاب وسببهُ ان المعاني ليست من بنات فكر الكاتب فربما لم يستمرئها ذوقهُ فمضى في تصويرها على تكلف وكراهة . ثم اذا جاوزت هذا الموضع فنظرت في صفحة ٣٣ مثلاً والصفحتين بعدها رأيت الكاتب قد استأنف ارتياحهُ وعاد قلمهُ الى مثل جريهِ الاول ورأيت الكلام متراصفاً يساوق بعضهُ بعضاً على غير تكلُّفٍ ولا تعمُّل . على انهُ يقال على الجملة ان الفصل الثاني وهو المعنون بفانتين احسن تنسيقاً واقلّ تفاوتاً من الفصل الاول فهو بكلام المعرّب الذي في المقدمة اشبه حتى لا تكاد ترى فيهِ ما يُشتمّ منهُ رائحة التعريب وكانهُ باسرهِ من املاء مخيلتهِ ونتاج فكرهِ

على أنَّا لا نبرّئ المعرّب من التكلف في استعمال بعض الالفاظ والتراكيب مما كان لهُ مندوحةٌ عنهُ بغير ان تنزل طبقة كلامهِ . وذلك مثل قولهِ في صفحة ٢١ « يشيّعون ذلك الطريد بنظراتٍ يقعِد همة الفوتوغرافيا تصوير ما فيها من الاستخفاف » اي تعجز الفوتوغرافيا عن تصوير ذلك الاستخفاف فجعل للفوتوغرافيا همةً وهي استعارةٌ غير مرضيّة لما فيها من البعد عن المطبوع . وقريبٌ منهُ في صفحة ٢٣ « وكاني اسمع صوتاً يقطر منهُ الدم » وقطران الدم من الصوت مما لا تأنس بهِ الافهام . وفي صفحة ٤٧ « كان القمر منذ زمنٍ لا يتعدى شطر ساعةٍ مقنَّعاً بغمامة » اي كان منذ نصف ساعة . وفي صفحة ٧٥ « فخرجت ربة النزل بالصمت عن لا ونعم » اي لم تقل لا ولا نعم .　ومن هذا القبيل في صفحة ٣١

« أحملُ لهُ ضَبَّ الضِغن » على ان الضبّ والضغن شيءٌ واحد وكلاهما بمعنى الحقد . وفي صفحة ٥٣ « القى الشرق في شعر رأسهِ سلوكاً ذهبية » وفسر الشرق بالشمس . وفي صفحة ١٢١ « وفعل شرواهم » اي مثلهم . وفي صفحة ١٤١ « فأخذت مادلين الأرض » وفسر الارض بالرعدة فما ضرّ لو استعمل في هذه الالفاظ كلها مرادفاتها من المأنوس

وربما تسامح في بعض الالفاظ الشائعة فاثبتها من غير ان يستثبتها من كتب اللغة وذلك كاستعمالهِ البرهة (ص ٤٠) للزمن القصير . وباهت اللون (ص ٩٨) بمعنى كَمِدهِ . وتبقَّى عليهِ كذا (ص ١٠٥) اي بقي . والنجمة (ص ١١٢) للنجم . ويلحق بهذا مثل قولهِ (ص ١٤٠) « لمحتُ باحد نخذيك فَدَعاً » والفدع يكون في القدم لا في الفخذ وهو ان يعوجّ الرُسغ حتى تنقلب القدم الى إنسيّها وقيل هو ان يمشي على ظهر القدم . ونظن ان المقصود هنا اعوجاج عظم الفخذ وهو من المعاني التي لم يوضع لها لفظ في اللغة لانهُ ليس من الاحوال التي تقع عادةً ولو اتفق لنا ان نعبّر عنهُ لما جاوزنا لفظ الاعوجاج او ما في معناهُ . وقولهِ (ص ١٨) « صعَّر الجنديّ خدّهُ » وفسرهُ بقولهِ « شمخ بانفهِ وتكبر » وما ننكر ان تصعير الخدّ اي امالتهُ قد يكون كناية عن الكبر ولكنّ تفسيرهُ بما ذُكر بعيد ومثل هذا انما يجوز في سياقة المترادفات ولا يصلح للتفسير اللغوي . ومثلهُ في الصفحة المذكورة تفسير تبلَّغ باكل الخبز والتبلُّغ في اللغة بمعنى الاكتفاء بالقوت اليسير . وفي صفحة ٩٤ « ان يعمد الى لفيفة من الطبّاق » وفسر الطبّاق بانهُ المعروف الآن بالدخان او التنباك » قلنا وكان هذا حسناً لو ساعدتهُ

نصوص اللغة لمجانسته اللفظ الاعجمي الموضوع لهذا النبات ولكن الذي في كتب اللغة وكتب المفردات الدوائية انهُ اسمٌ لنباتٍ آخر لا ينطبق وصفهُ على هذين النوعين

وربما وقع لهُ غير ذلك كقوله في صفحة ٥٦ « ألم تعثر في طريقك ايها الراهب بغلام » والمنصوص عليهِ في هذا المعنى عثر عليهِ لا بهِ . وفي صفحة ٧٥ « عوّلت على مغادرة ابنتي » اي اجمعت وصممت وليس هذا معنى اللفظة ولكن يقال عوّل عليهِ بمعنى اتكل . وفي صفحة ١١٠ « بقيت تقضقض من البرد » اي تقفقف ولم يجئ قضقض بهذا المعنى

وقد بقيت هناك اشياء اُخر لم نتعرض لها اجتزاءً بما ذُكر وهو كافٍ لتنبيه حضرة المعرّب الى تدارك امثال هذه الهفوات فيما بقي من الكتاب والرجوع على ما طُبع منهُ بمثل ذلك ان احبّ . وما فعلنا الا ونحن على يقين من الشهرة التي سينالها هذا الكتاب بين طلاب الادب ومزاولي الانشاء فهو جديرٌ بان ينزّه عن كل ما يعترض الثقة بهِ والاسترسال اليهِ وهذا ما دعانا الى تكلف نقدهِ على قلة رغبتنا في النقد مع كثرة المطبوعات في هذه الايام وما هو معلومٌ من حالها في الركاكة والخطاء

وفي الختام فانّا نهنئ حضرة صديقنا الفاضل بما احرزهُ من الحظ الكبير في هذه اللغة الشريفة كما نهنئ اللغة بما اوتيت على يدهِ من الحياة الجديدة بعد ما اوشكت ان تلفظ آخر انفاسها وفي يقيننا انها اذا رُزقت من بنيها من يقتفي اثرهُ في تجديد رونقها فلا نلبث ان نراها قد نفضت عنها ثوب الهرم واستعادت ماضي شبابها وما ذلك عليهم اذا شاءوا ببعيد

فكاهات

الضريح(١)

حدثني صديق قال

ما انتهى موسم سنة ١٩٠٢ وانقضى شتآؤها حتى دخلت القاهرة كعادتها في طورها الصيفي فوقفت حركة العمل وهبت الخماسين وزادت حرارة الشمس فعلها في الاجسام وكنت قد رصَّدت حساباتي السنوية فوجدت ان ارباحي في ذلك العام فاقت العام السابق فحدثتني نفسي ان اروّح النفس من عنآء الاشغال وانجو من حرارة الصيف ولم يكن لي عيال يمسكونني فجهزت لوازم السفر وغادرت القطر منطلقاً في ارض الله حرًّا كالهوآء وسعيداً كطير السمآء . وما زلت اتنقل من بلدةٍ الى اخرى حتى ألقاني الترحال الى ايطاليا فكنت اتنقل في مدنها الى ان بلغت فلورنسا فأعجبتني جدًّا واقمت بها اياماً زرت فيها جميع انحاء البلدة بصحبة صديقٍ عرفته هناك شخصيًّا وكنت اعرفه قبلاً بالاسم لما بين محلي ومحله من المعاملات . وبينما كنا يوماً نسرّح الطرف في شوارع تلك المدينة ونتفرج على بناياتها الفخيمة نظرنا قصراً قديم البنآء عظيم الابهة في وسط حديقة متسعة غنآء جمعت من كافة اصناف الاشجار المثمرة والازهار البديعة . وكان باب الحديقة مفتوحاً واخبرني صديقي ان الدخول مباح للجمهور فدخلنا نتخطر بين الورود والرياحين وصديقي يتلو عليَّ تاريخ ذلك القصر وسكانه فعلمت منه انه لأسرةٍ من اقدم أسر الطليان واعرقهم نسباً حافظ بنوها على هذا البنآء ويقيم فيه الآن الباقي من نسلهم واسمه المركيز بيرنزا . وبلغنا في منتصف الحديقة بناية صغيرة من حجر المرمر تحيط بها اعمدة من الرخام البديع

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

النقش وعليها قبةٌ من صنف البنآء وفي اعلاها تمثال لم تصنع يد نقاش ابدع منهُ . وكان على مسافة قريبة من هذه البناية وعلى محيطها اشجار من الصفصاف الباكي قد تدات غصونها فوق البنآء فزادت في حسن منظرهِ اكثر من الرياحين والورود التي كانت تكسو الارض كأنها بساط فرشتهُ يد الطبيعة اجلالاً لذلك المقام . وسألت صديقي عن المراد بهذه البناية فقال لي انها ضريح . فقلت قد اريتني في المقبرة بناية تثمن بالالوف واخبرتني انها مقبرة اسرة بيرنزا فلماذا لم يدفن فيهـا هذا الميت ولمَ شذّ هذا عن قاعدة الاسرة وكيف وُجد الضريح بجانب قصر السكنى وفي وسط هذه الحديقة . فتنهد صديقي وقال ان لذلك تاريخاً محزناً وان شئت اطلعتك عليهِ . فقلت نعم احب إن اسمع ذلك فقادني الى ناحية خيمت فيها الاشجار واجلسني على دكةٍ طبيعية في جذعِ شجرةٍ قديمة وبعد ان صمت هنيهةً جمع فيهـا افكارهُ قصَّ عليَّ ما يأتي فقال

اعلمتك شيئاً من تاريخ اسرة بيرنزا وانهُ لم يبقَ منها سوى ساكن هذا القصر واسمهُ المركيز روبرتو بيرنزا . فلما كان في الخامسة والعشرين من عمرهِ اقترن بفتاة من اسرةٍ لا تنحطّ عن اسرتهِ مقاماً فكانت لا تهتم الاّ براحة زوجها ولا يهمهُ سوى رضاها . وفي نهاية السنة رزقهما الله ولداً ذكراً سمياهُ لودوفيك وكان سرورهما بهذا المولود لا يعادلهُ سرور في العالم وجعلا شغلهما الشاغل الجلوس بجانب سريرهِ يتأملان جمالهُ الملوكي ويعدان تنفساتهِ وطرفات جفنيهِ . وكان الغـلام ينمو تحت رعايتهما فيزيد وجههُ اشراقاً ويمتلئ جسمهُ وتتقد في عينيهِ نار العظمة والذكاء

وفي ذات يوم كان المركيز في مكتبتهِ يطالع اوراقاً تختص بأشغالهِ فخرجت المركيزة الى الحديقة وبصحبتها الخادمة تحمل الطفل وقد بلغ الثالثة من عمرهِ فكانا يتنزهانِ في ارجاء هذه الحديقة . وبلغا جانباً منها كان يحفظ المركيز فيـهِ اصناف الطيور والحيوانات الداجنة لانهُ كان مولعاً بتربيتهـا وكان بينها ثورٌ شرس جداً ابتاعهُ المركيز حديثاً بثمن باهظ رغبةً منهُ في الحصول على نتاجهِ . وحدث انهُ عند اقتراب المركيزة وولدها والخادمة ان الثور كان في ساعة هياج شديد وزادهُ منظر

هؤلاء شراسة وجنوناً فكان يثب في بيتهِ الخشبي فيزعزعهُ وخشيت المركيزة سوء العاقبة فأشارت الى خادمتها بالابتعاد عن ذلك المحل وما سارا قليلاً حتى رأى الثور ابتعادهم فزاد غيظهُ وهجم الى باب زريبتهِ ودفعهُ بقوةٍ شديدة فتحطم وخرج منهُ يعدو تابعاً اياهم . فصاحت المركيزة صياح الرعب وانطلقت تجري بمنتهى قوتها وراء الخادمة وكانت قد ضمت الغلام الى صدرها واطلقت ساقيها للريح . وما زالتا في ركض شديد حتى عثرت الخادمة بطرف ثوبها فسقطت والغلام الى الارض ورأت المركيزة ذلك والثور جادٌّ في اثرهما فرأت ان لا بد من استيقافهِ قليلاً ريثما تتمكن الخادمة من النهوض أو يجيء احد لاغاثتهما . ولما لم يكن لها من الوقت الا ثوانٍ قليلة لان الثور أوشك ان يدركها وقد نظرت الى ولدها في ذلك الخطر وكأن تلك النظرة قد اكملت فيها القوة التي كانت تتوقعها فارتدّت على اعقابها لتقابل الثور الهائج بقلبٍ اشد من الحديد كلبوءةٍ تودّ ان تلتقي بصدرها رصاصة الصياد الموجهة الى قلب شبلها . وكأن ما برق في عينيها من نار القوة والاقدام وما ظهر من جرأتها في ذلك الاقدام قد أثرا في الحيوان فتوقف هنيهةً ولكنهُ ما عتم ان عاد الى عدوهِ هازئاً بذلك العدوّ اللطيف واستقبل المركيزة وقد نكس رأسهُ وضربها بقرنيهِ فبقر بطنها ثم رفعها عن الارض . وفي نفس الدقيقة دوى في الفضاء طلقٌ ناريٌّ ارتفع على اثرهِ جؤار الثور ثم سقط الى الارض يتدفق الدم من صدرهِ . وكان المركيز قد سمع صراخ زوجتهِ والخادمة فأطلّ من نافذة غرفتهِ مذعوراً ورأى المنظر الذي ذكرناهُ فأسرع كوميض البرق الى غرفة السلاح وأخذ بندقية ثم عاد الى النافذة واطلق تلك الرصاصة القاتلة في نفس الدقيقة التي كان فيها قد قضي على المركيزة

واسرع المركيز وخدم القصر الى محل الحادثة واهتم بعضهم بالطفل والخادمة وكانت قد اغمي عليها لشدة الرعب على اثر وقوعها واسرع المركيز الى زوجتهِ فرفعها عن قرني الثور ونقلوها الى القصر واستدعى المركيز اشهر الاطباء للنظر في امرها فوجدوا ان لا امل في نجاتها . وبقيت تلك المسكينة ليلتها في عذابٍ شديد ولم تنطق بكلمةٍ واحدة الى انبثاق الفجر فاشارت انها تود مشاهدة ولدها فأتوها بهِ فجاهدت

شديداً حتى تمكنت من مد يدها فوضعتها على رأسهِ وقالت سامحني ايها الصغير فقد جئت بك الى هذا العالم ولم اتمكن من مساعدتك للسير فيهِ ثم ضمتهُ الى جانبها فقبلتهُ ونظرت الى زوجها كانها تريد ان توصيهُ بهِ ولكنها لم تستطع النطق فاقترب المركيز منها والزفرات المتصاعدة تمزق صدرهُ وقال قد فهمت مرادكِ ايتها الحبيبة فتبسمت وشخصت ببصرها الى العلاء واسلمت الروح

وكان حزن المركيز في غاية المرارة فدفن زوجتهُ بمنتهى الاجلال والاكرام وانقطع عن جميع الملذات والمسرات فلم يعد يخرج من قصرهِ وانقطع الى السهر على ولدهِ ولم يسمح لاحد بمقابلتهِ سوى، خادم امين يدعى لورنسو كانت اجدادهُ في خدمة اجداد اسرة بيرنزا فكان المركيز يأنس بهِ ويرى بهذا الرفيق عزاءً وسلواناً

وشب لودوفيك فكان مثال والدتهِ في الجمال ورقة الطبع وطيبة القلب ومثال والدهِ في قوة الجسم والادراك والاقدام وتلقن علومهُ الاولية على ايدي اساتذة استحضرهم لهُ المركيز. ولما بلغ الحادية والعشرين من عمرهِ طلب من والدهِ ان يرسلهُ الى باريز ليدرس فيها الحقوق . فكان لهذا الطلب عند المركيز في اول الامر وقعٌ محزنٌ جداً لانهُ كان يودِ ان لا يفارق ابنهُ طرفة عين ولكنهُ عاد فتذكر مجد اسلافهِ واقدامهم ورأى من الصواب ان يكون ابنهُ كاجدادهِ رجل فخار وشهرة واسعة لا تتأتى لهُ اذا اقام العمر في قصرهِ فاذعن اخيراً لطلب لودوفيك وهو يود ان تفارقهُ حياتهُ ولا يفارقهُ ابنهُ . ثم جهز لهُ لوازمهُ واعطاهُ مبلغاً كافياً من المال وزودهُ ببعض الوصايا الابوية وسافر لودوفيك الى باريس مترضياً والدهُ معتمداً على تسهيل الله . ودخل المركيز الى قصرهِ فارتمى على سريرهِ واستخرط في البكاء

وبلغ لودوفيك باريس فتوجه الى مدرسة الحقوق وانتظم في سلك الطلبة ثم اكترى لهُ غرفةً في بعض احياء المدينة التي تقرب من المدرسة وكانت غرفتهُ في بيتٍ كبير بناهُ اصحابهُ لتأجيرهِ غرفاً غرفاً . فأثث لودوفيك غرفتهُ بسلامة ذوقهِ فكان رياشها بسيطاً وفاخراً وكان يقضي معظم نهارهِ في المدرسة ومتى انتهى منها يعود الى غرفتهِ حيث يطالع دروسهُ او يؤلف الحاناً موسيقية على البيانو وكان شديد

الولع بالنقر عليهِ . وبقي على هذه الحالة السنة الاولى والثانية وكان يرجع الى ابيهِ في فلورنسا ويقضي بجانبهِ اياماً من كل سنة مدة عطلة الدرس .

وفي اثناء السنة الثانية صاحب لودوفيك رصيفاً لهُ في المدرسة يدعى اوغست وكان هذا من اسرة غنية جدًّا ولكنهُ ضعيف البنية . وكان التلامذة يكرهونهُ فتعصبوا عليهِ اما لودوفيك فمال اليهِ ولزم صحبتهُ ولما لم يرَ اوغست لهُ معيناً سوى لودوفيك الفهُ واصبح كاخيهِ فكان يأتي في اكثر الاحيان ويقضي اوقات فراغهِ معهُ في غرفتهِ . وحدث يوماً ان كان لودوفيك يطالع في كتبهِ فسمع صراخاً فاجفل ووثب الى باب غرفتهِ فرأى في غرفةٍ مقابلة فتاة تستغيث فاسرع اليها فعلم انها تقيم هنالك مع والدتها منذ مدة وان والدتها قد مرضت من عهد قريب وقد اشتد بها المرض واصابتها في تلك الدقيقة نوبة شديدة فخافت الفتاة وصرخت مستغيثةً وهي لا تدري ماذا تفعل . فتقدم لودوفيك الى داخل ورأى الام على سريرها وقد شخصت عيناها واصفر وجهها ووقفت قطرات العرق البارد على جبينها فتقدم بكل هدوءٍ وجسَّ يدها فوجد ان سخونة الحياة قد فارقتها وتسلطت عليها برودة الموت ثم أدنى رأسهُ من صدرها فوجد ان ضربات قلبها قد وقفت . ورأى بعد هذا الفحص ان الفتاة تنتظر منهُ كلاماً فترك الميتة واخذ في تعزية هذه بكلمات رقيقة واعلمها بمنتهى الرقة والحنوّ أن والدتها قد قضت نحبها . فجعلت الفتاة تلطم وتنتحب وتقول اواه يا أماه والى من تركت ابنتك وحيدةً في العالم . وكان لودوفيك قد نادى صاحبة البيت ووكل اليها الاعتناء بتجهيز الفقيدة واجراء اللازم لدفنها واهتم هو بتسلية الفتاة وقد رأى فيها جمالاً ملائكيًّا وأدباً وبساطةً اخذا بكامل عقلهِ . ولما حُملت الجنازة الى المدفن وواروا الجثة في التراب اخذ لودوفيك بذراع الفتاة وارجعها الى البيت وهو لا ينفك عن تسليتها وتسكين عواطفها بارق الكلام واعذب عبارات التعزية . ورأت الفتاة من نفسها ثقةً بلودوفيك فكانت تعاملهُ معاملة اخ حبيب وتنتظر رجوعهُ من المدرسة بكل اشتياق فلا تقع عينها عليهِ حتى يسري عن وجهها ما تراكم عليهِ من الحزن والهم . وشعر لودوفيك ان من واجباتهِ تسلية الفتاة في زمن حزنها فكان

اذا انتهى من درسهِ يعود مسرعاً الى البيت ليقابلها ويجتمع بها . وعرف منها انها تدعى مرغريت وانها جاءت ووالدتها من جنوبي فرنسا بعد موت ابيها وسكنتا ذلك المحل فكانت الام تعمل في الخياطة وصناعة التبعات فتكسب ما يكفي لقوتهما وتربية ابنتها . فقال لها لودوفيك وماذا ترومين ان تفعلي الآن . قالت سأبقى في هذا المحل لاني غريبة عن العالم ولا استعطي لاني فتاة في نضارة شبيبتي واوان قوتي فسأسعى في تعاطي عملٍ كما كانت تفعل والدتي . فصوّب لودوفيك رأيها وثبتها على عزمها ووعدها انهُ يبذل جهدهُ في تدبير اشغال يحضرها لها لتعملها . وكان حقيقةً كالاخ يساعد مرغريت ويحرسها ولا يفارقها كلما تمكن من ذلك . وكان يعجب بآدابها وذكائها الغريب فكان موضوع حديثهما ادبيًّا اجتهد فيهِ لودوفيك ان يبثّ في صدرها زيادة العلم والاطلاع فاذا سارا في الحديقة وصف لها الازهار وعلمها في عرض الحديث شيئاً من علم النبات او اذا سهرا كلمها عن النجوم والافلاك وكانت تجد في حديثهِ لذةً وتشعر بارتفاع ضبابة الجهل عن عينيها وتوسعها في المعرفة فصارت لا تجد لذةً الا بوجود لودوفيك فتدأب في العمل مدة غيابهِ وتتفرغ لمجالستهِ حين وجودهِ . وكان العمل الذي يحضرهُ لها مع مساعدةٍ مالية يضيفها الى اجرة عملها بدون علمها كافية لمعيشتها . وسمعها يوماً تنشد فاعجبهُ صوتها الرخيم وكانت قد انقضت مدة الحداد على والدتها فطلب اليها ان تجيء الى غرفتهِ وكان يعلمها ضرب البيانو والغناء . وبالاجمال فانهُ كان كالصائغ ومرغريت في يدهِ كسبيكة من الذهب الثمين يصوغها كيف شاء ويُفرغها في القالب الذي يراهُ اتم صنعاً وابدع جمالاً

وفي ذات يوم كانت مرغريت في غرفة لودوفيك تراجع اغنيةً علمها اياها فدخل صديقهُ اوغست وما وقعت عينهُ على طلعة مرغريت حتى شعر بتغيير حالهِ فوقف هنيهةً يتأمل في جمالها الرائع وصوتها الرخيم وحسن تنقل اصابعها على الآلة الموسيقية ولما انتهت مرغريت من اغنيتها قدمها لودوفيك الى صديقهِ وعرَّف بعضهما ببعض وجلس الثلاثة معاً فغاصوا في بحار الحديث

وسقط اوغست في وهدة الهيام وادرك ان صديقهُ لودوفيك يهواها ايضاً

ولكنهُ تجاهل الامر وسعى في استمالة قلب الفتاة فجعل يزور صديقهُ يوميًّا وفي كل يوم يستصحب معهُ هدايا نفيسة فيقدمها الى مرغريت وتقبلها منهُ بمنتهى البساطة والشكر . اما لودوڤيك فكان قد وطن عزمهُ على الاقتران بمرغريت متى بلغت سن الرشد ويكون هو حينئذٍ قد انهى دروسهُ فيصير ولي امرهِ ولذلك لم يشأ ان يفاتحها بشيء من هذا الموضوع بل اقتصر على ما ذكرنا من معاشرتها وتخليقها باخلاقهِ وتعليمها ما يود أنها تعرفهُ . فلما انتهت السنة المدرسية وجآءت ايام العطلة سافر لودوڤيك كعادتهِ لقضآء تلك المدة مع والدهِ تاركاً مرغريت في حراسة صديقهِ اوغست بعد حراسة الله

ولما انقضت ايام العطلة عاد لودوڤيك الى باريس فوجد ان حبيبتهُ مرغريت قد غادرت محل سكنها فتعجب عجبًا شديدًا وقلق لهذا الامر ثم سمع ايضاً من افواه رصفآئهِ ان اوغست صديقهُ لم يعد الى المدرسة فاشتغل خاطرهُ وقضى اياماً يبحث بحثًا مدققًا عن صديقهِ ومالكة فؤادهِ فلم يقف لهما على اثر . وبعد نحو خمسة عشر يومًا من عودتهِ بينما كان لودوڤيك جالساً في غرفتهِ لم يشعر الا وباب غرفتهِ قد فتح ودخلت مرغريت ومآء الحياة يتدفق من وجهها . فشهق لودوڤيك لرؤيتها ونهض لاستقبالها ثم جلس الحبيبان واخذ لودوڤيك يقص عليها ما نالهُ من الأسف حين عاد ولم يرها . فأظهرت مرغريت شديد الاستغراب لكلامهِ وقالت كيف انتظرت ان تراني هنا وقد اوصيت صديقك اوغست ان يذهب بي الى ليون . فحملق بعينيهِ وقال الى ليون . . انا اوصيت اوغست ان يذهب بكِ فما معنى هذا الكلام . فقالت مرغريت نعم انهُ بعد سفرك بيومٍ واحد اخبرني اوغست انك تحبني محبة اختٍ وانك كنت تود ان تقترن بي لو كنت من اسرة في مقام اسرتك ولكنك لا تتمكن من ذلك لانني فقيرة الحال ومن ابوين فقيرين وانك اقنعتهُ بوجوب محبتي والاقتران بي بعد سفرك فورًا وان ينقلني الى ليون . ولا اكتمك انني لم اكن اميل الى اوغست قط وانني من اول مرةٍ رأيتك علقت جميع آمالي بك ووددت ان اكون زوجةً لك غير انني لما سمعت برغبتك هذه واعتقدت انهُ من المحال ان اكون لك اذعنت

لحكمك كرهاً وانا أود ان ابقى الى الابد في منزلة شقيقةٍ لك تثق بك وتتكل عليك فاقترنت بأوغست وسامرت معهُ لارضيك فقط . ولكنني ما بعدت عن باريس حتى شعرت ان نفسي في سجنٍ مظلمٍ وان لا شيء في العالم يعيد اليَّ سروري وارتياح ضميري سوى وجودك بالقرب مني فكنت اتوقع ايام عودتك حتى علمت ان موعد المدرسة قد عاد فطلبت الى اوغست ان نرجع الى باريس فأبى وخدثتني نفسي بعد رفضهِ باشياء فعزمت ان اقابلك واسألك ان تصرح كأخٍ بما يكنهُ فؤادك من نحوي . وكان لودوفيك يسمع كلامها وهو يشعر بانقضاض صاعقةٍ على رأسهِ أو أفعى تنهش صدرهُ وتأكد للحال خيانة اوغست صديقهِ وانهُ احتال على ذلك الملك فانتشلهُ من بين يدي لودوفيك . فصمت حينًا وهو كالمبهوت لا يحير جوابًا ولكنهُ عاد فتمالك روعهُ وقال يا حبيبتي مرغريت انني لم احبك كأخٍ قط بل انما احببتكِ كملكِ سعادتي ونجمِ مستقبلي وكنت احسب الايام والدقائق الى ان انتهي من المدرسة فأبوح لكِ بحبي الذي كنت اتأكد ان عندكِ نظيرهُ لي فاقترن بكِ ونرجع الى والديَّ ليستقبلنا ببركاتهِ الابوية . فآه من الخائن الذي تجاسر ان يهدم صرح آمالي ويقطف زهرة حبكِ التي كنت اراعي نموها مذ عرفتك الى الآن . وادركت مرغريت الحالة في لحظة واحدة وكانت حقيقةً متيمة بهوى لودوفيك ولم تتخذ اوغست زوجًا لها الاَّ رغبةً في ارضاء حبيبها فأصابتها نوبةٌ عصبية وسقطت بين يدي لودفيك خائرة القوى تصعد الزفرات

ولما ملك الحبيبان روعهما قال لودوفيك يا مرغريت قد قضت العناية بما حصل وحرمتني اياكِ فارجعي الى اوغست وعساهُ ان يقوم لديكِ بما كنت اود ان اقوم بهِ انا . قالت كلا ان اذهب ما لم تجئ بصحبتي فنعيش معًا لانني ان لم احقق سعادتي بان اكون زوجةً لك فلا اقل من ان تبقى اخًا لي وقريبًا مني . وظهرت على وجه لودوفيك علامات دالة على الحرب العوان الثائرة في صدرهِ فتنهد من قلب جريح وقال لا . لا . ان هذا اليوم قد قرر مستقبل حياتي يا مرغريت فانني لم أرَ الحياة الا في وجهكِ ولا السعادة الا في قربكِ ولا الفوز الا بالحصول عليكِ اما

الآن وقد اصبحت ملك سواي فقد حرمني الدهر جميع ذلك ولست بخائنٍ صداقتي لاوغست لاسعى في استرجاع ما سلبني اياهُ . بل ان نفسي تصدني عن ارتياد ماءٍ قد ولغ فيهِ هذا الخائن فزوّديني نظرةً اخيرة من هذا الوجه اللطيف وعودي الى زوجكِ واتركيني الى ما صممت عليهِ . فقالت واليأس يقطع فؤادها وعلامَ صممت ايها الحبيب . قال سيبلغكِ ذلك عن قريب

وقضى الحبيبان حصةً من الزمن يأسفان على ما جرى ويحزنان على ما ليس في الامكان ردّهُ ثم اجبر لودوفيك مرغريت على مفارقتهِ فخرجت تاركةً روحها بين يديهِ وبقي لودوفيك ينظر الى ان غابت عن بصرهِ فعمد الى مكتبهِ وكتب الى والدهِ الكتاب الآتية صورتهُ

يا ابي الحبيب

اصفح لي يا ابتِ عن المرارة التي سأذيقك اياها برضاي . انني صممت على نيةٍ لا تحولني عنها قوة بشرية ولكنني اقف عند الافتكار بها لأخط لك هذه الكلمات فيا ابتِ اصفح لي . قد وهبتني الحياة يا ابي فهذه الحياة ارفضها الآن . قد علمتني منذ صغري ان اعيش شريف النفس او اموت قبل فقد شرف نفسي ولم يمكني الامر الاول فقد اخترت الثاني ولا يبلغك تحريري هذا الا ويكون ولدك الوحيد قد مات مفضلاً ذلك على الاخلال بالمبدأ الذي تعلمهُ منك

قد خانني يا ابتِ اعز اصدقائي وسلب مني فريدة عقدٍ لا يوازيها العالم باسرهِ فان شئت ان اعاقب ذلك الصديق واجازي شرهُ بشرٍ اعظم فليس ذلك مما علمتنيهِ. وان عزمت على استرجاع ما سُلب مني فهيهات ان تعود تلك الجوهرة الى صفاء مائها وقد دنستها يد الخائن الظالم . وان رضيت بالمذلة ووقفت ناظرًا بسكوتٍ الى ما حصل فان دم بيرنزا لم يسبق لهُ ان يجمد باردًا في اتون من النار . فترى اذًا يا والدي الحبيب ان حياتي التي اعطيتني اياها لم يعد لها نفع عندي ولذلك ارى نفسي مضطرًّا ان لا اقبلها بعد الآن . فاجثو تحت قدميك يا ابتِ ضارعًا اليك ان تصفح عن ولدك النكد الطالع لما يسببهُ لك الآن من الحزن وتعزَّ بما اعتقدهُ الآن

في ساعة موتي ان حياتي لو بقيت لكانت شقاءً مستمرًا اما موتي فسعادة وهناء

ولدك الجاحد فضلك

لودوڤيك

ولما انهى لودوڤيك رسالته هذه ختمها وعنونها باسم والده ثم القاها على مكتبه وجعل يخطر في غرفته ذهابًا وايابًا وهو عرضة لافكارٍ هائلة وكأنهُ لم يتمكن من احتمال تلك الافكار فأسرع الى غدارةٍ كان يحفظها عندهُ فحشاها وأخذ باليد الواحدة صورة حبيبته مرغريت فأدناها من فمهِ واطلق بالاخرى الغدارة على رأسه فخر الى الارض قتيلاً

واكتشفت جثتهُ في اليوم الثاني فنقلت مع كتابه الى فلورنسا الى ابيه فكانت حالة المركيز الشيخ تفتت القلوب واستقبل جثة ابنه ومن يراهُ يظنهُ انهُ هو الفقيد. وكان يود ان يقيم احتفالاً باهرًا فأبت الكنيسة ان تسمح لهُ بذلك لانها لا تقيم احتفالاً دينيًّا للمنتحرين. ولم يؤذن لهُ ان يدفنهُ في مقبرة الاسرة لنفس السبب فضاقت الدنيا على رحبها على وجه المركيز فأخذ جثة وحيده ودفنها في هذه الحديقة بمساعدة خادمه الشيخ وبنى فوقها هذا المزار وهو من ذلك الحين يقضي معظم وقته فيه. ولما بلغ مرغريت ما جرى انبها ضميرها لتصديق اوغست والاغترار به فكانت سببًا لموت حبيبها فذهبت الى دير تقضي فيه بقية ايامها

. . . .

وما أتم صديقي تلاوة هذا التاريخ المحزن حتى حانت منا نظرة فرأينا المركيز وقد حنى ظهرهُ الكبر وابيض شعرهُ الطويل المسترسل على اكتافه وصدره قد أتى باكليل من الورد فوضعهُ على جانب من الضريح وجثا رافعًا يديه الى السماء مصليًا مستمطرًا على ابنه الرحمة والرضوان. ولا اذكر في جميع سياحتي منظرًا اثرت فيَّ رؤيتهُ كذلك المنظر المهيب فلا تبرح صورتهُ من مخيلتي

قرطاجة

(تتمة ما سبق)

على ان هذا كلهُ لم يزد انيبال الا حماسةً وثباتاً فانصرف الى اصلاح خلل الحكومة والعمل على تكثير الموارد المالية ليتخذ منها عدّةً على استئناف الحرب فلم يلبث ان ازداد دخل الدولة وقامت بأداء تلك الغرامة الفادحة في مدة عشر سنوات . فهال رومية ما رأتهُ من تلك النهضة السريعة وعادت تطلب من قرطاجة تسليم انيبال اليها ففرّ من وجهها وقصد انطيوخس الكبير في أفسس واستعداهُ على رومية فوعدهُ ولكنهُ لم يلبث ان نكل عن وعدهِ . وفي تضاعيف ذلك اشتبك انطيوخس في حربٍ مع رومية كانت الدائرة فيها عليهِ فكان من جملة شروط الصلح ان يسلّم اليها انيبال فتحوّل انيبال الى كريت ثم الى بيثينيا فارسلت رومية تطلبهُ من پروسياس ملكها فلم يسعهُ الخلاف ولما علم انيبال بذلك شرب من سمٍ كان معهُ فمات ولهُ من العمر اربع وستون سنة

وكانت رومية لا تزال تحذر جانب قرطاجة فكان من همّها ان لا تترك وسيلةً لارغامها واذلال شوكتها . وكان على نوميديا ملكٌ يقال لهُ ماسيسينا وهو شيخٌ كبير كان يضمر للقرطاجيين اشدّ العداوة فجعل يدسّ الشحناء بين قرطاجة ورومية ويكيد لها المكايد ثم اخذ يقتطع من املاكها المدينة بعد المدينة والايالة بعد اختها لعلمهِ بانها لا تستطيع مناهضتهُ لان شروط الصلح مع رومية قد غلّت يدها عن ذلك . فرفعت قرطاجة ظلامتها

الى رومية فتثاقلت عن اجابتها وجعلت تطاولها في الامر الى ان اسرف ماسيسينا في الاستطالة والبغي ولما الجّت في الشكوى انفذت اليها سفرآء ينظرون بينها وبينهُ وزوّدتهم بما شآءت من اوامرها فلم ينصفوها . وازدادت وطأة النوميديين شدّةً على القرطاجيين حتى ضايقوهم اشد المضايقة ولم يبقَ في وسعهم الا ركوب الحرب فحصرهم ماسيسينا واهلك منهم نحو ستين الف رجل بالسيف والجوع . وكانت رومية تتوقع سبباً للايقاع بقرطاجة فاتخذت هذه الحرب حجةً عليهم لان فيها نقضاً لاحد شروط الصلح وسيّرت اليهم جيشاً كثيفاً يتألف من ثمانين الف راجل واربعة آلاف فارس تحت امرة ثلاثة من القوّاد امرتهم ان يضرموا الحرب على المدينة ولا يرجعوا عنها حتى يتركوها قاعاً صفصفاً . وايقن القرطاجيون انهم لا طاقة لهم بهذا الجيش فانفذوا رفداً من قبلهم الى القوّاد يطلبون المتاركة ويضمنون لهم الرضى بكل ما تقضي به رومية بشرط ان تبقي على المدينة فوعدهم القواد بذلك على ان يسلموا اليهم ثلاث مئة رهينة من اشرف أُسرهم ضمانةً على القيام بكل ما سيتقاضونهُ من المطالب

فعَظُمَ هذا الطلب على القرطاجيين ولكنهم لم يجدوا بدًّا من الاجابة اليهِ وكتم القوّاد شروط المتاركة الى ما بعد وصول الرهائن اليهم واخذوا بعد ذلك يتقاضونهم تلك الشروط واحداً بعد واحد بحيث انهم كلما انفذوا شرطاً عرضوا عليهم غيرهُ لانهم خافوا ان عرضوا عليهم الشروط كلها دفعةً واحدة ان يثوروا ثورة اليأس . فطلبوا اولاً ان يجهزوا لهم ما يكفي الجيش من الحبوب ثم ان يسلموا جميع ما بقي عندهم من السفن ثم جميع ذخائر الحرب واخيراً ما كل

عندهم من السلاح وكان ما سُلّم اليهم مئتي الف شكّة وهي السلاح الكامل

ولما اصبح القرطاجيون مجردين من كل سلاح ولم تبقَ لهم قوةٌ على المقاومة اعلنوا لهم الامر بتدمير المدينة وان يخرج السكان الى مسافة ثلاثة اميال من البحر. فلما سمع القرطاجيون ذلك وقع عليهم وقوع الصواعق وصمموا على الدفاع ولو هلكوا عن بكرة ابيهم فجمعوا كل ما بقي في المدينة من المعادن وضربوهُ سلاحاً وكانوا كل يوم يصنعون مئة ترس وثلاث مئة سيف وخمس مئة رمح والف حربة وانتزعوا جوائز البيوت فبنوا منها سفناً وكانت النساء تجزّ شعرها ليفتل حبالاً ثم هبوا تحت قيادة اسدروبال فكسروا جيش الرومان واحرقوا اسطولهم. واجتهد الرومان في هدم اسوار قرطاجة بكل ما استطاعوا من فنون الحصار حتى ذكر ابيانوس انهم اتخذوا لهدم السور كبشين هائلين كان كلٌّ منهما يدفعهُ ستة آلاف رجل فتمكنوا من فتح ثغرةٍ في السور فخرج القرطاجيون من هذه الثغرة واحرقوا آلات الحصار ودحروا جيش الرومان الى اوتيكا

واذ ذاك ارسلت رومية اميليانوس احد كبراء قوّادها فانجد جيش الرومان واستولى على القسم الاسفل من قرطاجة المعروف بالمغارة ثم احتفر خندقاً عظيماً قطع بهِ البرزخ الذي يصل بين المدينة وسائر البرّ ليمنع وصول المدد اليها وكان عرض هذا البرزخ نحو ٤٦٠٠ متر وبنى سدًّا دون الفرضة البحرية عرضهُ من قاعدتهِ ٩٦ قدماً ومن قمتهِ ٢٤ قدماً ولا تزال بقايا هذا البناء الهائل ماثلةً الى اليوم فقطع عنهم المدد من البحر ايضاً. فلما رأى القرطاجيون ذلك بذلوا اقصى ما بقي لهم من القوة فشرع الرجال والنساء

والاولاد ينقبون في الصخر حتى فتحوا لهم منفذاً الى شاطئ البحر ثم انزلوا اسطولاً مؤلفاً من مئة بارجة ضربوا بهِ اسطول الرومان ونزل اناسٌ منهم فسبحوا في البحر الى الجهة التي كانت فيها آلات الحصار ثم خرجوا بغتةً من المآء ووضعوا النار في تلك الآلات ففرّ جيش الرومان مذعورين ولحقوا بمعسكرهم

وبعد ذلك جمع الرومان بأسهم وعادوا الى حصار المدينة ونصبوا السلالم على الاسوار فتسلقوها وانتشروا في المدينة وكان اهلها قد خارت قواهم من الجوع فلم يستطيعوا مقاومتهم وما خيم الليل حتى كانوا جيشاً عظيماً في وسطها وهجموا على القلعة وهي في اعلى المدينة فبلغوها وثباً عن سطوح المنازل واعملوا الآلات في نقب سورها حتى اذا كادوا يفرغون من العمل خرج اليهم جماعةٌ ممن كانوا في هيكل اسكولاپ وهو اشمون يعرضون عليهم التسليم وكان هناك خمسون الفاً بين رجال ونسآء واولاد فتتابعوا الى معسكر الرومان خاضعين . ودخل اسدروبال وجماعتهُ الهيكل المذكور وكانوا تسع مئة نفس فابوا التسليم ولبثوا على المقاومة اياماً ثم ادرك اسدروبال الفشل والحرص على الحياة فتركهم على حين غِرّة ونزل الى معسكر الرومان وفي يدهِ غصن من الزيتون . فلما علم اصحابهُ بذلك اضرموا النار في الهيكل ولبست زوجة اسدروبال افخر حللها واخذت بيدي ولديها والقت بنفسها في النار بعد ان لعنت زوجها ولعنت الرومان واقتدى بها سائر من كان هناك من المقاتلة فاحترقوا عن آخرهم ولبثوا مدفونين تحت انقاض الهيكل . ودار القتل والنهب والحريق في المدينة فاستمرّت النار تعمل فيها مدة سبعة ايام وكان

في المدينة سبع مئة الف نفس فذهبوا كلهم بين السيف والنار ومن بقي منهم حيًّا من الاطفال والنسآء والشيوخ جرَّهُ الجند بالكلاليب فدفنوهُ حيًّا مع القتلى تحت انقاض المدينة ولا تزال الى الآن طبقةٌ من الرماد والحجارة السودآء والخشب المتفحم والمعادن التي سبكتها النار والعظام المتكاسة الى عمق خمسة او ستة امتار عن وجه الارض وكلها شاهدة بما كان من فظاعة ذلك التدمير الوحشي . فاصبحت المدينة باسرها رجمة من الحجارة والحُمَم ولم يبقَ قائماً منها سوى بعض الارباض فوجّه مجلس الشيوخ برومية لجنةً من قِبلهِ للاجهاز على كل ما بقي من المدينة من منازل وهياكل واسوار فدُكّ كل ذلك الى الارض وعادت تلك المدينة الغنّآء بل الجمهورية الزاهرة كأن لم يسبق بها عهد وكان ذلك سنة ١٤٦ قبل الميلاد

اعمار السمك

ما زالت معرفة اعمار السمك ومبلغ قوة النموّ فيهِ من الامور الغامضة على علمآء الحيوان لصعوبة مراقبتهِ وتتبع احوالهِ في المواضع التي يعيش فيها ولذلك لم يكادوا يخرجون فيهِ عن حد القياس النظري . وقد ذهب بعضهم الى انهُ لما كان دمهُ بارداً لبرودة البيئة التي يعيشن فيها وباعتبار ما خُصَّ بهِ من التركيب العُضويّ بحيث لا يفقد شيئاً من جواهر بنيتهِ بالتنفس لا بدّ ان يكون اطول حياةً من ذوات الدم الحارّ من الحيوان . ومن المعلوم ان دورة الدم في الزحافات والاسماك ابطأ منها في ذوات الثُديّ والطير فيلزم عن ذلك ان تكون اعضآؤها الحيوية اضعف عملاً ولهذا فانها تستطيع ان تستغني عن

الطعام مدة اطول وقد شوهد في بعض الاماكن التي تربّى فيها هذه الانواع حيّات من ذوات الجلاجل تبقى الى عشرين شهراً بدون غذاء

وقد امتحن فُورديس امر الغذاء في السمك فوضع بضع سمكات من النوع الاحمر المعروف في اناء كان يجدّد ماءهُ اولاً كل يوم ثم صار يجدّدهُ كل ثلاثة ايام فعاشت على ذلك مدة خمسة عشر شهراً . ثم زاد على ذلك فجعل يقطّر لها الماء وبعد افراغهِ في الاناء يسدّهُ بحيث لا يدخلهُ شيء من الحييوينات المنتشرة في الهواء فلبثت عائشةً ووجد فوق ذلك ان اجسامها قد نمت وكبرت

ولاحظ غيرهُ ان من الاسماك ما يولد في غاية الصغر ثم يكون نموّهُ بمنتهى البطء مع انهُ يكون من الانواع التي تبلغ حجماً كبيراً وقد راقب نموّ بعض هذه الاسماك الى مدة عشر سنوات فقدَّر انها على قياس ما بلغتهُ من النموّ في هذه السنوات لا تبلغ حجمها الطبيعي الا بعد مئة سنة . على ان من الناس من يذكر اسماكاً بعينها يزعم انها عاشت مئة سنة فما فوق الى بضع مئات منها اسماكٌ في فُونتانبلُوّ زعموا انها عاصرت فرنسوا الاول في اوائل القرن السادس عشر واخرى في شانتِلّي قالوا ان عهدها من اوائل القرن السابع عشر وذكر بوفُّون انهُ رأى في خندق قلعة پُون شرترّين اسماكاً لا يقل عمرها عن مئة وخمسين سنة وروى غيرهُ انهُ في سنة ١٨٧٣ غيَّض بعض اهل سسكس من انكلترا غديراً كبيراً كان في ارضهِ فوجد في اسفلهِ سمكةً ضخمة تضطرب ووجد في غضروف انفها حلقةً من الذهب قد نقش عليها هذه الاحرف « W. C. et N. K. » وتحتها ما معناهُ

« تذكار عقد زواجنا في ١٩ مايو سنة ١٦٧٤ » فيكون عمر هذه السمكة اذ ذاك قرنين كاملين

الا ان كل ذلك لا تثبت صحتهُ ولا سيما وان السمك لا يكاد يموت موتاً طبيعياً لان كبيرهُ يأكل صغيرهُ على ما هو مشهور حتى يُضرب بهِ المثل في ذلك بخلاف سائر الحيوان وفضلاً عن ذلك فمن المعروف ان السمك الذي يُجعَل في الحياض والبرك اذا لم تهيأ لهُ وسائط التوليد لا يلبث ان ينقرض بأسرهِ في سنوات قلائل

ولعل افضل واسطة لمعرفة عمر السمك ما ذكرهُ بعض الباحثين في هذا الشأن قال ان حراشف السمك اي القشور الصلبة التي تغطي جلدهُ تنمو بان ينبت على اطرافها حلقات جديدة على حدّ ما يُرى في اصداف الحيوانات الهلامية فتزداد في كل سنةٍ حلقةً ويكون بين كل حلقتين علامة ظاهرة. فاذا اريد ان يُختبر عمر السمكة تؤخذ حرشفة عن احد جانبيها وتنظَّف بروح الخمر (السبيرتو) ثم تُمسك بملقطٍ صغير وتُستشف اي تُجعَل بين العين والنور حتى يُرَى ما يتخلل باطنها فاذا كان عمر السمكة سنةً واحدة ظهر في وسط الحرشفة نقطة نيّرة فقط وان كان عمرها سنتين ظهر حول النقطة حلقة او ثلاث سنين فحلقتان وهلمَّ جرًّا بحيث ان عدد هذه الحلقات يزداد بمقدار زيادة عدد السنين . الا انهُ لا يسهل دائماً تمييز الحلقات بالعين المجرَّدة ولا سيما اذا كانت الحراشف صغيرة فيمكن تمييزها بواسطة المجهر

دلائل الماء

ذكرنا في بعض اجزاء السنة الثالثة فصلاً تحت هذا العنوان اوردنا فيهِ اشهر العلامات الدالّة على وجود الماء. وقد عثرنا في هذه الايام على كلام في هذا المعنى نشرتهُ جريدة الزراعة الفرنسوية عن مكاتبٍ لها في البلقان وقد ساح في تلك النواحي وفي نواحي الدانوب والقريم والقوقاس فوصف في ذلك طريقةً غريبةً يستخدمها الفلاحون من التتار والاعجام وغيرهم وهي لا تكاد تخطئ في الدلالة على وجود الماء كما يُستَدلّ عليهِ من وجود عدة آبار وينابيع في مجاهل تلك البلاد وصحاريها المحرقة حيث لا يرجو المسافر ان يجد قطرة من الماء.

والطريقة المذكورة هي انهم اذا ارادوا البحث عن الماء في موضع من المواضع التي لا دليل فيها من طبيعة الارض وشكلها يعمدون الى ذلك الموضع فيزيلون ما يكون عليهِ من العشب وغيرهِ حتى ينكشف وجه التراب ثم يبسطون عليهِ جلداً من جلود الغنم يجعلون صوفهُ الى الاعلى ويضعون في وسطهِ بيضة دجاج حديثة العهد ويغطونها باناء جديد مدهون وذلك في مساء يومٍ جاف الهواء لا ريح فيهِ بحيث يكون التراب خالياً من كل رطوبة. وفي الصباح على اثر طلوع الشمس يرفعون الاناء فاذا وجدوا ان البيضة والصوف مكتسيان بالندى علموا ان هناك ماء قريباً من سطح الارض واذا لبثت البيضة جافةً ونَدِيَ الصوف وحدهُ فالماء ابعد واذا وُجدت البيضة والصوف جميعاً جافَّين علموا ان لا ماء بالقرب من ذلك الموضع

قال ومن الغريب انهُ جاءَ شيءٌ يقرب من ذلك في بعض مؤلفات ڤترُوف الروماني من اهل القرن الاول قبل الميلاد فانهُ اشار للاستدلال على وجود الماء باستعمال الصوف وآناء من الخزف النيء او اناء من المعدن يُفرَك بالزيت ويوضع عند مغيب الشمس في قعر حفرةٍ عمقها خمس اقدام ويغطى بالهشيم والتراب وعند الصباح يُكشَف عنهُ فان وُجد مندًّى بالرطوبة دلّ على قرب الماء والا فلا. الا ان الطريقة المستعملة عند اولئك الفلاحين اسهل واصحّ دلالةً

وجاء في سجلّ اعمال الجمعية الزراعية القوقاسية ذكرُ طريقةٍ اخرى هي من الطرائق المستعملة في البلاد الروسية وهي ان يُسحَق ٦٠ غراماً من الكلس الحيّ ومثلها من الزنجار والكبريت ويُخلَط الجميع ويوضع هذا الخليط في اناء مدهون ويُجعَل فوقهُ ٢٠ غراماً من صوف غنم غير مغسول ويُسَدّ الاناء سدًّا محكماً بغطاء مدهون مثلهِ ثم يوزن الاناء بما فيهِ وزناً محرَّراً وفي وقتٍ تامّ الجفاف يُدَسّ في التراب الى عمق ٣٠ سنتيمتراً وبعد اربع وعشرين ساعة يُخرَج ويُمسح جيداً ويعاد وزنهُ فان جاء كالوزن الاول من غير زيادة علم انهُ لا ماء هناك والا كان الماء قريباً بقدر الزيادة في الوزن

دود الشمع

جاء في احدى المجلات العلمية الفرنسويه تحت هذا العنوان الفصل الآتي نرويهِ لغرابتهِ ولا نضمن صحتهُ . قالت

ذكر احد السيّاح ان في الهند شجرةً غريبةً تشبه شجر الحنّاء اذا

راقبها الانسان في مدة الربيع رأى قشر اغصانها وساقها مكسوًّا بسِلَع او نواتئ بحجم الحِمَّص الصغير واذا قطع واحدةً من هذه السِلَع وجد فيها شيئاً اشبه بالدقيق ولكنهُ اذا انعم النظر يجد ان ذلك الدقيق مؤلفٌ من ربوات من بيوضٍ حيوانٍ يسمى دود الشمع

فاذا انقضى شهر ابريل يشرع الصينيون في جني هذه السِلَع ويجعلونها في اكياسٍ يسع الواحد منها نحو ٢٥٠ غراماً ويأتون بها الى سوق شياتِنغ فيبيعونها هناك فتُحلّ تلك الاكياس وتُجمَع السلع كل عشرين منها في خريطةٍ صغيرة من الورق تُثقَب ثقوباً كثيرة ثم تعلَّق في اغصان شجرة مخصوصة من النوع المعروف بلسان العصافير وهو كثير في الموضع المذكور. فتنقف تلك البيوض في ضمن الخرائط وبعد ان يأتي عليها خمسة عشر يوماً يتكامل خلقها فتخرج من الثقوب المذكورة وتتسلق اغصان الشجرة فتغتذي من ورقها وبعد ذلك تبيض الاناث منها وتجمع بيوضها على شكل سِلَع ثم تجيء الذكور وتفرز على تلك السلع مادةً دهنيــة تكسو ساق الشجرة واغصانها طلآءً لامعاً متيناً وقايةً للبيض من العوارض وهذا الطلآء هو الشمع. فيأتي الصينيون وينزعونهُ بأن يكشطوا القشرة عن الساق والاغصان الغليظة بالسكاكين واما الاغصان الدقيقة فيقطعونها ويطرحون القشر والاغصان في المآء الحار فينحلّ الشمع ومتى برد المآء يرسب طبقةً ثخينةً في اسفلهِ ويقول العارفون ان هذا الشمع لا يُفرَق عن شمع النحل . انتهى

المتنبي ولؤلؤ امير حمص
والاب لويس شيخو

(١).

جآء في كتاب مجاني الادب الشهير لحضرة الاب لويس شيخو اليسوعي في ترجمة المتنبي (٦ : ٣١٢) ما يأتي

« وانما قيل لهُ المتنبي لانهُ ادعى النبوءة في بادية السماوة وتبعهُ خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج اليهِ لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيدية فأسرهُ وتفرّق اصحابهُ وحبسهُ طويلاً ثم استتابهُ واطلقهُ» انتهى

وجآء في القسم الثالث من شرح مجاني الادب (ص ١٣٥٨) في ترجمة لؤلؤ امير حمص المذكور ما يأتي

« (لؤلؤ امير حمص) كان مملوكاً ولاهُ صاحب حلب الب ارسلان المعروف بالاخرس على امور دولتهِ ولما قتل الب ارسلان بقي لؤلؤ هو المتحكم على البلاد . فلما كانت سنة ٥١٠ هـ (١١١٦ م)[1] سار لؤلؤ الى قلعة جعبر ليجتمع بسالم بن مالك العقيلي صاحب القلعة فوثب عليهِ جماعة من الاتراك وقتلوهُ بالنشاب » انتهى

ولا يخفى ان المؤلف قد غلط واخطأ الحفرة اذ خلط بين رجلين متفقين اسماً مختلفين عصراً ودولةً ومحلّ ولايةٍ . فالاول وهو المذكور في

---

(١) كذا في الاصل والصواب انهُ قتل سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) كما ذكر ابو الفدآء ونقل عنهُ ابن الوردي في تاريخهِ (المجلد ٢ : ٢٤)

ترجمة المتنبي (المجاني ٦ : ٣١٢) كان من عُمّال الدولة الاخشيدية في حمص واما الثاني وهو المذكور في الشرح فهو من مماليك الدولة السلجوقية كان مدبّراً لامور عاملها بحلب . ولا يخفى الفرق بين الدولة الاخشيدية والدولة السلجوقيّة وبين امير حمص ومملوك صاحب حلب فكيف يزعم حضرة الأب انهما واحد ! . . .

ومما يدحض زعمهُ هذا قولهُ عن المتنبي انهُ توفي سنة ٣٥٤ (المجاني ٦ : ٣١٢) واما لؤلؤ المذكور في الشرح فقال انهُ قُتل سنة ٥١٠ فبين عهد احد الرجلين والآخر برواية المؤلف المدقق نفسهِ ما يزيد على قرن ونصف . . . اما كيف جمع بينهما وارتأى ان احدهما قبض على الآخر وحبسهُ مع اختلاف عصرَيهما فربما يدعي انهُ « من سهو صفاف الحروف » . . . . او انهُ اسند رأيهُ السديد هذا الى احد المؤرخين « كياقوت » مثلاً . . . . او غير ذلك من الدعاوي المنمّقة والاعذار الملفّقة . ولكن الحقيقة ان ذلك كان بآيةٍ من آياتهِ « الشيخوية » وعجائبهِ التاريخيّة الّتي ذكرنا بعضها في ما مرّ من اعداد الضياء وسنذكر غيرها في ما يأتي ان شاء الله

(٢)

ورُبَّ سائلٍ يقول فمن هو اذن لؤلؤ نائب الاخشيدية الذي اسر المتنبي وفي اي سنة كان ذلك

فاقول ان هذه الحادثة وردت في كتب كثيرة أمامي الآن منها تاريخ وَفَيَات الأعيان لابن خلكان (١ : ٣٧) ومختصر تاريخ ابي الفداء المعروف بتاريخ ابن الوردي (١ : ٢٩١) وتاريخ سورية للعلّامة المطران يوسف

الدبس (٥ : ٤٢٦) وكتاب العَرف الطيّب لامامنا اليازجي رحمهُ الله (ص ٢و٤٦) ومجلّة الهلال السنة الخامسة (ص ٣٢٣) والنشرة الاسبوعية (عدد ١٣٨٣) نقلاً عن كتاب روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر . وكلها لا تتكلم شيئاً عن لؤلؤ غير أسرِهِ المتنبي ما عدا تاريخ سورية فقد جآء فيهِ عند ذكر هذه الحادثة : « فخرج اليهِ لؤلؤ امير حمْص نائب الاخشيدية المار ذكرهُ » مع ان مؤلفهُ المفضال لم يذكر لؤلؤاً في غير هـذا الموضع من كتابهِ وهو قد افرد للاخشيديين واخبارهم عدة صفحات من تاريخهِ (٥ : ٣٨٢ـ ٣٩٠) نقلها عن اشهر المؤرخين . وبنآءً عليهِ فيكون قولهُ السابق عن لؤلؤ « المار ذكرهُ » صادراً اما عن سهو واما عن غلط مطبعي بان يكون الاصل « نائب الاخشيد المار ذكرهُ » او « نائب الاخشيدية المار ذكرها »

على ان لي رأياً في مَن هو لؤلؤ المذكور أوردهُ وان لم اكن جازماً بصحتهِ وهو اني قرأتُ في المجلد الثاني (صفحة ٦٣٧) من دائرة المعارف للعلاّمة المغفور لهُ بطرس البستاني في كلمة اخشيد ما يأتي—

« ثم ودَّع الاخشيدُ الخليفةَ المتقي ورجع الى بلادهِ حتى وصل الى دمشق وولى عليها الحسين بن لؤلؤ ثم نقلهُ بعد سنة واشهر الى نيابة حمص وولى على دمشق يانس المؤنسي ثم عاد الى مصر ودخلها في جمادى الاولى سنة ٣٣٣ هـ » انتهى . ومعلومٌ ان المتنبي وُلد سنة ٣٠٣ هـ (ابن خلكان ١ : ٣٧) وادعى النبوءة وأسرهُ صاحب حمص في صباهُ كما يقول العلاّمة صاحب تاريخ سورية (٥ : ٤٢٦) . وقد مرّ هنا ان الحسين بن لؤلؤ تولى

نيابة الاخشيدية بحمص سنة ٣٣٣ ه اي لما كان عمر المتنبي ٣٠ سنة . وبناء عليهِ فيمكننا ان نستنتج ان لؤلؤاً والد الحسين المذكور كان عاملاً من قبل الاخشيدية بحمص لما كان المتنبي في صباهُ وادّعى النبوءة فأسرهُ واعتقلهُ زماناً . اما السنة فلا يمكن تعيينها الا بالتقريب وربما كان ذلك نحو سنة ٣٢٠ هجرية والله اعلم

احد القرّاء بحمص

كتاب المترادفات

(تتمة)

وفي صفحة ٣٢ « لحا الله اماً وضعت بفلان ونتجت بهِ » وهي عبارة الالفاظ الكتابية لكن الذي في كتب اللغة والمتعارف في الاستعمال « وضعت الانثى حملها » ولا يقال وضعت بهِ ومثلهُ « نُتِجت » وهو من الافعال التي تتعدى الى مفعولين على ان هذا الثاني لا يقال في الآدميين

وفي صفحة ٣٣ « الصِنّ والصِنَّبْر . . والزمهرير والقمطرير البرد الشديد » وهي ايضاً عبارة الالفاظ الكتابية لكن المنصوص عليهِ ان « الصِنّ يومٌ من ايام برد العجوز ولم يُسمَع بمعنى البرد الشديد . « واما القمطرير » فلم يرد فيهِ شيءٌ من هذا المعنى اصلاً لكن جاء في القاموس « يومٌ قُماطِر وقمطرير شديد » وزاد في لسان العرب « شرٌّ قماطر وقمطرير » اي شديدٌ ايضاً لم يحكوا فيهِ غير ذلك

وفي صفحة ٣٨ في مرادفات النوم والسهر « وتقول ايقظت فلاناً من سنتهِ ونبهتهُ من رقدتهِ اذا ذكّرتهُ من سهوٍ وغفلة » قلنا ولا يخفى ما في هذا

التفسير من الغرابة فان سياقة الفصل في النوم والسهر فما مدخل السهو والتذكرة . وما ننكر ان هذا محتملٌ من باب المجاز ولكن هذا يصلح ان يُذكر في كتب اللغة لا في كتاب المُترادفات لانها تدور على الالفاظ المستعملة في المعنى الواحد لا على المعاني التي يتقلب عليها اللفظ الواحد

وفي صفحة ٣٩ « اسباب الدين والملك وعلائقهُ واواخيُّهُ » وبالهامش « الأَخِيَّة عودٌ في حائط » الخ وضُبطت الاخية بالقصر على فعيلة فهي على هذه اللغة تجمع على أَخايا مثل خليَّة وخلايا لا على أواخيّ والصواب في مفرد الأواخيّ آخيّة بالمدّ

وفي صفحة ٤٥ « النكهة رائحة الفم طيبةً كانتْ او كريهةً والخلوف رائحة فم الصائم والبَخَر للفم » كذا بالحرف وهذه العبارة الاخيرة لا معنى لها لان كل ما ذكر قبلها للفم فلا وجه لتخصيص رائحته بالبَخَر فضلاً عن ان البَخَر ليس بمعنى مطلق رائحة الفم وانما هو بمعنى نتن ريح الفم . على ان هذا مقتضَبٌ من عبارة فقه اللغة الا انَّ هذه اللفظة وردت هنالكَ في تركيبٍ يُفهَم منهُ المراد بها صريحاً لانها ذُكرت في سياقة روائح البدن الكريهة وهذا نصّ ما هنالك « السَّهَك رائحةٌ كريهة تجدها من الانسان اذا عرق البَخَر للفم الصُنان للابط الدَفَر لسائر البدن » فدلّت القرينة على ان البخر للفم بمنزلة السهك للعرق والصنان للابط وهلمَّ جرًّا وهذه القرينة مفقودةٌ هنا كما ترى فعادت العبارة ضرباً من اللغو

وفي صفحة ٤٩ في تقسيم المشي « تقول حبا الرضيع ودَرَج الصبي . . وحجل الغراب ونَقَر العصفور » هكذا بالرآء المهملة في « نقر » وهو غلط

وصوابهُ « نقز » بالزاي . وانما اوقعهم في هذا ما رأوهُ من صنيع الاب شيخو (سامحهُ الله) في نسخة فقه اللغة المطبوعة بتصحيحهِ . وذلك انهُ جاء في فقه اللغة في هذا الموضع ما نصُّهُ « نفز الظبي نزا التيس نقز العصفور . . . » فتصحفت على حضرة الاب الفاء من « نفز الظبي » بالقاف فجعلهُ « نقز » ثم رأى بعدهُ « نقز العصفور » بالقاف ايضاً فصار الفعلان بلفظٍ واحد فصحّف الزاي من الثاني وجعلهُ « نقر » بالراء وهو الذي نقلهُ عنهُ مؤلفو الكتاب

قلنا ومن غريب ما يُذكر هنا ان هذه اللفظة مرّت بهِ اي بالاب المذكور قبل ذلك في الباب نفسهِ في قول صاحب فقه اللغة « الرجل يسعى المرأة تمشي . . الغراب يحجل العصفور ينقز » ففعل هناك كما فعل هنا اي بدّل ينقز بينقر واثبت في اسفل الصفحة ما نصهُ « وفي نسخةٍ ينقز (اي بالزاي) قال « وليس هو بهذا المعنى » . . . (بخ بخ) فهل سُمع قطُّ بما يشبه هذا الخبط العجيب . ومع ذلك فان هذا الاب هو هو استاذ « مفتش اول » اللغة العربية في القطر المصري وعنهُ ينقل وعلى كتبهِ يصحح فلا حول ولا .

وفي صفحة ٥١ « اذا كان النقاب على طرف الشفة فهو لثام واذا كان على طرف الانف فهو لفام فان بلغ المحجر فهو النقاب فان دنا من العينين فهو الوصوصة » فمقتضاهُ ان « الوصوصة » اسمٌ للنقاب اذا دنا من العينين وليس كذلك وانما الوصوصة مصدر وصوصت المرأة اذا ادنت نقابها من عينيها وهو الذي يُفهم صريحاً من عبارة فقه اللغة

وفي صفحة ٥٢ « ورجمهُ بالحجارة ورشقهُ بالنبل وانشب بالنشّاب » وعبارة فقه اللغة « نشبهُ بالنشّاب » فروى الفعل بصيغة المجرد ونصّ على

كونهِ متعدياً . على ان كلا الفعلين لم يُحكَ في شيءٍ من كتب اللغة بهذا المعنى بل صرّحوا بانهُ لا يُبنى من النشّاب فعلٌ . قال في لسان العرب « والنُشّاب النبل واحدتهُ نشابة والناشبُ ذو النشاب وقومٌ نَشّابة يرمون بالنُشّاب كل ذلك على النسب لانهُ لا فعل لهُ

وفي صفحة ٥٣ في اصوات الحيوانات « ويقال شْحيح البغل » هكذا بحاءين وهذه ايضاً عن نسخة الاب شيخو والصواب « شحيج » بالجيم آخر الكلمة

وفي صفحة ٥٧ في قِطَع الاشيآء « والنُقرة من الفضْة والبَدْرة من الذهب » . قلنا اما « النُقرة » فهي من الفضة والذهب جميعاً وهي القطعة المذابة فتخصيصها بالفضة تحكُّم وما ننكر ان صاحبَ فقه اللغة خصصها كذلك ولكن الشيخ يقول انهُ عارض هذا الكتاب بامهات الكتب فهل رأى هذا التخصيص في شيءٍ منها . وقولهُ – او قولهم – « والبدرة من الذهب » قال في لسان العرب « البدرة جلد السخلة اذا فُطم . . والبدرة كيسٌ فيهِ الف او عشرة آلاف سُميت ببدرة السخلة » وفي القاموس « كيسٌ فيهِ الف او عشرة آلاف درهم او سبعة آلاف دينار » ونحو ذلك في سائر « امهات الكتب » ولم يقل احدٌ ان البدرة القطعة من الذهب . والصحيح انها « النَدْرة » بالنون لا بالباء قال في القاموس « والندرة القطعة من الذهب توجد في المعدن » ومثلهُ في لسان العرب ولكن تصحفت هذه الكلمة على الاب شيخو فاثبتها الشيخ من غير فحص ولا « عراض »

وفي صفحة ٦٢ في تقسيم السحب « فاذا كان ذا صوتٍ شديد فهو

الصيّب » هكذا بالبآء الموحَّدة آخرهُ وصوابهُ « الصَيِّت » واما الصيّب بالبآء فهو صفةٌ من صاب المطر يصوب اذا انصبّ . وقد راجعنا نسخة الاب شيخو في هذا الموضع فوجدناهُ اثبت هذه اللفظة بالبآء ولكنهُ ذكر في اسفل الصفحة ما نصهُ « وفي روايةٍ الصَيّت وهو تصحيف » . . . . . كذا قال حضرة الاب وهو مثل قولهِ في « ينقز » مما مرّ قريباً الا ان ما هنا اغرب فان المصنف يقول صريحاً « فاذا كان ذا صوتٍ شديد فهو الصيّت » ومعنى الصيّت في اللغة ذو الصوت الشديد فكيف يكون تصحيفاً

وفي الصفحة نفسها « يقال رعدت السمآء واذا زاد صوتها يقال ارتجت » هكذا بغير ضبط فيحتمل ان يكون « أرتجت » من الإرتاج او « ارتجَّت » من الارتجاج وكلاهما غير صحيح والصواب « ارتجست » او « ارتجزت »

وفيها في ترتيب المطر « اذا دام مع سكون فهو الديمة والضرب فوقهُ والطلّ فوق الضرب » فمقتضاهُ ان الطل اغزر المطر مع انهُ جآء في اول هذا الفصل ما نصهُ « اول المطر رشّ وطشّ ثم طلّ ورذاذ ثم نضح ونضخ ثم هطل ثم وابل » فالطلّ على هذا من المطر الخفيف . قال في القاموس « الطلّ » المطر الضعيف او اخف المطر واضعفهُ . . . » والذي في فقه اللغة « الهطل » لا الطلّ وهو كذلك في نسخة الاب شيخو ايضاً فالظاهر ان هذه من « عراضات » الشيخ « على امهات الكتب »

واعلم انّا لم نورد في هذا النقد الا كل ما يضيق عنهُ نطاق العذر وما يضرّ الاسترسال اليهِ بالناقل ولو شئنا التنبيه على كل ما مرّ بنا في هذا التأليف لامتدّ بنا نَفَس الكلام الى ما لا يحتملهُ حال هذه المجلة . لكن

لابدّ لنا قبل الختام ان نذكر امراً واحداً وهو ان هذا الكتاب انما وُضع للناشئة من تلامذة المدارس ليتلقّوا عنهُ ويقتبسوا منْ الفاظهِ في كتاباتهم فحريٌّ بما كان هذا الغرض منهُ ان لا يكون فيهِ الا الالفاظ اللائقة باستعمال هذا العصر فضلاً عن خلوّهِ مما لا يطابق قواعد الفصاحة المنصوص عليها في كتب البيان . ولكنك تجد فيهِ مثل « الحقحقة » لسرعة السير و « الحجوش » للطفل اذا ذهبت عنهُ حالة الرضاع و « الحزوّر » للصغير اذا قوي وادرك و « المقامق » للمتكلم من اقصى حلقهِ وثوبٌ « مزبرق » اذا كان مصبوغاً بلون الزبرقان وهو القمر و « العرّاص » للسّحاب ذي الرعد والبرق وما اشبه ذلك من الالفاظ التي ينبو عنها السّماع ويشمئزّ منها الذوق العصري

وربما جآء فيهِ غير ذلك كقولهم في صفحة ١٠ « اليمَرة الفرجة بين اسرار الراحة وهي من علامات السخآء » فجآء في الكتاب علم اسرار الكفّ ايضاً وقد فاتهم ان يودعوهُ شيئاً من علم الرمل والتنجيم لتتثقّف عليهِ عقول الطلبة كما تتثقّف عليهِ السنتهم . . .

فهذا هو الكتاب الذي كتب الينا سعادة وكيل المعارف في مصر ان « فيهِ غنى للتلامذة » والذي زعم المشيخ « مفتش اول اللغة العربية بالمدارس » انهُ « صحيح مفرداتهِ اللغوية عراضاً على امهات الكتب » وانهُ « جآء بحمدهِ تعالى صحيح المبنى والمعنى » ثم تبجح بأن ذلك « قلما يوجد في اضرابهِ من الكتب المؤلفة في بابهِ » . . . . ويا عجبا لمن يقول مثل هذا القول وقد كان قصاراهُ في التأليف أن رسم للاستاذين المسمَّين في اول هذا

النقد ان يسلخا بعض فصول الالفاظ الكتابية وفقه اللغة ومبلغ علمهِ في التصحيح ان يعتمد على مثل الاب شيخو وينقل عنهُ لو احسن النقل . . . وهنا نمسك القلم عن المزيد والله المسؤول ان يعصم السنتنا من معرة الخطل ولا يهجم بنا على موطنٍ نقف فيهِ موقف الخجل ولا حول ولا قوة الا بالله

طامة الصرب

من نظم حضرة الشاعر العصريّ نقولا افندي رزق الله

لم أجِدْ مثلهُ محبًّا أساءَ . جلَبَ البغضَ حبُّهُ والعداءَ
ملكٌ كان للهوى عبدَ رقٍّ . يتولاهُ فاعلاً ما شاءَ
جعلَ المُلكَ خاتماً او سواراً . في يدَيْ زوجةٍ لهُ حسناءَ
ملكت قلبهُ وعرشاً شقيًّا . لم يجد بين اهلهِ أكفاءَ
خادمٌ رأسُها تحمَّلَ تاجاً . فهوى التاجُ عزةً وإباءَ
وارتفاعُ الوضيع من غير حقٍّ . لهوَ الرُزءُ يجلب الارزاءَ
ثم قامت تريد ان يرث التا . جَ اخوها تحكماً واعتداءَ
فنما في البلاد حزبٌ أنوفٌ . لم يشأ أن يسوّدَ الخُدَماءَ
وأتوا قصرَهُ وقد بسط الليلُ . عليهِ سحابةً سوداءَ
وسكونُ الدجى يقولُ هلمُّوا . لا تخافوا في الارض من رقباءَ
غفلتْ عنكمُ العيونُ لأني . قد جعلتُ الكرى عليها غشاءَ
فلقوهُ وقد خلا بالتي جرَّ . م هواها عليهِ ذاك البلاءَ
قال صدري اليكمُ فاقتلوني . ودعوني اموت عنها فداءَ

فاستخفّوا بهِ وساموهُ أمرين م طلاقاً لها او استعفآء

أو فهم جاعلوهُ عبرةَ قومٍ حكّموا في السياسة الاهوآء

فأبى ان يذلّ من بعد عزٍّ وابى الحبُّ منهُ إلاّ وفآء

والهوى يوهن العزائمَ حتى ينبذ المجدَ أهلهُ والعلآء

فقضى العاشقان قتلاً ومن لم يرحم الناسَ لم يجد رُحماء

اسئلة واجوبتها

دوما (لبنان) ــ قرأت في بعض مطالعاتي هذه العبارة « ومن اراد ان ينال من المغناطيس شيئاً فحسبهُ ان يُدخل في النار حديداً محمى فانهُ يستحيل الى مغناطيس بجميع خواصهِ » . وقد اشكل عليَّ فهم هذا فارجو ان تفيدوا عنهُ بعبارة مفهومة وان تكتبوا لنا عن المغناطيس شيئاً يسهل فهمهُ كما هو شأنكم في كل المواضيع داود بشير

الجواب ــ العبارة كما ترونها لا تخلو من اضطرابٍ وابهام ولكن مهما يكن فان اكساب الحديد الخواص المغناطيسية لا يكون بواسطة الاحماء بل الامر على العكس فقد وُجد بالاختبار انَّ الحديد الممغنط اذا أُحمي الى ٧٧٠ْ فقد مغناطيسيتهُ وسنفرد لهذا البحث فصلاً مخصوصاً فيما سيجيء من اجزاء هذه المجلة ان شاء الله

الاسكندرية ــ اختلف الكتاب في رسم لفظة « كيرلس » فمنهم من

يزيد عليها واواً ومنهم من يحذف احدى اللامين فما هو الاصح في كتابتها
نصر الله سمعان

الجواب ـ اما حذف احدى اللامين فواجب لانهُ يستغنى عنها بالتشديد . واما زيادة الواو فالاظهر انهم اصطلحوا عليها في بعض الاسماء دفعاً للالتباس وذلك في نحو اغابيوس و بطلميوس فانها لو حُذفت ربما قرأ القارئ اغابِيْس و بطلمِيْس بسكون الياء على حدّ ما يقرأ ارسطوطاليس مثلاً . ثم تنوسي هذا الاصل فصاروا يزيدونها في كل اسمٍ كان على هذا النحو حتى انهم ربما اعتدّوا بها في اللفظ ايضاً كما في بيت المتنبي

لما وجدتُ دواءَ دائي عندها　　　هانت عليّ صفات جالينوسا

على ان من الاسماءِ ما لم تؤلَف زيادتها فيهِ مطلقاً مثل بطرس و بولس وقبرس وربما اهملوها حيث تجب زيادتها كما في لفظ جرجيس وهم يلفظون بهِ على وزن قنديل . وربما حذفوا الياء قبلها ايضاً كما في قولهِ يامارسَرْجِسَ لا نريد قتالا . وعلى الجملة فانكم لا تكادون تجدون للاسماء الاعجمية ضابطاً عند العرب سواءٌ كان في اللفظ او في الكتابة احياناً والله اعلم

دوما ـ هل وُضعت الحركات للحروف الهجائية العربية حين وضع الحروف ومن رتبها على الصورة المعروفة الآن　　　حنا الخوري الياس

الجواب ـ تجدون الكلام على هذه المسئلة في مجلد السنة الثالثة من هذه المجلة صفحة ٦٩ وما بعدها

فكاهات

عثرة الأمل (١)

في يوم راقت سماؤهُ ورق هواؤهُ كانت باخرة انكليزية تشق عباب البحر الهندي عائدةً من استراليا الى انكلترا تقلّ عددًا ليس بيسير من المسافرين وكمية وافرة من البضائع والسلع التجارية . وكان بين ركابها فتاةٌ في ربيع الحياة قد افرغ الله عليها حلة الجمال ووهب لعينيها كمال السلطان على النفوس . وكانت هذه الفتاة تدعى فلورندا وهي ابنةٌ وحيدة لرجلٍ يدعى وليم نورث وهو صاحب مصرفٍ كبير في مدينة لندن . فلما اكملت فلورندا دروسها اشار الاطباء على والديها ان يرسلاها الى بلاد اخرى تروّح فيها النفس من عناء الدرس فأرسلاها الى خالةٍ لها في استراليا فقضت عندها بضعة اسهر اكسبتها صحةً ونشاطًا وزادت في جمال خلقها وتكامل قامتها ونضارة شبابها . ولما ازف موعد رجوعها الى الوطن رافقتها خالتها الى ظهر الباخرة مودعةً ثم جعلت تبحث لها عن رفيق تعرّفها بهِ ليعتني بها عند الحاجة ويسليها في اثناء تلك السفرة الطويلة . ورأت الخالة بين المسافرين فتىً تعرفهُ يسمى ريشرد فقالت لفلورندا تعالي يا عزيزتي اعرّفكِ بهذا الفتى لتستعيني بمعاشرتهِ على هذه السفرة المملة . فقالت فلورندا لا حاجة بي الى عشير فان لديَّ من الكتب ما يشغلني كل هذه المدة فضلاً عن المناظر التي سنراها في طريقنا والتي احبها جدًّا . ولم تلح عليها خالتها فتركتها وشأنها ثم ذهبت فقابلت ريشرد وعلمت منهُ انهُ يقصد انكلترا ايضًا فودعتهُ ولم تذكر لهُ شيئًا عن فلورندا ولم يتطفل هو بالسؤال

وكان الجوّ رائقًا والبحر هادئًا فرفعت الباخرة مرساتها واخذت تنساب على سطح المياه انسياب الافعى في الصحراء المقفرة وما مضت مدة طويلة حتى غابت

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

الارض عن نظر المسافرين واحاطت بهم المياه من كل جانب . اما فلورندا فانها جلست على كرسي فوق ظهر الباخرة وكانت تراقب تارةً الخط الابيض الذي ترسمهُ الباخرة وراءها وطورًا الاسماك التي ترفع رؤوسها فوق المياه لمشاهدة الباخرة او لتتوقع شيئًا من الزاد الذي كان المسافرون يلقونهُ اليها . وقضت فلورندا اليوم الاول والثاني مكتفية بهذه الحالة مسرورة بها ولكنها خطر لها من باب التطال ان تبحث بنظرها عن الفتى ريشرد الذي كانت عمتها ترغب ان تعرّفها بهِ فوجدتهُ الى جانب الباخرة الآخر قد اتكأ على السلم الخشبي غائصًا في بحار تأملاتهِ فعجبت كيف لم يجتهد كبقية المسافرين في الاقتراب منها والتفرس في جمالها . وكان في تجنبهِ هذا ما ولّد فيها رغبةً عظيمة في معرفة الشاب ولكنها قضت اياما لم تفز منهُ بنظرة الاّ وقت تناول الطعام واتفق انهُ كان يجلس بازآئها فكانت اذا رفعت كاس الشراب الى فمها تتفرس فيهِ من خلال زجاج الكوب فرأت فيهِ جمالاً بارعًا ورجولية وآنست على وجههِ دلائل الهمة والصدق والشجاعة فأعجبت بهِ اعجابًا شديدًا وندمت على عدم اذعانها لمشورة خالتها وقبولها التعرّف بهذا الصديق والرفيق اللطيف

وبقيت الحالة على ما وصفنا بضعة ايام الى ان بلغت الباخرة منتهى البحر الهندي الكبير وكان الجوّ قد مال الى التغير فنهض الربان صباحًا ورأى الافق مغطى بغيوم سوداء تحجب نور الشمس واستمر الامر على ذلك طول النهار ولم يأتِ المساء حتى اضطرب البحر واصاب اكثر المسافرين الدوار فانطرحوا على اسرّتهم وساد السكوت في جميع انحاء الباخرة التي كانت تصارع الامواج وتخترق حجاب الظلمة

وفي الهزيع الاول من الليل ثارت عاصفة شديدة واشتد هياج البحر فكانت الامواج تلعب بالباخرة كما يلعب الطفل بالكرة . فاستولى على الركاب الهلع وسأل بعضهم الربان فقال ان الحالة لا تخلو من خطر ونصح للركاب ان يلزموا غرفهم وان يبتهلوا الى الله لينقذهم من خطر اعظم . وبعد مضي عدة ساعات خالها الجميع اشهرًا نزل الربان من موقفهِ وهو يفرك يديهِ علامة الحيرة والاضطراب وقال لقد قد تهنا عن طريقنا فلا ادري اين نحن الآن ويغلب على ظني ان لا امل لنا في

النجاة . فانتشرت هذه الكلمات بين الركاب بسرعة البرق وارتفع صراخهم وهلعت قلوبهم فباتوا حيارى ينظر الواحد الى الآخر نظرة اليأس، وقد ايقنوا ان ما بيدهم حيلة . ولما رأى الربان اليأس المستحوذ على الجميع كلمهم بصوت هادئ وقال لا انكر ايها الاخوان اننا في اشد الخطر الآن ولكن من الممكن ان تهدأ العاصفة ونعود الى الامن السابق ومن المحتمل ايضاً وقد أضعنا طريقنا ان تلتطم الباخرة ببعض الصخور فيُقضى علينا . وعلى كلٍ لا يليق بنا ان نيأس ونسلم انفسنا للموت طوعاً في الباخرة زورقان معدّان لوقت الضرورة فاذا حدث لا سمح الله ما نخشاهُ ينجو عليهما من قُدّرت لهُ النجاة ومن كان قادرًا على السباحة فلا يخاف لاننا على مقربة من بر . وكان في كلام الربان ما سكن شيئاً من جأش سامعيهِ واهتم الجميع بالاستعداد وجمع ما لا يمكن تركهُ . وانهم لكذلك اذ سمعوا صوتاً كقصف الرعد وشعروا باهتزاز الباخرة فانها كانت قد اصطدمت بصخر فتح جانبها فدخلتها المياه واخذت في الغرق . واسرعت فلورندا لركوب احد الزورقين، ولكنها ما بلغت جانب الباخرة حتى رأتهما قد ابتعدا جدًّا وفيهما ملؤهما من المسافرين فاوشك ان يغمى عليها ولكنها تجلدت وعادت الى غرفتها على غير هدى . وحانت منها التفاتة فرأت ريشرد قد نزع ما يعوقهُ من ثيابهِ وتمنطق بمنطقةٍ جلدية ضخمة وهو يستعدّ للوثوب الى البحر فلما وقع نظرهُ على فلورندا وقف بغتةً كأنهُ اصيب بصاعقة وتفرس فيها مليًّا بحزنٍ شديد فكان منظرهُ منظر المحكوم عليهِ بالاعدام اذا وقف فوق النطع . وكانت فلورندا تنظر اليهِ نظرًا خالياً ثم وثبت وثبةً واحدة فجثت امامهُ وقالت بصوتٍ ذليل ضعيف لم اتمكن من ركوب الزورق ولا اعرف السباحة فهل في طاقتك ان تخلصني . فلبث ريشرد حيناً كالصنم لا يدل على كونهِ حيًّا سوى تنقل نظرهِ من الملك الجاثي امامهُ الى المنطقة المتمنطق بها . وكانت الباخرة تغوص بسرعة في المياه فشعر بها وكانهُ هب من رقاد طويل فصمم للحال وفي اقل من دقيقةٍ حلّ ابزيم المنطقة وطرحها بعيدًا عنهُ ثم طوّق بذراعيهِ جسم الفتاة فرفعها عن الارض ووثب بها الى البحر ولم يكد يبتعد بضع أذرع حتى غمرت المياه الباخرة واختفى اثرها . اما فلورندا فانها بعد طلبها إليه

ان يخلصها كانت قد فقدت الشعور فلم تعد تعي شيئاً . وكان ريشرد يقاوم بجملهِ قوة البحار وكلما خارت قواهُ نظر الى ذلك الوجه اللطيف فتتجدد عزيمتهُ وما زال يكافح الانوآء ويغالب الامواج حتى بلغ صخرًا فتسنمهُ والقى عليهِ حملهُ . وكان الصخر المذكور يعلو بضع اقدام عن سطح البحر فنقل فلورندا الى اعلاهُ وجلس يحرسها ويفرك يديها ورجليها ليعيدها الى الحياة

ولما افاقت فلورندا ووجدت ريشرد بجانبها قرأت في وجههِ انهما قد بلغا السلامة فأخذت يدهُ بلطف ثم شخصت ببصرها الى السماء وتنهدت ورسمت على تلك اليد قبلةً اضطربت لها جميع اعضاء ريشرد فتساقطت الدموع من عينيهِ . ولبث الاثنان مدةً عادا فيها الى راحتهما الطبيعية لولا خوفهما من المركز الحرج الذي كانا فيهِ وبقيةٌ من اليأس فيما لو تُركا على ذلك الصخر المنفرد . وعرّفت فلورندا ريشرد بنفسها واخبرها هو ايضاً انهُ فقد والديهِ في انكلترا ولما رأى نفسهُ يتيماً فقيرًا سافر الى استراليا وكان يعمل في مناجمها مدة ثماني سنوات فأحرز من السبائك الذهبية ما تعادل قيمتهُ خمسة آلاف ليرة استرلينية فقنع بما قسمهُ لهُ الله واخذ غنيمتهُ ليعود الى وطنهِ فيتاجر بها ويقضي بقية حياتهِ في مسقط رأسهِ . فلما ادركهُ الخطر في الباخرة اخذ السبائك المذكورة ولفها في منطقتهِ وتحزَّم بها آملاً ان يتمكن من السباحة بها وتخليصها ولكنهُ لما رأى فلورندا وحاجتها الشديدة الى المساعدة فضل انقاذها على ما قضى السنوات الطوال في جمعهِ فرمى بالمنطقة كما ذكرنا وانقذ الفتاة . وشعرت فلورندا بعظم منة هذا الفتى فنذرت في نفسها ان بلغت وطنها سالمةً لتكافئنَّهُ بضعفي ما فقد في سبيل انقاذها

وقدر الله للفريقين النجاة فهدأت العاصفة وسكن اضطراب البحر شيئاً فشيئاً حتى عاد الى سكونهِ الاول . واتفق مرور باخرة من الشركة الشرقية فرآها ريشرد عن بُعد وجعل ينادي بأعلى صوتهِ ويلوح بذراعيهِ مستغيثاً فأرسل الربان زورقاً اقلهُ وفلورندا الى الباخرة . ولما علم الربان قصتهما قدم لهما جميع احتياجاتهما من ملبوس ومأكول وعناية تامة واخبرهما انهُ قاصد لندن وسيأخذهما بصحبتهِ

وارسلت فلورندا خبرًا بالبرق الى والدها من اول فرصة وقفت فيها الباخرة وكان قد وصل الى انكلترا خبر غرق الباخرة ولبث المستر نورث في أعظم اليأس والحزن الى ان وصلتهُ رسالة ابنتهِ فحمد الله واستبشر بسلامتها واخذ يترقب يوميًا وصولها الى لندن وما صدق ان وقعت عينهُ على ابنتهِ حتى ضمها بذراعيهِ وغطى وجهها بقبلاتهِ الابوية ثم استدعى عربةً ليركباها الى البيت . وكان ريشرد قد تنحى الى جانب بعد ما رأى فلورندا في امانٍ مع والدها اما هي فجعلت تبحث عنهُ ثم قالت لابيها ان السبب في خلاصي وحفظ حياتي فتًى كنت لولاهُ الآن طعامًا للاسماك وقد نذرت ان وصلت الى وطني سالمة ان اكافئهُ على ما خسرهُ في سبيل انقاذي فارغب ان نصحبهُ معنا الى البيت لانهُ لا اهل لهُ هنا وهو صفر اليدين . فقال المستر نورث وقد سرّ جدًّا بما ابدتهُ ابنتهُ من المروءة وذكر المعروف نعم لا بدّ من مكافأتهِ ولو اعطيتهُ جميع ما املك لما نال الجزاء الذي يستحقهُ فهيا بنا نبحث عنهُ . ولما التقيا بريشرد عرَّفت فلورندا والدها بهِ فاخذهُ هذا بين ذراعيهِ كما فعل بابنتهِ وافاض في شكرهِ والثناء عليهِ والزما ريشرد فاخذاهُ معهما الى البيت حيث قصّت فلورندا على والدها تفصيل الخبر وهو يسمع كلامها والدموع تتساقط على وجنتيهِ ممتزجة من عبرات الحزن والسرور . ولما انتهت حديثها قال المستر نورث مخاطبًا ريشرد وكم كان مقدار ما جمعتهُ من الذهب . قال كان معي ما تعادل قيمتهُ خمسة آلاف ليرة . فقال المستر نورث بتبسم ان هذا المبلغ غير كافٍ لتوطيد سعادة فتًى نظيرك وانما وقد وجبت علينا مكافأة معروفك فاني اقدم لك خمسة آلاف ليرة عوض ما فقدت في سبيل انقاذ ابنتي وخمسة آلاف أخرى جزاءً يسيرًا لانقاذك اياها . ولما قال هذا اخرج من جيبهِ حوالةً وهم ان يكتب عليها كما قال فاحمرّ وجه ريشرد وابرقت عيناهُ ووثب فقبض على يد المستر نورث وقال اياك ان تفعل يا سيدي فانك تقلّل اعتبارك في عينيَّ . فتبادل نورث وابنتهُ نظرة الدهشة والاستغراب ثم قال لهُ ولماذا تمنعني ايها الفتى . قال لاني وان اصبحت لا املك شروى نقير فلي من شرف نفسي كنز لا يفنى ولا احب ان الطخ شرف اسمي بوصمة العار اذ يقال اني أخذت أجرةً

جزاء الواجب المنتظر اتمامهُ من كل من يدعى انسانًا . فقال نورث ولكن لا اقل من ان تسمح لي بتعويض الذي فقدتهُ . قال لا ولا هذا ايضاً فالذي اعطاني اخذ مني ولا علاقة لك بهذا الامر . وحصلت مجادلة طويلة تغلب فيها ريشرد على نورث وفلوراندا فلم يقبل منهما شيئاً ولكنهما اجبراهُ اخيرًا على قبول خدمة في مصرف نورث وعين لهُ نورث اجرة وافرة وخصص لهُ غرفةً في قصرهِ وكان يحسبهُ كابنهِ.

وفعلت مروءة ريشرد وكرم نفسهِ ورقة عواطفهِ في نفس فلوراندا كما فعل جمالها ولطفها ونظراتها في فؤادهِ فوقع الاثنان في شرك الهوى ولا يدري احدهما من الآخر شيئاً . وكان في اجتماعهما يوميًّا ما يذكي تلك النار المشتعلة في صدريهما فأصبحا كأنهما روحٌ واحدة في جسمين وزادتهما الايام تعمقاً في الحب فباح بهِ بعضهما لبعض واقسم لها ريشرد على صدق الوداد واقسمت لهُ انها لن تكون لسواهُ وانهُ احق البشر بجسمٍ وروحٍ انتشلهما من الموت فأصبحا ملكهُ بدون منازع .

وبقي حبهما هذا مستورًا عن والد فلوراندا عملاً بارادة ريشرد لانهُ كان يود ان لا يفاتحهُ بهذا الامر قبل ان يتمكن من جمع المبلغ الكافي من المال بجدهِ ونشاطهِ فلا يحتاج الى مساعدة مالية منهُ . ومضت الايام والاشهر على هذه الحالة والحبيبان في سعادةٍ وهناءٍ يفكران في رسم خطة مستقبلهما وقد نسيا ما قيل ان الانسان في التفكير والله في التدبير

وفي ذات يومٍ جاء المستر نورث الى بيتهِ مقطب الحاجبين كاسف الوجه وقد ارتسمت على محياهُ دلائل القلق والاضطراب العظيم فاستدعى فلوراندا الى غرفتهِ وبعد ان اجلسها بازائهِ صمت هنيهةً وهو يجمع افكارهُ الشاردة ثم تفرس في وجهها مليًّا وقال قد انتقيت لك زوجاً يا فلوراندا واودّ ان تقترني بهِ في مدة وجيزة . فتراجعت فلوراندا كأن حيةً لدغتها وصار وجهها بلون القرمز ثم اخذ الدم يتقهقر من وجنتيها فتركهما مصبوغتين باصفرار الموت . وكان والدها يراقب ذلك فسقطت من عينيهِ دمعتان مسحهما بمنديلهِ حالاً . وبعد قليلٍ قالت فلوراندا وهي تتلعثم ولكن يا أبتِ من يكون هذا الزوج . قال هو غير ريشرد . وكانت هذه الكلمة الضربة القاضية

على ما بقي من آمال المسكينة فسقطت عن كرسيها الى الارض امام والدها . فقال انني غير جاهل يا فلورندا ما بينكِ وبين ريشرد من الحب الطاهر وان كنتما قد حاولتما ان تخفياهُ عني وقد سرَّني هذا الحب فاني لا أتوقع لكِ زوجاً اكمل منهُ خلقاً وخُلقاً ولا اراهُ يستحق اقل منكِ زوجةً اصبحت ملكهُ مذ انتشلتها من مخالب الموت . وكنت اكون اسعد البشر لو تم هذا القران غير ان آفةً عظيمة الخطر تتهدد حياتي وشرفي يا فلورندا ولاسبيل الى اتقآئها الا بفصم عرى الحب بينكِ وبين ريشرد واقترانكِ بالشخص الذي سأخبركِ عنهُ . ولكنني معاذ الله ان اضطرَّكِ الى قبولهِ قهرًا فانهُ أيسر لديَّ ان افقد شرفي وحياتي من ان يقال اني اجبرت ابنتي على الاقتران بشخصٍ رغماً عنها . فاسمعي قصتي وما يوحيهِ اليكِ قلبكِ فافعليهِ

ثم اخذ بيد ابنتهِ فأقامها واجلسها على ركبتهِ وجعل يقص عليها حديثهُ والعبرات تقطع صوتهُ فقال

افقت على نفسي يتيماً ولم اكن كسِلاً فتلقيت بعض العلوم في المدارس المجانية وكنت اعمل ليلاً بما يقوم باحتياجات معيشتي ثم خدمت بوظيفة كاتب في محل ويليام برات الشهير وساعدني القدر فتقدمت في مركزي واصبحت مع حداثة سني وكيل المحل المذكور . وكان للمستر برات ولدٌ وحيد يدعى ألفرد كان مسرفاً مبذرًا وكان والدهُ يمنع عنهُ النقود فسبب ذلك جفآءً بين الاب وابنهِ افضى الى منازعةٍ شديدة فجحد الولد اباهُ ولعن الاب ولدهُ وطردهُ فذهب الفرد ساخطاً ناقماً وسافر الى حيث لم يعلم احد . وكان بعد اختفآئهِ هذا ان المستر برات وقع في حزن شديد ويأس مفرط وبحث طويلاً عن ابنهِ فلم يقف لهُ على إثر واخذت صحتهُ في التأخر فمرض مرضهُ الاخير الذي مات فيهِ . ولم يكن للمستر برات وارث فاستدعاني الى سرير موتهِ وسلمني وصاتهُ الاخيرة وقد اودع منها نسخة في ادارة التسجيل ومآلها انهُ تنازل عن جميع ما يملكهُ لي وفوَّض اليَّ ان ادير جميع اشغالهِ بشرط ان لا اتناول من المال الا ما يلزم لنفقاتي وابقى كذلك الى ان يتبين ما يكون من امر ابنهِ الفرد فان عاد الى انكلترا وجب عليَّ ان اسلمهُ تركة ابيهِ بتمامها وحينئذٍ فان شآء ان يبقيني كما

كنت في ايام ابيهِ والاّ فانهُ يعطيني الف ليرة فقط نظير مكافأة

ومات المستر برات فصفيت اشغال المحل ثم اعدت حركتهُ تحت اسمي الخاص الى اليوم واصبحت في الحالة التي ترينني بها وكانت تمر السنون ولا اسمع شيئاً عن الفرد فتأكد لي انهُ لن يعود وتوسعت في الاشغال فبلغت هذا المركز والاسم العظيم. وبينما كنت امس في المحل قيل لي ان رجلاً بالباب يطلب مواجهتي فاذنت لهُ ولما دخل عرّفني بنفسهِ انهُ هو الفرد وانهُ سافر الى اميركا الجنوبية وساعدتهُ التقادير فجمع مالاً وتاجر بهِ وربح ارباحاً عظيمة واصبح من اصحاب الملايين ثم دعاهُ الشوق الى وطنهِ فعاد وسأل عن والدهِ فعرف انهُ توفي وقصد ادارة التسجيل فاطلع على صورة الوصية فجاء يطالبني بما اودع لهُ عندي . ولا تسألي يا فلورندا عن حالتي بعد سماع هذا الكلام ولا سيما وقد اخبرني الفرد انهُ يستغني عني في العمل فرأيت ان ما شيدتهُ من الاسم والمركز الحسن سيهدم فجأةً الى الارض واصبح مضغةً في افواه الناس وخطر لي للحال فكرٌ صممت عليهِ وهو ان انتحر فاخلص من مشاهدة الشقاء الذي سأصل اليهِ . وكأن الفرد قد قرأ فكري فتبسم وقال لي لا تيأس يا نورث فلدي واسطة لبقائك على ما انت عليهِ فعاد اليّ الامل ونظرت اليهِ متوقعاً خروج الكلام من فمهِ . فقال ان عندي من المال ما لا احتاج معهُ الى هذه التركة وقد رأيت بعد وصولي الى لندن فتاةً سبتني بجمالها واسرت قلبي من اول نظرة فسألت عنها فقيل لي انها ابنتك فلورندا فاذا شئت ان تزوجني اياها تركتك وشأنك في التركة واعطيتك وصلاً باستلام جميع ما اودعهُ لي أبي عندك . وتخيل امامي للحال ما رأيتهُ من تعلقكِ بريشرد وتعلقهِ بكِ فرأيت ان طلبهُ هذا من المحال فعدت الى يأسي الاول ولحظ الفرد ترددي في الجواب فقال لي افتكر يا مستر نورث في الامر وسأزورك غداً لاخذ جوابك النهائي . ثم خرج وتركني اخبط في اودية الحيرة وها انذا كفاقد العقل لا ادري ماذا افعل وقد اطلعتكِ على الامر لتساعديني بفكركِ الصائب

اما فلورندا فكانت تسمع الكلام وتجهد نفسها في الافتكار وصمتت مدةً غرقت في اثنائها في شبه سبات ثم رفعت رأسها وتنهدت وقالت معاذ الله ان تفقد شرفك

وحياتك يا ابتِ او ان يصيبك ادنى سوء . نعم انني احب ريشرد ويحبني فنحن كاخوين ولا يمنع اقتراني دوام هذه المحبة الاخوية بيننا فعد الفرد بقبولي اياهُ متى شئت . ولما قالت هذا نهضت تريد الخروج فرافقها والدها الى باب الغرفة والدموع تنسكب من عينيهِ ثم قبلها في رأسها وقال ليباركك الله يا ابنتي

وتوجهت فلورندا الى غرفتها توًّا فالقت بنفسها على سريرها واستخرطت في البكاء . وفي اليوم الثاني عاد الفرد فاجابهُ نورث بالايجاب وجاء بهِ الى البيت حيث عرَّفهُ بابنتهِ . وطلبت فلورندا خلوةً بالفرد فكلمتهُ مليًّا وتذللت لهُ ان يشرط على ابيها غير اقترانها بهِ فلم يذعن ورأت فيهِ تصلب الرأي وانهُ من المستحيل تحويلهُ عن قصدهِ فوعدتهُ بالاقتران واتفقا ان يكون اكليلهما في نهاية ذلك الاسبوع وان يسلم الصك المشار اليهِ الى والدها قبل اكليلهما بساعة

ورأى ريشرد حركة غير مألوفة في البيت فقلق جدًّا وسأل فلورندا فقالت لهُ سأطلعك على ذلك في وقتٍ آخر وان بلغك خبر اقتراني بالفرد فاياك ان تظن انني خنتك او حنثت بقسمي لك فانا لك ملكٌ شرعيٌّ . وكان ريشرد يثق بفلورندا ثقةً تامة فاعمى كلامها عينيهِ عن جميع ما كان يجري امامهُ

وفي اليوم المعين لزفاف فلورندا حضر ألفرد الى بيت نورث وسرّهُ ما رآهُ من الاستعداد ثم قابل فلورندا فوجدها مرتديةً اللباس الابيض وعلى صدرها باقة من زهر النارنج . فاخرج من جيبهِ بطاقة وسلمها الى نورث فقرأها واذا بها الوصل المعهود يقرّ فيهِ الفرد انهُ استلم جميع ما تركهُ لهُ ابوهُ فتبسم نورث وتنهدت فلورندا . ولما ازفت ساعة الذهاب الى المعبد لعقد الاكليل دخلت فلورندا غرفتها وطلبت ريشرد فأُدخل اليها فاجلستهُ فلورندا بجانبها واخبرتهُ بقصة والدها ثم قالت ولما لم يكن بدٌّ من اجابة الفرد الى طلبهِ صيانةً لشرف والدي وحياتهِ فقد اعلنت لهُ رضايَ بالاقتران بهِ ولكنني اعلم جيدًا انني لست لنفسي بل لك وتحت مطلق تصرفك . اما الآن وقد استلم ابي الصك وأمن الخراب فان اتخذ الفرد زوجًا لي وليس في الامكان تركهُ فانهُ يعود الى المطالبة بحقوقهِ واراني في موقف حرج لا أعلم كيف التخلص منهُ .

ولكن لديَّ طريقة واحدة وهي تأجيل زواجي بك الى زمن آخر حين لا يعارضنا معارض فهل توافقني على الانتظار . وكانت زفرات ريشرد تحرق صدره فقال نعم انتظر ما شئتِ وانا بين يديكِ . قالت انني كنت ارجو منك ذلك . ثم طوقت عنقهُ بذراعيها وتعانق الاثنان مليًّا وهي تقول بصوت خافتٍ الى الملتقى أيها الحبيب. وبعد قليل ابتعدت عنهُ فاخذت زجاجة كانت مخفاة في درج خزانتها فسكبت منها قليلاً في كأس من المآء وتجرعتهُ دفعة واحدة وقالت قد قضي الامر . فقال ريشرد واي امر تعنين . فقالت قد تجرعت سماً يميتني قبل عقد الاكليل وبهذا اكون قد انقذت والدي وبقيت عذرآء بانتظارك الى ان تتبعني . وادرك ريشرد في تلك اللحظة ما خفي عنهُ حتى تلك الساعة ولكن بعد فوات الوقت فصاح من قلب جريح اواه يا فلورندا انكِ لو ابقيتِ على حياتكِ لكنت اكتفي بمشاهدتكِ فقط . ثم ارتجف شديدًا وكانت فلورندا تراقبهُ بعين مائلةٍ الى الذبول فوثب الى الزجاجة وافرغ باقيها في فمه قبل ان تتمكن فلورندا من منعهِ ورجع اليها فضمها الى صدرهِ ووضع فمهُ على شفتيها كأنهُ يود ان يستخرج من فيها السم بتمامهِ

وفي تلك الدقيقة قرع باب الغرفة وسمعت فلورندا صوت والدها ينبهها الى وجوب المسير فتزودت من ريشرد قبلة الوداع الاخيرة وخرجت وكان ريشرد يتبعها بنظرهِ من بعيد وعلى وجههِ تبسمٌ مخيف .

وبلغت فلورندا الكنيسة ولكنها قبل ان تتم سماع صلاة الاكليل سقطت الى الارض فاقدةِ الحياة في نفس الدقيقه التي فاضت فيها روح ريشرد في غرفتهِ

فانقلب ذلك العرس مأتمًا وحُملت جثة فلورندا الى منزل ابيها فوجدوا ريشرد جثةً هامدة . فعظم الخطب على والدها المسكين واقبل تارةً يلوم نفسهُ وطورًا يلوم التقادير واخيرًا غلب عليهِ الغمّ والندم فلم يقوَ جسمهُ الضعيف على مقاومة هذين العاملين ولم يلبث ان لحق بابنتهِ وحبيبها في نفس ذلك النهار فدُفن الثلاثة في قبرٍ واحد

